

شيخ الأزهر والرئاسة في الأسس

هذا كتاب جديد وهو مهم جدا وتؤخذ اغراضه ومباحثه من اسمه وهو لما
لا يستغنى عنه باحث والكتاب يباع في مكتبة المنار بشارع الانشا بجوار
وزارة المعارف وعند الشيخ منير الدمشقي في ادارة الطباعة النورية بجوار
الازهر وفي غيرها من المكاتب وثمان النسخة ٣ قروش صاغ

البرق والنجاة اكتساح الظلمات الدجوية

هذا كتاب جديد ايضا وهو ام ما كتب في الفصل بين الوهابيين وغيرهم
من الفرق الاسلامية وقد فض النزاع بين طائفة الوهابية وغيرها في جميع ما
اختلفوا فيه وهو كتاب قد اهتمت له مشيخة الازهر حتى انها طلبت تصادته
لدى الوزارة فأخفق سعيها وقد فصلت مؤلفه من الازهر لأجله لما ان عجزت
عن الرد عليه ولما ان علمت انه ضربة قاضية على ارباب البدع والخرافات
والدجالين وهكذا يفعل العاجزون والمكاتب يباع في المكاتب التي يباع
فيها الاول وثمان النسخة ٥ قروش صاغ

المجلد الثاني

١٣١٥

مجلة اسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لنشرها

السيد محمد رشيد رضا

تأسست في سنة ١٣١٥ هـ في القاهرة بمصر

في كتابها أو رسالتين عوضاً عن

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ٣٣

والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩

فهارس المجلد الثاني والثلاثين

لسنة ١٣٥٠

قيمة الاشتراك في المنار جنيه مصري في القطر المصري والحد خارج

وفي غيرها ١٢٠ قرشا (أو ٢٥ شلن ذهب)

الطبعة الاولى

(حقوق إعادة الطبع والترجمة للكل أو البعض محفوظة للنشر المجلة)

مطبعة الميناء بدمياط

﴿ فهرس ابواب المجلد الثاني والثلاثين من المنار ﴾

- ﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾
- ﴿ الخلاصة الاجمالية لسورة التوبة ، وفيها ﴾
- أبواب ذات فصول
- الباب الاول في صفات الله تعالى وأفعاله
وشؤونه في خلقه الخ
- الفصل الاول في الاسماء والصفات
والاضافات اليه سبحانه ١٦١
- الفصل الثاني: أفعاله تعالى وتصرفه في خلقه
بمقتضى سنه لا يجعلهم مجبرين ١٦٤
- الفصل الثالث : في قبضه الله وقدره
وولايته للمؤمنين ١٦٦
- ﴿ الباب الثاني في مكانة نبينا وحقوقه ﴾
- الفصل الاول في اقتران اسمه باسم الله
وحقه بحقه ١٦٧
- الفصل الثاني : علوم مكانته وعذره به وعنايته
تعالى به وتكيله لايامه ١٧١
- الفصل الثالث في حقوقه على أمته ١٧٤
- ﴿ الباب الثالث ﴾
- (في حجيح الاسلام وأصوله وأهله)
- الفصل الاول منه في حجيح الاسلام
وبشاراته واخبار القرآن بالغيب ٢٤١
- الفصل ٢ في صفته وأصول التشريع فيه ٢٤٢
- الفصل ٣ في آيات الايمان وصفاته أهله ٢٤٣
- ﴿ الباب الرابع ﴾
- (في المسائل المالية والعسكرية والسياسية)
- الفصل ١ في أحكام الاموال وأقسامها ٢٤٦
- فوائد الزكاة وإصلاح الاسلام المالي ٢٤٩
- الفصل ٢ : أحكام القتال والصلح ٢٥٠
- الفصل ٣: القواعد السياسية والحربية ٢٥٤
- ﴿ الباب الخامس ﴾
- (في شؤون الكفار والمنافقين الخ)
- الفصل الاول ذم القرآن لهم وتزاهته فيه ٢٥٦
- ف ٢ في المنافقين وسياسة الاسلام
فيهم ٢٦٠
- الاصول الثلاثة في حرية الدين ومعاملة
المنافقين ٢٦٦
- سورة يونس مناسبتها لما قبلها وموضوعها ٣٢١
- الوحي المحمدي وموضوعه من الانذار
او التبشير ومعنى قدم الصديق ووصف
القرآن والنبي بالسحر ٣٢٥
- ﴿ فصل في اقامة الحججة على نبوة محمد ﴾
- الكلام في الوحي لمحمد مع أهل الكتاب ٣٢٧
- تعريف الوحي والنبوة والانبياء عند
النصارى وما يرد على نبواتهم ٣٢٨
- امتياز نبوة محمد على من قبله وآيته ٣٣٢
- شبهة على الوحي وتصويرهم لنبوة محمد ٤٠١
- تفصيل الشبهة ودحضها بالحجة (الرد على
كتاب حياة محمد لموسيو درمنغام) ٤٠٧
- كيف كان بدء الوحي للنبي (ص) ٤١٧
- بسط ما يصورون به الوحي النفسي ٤٢٢
- تفنيد تصويرهم للوحي النفسي من وجوه ٤٢٤
- القول الحق في استعداد محمد للنبوة (٤٢٩)
- آية الله الكبرى : القرآن العظيم ٤٨١
- الميلوب القرآن وحكمته واعجازه به ٤٨٣

النورة والانقلاب الذي أحدثه القرآن (٣) طوقان نوح عام أم خاص بقومه ٢٨	٤٨٤	في البشر
٢٩ (٤) حقيقة الطير الايايل	٤٨٧	فعل القرآن في أنقى العرب
(٥ و ٦) حديثا «من زار قبري - والقنعة	٤٩٢	مقاصد القرآن في ترقية نوع الانسان
٢٩ كثر لا يفتى»	٥٠٣ - ٤٩٣	(المقصد الاول) بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة
(٧) أجساد الأنبياء والصالحين بعد موتهم ٣٠		(المقصد الثاني) ما جهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل ٥٠٤
(٨) صفة صلاته ﷺ للجمعة ٣١		فصل في الآيات الكونية التي أيد الله بها رسله، وما يشبه بعضها من الكرامات وما يشبهها من خوارق العادات وضلال الماديين والمخرفيين فيها ٥٦١
(٩) حكم من رضع من ثدي امرأة ٣٢		المقصد الثالث للقرآن بيان أن الاسلام دين الفطرة والعقل والفكر والعلم والحكمة والبرهان والحجة والضمير والوجدان والحرية والاستقلال ٦٥١
(١٠) «شرب الجمرة - البيرا ٣٢		المقصد الرابع له - الاصلاح الاجتماعي السياسي الانساني الذي يتحقق بوحدة الامة والجنس البشري والدين والتشريع بالمساواة في العدل ووحدة الاخوة الروحية والمساواة في التبعية ووحدة الجنسية السياسية الدولية والقضاء واللغة ٦٥٣
(١١-٢٥) في الزواج والازواج والاولاد في الآخرة وصفة الجنة والارواح في البرزخ وبعض أحكام النساء في العدة والحجاب والخروج من بيوتهن والزواج بالشيعي ٩٠		المقصد الخامس مزايا الاسلام العامة في التكليف الشخصية ٦٥٨
(٢٦) الصلاة إلى القبور أو قبة فيها قبور تعظم ٩٤		المقصد السادس - حكم الاسلام السياسي الدولي: نوعه وأساسه وأصوله العامة وكون الحكم الامة وشكله ٦٦١
(٢٧) دعوى بعض مشايخ الطرق التلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم بقطة ومناها ٩٩		المقصد السابع الاصلاح المالي ٧٢١
(٢٨) التعليم في المدارس الالدينية والنصرانية ١٧٨		المقصد الثامن الاصلاح الحربي ٧٢٣
(٢٩-٣٢) قتل العرب لمناسك ابراهيم ١٨١		
(٣٣) حديث القبر اما روضة ٢٦٨		
(٣٤) تخلص الروح (التناسخ) ٢٦٨		
(٣٥) صلاة الجمعة في البيوت ٢٧١		
(٣٦) زيادة الصلاة والسلام في الأذان ٢٧٢		
(٣٧) تعريف البدعة واقسامها ٢٧٣		
(٣٨) شرب الدخان ٢٧٤		
(٤٠ و ٣٩) أكل القسيخ ويعة ويعة ٢٧٥		
الدخان		
(٤١) حديث لعن الله الواصلة الخ ٢٧٥		
(١) رفع ادريس عليه السلام (٢) المهرج ٢٥		

﴿ باب فتاوى المنار ﴾

- (٤٢) العالم المونة لمشايخ الطرق ٢٧٥ مقدمة الجزء الاول من تاريخ الامام ١٧
- (٤٣) الذكور برفع الصوت في المساجد ٢٧٦ (الحاج في القرآن - المقالة الرابعة)
- (٤٤) شرب الشاي كالتغر ٢٧٧ السنن الكونية الاجتماعية ونظام الكون ٣٣
- (٤٥) حديث كل محروق حرام ٢٧٧ سنن الله مادية وروحية ٣٤
- (٤٦) الحجب والتخائم والبرق ٢٧٧ التجديد والتجدد والمجددون ٢٢٦ و ٤٩
- (٤٧) المحراب في المساجد والمذبح في الكنائس ٢٧٨ هداية القرآن (تقريظ المنار) ١٠٢
- (٤٨) السلام بين المراحض ٢٧٩ تقريظ المنار وهذه أيضا ١٠٩
- (٤٩) طيب الرجال والنساء ٢٧٩ غاندي يشهد للسلام والنبي (ص) ١١٢
- (٥٠) تحريم لحم الخنزير يشمل كل ما يؤكل منه ٥٨٢ المؤتمر الاسلامي العام ومقاومته ١١٣ و ١٣٣ و ١٩٣ و ٢٨٤
- (٥١) الطريقة الشاذلية وغيرها ٦٦٨ تاريخ الاستاذ الامام : تقرظه وهذه
- (٥٢) استعمال الماء الممزوج بالسموم وجرائم الامراض ٦٧٠ بقلم الامير شكيب ارسلان ١٣٣
- (٥٣) تنجيس جدران المسجد ٦٧١ تعليق المنار على التقريظ ١٣٨
- (٥٤-٥٦) ولادة عيسى من غير أب وكونها بجماع عليها وكفر جاحدها ٦٧١ ترجمة القرآن وكونه العربية لغة الاسلام ١٨٤ و ٥٣٥
- ٥٧ - الزكاة لجمعية خيرية اسلامية ٧٣٦ نداء امام لاهياء ذكرى يوم النبي (ص) ١٩٠
- ٥٨ - تنفيذ وصية الميت وشرطه ٧٣٦ الرابطة الاسلامية الدولية ٢٠٩
- ٥٩ - شبهة تارك شاعر الدين ٧٣٧ اذان ابراهيم التخليص بالمحج ٢١٧
- ٦٠ - الدعوة الى اللغة العامية العربية ٧٣٨ مجلة الازهر مذكرتنا في خطتها ٢٢١
- ٦١ - معجزات المولد النبوي ٧٣٨ ذكرى يوم النبي أو المولد النبوي ٢٨٠
- ٦٢ - الشبهة على المراج ٧٤٠ المؤتمر الاسلامي في بيت المقدس ٢٨٤
- ٦٣ - ابطال لصلاة متصل قرأ بالبسملة ٧٤١ مقترحات لجنة الدعوة والارشاد ٢٨٤
- ٦٤ - الانكار على تأليف الجمعيات الدينية ودعوى قيام الاسلام بالسيف ٧٤٢ الاعتراض على تقرير اللجنة في المؤتمر ٢٨٨
- ٦٥ - بدعة تكفير صلوات الف سنة ٧٤٢ جمعية المطالبة باوقاف الحرمين ٢٩٣
- اصلاح عظيم في وزارة المعارف ٢٩٩ نهضة باحياء اللغة العربية في الهند ٣٤٥
- التوسل الشرعي والبدعي ٤٧٠ التوسل الشرعي والبدعي ٤٧٠
- الخطر على الاسلام باستيلاء الانكليز على الحجاز ٤٧١
- تصدير الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام وفيه بيان مزايده ومزايا السيد جمال الدين في الاصلاح والتجديد ٢

(المقال ٨) البيهة الثالثة لسجود الشمس ٧٧٢	(الشر التاريخي)
(المقال ٩) استشكل العساء الحديث ٧٨٥	قصيدة في دعوة الاسلام وسيرته (ص) ٥٢٣
الشمس ٧٨٥	الوجود والمادة والقوة ٥٨٨
تحدثنا لمشيخة الازهر في علم الحديث ٧٩٢	ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين ٥٩٣
النساء	نموذج من كتاب الانجيل والصليب في كون موضوع الانجيل الاسلام ومحمد ٧٤٥
(نساء للجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف في حقوق النساء في الاسلام) ٣٥٢	(باب المناظرة)
بيان حال النساء في العالم كله قبل البعثة المحمدية وما جاء به محمد (ص) من أنواع الاصلاح للنسوي ٣٥٦	(المناظرة بين أهل السنة والشيعة)
(تعدد الزوجات)	الرسالة الاولى للعلامة السيد عبد الحسين نور الدين ١٥٢١ و ١٤٨١ و ١٥٢١
تاريخ التعدد وأصله في جميع الأمم ٣٨٧	السنة والشيعة ووسيلة الاتفاق بينهما ٢٣٢
الاصلاح الاسلامي في التعدد ٣٨٩	عقيدة الشيعة في الاتفاق. كتاب محمد بن النجفي في ذلك وتعليق المنار عليه ٢٣٣
مصلحة الزوجية والانسانية في التعدد ٣٩٢	أنا والادب الشيعي ٥٤٥
أقوال بعض الانكساريات في التعدد ٣٩٥	العقيدة السلفية والاستاذ الدجوي ٤٦٦
كلمات لبعض كبار علماء أوروبا في التعدد ٣٩٩	أقوال الفقهاء في كفر عبدة القبور ٥٥٠
أزواج النبي (ص) وجمك تعددهن ٤٣٣	أقراء مجلة مشيخة الازهر علينا وهجوها وهجرها فينا ٦٣٨
الحكمة العامة لتعدد أزواجه (ص) ٤٣٤	(المنار ومجلة مشيخة الازهر ٦٣٨)
الاسباب الخاصة لكل زوج فمن ٤٣٦	(المقال الاول) التنازع بين المجلتين ٦٣٣
سبب تزوجه (ص) بزینب بعد طلاق زيد لها (وفيه اقوى رد على المبشرين) ٤٣٨	(المقال ٢) السعي للصلح بدار المفتي ٦٣٣
سيرته (ص) في معاشرته نساءه ٤٤٩	(المقال ٣) المرحلة الثانية له ٦٩١
تحريم النساء على النبي بعد التسع ٥٠٨	(المقال ٤) مقدمة تاريخية في تصدي المنار للاصلاح ومقاومة الشيوخ له ٦٩٨
آية الحجاب وسبب نزولها وتفسيرها ٥٠٩	كلمة المنار في المجلد العشرين في آراء علماء الازهر في المنار ٧٠١
التسري وملك العيمين والخاذلة والرق ٥١٥	(المقال ٥) البيهة الاولى انكار الملازمة ٧٥٣
التسري الصحيح في الاسلام ٥١٩	(المقال ٦) شبهته في انكار الملازمة ٧٥٨
الطلاق في الاسلام وغيره ٦٠٧	(المقال ٧) البيهة الثانية انكار الجني ٧٦٧
الايلاء والظهار وفسخ الزوجية ٦١٢	
عدة الطلاق ومتعته وحقته ٦١٣	
الحداة على الزوج وغيره ٦١٤	

٦١٦	جمعية مكارم الاخلاق بمصر	٦٣٤
٦١٧	جمعية الهداية الاسلامية بدمشق وخطابها	
٦٢٠	للك مصر في شأن قراءه الحجاز	٦٣٦
٦٢٠	عدد المسلمين في أنحاء العالم	٧١٣

(باب وفيات الاعيان)

٦٢١	الحجاب والسفور	
٦٢٤	نصيحة للرجال والنساء في الزواج	
٧٠٥	بر الوالدين وتقدير الام فيم على الاب	٧٠٥
٧٠٨	الاحاديث في بر الوالدين وعقوقها	٧٠٨
٧٠٩	في الوصية بالبنات والاخوات	٧٠٩
٧١١	ما يجب على المسلمين في هذا العصر	٧١١

باب أنباء العالم الاسلامي

٥٥٤	جمعية علماء المسلمين في الجزائر	
٥٥٥	المؤتمر الاسلامي لجنته التنفيذية	
٥٥٧	نداء المؤتمر الاسلامي الى الهندسين	
٥٥٩	لجنة إلغاء البغاء الرسمي وأجوبة صاحب	
٦٣١	المنار على أسئلتها	
	فتنة الحجاز وفتنة ابن رقاد	

فهرس أهم المسائل والفتاوى والاعلام مرتبة على حروف المعجم

١٣	الاسلام الفرق بينه وبين الوثنية	
٧٥٠	في الكتب المقدسة	
٣٣	(الحاد في القرآن)	١١٥
٢٧٥	اكل القسيس والسردين ويعهما	٢١٧
٤٧٦	الامام يحيى تزييتا له وجوابه	٧٠١
٧٢١ و ٢٥١ و ٢٤٦	الاموال في الاسلام	٢٤٦ و ٢٥١ و ٧٢١
٣٠	الانبياء اجسادهم بعد موتهم	
٧٤٥	الانجيل والصليب (كتاب)	٤٨٤
٥٩٩	اورية عداوتها للإسلام	٤
	آية الحجاب	
	(أذان ابراهيم بالحج)	
	الازهر، علماء و مولانا	
	الاسلام (راجع مباحثه في باب التفسير من	
	الفهرس الاولى)	
	انواع توحيد للبشر	٢٠٤ و ٢٥٣
	نورته العالمية	٤٨٤
	ضعفه السياسي ومملكه	

٧٦٧	الجن وأنواعهم والميكروبات	٦٦٨	بدع أهل الطريق
٦٢١	حجاب النساء وسفورهن	٧٤٤	دعة تكفير ترك الصلاة
٢٧٧	الحجب والتمايم	٢٧٢	بدعة الزيادة في الاذان
٢١٧	الحج ووزق أهل الحرمين	٢٧٣	البدعة وأقسامها
٣١١	حديث توسل آدم بالنبى	٣٠٨	البروق التجديدية (كتاب)
٦٧٢	حديث ذهاب الشمس بعد غروبها	٧٤٥	بشارة المسيح بأحمد ومحمد
٧٣٣	الحرب . اصلاح الاسلام فيها	٥٥٩	البناء الرسمي
٢٦٦	حرية الدين في الاسلام		
٥٦١	خوارق العادات		

(د - ذ - ر)

النجوى (راجع يوسف النجوى)	(تاريخ الاستاذ الامام، والسيد جمال الدين)
٢٨٤ و ٢٠٠	تصديده وفيه تجديد الاسلام ١٥-٢
٢٧٦	مقدمة وفيها بيان صنوف قرائته ١٧-٢٣
٢٨٠ و ١٩٠	خاتمته فيما يجب للامام على الامة ٨٢
٢٠٩	تقرظه للامير شكيب ارسلان ١٢٣
	التجديد الاسلامي ٢-١٥ و ٢٠٦
	لتجديد والمجددون ٤٩ و ٢٢٦
	(ترجمة القرآن) ١٨٤ و ٥٣٥
	التسري والمخادعة والريق الايض ٥١٥
	تفسير النار تقرظ بمجلة الشبان المسلمين ١٠٤

(س . ش . ص . ض . ط)

٦٧٨ و ٥٨٨	سبشستر التيلسوف
٨٧ ٦٨٦ ٨٤٤ ٨٣٤ ٢٠٤ ١٨	سعد زغول
٣٠٥ و	السلام بين المراحض
٢٧٩	السنن الكونية ونظام الكون
٣٣٠	السنة والشيعه (وأهلها) ٥٦١ و ١٤٥
٢٣٨ و ٢٣٢ و ١٦٠	السياسة الدولية في الاسلام
٦٦١	شرب السخان
٢٧٤	شرب الشاي كالجمر
٢٧٦	شكيب ارسلان
١٤٤ و ١٣٠	الشتيطي
٥٧٣	شيخ الازهر ٣١ و ١٧٤ و ١٧٩ و ٦٨٢ و ٦٧٩
٧٩٩ و ٧٩٢ و ٦٩٨ و ٦٩١ و	

ب

ت

(ج - ح - خ)

٦٠٤	الجامعتان الاسلاميه والعربيه
٤٠٣	جان دارك والوحي
١٣٣ و ١٧١ و ١٤٩ و ٩٠ و ٦٠	جمال الدين الاصفهاني
٦٧٥ و ٤٠٠ و ٣٠٥ و ٢٠٦	جمعيه المطالبه باوقاف الحرمين
٢٩٣	

٨ فهرس أهم المسائل والفتاوى والأعلام مرفوعة على حروف المعجم

٣٤٥	مجلة القضاء العربية الهندية	٥٩٣	صلاح الدين الابوي ذكراه
٢٧١	مجلة نور الاسلام اقراؤها علينا ١٣٨ و ١٣٧	٢٧١	صلاة الجمعة في البيوت
١٦٩	(وراجع باب المناظرة من القهرس الاول)	١٦٩	الصوفية طرقهم وندعها
٢٠٩	محمد آل كاشف الغطاء علامة الشيعة ١٣٢	٢٠٩	ضياء الدين الطباطبائي
٩٩	محمد الاحمدي (راجع شيخ الازهر)	٩٩	الطريقة التيجانية
٦٦٨	محمد عبده ٨ و ١٤ و ١٧ و ١٠٤ و ١٣٣	٦٦٨	الطريقة الشاذلية
٢٧٩	٢٠٦ و ٣٠٤ و ٤٠٠ و ٥٨٨ و ٦٧٨	٢٧٩	طبيب الرجال والنساء
٦٨٦	محمد عبد الوهاب	٦٨٦	عباس حنبل (المخديو) ٢٠٩ و ٢١٣
١٢١	محمد مصطفى المراغي ومجلة الازهر ١٢١	١٢١	عبد الحسين نور الدين (راجع السنة والشيعة)
١٧٨	المدارس اللادينية والنصرانية	١٧٨	عبد الحميد الرافعي بك
٧١٣	المسلمون. عديم	٧١٣	عبد الكرم سلمان ١٣٦ و ١٣٨ - ١٤٤
٣٣٧	المسيح عجائبه	٣٣٧	عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية
٣١٩	مصطفى نجما مفتي بيروت	٣١٩	٦٧٤ و ٦٨٢ و ٦٩١
٢٥٠	المعاهدات في الاسلام	٢٥٠	علماء المسلمين جودم
٤٦٥	الحجزة والكرامة	٤٦٥	العدل المطلق في الاسلام
٧٩٨ و ٨١	المنار مع مشتركه	٧٩٨ و ٨١	العالم المونة لاهل الطرائق
٢٥٦	المنافقون حكم الاسلام ونياسته فيهم	٢٥٦	على وعمره علمها
١٩٣ و ٢٣٣	المؤتمر الاسلامي العام ١١٣ - ٢٣٣	١٩٣ و ٢٣٣	عيسى عليه السلام . ولادته
١١٧	نبينا (ص) ختم النبوة به	١١٧	خاندی يشهد للاسلام
٣٢٩	(راجع باب التفسير من القهرس الاول)	٣٢٩	القرآن : آية الله الكبرى
٢٨٠ و ١٩٠	النبوة والانبياء عند أهل الكتاب	٢٨٠ و ١٩٠	القرآن هدايته وتفسيره
٢٨٠ و ١٩٠	نداء عام لاهياء يوم النبي	٢٨٠ و ١٩٠	د ترجمته
٣٠٦	(النساء راجع باب المقالات من القهرس)	٣٠٦	د ترجمه عن كونه سحرا
٥٨٨	النقد التحليلي لكتاب الادب الجاهلي	٥٨٨	د ترجمته في وصف الكفار والمنافقين
٤٠١ و ٣٢٧	الوجود والمادة والقوة	٤٠١ و ٣٢٧	عن الهجو
٨٦٥ و ٣٠٨ و ٥٤	الوحي	٨٦٥ و ٣٠٨ و ٥٤	(راجع في باب التفسير من القهرس الاول)
٤٦٦ و ٣١١ و ٣٠٨	الوهابية	٤٦٦ و ٣١١ و ٣٠٨	اعجازه ومزاياه ومقاصده وقواعده
٧٠٣ و ٦٧٣ و ٧٠١ و ٦٤٠ و ٦٣٨	يوسف النجوي	٧٠٣ و ٦٧٣ و ٧٠١ و ٦٤٠ و ٦٣٨	قصيدة في سيرته (ص)
٧٩٩ و ٧٠٢		٧٩٩ و ٧٠٢	المادة . الادلة على حدوثها
			(مجلة الازهر) كيف ينبغي ان تكون ٢٢١

يُؤْتِي الْحِكْمَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يُؤْتِيكَ اللَّهُ إِلَّا لِيُزِيدَكَ

الْمَنَاجِي

بَشَرَةً يَّادُ الْغَيْبِ يُعَلِّمُ
الْقُرْآنَ فَيُفَسِّرُهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَرَادَ
وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ أَرَادُوا

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضري « ونا » كذا الطريق

جادی الآخرة سنة ١٣٥٠ هـ برج میزان سنة ١٣١١ هـ ٣ أكتوبر سنة ١٩٣١

فاتحة المجلد الثاني والثلاثين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وأفضل صلاته وأزكى تسليمه على
نبيه خاتم النبيين محمد المصطفى ، وآله وأصحابه الاصفياء الحنفاء ، وعلى كل
بن اتبع هدايتهم واقتفى
أما بعد فاني كاشفت قراء النار بسبب صدور الجزء الاخير من المجلد الحادي
والثلاثين في آخر شهر صفر ، واستصرختهم لاداء حقوقه المطولة منهم ، مخصوصا
منها خمسين فصفا ، لئلا تضطرب في الصرة والغرامة الى ترك اصدار النار في هذا العام ،
فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا ، ولم يرجع اليها وعدا ولا اعتذرا ، ولا
عجب فان غير جميع العالم الاسلامي على مساعدة الاصلاح الديني لا تزن غير
يهودي ولا نصراني واحد . وانني قد حبست نفسي هذه الثلاثة الاشهر على اتمام
تاريخ الاستاذ الامام لم أكتب فيها غيره فانا أجل فاتحة تصديره ومقدمته فاتحة
المجلد الثاني والثلاثين ، وعسى أن أجد من تمنه ما أوفق منه على إصدار النار ،
وحسب الماطلين الماضين لحقه الخزي والعار ، وما بعده من عذاب النار . ولا
قبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تاما لا نغو منه شيئا ، ولا نشكو هاضمنا
الا الى الله عز وجل . وكفى بالله عليم وكفى بالله نصير

تصدير التاريخ

يبين كنه التجديد والاصلاح الذي نهض به حكيم الشرق والاسلام
(وشيخنا الاستاذ الامام ، ووجه الحاجة اليه ، ووجوب المحافظة عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ
أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥: ٢٧) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠: ٧) وَتِلْكَ
الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ
مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠: ٣)

جرت سنة الله تعالى في أفراد البشر أن يؤتاهم قوى للشاعر الحسية والمشارك
العقلية بالتدريج حتى يبلغ احدهم أشده ، ويستكمل رشده ، ويستقل بنفسه بالعالم
والمعمل والتجارب ، وجرت سنته في الشعوب والامم أن يمنح كلا منهم من هداية
الوحي في كل طور من أطوار حياتهم الاجتماعية ما هو مستعد له وصالح لحاله
وزمانه ، على مثال سنة التدريج في الافراد ، إلى أن استعد النوع البشري في جملة
ومجموعه لفهم أعلى هداية إلهية لا يحتاج بعدها إلا لاستعمال عقله في الاهتداء بها ، في كل
زمان ومكان بحسبهما ، فوهبه هداية القرآن ، وختم النبوة برسالة محمد عليه الصلاة والسلام
ولما كان من طباع البشر أن يضيف تأثير الوحي في قلوبهم بطول الامد على
عهد النبوة فيفسقوا عن أمر ربهم ، ويتأولوا كتبه باهوائهم ، أنعم عليهم بما يجي
هداية النبوة فيهم ، بأن يبعث فيهم بعد عصر النبوة مجددين ، وأئمة مصلحين ، يرثون
الانبياء بالدعوة الى اصلاح ما أفسد الظالمون في الارض ، ويكونون حجج الله
على الخلق ، وقد بشرنا نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين ، بأن الله تعالى يبعث

في هذه الامة على رأس كل مائة سنة من يحدّد لها أسر دينها ، ليكونوا خلفاءه فيما جدده من دين الله تعالى للامم كلها (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) إذا طال عليهم الامل ، قصت قلوبهم ، وفسقوا عن أمر ربهم
إنما كان المجددون يمشون بحسب الحاجة إلى التجديد لما أبلى الناس من لباس الدين ، وهدموا من بنيان العدل بين الناس ، فكان الامام عمر بن عبد العزيز مجدداً في القرن الثاني لما أبلى قومه بنو امية وأخلفوا ، وما مزقوا بالشقاق وفرقوا ، وكان الامام احمد بن حنبل مجدداً في القرن الثالث لما اخلق بعض بني العباس من لباس السنة ، ورشاد سلف الامة ، باتباع ماتشايه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وتحكيم الآراء النظرية في صفات الله وما ورد في علم الغيب ، بالقياس على ما يتعارض في عالم الشهادة . وكان الشيخ ابو الحسن الاشعري مجدداً في القرن الرابع بهذا المعنى ، وحجة الاسلام أبو حامد الغزالي مجدداً في أواخر القرن الخامس وأول السادس لما شيرقت نزغات الفلاسفة وزندقة الباطنية ، والامام ابو محمد علي بن حزم الظاهري في القرن السادس لما سحقت الآراء من فقه النصوص الشرعية - وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مجددين في آخر القرن السابع وأول الثامن لجميع ما مزقت البدع الفلسفية والكلامية والتصوفية والاحادية ، من حلل الكتاب والسنة السننية ، في جميع العلوم والاعمال الدينية ، وحسبنا هؤلاء الامثال في التجديد الديني العام

وظهر مجدّدون آخرون في كل قرن كان تجديدهم خاصاً آنحصر في قطر او شعب ، او موضع كبير او صغير ، كابي اسحاق الشاطبي صاحب الموافقات والاعتصام في الاندلس ، وولي الله الدهلوي والسيد محمد صديق خان في الهند ، والمولى محمد بن يبر علي البركوي في الترك ، والشيخ محمد عبد الوهاب في نجد ، والمقبلي والشوكاني وابن الزبير في اليمن

وهناك مجدّدون آخرون للجهاد الحربي بالدفاع عن الاسلام ، او تجديد ملكه وفتح البلاد له ، وإقامة أركان العمران فيه ، وهم كثيرون في الشرق والغرب والوسط ، ورجالهم معروفون ، يكبض خلفاء العباسيين والامويين ، ومنهم

من جمع بين انواع من التجديد كالسلطان صلاح الدين الايوبي الذي كسر جيوش الصليبيين من شعوب الافرنج المتحدة ، وأجلاهم عن البلاد الاسلامية المقدسة وغيرها ، وأزال دولة ملاحنة المبيدين الباطنية من البلاد المصرية ، وكذلك فتح الترك لكثير من ممالك اوربة عرف فيها مجد الاسلام

ضعف الاسلحة السياسي وملكه

ثم اتسع ملك الاسلام وزالت وحدة أحكامه بانقسام الخلافة إلى خلافتين فزوال كل منهما ، وكثرت دوله فتفرقت وحدة أمتة السياسية إلى شعوب مختلفة في الاجناس والاوطان ، ووحدة ملته الدينية إلى مذاهب مختلفة في الاصول والفروع ، فتمادوا في الدنيا والدين ، وقاتلوا على عصبيات الملوك والسلاطين ، فحق عليهم قول كتاب ربهم (ولا تنازعوا فتعشوا وتذهب ربحكم) فسلط الله عليهم اعداءهم قتلوا أكثر عروشهم ، وانتزعوا منهم أكثر بلادهم (ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله مهيمن عليهم (٥٣: ٨)) وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١١ : ١١٧) وكان يظهر في هذه الدول للتفرقة مجددون متفردون في العلم كما تقدم وفي الادارة والعمران كـ محمد علي باشا بمصر - وفي الحرب كالامير عبد القادر في الجزائر ويعقوب بك في تركستان الصينية - وفي السياسة كـ مصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا في الترك وخير الدين باشا في تونس - وفي ارشاد العامة والبدو للدين والدنيا كالسيد السنوسي

حال البشر الاخير وما يقتضيه من التجديد

في أثناء هذا الضعف الاسلامي العام - دخلت الشعوب الافرنجية في طور جديد في الفتح والغلب والسياسة والعمران ، قوامه العلوم الكونية والفنون والصناعات والثروة والنظام ، وتجدد فيها من آلات الحرب وكراعها ، وأسلحة القتال وعتاها ، ما يمكن الجند القليل من اياة جند يفوق أضافا مضاعفة في العدد والشدّة والشجاعة في زمن قصير

واستحدث فيه من النظام ما يسهل به على أفراد من حذقوه ومردوا عليه

أن يسخروا لمحمدتهم شعباً كبيراً غريباً عنهم في جنسه ولفته ودينه كما يسخرون الانعام الداجنة والسائمة، والجرالموكفة والخليل السومة، فيذلون بالجماعات المذلة منه الجماعات المتمردة، ويستنزفون ثروته كلها فيجرفونها إلى بلادهم التي تزحوا منها فالتحيين مستعمرين، ويتصرفون في قواه المعنوية، وروابطه القومية والدينية، كما يتصرفون في حرثه ونسله، ولحمه ودمه، وأرضه وماله، وهكذا يتصرف العلم بالجهل، والنظام بالفوضى

وابتدع فيه من مراكب النقل والتسيار، وآلات رفع الاثقال، وأجهزة تبليغ الاخبار، ما مهد السبل لابتدعيها ومتخذيها من كل ماأشرنا اليه من الاعمال الحربية، والتصرفات السياسية، والوسائل الاقتصادية، وصارت المسافة بين القارة والقارة، اقرب من المسافة بين بلد وأخرى من مملكة واحدة، وهو ناعبر عنه في الحديث النبوي بتقارب الزمان

اتسعت بذلك مسافة الخلف بين الشعوب في العلم والعمل ووسائلهما، واشتدت الحاجة إلى تجديد الحياة في التخلفة منها عن المتقدمة، لا ينمض بمثل أمثال أولئك المجددين القلما بالوسائل القديمة وحدها، ولا يطمح اليه صوفي يستمد قوته من الاموات، ويحكل على الكرامات ويفتر بالمنامات، ولا يطمع في تذليل صعابه واقتحام عقابه غريق في بحار النظريات العقلية، ومفترق الافكار بنظريات الفلسفة، ولا يطلع ثناياه، ويمجلى خفاياه، منقطع إلى كتب الشرائع، واستنباط أحكام الوقائع ولا يتساعى اليه من تعلم العلوم والفنون المصرية تعامياً آلياً ليكون أحد العمال في دائرة من دوائر الحضارة او ديوان من دواوين حكومتها.

إن هذا لبدع من الخطوب الكبرى غير عادي، لا ينبعث إلى تلافيه إلا لبدع من كبراء الرجال غير عادي: أم قوية بالعلم الجديد ولمغن الحديد، والسلاح الجديد، والنظام الدقيق في السياسة والأدارة والمال، والتعاون بتوزيع الاعمال، واستخدام قوى الطبيعة، تستلب ملك أم جاهلة، متفرقة متخاذلة، مختلة النظام، مستتبدة للمستبددين، متقاد للخرافين، وقد قذف في قلوبهم الرعب فكانوا مصداق قول النبي ﷺ «يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة إلى

قصصنا»^(١) فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن غطاء كغشاء السيل ، وسينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن » قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال « حب الدنيا وكراهية الموت »^(٢) فن ذا الذي يضطلع بتجديد حياة هؤلاء الموتى وبحشرهم من قبورهم ألا ان الرجل الذي ينبعث إلى نفخ روح الحياة في شعوب هبطت إلى هذه الدركات من الوهن ، ويعبث إلى مجاهدة ، ثم عرجت إلى تلك الدرجات من القوة يجب ان يكون ذا روح علوية ، أوتيت حظا عظيما من وراثة النبوة ، في كمال الايمان ، وصحة الاحكام ، وعلو الهمة ، وقوة الارادة ، وصدق العزيمة ، واخلاص النية ، وقوة الفراسة ، والزهد في الشهوات البدنية ، واحتقار الزينة الخادعة ، والزهد في الجاه الباطل وعدم الخوف من الموت ، وان يكون ذا وقوف على حالة المصير ، وتاريخ الشعوب الديني والسياسي ، وسنن الله في الاجتماع ، وفصل الخطاب في الانفاع ، وفصاحة اللسان وبلاغة التعبير ، وقوة التأثير ، ثم يكون ما يحفظه من سائر العلوم مددآ له في عمله

حكميم الشرق والاسلام

كذلك كان ذلك الروح العلوي النبوي ، الذي يمثل للانفان في ناسوت بشري جلس في دروس العلم فحقق العلوم والفنون القديمة نقلها وعقلها في بضع سنين ، وألم بالهند لتلقي مبادي العلوم الاوربية فوقف على ما شاء منها في زهاء سنتين ، ثم حج في سنة ١٢٧٣ ومكث في سفره زهاء سنة يتقلب في البلاد الاسلامية ، لاكتناها أخلاقها وعقائدها الدينية ، واختبار احوالها الاجتماعية والدينامية ثم عاد إلى بلاده فانتظم في سلك حكومتها وهي بمنزلة بالعتن الداخلية ، ومويدة بالسناس البريطانية ، فكاد بتديره يخلص الامر فيها لأميرها محمد أعظم خان الذي بواه مكان الوزير الاول عنده ، لولا ما غارض ذلك من السناس الانكليزية ، التي تمدها القناطير المنقطرة من الجنبيات الاسترلينية ، والروبيات الهندية

(١) تداعي بفتح الدال أصله تداعى أي يدعو بعضها بعضا ، والاكلة بفتح الحين جمع آكل (٢) رواه ابو داود والبيهقي فيه دلائل النبوة من حديث ثوبان (رض)

واضطرب بفشل أميره إلى هجر وطن ولادته ونشأته ، الى حيث يمكنه
 الاصلاح من أوطان أمته ، فر بالهند فبالت حكومة الانكليزية بالحفاوة في
 ضيافته ، مع احاطة عاملها وجواسيسها بمجالسه ، ومنع علمائها من الاتصال به ،
 ولكنه نفخ فيمن لقيه من كبرائها روح الاستقلال ، والجرأة على كسر مقاطر
 الاستمباد ، ثم كان يغذي ذلك الروح بالكتاب وتلقين الافكار ، لمن يلقى من
 رجالها في مصر وأوربة وسائر البلاد ، وبمقالات له في الجرائد نشرناها في المنار ،
 وناهيك بالبروة الوثقى التي كادت تضرم نيران الثورة فيها ، وكان موقفنا باستقلالها
 من بعده ، حتى انه قال للشيخ عبد الرشيد التتاري : يا ولد انك ستصلي صلاة
 الجنادة على القيصريّة الروسية ، وستحضر تشييع جنازة الامبراطورية الانكليزية
 في الهند ، وقد تمت البشارة الاولى وظهرت بوادر الثانية في هذه الاعوام
 وأغرب من ذلك أنه حمله تقريراً منه الى جمعية سياسية سرية في عاصمة
 الروسية رئيسها عم القيصر وقال له اذهب بهذه الرسالة وأوصلها الى الفرانديق
 فلان ، واعلم انك إما أن تقتل ، وإما أن تفوز وتضم ، فأوصلها فقام الفرانديق لها
 وقعد ، ثم أعاده بها الى بلاد اليونان ليطلبها فيها بالافنة الروسية ويرسلها اليه ، وعرض
 عليه من المال ماشاء فلم يأخذ الا القدر الضروري ، واتي أهر الا كادت تذهب بحياته
 جاء هذا السيد مصر ففتح فيها روح الحكومة النيابية ، وألف فيها الحزب الوطني
 الاول لتقييد سلطان الحكومة الشخصية ، وغذى تلاميذه ومريديه بعشق الحرية
 ووسائلها من العلم والكتابة والخطابة ، كما ارشد المسلمين منهم إلى الاصلاح الديني ،
 واجمع بينه وبين العلم المصري وكان من أثر هذا ماشرحه هذا الكتاب
 ذهب إلى إيران ، فنفخ فيها روح التجديد في السياسة والعمران ، فما زال
 يفعل فعله فيها بين قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، حتى غلفت بالحكومة النيابية .
 في عهد الشاه مظفر خان ، وما زالت تنتقل في أطوار التجديد والاصلاح
 ثم اتى إلى عاصمة الدولة العثمانية ، فأنشأ يرشد السلطان لوسائل الاستفادة
 من منصب الخلافة الاسلامية ، ويجمع له كلمة الشعوب والمذاهب المختلفة ، حتى
 انه اقنع كثيراً من علماء الشيعة المجتهدين بالاعتراف بخلافته وجعلها مناط الوحدة

٨ الأستاذ الامام - استمداده الفطري ونفخ الافنا في فيه من روحه المنار : ج ١ م ٣٢

الجامعة للمسلمين ، ولكن قرناء السوء خوفوا السلطان من النهوض ، هذه الجامعة ، فأعرض عنها . وكان السليمان ذلك يثبت هناك أفكار الإصلاح والتجديد ، الجامع بين الطريف والتبليد ، إلى أن قضى نحبه ، ولقي ربه رحمه الله وقدم سره

الاستاذ الامام

أرأيتك هذا المصلح العظيم ، والمجدد الحكيم ، أنه لم يظفر في شعب من الشعوب الاسلامية بمن يصلح أن يكون خليفة له ، ومتمما لإصلاحه بما يرجى به دوامه ، بعد أن وجه اليه الوجوه ، وعلقت بطلبه القلوب ، على كثرة من المصطبغين بصبغته ، إلا رجل مصر الشيخ محمد عبده ، لأن منصب امامة الإصلاح والتجديد ، لا يرتقى اليه بوسائل الذكاء والتفكير والتربية والتعليم وحدها ، بل لا بد فيه من الاستعداد الروحي والمواهب الفطرية كما قررنا

كان الشيخ محمد عبده سليم الفطرة ، قديمي الروح ، كبير النفس ، وصادف تربية صوفية نقية ، زهدته في الشهوات والجاه الدنيوي وأعدته لوراثة هداية النبوة ، فكان زيتته في زجاجة نفسه صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسه ناز ، فسته شعلة من روح السيد جمال الدين فاشتعل نوراً على نور (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون)

اقرأ في الصفحة ٢٥ من هذا الكتاب كيف زار السيد للمرة الاولى هو وصديقه وأستاذه الشيخ حسن الطويل في خان الخليلي . وكيف كان أول حديثه معهما السؤال عن تفسير بعض آي القرآن وما يقول العلماء والصوفية فيها ، وأنه بين لها قصور كل ما قالوه وجاء من عنده بخير منه ، وكيف أعجبا كلاهما بما قاله ، ولكن الشيخ حسناغل على حله ، لانه كان قد بلغ منتهى استعداده ، وكان أرقى علماء الازهر عقلا وعلمًا وزهدًا

وأما الشيخ محمد عبده فكان يشعر بأن كل ما أصابه من حسن تربية الشيخ درويش ، ومن علم الشيخ الطويل والشيخ القصير ^(١) دون ما تسمو اليه نفسه ،

(١) المراد بالشيخ القصير احمد الرقاعي القصير القامة وكان اصلب الازهرين

جودا كما كان الشيخ الطويل اشد من استقلاله

المنار: ج ٣٢، رثاء الاستاذ الامام السيد جمال الدين وتأثير روحه العلوية في أعماله ٩

ويتطلع اليه عقله ، وتضطلع به همته ، وكان يطلبه بما استطاع من الوسائل فلا يجده ، ذلك ان روحه كانت مستشفقة للعرفان الذي يصعد بها إلى مقام الوراثة النبوية في اصلاح البشر ، وتجديد أمر الدين الذي بشر به للصلح الاعظم عليه السلام فاتصل بالسيد جمال الدين من ذلك اليوم حتى اقتبسه منه ، وكان خليفته فيه ، لكن من ناحية تربية الامة التي كان يتمي قيام السيد بنفسه بها ، اذ لا يثبت اصلاح الحكومات بدونها ، لا من ناحية استبدال حكومة مستبدلة بغيرها (راجع ص ٩٧٤) تلك الوراثة النبوية التي عبر عنها يوم موت السيد بقوله في رثائه الوحيد البليغ : « والذي أعطاني حياة يشاركني فيها علي ومحروس ^(١) السيد جمال الدين أعطاني نعمة أشارك بها محمداً و ابراهيم وموسى وعيسى (ص) والاولياء والقديسين ، ماريثته بالشعر لانني لست بشاعر ، ماريثته بالنثر لانني لست الآن بنائر ، رثيته بالوجدان والشعور لانني انسان أشعر وأفكر » اهـ بنصه تقريباً ^(٢)

هذه الوراثة هي التي أخرج الله تعالى بها محمداً عبده من خول تصوفه . وخود ازهرته إلى ميادين الجهاد في سبيل التجديد الديني ، والاصلاح الاجتماعي . للديني ، يخوض غمرات الثورات ، وتتقاذفه أمواج الاسفار ، وتكافئه قن الامراء المستبدين ، وجهالة حملة المائمه الجامدين ، من حيث بقي حسن الطويل نديده . في التصوف والفلسفة قابضاً في كسر بيته ، راضياً بجموله وراحة نفسه ، وان في الصلاة راحة ، وان في العلم والذكر لذة ، ولكن ثوابهما قاصر على صاحبهما ، وثواب الجهاد متمتع لكل من ينتفع به والانسان الكامل من يجمع بينهما

بهذا الروح العلوي كان يقول له أستاذ السيد جمال الدين وهو مجاور بليس الزعوط : قل لي يا لله أي أبناء الملوك أنت ؟ ذلك السيد الذي كان يخاطب الملوك المستبدين خطاب الاقران ، بل يهدد بعضهم ويمن على بعض فيقول للسلطان عبد الحميد اني لاجل أمرك قد عفوت عن شاه ايران ، ويقول له السلطان : بحق يخاف منك الشاه خوفاً عظيماً (٣) .

(١) هما اخواه اللذان يشغلان بالزراعة (٢) كنت كتبت العبارة من مذكرة له وفقدت المخطوط وبقي المحفوظ (٣) هذا لفظ السيد في ترجمة لفظ السلطان .
محمه منه كثيرون في الآستانه .

بهذا الروح العلوي كان يشرف من سماء إدارة المطبوعات بالسيطرة والسلطان على الحكومة المصرية من أعلاها إلى أدناها، فيأمرها وينهاها، متتداً أعمالها، مرشداً عملها، يخطيهم الكبتاية فيضطرم إلى إصلاحها في ما هداه تعليمه، ويفند أعمالهم فيقيمهم على صراط العدل المستقيم، بل أزجج بمقالاته في انتقاد وزارة المعارف ناظرها حتى شكاه إلى رئيس النظائر رياض باشا فأشكاه، وكلم الرئيس الشيخ فأقام له البرهان على وجوب الإصلاح، وأقنعه بإنشاء المجلس الأعلى المقيد للاستبداد وزيرها في الأعمال، فنشأ برأيه. وكان هو سكرتير ذلك المجلس وصاحب التأثير الأكبر فيه.

بهذا الروح العلوي كتب ذلك الكتاب البليغ في سجنه وأعلن فيه عفوه ممن وشوا به وأماؤا إليه على ما كان من إحسانه إليهم، وجزم بما أعدت له العناية من المجد، واعدأ بأن سيفعل المعروف، ويغيث للمهوف ... وكذلك كان.

بهذا الروح العلوي كان هو الرأس المدير في كل مجلس رسمي عين عضواً أمراً وفيه، كمجلس إدارة الأزهر، ومجلس الاوقاف الأعلى، ومجلس شورى القوانين، ومجذاتبات ذلك في بيان أعماله فيها من هذا الكتاب، سافرة الوجه ليس دونها نقاب بل بهذا الروح العلوي كان أميره يكبره ويها به، ويقول انه يدخل على كانه فرعون، وانما كان يدخل عليه كدخول موسى عليه السلام على فرعون، متوكفا على عصا الحق، داعياً إلى الإصلاح والخير، ناهياً عن الاستبداد والبغي، كقوله له في مجلس تشريف المقابلة الحافل بالعلماء: ان مجلس إدارة الأزهر لا يعرف لسموكم أمراً عليه، إلا بهذا القانون الذي بين يديه، دون الاوامر الشفوية التي يبلننها عنكم، من لا يثق به المجلس لمقلته لقانونكم

تلك آيات بينات من حياة كل من الروحين على الانفراد. فا رأيك إذا اجتمع هذا الروح العلوي بذلك الروح الأعلى الذي أذكرى سراجة الوهاج، واتحدوا في عمل من الأعمال؟ ذلك ما كان من إصدارهما جريدة العروة الوثقى، التي لا نعرف في تاريخنا كلاماً بشرياً أبغ من مقالاتها في إعابة مواقع الوجدان من النفس،

ومواضع الاقتناع من العقل ، ونجربة الضمضاء على الثورة على الأقوياء ، والجهاد لتحرير أممتهم ، واستقلال بلادهم

فإن مآلات عن تأثيرها في رعب العظمة البريطانية ، وإثارة العالم الاسلامي والشعوب الشرقية ، فإنك تجد قصصها مبسوطا في هذا الكتاب ، بما يشيع هممتك السياسية من إسهاب ، ويروي غلتك الادبية من إطناب ، (ص ٢٩٨ و ٣٠٣)
وإنه ليس طلك بالروايات الصحيحة ، والشواهد الصادقة ، كل ما أشرنا اليه في هذا التصدير من آثار تلك الروح القدسية ، وتجديد الاصلاح المنقذ للامم والشعوب من رق الفاتحين المستعمرين ، وظلم المستبددين القاهرين ، ووجود الفقهاء المقلدين ، وودجل للتصوفة الخرافيين ، فاطلبه من هذا التاريخ فإنه يقصه عليك مفصلا تفصيلا .
فاقرأ أيها القيود على قومه ووطنه فصلا فصلا ، وتدبر مقاصد فصوله مقصداً مقصداً ، ثم اقرأ في الجزء الثاني له مقالات الامام الاجتاعية والادبية ، ولوائحته في إصلاح التربية والتعليم ، ورسائله الدينية والادبية للعلماء والادباء . ثم ارجع البصر إلى الجزء الثالث واعتبر بتأثير وفاته في العالم الديني والمدني ، وتأمل إجماع كتاب الامم والشعوب المختلفة الاجناس والاديان والآراء والافكار على تزييته وتقديسه ، او تدبر مقدمتنا لكل منهما . تعلم انه هو الامام الذي يجب اتباعه في تجديد الامة وإحياء الملة ، وإيجاد للدين الفاضلة ، ثم انظر ما اقترحت على مصر في خاتمة هذا الكتاب كطكت تكون من حزب الدعاة المصلحين ، وأنصار التجديد المستبصرين الذين قال الله تعالى فيهم (وزيد أن نغن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)

هذا ما توخيت التنويه به من هذا الضرب البديع من التجديد لحياة الشرق على ما وصفت من التباين بينه وبين الغرب ، وما كان من تأثيره الذي يشبه خوارق المعاديات ، كبراء الاكهم والابرص وإحياء الاموات ،

المبردوره الوثنية والرجل

الا وإن قد نجم في هذين القرنين قرنان أو قرون من أدياء التجديد، بعضهم في إيران وبعضهم في الهند، وأنهم إلامسحاء دجالون، ومتنبئون كذابون، لبسوا على الناس لباس الإصلاح الديني، ومثلوا لهم بالشكل الذي تصوره تقاليدهم لا ينتظرون من المسيح والمهدي، وابتحلوا لدينتهم آيات، واخترقوا لأنفسهم معجزات، ففهم من ادعى النبوة، ومنهم من ادعى الألوهية، وقد اتبعتهم فئات من المحرومين من مزايا الانسان، الكافرين بنعمتي العقل والقرآن، الجاهلين بثبوت نبوة خاتم النبيين بالعلم والعقل، وأن الله ختم به نزول الوحي، فزادهم رجسا على رجسهم، وعبودية للأجانب على عبوديتهم، فكانوا دعاة وأنصاراً للمعتدين على استقلال بلادهم، المستبدين لأقوامهم، فوالله لو عمت فتنتهم لاستولى الانكليز على بلاد فارس كلها، ولما وجد في الهند من يطالب الانكليز باستقلال، ولا بحق من الحقوق ولا عمل من الاعمال

أليس من مثار العجب الذي جاء بها ابو العجب^(١) ان يضع كل من أتباع هؤلاء الدجالين لأنفسهم نظاما، ويجمعوا لبث نحلهم أموالا، وينفروا للدعوة اليها خفافا وثقالا؟ فيكون لهم في كل واد أثر، وفي كل قطر ذكر، وينضوي اليهم بعض الملاحدة طمعاً في أموالهم، لا إيماناً بهم، يسموهم أو الهتهم؟

أوليس باوغل من هذا في أعماق العجب واوغل في احشائه أن يتخاذل العارفون بقدر حكيمة الشرق، وامامي الاسلام بالحق، عن تأليف حزب لتعميم اصلاحهما واستمرار تعديدهما، وأن يكون لجماعتهم نظام يكمل دوام سيرهم ومال يضمن نجاح سعيهم، ومدارس تربي النابتة على منهاجهم، وأطباء يداوون أمراض الاجتماع بملاجهم؟ على استقلال الفكر، وحرية العلم والرأي، وهداية الدين، وتوطين النفس على الجهاد لاعلاء كلمة الحق. واقامة ميزان العدل لتكون عزيزة لاتدين لاجنبي نعته، ولا لوطني مستبد؟

(١) ابو العجب الشعوزي وكل من يأتي بالاعاجيب

نعم ان ذلك لعجيب ! وان هذا لا عجب منه. ويشبههما في العجب أن الملتزمين إلى السنة من المسلمين أقل من المبتدعة تمانونا وتناصرأ وعصبية ودعاية : أفلا أتيتك بالسبب ، الذي يتناشك من حيرة العجب ؟

ان حقيقة السنة والجماعة هي حقيقة الاسلام . وان الاسلام الحق هو دين توحيد السودية والربوبية لله وحده . والحرية وعزة النفس تجاه ماسواه . واتباع رضوله وحده فيما يلخه عنه والعمل بمقتضى الوازع النفسى التابع للعقيدة ، والنظام الاجتماعى الذى تقرره الشريعة ، فلا تذلل نفس صاحبه بالانقياد لرئيس ديني ولا دنوي لذاته ، ولا اسلطان ورأى أو تقليدي فيما وراء تنفيذ أحكامه .

وأما هذه النحل الباطلة والمذاهب المبتدعة التى أشرنا الى بعضها فأساسها العبودية والخضوع لفرد أو جماعة من البشر ، يقدم منتطحها أشخاصهم ويرفعهم على نفسه وعلى سائر الناس وهم منهم ، ويوجب طاعتهم عند فريق وعبادتهم عند آخر . فتكافل هؤلاء يكون تاما شاملا لانه تمبدي ، وعصيتهم تكون أقوى لانها وجدانية لا عقل للافراد ولا رأى للجمهور فيها .

ويرد علينا هنا ان العقائد الباطلة والتعاليم الواطئة خير للجاعات وللشعوب التى تأخذ بها من العقائد الصحيحة والتعاليم العالية ، من حيث جمع الكلمة ووحدة الامة . ونرد هذا الابراد بقولنا ان العقائد الحق والتعاليم الصحيحة لا يقوم بها إلا أصحاب العقول النيرة والافكار المستقلة الذى آمنوا بها عن حجة وإذعان . وما تنازع هؤلاء مع المخالفين لهم إلا وكان لهم الرجحان . سواء أكان التنازع في الدين أو في الحكم والسلطان ، وبهذا ظهر الاسلام على جميع الاديان .

وهذا الفريق فريق العقل واستقلال الفكر قل في جميع فرق المسلمين ببناء التعليم فيهم على أساس التقليد الذى يحتم على طالب العلم أن يقبل كل ما يقرره شيخه بمنوان مذهبه وإن لم يكن منه ، سواء أعقله أم لم يعقله ، فان نازعه فيه حكم بكفره ، ولهذا صارأ كثر المسلمين يقبلون البدع والخرافات مهما تكن المذاهب التى ينتمون اليها ، إذ ليست المذاهب فيهم إلا عناوين لمصيبات لها رؤساء يطاعون باسمها ، وأكثريهم يجهلون اصولها وقواعدها . ومن تلقى منهم شيئاً منها قائما هو لفظ ينقله ولا يعقله ،

١٤ سبب قلة أنصار الحكميين من رجال الدين وكثرتهم في رجال الدنيا المتأرجح ٣٢

ولا يرجع اليه في فروغ علمه ولا عمله ، ومن كان غير مستقل الفهم والعقل في عقيدته ، لا يكون مستقل الارادة في عمله . ومن نتائج هذا الخضوع ان صاروا خاضعين للمستبدين ، وظهروا للظالمين ، وان كانوا بملتهم كافرين

وأساس الإصلاح الديني والسياسي الذي قام به وعليه الاسلام ديننا ودولة وقامت عليه الدول القوية هو الاستقلال بنوعيه . وهو الذي دعا اليه الحكميان المجتهدان . الافغاني والمصري ، وقد بينه الاستاذ الامام في رسالة التوحيد . لهذا كان أنصارهم من رجال الدين هم الاقلين وخصوصاً منهم هم الاكثرين . وكان أشد ما أنكروهم عليهما القول بوجوب الاجتهاد وتحريم التقليد - ويقال له أن كان أكثر المعجيين بهما والذين قدرهما قدرهما ، هم الذين نبغوا في المدارس المدنية العالمية التي يسير فيها التعليم على منهاج استقلال الفكر وكذا من تلقى من بعض أهلها وعاشرهم على استعداد فيه فصار مستقلاً . ثلثة من المدنيين وقليل من المعممين

ولو كان ماداً اليه الحكميان هو التجديد السياسي والمدني دون الديني لآلفه له هؤلاء الانصار حزبا كبيرا منظماً كما فعل سعد باشا من تلاميذها بدمها

ولو دعا الاستاذ الامام الى نهضة دينية تقليدية صوفية لوجد من الازهرين وأهل الطرق من يؤسس له عصبية قوية يتبعها الالوف والالوف في زمن قريب ، ولا سيما اذا أباح لنفسه أن يظهر لم تعبد الخلق ، ومعرفة باسرار التصوف ، وغير ذلك من خصائصه الروحانية ، التي كان يمتد وجوب كتمانها لانها غير طبيعية . فاعطاهم للعقيدتين بالسنن الطبيعية فتنة لهم ، وفيها كثير مما يمد من الكرامات عندهم ، وقد تقلت هذا عنه في بيان رأيه في التصوف والصوفية .

يبد أن كلا منهما حكيم عاقل ، وان السيد جمال الدين رجل دين وان خلعت عليه السياسة . والشيخ محمد عبده رجل سياسة وان غلب عليه الدين . بل هو أقرب من أستاذه الى الموقف الوسط بين رجال الدين والدنيا من المرتفعين فيهما ، فقد كان في الازهر لا يملو قوله قول ولا يغلب رأيه رأي . وكذلك كان بينه الراقيين من رجال الدنيا كالوزراء والقضاة والمحامين والادباء والنشئين ، بل كان كذلك بين علماء الافرنج وساستهم ، وترى نموذجاً من شهادات الجميع له في هذا التاريخ

خلاصة الخلاصة

في وجوب الجمع بين التجميدية الدينية والدمنية.

وحزب الاصلاح المعتدل

الذي يقوم به

وخلاصة ما أريد عرضه على قراء هذا التاريخ في هذا التصدير ان اصلاح الامة الاسلامية في أي شعب من شعوبها لن يكون إلا بالجمع بين التجميد الديني والديني. هذا ما صرح به الحكماء وجريا عليه بالعمل. وصرح لي به سعد باشا غزل. وقد نقلته عنه في المنار. بل هذا ما يعتقد أهل الرأي الناضج من غير المسلمين، وقد صرح به الكثيرون منهم قولاً وكتابة، كما يراه القاريء فيما كتبه بعضهم في تأييدهم. الاستاذ الامام وترجمتهم له من الجزء الثالث، وذكرت كلمات منها في الشهادات المعدودة لاشهرهم قبل خاتمة هذا الجزء.

فالجهد الذي يخوض غمراته دعاة الاستقلال السيامي والاصلاح الدني لا يتم لهم النصر فيه، ولا يتسق أمره وثبتت بوانيه، إلا بالتعاون والتظاهر مع دعاة الاصلاح الديني، وقد كثر جنده المستقلون في فهم الاسلام في الازهر وغيره من القطر المصري وفي سائر الاقطار الاسلامية وهم منذ سنين يفكرون في تكوين وحدتهم وتنظيم حزبهم، فاذا وجدوا من زعماء الاحزاب المدنية رغبة في الاتحاد بهم والتعاون معهم، ظهر لهمؤلاء من قوتهم في الرأي، وتأثيرهم في الشعب، بالسنتم الحاطبة، واقلامهم الكتانية، ما لم يكونوا يحسبون،

واختصر في هذا الموضوع هنا لانني قد وفيته حققة في خاتمة الكتاب بما ليس وراءه مزيد، إلا اذا ظهر الاستعداد له وانتقل إلى حين التنفيذ

راجع الخاتمة، واجمع بينها وبين هذه الفاتحة، وأما الاعمال بالحوادث (ومن يتعمق بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

✽ وكتبه محمد رشيد رضا في سلخ جمادى الاولى سنة ١٣٥٠ هـ ✽

﴿ المواد المهمة التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا التاريخ ﴾

- (١) ما كان شرع فيه الاستاذ الامام من ترجمة نفسه بخطه .
- (٢) مذكرة بتاريخ حياته كتبها لي لاجملها أصلاً لخلاصة لتاريخه طلبت منه
- (٣) ما كتبه من تاريخ الثورة العراقية ومذكراته الوجيزة فيها
- (٤) مجموعة خطية له فيها بعض المستندات في عمله مع السيد جمال الدين في تأسيس جمعية العروة الوثقى السرية ونظامها . وبعض المكاتبات بينه وبين أعضائها
- (٥) مسودات مقالات ومكتوبات وتقارير كان يعطيني إياها لتبسيطها أو بسطها ونشرها في الجرائد أو إرسالها لبعض الناس ومنها ما هو خاص بالازهر
- (٦) مؤلفاته كلها وما اقتبسته من تفسيره ودروسه في الازهر
- (٧) جملة من المكتوبات والرسائل والقصاصات التي كانت ترسل اليه وحفظها عنده .
- (٨) مجموعة فيها حكم مقتبسة منشورة بخط السيد جمال الدين وخطه ومقالات له
- (٩) مقالاته الاصلاحية في جريدة الوقائع المصرية
- (١٠) مجموعة العروة الوثقى برمتها بخطي وخط بعض اخواني
- (١١) قوانين الازهر ولوائح التعليم فيه ومحفوظات أخرى في شأنه
- (١٢) كتاب اعمال مجلس ادارة الازهر
- (١٣) تقرير محمد بك ابو شادي في مسألة فتوى طعام اهل الكتاب
- (١٤) إرشاد الامة الاسلامية إلى أقوال الأئمة في الفتوى التراثية لجامعة من أكابر علماء الازهر .
- (١٥) مجموعة مجلدات النار وما فيها من المقالات والآراء له وعنه وفي شأنه
- (١٦) عدة أجزاء من مجلة ضياء الخافقين فيها مقالات للسيد جمال الدين
- (١٧) مجموعات المجلات والجرائد المصرية التي نشرت ترجمة السيد وترجمته
- (١٨) كتاب الدفاع عن العراقيين لحاميه مستر برودي
- (١٩) ما كتبه لي أصدقاؤنا من تلاميذه ومريديه عن سيرته في سورية بعد النبي ورحلته إلى السودان وفي مدحه والدفاع عنه
- (٢٠) مذكراتي الخاصة ومكتوباته لي وما اقتبسته واستندت به من معاشرته ٨ سنين

مقدمة


بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٢٦: ٨٣) أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٢: ١٠١)

فك الحمد أن جعلت سير الاولين عبرة للآخرين ، ومننت على عبادك بمن
بعثته في الاميين ، يتلو عليهم آياتك ويذكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا
من قبل لني ضلال مبين . محمد خاتم النبيين ، ورحمتك العامة للعالمين ، فصل وسلم
اللهم عليه وعلى آله وصحبه ، والمجدين لهديه واصلاحه من بعده ، حتى توث
الارض ومن عليها وأنت خير الوارثين

اما بعد فيقول محمد رشيد رضا صاحب التارخ إن مصر لن تنسى ذكر الحكيمين
المجدين ، والامامين المصلحين ، السيد جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده
المصري ، فطلاب الاصلاح الديني والاصلاح المدني والاصلاح السياسي ، لا يفتؤن
يشيدون باسميهما على أعواد المنابر ، وفي اعمدة المجلات والجرائد ، ولا يزالون
يجعلونهما مضرب الامثال ، ويتناقلون ما يؤثر عنهما من حكم الاقوال ، ويجلائل
الاعمال ، بل ذكرهما الحميد معروف في سائر الشرق ، غير محمول في عالم الغرب ، وإن
لقب « حكيم الشرق » ولقب « الاستاذ الامام » لاصقان بهما ، وهغنيان عن تسميتهما
وقد أجمع العارفون والمدونون للتارخ الحديث على انهما مصدر هذه النهضة
العصرية في مصر والاتقان وإيران والهند ، وهم يشعرون بالحاجة إلى وضع
تارخ لهما يدون سيرتهما ، ويفصل أعمالهما الاصلاحية ، ويرون ان ما كتب في
الصحف عند وفاة كل منهما ، وما ينشر فيها أحيانا من التنويه باصلاحهما ، نزر
يسير من أعمالهما وآوانهبا النافعة . وعجب بعض المفكرين ان رأوا بعض الافرنج
يكتب في تاريخهما ما لم يكتب مثله أولادها وأحفادها من دعاة الاصلاح والتجديد
ويتحون بأشد اللائمة على المصريين منهم عامة وعلى صاحب المنار خاصة إذ
كان أخصر مردي الاستاذ الامام وناشر علمه وحكمته . والمدافع عن اصلاحه
« المنار : ج ١ » « ٣ » « المجلد الثاني والثلاثون »

في عهده ومن بعده . وقد وعد بكتابة تاريخ له عقب وفاته . فنشر سفره آجتماع فيه أكثر منشأته القلمية ، وجزء آجمع فيه أم ماقبل وما كتب في تأييده وراثته ، وماهاها الجزء الثاني والجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام . وقد مر رج قرن ونيف ولم يصدر الجزء الاول الذي هو التاريخ الحقيقي

أشهد ان يوم اللاتمين لمصر على هذا التقصير حق . واني بما يخصني من الترتيب على لاجله وهو أكبره أحق . ورب لائم ملهم . ورب ملوم معذور . وها أنذا ألخص عذري بعد أن اعترفت بتقصيري . وبرئت من ذنبي بانجاز وعدي .  توفي الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في إثر معارك من جهاده في الاصلاح ماصلي نارها معه غيري . وحملت ماتصديت له من الضرر . غير متمائل ولا ضجر . وأماما لدع قلبي من نار فقهه فهو الذي لم يكن لي بحمله حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم كنت مهتداً بعده بالنفي من هذه البلاد كما هدت في آخر عهده . وقد وطئت تقي على النفي وعزمت على السفر الى الهند . ولم أتحول عن خطي قيد شعرة . أعلنت عزمي على كتابة تاريخ للاستاذ الامام فلم ألث أن بلغت عن الاستاذ الشيخ عبد الكريم سامان ان أصدقاه قد قرروا تأليف تاريخه بالتعاون بينهم وهم به أولى ، فقلت للمبلغ ان تأليف تاريخي لهذا الامام الكبير ، ليس بكثير ولا كبير . فليكتبوا ما عندهم وأنا أكتب ما عندي

ثم أرسل الي عبيد حزيه المدني وأقوى أركانه سعد باشا زغلول وكان عادمع شقيقه احمد فصحي باشا من أوربة ، فحتمه فبلغني أنه هو واخوانه من مريدي الامام وأصدقائه يرون أن أتولى كتابة تاريخه . وأن يساعدوني بما لديهم من المواد والمعلومات . ثم يساعدوني على طبعه ونشره بالمال ، بشرط ان أطلعهم على عملي وأستشيرهم فيه ، فان كثيراً من سيرته رحمه الله كانوا يحدون متكافلين فنه فيه . ويعدون من بعده مسؤولين عنه

فاجبته انني لست الا واحداً منكم بل أنا أصغركم ، ولا أستغني عن مساعدتكم ومشاورتكم . ولا أحب الخروج عما ترونه من مصالحكم . وفي إثر ذلك اجتمع بدعوة منه الشيخ عبد الكريم سامان وحسن باشا حاصم ومحمد بك راسم وقاسم بك أمين والشيخ عبد الرحيم الدمرداش (باشا) وقرروا ان يندب أحدهم احمد فصحي باشا زغلول ليكون نايباً عنهم في التعاون والتشاور معي في العمل وبلغوا احمد بك عهده ذلك ، وانه برضيهم أن يعطيني ما عنده من مواد هذا التاريخ ، وانما اختاروه لذلك لانه أنشطهم وأقدرهم عليه وأكثرهم مودة وزبارة لي ، وطلاقة في حرية الكلام معي ، وكان هو المتصل من جماعتهم بنسبوا الخديو ومحيطا بسياسته وسياسة الانكاز في الامور علما . وها الجانبان اللذان يحب لرضاها وسخطها كل حساب

وكان كل ما قدمه لي من المساعدة نسخ مقالات الاستاذ الامام الاصلاحية من جريدة الوقائع المصرية الرسمية إذ كان يقني مجموعتها . وكان أول ما شاورته فيه مقالات جريدة العروة الوثقى وكانت كلها منسوخة عندي . فاما ما كان منها خاصا بالبنية ومسالمة مصر والسودان وتبسيط العالم الاسلامي والمهند على الدولة الانكليزية فقد وافقته على تركه وعدم نشر شيء منه في منشأته لان الحرية في مصر لا تنسج لنشرها . وقد كانت العروة الوثقى ممنوعة من مصر والسودان والمهند لاجلها . وقد نشرت أهمها في هذا الجزء . وأعطاني جموده بك بعض المواد ومن أهمها ما كتبه الاستاذ من تاريخ الثورة العربية

وأما المقالات الاصلاحية العامة التي بث الحكيمان فيها الدعوة الى جمع كلمة المسلمين واصلاح ذات بينهم : والتعاون على احياء مدينتهم بما تقتضيه وسائل هذا العصر . فقد انفقنا على نشر أكثرها . وترك ما تعدد انكساره نحر بضاعتها منها . ولكنه أشار أيضا بحذف جل من بعض المقالات ما وافقته عليها إلا كارها . وأيقنت اني لا يمكنني أن أكتب هذا التاريخ تحت مراقبته والتقييد بمشاورته بالحرية التي أريدها ، وقد ساعدتني اللجنة بمبلغ من المال أعطيتها في مقابلته مثاب من النسخ وزعها أعضاؤها بالبحان ، ويبيع بعضها بمن يحس

فهذا ما حملني على التعجيل بجزء التأبين والثناء والتعازي ثم بجزء المنشآت والتسويق بجزء الترجمة ثم الطويل في فصول تربية الاستاذ الامام وتعليمه منه بذلك الاستطراد الطويل في الكلام على حقيقة التصوف وما وافق الكتاب والسنة وما يخالفهما منه . واتفقنا على جعل ترجمة المنار للاستاذ الامام هي الاصل لجزء الترجمة في مواده مع بسطها والتوسع فيها . وقد قرأه هو وزبته وأشار بالخبر الاحمر الى حذف بعض المسائل منه لخالفها لمقتضى الحال أو سياسة الوقت

وفي أثناء ذلك استقال لورد كرومر العميد البريطاني وخلفه السرايون غورست صديق سمو الخديو وكان ذلك في أوائل سنة ١٣٢٥ . قيل أن تم غلوقة الامام سنان ، فكبر فود سموه في الحكومة وضاحت بكبر سعة الحرية علينا ، وأعيد في عهده العمل بقانون المطبوعات فاقنتع أحمد فتحي باشا نفسه بارت كتاب تاريخ الاستاذ الامام كتابة حرة مفيدة صار بمعدراً ، فاتفقنا على الوقوف عند ما كان قد تم منه وهو الى ٣٣٢ صفحة وهو المقدار الذي أطلعت عليه الشيخ عبد الكريم سلمان إذ رأيت شاكافي بدني بطبع الكتاب فاعترف بأنه لا يمكن نشره .

وجملة القول ان طبع هذا الجزء كان يسوء الخديو عباسا وإن لم ينشر فيه ما كان من مقاومته للامام في اصلاح الازهر والحكام الشرعية والوقوف حتى المساجد فان نشر هذا فيه كإجراء القاري . هنا فانه كان ينبغي كل قواه في عقاب مؤلفه ، وما

كان أحمد فتحي باشا ليرضى بذلك ولا سعد باشا أيضاً، ومكانهما في حكومة جتاه مكانهما وما انتهى عهد سموه إلا بسبب الحرب الكبرى التي جعلت الحكومة الانكليزية مصر في اثنائها خاضعة لاحكامها العسكرية وأعلنت حمايتها عليها، واشتدت مراقبتها العسكرية ومراقبة الحكومة المحلية بأمرها على المطبوعات، واستمرت هذه المراقبة الشديدة الى ما بعد الحرب بزمان طويل.

• وانما سنحت الفرصة الاولى لاصدار الكتاب في العهد الاخير لسعد باشا في زمامة الامة ورياسة الحكومة واستقرار نموده في البلاد أي في سنة ١٣٤٥ هـ إذ لم يبق للانكلز من النفوذ القوي في هذا العهد ما يخشى أن تمكنهم من حمل الحكومة على مصادرتة، على أن ثورة مصر قد انتهت ولم يعد ما في الكتاب من التحريض السابق يضييق على حريتهم. بيد أنه قد عاقني عن اقتراض هذه السانحة بالسرعة عدة عوائق منها أنني كنت انتقلت من الدار التي طبعت فيها القسم الاول من التاريخ الى دار أخرى وتعدر وضع كل نوع من المطبوعات الكثيرة وحده فلم تقدر على العثور على المطبوع من التاريخ إلا بعد الانتقال الى دار المنار الجديدة ووضع كل كتاب من مطبوعاتنا في محل خاص به. وانما تم بعد وفاة سعد رحمه الله تعالى. وقد وجدنا بعض المطبوع تالفاً وبعضه قد فقد، فاضطررنا الى إعادة طبع أكثرها وشرعت في إتمام الكتاب في أواخر سنة ١٣٤٨ وعرض لي موانع عن المضي فيه مدة سنة وعدت اليه في أواخر سنة ١٣٤٩ وكنيت أقدره بثانين كراسة (مزمعة) أو مائة، ثم كنت كلما شرعت في مقاصد فصل من الفصول أتذكر من مواده ونسائله ما كنت ذا هلاً عنه حتى بلغ ما تراه القاريء، وقد صيرت نفسي وحسبتها على كتابة تلكه الاخير اربعة أشهر من هذا العام (١٣٥٠). لا اشرك به عملاً آخر حتى تم طبعه في هذه الايام، وبقي كثير من المواد والمستندات من تاريخه وتاريخ السيد جمال الدين ضايق عنها هذا الجزء فوعدت باثباتها في جزءه الذيل الذي اضعه له ان شاء الله كيف كتب هذا التاريخ

كتب هذا التاريخ في أثناء سنين كثيرة وفترات بعيدة، وأوقات يختلف فيها الفكر والشعور باختلاف الاحوال، والالانة والاستحجال، ولم تكن مواده مجموعة مرتبة وانما جريت في ترتيب أكثرها على ما كتبت في المنار عقب وفاة الاستاذ الامام من ترجمته، ومنها ما ليس له ذكر في تلك الترجمة، ومن ثم يجد القاريء فيه تكراراً لبعض المسائل عن سهو أو عمد، وربما يختلف فيه العبارة في المسألة الواحدة بعض الاختلاف في اللفظ كاختلاف الورق، ولا سيما المسائل التي اعتمدت في كتابها على خطي، وأرجو أن لا يكون فيها شيء من التناقض فإني بفضل الله تعالى قوي الذاكرة للمعاني

ولولا أن طال هذا الجزء حتى صار يشغل حمله، وعطلت أعم أعمالي لأجل إتمامه، مع سوء الحال، وقلّة المال، لوضعت له خلاصة كلية ألخص فيها مقدمات كل مقصد من مقاصد فصوله ونتيجته، وأبين مواضع العبرة فيه على نحو ما ذكرته في أثنائه لبعضها، كأن أعدم ما كان عليه الأثر قبل تصدي الإمام لأصلاحهم الصفات والاحوال واحدة واحدة، وأعد ما كان عليه شيوخي وطلابه من الصفات والعادات والاعمال صفة صفة وعادة عادة وعملا عملا، ثم أبين ما كان من تغيير الاصلاح لبعض ما ذكر وأعد فوائده واحدة بعد واحدة، ومثله أن ألخص آراءه في التربية والتعليم قاعد المفاسد التي ذكرها في لوائح اصلاح التعلم في الدولة العثمانية وفي مصر، وما ذكره منها في خطبه في احتفالات مدارس الجمعية الخيرية، ثم أعد ما ذكره في تلك المواضيع وغيره من قواعد الاصلاح كلها وهي التي ادعوا اليها، ولكن كنت أفعل هذا في كل فصل بل كل مقصد، وإذا لكانت الفائدة أتم والنفع أعم، وأذتذر على كتابة هذا فأنني أوجه همه الراغبين في مثله أن يتولوه لأنفسهم باقتسامهم، ومن لا يعنيه ذلك فلا يهتم لقراءته. وعسى أن أوفق لهذا في الذيل الذي أرجو أن يكون هو المكمل له وقد جريت على سنن علمائنا المتقدمين من رواة الآثار المحدثين والمؤرخين في بيان آراء الاستاذ الإمام وعاداته وشيأته وأخلاقه بالصراحة والحرية والصدق، ومنها ما هو منتقد عندي على ما كان بيننا من الاتفاق، الذي يندر أن يوجد مثله بين اثنين من الناس، وأما أعلم أن منها ما يكون منتقداً في نظر غيري وإن كان صواباً عندي، ومنها ما ينتقد على نشره لأن مثله غير معتاد، أولانه من مبالغاته التي ربما كان يقصدها التأثير الخاص، بكلمته في تحريف الثقباء، وهذا نادر ومن أنعم النظر في فوائده هذا الاستقصاء رأى أن أهمها تمثيل حقيقة الرجل من كل ناحية كي يحيط القاري به خيراً، ويحكم عليه حكماً صحيحاً، فإن الذين يقرءون الرجال يذكر عاصيتهم ومناقبتهم، وإخفاء هناتهم ومثالبهم. إنما هم شعراء مداحون، لا مؤرخون حقيقيون.

فإذا رأى القاري أنني على إعجابي بسعة علومه ورسوخه في معارفه التي كان بها جديراً بلقب الاستاذ الإمام، الذي قبله وأجازته الرأي العام. أثبت أنه كان مقصراً في علوم الحديث من حيث الرواية والحفظ والجرح والتعديل كغيره من علماء الأثر - وأنني على إعجابي بأخلاقه التي كان بها حقيقاً زعامة الاصلاح والتجديد اللازمة والملة، صرحت بأنه كان كأستاذة لا يتخلو من الحدة. ومما يقابلها من الضعف بشدة الرحمة، والمبالغة في الورع، المفرتين لصاحبهما بإثارهما على المصلحة العامة - وأنني على إعجابي بقوة تدبته وحسن تعبدته ومخاطبته على تهجده. صرحت بأنه كان يجمع بين الصلاتين في الحضرة أحياناً ترخصاً اجتهداً يا خالف فيه المذاهب الأربعة، ولكنته وأفق جديتها صحيحاً أخذ به غير من الأئمة

إذا رأى القارئ هذا وذلك أقن انني لم أكن عاليا له في هذا التاريخ، ولا ساكنا فيه مسلك الشعراء، ولا انصار المذاهب وزعماء السياسة، الذين يصورون أئمتهم وزعماءهم صورا مكبرة مزينة بجملة بما يظهر محاسنهم ويخفي مساوئهم، أو يبدل سيئاتهم حسنات، وعلم أن كل ما انتقد على الأستاذ يصح أن يقال فيه « حسنات الأبرار سيئات المقرين » واني وأهم الحق لم أطلع له على عمل يتناقى العفة والزهادة ولا الورع والشرف. ولا هفوة تدل على كامن حقد أو حسد. فهو أكمل من عرفت من البشر. ومن أطلع على دخائل كثير من المشهورين بالعلم والتقوى، أو الحكمة والفلسفة، أو تاريخهم الصحيح رأى كثيرا من العجر والبجر. فما قولكم في زعماء السياسة وعشاق الرياسة ؟

ولقد كنت داعية لزمامته وامامته، وانما كانت داعية صدق ودين، وجهاد وجلاد، لزمامة تجديد واصلاح. لازمامة رياسة وجاه، ومناصب ومال، وهل يتوسل العاقل المتدين الى الحق بالباطل، والى الاصلاح، بالكذب الذي مطية كل افساد، فيتعجل لنفسه الاجرام قهرا، لاجل ما يرجو لغيره من الاصلاح نسبيا؟ وقد سئل الأستاذ الامام أترجو أن تجني ثمر اصلاحك في حياتك ؟ قال أستبعد هذا ولا أظنه، وحسي أن يتم فيجنيه من هدي

وجملة القول ان هذا الرجل اكمل من عرفت من البشر دينا وأدبا ونفسا وعقلا وخلقا وعلما وعملا وصدقا وإخلاصا. وان من مناقبه ما ليس له فيه تد ولا ضرب، وانه هو السري الاحوزي المبقرى الحقيق بلقب « المثل الاعلى » من ورثة الانبياء في هذا العصور ان لم اطلقه عليه لانه على اطلاقه خاص بالله في نص كتابه، وقد اجتذبه الناس في الخطب والجرائد حتى خرج عن معناه.

صنوف قراء هذا التاريخ

ألا وان قراء هذا التاريخ صنوف فمنهم طلاب الاصلاح والتجديد النافع للامة، مع الحافطة على مقوماتها ومشخصاتها التي تمت بها حقيقتها وامتازت من غيرها، وهؤلاء يشكرون لي عملي ويرون أنني أحسنت فيه وأصبت. ويهفون عما عساني أخطأت فيه أو قصرت، ويساعدوني على نشر الكتاب، لانه خير عون على اثاره الهمة، وتقوية الامل، والتنشيط على العمل. بل هؤلاء منا، من عرفنا منهم ومن لم نعرفه

وليهم المستعدون للإصلاح بسلامة فطرتهم وحسن نيتهم . ولكنهم غافلون عنه فقد الباعث والمنبه ، وسيجدون في هذا التاريخ أقوى دعاية ، وأوضح هداية ، فلا يلبث قارئه أن يكون منا وينصرنا بقدر ما أوتي من همة واستطاعة ومنهم دعاة النهضة المدنية الوطنية اللادينية وسيجد المخلصون منهم أن إمامنا إمام لهم في جانب من جانبي إصلاحه ، وإن الجانب الآخر ينفعهم ولا يضرهم ، قلن الجامدين في التقاليد الدينية والخرافيين فيها هم أعداء التجديد المدني ، فإذا صلحوا التقوا معهم في تعزيز النهضة الوطنية وتعاونوا معهم عليها ، ما لم يكونوا دعاة للالحاد لذاته . وقد كان المعاصرون منهم للحكيم الأفغاني والإمام المصري يدنون لزعامتهما ، وإن لم يكونوا من مريديهما والمقتبسين منهما مباشرة . بل كان المخلص منهم لقومه ووطنه يعترف بفائدة إصلاحهما الديني وضرورته لا كمال النهضة المدنية ، والرابطة الوطنية ، كما ترى في تأيين أحرار النصارى وملاحدة المسلمين للاستاذ الإمام

وأما الجامدون المصريون على التقاليد والخرافات ، المطبوع على قلوبهم بما مردوا عليه من الخطيئات ، فقد يوجد فيهم من يلتمس لنا العثرات ، ويبدل حسناتنا سيئات ، ويكبر الصغير من الهفوات . ولا خوف على أنصارنا منهم فالحق يدفع الباطل والنور يطرد الظلمات ، وإنما ضررهم محصور في مقلبتهم من العوام الجاهلين الخرافيين . يصيدونهم عن قراءة كتبنا ، وما قرأها أحد وفهما الا واتبعنا

ومن دون هذه الصنوف والطبقات صنف الملاحدة والزنادقة ، ودعاة الإباحة المطلقة ، وصنف إجراء الأجانب وأعوانهم ، وصنف المتملقين للظلمة المفسدين . وهؤلاء تحوت أدنياء لا يرجعون عن غيهم الا اذا صار للإصلاح دولة قوية غنية تستصلح هؤلاء بالرزق ، وتكبح شر أولئك بالقوة . وأما نحن فإذا خاطبونا قلنا سلاما . وإذا مررنا بلغوم مررتا كراما . ونسأله تعالى أن يجعلنا معهم ممن قال فيهم (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به . إنه الحق من ربنا . إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم يشقون * وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين * انك لا مهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهدين)

فتاوى المنار

(أسئلة من عالم رآخو فتسا برزوين في يوغوسلافية - أوربة)

تأخرت سهواً وقد سبق لنا بيان أكثرها

(ص ١ - ١٠) من التقرير العاجز يحبي سلامي ألابيكي إلى السيد الجليل
ملجأ الباحثين وملاذ الناقدين ، مفتي الانام ، شيخ مشايخ الاسلام ، الشيخ محمد
رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) الاغر الاعلى الاسلامي بمصر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد أتيت لي أن أسأل حضرتكم
عن حقيقة المسائل الآتية ذكرها وأسترشد بدلائلكم وإرشادكم إلى صحيح الجواب
الذي هو هدى القرآن والسنة النبوية

- (١) ما معنى قول الله عز وجل في حق ادريس عليه السلام (ورفعناه مكانا
عليا) الآية ؟ هل ادريس في قيد الحياة ام لا ؟
- (٢) أكان معراج نبينا ﷺ إلى السموات وإلى ما شاء الله جسمانيا ام لا ؟
وما معنى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ...) ؟
- (٣) هل كان الطوفان على قوم نوح عليه السلام فقط او لجميع العالم ؟ وما
معنى قوله تعالى (واستوت على الجودي)

(٤) ماهي حقيقة طير الابليل الواردة في سورة الفيل ؟

- (٥) هل جملة « من زار قبري وجبت له شفاعتي » حديث صحيح ام لا ؟
- (٦) « القناعة كنز لا يفنى » هل هي من الاحاديث الصحيحة الواردة ،
وما معنى القناعة ، أيمكن أن يكون مفهومها الاقتصاد بتسيير هذا المضر ؟
- (٧) أنا كل الارض أجساد الانبياء والاولياء وحفاظ القرآن الكريم ، أم لا
كما هو مشهور عند العامة بعدم أكلها ، وقد روى الفقيه ابو الليث السمرقندي
في كتابه (تنبيه الغافلين) في « باب فضل الجمعة » حديثا مسندا بهذا الشأن

- (٨) كيف كان النبي ﷺ يصلي الجمعة والخلفاء الراشدون بعده والاصحاب والتابعون رضوان الله عليهم
 (٩) رجل وضع ثدي امرأته ماحكه في الشرع هل يحل له أم لا ؟
 (١٠) « الجمعة » ماحكها في الشريعة السمحة ؟
 راخو قنسا (يوغوسلافيا)

[أجوبة المنار]

(١) رفع ادريس عليه السلام

قال الحافظ البغوي في تفسير (ورفعناه مكانا عليا) : قيل هي الجنة وقيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة . وروى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المراج اه وذكر بعد هذا عن كعب الاحبار قصة اسرائيلية في رفعه وسببه وهي من قصصه الخرافية وعن رواها عنه ابن عباس رضي الله عنهما فلا يعتمد بها قال العباد ابن كثير بسد ارادها في تفسيره : هذا من أخبار كعب الاحبار الاسرائيليات وفي بعضه نكارة والله أعلم وعزاه اليه الحافظ ابن حجر في الفتوح ايضا وتقول الاول وهو تفسير المكنن العلي بالجنة مروى عن الحسن البصري وهو لا يمارض بمحدث المراج فان الانبياء الذين رآهم النبي ﷺ في ليلة المراج قد ماتوا في أزمنتهم ودفنوا الا ماورد في عيسى عليهم السلام : وقد ورد أيضا ان النبي ﷺ رأى موسى في تلك الليلة في قبره بالكشيب الاحمر من فلسطين . فهذه امور روحانية غيبية لانعلم كنهها . وقد قال الله تعالى في الرسل عليهم السلام (ورفع بعضهم درجات) والظاهر ان ادريس مات في الدنيا كغيره قال الحافظ ابن حجر في الفتوح : وكون ادريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية
 (٢) المراج جسماني أم روحاني

الخلاف في هذه المسألة مشهور يذكرونه في اقصة التي يقرءونها في الاحتفال الذي يجتمع له الناس في ليلة ٢٧ رجب من كل عام . والروايات فيه متعارضة .

متناقضة ، والجمهور على أنه بالروح والجسد ، لأن الانسان روح في جسد ، وفي القطة لأن جمهور المحدثين حكموا بقلط رواية شريك في كتاب التوحيد من صحيح البخاري في كونه رؤيا منامية . وهي في أمر من أمور عالم الغيب فلا تنقبس على عالم الشهادة ، والمعقول في فهمها أن تكون الروحانية هي الغالبة على الجسدية فيها ، فيكون الرسول ﷺ فيها كملك حين يتمثل في صورة جسدية كما تمثل جبريل للنبي ﷺ مراراً وكما تمثل للسيدة مريم عليها السلام ، وكما تمثل غيره من الملائكة لآبراهيم ﷺ ، وبهذا التعريب يزول كل إشكال في فهمها ، فإن الروح إذا غاب سلطانها على الجسد تطفئه فيخف ويكون كالأثير الذي يفرضه علماء الكون في نفوذه من الكثائف ، وتقطع به المسافات الشاسعة بسرعة النور أوامر من الأثير ، تقول هذا على طريقة التعريب للفهم ، وعالم الغيب لا تعرف أسياره ، وتتجلى أنواره ، إلا لمن رزق فيه ، وأما قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) فعناه : وما جعلنا الرؤيا النامية التي أريناكمها في المنام إلا بلاء واختباراً للناس في دينهم ظهر بها تمرد المشركين الكافرين ، وزوال الضعفاء وبقين المؤمنين ، وليس في القرآن بيان لهذه الرؤيا أوضح من قوله تعالى من سورة الفتح (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية . وذلك أن النبي ﷺ رأى في منامه أنه دخل — ومعه أصحابه — المسجد آمنين فطافوا بالبيت وحلقوا وقصروا ، وكانت هذه الرؤيا سبب عمرة الحديبية المشهورة ، فصددم للمشركين عن دخول مكة وعقدوا معهم ذلك الصلح الذي ساء جمهور المسلمين ، وكادوا يصون الرسول ﷺ إذ أمرهم بالتحلل من عمرتهم بالخلق أو التقصير ، لولا أن ثبتهم الله تعالى وأنزل عليهم السكينة . وهذا التفسير للرؤيا رواه ابن حزمويه عن ابن عباس (رض)

ولكن هذه الواقعة كانت سنة ست من الهجرة ، والآية في سورة الاسراء وهي مكية ، فقبل أن الله تعالى أراه ذلك وأخبره به في مكة ثم كان تأويله بعد الهجرة ، وكثيراً ما يقولون في مثل هذا أن الآية مدنية ووجهت في هذه السورة لأنها سبقتها لها ، وهو على الوجهين خلاف الظاهر .

وفسرهما بعضهم بالرؤيا التي ذكرت في سورة الانفال (إذ يريكموه الله في منامك قليلا ولو أراكمهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم) وما ورد في سياقها في الحديث من ان الله أرى نبيه ﷺ مصارع رؤسائهم في الكفر، وهذه كانت بعد الهجرة أيضا ولكن ورد انه ﷺ ذكرها في مكة قبل الهجرة فهزيه به كفارقريش ، وفي الصحيح ان سعد بن معاذ أتى مكة عقب الهجرة وقبل وقعة بدر قتل على صديقه في الجاهلية أمية بن خلف وكان مما أخبره به قوله : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول انهم قاتلوك — يعني للسليمن — قال بمكة ؟ قل لا أدري ففرغ أمية لذلك فرعاً شديداً . وفي رواية انه قال له انه قاتلك — يعني النبي ﷺ — وان أمية قال : فوالله ما يكذب محمد . ولما دعاهم أبو سفيان للخروج إلى بدر امتنع أمية من الخروج خوفاً من القتل لاعتقاده أن النبي ﷺ لا يكذب وإن أخبر عن المستقبل :! فما زال به أبو جهل حتى خرج وقتل

وفسرهما الجمهور بما جاء في حديث الاسراء من افتتان بعض الناس به بارتداد بعض ضمءاء الايمان وخوض الشركين في اخباره ﷺ بما هو غير معقول خلافاً لعادته ، واحتج به من قالوا ان ذلك كان رؤيا منام ، ورواه ابن اسحاق عن معاوية بن أبي سفيان ، وهو صريح رواية شريك في البخاري ، والجمهور على خلافه . وقد حكوا بقلط شريك لشذوذه عما رواه النكثيرون كما تقدم . وقالوا ان لفظ الرؤيا قد يطلق على ما يرى في البقطة ليلا وقيل مطلقاً ولا يعرف له نقل ، الا ما روى البخاري عن عكرمة عن ابن عباس في تفسيرها : انها رؤيا عين أراها رسول الله ﷺ ليلة أسري به . واللفظ صريح في أن المراد بها شيء اراه الله تعالى إياه في تلك الليلة لانفس الاسراء ، ولهذا قال الحافظ في شرحها انه لم يصرخ بالمرئي ، وذكر عن سعيد بن منصور من طريق أبي مالك : هو ما أرى في ظريقي الى بيت المقدس ، أي ومنه انه رأى غيراً لم قد ضلت وجهها فلان ، فالاشكال في هذه الرواية محصور في إضافة الرؤيا إلى العين وهو خلاف استعمال القرآن والاحاديث الكثيرة وما نقله رواية اللغة . والآية صريحة في أن هذه الرؤيا كانت فتنة للناس لا بعض ما شاهده ﷺ في ليلته وهذا المكان لا يتسع لتحرير هذا البحث

وفسرها بعضهم بما روي من رؤيته ﷺ كأن بني أمية يتعاودون على منبره . وقد كان ملك بني أمية مثار أكبر العن في الاسلام . وقد عرفت رأي الجمهور

(٣) طوفان نوح

ظاهر القرآن انه كان على قوم نوح فقط لانه عقاب لهم ، وهل كان يوجد على الارض غيرهم من البشر حتى يكون لهذا السؤال وجه من النظر ؟ قد يقال انه لم يكن يوجد غيرهم بدليل قوله تعالى (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) وهذه الدلالة غير قطعية فان كل قوم يطلقون لفظ الارض على أرض وطهم كقوله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) فالمراد بالارض هنا أرض مكة ولهذا أمثال

والتحقيق في المسألة انه ليس في القرآن نص قطعي على ان الطوفان عم الارض كلها ولكنه هو الذي جرى عليه المفسرون وغيرهم بناء على انه ظاهر الآيات في القصة وكان عليه جميع أهل الكتاب ، ولا يوجد دليل قطعي ينقض هذا الظاهر الظني فنحتاج إلى تأويله وما يقوله علماء الجيولوجية قد يرد على نصوص التوراة التي تحدد تاريخ نوح والطوفان بمقدرب ، اذ يميزون بان الارض كانت فيه على ما هي عليه اليوم بالتقريب ، والقرآن لم يحدد تاريخ التكوين والبشر ببضعة آلاف من السنين . كسفر التكوين بل قال الله تعالى فيه (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) فملى هذا يحتمل أن يكون الطوفان قد وقع منذ مئات الالوف أو ألوف الالوف من السنين ، إذ كانت اليابسة التي نشأت في الكرة المائية صغيرة والجبال فيها قليلة غير شامخة ، فطبيعتها كانت قابلة لمثل هذا الطوفان ، وجاء في المواقف عن الامام الرازي ان هذه الارض كانت مغمورة بالمياه بدليل ما يرى في رموس الجبال من الاصداغ البحرية ، وكذا الاماكن المتحصرة ، وهذا متفق عليه عند علماء الكون في هذا العصر . والجودي المكان او الجبل الذي استوت عليه البعينة ، وليس في الكتاب ولا في الاحاديث المرفوعة تعيين مكانه لان العبارة لا تتوقف عليه وللاستاذ الامام فتوى في أن عموم الطوفان هو ظاهر النصوص لا مدلوله

النار: ج ١ م ٣٢ حقيقة الطير الابليل. حديث من زار قبري - والقناعة كنز ٢٩

القطعي ، واننا لا نمدل عن القول بالظاهر إلا إذا قام دليل قطعي على خلافه ،
ولما يقيم هذا الدليل عندنا وهذه الفتوى منشورة في النار وفي تاريخ الاستاذ الامام
(٤) حقيقة الطير الابليل

ليس عندنا دليل نقلي عن الله ولا عن رسوله (ص) نعرف به حقيقة تلك
الطير ولكن جاء في الاخبار التاريخية التي كانت العرب تقناقلها ان اصحاب الفيل
الذين جاؤا لهدم بيت الله تعالى في مكة اصابهم وباء الجدري والحصبة فأهلكهم .
فأظهر ان تلك الطير الابليل أي الجماعات هي التي حملت اليهم جراثيم هذا
المرض بصفة وبائية إذ رمتهم بحجارة من سجيل وهو الطين المتحر ، وقد روي
أنها جاءت من البحر فيظن أنها كانت ملوثة بسم المرض من مستنقع في شاطئه
فأصاب ابدانهم من جروح أحدثتها بها او كانت فيهم ، واختلطت بطعامهم
وشراهم . وجوز شيخنا في تفسير السورة أن تكون تلك الطير من الاحياء الصغيرة التي
تسمى في عرف أطباء هذا العصر بالميكروبات فراجموا عبارته في تفسير (جزء عم)
(٥) حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي »

رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب عن ابن عمر وكذا ابن خزيمة ،
وفي سنده عبد الله ابن عمر العمري ، قال أبو جاتم مجهول ، وموسى بن هلال
البصري قال العقيلي لا يصح حديثه . ولهذا قال ابن القطان فيه ضيفان وقال
النووي ضعيف جداً

(٦) « القناعة كنز لا يفنى »

بروي بلفظ « القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى » رواه الطبراني في معجمه
الواسط . وقال الحافظ الذهبي سنده ضعيف وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله
بن عمرو « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنمه الله بما أعطاه » وفي معناه عند
الترمذي والنسائي في الكبير من حديث فضالة بن عبيد « طوبى لمن هدى الى
الاسلام وكان عيشه كفافاً وختم به » صحيحه الترمذي . والقناعة ضد الطمع فهي
عبارة عن رضا الإنسان بما يصيبه من الرزق قل أو كثر ، وعدم طمعه فيما ليس

لهولا استشرافهنا في أيدي الناس. هذا هو التحقيق، واقتصر بعض العلماء في تفسيره على الاجتزاء باليسر من اعراض الدنيا لان من رضي بالقليل كان بالكثير أرضى، وقد يكون الاقتصاد في العيشة سبباً للقناعة بل قال أبو حامد الغزالي في الاحياء : الاقتصاد في العيشة هو الاصل في القناعة ونفي به الفرق في الانفاق وترك الخرق فيه اهـ

(٧) أجساد الانبياء والصالحين بعد موتهم

ان سنة الله تعالى في اجساد البشر واحدة في حياتهم وموتهم وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بما هو خاص بمعنى النبوة وما يتعلق بها لقوله تعالى لرسوله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) الآية . وقوله له تلقينا جواب طلاب الآية منه (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) ومن ثم يذكر العلماء في كتب العقائد انه يجوز على الانبياء طرؤ الاعراض البشرية عليهم من للرض والتعب والجوع والعطش والنوم والموت والقتل لان ذلك لا يخل بوظيفة الوحي ولا بالتبليغ له ومثلها فناء الجسد ولكن ورد في غير الصحاح أحاديث أحادية في ان أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تأكلها الارض، أمثلها حديث أوس بن أوس في فضل يوم الجمعة الذي فيه ان الصلاة عليه ﷺ تعرض عليه . قال أوس : قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت . يعني بليت . قل « ان الله عز وجل حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » رواه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي والبيهقي في الشعب وفي رسالته (حياة الانبياء) وغيرهم وقد صححه بعضهم وحسنه آخرون منهم المنذري . لكن قال الحافظ السخاوي بعد أن أورد تصحيحهم ومحسينهم مانصه : (قلت ولهذا الحديث علة خفية وهي ان حسينا الجعفي راويه أخطأ في اسم جد شيخه عبد الرحمن بن بديد حيث سماه جابراً وانما هو تميم كما جزم به أبو حاتم وغيره . وعنى هذا فابن تميم منكر الحديث ولهذا قال أبو حاتم ان الحديث منكره وقال ابن العربي انه لم يثبت . لكن رد هذه العلة الدارقطني وقال ان سماع حسين من جابر ثابت وإلى هذا جنح الخطيب والعلم عند الله تعالى . وهنالك أحاديث أخرى ثلاثة منها بمعنى هذا الحديث ولكنها دونه في السند ومنها ما هو في تبليغ الملائكة إياه ﷺ صلاة من يصلي عليه وقد تكلمنا عليها

في أواخر المجلد الثامن من المنار (صفحة ٩٠٣-٩٠٩) وقد قلت فيها إنها في مجموعها تدل على أن الانبياء أحياء في البرزخ ولكن هذه الحياة غيبية لا نعرف حقيقةا وليست هي كالحياة في هذه الدنيا كما حققه ابن القيم في كتاب الروح وغيره من المحققين الخ

وجلة القول أن هذه المسألة ينظر فيها من وجهين (أحدهما) أنها من مسائل الإيمان بعالم الغيب فهي اعتقادية . وما يجب اعتقاده والإيمان به لا يثبت إلا بالنصوص القطعية الرواية والدلالة ، وليس فيها نص ظني راجح ، فضلا عن القاطع (وثانيهما) أنها من مسائل الناقب والفضائل التي يقبلون فيها الروايات الظنية ولا يأمون اثباتها بما دونها من الضمايف . وبهذا النظر قبل بعض العلماء ماروي فيها وإن كان معلولا ، وحينئذ يقال في كون معناها مخالفاً لسنة الله تعالى في الأجساد ، أنها تنظم في سلك خوارق العادات ، وإذا كانت ليست بعقيدة واجبة ولا يترتب عليها عمل فلا حرج على من صدقها ولا على من أنكرها ، ولكن بعض العلماء أدخلوا فيها القياس وفي مما لا يقاس عليه ولو ثبت ، فقالوا أن جميع الأولياء والشهداء كالأنبياء في هذه النوبة ، وزاد آخرون العلماء والمؤذنين المحسنين ، ويتساهل في كتابة هذا المؤلفون المقلدون السطحين والخرافيون كأبي الليث السمرقندي ، ويقولون فيها حكايات سبقهم إلى مثلها النصارى في شهدائهم وقد يسبهم وأن التسليم بهذا الخرافات وعدم انكار العلماء لها قد كان فتنة للعقلاء المستقلين ، منفراً لهم عن الدين ، وقد نبش بعض رجال الحكومة التركية اللادينية الحاضرة بعض قبور الأولياء للمعتدين عند العامة أمام الجماهير منهم فاروهم بأعينهم أنه ليس فيها إلا عظام فخر ، واستدلوا بهذا على أن الدين كله خرافات باطلة . فما يتساهل فيه الخرافيون لتقوية إيمان العوام ، قد يقضي إلى هدم إيمان الخواص والعوام ؟

(٨) صفة صلاة النبي ﷺ الجمعة

كان الصحابة يسعون إلى المسجد يوم الجمعة متنافسين في التكبير ما استطاعوا فيصلي كل ما تيسر له فإذا جاء وقت الصلاة خرج رسول الله ﷺ من بيته إلى

للمسجد وابتنر المنبر وحينئذ يؤذن المؤذن بين يديه فاذا فرغ من أذانه قام ﷺ وخطب الناس خطبتين يفصل بينهما بجلسة خفيفة ثم ينزل فيصلي بالناس الجمعة فاذا فرغ انصرف الى بيته فصلي فيه ركعتين وخرج المسلمون كذلك فالتشروا في الارض يبتغون من فضل الله كما أمر الله تعالى . وقد بنى الروايات في هذا مراراً ، وهكذا كان الخلفاء يصلونها الا ان عثمان (رض) زاد أذاناً خارج المسجد لاعلام الناس بالوقت لانهم كثروا وكثرت شواغلهم

(٩) حكم من رضع ثدي امرأته

رضاع الرجل الكبير لا تثبت به البهنة فان جواهر السلف والخلف على ان الرضاعة المحرمة ما كانت في الصغر إذ يكون مدار نمو البدن على الرضاع الذي أشير اليه في الاحاديث بأنه ما كان من الحجاعة وقبل الفطام والنفصال ، وما فتق الامعاء في الثدي، اي في أيام الثدي وهي سنتان عند الجمهور وسنتان ونصف عند أبي حنيفة وهناك أقوال أخرى متقاربة . ولا معارض لذلك الحديث عائشة في مسألة سالم مولى أبي حذيفة فإنه كان يدخل على امرأته وهو صغير وكان عبداً له فأعتقه فلما بلغ الحلم صار يشق على أبي حذيفة دخوله على أهله فذكرت زوجها سملة بنت سهيل ذلك لرسول الله ﷺ فقال لها « ارضعيه تحريمي عليه » ففعلت فزال ما في نفس أبي حذيفة . وقد تأول الجمهور من السلف والخلف هذا الحديث بأنه أقوى خاصة في حال ضرورة اذ كان ابو حذيفة وأهله في حاجة شديدة الى خدمة هذا العلام الذي ربا هو وامرأته صغيراً . وقال بعض فقهاء الحديث إنه يقصر على مثل هذه الحال من الضرورة . وما كان كذلك في مراعاة المصلحة لا يدخل فيه هدم أكبر المصالح الزوجية وهو تحريم المرأة على زوجها اذا مضت نكبتها عن شهوة ومداعة فيحكم عليه بأنه صار ولداً لها كأولاده منها، على انه ينبغي اتقاء ذلك احتياطاً

(١٠) شرب الجعة المسماة بالبير

المشهور عن الجعة انه يسكر الكثير منها دون القليل في الغالب فهي محرمة لما حققناه في التفسير وغيره ان مأسكر كثيره قليله حرام

الحاد في القرآن

و د ب ه ج د ي م ي ن الباطنية والاسلام

المقالة الرابعة

﴿ السنن الكونية الاجتماعية ونظام الكون ﴾

قد أكثر هذا الملحد من ذكر السنن الالهية ونظام الكون في هوامشه ومقدمتها ، وجعلها هي الاستدله في جحود آيات الله تعالى التي أيد بها رسله ، وتحريف الآيات الواردة فيها وفي اخبار عالم الغيب كما تقدم ، وقد وعدنا باظهار جهله في هذه المسألة فنقول :

اننا بفضل الله قد انفردنا دون سائر المفسرين بالكلام على هذه السنن والنظام الالهي في تفسيرنا ومجلتنا ، وهو قد سمع ذلك منا ، وقرأه لنا ، ولكنه لم يفهمه ، بل لبسه كالفرس مقلوباً ، ونكس على رأسه فأنعذه منكوساً . نحن قد أوردناه لتقوية الايمان ، والحجة على إعجاز القرآن ، فجعله هو شبهة على الايمان . بالغيب وجحود آيات الانبياء عليهم السلام ، وما أوردناه من تأويل لبعض ما يحتمل التأويل على طريقة المتكلمين ، قصدنا به تقريبه من عقول الجامدين على المؤلف من النظريات العقلية أو العلمية ، لئلا يردوا النصوص بها فيرتدوا . وقد صرحنا مراراً بأن الذي ندين الله به من اخبار عالم الغيب ، وما في معناها من آيات الله تعالى في الخلق ، هو الايمان بما صبح منها بلا تمطيل ولا تمثيل ولا تأويل . وقد جعلنا هذا الملحد قانوناً لتحريف ما لا يحتمل التأويل ، كما قال الله تعالى ﴿ فَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ الآية

فوجب أن تأتي بخلاصة في المسألة مما نشرناه في مواضع متفرقة في النار وتفسيره، وتقي عليها بتفنيد ضلالتة فيها فنقول :

قد أخبر الله تعالى في مواضع من كتابه بأن له سنناً في عبادته والاقوام الذين بعث فيهم رسله، وأن سنته لا تبدل لها ولا تحويل، وأخبر أيضاً بأنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وأن كل شيء عنده بمقدار، وأن خلقه في منتهى الأحكام والنظام. فما بينه الله تعالى من أنواع هذه السنن، كنصره رسله على الجاحدين المعاندين لهم، ومن إهلاكه للظالمين، ومن تدميره على الفاسقين المفسدين، فهو كما قال تعالى وكذا ما بينه من نظام الخلق ومقاديره، ككون الشمس والقمر بحسبان، وما جعله لها في السماء من النازل والبروج، ومن كونها لا تفاوت فيهما من فطور ولا فروج، فهو كما قال عز وجل

وَأَمَّا مَا يَبِيِّنُهُ لَنَا مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ بِنُوعِهِ أَوْ عَيْنِهِ فَالطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ هُوَ مَا أُرْشَدْنَا إِلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ، وَالتَّأَمُّلُ فِي آيَاتِهِ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِنَا، وَالسَّيْرُ فِي الْأَرْضِ لِمَعْرِفَةِ آثَارِهِ مِنْ قَبْلِنَا. وكذا من في عصرنا بالاولى،

قد أرشدنا كتاب الله عز وجل إلى كل هذا. وقد أشرنا في مواضع من المنار وتفسيره إلى ما هو ثابت بالحس من أن اعلم الناس بسنن الله وحكمه ونظمه في خلقه هم أكثرهم انتفاعاً بهذا العلم، واهتداء به إلى تسخير هذا الكون

سنن الله مادية وروحية

وبينا أيضاً أن هذه السنن، وهذا النظام والتقدير، والأحكام والتدبير، عام في كل ما خلقه تعالى من عالمي القيب والشهادة، أو عالمي الاجساد والارواح، أو الماددة وما وراء الماددة - على اختلاف الاصطلاح

وصرحنا بأن ما ايد به تعالى رسله من المعجزات - وكذا ما دون ذلك من خوارق العادات التي تسمى الكرامات، - إذا لم يكن جارياً على سنن النظام المألوف في القوى الجسدية، والنظم المادية، فقد يكون جارياً على السنن الروحية،

والقدور الغيبية ، وقد يكون بمحض القدرة الكاملة ، فهو مزيد كمال في قدرته وحكمته لا نقصاً لهما ، ولا نقصاً فيهما

فإذا لم يكن من سنته تمازج في حياة الجسد إذا فقدت بالموت ان تعود إلى الميت ، فان هذه السنة السلبية لاتنافي أن يهب الله تعالى بعض خواص الروحانيين من خلقه ، كالملائكة او المسيح الذي خلقه بالفخ من روحه في أمه . ان بمد بهذا الروح القوي ميتاً كما نازر او البنت اللذين روت الانجيل خبر احيايه اياهما ، فيسري فيهما من روحه ما يجذب اليهما الروح التي خرجت منهما بقدرة الله تعالى ، ومثل ذلك حلول الحياة في عصا موسى في الوقت المعلوم الذي أمره الله فيه بالقاءها عند بعثته ، وعند امتحان السحرة له ، والله على كل شيء قدير

لا فرق بين مالا تعلمه من هذه السنن الروحية وما تعلمه من السنن الجسدية ، في كون كل منهما فعل مبدع الارواح ، وخالق الاجساد ، ولا يعترض باحداهما على الاخرى عند من يؤمن بان الخالق واحد هو واضح السنن ومقدرها ، ولكن هذا الامر النادر ، ينكره من لا يؤمن بان كلا منهما فعل الله القادر على كل شيء ومن الغريب ان أطباء هذا العصر وأعلم علمائه للماديين يرون من الجائز في العقل الذي يقرب ان يصل اليه العلم ، أن تعود الحياة إلى جسد الانسان أو الحيوان بعد موته بمدة غير طويلة كحياة البنت الميتة التي دخل المسيح عليه السلام بيت أبيها وأما وسأل عنها فقيل له انها نائمة حتى لا ينقصوا عليه ضيافتهم له ، فدأها قاتلا : « لك أقول يا صبية قومي » فقامت باذن الله تعالى .

وأغرب من هذا أن منهم من يقول بإمكان إيجاد الحياة في بعض الاجسام بطريقة علمية صناعية . وتقل أخيراً عن عالم منهم اسمه (مورجان) أنه قام بتجارب عملية أثبت بها امكان استيلاد مخلوقات حية على سبيل الشذوذ (Emergency) وملحد دمنهور لا يصدق ان المسيح أحيا ميتاً حياة جسدية باذن الله ، وانما يقول يقول ملاحظة الباطنية انه انما أحيا الناس من موت الجهل والذلة ، ولكن هذا النوع من الاحياء ثابت لجميع العلماء الذين يملكون الصفار والجاهلين من الكبار ما يزيل جهلهم ويحييهم حياة دينية أو أدبية أخلاقية ، فهو لا يمكن ان تكون آية لعيسى عليه السلام

ينوه بها كتاب الله ، ويخبرنا ان الجاحدين لنبوته وصفوها بالسحر
وما عهد من المؤمنين بالله ورسله أحد ينكر هذه الآيات بمثل هذه الشبهة ،
وانما عهد ذلك من الكافرين بالله ورسله ، أو من الزنادقة الذين يظهرون الايمان
ويسرون الكفر لخداع المؤمنين وتشكيكهم في دينهم توسلا إلى اضراجهم
منه كالأحدا الباطنية

السنن من الممكنات بين الحو والاثبات

فاذا كنا نقول بثبوت سنن الله واطرادها اتباعا لما بينه الله من ذلك ،
فالواجب في ذلك أن تتبع كتاب الله فيما يبيحه من خوارق العادات أيضا . فلانكون
من قال الله تعالى فيهم (أفؤمنون بيمض وتكفرون بيمض ؟ فاجزاء من يفعل
ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ،
وما الله بغافل عما تعملون)

وإذا أردنا أن نثبت هذه السنن واطرادها من طريق العلم ونبني عليه
تأويل ما يخالفها كله من نصوص الكتاب والسنة على طريقة المتكلمين المعروفة
(وهو ما يمكن أن يستمسك به ملحد دمههور) فيجب علينا قبل كل شيء أن نبين
ما تقوم الأدلة العلمية القطعية على صحته واطراده واستحالة تغيره وتختلفه مطلقا ،
وحينئذ لا نكاد نجد شيئا منها بهذه الصفات ، إلا قليلا من الضروريات ، (ككون
التقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان) وليس منها عودة الحياة إلى من مات ولم يطل العهد
على موته كالنبت التي أحيهاها المسيح عليه السلام ، ولا إعادة وظائف التناسل إلى
من فقدوا من النساء والرجال ، كما وقع لذكريا وزوجه عليها السلام

والقاعدة عند علماء الكون - حتى انما دين منهم - ان كل ما نقول انه من سنن
الكون (أو نواميسه) فانما هو بحسب مظهر لنا يمحسنا وتجاربنا ، وأنه يجوز أن يظهر
لنا ما يخالفه ويثبت لنا خطأنا فيه ، كما حصل مرارا فيما ظهر للباحثين من خطأ من
كان قبلهم من العلماء والفلاسة المتقدمين والمتأخرين ، ولا أرجع في التمثيل لهذا
إلى ما نقض علماء الحضارة الاوربية من قواعد علوم اليونان والعرب وأفلاكم

وفلسفتهم ، ولا إلى ما تنقض بعضهم من قواعد بعض في القرون الاربعة الماضية ، بل أكتفي بأنهم ما حدث من ذلك في عصرنا هذا
عزروا على مادة (الراديوم) الذي لا يحجل اسمه قارىء للجرأء ، دع متلقي العلوم في المدارس . فكان بدء عصر جديد في الكيمياء والطبيعة تقوضت فيه مبنين ونواميس كانت من المسلّمات ، وثبتت خلافها ، كاشعاع الحرارة والنور إشعاعاً دائماً من غير أن ينقص من وزنه شيء ، وكعدم تأثير ما حوله فيه من حرارة وبرودة . وكنحول المادة الغازية التي تتبعث منه إلى عنصر الهليوم . وبهذا ثبت شيء كان علماء هذا الفن مجهولونه إذ كانوا يقولون ان عناصر المادة البسيطة لا يتحول شيء منها فيستحيل إلى غيره

وقد كانت سنة الجاذبية من المسلّمات التي لا نزاع فيها حتى قام الاستاذ اينشتين الالاماني بتقويض دعائمها بنظرية النسبية التي فتحت في العلم باباً جديداً من أبواب الحو والاثبات في الطبيعيات وفي الرياضيات أيضاً
وتلك نظرية داروين في الانتخاب الطبيعي التي تدعها سنن كثيرة في الجيولوجية والنبات والحيوان والانسان قد وقعت في النزع والاحتضار ، كما بينا في مقالة خاصة في المنار ، أوقضي عليها بالتبع لقضاء على النظرية الميكانيكية التي بنيت عليها كما نشر في بعض الصحف في هذه الايام

أساس الكون ومصدره ومظهره

ومالي لا آتي إلى أساس هذا الكون والسنن التي قام بها تكوينه في الاطوار المختلفة — ألم يكونوا يقولون انه وُأف من مادة ذات عناصر بسيطة وقوة هي منشأ التركيب الذي حدثت به الصور المختلفة في العالم كله
قد هدم هذا الاساس ان لم يكن بما ثبت من تحول عنصر إلى عنصر ، فبما ثبت من تحول القوة إلى مادة ، ثم بما ثبت من أن مانسميه المادة والقوة اصطلاح لا تعرف له حقيقة ، وان هذا الوجود الذي نعرفه في أرضنا ومائتنا ليس سوى مظهر من مظاهر موجات الكهرباء ، وان كل ذرة من ذراته تتألف من عدة كهارب سلبية تدور حول كهرب ايجابي . والكهرب هو الوحدة من الكمياء . وهذه

الكهارب لا يمكن أن يقال إنها مادة ولا إنها قوة ، وإنما حقيقة مجهولة وهذا الذي استقر عليه رأي علماء الكون أخيراً يؤيد ما أثبتناه في النار وفي تفسيره من أن أول مظهر من مظاهر التكوين الذي نسميه المخلوق الاول مجهول للبشر ، وان علماء الكون اختلفوا في إمكان علم البشر به ، فمنهم من يقول انه يمكن الوصول الى العلم به بطول الترقى في معارج العلم . ومنهم من يقول بعدم إمكان ذلك ، ونقل هذا عن الفيلسوف سبنسر قبل القول الاخير بتركيب الذرات من الكهارب ، ورأينا في هذه الايام من نقله عن الاستاذ « صليمان »

بل هو مثبت لا قوى الادلة العقلية على وجود الله تعالى عندنا وهو ان جميع مظاهر هذا الكون الساوية والارضية تطورات . فتد الى حقيقة غيبية لا يعلم احد كنهها ، وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها مناظرة دارت بيننا وبين العالمتين صاحبي المقتطف فاذا كانت المادة تصدر عن اقوة كما قالوا فما المانع من القول بان هذه القوة هي قوة الله وقدرته ؟ وإذا كان الوجود الممكن كله مظهراً من مظاهر تونجات الكهرواء المجهولة الكنه ، فأى بعد بين قولهم هذا وقول اتباع الوحي ان الوجود الممكن الظاهر ، صادر عن الوجود الواجب النبي الباطن ، (هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

نكتفي بهذه الكلمة الوجيزة في سنن الوجود الظاهر المدرك بالحواس ، الذي بلغ البشر من العلم بها مستوى لم يعرف في التاريخ ما يقرب منه لأحد من شعوب الحضارة القديمة

وإذا نحن ارتقينا عنه الى علم النفس ، وما تجدد فيه عند علماء العصر ، علمنا أن في الوجود سنناً غير سنن المادة بأنواعها بعد أن صار التنويم المغناطيسي من الحقائق الثابتة بالتجارب المطردة ، وما تبع ذلك وتقرر من بعض أنواع الكشف الذي يصبرون عن بعضه بقراءة الافكار وبمراسلة الافكار ، وقد شاهدنا بعض ذلك بالطريقة الصناعية ، بمدثبوتة عندنا بالهبة الالهامية .

ووراء هذا وذاك مسألة مناجاة الارواح التي آمن ببعض مظاهرها من لا يحصى لم عدد من العلماء الطييبين والرياضيين ، ووقف كثير منهم عندها حائرين

وفوق ما ذكر كله قدرة رب العالمين، وإرادته واختياره في الخلق والتقدير والتدبير، وهو واضع السنن والقوانين، ومسخر الأسباب والنواميس، الحاكم بها جميعا وفيها بمد إيجاده لها، والبدع لما شاء قبل وجودها وبمده (انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون * فسيطان الذي بيده ملكوت كل شيء. واليه ترجعون) الايمان بقدرة الفاطر فطري وافرقي والشذوذ فيه

فالايمان بقدرة الفاطر البدع، الخالق الصور القدر، غريزي في هذا الانسان المتفكر، ظهر في أجياله المفكرة، في مظاهر مختلفة، من فطرية ساذجة، وفكرية راقية، ووجدانية شعرية، وروحانية إلهامية

وشذ أفراد من المتفكرين في هذا الامر وفي اختلاف الناس فيه كشدوذ الناس في كل علم وعمل، لم يظهر لهم الصواب في جانب أحد منهم، ولا في شيء آخر يصح أن يكون فصلا فيما اختلفوا فيه، فكانوا فريقين (أحدهما) معطل لا يؤمن بشيء غيبي فوق هذا الوجود للدرك بالحواس (والثاني) شاك حار بين إجابته ونفيه ذلك بأن البشر قد فطروا على التفاوت العظيم في الاستعداد للعلم والعمل، وهذا التفاوت يقتضي بطله الاختلاف في الفهم للشيء والحكم فيه، والاختلاف بين الناس في وسائل معارفهم البشرية ومقاصدها، يفرض بهم إلى الترقى فيها، فهو نافع مالم يكن علة أو معلولا للتفرق والتماذي

ومن المعلوم بالعقل والتجارب انه لا مثار لاختلاف التفرق فيما توتق به الزراعة والصناعة، ولا في وسائل انتشار التجارة، إذ لا يرى أحد من الناس غصاصة على نفسه ولا على قومه في اتباع ما سبقهم إليه غيرهم فيه وأما العلم بما يجب الايمان به من وجود الفاطر وصفاته وشكره وعبادته، وما يرضيه أن يكون عليه عبادته، فهو مما لا يرتق ويتمحص باختلاف الناس فيه، ولا هو مما يسهل عليهم أن يأخذ كل قوم ما سبقهم إليه غيرهم فيه بكسبهم واجتهادهم، إذ لا يمكن أن يصل ذلك إلى درجة القطع التي يزول فيها الخلاف بالضرورة — وقد ثبت بالتجربة في الاجيال والآماد الكثيرة، انه كان أعظم أسباب التفرق والتماذي وسفك السماء الغزيرة

حاجة البشر إلى الدين المستند من الوحي

فمن ثم كان البشر في أشد الحاجة لبيان الحق فيه الى وحي من الله عز وجل يقوم به الحجة على جميع أولئك الفرق من المؤمنين المختلفين ، ومن الملحدون المعطلين ، والشاكنين للأدريين (فبث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) الآية

وقد كان من حكم كتاب الله الحق فيما اختلف فيه الناس بمقتضى ما ذكرنا من غريزة التفاوت بينهم في العلم والفهم والحكم ، ان العالم كله صادر عن قدرة الله تعالى ومشيتته واختياره ، سواء فيه ما ابدعه ابتداء ، وما خلقه بنظام السنن العامة في الاسباب والسببات ، فالسنن وما وضعت له وجرت فيه كل ذلك بيد الله يتصرف فيها بمشيئته ليس مقيداً بشيء منها ، فهو إذا شاء غيرها ، ولكنه لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته ، فصفاة الله تعالى من العلم والحكمة والمشيتة والقدرة والرحمة لا تناقض ولا تمارض في متعلقاتها . كما بيناه مراراً في تفسيرنا

هذا حكم الله تعالى في كتبه لرسله كما نراه في نصوص آخرها الذي أنزله الله مصداقاً لها ومهيماً عليها ، وسنذكر بعض الشواهد منه فيها

ويقابله قول معطلة الماديين الذين ينكرون الخالق والخالق بالمشيتة ، وبعض الفلاسفة الالهيين الذين يثبتون لرب العالمين من صفات الكمال ما عدا الاختيار في المشيتة ، ومذاهبهم في تأثير الطبائع بذاتها ، وضرورة اتصال الملل بمعولاتها ، وكون الله تعالى خلق المادة وأودع فيها قواها ونظامها ، وتركها لنفسها فلم يبق له فعل فيها - كل ذلك معروف ليس من موضوعنا تفصيله والرد عليه ، وإنما غرضنا من ذكره أن نبين ان الناس على قسمين : ملين على هدى أنبياء الله تعالى يؤمنون بان الله فاعل مختار بيده ملكوت كل شيء في كل وقت - وكافرين يزعمون ان كل حركة وسكون في هذا الكون تجري على سنن ونواميس فيه بمقتضى الضرورة لا تأثير فيها لموجود غيرها . وما يشاهدونه في كل زمن من وجود أشياء على غير هذه السنن المعروفة ، يسمونه « فلتات الطبيعة » ويقولون انه لا بد له من سبب وان كنا لا نعرفه . وما ينقل في كتب الملين من آيات الانبياء منهم من يشكره

ومنهم من يتأوله ، ومنهم من يقول انه من فلتات الطبيعة التي لم يظهر لنا سببها .
فذاهبهم في هذه المسائل متمددة .

وملحد منهم قد جرى على أصل هؤلاء القائلين بان السنن والنواميس
ضرورية لا يمكن تغيير شي منها ولا تبديله ولو بفعل الله ومشيتته ، وأنه ما وقع ذلك .
في الماضي للرسول ولا تغيرهم ، فهو يخالف لجميع الملمين من أتباع الرسل عليهم السلام .
ولولا هذا لم يكن محتاجا الى تحريف ما جاء في القرآن من اخبار عالم الغيب .
ومعجزات الرسل .

شبهة ملحد مشهور في السنن وبيانها بطورها

قد يقول بقرره بجهله اني قد أخذت في هذا بما جهله جميع المسلمين وجميع
الملمين من قبلهم (أي وعرفه ملاحدة الباطنية ولاسيما البهائية آخرهم) وهو مانص
عليه القرآن في مثل قوله تعالى (٣٥ : ٤٣) فهل ينظرون إلا سنة الاولين فلن
تجد لسنة الله تبديلا * ولن تجد لسنة الله تحويلا)

وتقول في جوابه (أولا) ان سنة الله التي قال انه لا تبديل لها ولا تحويل .
هي نصر رسله على الماندين لم من أقوامهم كما هو صريح الآيات التي وردت
فيها في سور الاسراء والاحزاب وفاطر والفتح ، وفي السور التي لم يذكر فيها انه
لا تبديل لها أيضا

وجاء لفظ السنن جمعا بهذا المعنى في سياق الكلام على غزوة أحد من سورة .
آل عمران (قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة .
السكران) وجاء بمعنى التشريع الديني في سياق محرمات النكاح وحكمتها من سورة .
النساء (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الدين من قبلكم) فهو لم يقل هذا في أمر .
الخلق والتكوين ، وربما كنت أنا الذي التزمت اطلاق هذا اللفظ على ما سمي علماء .
الكون والفلسفة بالنواميس الطبيعية في المنار والتفسير وفي نظام مدرسة الدعوة .
والارشاد ، إذ أطلقت اسم (سنن الكائنات) على الدروس التي وضعها الدكتور .
محمد توفيق صدقي (رحمه الله تعالى) في علم حفظ الصحة ومقدماته من علم الطبيعة .

وعلم وظائف الاعضاء فشرتها في المنار وطبعتها على حديثها بهذا الاسم .
 وأول من أرشدنا الى كون أصول علم الاجتماع من سنن الله في خلقه ، حكيمنا
 العربي الواضع الاول لقواعد هذا العلم عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى ، فانه
 يكرر في مقدمته عقب بيان القاعدة العمرانية قوله : سنة الله في خلقه - أو سنة
 الله التي قد دخلت في عبادته . ثم زاد عليه في هذا أستاذنا الامام في مقالات العروة الوثقى
 الاجتماعية ، وزدت عليهما تعميم ذلك في النواميس الكونية كلها .

هذا وانه ليس عندنا دليل ديني ولا عقلي على استحالة وقوع انتبديل
 والتحويل في هذه السنن ولا على اطرادها وعدم الشذوذ فيها مع الجزم بإمكانها .
 وأما الأدلة العلمية المبينة على التجارب العملية فقد بينا أننا ان أهلها لا يقولون
 بوجود شيء من هذه السنن المعروفة بحيث يستحيل نقضه وثبوت خلافه ، وانهم
 يثبتون الشذوذ بالاسباب المجهولة للمبرغنها بفئات الطبيعة ، وبالاسباب العملية العملية ،
 وقد كان بعض الناس ينكرون ما جاء به الانبياء من أخبار عالم الغيب كالملائكة
 والجن والبش بعد الموت لاستبعادها في ما لوفاتهم وزعمهم انها لا تنقل ، وما وصل
 اليه البشر في هذا العصر من أسرار الكهرباء لم يبق شيئاً من ذلك مستبعداً فضلاً
 عن كونه محالاً عقلاً ،

أفليس المؤمنون بوجود الخالق الفعال لما يريد ، وان « ما شاء كن وما لم يشأ
 لم يكن » أولى منهم بالايان بقدرته على التصرف في هذه السنن متى شاء ؟
 ثانياً : اذا قيل ان قوله تعالى (سنة الله) مفرد مضاف يفيد المصوم ،
 وانه يجري فيه قول علماء الاصول : بأن المبرة بمصوم اللفظ لا بخصوص السبب ،
 قلنا نعم ، وانما عموم كل شيء في موضوعه ، وموضوع هذه السنة النصوصة عباد
 الله من الامم مع رسالهم ، ويصح اطلاق اللفظ على غير ماورد به النص من قواعد
 الاجتماع والعمران أيضاً ، ولكن لا يصح الاستدلال بالنص على عدم التبدل فيها .
 ثالثاً - ان سنن الاجتماع تختلف باختلاف أحوال البشر في البدوة والحضارة
 والقوة والضعف والعلم والجهل ، وآلات القتال والنقل ، فهي أمور نسبية متبدلة ،
 لا قواعد رياضية مطردة . وذلك معروف من سير الأمم وتواريخها . وانما

تكون سنة بحسب الاحوال التي تكون بها مطردة
مثال ذلك سنة غلب الكتلة التي عبر عنها الشاعر العربي بقوله :
ولست بالاكثير منهم حصي وانما العزة للكانر
يراعى في صحتها مساواة الكتلة لثقلها في أسباب الغلب الصورية كالسلاح والنظام،
والعنوية كالصبر والثبات والايمان . فاذا كانت هذه الاسباب متوفرة في القلة
دون الكتلة ، كان لها الغلب على الكتلة . وفيها قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

- رابعا - ان السنن الاجتماعية والكونية تتعارض وتتناقى كما تتعارض أسباب
النصر والظلب واضدادها في المثل المذكور آنفا ، ومن ذلك تمارض أسباب الصحة
واسباب المرض ، وتعارض التأثيرات الجسدية مع التأثيرات النفسية . فما كان له
الرجحان يكون بطلا للآخر ذاهبا باطراده ، وليس في هذا الوجود الممكن - لا علويه
ولا سفليه - ناموس من نواميس النظام يقوم الدليل القطعي على استحالة تغييره
وتبدله ، بل كله جاز بأسباب مما يعقله الباحثون ويتوقعون حدوثه أو بغير ذلك .
كما يقولون في خراب هذا العالم وزوال هذه الارض ، او انقطاع حياتها وعالمها
- يزوال حرارة الشمس بالتدرج البطيء ، او بتصادم بينها وبين بعض الاجرام السماوية
- وهو ماثير اليه آيات القرآن المجيد

السنن والنظام في الخلق خاضعان لمشيئة الخالق

ثم أقول - خامسا - ان خالق الخلق بما شاء من النظام والسنن لم يقيد بها قدرته
- بمشيئته ويجعلها حاكمة عليه . بحيث يكون بها مقهورا لا قاهرا . وعاجزا عن
التصرف لا قادرا . حتى لا فائدة في دعائه والتضرع له . بل دل كتابه - الذي
لا ينهمه هذا اللحد الجاهل بلفظه وشريعته - انه قيدها بمشيئته ، وان العالم كله في قبضته ،
(ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد
من بعده) فهذه الآية صريحة في أن العالم في قبضة تصرف خالقه في كل وقت ،
وان بقاءه بقدرته تعالى لا بما يظهر من سنن النظام فانها مفعولة لفاعله ، أو ظواهر
- ضرورية ، لاحقائق وجودية ، كما قال بعضهم في سنة الجاذبية

ومن هذا القبيل قوله تعالى (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللان روا كد على ظهره) فخر كلت الريح تجري بحسب سنته تعالى . في تأثير الحرارة فيها ، وهو يقول انه إذا شاء أسكنها

وقد دل كتابه أيضاً على انه تعالى جعل للسنن الكونية والقسمية استثناء بضمه . موضعه بمحكمته ورحمته . حتى ان عذاب الأمم المعاندين لرسوله والذي نص كتابه على انه لا تبديل فيه ولا تجويل قد دخله الاستثناء بالفعل ، كما قال تعالى في سورة يونس (١٠ : ٩٨) فلولا كانت قرية آمنت فنقمها لآيمانها لإلقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتنهم الى حين) فان يونس عليه السلام كان خرج من قومه عند ما جاء موعد ما أنذرهم من العذاب ولم يؤمنوا . فلما رأوا بوادر العذاب وكاد يقع بهم ، آمنوا فنقمهم إيمانهم ولم ينزل العذاب بهم ، فهذا استثناء من السنة العامة في وقوع العذاب على الاقوام في مثل تلك الحال ، سواء كان متصلاً او منفصلاً في الاعراب

ومما يدل على تقييد السنن العامة بالمشيئة قوله تعالى بعد ما ذكر في سورة يونس . (٩٩) ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً) وهذه المشيئة انما تكون بخلق البشر على غير هذه السنن المعروفة في خلقهم من اختلاف الاستعداد للإيمان والكفر معاً ، ومن ترجيح بعض متعلق هذا الاستعداد على بعض . أو بإزالة هذا الاستعداد بعد وجوده . وهو من سنن الله في نوع الانسان

ومن هذا الاستثناء عفو الله تعالى عما شاء من ذنوب عباده في الدنيا والآخرة . فان عقاب للذنوب من سنن العدل ، والعفو والغفرة من الرحمة والفضل ، فكل مذهب مستحق للعقاب بحسب سنة الله في تأثير الاعمال في النفس للقررة في قوله تعالى (٩١ : ٩) قد أفاح من زكاه ١٠ وقد خاب من دساها) وما كل مذهب يستحق العفو ، وقد اتفق حكماء البشر على أن من الحكمة الاستثناء في القوانين بالعفو عن بعض العقوبات

والآيات المحكمة الصريحة في فعل الله لا يريد به وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . كثيرة ، والمسلمون مجمعون على ذلك ، ولكن إجماعهم لا قيمة له عند ملحد دمنهور .

ولا يحتج به في دينه ، وقد يبر عنهم بما يدل على انه ليس منهم كما قل في تفسير (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) وهذا نصه :

« ومن الغريب مع هذا الدليل المبين ان المسلمين يقولون في كتبهم ان النبي مسح بناء على حديث رواه اليهود كما ينقل النصارى صلب المسيح بناء على حديث رواه اليهود أيضاً » اه فقد أنكر على المسلمين لا على المحدثين ، وبمعنى بقوله « كتبهم » أصبح كتب الحديث وجميع كتب التفسير ، ولكنه كذب في زعمه ان حديث السحر المذكور قد رواه اليهود ، والترض من ذكر عبارته هنا انه بهزأ بأعظم كتب المسلمين في التفسير والحديث هزؤ الساخر للتبريء من المسلمين ، وأما تحقيق المسألة فقد بيناه في المنار

(ومنها) قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وهذا المعنى مكرر في القرآن ، وهو ظاهر فيما يخلقه تعالى بدون نظام الاسباب ، كخلق آدم من تراب ، وخلق عيسى بن مريم من أم بدون أب

وجملة القول في مسألة سنن الله تعالى في نظام الكون وسنن الاجتماع والعمران ان ما ثبت منها فهو مقتضى حكمته ، وانه غير مقيد لمعوم مشيئته وشمول قدرته ، وأن ما ثبت في كتابه أو في خليقته من آياته الخالصة للمعروف من تلك السنن فهو من تصرفه بمشيئته واختياره ، لحكمة يعلمها في ذلك وقد يعلمها من شاء من خلقه ، كمعجزات رسوله عليهم السلام ، فان حكمته ظاهرة بينها عطاء أتباع الرسل أحسن البيان وأن منتهى الجهل والكفر بالله تعالى جملة مقيداً بما يظهر لبعض الناس من هذه السنن مع تحبطهم فيها ، وعدم اتفاق عقلاهم وعلماهم على ضرورة اطرادها ، وما هذه الارض وسننها إلا كنز من ذراتها هي في جملتها ومجموعها ، بالنسبة إلى ملك الله العظيم الذي ثبت للماء الفلك ان بعض أجرامه يبعد عن البعض الآخر بما يقدر بملايين السنين لسرعة النور ، وهو يقطع نحواً من مائة مليون ميل في زهاء عشرة دقائق . فمن أنت أيها الجاهل حتى تبيع لنفسك تحريف كلام الله لتأويل آياته في خلقه اشتراكاً بما لا تعلم حقيقة من هذه السنن ؟

فاذا كان شيطان الجهل والغرور قد زين للمعبد منهوراً أنه يمكنه أن يكون رجلاً عظيماً في

الأرض بوضع دين جديد لمن غلبت عليهم ظواهر الفلسفة المادية لا يوجد فيه شيء مخالف للمألوف عندهم فليبعد عن القرآن والإنجيل والتوراة والزبور ، فإن أدیان جميع رسل الله مؤسسة على عقيدة تصرف رب العالمين في خلقه بمشيئته واختياره في كل وقت ، وعلى تأييده لمن شاء من رسله بخوارق العادات ، وسنن الاجتماع والكائنات ، وعلى أن عالم النيب من الملائكة والجن وغيرهم لا يقاس على عالم المادة ، وأن الإيمان بما ورد الوحي فيه من ذلك كما ورد أصل من أصول الدين لا يصح الدين بدونه

عجز فلاسفة أوربة عن وضع دين يخضع له البشر

وليعلم أن بعض فلاسفة أوربة وأعلام الآداب والتشريع فيها تد وضعوا أصولاً للديانة سموها الديانة الطبيعية ، راعوا فيها من الفضائل والمصالح العامة والخاصة ما استحسنته السواد الأعظم من الماديين وغيرهم ، ولكن لم يتخذوها شعب من الشعوب ولا جماعة من الجماعات ولا فرد من الأفراد ديناً يلتزمه في أعماله وآدابه ، ولماذا ؟

لأن الدين الذي يحتاج إليه البشر لتكليف فطرهم وإزالة الخلاف من بينهم فيما يجب عليهم من معرفة الله وعبادته ، ومن أصول التشريع العامة والفضائل الثابتة التي تحول دون الفوضى الدينية والأدبية التي تفرق كتبتهم - هذا الدين لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان مصدره السلطان الإلهي الأعلى الذي تدعئ الأنفس لأمره ونهيه القطعيين لذاته ، سواء وافق آراءهم وأهواءهم ونظرياتهم العقلية وتقاليدهم القومية والوطنية أم لا ، لأن صاحب هذا السلطان أعلم منهم بما يضرهم وما ينفعهم ، وهو القادر على اثابتهم إذا اتقوا واحسنوا ، وعلى عقابهم إذا فسقوا وظلموا وأساءوا ، وعلى العقوب عنهم إذا تابوا وأصلحوا ، وعلى استجابة دعائهم إذا دعوا وتضرعوا ،

فلو كانت أمور العالم كلها تجري بنظام اضطراري ليس لله فيه مشيئة ولا

اختيار ، لم يكن هنالك محل لثمرة الإيمان من الخوف والرجاء ، وهما الباعثان على الطاعة والالتقياد ، ولزال معنى الدين وذهب التدبير هباء
 إلا أن المادية مضادة بل مناقضة لمعنى الدين والتدين ، وقد ظهر بعد الحرب العامة من مفسدها ما لم يكن ظاهراً ، والعالم المدني قد شعر باضطرابه إلى الحرب . من هذه المفسدات في العقل والآداب والاجتماع كما نوهنا بذلك من قبل ، وإنما الذين الوسط هو الجامع بين المصالح المادية ، والفضائل الروحية ، كما بيناه في تفسير قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) من أول الجزء الثاني من تفسيرنا وإذا لم يكن لرسول الله تعالى من آياته ما يميزهم من الفلاسفة والأدباء - كما يزعم ماحد دمنهور- فأبى بعث الناس على الانقياد لهم بالأذعان النفسي والوجدان - الاضطرابي ، وهم يجدون عند الحكماء من الحجج العقلية والأدبية ما هو أقرب إلى ما لو فاتهم ونظرياتهم مما جاء به الأنبياء ؟

حكاية ابن سينا مع المفضل له على النبي ﷺ

ألم يعقل هذا اللحد ماسمعه منا وقرأه في كلامنا غير مرة من نبأ الفيلسوف الكبير الرئيس ابن سينا مع خادمه ومريده المعجب بعلمه وفلسفته المفضل له به على محمد رسول الله ﷺ الذي كان يلومه على اتباعه هذا النبي ﷺ وهو دون بزمه وجهه ، حتى إذا كانا في بعض ليالي الشتاء الشديدة القر القارسة البرد في تبريز ايقظ الرئيس خادمه ليأتيه بماء يتوضأ به ، فاعتذر له بشدة البرد ، وبعد طلوع الفجر ، فأيقظه سيده الرئيس عند ما كان المؤذن ينطق بالشهادتين على المنارة وسأله ماذا يقول المؤذن ؟ قال انه يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال قد آن لي أن أبين لك فساد عقلك ، وافن رأيك ، في تفضيلك إياي على رسول الله ﷺ أنك أنت خادمي وقد بلغ من إعجابك بي ما تعلم وهو ما لم أر ما يقرب منه من غيرك . ثم أنك تكسل عن طاعتي في داخل الدار معتذراً بشدة البرد ، وهذا الرجل الفارسي يشيد بالشهادة لمحمد رسول الله ﷺ بالرسالة في أعلى هذه المنارة حيث البرد على أشده وهو في ذلك محتسب أجره عند الله ، فعند ماترى لي من

«السلطان على قلبك مثل ما ترى لمحمد ﷺ على قلب هذا الفارسي بسد مضي أربعة قرون على بئس منه تكون معذوراً فيما تهذي به من تفضيلي

وإذا كان من أصول الدين المادي الذي تدعو اليه باسم القرآن انه يجوز لمتبعه أن يخالف رسول الله ﷺ لترويج رأيه على طاعته أو لما يراه بالتشاور مع غيره من المصلحة المخالفة له ، فاي معنى يبقى للدين ؟ وكيف تجتمع الكلمة به على ما يكونون به أمة واحدة ؟ أو ليس من الجائز على هذا أن يترك الناس جميع ما جاء به الرسول لمخالفته لآرائهم وما يزعمون من مصالحهم غير المقيدة بدين يتبع لذاته باذعان الايمان ، ولا يستحل صاحبه ترك شيء منه إلا بما ورد النص فيه بكونه عنراً كالضرورات التي تبیح المحظورات ؟

• نعم ان هؤلاء الماديين لا يجدون أدنى باعث على قبول دين مادي يتوقف إثبات ماديته على تحريف كثير من آيات كتابه عن مدلولها اللغوي الذي جرى عليه جميع أهله من عهد النبي الذي جاء بهذا الكتاب إلى اليوم اتباعا لجاهل مغرور في تحريفها وجعلها مادية ، وقد حكم علماء أهايا بالمحادة في دينهم ومروقه منه .

ولا يغرن هذا الملحد ان الباطنية قبلوا أمثال هذا التحريف في القرآن من دعائهم ، فيظن أنه يوجد من يقبله منه ، فإن الذين قبلوا هذا من الباطنية انما قبلوه بعد اقتناع الدعاة لهم بأنه بيان الامام المعصوم لمراد الله من كتابه ، بعد اقناعهم بأن هذا المعصوم موجود ، وانه لا يمكن فهم مراد الله وجمع كلمة المسلمين على ما يرضيه الا منه ، فاي لك أيها المغرور باقتناع الماديين والجاحدين لوجود الله أو غيرهم بامانتك وعصمتك ؟

فان كنت أيها الملحد تقبل أن يتبعك أحد في دينك هذا فلك العذر في الحكم على أستاذك الذي نرى منك ورد عليك ارشاداً لك ، بانه قد اختل عقله فلا يدري ما يقول ، وانه يكيدك مع شيخ الازهر ، وفي قولك المناقض لهذا ، وفي سبك وشتمك له ، مع ادعائك انك عذرتة بمجنونه وخرقه (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتبتكم انا عاملون) وانتظروا لنا متظرون)

التجديد والتجدد والمجددون

(تابع لما سبق)

القضية الأولى

(في حقيقة معنى القديم والجديد، والتجدد والتجديد، والتفاضل بين الطريف والتليد)

الخلق كله جديد، وإنما القديم المطلق هو الخالق عز وجل، والجددة والقدم في المخلوقات نسبيان، فكل قديم منها كان جديداً، وكل جديد سيصير قديماً، ومن الأمثال العامة بل العامة: من ليس له قديم فليس له جديد، وبإله من مثل حكيم يفهم منه العلماء، مالا تصل إليه مدارك الدماء،

والتجدد والتجديد في الكون من السنن الإلهية العامة التي هي مصدر النظام في تكويننا، والتغير والتحول في أطوار وجودنا، وعملها فيها عين عملها في آياتنا وجودنا (ولن نجد لسنة الله تبديلاً * ولن نجد لسنة الله تحويلاً) فنحن في معمل الكون الأعظم كالماء في معمل الجليد، كل آن في تجدد وتجديد، تارة يكون مائعا سائلا، وتارة يكون بخاراً طائراً، وتارة يكون جليداً جامداً، وهكذا عالم المادة كله، تجدد طبيعي فطري، وتجديد صناعي كيمي، تحايل وتركيب، جمع وتفریق، هدم وبناء، نماء وفناء، وإنما يجري ذلك كله في مادة موجودة، ذات عناصر معدودة، قديمة في الخلق لا جديدة، ذات قوى محدودة، تصرفها قدرة غيبية معقولة لا مشهودة، وهي قدرة الخالق الحكيم عز وجل. فالتجدد والتجديد إنما هو في الصور والأعراض، لا في إيجاد الجواهر والمواد، ويؤثر عن نبي الله سليمان عليه السلام أنه قال: لا جديد تحت الشمس. وهو صحيح ظاهر بهذا المعنى. ويقابله مقابلة التضاد قول بعض حكماثنا إن المرض لا يبقى زمانين، فلي هذا يصح أن يقال «لا قديم تحت الشمس» ولا تمارض بين القولين، ولا تناقض بين القضيتين، فإن كل ما تحت الشمس قديم باعتبار وجوده باعتبار آخر

وقد كنت قلت في مقدمة محاضرة في الجمع بين الذكران والاناث في مقاعد التعليم ما يصح أن يقال هنا على أنه مقصد لا مقدمة وهو :

«التجديد سنة من سنن الاجتماع ، كما ان التجدد من مقتضى الفطر والطباع ، ومثلها مقابلهما من المحافظة على القديم ، ولكل منهما موضع فلا تناقض بينهما ولا تضاد ، اذا وضع كل منهما في موضعه بغير تفريط ولا إفراط

« من التجدد في نظام الفطرة أن كل أحد يخالف خلق والديه وأخلاقها بعض المخالفة ، ولولا ذلك لم يكن ما نرى من التفاوت العظيم بين البشر ، ومن حفظ الاصل ما لا يجهل من إرثه لها وشبهه بهما في بعض صفاتها الجسدية والنفسية ، ولولا ذلك لوقع من التباين بين أفراد الناس ما يكاد يكون به كل منهم نوعا مستقلا بنفسه

«ومن حفظ القديم في الاعمال وراء سنة الوراثة ما تقتضيه غريزة التقليد من محاكاة الانسان لمن يعيش بينهم من أول سن التمييز إلى نهاية أجل الشيخوخة ، ثم تقليد الجماهير لمن يرونهم أوسع منهم علما ، أو أعلى مكانة وقدرآ ، ولولا هذا لما تكونت البيوت والفصائل ، والشعوب والقبائل ، بما يربط بعضها ببعض من المشاركة في الاعمال ، التي تطبع في الانفس ملكات الاخلاق والمعادن ، فتكون رابطة الوحدة ، التي تجتمع بها وشائج الكثرة ، فتكون بها الفصائل قبيلة والبيوت أمة

«ومن التجديد في الاعمال البشرية ما تهدي اليه غريزة الاستقلال المقاتلة لغريزة التقليد ، والميل إلى الاستنباط والاختراع ، ولولاه لكانت جماعات البشر كاسراب الطير ، ومساكنهم لا ترتقي عن خلايا النحل وقرى النمل»

أنواع التجديد والحاجة اليها

التجديد الاجتماعي والسياسي والمدني والديني كل منها حاجة من حاج الجماعات البشرية بمقتضى غرائزها واستعداد نوعها ، به يرتقون في مدارج العمران ، ويصعدون في معارج العلم والعرفان ، حتى ان الدين الالهي الذي يستند إلى وحي الرب الحكيم بمحض فضله ، لبعض من أعد أرواحهم القدسية لذلك من أصفياء خلقه ، قد سار

مع غرائز الجماعات البشرية في ترقيا من طور إلى طور حتى أكله تعالى لهم بالاسلام»
عند ما وصل مجموعهم إلى سن الرشد والاستقلال.

«ومع هذا الاكال بروي لنا المحدثون عن خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، أنه قال « ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه والبيهقي في المعرفة وغيرهم من حديث أبي هريرة . وأشار السيوطي في جامعه الصغير الى صحته ، والمراد بتجديد الدين تجديد هدايته، وبيان حقيقته وحقيقته، ونفي ما يعرض لاهله من البدع والفلو فيه أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته اه وموعدنا في الكلام في التجديد الديني والدنيوي القضية الثالثة هذه حقيقة معنى التجدد والتجديد ، وهي تهدينا الى ان لكل من الجديده والتقديم محلا ، وان من الجبل تفضيل أحدهما على الآخر مطلقا ،

المفاضلة بين المتقدم والمتأخر

وأما للتقدم والمتأخر من الناس فقد كانت القاعدة عند أهل العلم والادب منا تفضيل المتقدم على المتأخر ، ولكن القاعدة عند أهل التشو والارتقاء العكس، وإنما هذا وذاك بالنسبة الى جلة أهل العصر ، دون الافراد النابضين الذين قلما تجود بمثلهم الازمان، ومذهب التشو الاجتماعي ظاهر في الالتم في أطوار حياتها وقوتها، بل هو ظاهر في الدين الآهي أيضا ، فقد ارتقت الشرائع الالهية بحسب استمداد البشر حتي كان آخرها وهو الاسلام منتهى الكمال ، فجعل الله رسوله الذي جاء به خاتم النبيين ، وبعثته غنة باقية الى يوم الدين ، وأنزل عليه قبل وفاته (اليوم) أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

وقد كان بعض الادباء يفضل المتأخرين في بعض الاشياء ، وقد افتتح عنتره مسلقته المشهورة بقوله * هل غادر الشعراء من متردم * يعني ان الشعراء قبله لم يتركوا لمن بعدهم قولاً يقوله ، ولكنه هو جاء فيها بمافي لم يسبقه اليها غيره ، وقد عارضه ابن أبي حجلة في تفضيل كتابه (ديوان الصباية) على ما سبقه في مناهه يقول في خطبته : فان قلت الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ،

أقول في الحر معنى ليس في العنب ، وأحسن ما في الطاووس الذنب
وكلمة «الفضل للمتقدم» صارت مثلاً في أفواه العلماء والادباء ، ولأدري أول
من قالها هل هو عدي بن الرقاع الشاعر الأموي الذي ضمنها في شعره أم غيره ؟
وهذا شيخ صناعة الأدب الحريري قد استشهد في تفضيل بديع الزمان على نفسه
في مقدمة مقاماته بقول عدي هذا ... ثم رأيناه عقد المقامة السادسة منها لتفضيل
الطريف على التليد ، ونصر العصاميين على العظاميين . وأناي أحفظ من عهد طلب العلم
عبارة في هذا ولا يخلو إيرادها من إحاض وفكاهة . قال :

« روى الحارث بن همام قل : حضرت ديوان انتظر بالمرأة ، وقد جرى به
ذكر البلاغة ، فأجج من حضر من فرسان البراعة ، وأرباب البراعة ، على أنه لم
يبق من ينقح الانشاء ، ويتصرف فيه كيف شاء ، ولا خلف بعد السلف ، من
يتدع طريقة غراء ، أو يفرع رسالة عذراء ، وأن الفلق من كتاب هذا الاوان ،
المتكمن من أزمة البياز ، كالليال على الاوائل ، ولو ملك فصاحة سحبان وائل ،
وكان بالجلس كل جالس في الحاشية ، عند مواقف الحاشية ، فكان كلما شط القوم
في شوطهم ، ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم ، ينيء تخارز طرفه ، وتشامخ أنفه ،
أنه مخربق لينباع ، ومجروز سيمد الباع ، ونابض يري النبال ، ورايض يعني
النضال ، فلما تلت الكنائن ، وقامت السكائن ، وركبت الزعازع ، وكف المنازع ،
وسكنت الزماجر ، وسكت المزجور والزاجر ، أقبل على الجماعة وقال : لقد جئتم شيئاً
إذا ، وجرتم عن القصد جدا ، وعظمت العظام الرفات ، وافتم في الميل إلى من
قأت ، وغصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللذات ، ومعمهم انعدت المودات ، أنسيتم
يا حبايذا القند ، وموابذة الحل والعقد ، ما أبرزته طوارف القرائح ، وبرز فيه الجذع
على القارح ، من العبارات للهدية ، والاستعارات المستعذبة ، والرسائل الموشحة ،
والاساميج المستملحة ، وهل للقدماء إذا أفهم النظر ، من حضر ، غير المعاني المطروقة
الموارد ، المعقولة الشوارد ، الماثورة عنهم لتقدم الموالد ، لا لتقدم المصادر على الوارد . الخ
وللشعراء محاورات مشهورة في تفضيل الحبيب الاول أو الحبيب الاخر ،
ومن المشهور في الاول قول بعضهم :

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا
وقول آخر :

كم منزل في الارض يالفه الفتى وحنيه أبداً لأول منزل
نقل فؤادك حيث شئت مع الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
وقول بعضهم في الثاني

محا حبا حب الاول كن قبلها وحلت مكانا لم يكن حل من قبل
وقول آخر في الرد على من فضل الحبيب الاول، ولكن جاء بحجة دينيه لا غرامية،
وفلسفة دروينية لا عنصرية

أكلف بأخر من عقلت نجح لاخير في حب الحبيب الاول
أنشك في أنف النبي محمداً ساد البرية وهو آخر مرسل؟

والعدل في الحكم : أن تقدم الزمان وتأخره لا شأن لهما في المفاضلة بين الافراد،
ففي كل زمان أفضاذاً ، فالقديم كان جديداً ، والجديد يعود قديماً ، كما حققنا ،
ولله در القائل في ذلك :

قل لمن لا يرى للاواخر شيئاً ويرى للاولائل التسديما
ان ذاك القديم كان حديثاً وسيقى هذا الحديث قديماً

وانما التفاضل بين الاشياء والاشخاص يتعلق بنواتها وصفاتها ، ودرجة انتفاع
الناس وارتفاقهم بها ، فان كان للمتقدم فضل الابتكار والاختراع ، فقد يكون
للتأخر عنه فضل التحسين والاكمال الذي يتم به الانتفاع ، وقد اشتهر أن كثيراً
من المخترعات التي سبق بعض اللاتين أو الانكليز الى كشفها قد آتتها الالمان
فكان نفهم وانتفاعهم بها أعظم

القضية الثانية

(فضل الشيء في مزاياه ودرجة الانتفاع به)

جهل هذه الحقائق أو تجاهلها ادعاء التجديد ، فطلقوا يدعون الى ترك القديم لانه قديم، والأخذ بالجديد لانه جديد ، وربما وصفوا القديم بالبالي لزيادة التقيس والتبديد ، وإن كان على قدمه لا تبلى جودته ، ولا تنحط دياجته ، ولا تحب نارده ، ولا تنطفي أنواره ، كدين الله القويم ، وكتاب الله الكريم (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم)

إن تفضيل الجديد لجودته ، على القديم لقدمه ، مكبرة للحس ، وسفه للنفس ، ومصادمة للعقل ، وهو باطل بدهاة الرأي ، واجماع كل قبيل وشعب ، فإن من القديم ما يتنافس فيه خواص الناس في أرقى أم الحضارة ، فيباع بالآلاف الكثيرة من الجنبيات ، إما لقدمه ونفاسته معاً ، وإما لقدمه وحده ، وإن هذه البلاد لتفاخر جميع بلاد الحضارة بآثارها لتليدة ، وليس عندها شيء من مبتكرات حضارتها الطريفة ، وإنك ترى قصور الملوك والقيصرة وكبار الامراء والاغنياء مزينة بالصورت التي رسمها قدماء المصورين ، كما ترى على جدرانها دون أرضها أنفس السجاجيد المعجمة والشيلان الهندية القديمة

وإنك ترى دور الآثار العادية تتعالى في شراء هذه الآثار كما ترى خزائن الكتب العامة والخاصة تتعالى في شراء الكتب القديمة لكبار العلماء المتقدمين . وإن علماء هذا العصر في الغرب يشهدون لكثير من قدماء الحكماء والعلماء والشعراء بالفضل ، ويمترفون بأن منهم من لا نظير له في هذا العصر ولا شبيهه . وأما الانبياء ، وكبار القديسين والاولياء ، فلا يزال السواد الاعظم في بلاد الحضارة العصرية يفضلهم على جميع العلماء والحكماء المتقدمين والتأخرين ، ويعترف بما امتازوا به في أنفسهم وفي هدايتهم ، بل لا تزال مئات الملايين من شعوب أوربية وأمريكة تعبد واحداً منهم ، فأين تنهبون يا ادعياء التجديد الالحادي ؟ وما شأن

من تقلدون من ملاحدة الافرنج الأفذاذ مع العلم بالهضة الدينية الجديدة في أوربة وأمرىكة التي أثارها الحرب الاخيرة ؟

وإن كان كل جديد يحمى ويؤثر لجذته فاذا تقولون في هذه السموم الجديدة المخدرة للاعصاب، بل المفسدة لصحة الاجساد، المطفئة لسرج العقول، التي يوشك أن يهلك بها هذا الشعب، اذا لم تنجح حكومته فيما سعى اليه حكمدار العاصمة لدى عصبة الامم من صد تيارها، وقطع الطرق الخفية على تجارها، ومن تقليل مائتدرة معاملها في أرقى بلاد أوربة في هذه للدينة المادية الفاسدة المفسدة

وأما أحدث نظام جديد للحكومات المصرية فهو النظام البلشفي الذي ترمد منه فرائص دول الارض، وانما يتمنى له النجاح والانتشار بعض المتعلمين من إرهاب دول الاستثمار لهم، ولكن غلاة التجديد الاحاديدي مسجون به مياون اليه، ولولا عقاب الحكومة لصرحوا ببيت الدعاة له. ولولم يكن من فوائده عندهم إلا هدم هداية الدين، وتقويض أركان الفضائل وأصول الشرائع الالهية لكفى القول الحق الفاصل في الجديد والقديم

والقول الحق في الموضوع انه لا بد للبشر في كل عصر من القديم والجديد، وان في كل منهما الحسن والقبيح، والنافع والضار، وان من الناس من هو أميل بطبعه الى هذا ومن هو أميل الى ذاك من اجناس الاشياء وانواعها، وقلم يفضلها لخص جدتها إلا الاطفال، ومن على مقربة منهم من النساء والرجال. وأما العقلاء المستقلون فلا يرغبون عن النوع القديم الى الجديد الا بمرجح يرجحه عليه عملا بالقاعدة المنطقية في المتساويين. وانما تكون الجدة مرجحة في جزئيات النوع الواحد اذا كانت متساوية في مآثر حسنها، فان الجديد يكون أزهى وأبهج وأثبت وأبقى. فثال الجنس من الالاث والماعون سرر النوم، ومثال النوع منه في المادة ذوات الماسن المختلفة، وفي الشكل ذوات المودين وذوات الاربية الاحمدة. وجزئيات النوع منها افراده، والمائل لا يختار شيئاً منها لخص جدته، انما يرجحه بسبب من امباب الارتفاق والاتفاق به، إما في ذاته وإما في أمر خارج عنه، كالاقتصاد والياقة والوطنية والقومية.

من مُدُل ترجيح القديم على الجديد الذي هو خير منه في نفسه وفي الارتفاق والانتفاع به، وراء المثل المعروفة من رخص الثن وغلائه ومراعاة قدرة المفتني المالية - أن في دار الصناعة البحرية الانكليزية آلات بخارية لتقرب حديد المدافع وغيره قد حدث بمدها آلات من نوعها تدار بالكهرباء هي خير منها قوة وسرعة ونظافة - وربما كانت اقل نفقة ايضا - وم لا يستبدلونها بها لان في استبدالها بها نفقة عظيمة لاتفي بها منفعتها . حدثني الدكتور يعقوب صروف انه رأى هذه الآلات وان الدليل الذي كان يطوف به هنالك قال له ان اليابانيين تعلموا منا صنع هذه الآلات في عصر الكهرباء فجعلوا آلاتهم كهربائية فكانت خيرا من آلاتنا هذه . وان بقاء حاجتنا اليها لا يبيح لنا بذل النفقة الكبيرة التي يتقاضاها تغييرها ترجيح ماهو وطني أو قومي على الاجنبي

وأما ترجيح كل ماهو وطني وقومي على غيره من جديد وقديم فهو ركن من أركان الحياة الاقتصادية والسياسية والأدبية في جميع الأمم الحية، ولا سيما الانكليز الذين راعهم رواج المصنوعات الألمانية في بلادهم رخص ثمنها، فألفوا عدة جمعيات للبحث في أسباب تلافي هذا . وقد سألت في بعض صيدليات برلين ومونيخ عن علاج افرنسي من العلاجات التي أحلها في السفر، وأقنيتها في الحضر، لمروض الحاجة اليها فجأة في بعض الاوقات ، فكان الجواب في البلدين واحداً وهو « هذا لاتيني ، هذا لاتيني » لم يقولوا انه غير موجود بل ذكروا سبب ذلك وهو انه من صنع اللاتين لا من صنع الجرمان . ثم استبدلت به علاجاً ألمانيا خيراً منه فيما وضع له . ولو وجد علاج مصري أو عربي يقوم مقامها لفضلته عليهما

بمثل هذه القومية والوطنية ارتقت شعوب الغرب بأبنائها، الباربن بأقوامهم، المعتزبن بأوطانهم، فهم يفضلون كل ماهو لهم من صناعة وتجارة وتشريع وغير ذلك من مقومات الأمم ومشخصاتها على ماهو لغيرهم، فأحكام قضاة الانكليز القدماء وقرارات نوابهم من أصول التشريع عندهم، يحافظون عليه أشد من محافظتنا على الاحكام التي تؤمن بأنها منزلة من عند الله تعالى . بله الاحكام الاجتهادية التي

استبظها اثنتان من نصوص شريعتنا وقواعدها . وقد سبق أسلافنا الافرنج الى الاعتزاز بما لهم من تشريع وغيره في صدر الاسلام . ومن ذلك ما وقع لعمرو (رض) مع معاوية لما جاء الشام لابسا مرقمته، مرتحلا ناقته، إذ قال له معاوية: يا أمير المؤمنين ان أهل الشام قد اعتادوا ان يروا حكامهم في ملابس فاخرة فهم لا يهابون من يكون متبذلا في لباسه وزيه، فقال له عمرو (رض) نحن جئنا لتعلمهم كيف نحكم ، لا لتعلم منهم كيف يحكمون

ومن ذلك أمره (رض) لقواده وعماله في بلاد الاعاجم بالنزاع الذي العربي . فقد كتب الى عامله في بلاد الفجج (عتبة بن غرقد) كتابا ينههم فيه عن زي الاعاجم ويأمرهم بالحفاظة على عاداتهم العربية ، وعما قاله في كتابه: تمعدوا - أي تشبهوا - بمجدكم معد ابن عدنان في شدته وبأسه وخشونة ميثقه - فالعديون في العرب كالاسبرطيين في الاغريق - تمعدوا واخشوشنوا وابرزوا واقطعوا الركب (أي ركاب الخيل) وارموا الاغراض وعليكم بالشمس فامها حام العرب وإياكم وزى الاعاجم . الخ وقد حفظ العرب شخصيتهم القومية في الممالك التي فتحوها ماداموا متسكنين بهذه الوصايا وغيرها من مقوماتهم ومشخصاتهم ولا سيما لغتهم ودينهم، فكانت الامم تندغم فيهم وتتعرب وتسلم ، ومن تركها منهم ذاب واندمغ في غيرهم من الشعوب وقد قلد الافرنج أجدادنا في هذه السيرة ولا سيما الانكليز . وأدعياء التجديد الالحادى يحاولون اقناعنا بان ننسلك من ذلك كله حتى أحكام الميراث التي خالف الانكليز فيها جميع شرائع الامم كحيازة أكبر الذكور من الاسرة لجميع ما يتركه أبواهم من العقار دون سائر اخوته من بنين وبنات

احتقار الملاحدة والقبط للمسلمين بدعوتهم الى ترك شريعتهم

وأما نحن المسلمين في هذه البلاد فقد بلغ من احتقار أدعياء التجديد لما أن يجهر الملاحدة والقبط ماعلى أعواد المنابر في المدارس الجامعة بدعوتنا الى ترك ديننا وشريعتنا كلها، لا إلى ترك أحكام الارث وحدها ، ذلك بانهم احتجوا علينا بان الحكومة تركت أحكام شريعتنا في كذا وكذا من العقوبات والاموال فسكتنا لها وقبلنا حكمها، فيجب علينا إذا أن نترك سائر ما شرعه الله لنا من الاحكام.

الشخصية في الارث والزواج والطلاق، اذ لا فرق عند هؤلاء المذنبين المجددين بين النوعين من احكام الشريعة

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس بل لم يقفوا عند هذا الحد من احتقارنا بالظن في شريعتنا الالهية الفراء، العادلة الكاملة البيضاء، من أعلى المنابر، وعلى صفحات المجلات والجرائد، حتى زعموا أن جميع شباننا المتعلمين أو سوادهم الاعظم يوافقهم في آرائهم، ويدين لهم بالزعامة في تجديدهم، بل استخف للمسلمين أجرؤم على الجهر بالسوء فيهم وفي دينهم^(١) فطفق يشتمنا ويشتم كل من يدافع عن الاسلام في مصر. وفي غيرها وهو من غير أصلا بقراعة آلهة المصريين الاقدمين، التي يوجب عليها في تجديدها أن ترجع إلى مدينتهم وإن صر عليها ألوف السنين. ويخص الكتاب السوريين المسلمين بالقدح والتفريق بينهم وبين المصريين، فالدنية الفرعونية الوثنية لا تنافي التجديد المطلوب لمصر عنده، وإنما تنافيه الشريعة الاسلامية والحضارة العربية لأنهما قد يتان باليتان بزعمه وزعم حزبه. وصرح في آخر مقال نشره في هذا الموضوع بأن النمرة الدينية التي انتصرت بها مجلة المنار على مجلة الجامعة قتلتها « فكان الشباب المصري هو الخاسر بذلك » قد زالت في هذه الايام بزوال سذاجة البلاد التي كانت « تجوز عليها هذه الاوهام » وحاول في هذه المقالة أن يجهز على هذه الاوهام الاسلامية، بتحريك النمرة الوطنية المصرية الفرعونية، التي تأتي دخول آل الرافعي في جنسية مصر، ولعل تاريخهم فيها يقارن تاريخ بيت الملك، وينفي بالاولى جنسية هذا الواقف بين أيديكم أيها السادة لان تاريخ هجرته اليها لا يزيد على ثلث قرن، وهو يحرم عليكم قراءة مجلته المنار الاسلامي بل السماح ببقائها في

(١) هو شاب قبطي اسمه سلامة موسى شديد الشئان للاسلام والظن فيه من طريق الاحاد والاباحة والنصية الوطنية الفرعونية أي القبطية. ولم أذكر اسمه في المحاضرة تنزهًا عن الاشادة باسمه - ومن غريب المشاكاة في الاحاد ان صاحب مجلة عربية من بيت كرم في سورية جاء مصر فكان هذا للقبطي وبعض قرأته الملاحدة محل مودته وعجابه وما زال ينوء بهم في مجلاته

مصر إذ يقول في آخر هذه المقالة : فلنهمم واجبتا ولنعلم أن الوطن خالد ، وأن شيوخنا وشباننا مصريون قبل كل شيء . عليهم واجب محثوم يقاضهم إياه شرف البلاد . وهو أنه يجب أن تكون الصحافة المصرية صناعة مصرية لا تنحصر مصريتها في أن يكون قراؤها مصريين . بل يجب أن يكون أصحابها ومحرروها مصريين أيضاً » اه بحروفه .

ولهذا المجدد الذي كان أول داع إلى مساواة النساء بالرجال في الميراث في العهد الاخير من مجلته هذه دعاية جديدة إلى بث دين البالية البهائية في مصر مع تبصيرهم بأنه لا يؤمن به وتعليله ذلك بقوله « قال لنا من المزاج الادبي الفلسفي ما يجعلنا ننلس لأنفسنا صوفية عالمية بنير الدين » (ولكن غرضه من الدعوة إليها صرف بعض المسلمين بها عن الاسلام لاضاف جامعته الخائلة دون جمل مصر فرعونية اي قبطية محضا . ولم أصرح بهذا التعليق في المحاضرة)

أيها السادة

انني أذكر هذا لانه من موضوع التجديد والمجددين الذي نعالجه لبيان حقيقته ، والتمييز بين حقه وباطله ، ومحاولة اتقاء ضرره ، كما قدمت في أوائل هذه المحاضرة ، فأنا أمر بسبه وقذفه كريما بسلام كما افقه أمر في القرآن ^(١) واتقي قول

(١) اشارة الى قوله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقوله بعده (وإذا مروا باللغو مروا كراما) وقد فهم الجمهور من الآية الاولى أن فيها إشارة لطيفة لاسم سلامه هذا . وقد صرحت في المحاضرة بزيادة عما هنا ومنها طعن هذا القبطي بالإمير شكيب أرسلان لدعائه عن الاسلام ونبره بلقب « وغد » وقالت إن اللغو في اللغة هو الذي من الرجال الذي يخدم بطعام بطنه . والإمير شكيب ثابتة بني أرسلان ، من سلائل ملوك العرب وأمرائهم من قبل الاسلام ، وهو يعيش في أوربة مع أهل بيته عيشة الكبراء ، ويزوره في داره ويأكل طعامه الملوك والأمراء والوزراء . (وازيد الآن في هذه الحاشية أن من ضافه داره في لوزان ملك الافنان السابق وخديو مصر السابق وغيرها وآخرهم جلالة ملك العراق ومن كان معه في أوربة من وزرائه وحاشيته في صيف هذا العام)

رسول الله ﷺ « المستبان شيطانان يتهاوران ويتكاذبان » رواه الامام احمد والبخاري في الادب المفرد . ولا أريد أن أخوض مع الخائضين ، في مسألة القبط والمسلمين ، والعرب والفرعونيين ، وإنما غرضي أن أنه هذا الشباب المصري الاسلامي لما يتنازعه في دينه ولغته وثقافته من عوامل الالحاد والفرعونية ، برقيتي التجديد والوطنية ، لتجريده من هداية دينه وأدبه وتشريفه وعريته وماله في الاسلام والعربية من تاريخ مجيد ، وماله باسلامه وعريته من زعامة في مئات الملايين من البشر ، لتكون غاية ذلك أن يصير مسلمو مصر بنفوذ شبانهم ملاحدة حائرين ، يتلمسون صوفية عليية بغير الدين ، يتكلفون لمسها وهيات أن يجدوها ، أو يكونوا بابين يعبدون البهاء دفين عكاه ، أو نصارى كسادة وطنهم من القبط وأعوانهم يعبدون المسيح عليه السلام .

وكل هؤلاء الدعاة إلى التجديد الالحادي يعتمدون أن هذه هي العاقبة الطبيعية للالحاد ، كما قرره أحد كتاب فرنسة المستعمرين في كتاب جديد له رددت عليه في المنار . قال ما خلاصته ان تنصير المسلمين تنصيراً مباشراً من المحل ، وإنما الطريقة المثلى لذلك إفساد دينهم عليهم بالالحاد ، ولما كان من المحال أن تعيش أمة بغير دين كانت العاقبة بعد زوال كل أثر للاسلام من أنفسهم ، أن يختاروا دين الغالين السائدين فيهم وفي غيرهم ، وهو النصرانية .

وقد رأيت في هذه الايام كيف جدد الاستاذ عزمي دعوة الاستاذ سلامه نموسى إلى نبذ حكم القرآن في الميراث وكيف قام الدكتور فخري بمز هذه الدعاية ، وشعتم وقرآهم ما يحبون به على المسلمين ويعتمون به شبانهم النافلين ، عما يراهم . وهو ان ترك الحكومة من قبل لبعض أحكام الاسلام المدنية والجناائية يوجب عليهم أن يتركوا سائر أحكامه حتى المسائل الشخصية (لها بقية)

(أ) كان بعد هذا ان دعيت لجنة الخطابة والمناظرة في الجامعة المصرية الى مناظرة في المفاضلة في هذا الموضوع (المفاضلة بين المدينتين العربية والفرعونية) فكان لي الفلج بترجيح العربية على الفرعونية وتقدم ذكر هذا في المجلد الماضي من المنار (٣١)

المناظرة بين أهل السنة والشيعة

قد اطلع قراء المنار في الجزء الثامن (٣١ م) على الكتاب الذي نشرناه للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين من أشهر علماء الشيعة الامامية في هذا العصر الذي يطلب للمناظرة - وعلى اجابتنا إياه الى طلبه وما اشترطناه فيها ، وقد جاءنا بعد ذلك الرسالة الآتية منه فاذا هو لم يلزم فيها الشروط فكان لنا أن نطلب منه حذف ما ليس من الموضوع الذي حددناه وان كان يمت اليه بنوع من انواع القرابة او المناسبة ، واذا يظن في الظنون ، ويفتح له باب من النقد يقبله الكثيرون . وانني أشر له هذه الرسالة على كونها كثرة خارجا من دائرة الموضوع ، ومتقدمة من عدة وجوه ، وإعلانا عن كتابه بالاحالة عليه و بيان موضع بيعه ورخص ثمنه . ولكنني أعلق عليها تعليقا وجيزا اعود فيه الى تحديد موضوع المناظرة ولا أقبل بعده كلمة تخرج عن حدودها وهذا نص رسالته

﴿ الرسالة الاولى للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جرت مناظرة بيننا وبين الاستاذ العلامة الامام حضرة صاحب مجلة المنار القراء ونال كل منا صاحبه بما جرحه فرأينا أن ذلك يحول دون الغرض الذي يؤمه أهل الدين والعقل من احقاق الحق وجملة الضالة المذسودة لهم فكتببت اليه راجيا منه فتح باب في المجلة نذكر فيه السائل الهامة بين الطائفتين ورأي كل منهما ما ودليله فحقق رجائي وكان عند حسن ظني واتخفي بكتاب ملاء حنانا وغيره على الدين وأهله، ولا عجب إذا جاء الشيء على أصله وخرج الجوهر من معدنه وأرجو ببركة هذه المجلة ونية صاحبها أن تقف على فوائد جمة ونهتدي إلى كثير مما خفي علينا علمه وبمعرفته، فنحن بلسان أهل الحق والفضل نشكره شكري جزيل ولا ودع عنك قول بعضهم دعوا البحث فيما يتعلق بالدين والمذهب وهلم إلى التعاون على توخيد الكلمة وجمع الامم قبالة للمستمرين فان ذلك لغو من القول وخطل من الرأي وكأنها مقالة من لا يرى الاسلام

دينا، ولا يرى ان هناك حياة أخرى خالدة غير هذه الحياة، وإنما يرى الاسلام رابطة قومية وجامعة سياسية فهو يدعو اليها ويحض عليها وهذه الدعوى لا تجدي نفعا عند من يرى الاسلام ديناً ويتقرب إلى الله سبحانه بنصرته ومعاداة من يمس به سوء. فالدواء الناجع إذا لتوحيد كلة المسلمين وضمهم تحت لواء واحد هو سمي عقلاء العلماء (أي علماء الدين) من كلتا الطائفتين إلى محل الخلاف وفحصه وإزالته بالبرهان واصفاء كل منهما لحجة الآخر وتحكيم أهل الفضل والانصاف، ولا ينبغي وضع هذا العبء على كاهل العلماء فحسب

بل على العقلاء ممن يهيمهم أمر المسلمين القيام مع العلماء مراقبين سيرهم في المناظرة فإن الحق لا يخفى على طالبه، وانني لا انكر أن يكون في علماء الطائفتين من تهمة نفسه ولا يعيل إلى الاتفاق لما اعتاده من التعصب الاعمى فعلى العقلاء من كلتا الطائفتين رفض اولئك والتنبيه لهم

وليت شعري كيف يمكن الاتفاق بين هاتين الطائفتين قبل دفع سبب الخلاف

ان الشيعة من المسلمين يرون ان من أرسى قواعد الاسلام وأقوى دعاؤه

موالاة أهل البيت والاهتداء بهديهم والعمل برأيهم وحديثهم، وان التحرف عنهم النابذ لحديثهم المتهدي بخلاف هديهم غير متبع سبيل المؤمنين، ويرون ان أبناء السنة من المسلمين منحرفون عنهم فيبذم عليهم وحديثهم واعراضهم عن مذهبهم فهم على غير سبيل المؤمنين

وان المسلمين من أهل السنة يرون ان أرسى قواعد الاسلام واوثق عراه موالاة أصحاب رسول الله جميعهم والعمل بكل ما حدثوا به لانهم حملة الدين وحفظه الوحي ومبلغوه إلى الامم فالمنحرف عنهم التارك لحديثهم غير متبع سبيل المؤمنين، ويرون ان الشيعة منحرفون عن أصحاب رسول الله ﷺ ولتركم حديثهم واقطاعهم الى أهل البيت فهم على غير سبيل المؤمنين

فعلى هذا كيف يشترك المستمسكون بالدين منهما بالعمل باخلاص ونصح سالم يقع التفاهم بينهم ؟

فلو أن شخصين متعادين سارا في طريق واحدة لم يجدهما فغماً إظهارهما
المجاملة وقول كل واحد منهما لصاحبه : دع العدا بيننا جانباً وهلم فلنكن يداً
واحدة على من سوانا . فان ذلك غير مستطاع لهما ، واعنادهما في التعاون على ما أظهره
من المجاملة والاتفاق غرور وأمان باطلة ، فلو ظفر بهما عدو لهما على هذا الحال ثم
استعان بكل واحد منهما على صاحبه لأغانه

فعلى هذين الرقيقين أن يقتلها . بسب العدا من عروقه ويعترف كل واحد
منهما لصاحبه بما جناه ويعطيه يده لياخذ بحقه حتى يرضى ، وعندها تذهب الشجاعة
ويحل محلها الود والائمان

أما انا فلهذا يدي رهن بما اقوله معطاة لمن يريد بها وما توفيقي اذ بالله

(علم علي وعمر (رض) بالدين والقضاء)

ذكرت مجلة الشبان مقالا وهو ان عمر كان أعلم الصحابة بالدين وأفهمهم
فيه ^(١) وردته مجلة الامر فان بقولها : ان هذا مناف لقول النبي ﷺ « أقضاكم علي »
وقواه « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ولقول عمر : لولا علي لم لك عمر ، ولا بقيت
القضية ليس لها أبو الحسن . واد الاستاذ العلامة صاحب المنار في الجزء الرابع من
المجلد ٣١ ص ٢٩٥ هذه الادلة وعنون المسألة بهذا العنوان

وحاصل الردان ماروي عنه ﷺ من الحديثين غير صالح للاستدلال به
لمدم صحة ماروي وعلى فرض صحته لا دلالة فيه على المطلوب اذ كون علي أقضى
لا يمنع أن يكون عمر أعلم لان القضاء أعني فصل الخصومة لا يحتاج الى كثير علم ^(٢)
وانما يحتاج الى ذكاء وفطنة فين الأعلم والأقضى عموم وخصوص من وجه .
وكذلك جل علي (ع) باب مدينة العلم لا يوجب الحصر لجواز ان يكون المدينة
ابواب كثيرة منها علي (ع) ومنها عمر (رض) ومنها غيرهما . وكذلك قول عمر
انما جاء على نحو التواضع . ثم أطال البحث في احوال الرواة لهذين الحديثين وتضعيفهما

(١) المنار : الصواب ان مجلة الشبان المسلمين نشرت مقالا في عمر (رض) .
فيه كلمة بهذا المعنى ولم يكن هذا موضوع المقال (٢) لم قل انه لا يحتاج الى كثير علم

أقول : ما أحسن المناظرة اذا كانت بآدابها ، وصحت نية أربابها و كان الحق ضالّتهم ، والبرهان قائدهم ولننضي عما في هذا الجزء من الشتم والتجمل كما تضمنته رسالة ابن تيمية ، ومقالة الاستاذ التي عنوانها (السنة والشيعة وضرورة اتفاقهما) فانها كتبت قبل الصلح والمسالمة . وقبل الخوض في البحث تقدم بيانا يعلم منه مناظرنا كيف يسير معنا في المناظرة

رأي الشيعة في الخلافة

ان المسلمين من الشيعة يرون أن الخلافة أصل من اصول الدين كالنبوة وان نصب الخليفة واجب على الله عقلا من باب اللطف كوجوب إرسال الرسول ويرون ان الخليفة لا بد أن يكون أكمل اهل زمانه في جميع فنون الفضل كالنبي وان امتاز النبي ﷺ عن الخليفة عندئذ بأمر كثيرة . ويرون أن الخليفة بهد رسول الله ﷺ هو علي أمير المؤمنين (ع) فهو أفضل اهل زمانه

رأي السنة في الخلافة

ان المسلمين من السنة لا يرون الخليفة بهذه العظمة فهي عندهم فرع من فروع الدين فيجب على المسلمين ان يختاروا من بينهم خليفة ولا يشترطون امتيازهم عن غيره في الفضل والصلاح ولعل اكثرهم لا يشترط فيه الصلاح والعدالة فاذا عرفت ذلك ظهر لك ان الشيعة حين ينكرون ان يكون احد من الصحابة أفضل من علي (ع) او مساويا له انما هو لما فاته لأصل الدين وقاعدة المذهب عندهم . وقد فرغوا من اثباته بالحجج القاطعة والبراهين العقلية والنقلية وألغوا في ذلك الكتب المطولة ، فمن يجهل رأيهم في الخلافة ولم يطالع ما كتبوه في ذلك مع وفوره وقرب مثالة يظن أن ذلك منهم غلو في علي وانحراف عن غيره وليس كذلك

إن العالم الشيعي ينظر إلى التفاضل بين علي (ع) وعمر (رض) كأهم مسألة دينية والعالم السني ينظر إلى التفاضل بينها كسألة تاريخية ، وحيث كان البحث في التفاضل من الوجهة الدينية يحتاج إلى البحث في أصل الإمامة وهي مشكلة ضافية الذيل فسيحة الارحاء لا تسهها هذه العجالة فلنبحث الآن عنهما من الوجهة التاريخية ونعرض

ما عندنا في ذلك على أهل الفضل والانصاف
انني وأيم الحق لم يكن يختلج في صدري ان أحداً من أهل الفضل يقدم أحداً
من الصحابة على علي (ع) في العلم أو يساويه فيه ، وكنت أرى أن هاتين الصفتين
أعني الشجاعة والعلم قد كلتا فيهما امتاز بهما عند أوليائه وأعدائه ، وإن صفة
العلم فيه أظهر من صفة الشجاعة لسبقه فيها سبقاً بعيداً

هذا كتابه قرآن العارفين ورفقان السالكين تجلي آياته وتتلأأ أسرارها ،
وما أخال حضرة الامتياز يرتاب فيه كغيره بعدما أورده أستاذه ذلك الخبر الكبير
المخير المذهب من مشاريه ، وأوقفه على تلك الالاهيات عن عجائبه

اتنا لمر الحق أبعد المسلمين عن العصبية ، وأقربهم للاتفاق ، وأحبهم
للانصاف ، وما الحيلة في ترك ولاء هذا الرجل (أعني أمير المؤمنين علياً) وقد
تجلى لنا تقدمه في الفضل على كافة أصحاب رسول الله ﷺ وسبقه لم فيه سبقاً
بعيداً ، واتنا لنعجب لبعض العلماء من اخواش السنيين كيف لا ينصفوننا في
علي (ع) ولا يرون رأينا فيه ، وما لنا لانعجب ؟ وانما هذا الفضل له أخذناه
منهم ، ورويناه عنهم

فن عدم انصافهم ماذ كره هذا البعض من ان عمر أعلم الصحابة ومنهم علي
(ع) وهنا موقف الحيرة فان سكتنا كان ذلك اقراراً منا باخطأ وفساد المذهب ،
وان أوضحنا الحق في المسألة ونصرنا رأينا قامت القيامة علينا وورينا بالرفض والقول
والتهصب على أكابر الصحابة

لكننا نؤثر احقاق الحق ونحتمل في سبيله كل مكروه ولعلنا لانعدم من
اهل الفضل والانصاف أنصاراً ومحكمين

اعلم أيها الاخ المنصف ان لنا على تفضيل علي على عمر (رض) وعلى كافة
الصحابة (رض) براهين قاطعة من طريق العقل ومن طريق الرواية أما من
طريق العقل فيحتاج ذلك الى معرفة الزمان الذي تلقيا فيه ذاك التلميذان العظيمان
(أعني علياً عليه السلام وعمر رضي الله عنه) العلم عن مملهما أعني رسول الله ﷺ
ومقداره ومنزلة كل واحد منهما من الفطنة والذكاء وعندهما تصدرا الحكم غير مرتاب

زمنه اسلام عمر رضي الله عنه

أسلم عمر رضي الله عنه في السنة السادسة من بعثته ﷺ وعمره ست وعشرون سنة فعليه يكون قد قطع مرحلة من عمره في غير طلب العلم لا يستهان بها فإذا أضفت إليها ثلاث سنوات لم يلق عمر فيها رسول الله ﷺ إلا نادراً وذلك عند حصار قریش لبني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب رضي الله عنه تراه قد خسر أكثر رأس ماله الذي يتجر به الإنسان في كسب العلوم والمعارف وذلك ظاهر لأن الزمان الذي يستفيد منه المرء ويتعلم به هو زمان الصبا والشبيبة وبها تكون القوة إذا كرهة والحافظة في متعها النور والنشاط والاستعداد لتلقي العلوم والمعارف وما سمعنا بمن طلب العلم عند بلوغ هذا السن أعني تسعا وعشرين سنة وبرع فيه وإن كان نعمة أحد فهو من شواذ الطبيعة ومنكر ذلك مكابر وحائد عن طريق الانصاف

خصوصاً في الصدر الاول أعني زمن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقد كلن الاعتماد على الحفظ والذاكرة ولم تكن يومئذ المعلومات تدون ليؤمن تفلتها وضاعها فكان أعلمهم أكثرهم حفظاً وأقوام ذاكرة ولولا حرص التابعين على حفظ الحديث وتدوينه لما وصل البنا من علمهم شيء

ولقد كنت زمن شبيتي أتعجب من كل من يقول نسيت فاني لم أكن لأنسى شيئاً سمعته أو قرأته وبعد بلوغي الثلاثين انقلب الامر وأصبحت أعجب ممن يحفظ ولا ينسى ولم يبق في ذاكرتي غير ما استودع بها زمن الصبا والشبيبة وما شكوت هذا الداء لاحد من أبناء جيلي الا وشكالي نفس ذلك الداء الذي أشتكيه ويؤيد ذلك ماروي في سيرة عمر رضي الله عنه انه لبث في حفظ سورة البقرة وتعلمها اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا (١)

(١) روى ذلك العلامة المتبحر عز الدين بن أبي الحديد في شرح النهج جزء ٣ صفحة ١١١ وهذا الكتاب جليل القدر جرم القوائد يدل على غزارة علم صاحبه وقدمه في كثير من فنون الفضل ولا سيما الحكمة والكلام والتاريخ والحديث والادب وهو شديد الولاء لعمر رضي الله عنه طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٩

ولم يكن عمر رضي الله عنه يعرف بالصحة لرسول الله ﷺ والاتصال به قبل اسلامه يستفيد من علومه

نمن نعلم علي عليه السلام

لا يرتاب أحد من راجع أحوال الصحابة وقرأتاريخ حياتهم في ان رسول الله ﷺ ضم علينا اليه وأخذ من أبيه وهو ابن أربع سنوات (١)
وهذا هو اول الزمن الذي يتأهل الغلام فيه لتعلم مبادئ العلوم وتلقي بذور الاخلاق الطيبة والطباع الفاضلة ، وبما أسعد ذلك الغلام الذي يظفر بمثل ذلك المعلم في مثل ذلك الزمان وينقطع اليه عن أبيه وأمه واخوته وكل أبناء جيله ثم لا يفارقه مدة حياته يخرج لهذا الغلام

ومن يستطيع تحديدا استفادته ووعاء قلبه وطبعت عليه نفسه من العلوم والاخلاق وقف القلم هنا بعد نخوته معترفا بالمعجز عن هذه المهمة من التحديد فأين ربانيو هذه الامة والراسخون في العلم منهم عن تحديدها وبيان مقدارها ؟
مل بنا نحو تلك الخلوات التي كان يكون بها مع معلمه ﷺ قبل بعثته .
كان رسول الله ﷺ قبل بعثته قد نبعه الوجد وأورثه ذلك وحشة من الناس محو أنسا بالخلوات والانتقطاع عن هذا الخلق المتعوس المتردد في ديامم الجهل والشقاء ، الثاني عن الخير والسعادة ، فكان يجاور في كل سنة صراومه هذا الغلام

(١) ذكر الامام الحافظ ابن حجر في الاصابة صفحة ٥٠٤ ان عليا رضي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه وكذلك كافة المؤرخين ممن عرفناه كالطبري وابن الاثير وابي الفداء وقد أشار عليه السلام الى ذلك بخطبته التي تسمى بالقاصعة بقوله وقد تعلمون موضعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرابة القرية والمنزلة المحصية وضعني في حجره وأنا وليد يضمني الى صدره ويكنني فراشه ويمسني جسده ويشمني عرقه وكان يمسح شيتا ثم يلغمينه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل وكنت أتبعة اتباع القصيل إثر امه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاعتداه به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراء ولا يرام غيري الخ وقد أشبعنا ذلك بيانا في الجزء الاول من كتاب الكلمات ص ٤١
فمن شاء فليراجعه ويطلب من ادارة العرفان من صيدا بقيمة زميده

الشهرين والثلاثة يريض تلك النفس الزكية ويؤهلها لوصول ذلك الحبيب الذي هام به
وكان علي عليه السلام بهم بذلك الحبيب كقيام معلمه ويشاركه في خلواته
به وانسه بقربه وتلقى فيوضاته والطفه لاثالث لها

فأين الاصحاب رضي الله عنهم عن تلك المراتب السامية من هذه المكاشفات
والشاهدات ظاهريتها التي كانت تتجلى في قلوبها وتتألف على طور سيناء نفسيهما
ولا تمجب بعدها من أسر هذا الغلام كيف فارق أهله وأخوته وأرابه وانقطع
الى معلمه ولم تل به الحداثة الى الاخذ بنصيه من القرب واللهم وهو منتهى لذة
الاحداث وقصارى رغبتهم

فلقد ملئ قلبه بحب خالقه ولم يبق فيه فراغ لسواه ف سبحان واهب العطاء
يخص بكرامته من يشاء ، أظن رعاك الله أن ساعة من الزمن كانت تمر على هذا
التلميذ بغير فائدة من ذلك العلم الحريص (١) على التلميز
فلو ادعى مدع كهذا التلميذ بمد وقاة معلمه انه وارث علمه أنكون دعوى غلو
ومجازفة ام دعوى حق وانصاف ؟

وقد تبين مما ذكرنا أن عليا عليه السلام تعلم العلم من رسول الله ﷺ من
الصبا والشبيبة بخلاف عمر رضي الله عنه وان عمر ابتدأ بالتعلم من رسول الله ﷺ
مع علي بعد أن سبقه وتعلم قبله بخمس عشرة سنة على أقل ما روي من عمره يوم
بعثته ﷺ وهو عشر سنين ، وأما علي ما روي من أن عمره يوم البعثة كان خمس
عشرة سنة فيكون قد سبقه بعشرين سنة فما يقال لهذا التلميذ الذي دخل المدرسة
وابتدأ بالتعلم وهو ابن تسع وعشرين سنة ولم يكن (٢) معروفا بمعدة الدهن وتوقد
(١) روى في كثر الاعمال على هامش مسند احمد ص ٣٤ ان عليا سئل
عن كثرة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت اذا سألته أنبأني
واذا سكت أبتدأني

(٢) روى الحديث الجليل الموثق عند اخواننا وهو محمد بن سعد في الطبقات جزء ٣
صفحة ٢٧٣ باسناده عن أبي هريرة قال قدمت على عمر رضي الله عنه من عند
أبي موسى بن النعمان قال لي بما قدمت ؟ قلت بنمائة ألف درهم فقال لي
ألم أقل لك انك يا أحمق انك قدمت بنمائة ألفا . قلت يا أمير المؤمنين انما قدمت =

القرينة ، ثم سحب تلميذاً شاباً قد تعلم قبله بخمس عشرة سنة ودأماً يتعلمان مدة حياة معلمهما ، فهل يجوز في أحكام القول عند أهل الفضل والانصاف أن يلحق الكهل بذلك الشاب ويفوقه بالعلم والمعرفة خصوصاً إذا كان الشاب أقوى فطنة وأكثر ملازمة واقطاعاً إلى المعلم ؟ كلا ثم كلا

وهذا لمعري من البسيطات الأولية ، واعلم رعاك الله أيها الأخ المنصف أننا هنا لا نعتمد في تفضيل علي عليه السلام على كافة الصحابة رضي الله عنهم إلا على أمثال هذه البراهين القاطعة والأمور المحسوسة التي سجلها التاريخ وأوضحها البحث والتنقيب والتدبر . أما الأحاديث التي وردت في فضله عليه السلام فأنما تذكرها تأكيداً واستظهاراً قبالة الخصم ، وهذه طريقتنا في الاصحاب رضوان الله عليهم لا نعتمد في فضلهم وصلاتهم على ما روي فيهم حتى نرى مادون لم في التاريخ من الأعمال ، فإن كان ثمة عمل يؤيد ما روي فيهم آمناً وصدقنا ، والا أنهينا الراوي ولم تؤمن بحديثه

ولسنا بمحمد الله ممن يبغض الناس أشياءهم ، بل نعطي كل ذي حق حقه وننتعز الرء بما هو فيه ، إن لمعري بن الخطاب رضي الله عنه وجهة كان يؤمها ، وفاية كان يسعى إليها هي من أشرف النيات وأعلى المقاصد

= ثمانمائة ألف درهم فجعل يحجب ويكررها فقال ويحك ولم ثمانمائة ألف درهم ؟
فعددت مائة ألف ومائة ألف حتى عدت ثمانية

وروي أيضاً أنه قرأ قوله تعالى (وقاكة وأيا) فقال ما الالب هو البكف فما عليك أن لا تدري ما الالب . وروي أحمد في مسنده أن عمر رضي الله عنه لم يعرف حكم الشك في الصلاة صفحة ١٩٠

وروي فيه أيضاً أنه أمر بجمع مجنونة زنت فأتزعا منه علي عليه السلام وأخير عمر يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن الصبي حتى يكبر وعن الثائم حتى يستيقظ وعن المبطل حتى يحلل » فرجع إلى قوله وروي أبو الفرج في الجزء الثاني من كتابه الأغاني صفحة ٣٥ أن الزبير بن العبد شكك إلى عمر رضي الله عنه الخطيئة الشاعر حين هجاء فقال ما قال لك فأنشد

دع المكارم لا تنهض لينبتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
فقال ما أراه هجاء فقال بل هجائي يا أمير المؤمنين فسال حسان فقال بل سلح عليه

ألا وهي اعزاز الاسلام واظهار أبهته وعظمته وتفخيم سلطانه ، فن ذلك يوم أسلم قال لا يعبد الله بعد اليوم سراً فكان المسلمون بعدها يصلون ظاهرياً ومنها أنه أشار بأن يتخذ لرسول الله ﷺ مكاناً يمتاز به عن أصحابه ليعرفه الغريب والوافد ولا يحتاج إلى أن يسأل عنه فان في السؤال عن العظيم مالا يخفى ومنها أنه أشار بأن نهج نساؤه ﷺ ليكون لها الميزة عن سائر النساء ولقد قال لبعض نساء رسول الله ﷺ وقد رأى شخصاً في ملا من الناس لو اطعت فيكن ما رأتكن عين

ومنها أنه أشار بقتل الاسرى يوم بدر حتى لا تقوم لعريش بعدها قائمة فان الاسرى كانوا هم الرؤساء والقادة ، وكان يسأل رسول الله ﷺ أن يُلْذَنَ له بقتل كل من يداهن في دين الله ، وكان شديد الحرص على قتل أبي سفيان لما رآه من شدة كيدته للاسلام ، وكان يوم الحديبية شديد الانكار للصلح قال يا رسول الله ألسنا بالمؤمنين ؟ فقال نعم فقال اليسوا بالمشركين ؟ فقال نعم فقال فكيف فطلي الدين من ديننا ؟ حتى سكن ابوبكر من هيجانه فقال له والله انه لرسول الله ، فقال عمر وأنا أعلم والله انه لرسول الله ، فقال له اذن فازم غرزه

وهذه الاعمال ما نشأت إلا عن نية صالحة وحرص شديد على اعزاز الاسلام وتشديد سلطانه ، ولو أردنا ذكر الاعمال التي قام بها ايام خلافة ابي بكر رضي الله عنه وايام خلافته التي أعزت الاسلام وبرزت قواعده ونشرت على البسيطة اعلامه ، وطبقته بسلطانه ، لصاقت عنها بطون الصحف واستغرقت زمناً طويلاً فجزاء الله عن الاسلام وأهله خيراً

صاحب الكلمات

النبطية (سوريا) عبد الحسين نور الدين الحسيني

[المنار] يؤخذ من هذه الرسالة الفصيحة الصريحة المجردة من لباس الرياء والتقية ان كاتبها يتمتع بما يلي

(١) ان توحيد كلمة المسلمين واتفاقهم على الدفاع عن دينهم المشترك وعن أنفسهم وعلى حقوقهم السياسية والوطنية وغيرها يتوقف على زوال الخلاف المذهبي بين أهل السنة والشيعة ، يرجوع أحدهما الى المذهب الآخر الذي هو سبيل المؤمنين

عنده ، ومن لم يتبعه يكون غير متبع لسبيل المؤمنين . وأنه يجب على الآخر حينئذ عبادة في الدين ، وعدم الاتفاق معه على شيء ولو كان دفع عدو لها كليهما ، بل ان شأتهما أن يعين كل منهما عدو الآخر عليه ، وكذا عدوهما كليهما ، أي ان مظاهره عدو الدين والوطن والاتفاق معه أولى من مظاهره عدو للذهب والاتفاق معه (٢) ان الوسيلة الموصلة الى هذه هي سعي علماء الدين من الفريقين الى ازالة أسباب هذا الخلاف بالبرهان ، واصفاء كل منهما الى حجة الآخر في المناظرة وتحكيم أهل الفضل والانصاف بينهما فيما لا يتناصفان فيه

فأنا قبل الدخول في هذه المناظرة أقول ان اهل السنة ينكرون توقف الاتفاق على ما ذكر . وان العقلاء من جميع الأمم ينكرون إفضاء المناظرات الدينية والمذهبية إلى رجوع اهل المذهب الذي يطلب طامه في المناظرة الى مذهب الغالب كما يعلم بالاختيار في جميع العالم . ويؤيده فيما ان المناظرات بين الفريقين قد كثرت وتعددت في الاجيال الماضية وفي جيلنا مرارا لا يحصى الا الله تعالى ، وقد ألف فيها كتب كثيرة من بسيط ووسيط ووجيز ، فلم تزد السواد الاعظم من الفريقين الا تمصبا لمذهب ، وصدودا عن مذهب الآخر . فكانت مفرقة لاجامعة ، ومبعدة لا مقربة ، وانما تفيد المناظرات أفرادا من مستقلي الفكر في طلب الحق ، غير المقيد بالفكر والوجدان بالاذعان لمذهب معين لا ينظر الى غيره الا بعين المداوة والبحث عما يقتضيهما بالاثاويل والتحريف ، وترويج مذهب عليه ، مثل ذلك ، وبالاقيسة المؤلفة من الخطايات والشعريات المبنية على الظني وما دون الظني من الروايات ، ووصفها بالبراهين اليقينات ، كما يراه قاري هذه الرسالة في تصوير مناظرنا لتلقي علي عليه السلام العلم من النبي ﷺ قبل النبوة وبمدها بأنه كان كتلي تلاميذ المدارس الفنية الدنوية للفنون فيها بحفظ المتن . والقواعد الرياضية من حساب وهندسة ومساحة وفلك والقوة والعقلية والتشريعية ثم حكمه بأن السابق الى هذا التلقي يجب بحكم العقل أن لا يدرك شأوه الا لاحق . وفي هذا البحث من الاغلاط الدينية والتاريخية والعقلية والمنطقية والطبيعية ما لا يمكن بسطه وإيضاحه إلا في صفحات كثيرة أو رسالة مستقلة ، وسأشير الى المهم منه بعد

وانما غرضي الآن أن أحتج على صحة ما اشترطته على السيد المقترح للمناظرة من وجوب الاختصار في المناظرة على مسائل الخلاف الاساسية . وهي ثلاثة (١) موالاته أهل البيت النبوي وأهل السنة يوجبون هذه الموالاة بما يفهمونه ويرونه موافقا لمهدي الشريعة (٢) موالاته أصحاب الرسول وأهل السنة يوجبونه على غير الوجه الذي ذكره كما سنبينه (٣) الخلافة . فيجب تحرير موضع الخلاف فيها أولا ، وتحديد طريقة الاستدلال عليها ثانيا ، والاتفاق على طريقة التحكيم في الخلاف والمحكمين ثالثا

يبدأنني احب ان أعلم قبل هذا هل يوافق كبار علماء الشيعة في سوربة العراق والهند وايران مناظري الفاضل على قوله انه لا يمكن الاتفاق بين أهل السنة والشيعة على شيء من المصالح الاسلامية السياسية والوطنية والادبية المشتركة للنفعة الا اذا اتفقا قبل ذلك على رجوع احدهما الى مذهب الآخر فيما اختلفا فيه من المسائل الاساسية ، والا كان دين كل منهما يقضي عليه بعداوة الآخر على الوجه الذي قاله هذا العلامة الشجاع منهم والتعليل الذي علله به ؟

ان هذا رأي لم نسمعه من غيره ولكن سيرة الشيعة وتاريخها قد يؤيده ويبدل عليه ، وانه لا صرح رجل عرفته فيهم ، ولذلك بمرت منزلته في نفسي على ما اعتقد من خطئه واغلاطه وان مآثراته من كتابه الكلمة الاولى يدل على انه رجل شعور ووجدان ، لا رجل تجربة وبرهان ، ولولا ذلك لم يمتد أوكيد الايمان ، انه لولا علي بن ابي طالب عليه السلام ، قتل رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام ، ولما بقي في الارض اسلام ، ثم انه يسمي في رسالته هذه كتاب نهج البلاغة ، بالقرآن والفرقان ، ويقول ما يراه القراء في شرط الاتفاق وزوال الشتان

فأقترح على مناظري العلامة وعلى زميلي الاستاذ صاحب مجلة العرفان ان يأخذوا لي تصريحاً من علماء الشيعة المشهورين في جبل عامل وغيره من سوربة العراق في رسالة السيد عبد الحسين ولا سيما شرطه هذا ، بل أكتفي برأي علماء جبل عامل وحدهم في ذلك ونشر ذلك عنهم في مجلتي المنار والعرفان . وسأرد في الجزء الآتي على هذه الرسالة على كل حال .

مصابنا بالوالدة رحمها الله تعالى

بعد ظهر اليوم السادس والمشرين من شهر ربيع الآخر قد احتسبنا عند الله تعالى والدينا ومريقتنا وجرتومة امرتنا السيدة البرة الرحيمة النقية الشريفة (فاطمة أم رشيد) الحسنية الأب والأم في منتصف المشر التاسع من عمرها، ففقدنا بقفدها أما ينذر وجود مثلها في الامهات، والامهات أفضل ما في هذه الكائنات، حبا ورحمة وإخلاصا ونصحا وإيثارا للأولاد على النفس منها تكن صفاتهم وأحوالهم (إلا من أسست البيئة فطرتها، وذهب الجمل ومباشرة العاسقين أو الخرافيين بدينها) فلا حب فوق حب الأم إلا حب الله تعالى لعباده المقربين، ولا رحمة تلو رحمتها إلا رحمة عز وجل للمحسنين، بل رحمتها أكبر شجنة من رحمة الواسعة عز وجل، فقد فقدنا من كانت عندنا ومنا وفيها أفضل المخلوقات، من لا يفضلها شيء، ولا يفتي عنها شيء، إلا رحمة الله تعالى وصلواته على الصابرين، وبره واحسانه للبارين المحسنين، ونرجو أن نكون منهم في برنا لأمتنا في حياتها، وصبرنا واحتسابنا لها بعد وفاتها، ونسأله تعالى أن يجزيها عنا أفضل ما جزى أمما لعباده رؤما لأولادها، رؤفا بهم، عطولوا عليهم، محسنة لبريتهم، وأمة من امانه، مؤمنة به، موحدة له، مخلصه في عبادته، وأن يتعدها برحمته التي يختص بها عباده المقربين، ويرفها إلى منازل الكرامة في عليين،

كانت رحمها الله تعالى صحيحة البنية سليمة من الامراض، إلا أنه عرض لها ألم الرثية (الروماتزم) في ركبتيها بعد مجيئها الى مصر منذ بضع عشرة سنة، فعالجها الطبيب التركي الشهير شرف الدين بك رحمها الله تعالى بصبغة اليود دهانا وشربا، فزال المرض وحجت في موسم سنة ١٣٣٤ وانا في خدمتها فلم يزعمها شيء من ركوب الشقاف والنزول منها، واحتملت ما ارحقنا من نوء البحر في غودتنا من الطور الى السويس في باخرة صغيرة وبسهولة

وصامت منا رمضان الماضي بدون تعب ولا ضعف، وكانت تفطر وتتسحر من طعامنا القوي التنذية فلا تشكو منه ثقلا ولا طمى ولا سوء هضم.

وتصلي معنا في جماعة الاسرة ، ثم تغيرت صحتها عقب عيد الفطر واشتكت واختلف على معالجتها عدة من نطس الاطباء أشهرهم سليمان بك عزمي فخف المرض ولكنها ضفت بالتدريج واشتد تعبها في آخر ليلة من حياتها الشريفة الراضية المرضية ، وقد صلت الفجر والظهر يوم وفاتها في وقتها بالاياء ولم تقبل أن تؤخر الظهر لتجمعها مع العصر كما أفئتها في مثل هذه الحال ، وفاضت روحها في الساعة الثانية بعد الظهر وكانت التي تتولى خدمتها الخاصة وتمرضها في كل أيام مرضها كنتها ام أولادنا حتى انها كانت تسهر بجانب سريرها مادامت تعبة محتاجة الى شيء من الخدمة . وتنام بجانبه عند الحاجة ، وقد قلت لأم محمد شفيع غير مرة ان كل خدمة تؤديتها للوالدة فكأنك تؤديتها لشخصي ، لا تلك تالفة فيها عني ، فلهي انك الخلق بأن اقوم بذلك بكل ارتياح مما يكن نوعه ، فلا عذر لك في شيء من التقصير الا اذا كنت أنا مقصرا منك في شيء ما — وهي بحمد الله واتباعنا لهداية دينه القويم لا تشكو مني شيئا ما — ومن فضل الله علينا جميعا اني لم أر منها أدنى تقصير فارشدها الى تلافيه ، وقد قلت لها اني لا أشكر لك خدمة الوالدة لجنس الخدمة ونوعها ، فان هذا من التكافل المشترك في حياتنا المنزلية ، وانما أشكر لك من أعماق قلبي أنني لم أرك في شيء من هذه الخدمة متبرمة ولا ضجرة ، فهذا الارتياح النفسي لهذا العمل الشريف من الفضائل النفسية لا تكاد توجد في الكائنات ، بل قلما تتحل بها ابنة في حمراض امها في هذا العصر الذي كثر فيه المعوق ، وهضم الحقوق . فأقسمت إنها تشعر في خدمتها بارتياح من تخدم ابنة لها لأماء ، ولقد كانت المرحومة خيرا لأمنا امها ، وأشد ترحيما لسرورها . من بنتها فلو كانت أمها معنا لما استطاعت أن تؤلف بيننا مثلاً . فانا أسجل هذا في المنار ليكون مثلاً صالحاً وأسوة حسنة للمؤمنين ، وحجة على الملاحدة والمارقين والفاستقين ، الذين يحبون ان سعادة الحياة المنزلية (العائلية) من زوجية وأمومة وأبوة وأولاد لا تأوي إلا الى بيوت المعتصمين بهداية الدين القويم ، قالها تأوي وفيها تئوي وتقيم ، ولئن طاف منها طائف بيت من بيوت الملاحدة والفاستقين أو زارته ، فانما تلب به الإمام ، ولا تلبث أن تهجره عند حدوث الحوادث الشوانية ،

المنار: ج ٣٢١ تعزية الاصدقاء وكبراء الامة لنا . أخلاق الوالدة وشاغلها ٧٥

وانتداب الكوارث البشرية فأداب الاسلام ارقى من آداب الافرنج وأضمن
للسعادة وان جهل ذلك المتفرجون

أيقنا موت الوالدة التي كنا تترك بوجودها ، ونهتدي بإرشادها ، ونستنزل
رحمة الله وشوبته ببرنا لها ودعائها لنا ، ففاضت الاعين دموعا، ورددت الصدور
زفيرا ونشيجا ، وكردت الالسنه حوقة واسترجعا ، واضطربت الافئدة خفقانا
ووجيها ، وان العين لتدمع ، وان القلب ليحزن ، ولا نقول الا ما يرضي ربنا ،
ولا نفعل الا بما شرعه لنا

لم نفلن نسبيا في الجرائد ولا رقايع البريد ولا أسلاك التليفون ، وانما أعلننا
حفيدها السيد محيي الدين رضا بالخبر بعد داره عن دار المنار ، وجهزناها على ملة الاسلام ،
وسنة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وصليت عليها في رحبة الدار مع من
حضر ، وشيعناها الى مقبرة جديدة في زين العابدين ، فوارينا شمسها عندما ثورات
شمس الدنيا بالحجاب ، نمدها الله تعالى بالرحمة والرضوان

لم نمد لها مأتما ، ولم نغير شيئا من عاداتنا حدادا عليها . وقد وصل الخبر
الى بعض جرائد الصباح التي تطبع ليلا فنشرته ، ثم نشرته بعض جرائد المساء في
اليوم التالي ، فأقبل كثير من أصدقائنا المقيمين في القاهرة لتعزيتنا في الدار نهارا
وليلًا ، وأرسل كثيرون منهم بركات التعزية ورسائلها من الاسكندرية وغيرها
من مدن اقطر المصري ومصطفاه ، وكن في مقدمة المعزين بأنفسهم وبرقياتهم
أخواننا العلماء وأخص بالذكر منهم أصحاب الفضيلة شيخ الازهر الحالي الاستاذ
الشيخ محمد الاحمد الطواهري ، وشيخه السابق الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي ،
ومفتي الديار المصرية الاستاذ الشيخ عبد الحميد سليم ، وبعض رؤساء الكليات
والدربين في الازهر — وبعض الوزراء وأولهم صاحب الدولة رئيسهم اسماعيل
صديق باشا — وزعماء وكبار رجال الاحزاب وفي طليعتهم صاحب الدولة مصطفى
باشا للنحاس رئيس الوفد المصري ، ومحمد فتح الله باشا أجد كبراء الوفد
وزعماء حكومته السابقة ، وحسن باشا عبد الرازق وإخوته من اركان الحزب
اللدستوري . ثم جاءتنا كتب التعزية من أصدقائنا المحبين المنبئين في الاقطار حتى

لندن وباريس ورومية وسورية والحجاز ، فنشكر لكل معز من قريب وبعيد .
فضله ولطفه ، ندعو الله أن يلفظ بنا وبهم ، ويقيتنا وإياهم السوء ، ويحصلنا من
الصابرين على بلائه ، الراضين بقضائه ، الشاكرين لنعمائه
كانت الوالدة أحسن الله تعالى اليها من أسلم النساء فطرة ، وأزكاهن نفساً ،
وأطيبهن قلباً ، كانت خير الأزواج لزوجها ، وخير الامهات لأولادها ، وكان
حظي من حبها وعطفها أكبر من حظوظ اخوتي وأخواتي ، ولكن فيما لم يحرك
غيره أحد منهم ولا سخطه ، حتى كان والذي رحمه الله تعالى يلتبني «حبيب امه»
ولا أذكر انني عصيت لها أمراً في صغري ولا كبري

أذكر انني رأيت أترابي من الأطفال مرة قد خرجوا في سماء (سطل) حفلة بمشونو
في الوحل رافعي أثوابهم إلى ركبهم ، فاشتبهت أن أقدم وأنا ابن بضع سنين ، فجت
الدار فاستأذنتها في أن أخرج حافياً وألحق بهم ، فلم تأذن لي ، فوقفت في عتبة الدار
حافياً ومددت إحدى رجلي إلى خارجها وقلت لها «أعطها» قالت لا تعطها ، قلت
«أعطها» قالت «لا تعطها» فكورت ذلك مراراً — فلما لم تأذن لي رجعت .
وما زلت أذكر هذا لها وتذكره لي ، فلم أنسه ، وما أبرئ نفسي من نسيان غيره .
ولا أذكر انها ضربتني في صغري إلا مرة واحدة : تملكت من سخونة ماء
الحمام وحاولت التنصص والهرب ، فضربتني بالعاس على ظهري ، وما زلت أذكرها
بها مازحاً ، وتعتذر لي عنها تالطفاً ! ثم كانت أشد عناية من والذي بطلبي للعلم
والاهتمام به والارتياح إلى هجرتي إلى مصر ، إذ علمت مالي فيها من النية الصالحة ،
والرجاء في التكمل بالعلم وخدمة الله والامة

وكانت دقيقة الفهم ، دقيقة الشعور والوجدان ، تحشم لايات الزجر والعيد
من القرآن خشوع العارفين للتدبرين ، وإذا أنشدتها شيئاً من غزل الشعر الفراجي
قالت : هذا فتنة لا ينبغي اشتغال الشبان والشواب به ، وقد قرأت لها قصيدة
حمد شوقي في تهنئة السلطان حسين كامل * الملك فيكم آل اسماعيل * فلم أتجاوز
قالت لي : هذه مرثية لا تهنته ، فصجبت لهذه الفتنة ، وسبقها إياي إلى هذه
قرأت لها قصيدته في تهنئة والدة الخديو بمودتها من الاستانة التي مطلعها :

اكشفي السر وحيي بالجبين وأرنا فلق الصبح المبين

فانتقدت هذا المطلع واستهجتته جداً في كلا مضراعيه: فأما الاول فلأن السر
يستعمل غالباً في إخفاء ما يفتح إظهاره، وكشفه يستعمل في الفضيحة، فيقال: كشف الله
سر فلان، وهتكت فلانة سترها، وأما الثاني فلا يخفى وجهه، ولا يحسن كشفه
وأذكر أنني سمعت وأنا صغير مغنياً في قريتنا القلون يقول بيتاً من أغنية
عامية مضمونه أنه يدعو الله أن يغيب القمر ليأخذ البوسة (القبلة) ويرى قلعة حلب
على أي شيء هي مبنية. حفظتها قتلها أمامها فنضبت وقالت لي «اسكت هذا
كلام عيب اياك أن تقوله» واثني وايم الحق لم أفهم مغزى هذا الانكار الشديد
إلا بعد أن صرت رجلاً كبيراً

وكانت على زواجتها وأدبها في القول والفعل ذات دعابة وفكاهة وتندر في الكلام
عليماً بلا تكلف، وكانت تتوخى أن لا يستقل أحد منها قولاً ولا خدمة، فقلما تطلب
من أولادها أو أحفادها أو كتبها شيئاً بصيغة الأمر، بل ترض وتكفي في الغالب،
ولا تكلف أحداً ما تستطيع هي فعله ولا تشتم خادماً شيئاً بذيقاً على تقصير، ولكنها قد
ترفع صوتها عند الغضب وقد ورثت ذلك منها وهو متنفذ وهو طبع كان يكرهه كل منا
وكانت مقصدة شديدة الحرص على كل ما في الدار لا يهون عليها أن يضع شيء
منه، على جنبها للصيانة واعتيادها إكرام الضيوف منذ صارت ربة بيت، وبحسب أن
يبدل كل ما استطاع من إكرام الضيوف وبر الإخوان، فإذا أشرنا بشيء من الألوان
لم يجده لا نقاً لقلته أقرحت الزيادة عليه، وما دعوت إلا صدقاء إلى الطعام إلا ذكرتني
ببعض من لم أذكرهم لهم منهم، حتى كانت تأمرني بدعوة نسيم، فندي صبيبة للافطار معنا
في رمضان مع الصائمين الذين ندعوهم ولا سيما السوريين منهم، فأقول لها ما زحاً: هو
نصراني لا يصوم، فتقول لكنه صدقتك وابن بلدنا، وذوقه ذوقنا، ولا بد أن
يتروك الغداء بعد الظهر، أو يخففه ليقبل إلا كل معكم بعد المغرب، وأنا لم أذكر لها كلمة
فنصراني، إلا لاجل الصيام، فقد كان من المألوف عندها بدارتنا والأفهي معتادة
في بلدنا على ضيافة النصاري وغيرهم، بل كان بعض أصدقاء والدي منهم يقيم
عندنا أياماً في رمضان فيفطر ويتسحر معنا

وقد ذكرتني جريدة حضر موت (التي تصدر باستغاورة) بمكرمة لها كنت ناسية لها ، وهي انه لما جاء مصر صديقي الجليل المرحوم السيد محمد بن عقيل قبل الحرب الكبرى ذكرت لها ذلك عند ما علمت به ليلاً ، فأمرتني ان اذهب من ساعتى تلك الى الفندق الذي نزل فيه وأجيبه به الى الدار، وقالت انه لا يليق بك وهو صديقك القديم وقد صار لك دار وأهل ان ترضى بنزوله في فنادق المسافرين — وكانت لا تعلم ان هذا معتاد في الامصار الكبيرة — فلم يسعني الا امتثال امرها

وكانت صبوراً شكوراً ، مات اربعة من بنينا وأربع من بناتها في حياتها فبكتهم البكاء الطبقي الشرعي: دموع تيجادر من العينين، ونشيج يتردد في الصدر، بلا نوح ولا نذب، ولا تغيير شيء من العادات في اللباس والاكل والشرب، ولا غير ذلك بما يستخط الرب . وأما الشكر فكان أكل مظاهره منها رضاها من المرحوم الوالد وإطراؤه في كل أعماله على ما كان من شدته في معاملتها ومعاملتنا أحياناً فلم يكن في أسرتنا مثله في غضبه وشدته عفا الله عنه. وما زالت تمدحه وتثني عليه وتدعوه له طول حياته. وقد ضارها بزواج أخرى من بنات عمومته بعد ولادتها لي (ولم يجمع أحد من أسرتنا بين زوجين غيره إلا ابن عمه) فلم ينكره ولا غيره منها قولاً ولا فعلاً من غيره الضار على ما كان أهل ضررتها يملكون لاغضاها وإثارة غضبها . رحمه الله تعالى ما استطاع أن يطيل عشرة الاخرى فسرحتها سرا حجيلاً

ومن أغرب آدابها انها كانت تعد لا ولادها منة عليها بأقل خدمة يؤدونها مما أوجبه الله عليهم ويمدحهم على تركه ، حتى كان يثقل على هذا منها أحياناً ، وقد قلت لها مرة : لماذا تحامين أو تستقلين أمر أي كن من كبيرنا وصغيرنا بما تريد من منه وانت سيدة الجميع وصاحبة الفضل على الجميع؟ فقالت بل أنت صاحب الفضل على الجميع . فما أكتفي بكلمة أشد على طبعي من هذه الكلمة ، فقلت لها بل أنا لولا توحيد الله تعالى لما كنت إلا عبداً لك . وانصرفت موجساً من هذا الشعور القريب واغرب منه انها كانت تسترقيني اذا وجدت فارقيها ، والرقية مشروعة . ولم تكن من النساء الخرافيات . وقد ذهبت مرة مع بنتها لرؤية جامع عمرو فاحاط بهم من سدنة القبور فقلن لهم انما نحن متفرجات لا زائرات فانصرفوا .

وأعد من فضل الله تعالى علي أنني ورثت منها لامة الفطرة وطيب السريرة .
فلم أحجل في قلبي حقداً على مسيء ولا حسداً لذي نعمة . وكذا الاستعداد للوق .
الجنة وحسن الفهم ، وغير ذلك من أخلاقها وخلقها . كما ورثت من والدي (أكرم الله
مناهما) عزة النفس والشجاعة والنجدة ، وأما ذكر هذا تنويهاً بفضل الوالدين وتحديثاً
بنعم الله عز وجل . وأعظمها العلم الصحيح بالاسلام والعمل به ثم وراثته النسب الشريف
كنت أثنى لو تيسر الوالد مائة سنة أو أكثر متمتعة بالصحة ، وسلامة العقل
والجسد كما كانت الى آخر رمضان الماضي ، تتمتع بمحبتها وإرضاء الله برضاها .
ونقتدي بأخلاقها وآدابها ، ونرجو زيادة نعم الله علينا بشكرها له ودعائها لنا .
و كنت على حيي لما أخشى أن تشتد عليها الأمراض فأراها معذبة أو .
شاكية وجعة ، وكانت اصبر على ألم النفس منها على ألم الجسد لأنها لم تعود هذا .
وقد شقت عليها الحية في هذه الأشهر التي ضعفت فيها لما اعتادته من الترف .
و كانت تتوقم أن يزول كل ماعرض لها فتعود الى سابق محبتها وتساءل متى يكون
هذا ؟ فأذكرها بتجاوز الثمانين لكيلاً تفجر من بطنه ما ترجو

و كنت على تحي أن يطول عمرها أخشى أن أموت قبلها ، لأنني أعلم أن رزأها
بي يكون أكبر المصائب عليها ، أذكرت قرعة عينها ، والمراء لها والسوى عن جميع
مصائبها وقد كان يشق علي أن أراها متعبة فلا استطيع طول المكث معها ، وأحمد
الله تعالى أن حفظها في مرضها عقلاً وفها وجسماً وطهارة حسية ومعنوية (كما
يليق بمبالغة الشافعية في الطهارة) حتى كانت الى نهاية أجلها حديدة البصر ، تنظم
الخطوط الدقيقة في أخراة الابر ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، ولقد عاشت
طيبة وباتت طيبة ففسأله تعالى أن يجمعنا بها في دار كرامته ويحمل خير أعمالنا
خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائه (ربنا افرح علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

(كلمة في مقالات الحاد في الدين)

قد امتنعت جريدة الاهرام من نشر المقالة الاخيرة من هذه المقالات المنشورة
في هذا الجزء ، ولكننا نشرنا للشيخ محمد ابى زيد مقالة استفرغ فيها من قدره في شتم
استيادته الحسن اليه في العلم والدين والدنيا ، فلم يكن يظن فيه على ما علم من فساد
دينه وعقله . وكفى بهذا عبرة

﴿ نبي السيد الجليل ، السيد محمد بن عقيل تغمده الله برحمته ﴾

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه

حضرة العلامة الجليل ، الاستاذ العزيز السيد محمد رشيد رضا ، حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فننمي اليكم بمزيد الشجن ، وعظيم
الحزن ، والدنا الجليل ، العلامة فقيد العلم والاسلام ، مولانا البركة السيد محمد بن
عقيل بن يحيى . توفى رحمه الله في الساعة الثالثة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٣
ربيع الاول على اثر حمى لزمته نيفا و ٣ أسابيع .

وقبل التعجاف بالرفيق الاعلى يومين أكثر من الصلاة مع ضعفه المتناهي حتى
خارت قواه ، ولفظ النفس الاخير ، ولقد عظم المصاب علينا بموته ، وانفطرت
لحوله أفئدتنا حزناً وشجنا رحمه الله ، ولكن ماذا عسى أن نقول إلا ما يرضي الرب
سبحانه وتعالى . إنا لله وإنا اليه راجعون . فعظم الله أجورنا جميعاً وعزاء الاسلام
وأهله ، والعلم وطلابه في فقيدنا الجليل . وبما يخفف الشيء الكثير من حزننا مشاطرة
الحكومة التوكلية الألمانية بمصابنا ، فقد شيمت الفقيد مثات الجيوش منكسة أصلحتها
كما شيمه رجال الدولة والاهلون عن بكرة أبيهم ، فنشكركم اليكم جد الشكر ، ونسأل
الله أن يتشفي راحلتنا الكريم بالمغفرة والرضوان ، وأن لا يريكم مكروهاً قط والسلام
الحديدة ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٠ الحزين الباكي
عبد الله بن يحيى علي بن محمد بن عقيل

[المنار] جاءنا هذا النعي لصديقنا الكريم ، وولينا الحميم ، في فترة احتجاب
للنار ، وحبسنا للنفس على إمام تاريخ الاستاذ الامام ، ولما تم التاريخ واستأنفنا
تحرير المنار شرعنا في كتابة ما نرى فيه الفائدة والمبرة من مناقبه وسيرته وكتابة
مثل ذلك من سيرة سيدتنا الوالدة رحمهما الله تعالى ، فضايق هذا الجزء — وكان قد
طبع أكثره — عن سيرتهما ، فقد منا سيرة من حقها علينا أعظم ، وأخرنا الآخر
إلى الجزء التالي . وانني لا أنكر الحكم بالرفيق الاعلى له ولكل أحد بعد خاتم النبيين
وسيد ولد آدم ، وهو انما كان يدعو الله بها لنفسه عند وفاته عليه السلام وأسأل الله
تعالى لفقيدنا الكريم الرحمة ولا له وأصدقائه حسن العزاء والصبر .

نُورِي وَأَكْمَرُ سَمِيَاءَ
وَمَنْ نُورِي فَكَمْ فَقَدْ
أَوْفَى خَيْرَ كَثِيرًا وَمَا
يَنْزِلُ إِلَّا أَوْلَا أَوْلَابِ

الْمَلِكُ

نَبِيَّ عِبَادِي وَابْنِي مُحَمَّدٍ
الْقُلُوبُ فِي شِعْرَةِ أَمْنَةٍ
أُولَئِكَ لَمْ يَرْفَعُوا هِمَامَهُ
وَأُولَئِكَ هُمُ أَوْلَا أَوْلَابِ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام ضري وديننا كدار الطريق

شوال سنة ١٣٥٠ هـ ق برج الدلو سنة ١٣١١ هـ ش فبراير سنة ١٩٣٢ م

المنار وتفسيره

أعجزتنا العسرة الحاضرة الخائفة عن اصدار المنار في كل شهر من هذه السنة وعن الاستمرار في تأليف التفسير وطبعه وقد استعجدا المشركون فلم نجدنا إلا أفراد قليلون دفع بعضهم المتأخر عن عدة سنين تاما وبعضهم النصف اغتناما لفرصة الاربعة الاشهر التي وعدنا فيها بقبول النصف وكل هذه النجدة لم تبلغ ما نتقته على البريد وحده وقد ضاعته الحكومة . فمن كان منهم ذا عسرة تمجزه من الوفاء فالتنا ننظره الى ميسرة كما أمرنا الله ، ومن دخل في حديث « مغل القتي ظلم » ففقا ضيه الى عدل العليم بالظالمين

واضطرنا حسابان وزارة المعارف وبعض الحكومات الاوردية الاشتراك في المنار بالسنتين الميلادية الى جل سنته شمسية موافقة لحساب الميلادي فجعلنا هذا الجزء وهو الثاني من المجلد ٣٢ لشهر فبراير وسيكون صدور المنار كذلك مطردا في كل سنة شمسية عشرة أجزاء وسنعود الى نشر التفسير فيها ان شاء الله تعالى

خاتمة تاريخ الاستاذ الامام فيما يجب له على الامة

أثبتت تربة مصر ألوفا كثيرة من العلماء والصلحاء والادباء والقضاة والحكلم، ولكننا لا نعرف في تاريخها ذكراً لرجل جمع من فضائل العلم والعمل والصلاح والاصلاح مثل الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مواهبه الفطرية والكسبية وبالاته الشخصية ، وفي صرف حياته العملية كلها الى اصلاح بلاده ووطنه ، وترقية امته ، وإعلاء شأن ملته ، بدون عمل ما لنفسه وأمرته ، فهو قد خرج من معاهد العلم الى ميدان الجهاد في هذه السبيل - سبيل الله تعالى - الى ان قضى في المعارك نحيبه ، ولقي ربه ، شهده بذلك العلماء الافذاذ على اختلاف علومهم الدينية والدنيوية والمصرية ، واختلاف أوطانهم وملهم . وترى سيرته الشارحة لهذا مفصلة في هذا الجزء من تاريخه ، وترى الشواهد عليها من كلامه ماثلة في الجزء الثاني له ، والشهادات له فيها متواترة في الجزء الثالث منه -

مثل هذا الرجل العظيم يجب أن يكون مثلاً كاملاً يقتدى به في علو الهمة ، وقوة الارادة ، وفي العلم الصحيح ، والعمل الصالح المصلح ، وفي الجهاد لعلام شأن الامة في دينها وديناها ، ومدنياتها وحكومتها ، فالامم لا ترقى الا بامثال هؤلاء الرجال . مثل هذا الرجل الكبير يجب أن يحيي الامة ذكره ، ونفشر حكمته ، وتتخذ منه حجة لها في رقيها واستحقاقها للوقوف مع الامم الراقية ، التي تدل وتفاخر بملأها النابضين وزعمائها المجاهدين وأئمتها المصلحين . كاقبال غير واحد من كبار المفكرين هذا الامام المجدد المصلح يجب على هذه الامة التي نبت من طينتها ، ونبت في بيتها ، فأعلى ذكرها ، ورفع قدرها ، أن تبلي ذكره ، ورفع قدره ، وترقي نابتها على أصول حكمته في التجديد الديني والمدني ، والاصلاح المالي والوطني ، ويجب على جميع شعوب الملة التي جاهد في سبيل إصلاحها ، أن تساعد شعبه على ما يعمل لاجلاء ذكره ، ودوام الاستفادة من علمه وزاوية

ما كان هذا الشعب الكريم بالذي يرضى لنفسه ان يوصف بالكنود للنم ، ولا بالجهود لفصل المنم ، ولا كان تلاميذ الاستاذ الامام ويريدوه بالابناء الماقين ، ولا اصدقاءه ومحبيه بالفاقلين او الخاملين : فاما الشعب فلا يجاهد بدون قائد ، وأما اصفياء الامام فقد فكروا في القيام بهذا الواجب عقب المصائب ، وعقدوا له الاجتماعات والاجتماع ، وأقروا شيئاً حالت دون تنفيذه الاقدار ، وكن خصمهم أمير البلاد ، ورفيقهم عميد الاحتلال ، ولا زعامة يؤيدها الرأي العام

توفي الامام وكان أكبر كبراء مرديده القادرين على تنظيم هذا العمل غائبين عن مصر - أعني سعد باشا زغلول وأحمد فتحي باشا زغلول - فلما عادا من سفرهما عقدا في دار الاول اجتماعا حضره من اصدقائه الشيخ عبد الكريم سلمان ، والشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، وحسن باشا حاصم ، ومحمد بك راسم ، وقاسم بك امين ، ومحمد رشيد رضا (الكتاب لهذا) فقرروا أولاً أن يشتركوا معي في الرأي ويساعدوني على ما أعلنته من عزمي على تأليف تاريخ له وعلى نشره كما يراه القاري في مقدمة هذا الكتاب . ثم اجتمعوا وتشاوروا فيما يجب ان يعمل لاهياء ذكره ، فأجمعوا الرأي على إنشاء مدرسة كلية تنسب اليه وتكون التربية والتعلم فيها على رأيه ، وهو ما كان يسمى له بمد تركه للازهر ، ويكون المنفذ لخطته فيها صاحب النار

وإذ كانوا يعلمون أن سلطة الاحتلال تحسب لهذا العمل منهم كل حساب ، عهدوا إلى أحمد فتحي أن يقابل لورد كرومر ويذكر له هذا القرار ، ويسأله عن رأيه فيه ، لكيلا يكون على رمية منه ، ويحيثهم بما يسمعه منه في جلسة أخرى عينوا موعدها ، فلما وافوا هاليتها قال لهم : ان اللورد أظهر الاستحسان لهذا الرأي ، ولكنه قال ان من الحكمة أن يبدأ بهذا العمل صغيراً ثم يصعد فيه على سلم التدرج . وأن يجري فيه على خطة مدرسة (عليكده) في الهند التي أسسها المرحوم السيد احمد خان الشهير ، وساعدته عليه الحكومة الانكليزية ، حتى صارت المدرسة كلية ، قال ووعد اللورد بأن يطلب لنا من حكومة الهند نظام هذه المدرسة ومنهاج دروسها ، لتأخذ منه ما نراه موافقاً للمدرسة التي نريدها

فهمت اللجنة من فجوى رد اللورد أنه لا يرغب فيما ترغب هي فيه من إنشاء

مدرسة كلية راقية على مذهب الاستاذ الامام، الذي اعترف هو بفضله ونيله، ووطنيته الصادقة، وخدمته للمصلحة العامة، التي قال فيها : (ان الاوربيين ما فضلوا المصريين إلا بكثرة رجالها) - وباعتدال حربه بين الاحزاب الاسلامية، وجمعه بين أسباب الحضارة والحفاظة على أصول الدين الاسلامي . وفهمت منه أيضا انه يعني أن تكون المدرسة العبدية، كما يجب هو وترضى دولته اي كالمدرسة الهندية استقامت اللجنة من هذا الرد ولم يثنها الاستياء عن عزها، بل فكرت في جمع المال لانشاء المدرسة بصفة مصفرة كما قال اللورد لانه هو الممكن، وانتظار موافاة الزمان لتكبيرها، ورأت من الشيخ عبد الرحيم الدمرداش الثري أرحمة للبلد في التبرع المشروع، فقويت المزيمة، حتى ان اللجنة عهدت إليّ بالبحث عن دار صحية لتستأجرها للمدرسة، ففعلت

ولكن حدث في اثناء ذلك ان تبرع مصطفى كامل بك النمر اوي بمخمصة جنينه لمشروع مدرسة جامعة مصرية، وعهد الى سعد بك زغول بان يتولى الدعوة الى التبرع له والسعي لتنفيذه هو ومن يختار من اصدقائه وغيرهم، فقبل وألف لجنة لذلك السمي هو وكيلها، وترك الرئاسة ليختار لها احد الامراء وتلا هذا ان ولي سعد باشا وزارة المعارف العامة، فاضطر الى ترك لجنة الجامعة المصرية، واختير صديقه قاسم بك امين وكلاء للجنة إدارتها مكانه. وكان ذلك بعد سنة من التصدي لانشاء المدرسة باسم الاستاذ الامام، فلم يبق لهذا المشروع من يشتغل به، وكاد هذا الرجل العظيم ينسى هو وأستاذه السيد جمال الدين، لولا تنويه المنار به في كل جزء من اجزائه، وتنويه بالسيد أيضا في بعض الاجزاء ونشر بعض آثاره المطوية، وطبع الجزء الثاني والثالث من هذا التاريخ، وقضى الله تعالى أن أرحمي إتمام الجزء الاول منه المفصل لترجمته، بما يرى القارىء اسبابه في مقدمته، ولولا انني من أضعف خلق الله تعالى في السعي لجمع المال وان كان المراد به شريفاً وناهماً، لما تركت السعي لانشاء المدرسة، وقد كان اقرب الوسائل اليه في السنين الاخيرة توجه قلب محبه الشيخ عيد الرحيم باشا الدمرداش رحمه الله تعالى إلى البذل للمنافع العامة، فلو وجد في هذه الحالة احد من كبراء حزب الاستاذ

المنار : ج ٣٢م ٢ العودة إلى احياء ذكرى الامام بعد سكوت طويل ٨٥ .

الامام المدني يزين له إنشاء المدرسة التي كان من اعضاء اللجنة التي قررهما ، ويرغبه في حبس عقار أو أطينان تفي بنقمتها ، لفعل

سكت أصحاب النفوذ والجاه من اصدقاء الاستاذ الامام عن القيام بالواجب
له عليهم ، ولكن الرجل حي لا يموت ، ولا ينسى فضله ، في امة يعلمو فيها قدر العلم والحرية ،
ويزداد السعي للحياة القومية والوطنية

فهذه مدرسة الجامعة المصرية ، التي عارض وجودها وجود المدرسة المبديّة
الامامية ، قد اعادت منذ بضع سنين الاحتفال بذكره ، فقام به فيها لجنة مؤلفة
من نابي علماء الازهر وبعض الوجهاء ومدربي الجامعة ، فحرك علمهم الجرائد
لإعادة التنويه بذكره ، وتعطير الآفاق بذكره . وتبرع الشيخ عبد الرحيم باشا
الدمرداش في اثناء ذلك بما يؤتي الجامعة غلة سنوية كافية لنفقة إنشاء كرسي
للم الاخلاق تخليداً لذكرى الاستاذ الامام فيها . وتلا ذلك اقتراح كثير من
فضلاء الامة لاحياء ذكره ، فأشار بعضهم بترميم داره في عين شمس وجعلها من
معاهد العلم او الاعمال الخيرية العامة ، وبعضهم غير ذلك

ولما استندت مشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية إلى صاحب الفضيلة الاستاذ
الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي وهو من خواص تلاميذ الاستاذ ومريديه
في العلم والعقل والاخلاق ، ألف في دار الادارة العامة للمعاهد لجنة خاصة لاجل
البحث في امثل الطرق لاحياء ذكره في الازهر وغيره ، وجعل أعضائها من تلاميذه
الازهرين وسوامهم ، ومنهم مؤلف هذا الكتاب ، فاجتمعت اللجنة مراراً . وكان من
سوء الحظ كما يقال أن استقال هذا الاستاذ من المشيخة ورياسة المعاهد الدينية قبل أن
تفرغ من الساعي التمهيدية ، وتقرر ما يجب تنفيذه وينظم في سلك الاعمال الرسمية
وأخيراً قرر مجلس مديرية دمهور إرسال بعثة علمية إلى ألمانيا باسم
الاستاذ الامام لاجل الاختصاص في علوم فلسفة الاخلاق والثرية والاجتماع ،
وجددت ادارة المعاهد الدينية تقرير قراره رسالة التوحيد درس في الازهر وملحقاته ،
وانما كان هذا لكثرة فوائدها ، للاحياء ذكر مؤلفها

لكن هذا شيء قليل على الامة المصرية ، وقد صارت أمة ذات رأي ووحدة ، وبذل

فولاي برى في اسناد التفضل والتكرم والاحسان إلى زيادة تنازل منه لأرى نفسي جديرة بها ، وعدي بالمولى الجليل أن يتحرى بكراماته موقع الاستحقاق «وأظن أن حضرته يذكر آتي في يوم من الايام التي نزلت بها في بيته ذاكرته في هذا المعنى ، ورجوت من مكارمه أن يجعل طلبه أي أمر مني بصيغة الامر لا بلفظ الرجاء ، فاني أرى في الامر الاول فوائد ترتاح نفسي اليها لأراها في الثاني » وكتب اليه الامام كتابا يذكر فيه استبشاره بما رآه في جريدة البرهان ، دالا على فوزه ببعض الاعمال ، فأجابه سعد عن هذا بقوله :

« ان غلنكم فيما رأيتموه في جريدة البرهان هو الموافق للصواب ، ويحق لحضرتكم السرور بما نال ولدكم ، فهو الثري في نعمتكم ، المتعرف من محارحكتكم ، المحفوف بنياتكم ، المشمول بعين رعايتكم ، البالغ ما يبلغ ويبلغ من مراتب السكال يحسن توجهاتكم ، وكريم تعطفاتكم ، أدامكم الله لكل خير مبدأ »

فاذا كان الزعيم السياسي الاكبر يد نفسه أثرا من آثاره ، وشعلة من ناره ، وقبسة من أنواره ، وكان يستعد ان ما يلقه وما ييلقه في المستقبل من المراتب فهو أثر تربيته ، ونعمته ، ويمضي كتبه اليه بكلمة ولدكم أو صنيكم ، واذا كانت الحكومة المصرية قد قررت زهاء مائة ألف جنيه لبناء قبره ، ووضع تماثيل للتذكير بشخصه أفيكثر منها أو يكبر عليها ، أو على الوفد الممثل لسياسته ، والعامل باسم زعامته ، أن يقوم بإنشاء مدرسة تنسب إلى اسم استاذه ومربيه ، وباهادة تعليمه وتربيته ، ونشر رسائله وكتبه ؟ كلا . انه قد آن للامة وقد صار لها زعماء تنقاد لهم ، ومجلس نواب يسيطر

على حكومتهم ، وكتاب بلغاء يدعون الى المصلحة العامة ، وخطباء مصافح يهزون قلوب الخاصة والعامة ، أن تراجع مناقب هذا الامام التي فصلناها في هذا التار . وتقرر ما يجب عليها من إحياء ذكره ، والاهتداء بإرشاده ، وبناء مدارس التربية والتعليم الديني والمدني على أسس قواعده ، وتعاون أحزابها وحكومتها على تنفيذ ماقررت ، في الوقت القريب المناسب له ، فإنها هي القواعد الحكيمة التي تحفظ لها عقائدها وأخلاقيها ، وتكوين بيوتها (عائلاتها) ونماء ثروتها ، وترسخ دعائم استقلالها ، وتجعلها قدوة للبلاد العربية والشعوب الاسلامية ، التي اعترفت

عقلًاؤها لهذا الاستاذ العالم، وأستاذ الفيلسوف الحكيم، بالزعامة المدنية والسياسية، والامامة الدينية، والتوفيق بين الجامعتين المليية والوطنية

فلو لم يكن لهذه الامة الفخر على غيرها بظهور هذا الامام المجدد منها، لكانت جديرة بان تتبع تعاليمه الحكيمه لعظم قوائدها، ولما تمطيا من الزعامة التي لا تنحصر منافعها منها، وأعيد التذكير بما هي مستهدقة له من خطر الانحلال، المهدد لما نالته من مبادئ الاستقلال، بانتشار الفاسد المادية، والفوضى الادبية، والانفاس في الشهوات، والاسراف في اللذات، المغني لثروة البلاد، المضني لصحة الاجساد، المزهد في الزواج، للضعف للانتاج

بل أذكرهم بما لا يهرب عن علمهم من اضطراب العالم كله بهذه الفوضى التي ثلث أكثر عروش الممالك، وأشعلت نار الفتن الداخلية في كثير من الامم، وغاضت ينابيع ثروة غالب الدول، وأندرت الروابط الاجتماعية بالانحلال، وعرى الشعوب للوثقة بالانقسام، وثروة الاقوام الفنية بالزوال، ثم أذكرهم بأنه لا يثبت في مهب هذه العواصف إلا الراسخون في الايمان، ولا يصبر على هذه القواصف إلا المتصمون بمثانة الاخلاق، وهو ما يهدم مسالك الاستاذ الامام، وجعل تناوله على طرف النمام بل حدث في هذه الاعوام، بوادر انقلاب عام، يرقبه الحكماء، ويشمزه البصراء، وقد فطن له بعض أذكائنا في سياحته في أوربة، وهو الشعور بشدة الحاجة إلى هداية الدين، وكونه هو العلاج الوحيد لهذه الأدواء الاجتماعية الروائية من إباحة الاعراض، وفوضى الآداب، وعبادة الماددة والشهوات، والتنازع السياسي، والنظام البلشفي، التي تنذر الشعوب بزوال الحكم الديمقراطي، وإسهار النظام المالي أو الرأسمالي. بل تهددها بحرب شر مما قبلها، كل ربح المقيم تدمر كل شيء بأمر ربها. وقد وصف هذا الديكي مارأي وروى عن أوربة من دره هذا الخطر بالدين، وتتمنى لو يظهر الدين الواقي للحضارة الحاضرة من مصر، لكن فضلاء العقلاء في مصر يرون أن بلادهم أشد حاجة إلى هذا العلاج من أوربة، فإن هذا الوباء يقتك بها وهي أقل مناعة وحضانة ممن سرت إليها المدوى منهم، وإنما تفضلهم بأن العلاج موجود فيها وهي في غفلة عنه، بل لما تشمر بالحاجة إليه، وهو القرآن، وما بينه من سنة محمد عليه الصلاة والسلام،

تنبأ حكيمنا هو وأستاذنا منذ نصف قرن بأن شعوب أوربية ستشعر بالحاجة الى الدين الصالح المعقول ، فطلبه فلا تجده إلا في القرآن فتأخذه بقوة كعادتها ، حتى لا يبعد أن يضطر النسوبون اليه من أن يمدوا إلى طلبه منها (راجع ص ٩٣٩) فإن كانت مصر تريد أن تكون أهلاً لا تقاذ أوربية من فوضى الاباحه والماديه التي تتردى هي فيها من ورانها ، فانها تجد الوسيلة إليها في تعاليم إيمانها ، فلتسبق إليها وتجربها في إتقاد نفسها وها هو ذا أكبر رجال الدين فيها عقلاء واسد هم أبا، وهو الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي ظهر نبوغه في أرقى المناصب الدينية فكان قاضي قضاء السودان ورئيس المحكمة الشرعية العليا بمصر فشيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية ، فقام بها خير قيام - ها هو ذا يفتيها بترميم خطوات الاستاذ الامام وهذا نص ما كتبه في ذلك : «أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لأنجد رجلاً رزق فحماً في هداية القرآن، ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الامام محمد عبده . ولقد وهبه الله شروط الامامة الدينية جميعها ، كما منحه البصر في أمور الدنيا ، ومن الحق على المسلمين ان يترسموا خطواته بالاصلاح الديني والدنيوي، اذا أرادوا إعزاز دينهم، ورفعة أتباعه في دنياهم . »

وانني أختم هذا الكتاب الذي قضيت به ديناً أدبياً كبيراً كان على مصر بتدوين تاريخ الامامين المجددين الذين يرجع اليهما فضل نهضتها المنوية ، كما يرجع إلى محمد علي الكبير فضل نهضتها المادية، باقتراحني عليها قضاء الدين الآخر الذي لا قبل لي به ، وهو العمل بما أرشد اليه الحكماء بالتربية والتعليم ، وإحياء ذكرها بتعميم تاريخهما وآثارهما ، وإنشاء مدرسة لذلك باسم الاستاذ الامام ، وترميم داره وجعلها من المنافع العامة ، فهذا دين يجب على مصر أدائه على اختلاف أحزابها ومذاهبها ومشاربها ، لان الامام كان للجميع باتفاق الجميع

أحمد الله عز وجل أن أدبت الامانة، وبلغت الوصية، ووفيت حق أستاذي وصديقي، ونصحت لامتى ووطني، وهو كل ما أملك مما فرضه علي ربى لمثلي (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب) وسلام على المرسلين ، وعلى من اصطفى من عباده للصالحين ، والحمد لله رب العالمين .

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من بيروت ﴾

(من ١١ - ٢٥) من صاحب الامضاء في بيروت وكنت كتبت أجوبتها
في العام الماضي ولم تنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل
السيد محمد رشيد أفندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع لفضيلتكم ما يأتي راجياً
التكرم بالإجابة عليه :

- (١) هل إذا مات رجل وترك زوجة في الحياة الدنيا وتزوجت هذه الزوجة
برجل آخر فلا ي رجل تكون في الآخرة وهل تكون مخيرة بينهما أم لا ؟ وهل
ورد في ذلك شيء صحيح معتمد أم لا ؟
- (٢) هل إذا مات رجل أو امرأة ولم يتزوجا في الحياة الدنيا فلهما أن يتزوجا
في الآخرة أم لا ؟ وبأي ناس يتزوجان ؟
- (٣) هل يجوز أن يجمع الزوج بين الاخت وأختها أو عمتها أو خالتها وغيرهن
في الآخرة أم لا ؟
- (٤) هل يجوز للرجال والنساء أن يتزوجوا في الآخرة من محارمهم كالأخوان
أو أولادهم وغيرهن أم لا ؟
- (٥) هل في الآخرة فسل أم لا ؟
- (٦) هل في الآخرة بلدان كالديار أم لا ؟
- (٧) هل في الآخرة طرقات وأسواق وبيع وشراء أم لا ؟
- (٨) هل يجوز للرجال والنساء أن يأكلوا ويشربوا ويلبسوا ماشاءوا من

الأنوان والأزياء والحريير والحلي كالساعات والسلاسل والخواتم وغيرها أم لا ؟
(٩) هل ما يقال من أن أقوال وأعمال الأحياء في الحياة الدنيا سواء أكانت خيراً أم شراً تعرض على الأموات كالآقارب وغيرهم صحيح معتمد أم لا ؟
(١٠) هل الأموات ينزأرون ويتكلمون ويأثثون ببعضهم مع بعض ويعرفون من يزورهم من الأحياء أم لا ؟

(١١) هل يجب على النساء الحجاب عن الرجال الأجانب في الآخرة أم لا ؟
(١٢) هل يجوز للمرأة إذا دخلت في عدة الطلاق أو الوفاة أن تظهر صوتها ووجهها ويديها إلى الكوعين « الرستين » أمام الرجال الأجانب كأولاد عمها وأولاد خالها وأقرب زوجها وغيرهم أم لا ؟
(١٣) هل يجوز لها الخروج من بيتها للاصطياف في الجبل وغيره هرباً من حر الصيف أم لا ؟

(١٤) هل يجوز لها الخروج من بيتها بقصد الفسحة والنزهة وترويح النفس من عناء طول المكث في البيت مقدار بضع ساعات ثم الرجوع إليه أم لا ؟
(١٥) هل يجوز للمرأة للسلعة السنينة أن تزوج برجل شيعي بمقتد اعتقاد الشيعة أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب السائل

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي بيروت

(المنار) أكثر هذه الاسئلة فضول وشهوات خواطر علمية لا يتعلق بها عمل فلا ينبغي لنا أن نطيل القول فيما لنا به علم منها ، لان إضاعة الوقت فيه لا توازي صرفه في أكثر أعمالنا فانها والله الحمد خير منها ، فكيف ما ليس لنا به علم من أمور الآخرة والبرزخ ؟ ومع هذا أجب عنها إكراماً للسائل لانهم للمشركين الأوفياء بالآجال :
(ج ١١) المرأة ذات الزوجين لمن تكون في الآخرة

ان السؤال الاول لم يرد فيه شيء في صحاح السنة ، ولكن فيه حديث لامضلة عند الطبراني وحديث لام حبيبة عند الخرائطي في مكارم الاخلاق ان المرأة ذات الزوجين أو الأزواج تكون في الجنة لأحسنهما خلقاً في الدنيا ، وفي الاول انها تغير فتختار أحسنهما خلقاً . وفي حديث أبي الدرداء في طبقات ابن سعد

٩٢ الأزواج في الجنة. محرمات الطعام والشراب واللباس المتأرجح ٣٢٢

مرفوعاً «المرأة لا آخر أزواجها في الآخرة» وحلوا هذا على من مات عنها وهي في عصمته ولم تزوج بعده ويؤيده أثر في معناه لا في بكر (رض) في هذه الطبقات أيضاً. وحلوا حديث التخيير على من لم تمت على عصمة أحد كالمطلقة

(ج ١٢ - ١٤) الزواج والازواج في الآخرة

وأما الجواب عن الأسئلة الثلاثة التي بعد الأول فيعلم جوابها الاجمالي من أن المفهوم من مجموع النصوص أن نساء الجنة تقسم على الرجال من أول العهد بدخولها كما يشاء الله تعالى ولم يرد أن هنالك عقود زواج تتجدد. قال تعالى (ولم فيها أزواج مطهرة) وهذا يبين من كان متزوجاً في الدنيا ومن لم يتزوج، فقامن رجل الا وهو زوج في الآخرة ولا امرأة الا وهي زوج أيضاً

(ج ١٥) هل في الجنة ولادة ونسل

وأما الخامس فهو أنه لم يثبت أن في الجنة حبلاً ولا ولادة ولا نسلاً. وفي حديث عند الترمذي إن المؤمن إذا اشتبه الولد في الآخرة كان له في ساعة كما يشتهي، ولكنه لا يشتهي

(ج ١٦) الجنة طبقات ودرجات لا بلاد

وأما عن السادس فهو أن المروف أن الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض لأن أهلها درجات كذلك. وأما انقسامها إلى بلاد فلا أدري ولم أرف ذلك نصاً (ج ١٧) أسواق الجنة

وأما السابع فهو أنه ورد في حديث أنس في صحيح مسلم أن في الجنة سوقاً يأتونها كل يوم جمعة فيزدادون حسناً وجالاً، وليس فيه أن هنالك بيعاً وشراءً فالظاهر أنها مجامع للتلاقي كأسواق العرب الأدبية في عكاظ ومجنة وذو الحجاز، على أن هذه كان يكون فيها تجارة ولا حاجة في الجنة إلى التجارة فيما نعلم والله اعلم (ج ١٨) محرمات الطعام والشراب واللباس

وأما الثامن ففيه تفصيل منه ما هو معلوم من الدين بالضرورة كتحريم أكل الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وصيد البر المحرم وشربه

الحجر ، ومنه ما هو مختلف فيه كأكل الخليل والحمر الاهلية وسباع الوحش والطير الخ وقد فصلنا في الجلد الماضي مسائل الالباس من الحرير والذهب والفضة

(ج ١٩) عرض أعمال الاجاء على الاموات

وأما التاسع فجوابه أن ما ذكر فيه غير صحيح ولا معتمد

(ج ٢٠) تلافى الارواح في البرزخ

وأما العاشر فليس فيه أدلة صحيحة صريحة يحتاج بها على تفصيل قطعي في ذلك ولكن فيه أخباراً وآثاراً عن السلف في تلافى أرواح الصالحين بعد الموت ، واستدل بعضهم عليه بقوله تعالى في الشهداء (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وتراجع المسألة في ص ٢٤ من كتاب الروح للعلامة ابن القيم

(ج ٢١) لاحجاب في الجنة بين النساء والرجال

وأما الحادي عشر فجوابه ان الجنة ليس فيها تكليف بوجوب ولا تحريم ، إذ لا ماضي فيها ولا فساد ولا فتنة يجب سد ذرائعها ومنع أسبابها بالفصل بين النساء والرجال الاجانب

(ج ٢٢) ما يحرم على المرأة في العدة وما لا يحرم

وأما الثاني عشر فجوابه ان المرأة الممتدة يحرم عليها ما يحرم على غيرها من الرجال الاجانب وتزيد عليها الحدا على الزوج ترك الزينة والطيب والتمرض للخاطبين بما يباح للخلية غير الممتدة ، وإظهار صوتها بالكلام المتداد ووجها وكفيها لا يتاقى الحداد فهو غير محرم لذاته عليها ولا على غيرها الا اذا كان مثارا لفتنة أو وسيلة لمصيبة

(ج ٢٣ و ٢٤) خروج المرأة للتعز أو الاصطياف

وأما ١٣ و ١٤ فهو ان ما ذكر فيها يجوز لها كما يجوز لتبرها من النساء بشرط الأمن على نفسها ومالها

(ج ٢٥) تزوج المرأة السنية بالمشعي

وأما الخامس عشر فجوابه الجواز لذاته وقد بينا ذلك في الجلد الماضي

﴿ الصلاة الى القبور وقبة فيها قبور تمتد وتمظم تدينا ﴾

﴿ استفتاء وجوابه من الهند وتأيد المارجه (عدد ٢٦) ﴾

جاءتنا الفتوى الآتية مع كتاب من حضرة خادم الاسلام مير محمد القريشي في (هالاستنده — الهند) في شهر ربيع الاول يطلب تصحيحنا وموافقتنا للفتوى كتابة وتصحيح من عندنا من العلماء فكلفنا بعض اخواننا من علماء الازهر عرضها على مشكري البدع منهم دون انصارها ومروجيها فلم يعد البنا بشيء . ثم جاءنا منه في رمضان كتاب آخر مع صورة أخرى للفتوى عليها تصحيح كثير من علماء الهند وعثمان ويقول فيه ما نصه :

« وأرجو من جنابكم التصديق والتصحيح فاني اريد طباعة ذلك الفتوى واشاعته في الهند واجتمع عندي مقدار المائتين من تصحيحات العلماء لكن لا بد لنا من تصحيح جنابكم لان جنابكم ممن فضله الله على جميع علماء مصر — فليس من دأب العلماء السكوت والاعراض عن كلمة الحق واظهاره لاسيا عند الضرورة وان كان لكم مانع مع ورود النصوص المؤكدة فلا بد لجنابكم من اظهاره ففضلوا علينا وشرفوا وكرمونا بارسال الجواب والتصحيح هذا ملازم والسلام عليكم وعلى من لديكم »

(نص السؤال) قبة رفيعة فيها قبور متعددة بالشباك وفي يمينها قبة أخرى للمسجد وفي يسارها ايضاً قبة على القبور . وأمام تلك القباب ساحة بقدر جريب واحد أي القباب الثلاث قدام الساحة محاطة بالجدران، جعل المتولي وقت بناء تلك القباب تلك الساحة كلها مسجداً وتلك الساحة متصلة بالقباب كالقناء لها . ففي وقت يجتمع الناس الكثيرون للصلاة كالجمعة واليدين يقوم الامام متوجهاً الى القبة الوسطى منحرفاً عن بابها قليلاً الى اليمين ويعبلي بالناس، والحال ان باب القبة الوسطى مفتوح لا يلقفونه ، يزعم ان الشباك حائل كاف بين المصلين والقبور ، والقبور التي في القبتين يظلمها الناس لاسيا الجبال على وجه بلغ مبلغ البادية ، بل القبة يظلمها الجبال تعظيماً بليتها حتى (انهم) يقبلون بعض زواياها ويوقرونها توقيراً بحيث لو يذهب أحد يضرب برجله زاوية من زواياها أو جداراً من جدرانها يتصورونه منكراً فصلحاء والاوياء ، بل يزعمون انه مرتكب أشد الكبيرة . فصلاة الامام والمقتدين في هذا المكان والحال ماذكرنا هل هي جائزة أم لا ؟

(نص الجواب وهو الفتوى المطلوب اقرارها)

إن كان في القبرة مكان خال عن القبور وفيه مسجد أو جدار مبني بحيث لا يقع النظر على القبور كالستر على القبور على وجه الكمال موجود فلا بأس بالصلاة في ذلك المكان ، أما إذا كان مشهداً كان على القبور قبة بحيث إذا صلى أحد يكون ذلك القبر أو القبة في قبلته فلا يجوز الصلاة أصلاً لأن في تلك الصورة تكون الصلاة الى القبر أو القبة تعظيماً له لا سيما في هذا الزمان فإن اعتقاد الجهلاء بلغ الى درجة عبادة الاولياء والصلحاء أعادنا الله من ذلك — وليس القرض من الشباك حول القبر أو القباب على القبر الستر أو السترة ، بل القباب في أنفسها معظلة ومكرمة عند الناس كالقبور ، فلا فرق بين الصلاة الى القبر والقبة في هذه الصورة . وأما المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام ففيه اتخذوا جدراناً حول القبر الشريف ليحصل الستر ثم في وقت توسيع المسجد جعلوا الحجرة الشريفة على هيئة المثلث لئلا يمكن السجود الى القبر ثم بعد ذلك اتخذوا حول الحجرة جدراناً آخر ليحصل الستر على أوجه التمام والكمال بحيث لا يبقى مكان للعبادة وشبهتها والله أعلم بالصواب

(هذا نص نقل الفتوى الاخير . وزاد في آخر الصورة الاولى مانصه)

ففي صحيح البخاري في باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، عن

عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات

فيه « لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجداً » قالت ولولا

ذلك لأبرز قبره ، غير اني أخشى أن يتخذ مسجداً ^(١) قال البيهقي في شرحه

في صفحة ١٥ ج ٣ قوله : لولا ذلك لأبرز ، حاصله لولا خشية الاتخاذ لأبرز قبره أى

(١) وفي رواية أخرى للبخاري : غير انه خشي أو خشي على الشك . قاله

الحافظ ابن حجر : هل هو بفتح الحاء المعجمة أو ضمها وفي رواية مسلم غير انه

خشي بالضم لا غير . وفي رواية أخرى متفق عليها زيادة : يحذر ماصنعوا

لكشف قبر النبي ﷺ ولم يتخذ عليه الحائل ولكن خشية الانتحاذ موجودة فامتنع
الابراز لأن «لولا» لامتناع الشيء لوجود غيره، وهذا قلته عائشة قبل ان يوسع
المسجد، ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأذى لأحد
ان يصلي الى جهة القبر مع استقبال القبلة. وأيضا فيه: ومما يستفاد منه ان قوله ﷺ هذا
من باب قطع القرينة ثلاثا يبيد قبره الجهال كما فعلت اليهود والنصارى بقبور انبيائهم.
محمد صادق مهتم مدرسة الفدينية مظهر العلوم (سند)
وبلي هذا تأييد طائفة من العلماء للفتوى

﴿ تصحيح صاحب المنار وتأييده للفتوى ﴾

الحمد لله عليهم الصواب - الفتوى صحيحة بدلائل الاحاديث الصحيحة العريقة
في الصحيحين والسنة وغيرها في النهي عن اتخاذ القبور مساجد وعن الصلاة اليها
ولمن فاعل ذلك من اهل الكتاب بقبور انبيائهم وصالحهم لتحذيره ﷺ أمته
أن يقبوا سنتهم فيه وتسميتهم شرار الخلق عند الله تعالى - كل ذلك لا يدع أدنى
شبهة او حذر للخلاف في المنع منه وعدم جوازه، ولعناية النبي ﷺ بمنع هذه المعصية
في العبادة جعلها مما أوصى به قبل وفاته، ففي الصحيحين عن جندب بن عبد الله
رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: «ان من كان
قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، اني
أنهاكم من ذلك» وروى مسلم عن أبي هريرة (رض) أن النبي ﷺ قال «لا تجلسوا
على القبور ولا تصلوا اليها» ومن المعلوم ان ما كان يفعله أهل الكتاب من اتخاذ
القبور مساجد والصلاة اليها وتشرعها وكسوها هو من تنظيم انبيائهم وصالحهم
غير المشروع في دين الله الذي جاء به رسوله لانه تعظيم عبادة أخذوه عن
الوثنيين - ولذلك لعنهم النبي ﷺ ولعن الذين يعضون السرج على القبور وأمر
بتسوية ما بيني وبينهم فمقرنا بأمره بطمس التماثيل لانها من أعمال الشرك.
ولا فرق بين تعظيم هذه القبور نفسها وتعظيم السيور التي توضع عليها والقباب
والمقابر التي تبنى فوقها وحولها - وصورة السؤال الذي أجلب عنه مولانا الشيخ

محمد صادق ناظر مدرسة مظهر العلوم ظاهرة في أن المصلين هنالك يتوجهون الى قباب مفتوحة فيها قبور ظاهرة يعظمها الجاهلون تعظيما دينيا من النوع الذي لمن النبي ﷺ فاعليه ونهى عنه لسد ذريعة للاقتداء بأهلوا التحذير منه، وقد وقع ما ورد النهي لمنع وقوعه فصار التوجه الى تلك القباب وما فيها عبادة فاسدة لا ذريعة لها، قال الصلاة الى هذه الحواجز كالصلاة الى القبر نفسه كما قال المفتي، كله عبادة وثنية باطلة يجب منع جملة المسلمين منها بالفعل والقول وإعلامهم انها من بدع أهل الشرك التي فن بها أهل الكتاب فهي ليست من شرعهم الذي نسخه شرعنا بل عدوى وثنية ولكن المسلمين اتبعوا سنن من قبلهم شيئا بشيئا وذراعا بذراع كما أخبر النبي ﷺ فاتخذوا قبور الانبياء والصالحين مساجد وبنوا عليها القباب وأوقفوا عليها السرج وصاروا يعملون اليها ويطوفون بها كالكمبة، ووجد من علماء التقليد فيهم من يبيح لهم هذه البدع - كما أباحها أمثالهم لأهل الكتاب بشبهة التفرقة بين العبادة للقبور والتبرك بها. وهل هذا التبرك غير المشروع الا عمل يتقرب به الى الله تعالى بما لم يشرعه ؟ وهل للعبادة معنى الا هذا ؟ وهل كانت آلهة قوم نوح الا رجالا صالحين عظموهم بعد موتهم وصوروهم للتذكير والاقتداء بهم حتى انتهى بهم ذلك الى عبادتهم بالدعاء وغيره كما رواه البخاري عن ابن عباس (رض) وقد سمعت بعض الرهبان من النصراني يقولون في الصور التي في الكنائس : نحن لانعبدها وانما نتخذها للتذكير والتبرك او هذا جهل بمعنى العبادة وقع فيه من اتبع سننهم من المسلمين وانما سمكت أكثر علماء السوء عن هذه البدع لأن الذين فعلوها هم الملوك والامراء الذين يرانيهم ويتأول لهم علماء الدنيا، وتبتمهم العامة، والعامة قوة تراءى كالملوك. وقد عدت الفقيه ابن حجر الميمني الشافعي هذه الاعمال من الكبائر في زواجهم قتلوا واستدلوا قال (الكبيرة الثالثة ٤٥ و ٤٦ و ٨٧ والتسعون اتخذ القبور مساجدوا يأتوا السرج عليها واتخاذها أو ثانا والطواف بها واستلامها والصلاة عليها) واستدل عليها بطائفة من الاحاديث الواردة في النهي عنها والوعيد عليها، وتقدم ذكر بعضها - ثم قال مانصه :

(تنبيه) عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الاحاديث، ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منها واضح

لانه لمن فعل ذلك قبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك قبور صلواته شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية « يحذر ماصنعوا » أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك ، من أن يصنعوا كصنع أولئك فيعلموا كما فعلوا ، واتخاذ القبر مسجدا مناه الصلاة عليه أو اليه وحينئذ قوله « والصلاة اليها » مكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط . نعم انما يتجه هذا الاخذ ان كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت اليه رواية « اذا كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا يحرم الصلاة الى قبور الانبياء والاولياء تبركا واعظاما فاشتراطوا شيئين أن يكون قبر معظم وأن يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام ، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علمت ، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد . سيما وقد صرح في الحديث المذكور أنما يلزم من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكرهه ذلك على ما اذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بأيدي القبر

« وأما اتخاذها أوثانا فجاء النهي عنه بقوله ﷺ « لا تتخذوا قبوري وثنا يعبد بيدي » أي لا تعظموه تعظيم غيركم لا واثانهم بالسجود له أو نحوه ، فان اراد ذلك الامام بقوله « واتخاذها أوثانا » هذا المعنى أجه ما قاله من أن ذلك كبيرة بل كفر بشرطه ، وان أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد - نعم قال بعض الحنابلة : قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا بها عين المحادة لله ورسوله وابداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا ، فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها . والقول بالكرهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ لمن فاعله ، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضرم من مسجد الضرار لانها أصست على معصية رسول الله ﷺ لانه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرقة ، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى (صفحة ١٦٢ ج أول من كتاب الزواجر - طبع المطبعة الوهية بمصر سنة ١٢٩٣)

﴿ دعوى بمض مشايخ الطرق التلقي عن النبي ﷺ ﴾

(ص ٢٧) لصاحب الامضاء في بيروت

الى حضرة الاستاذ الفاضل العلامة السيد محمد رشيد رضا المعظم
قرأت في كتاب أوراد السيد أحمد بن ادريس رحمه الله عبارة هذا نصها :
« انني اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي
ﷺ الخضر أن يلقني أوراد الطريقة الشاذلية فلقننيها بحضرة ثم قال ﷺ
« يا خضر لئن ما كان جامعا لسائر الاذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثوابا
وأكثر عدداً فقال أي شيء هو يا رسول الله فقال قل : لا إله إلا الله محمد رسول الله
في كل لغة ونفس عدد ما وسعه علم الله » ثم قال السيد أحمد مانصه : « قال ﷺ
يا أحمد قد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض وهي التهليل المخصوص والصلوة
العظيمة والاستغفار الكبير ، المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة وما فيها
أضعافاً مضاعفة » اهـ وعليه أرجو أن تنكروا بما علاني هل يمكن الاجتماع مع الرسول
ﷺ اجتماعاً صورياً وما حكم ما يلقيه بهذه الحالة . وتفضل ياسيدي الاستاذ
الفاضل بقبول مزيد شكري واحترامي

عزت المرادي

بيروت

(ج) صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية النبي ﷺ بعد موته
في اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة ، واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها
— لو كانت مما يقع — ابنته سيدة النساء وخلفاؤه الراشدون وسائر علماء
أصحابه وقد وقفوا في مشكلات وخلاف أفضى بعضه إلى المغاضبة وبعضه إلى القتال ،
فلو كان ﷺ يظهر لأحد ويعلمه ويرشده بعد موته لظهر لابنته فاطمة عليها السلام
وأخبرها بصدق خليفته أبي بكر (رض) فيما روى عنه من أن الانبياء لا يورثون —
وكذا للأقرب والاحب إليه من آله وأصحابه ثم لمن يندم من الائمة الذين أخذ
أكثر أمته دينهم عنهم ، ولم يدع أحد منهم ذلك ، وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد
خير القرون وغيرهم من العلماء الذين تغلب عليهم تخیلات الصوفية ، فمن العلماء

من جزم بأن من ذلك ماهو كذب مفترى وان الصادق من اهل هذه الدعوى من خيل اليه في حال غيبة أو ما يسمى بين النوم واليقظة انه رآه ﷺ فقال انه رآه حقيقة ، على قول الشاعر * ومثلك من تخيل ثم خلا *

والدليل على صحة القول بأن مايدعونه كذب أو تخيل ما يروونه عنه ﷺ في هذه الرؤية وبعض الرؤى المنامية مما يختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم، وكون بعضهم مخالفاً لنص كتاب الله ، وما ثبت من سنته ﷺ ثبوتاً قطعياً ومنه ما هو كفر صريح باجماع المسلمين

نعم ان منهم من يحلهم المارف بما روي من اخبار استقامتهم ان يدعوا هذه الدعوى افتراء وكذباً على رسول الله ﷺ ولكن غلبة التخيل على النهمكين في رياضاتهم وخلواتهم لا عصمة منها لاحد وكثيرا ما تنفضي الى الجنون، فان صح عقلا أن منهم من يرى أرواح الانبياء والصالحين فعلا ، فلا يجوز شرعا أن تتضمن هذه الرؤية تشريما ولا تعبدآ جديداً . ومنهم من كذب اتباعهم عليهم في ذلك وغيره من الدعاوي الباطلة ومنه ما يسمونه الشطح . وقد جزم بعض المحققين بأن بعضهم كانت تمثل لهم الشياطين بصور بعض الصالحين وتلقي اليهم بعض ما يسمونه المكاشفات، ومنه ما روي عن إمام الصوفية في عصره الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره انه ظهر له في خلوته نور عظيم ملاً الافق وسمع منه هاتفا يقول له: يا عبد القادر أنت عبدي وقد أحللت لك المحرمات . قال فقلت له : اخساً يا لعين . فتحول النور ظلمة أو قال دخاناً ، وقال : قد نجوت مني بملك وقد أضللت بها كذا وكذا من العباد . قيل للشيخ : وكيف علمت انه شيطان ؟ قال من قوله: أحللت لك المحرمات — يعني رحمه الله تعالى ان الشرع هو الفرقان الذي يعرف به الكشف الحق من الكشف الباطل وأولياء الرحمن من أولياء الشيطان

ومن هذا القبيل دعوى قول النبي ﷺ للسيد احمد بن إدريس أعطيتك مقاتيح السموات والارض — التي تشبه ما يرويه النصراني من قول المسيح عليه السلام لتلاميذه ما تحلونه في الارض يكون محلولاً في السماء وما تربطونه في الارض

يكون مربوطاً في السماء . وفسره رؤسائهم بأن لهم ولخلفائهم الحق في مغفرة ذنوب الخاطئين . والله تعالى يقول (له مقاليد السموات والأرض) أي مفاتيحها وخزائنها في التصرف والرزق ، وقال (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو)

وقد صرح علماء الاصول بأن ما يسمونه الكشف ليس بحجة شرعية ولا يجوز العمل بما لا يقوم عليه الدليل من الكتاب والسنة منه ، وكذا رؤية النبي ﷺ في المنام والسمع منه ، وعلى ذلك بعضهم بعدم الثقة بصفاء أرواح هؤلاء المكاشفين وضبطهم لما يروونه في كشفهم ورؤيائهم ولما يروونه . وأما الدليل الأقوى والأقوم فهو أن قبول هذا يعد من الزيادة في دين الله واستمرار التشريع الذي ادعاه بعض الدجالين المضلين كأتباع الدجال غلام أحمد القادياني الهندي الذين يلقبون أنفسهم بالاحدية . وقد أكل الله دينه في حياة خاتم النبيين بنص القرآن الصريح ، فلا حاجة الى شيء غير ما جاء به ﷺ من كتاب الله وسنته في بيانه ، وإن كان جسناً في نفسه كصيغة الشهادتين التي هي شعار الطريقة الادريسية ، وليتها لم تقتزن بدعوى هبوط روح الرسول الاعظم من الافاق الاعلى لتلتين طريقة الشاذلية . وناهيك بطريقة التجانية وما ينسبونه الى صاحبها من عظام الخرافات والبدع . وقد سبق لنا بيان ذلك مراراً وإن أهل هذه الطريقة وأمثالهم قد افسدوا دين المسلمين ودنياهم حتى صار بعض شيوخهم اكبر اعداء المستعمرين في الجزائر والمغرب على استعداد للمسلمين

ولا يغرن أحد بعض أذكارهم وأورادهم فأكثرها ممزوج بالبدع والضلالة وحسبك أنهم نسخوا بها التمسك بكتاب الله تعالى وبالأذكار للأئمة عن رسول الله ﷺ المدونة في كتب السنة ككتاب الاذكار للامام النووي والحصن الحصين للسعد الحجزري . ومتى تمسك هؤلاء بهما ، ووجدوا في وقتهم فراغاً لما ابتدع بعدهما ؟ وأين هذا من نهى الكتاب والسنة عن الفلو في الدين حتى في المشروع منه . وقد فصلنا هذه المسألة في تفسير قوله (اتخفوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) وأوردنا فيه قول الامام الرازي فيمن أتبع سنة أهل الكتاب في ذلك من المتبعة والمتعوفة فراجع في جزء التفسير العاشر

*

هداية القرآن

لو أن كل مسلم تدبر آيات الكتاب العزيز واستمسك بهدايتها لما أصاب المسلمين تلك الكوارث المفجعة ، والمصائب المذلّمة

لو أن المسلمين اعتصموا بآيتين [الصواب بآية] من القرآن تتلى في كل صلاة وهما (إياك نعبد وإياك نستعين) بالاخلاص لله في العبادة دون الإشراف به والاعتماد على غيره ، والاستعانة به دون سواه ، والسير على حسب سننه وقوانينه العادلة - لما أصابهم الذل والهوان في مشارق الأرض ومغاربها

ذكر الأستاذ العلامة ابن القيم أن سر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين (إياك نعبد وإياك نستعين) وعليهما مدار العبودية والتوحيد ، حتى قيل إن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن ، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن ، وجمع معاني القرآن في الفاتحة ، ومعاني الفاتحة في (إياك نعبد وإياك نستعين) وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده فنصفها لله تعالى وهو (إياك نعبد) ونصفها لعبده وهو (إياك نستعين)

فسر الأستاذ الامام الرحوم الشيخ محمد عبده « أن للعبادة صوراً كثيرة في كل دين من الأديان شرعت لتذكير الإنسان بملك الشعور بالسلطان الإلهي الأعلى الذي هو روح العبادة وسرها . ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تكوين أخلاق القائم بها وتهذيب نفسه ، والاثراً إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي هو منشأ التنظيم والخضوع - فإذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة ، كما أن صورة الإنسان وتمثاله ليس إنساناً

«خذ إليك عبادة الصلاة مثلاً وانظر كيف أمر الله بإقامتها دون مجرد الانيان بها - وإقامة الشيء هي الاتيان به مقوماً كاملاً يصدر عن علته ، وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة نتائجها هي ما أنبأنا به الله تعالى بقوله (إن الصلاة تنهى

(*) مقالة لجلّة الشبان المسلمين (ج ٢١٠) تتضمن تقرظ تفسير المنار .

عن الفحشاء والمنكر) وقوله عز وجل (ان الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا للصالحين) وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدي إلى غايتها بقوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنون بالماعون) فسامم مصلين لانهم أتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التي هي توجه القلب إلى الله تعالى للذكر بخشيته، والشعر للقلوب بعظم سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماهون »

وذكر الاستاذ الامام أن الرياء ضربان : رياء النفاق وهو العمل لاجل رؤية الناس . ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وقائده ، ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب اليه به ، وهو ما عليه اكثر الناس فان صلاة أحدهم في طور الرشد والعقل هي عين ما كان يحاكي به أباه في طور الطفولية عند ما يراه يصلي — يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل ، وليس لله شيء في هذه الصلاة . وقد ورد في بعض الاحاديث أن من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بمداء ، وانها تلف كإيلف الثوب البالي ويضرب بها وجهه . وأما الساهون فهو الموهنة والخير الذي تقدم في الآية الاخرى ان من شأن الانسان أن يكون منوعا له إلا المصلين

قال الاستاذ الامام في معنى (وإياك نستعين) «أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة إلى أمرين عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والآخرة (أحدهما) أن نعمل الاعمال النافعة . ونجتهد في إتقانها ما استطعنا ، لان طلب الموعنة لا يكون إلا على عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه ، أو يخشى أن لا ينجح فيه ، فيطلب الموعنة على إتمامه وكاله — فن وقع من يده القلم على المكتب لا يطلب الموعنة من أحد على إمساكه ، ومن وقع تحت عبء ثقل يعجز عن الهوض به وحده يطلب الموعنة من غيره على رفعه ، ولكن بعد استفراغ القوة في الاستقلال به ، وهذا الامر هو مرقات السعادة الدنيوية ، وركن من أركان السعادة الاخرية (وثانيهما) ما أفاده الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك وهو روح الدين *

وكال التوحيد الخالص الذي يرفع نفوس معتقيه ويخلصها من رق الاغيار،
ويملك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين، والشيخوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم
من قيد الميمنين الكاذبين من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً
وسيداً كريماً ، ومع الله عبداً خاضعاً (ومن يطم الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

والاستمانة بهذا المعنى ترادف التوكل على الله وتحمل محله ، وهو كمال التوحيد
والمباداة الخالصة ، ولذلك جمع القرآن بينهما في مثل قوله تعالى (والله غيب
السماوات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه) ان لفظ الاستمانة
يشعر بأن يطلب العبد من الرب تعالى العون على شيء له فيه كسب ليعينه على
القيام به — وفي هذا تكريم للانسان بجعل عمله أصلاً في كل ما يحتاج اليه لاتمام
تربية نفسه وتزكيتها وإرشاد له ، لان ترك العمل والكسب ليس من سنة الفطرة
ولا من هدي الشريعة ، فمن تركه كان كسولاً مذموماً ، لا متوكلاً محموداً —
ويشذكره من جهة اخرى بضمفه لكيلا يفتر فيقوم أنه مستغن بكسبه عن عناية ربه،
فيكون من الهالكين في عاقبة أمره^{١١}

يمثل هذا الاسلوب الحكيم أخرج حضرة الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار تفسير القرآن الحكيم (المشتهر باسم تفسير المنار) وهو كما يقول
يحقق «انه التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول الذي يبين حكم
التشريع ، وسنن الله في الاجتماع البشري ، وكون القرآن هداية عامة للبشر في كل
مكان وزمان ، وحجة الله وآيته المعجزة للانس والجان ، ويوازن بين هدايته وما
كان عليه سلفهم إذ كانوا معترضين بجعلها بما ثبت أنها هي السبيل لسعادة الدارين ،
مراعى فيها السهولة في التعبير ، مجتنباً مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون
بحيث يفهمه العامة ، ولا يستغنى عنه الخاصة ، وهذه هي الطريقة التي جرى عليها
في دروسه في الازهر حكيم الاسلام الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده»

كان من سوء حظ المسلمين ان أكثر ما كتب من الكتب في التفسير يشغل قارئة
عن المقاصد المالية ، والهداية السامية ، ففنها ما يشغل عن القرآن بمباحث الاعراب

وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان — ومنها ما يصرفه عنه بمجمل المتكلمين ، ونحريصات الاصوليين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتصيب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات ، وما خرجت به من خرافات الاسرائيليات ، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده كالمهنة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة التي تصدقها عما أنزل الله لاجله القرآن

أخرج الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا عشرة أجزاء من تفسير القرآن تقع في عشرة مجلدات تبلغ ما يزيد عن خمسة آلاف صحيفة من القطع المتوسط ، منها خمسة الاجزاء الأولى فسرهما الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده تفسيراً جمع بين دقة المعنى وجزالة اللفظ ، ورشاقة الاسلوب^١ ، والاستاذ الامام منهج في التفسير يدل على نفاذ البصيرة ، وقوة الارادة ، ومتانة الايمان ، حتى ليخيل لقارؤه انه من رجال الصدر الاول

(١) المنار : توهم هذه العبارة ان الكاتب ظن أن الاجزاء الخمسة الاولى قد فسرهما الاستاذ الامام كتابةً وأن عبارتها أو ما عزوته اليه فيها هو من قلمه أو نص قوله ، والصواب انه فسر أكتها قراءاً في الازهر وأن عبارتها كلها لصاحب المنار لا تفسير آية (٢: ٢١٢) كان الناس أمة واحدة من الجزء الثاني (ص ٢٧٦-٣٠١) فهي بقلمه ، وقد بينت ذلك في أول حاشيتها وآخرها — والاصفحة واربعة أسطر من مقدمة تفسير (٢: ٢٦٢) ان الذين آمنوا والذين هادوا) الخ من الجزء الاول ، وقد بينت ذلك في (ص ٣٣٥ ج ١) وزاد أيضاً تطبيقات على آيات من تفسير الجزء الاول اقترحتها عليه أهمها في قصة آدم والكلام على الملائكة لا يستشكل بعض الناس لما نقلته عنه فيها بعد طبعه في المنار. وقد ميزتها في طبع الجزء بوضعها بين أهلة مع التنبيه اليها . وما عدا ذلك مما نقلته عنه فهو منقول بالمعنى بالاعتماد على فهمي والمذكرات التي كنت أكتبها بالدرس وكلها لا تبلغ نصف جزء ، ولكن كان فيها قشنة من روعه ، وقشنة من روحه ، سواء منها ما عزوته اليه غفلاً ، وما صرحت بأنه مثال لقوله أو منقول عنه بالمعنى ، ولا أذكر الآن شيئاً قلت انه قاله بنصبه الا عبارة في تفسير (٢: ٦١) وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد (وقد شرحت هذا الاصطلاح في ص ١٥٩ و١٦٠ من مقدمة التفسير)

والشيخ محمد عبده من أفاض المصلحين، وكبار المفكرين، لم يخرج واسعه علمه عن الاقتداء بالرسول العظيم، والاهتداء بسيرة السلف الصالح، ولم يزل قدمه في مهاوي الاسرائيليات، ولم يدخل في جدال مناقشات الطوائف التي جمعت من الاسلام والمسلمين شيئا وأحزاباً، فهو إذا أتى على تفسير الجنة والنار مثلاً قال: انها من عالم الغيب لا يجب ان تتعدى فيها قول الرسول المصوم عما يقوله تعالى^{١١} (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وهذا ما يدل على راحة العقل وكبح جماح الهوى، وأن يقف في الدائرة التي وضعها الله في كتابه العزيز، لان القرآن قبل كل شيء هو كتاب هداية وإرشاد. قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب. أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً). وقد اقتنى الاستاذ السيد رشيد رضا اثر أستاذه الشيخ محمد عبده في التفسير سواء في موضعه من الآراء في الحشرة الاجزاء الأولى، أو الباقي من التفسير حتى الجزء العاشر. وان من يتصفح الحشرة الاجزاء من التفسير الذي أخرجه الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا يعلم منها سمة اطلاع المؤلف وغزارة معارفه وأمانته في النقل، وشدته على خصومه في الرأي، وان الزمن الطويل الذي سلخه في إخراج تفسيره وهو ما يزيد على العشرين سنة مع مثابرته على إخراج مجلّة المنار أكثر من ثلاثين عاماً تشهد لحضرة العلامة المؤلف بقوة الارادة التي لم توجد في رجال المعاهد الدينية الاسلامية لا متفرقين ولا مجتمعين - والاسلام يطمئن من كل جانب من أهله ومن غير أهله ولا يوجد من يدفع عنه بصبر وثبات غير هذا المؤلف الشجاع يناضل أكثر من ثلاثين عاماً ضد البدع والضلالات من الملحدين والمبشرين وغيرهم ممن جعلوا هدم الاسلام غايتهم، واستعباد المسلمين هدفهم.

لقد قرأت الحشرة الاجزاء التي أخرجه المؤلف وهي تعتبر دائرة معارف فقهية إسلامية، وإذا كان هناك بعض ملاحظات فهي تأتي من ناحية استطراد المؤلف في بعض الموضوعات التي تخرج التفسير عن غرضه كالكلام على ترجمة القرآن مثلاً فتقع في ٤٩ صفحة من الجزء التاسع، وبشارة التوراة والانجيل بنبينا ﷺ

ختم في ٧٠ صفحة . وترجمة عزيز أوعزرا . والثالث عند الكلام على الآية الكريمة (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) الخ في ٣٤ صفحة في الجزء العاشر

ان طبيعة الأستاذ العلامة هي إلى النضال والكفاح أقرب منها إلى المسالمة ، فهو إذا ما اعترضه خصومه في الرأي قد فهم بوابل حججه وأسانيده ، وأخذ عليهم المسالك ، وسد عليهم الطرقات ، وقد ينسبه حب الغلبة والقهر - في سبيل ما يعتقد أنه الحق - الدائرة التي وضع نفسه فيها ، وكان يكفي في مثل هذه الموضوعات التي ذكرناها الإيجاز وخصوصاً فيما يختص بالتوراة والإنجيل وأسانيدها إذ ورد عن المعصوم صلوات الله عليه وسلامه أننا لا نكذب ما جاء بها ولا نصدقه - موقف حياد - وقد ذكر الأستاذ ذلك في عدة مواضع وكان يجب عليه أن يقف عند ذلك

توجد بعض استطرادات أخرى خلافة مثلاً عند تفسير الآية (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) سورة الانعام . وقد عقد الأستاذ المؤلف فصلاً في الخلاف في أبدية النار وعنايتها يقع في ثلاثين صفحة وإن كان هذا الكلام يعد من صلب الموضوع إلا أنني أرى أن التلخيص والإيجاز أقرب إلى الفهم وأبقى في الذاكرة من الاسهاب والاطناب

لا يمكننا أن نفي حق العلامة المؤلف في مثل هذه المعجالة الصغيرة من الثناء والتقدير ان ما يجب أن أذكره لحضرة مؤلفنا الفاضل من الليزات التي يتفوق بها على أقرانه اعتصامه بالحديث وتحري صحيحه ، وهذا ما يجعل حجته أقوى ضد خصومه ، وكفته راجحة ، وإنه ما أضعف المسلمين ولا فرقهم إلا التسك بأراء بعض الفقهاء وتركهم للكتاب والسنة وهما ما يجب أن يضمهما كل مسلم نصب عينيه ولا يلتفت لأي رأي ما لم يكن قائماً على السند الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله أو إجماع المسلمين من السلف الصالح . وقد قال الامام الشافعي : الحديث إذا صح فهو مذهبي

قال السيد حسن صدوق في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن) ان طاعة المذهب لمن يقتدى بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونظقت به كتبه وأنبياءه هو كالتخاذ

اليهود والنصارى للاجبار والرهبان أرباباً من دون الله، للقطع بأنهم لم يسجدوا بل أطاعوا وحرّموا ما حرّموا وحلّوا ما حلّوا، وهذا صنيع المقلّدين من هذه الامة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرّة بالتمرّة والماء بالماء - فياعباد الله - ويا أتباع محمد بن عبد الله ، ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال مثلكم في تعبد الله لم بهما ، وطلبه لعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه ؟ فعملتم بما جاوروا به من الآراء التي لم تعتمد بماد الحق ، ولم تعتمد بعرض الدين ونصوص الكتاب والسنة ، بل تبادي بأبلغ نداء ، وتصوت بأعلا صوت بما يخالف ذلك ويباينه ، فأعرتموها آذاناً صماء ، وقلوباً غلفاء وأفهاماً مريضة ، وعقولاً مهية ، وأذهاناً كلبية ، وخواطر علية ، وأنشدتم بلسان الحال :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية ارشد
فدعوا أرشدكم الله وإياي كتبها لكم الاموات من أسلافكم واستبدلوا به
كتاب الله خالفهم وخالفكم ، ومتعبدكم ومتعبدكم ، ومعبودكم ومعبودكم ، واستبدلوا
بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاءوا به من الرأي - أقوال إمامكم وإمامهم ،
وقدوتهم وقدوتكم ، وهو الامام الاول محمد بن عبد الله ﷺ

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كخطاير
الهم هادي الضال مرشد التائه موضح السبيل اهدنا إلى الحق وأرشدنا إلى
الصواب وأوضح لنا منهج الهداية . اهـ

ليس الاسلام بدين أمانى وأوهام ، بل هو دين إيمان مقرون بصالح الاعمال ،
وقد وضع الله سقناً محكمة من اتبها نجا وسعد ، ومن خاد عنها ضل وشقي
قال تعالى (ليس بأمانيك ولا بأمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به
ولا يجز له من دون الله ولياً ولا نصيراً) * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو
أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) وقال رسول الله ﷺ
« ليس الايمان بالتمني ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل ، ان قوما ألتهم
أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله
تعالى - كذبوا - ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »

وقصارى القول ان تفسير المنار الذي أخرجه العلامة السيد رشيد رضا جدير بالثناء والاعجاب، وأن يقرأه كل محب للاطلاع على ما يرمي اليه القرآن الكريم من إصلاح الأمم التي يدعوهوا لتمسك بأدابه وأحكامه، وأن هذا التفسير يتمشى مع روح العصر الحاضر - فجزى الله المؤلف خير ما يجزي به العاملين، ووجهه إلى إتمام بقية الاجزاء الباقية حتى يتم للناسفة الإسلامية تفسيراً شاملاً يفيهم عن كثير من التفسير، ويهديهم إلى التمسك بما جاء به كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

يحيى أحمد الدردري

دكتور في الحقوق وليسانسيه في العلوم السياسية (المنار) نشكر لك كثرة العلامة بمحيى تربية العلمي وقده الوجه ونسال الله تعالى أن يكثر من أمثاله في أنصار الاسلام من أساتذة علوم هذا العصر. وعذرنا في تلك الاستطرادات الطويلة شدة حاجة المسلمين الباحثين الى تحقيق القول فيها مع العلم بان قراء تفسيرنا أكثر من قراء مجلتنا (المنار) المختصة بها، وما اشتدت الحاجة الى بيان ودحض الشبهات فيه فلا يتجلى الحق فيه للجمهور الا بالبسط والاطنا، واما الشدة على المخالف فسيبها ما ابلينا به من مناظرات دعاة النصرانية (المبشرين) السفهاء، وأنصار البدعة الاغبياء، وقد شرعنا في اختصار التفسير وإكماله مختصراً ومطولاً كما اقترح علينا الكثيرون، لياخذ كل من طلاب الاسباب وطلاب الاجياز حاجته، ونساله تعالى التوفيق لانجازها

تفسير المنار

تقریظ وقد للاستاذ الفاضل علامة الاباضية الشيخ أبي اسحاق ابراهيم ططيش نشره في مجلته المنهاج (ج ٢٠١ ٦٤) قال

ظهر في السنة الماضية الجزء التاسع من تفسير المنار وفي هذه السنة ظهر الجزء العاشر منه، وتفسير المنار من أسمى التفسير وأوفرها ثروة، وأشملها لحقائق من التفسير معقودة من مناهج المفسرين، وليس السيد مفسر المنار من يحشر ما به ودب ويجمع ما عدا الأوراق، ويعتمد الى ترهات الاسرائيليات التي شوهت جمال كثير من الكتب، وما ليس له علاقة بالتفسير، إلا حب الاستكثار والولوع بالتخليط، حتى صار الكتاب أشبه ما يكون بقصص الرواة اليوم، وهو ما يجب أن ينزه

عنه تفسير كلام الله . ولكنه والحق يقال تفسير تمتع بطلاوته ، مبدع في أسلوبه ، جامع في إلمامه بمتنصيات الآيات ، مع الإيجاز في مقام الإيجاز ، والاطناب في مقام الاطناب . اذا مررت بآية في سنن الكون رأيت يدني اليك من الحقائق ما يسحر ، أو بآية في سنن العمران رأيت بين يديك من الدقائق ما يبهر ، أو بآية التوحيد رأيت من تمحير وتمجير ما يفنيك عن طائفة من الكتب ، مع استقلال في البحث والترجيح ، أو بآية في الفقه وأصوله أوقفك على ما يأخذ بتلايبك ، ما لكالك من جواربك ، أما تحقيقات البلاغة فهي السحر الحلال ، لست ترى في أسلوب هذا التفسير المبتكر خروجاً عن مناهج العربية ، وعما تقتضيه الآيات الكريمة وتبينه الأحاديث النبوية ، أما آيات مخاطبة الأمم ودعائها إلى الهداية الإسلامية فاصداح وإقناع ، وإشباع بالحق والحجة ، والإدلة التي يسلم بها الخصم .

ذلك هو تفسير المنار تقدمه إلى قراء المنهاج . ولا يفوتني أن أذكر أنه بقي في ذهني أن قطب الأئمة شيخنا محمد بن يوسف أطفئ رحمة الله ورضي عنه ذكره بأعجاب تفسير المنار وأثنى عليه ^(١) وفي ظني أنه في بعض تأليفه أو سمعته مشافهة وكفى بثناء هذا الإمام العظيم الذي فسر القرآن ثلاث مرات (داع العمل ، ليوم الأمل ، هيمان الزاد ، إلى دار المعاد ، تيسير التفسير)

على أنني لا أهل أن آخذ على هذا العلامة الكبير شدة لهجته عند الكلام على صفات الله ، والآيات المتشابهات ، والحال أنه اختار أن يأخذ بجانب عدم التأويل ، والتأويل هو ما يقتضيه كلام الله وعليه أهل البلاغة والخلف من أصحاب المذاهب الأربعة والمفسر منهم ، وكما ألتزمه موجب للتأويل ، ولنا كلام في هذا الموضوع وغيره في غير هذا المكان . فلمصنف اختياره . وله ترجيحه ولكن لا يجوز لأحد من أهل العلم أن يشتد على مخالفته في النظر والمذهب ، وهو رأي

(١) كذلك إمام الأباضية في عمان من الشرق ، أثنى على هذا التفسير كما أثنى عليه إمامهم هذا في الغرب (الجزائر) وبما كتبه عن مؤلفه لغيره : وكأنه سأل أن يعطى الحق قاطعاً ، وأن يوقى الباطل فوقه ، فهذا دليل على استقلال هذين الإمامين وانصافهما

ومذهب أساطين من أهل العلم من السلف والخلف . ونرجو الله أن يمد في عمر المفسر حتى يتم تفسير القرآن الكريم الذي هو من أنشودة الامة الاسلامية اليوم ومناها اه
(النار) نشكر للاستاذ العلامة صاحب المنهاج تقيظه العلمي الاستقلالي . وكذا نقده المذهبي في مسألة التأويل على ما فيه من تعارض وإجمال وإيهام سببها توخي الاختصار ، فهو يقول ان المفسر من «الخلف من أصحاب المذاهب الاربعة» فإذا يريد بهذا القول ؟ ان أئمة المذاهب الاربعة يعدون من علماء السلف لا من الخلف . وكان مذهبهم في الصفات إيراد النصوص في صفات الله تعالى كما وردت من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، وهذا ما ندين الله تعالى ونقرره في تفسيرنا وغيره علما لا تقليداً لهم وأما التأويلون من المتكلمين المتحمين اليهم في الفقه كلمة منزلة من الحنفية والاشعرية من المالكية والشافعية فقد خالفوا أئمتهم في هذه المسألة الاعتقادية ، واعتقد بعضهم كالغزالي عن ذلك بأن الضرورة ألجأتهم الى علم الكلام المبتدع لاجل الرد على الفلاسفة والمبتدعة . وقد رجع بعض هؤلاء المتكلمين عن تأويلاتهم إلى مذهب السلف الصالح في الصفات كما يفضلونهم في سائر أمور الدين
وأما كون البلاغة وكلم التزيه يوجبان التأويل ، فهو دعوى أو دعويان . لا يقوم عليهما دليل ، فهؤلاء المتكلمون المتأولون ليسوا أكل تزيه الله تعالى ولا أقوى فعما لبلاغة كتابه من علماء الصحابة والتابعين ، بل دونهم فيها بدون نزاع ، وإنما كلامهم في التزيه مبني على نظريات اصطلاحية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، وقد أفضت بالجهمية والمعتزة إلى نفي الصفات التي أثبتتها الله تعالى لنفسه وهي عين الكمال ، بالتحكم فيها كما يتحكمون في صفات المخلوقات ، كما أن فهمهم لبلاغة مقيد بقواعد واصطلاحات الفنون وأصول المذاهب التي يحكونها في القرآن — والقرآن فوق الفنون والمذاهب وإنما الواجب تحكيمه فيها ، كما بينا ذلك مراراً في تفسيرنا (والشيعة والاباضية على مذهب المعتزة في التأويل)
وأما شدتنا في الرد عليهم فهو دون شدة غلاتهم في الرد على أهل الاثبات ، وسلف الامة ، فهم قديكفرون مخالفهم في صفة العلو ولو بطريق اللزوم ، ونحن نحفظهم ولا نكفرهم ومستوحى الذين في ذلك إن شاء الله تعالى

غاندي يشهد للاسلام

﴿ومحمد عليه الصلاة والسلام﴾

جاء في مجلة النورد (ذي لايت) التي تصدر في لاهور وهي مجلة اسلامية القتال التالي للمهاثما غاندي في الاسلام وهذه ترجمته وقد نشرت في بعض جرائد مصر وشورية :

« لم يكن الاسلام في ابان مجده عديم التسامح فقد احرز اعجاب العالم كله ولما كان العرب غارقا في الظلمات اشرق نجم في مماء الشرق واضاء علما متألما ومنحه التعمية : ليس الاسلام ديننا باطلا فليدرسه الهندوس باحترام يحبوه كما أحبه أنا » انتهى من درس حياة اصحاب النبي ولما انتهت من المجلد الثاني اسفت لعدم وجود ما بعده لأقرأ عن تلك الحياة العظمى وغدوت مقتنما كل الاقتناع انه ليس السيف هو الذي جعل للاسلام مكانة في معترك الحياة ، بل ان بساطة النبي التامة وانكاره الكلي لذاته واحترامه (يعني إثارة على نفسه) الدقيق لهوذة ، واخلاصه الشديد لاصدقائه واتباعه ، وشجاعته وبسالته ، وعدم مبالاته بالخاوف ، وثقته الكاملة بالله ورسائله هذه — لا السيف — هي التي جرفت كل شيء امام المسلمين الاولين وتعلبت على كل العقبات .

« قال بعضهم » ان الاوربيين في افريقيا الجنوبية يخشون انتشار الاسلام — الاسلام الذي مدن اصبانيا . الاسلام الذي حل النور الى المغرب وبشر العالم بالاخوة . »
« ان الاوربيين يخشون الاسلام لان الذين يمتنقونه يحتمل ان يطالبوا البيض بالمساواة ومن حق هؤلاء أن يخافوا لو كانت الاخوة خلية . فاذا كان البيض يخافون من المساواة بالناصر الاخرى فان الخاوف من الاسلام تقوم على أساس صحيح . اني رأيت الزلومي الذي يمتنق المسيحية لا يصمد بطبيعة الحال الى مستوى المسيحيين على حين انه اذا اعتنق الاسلام يشرب من نفس قدح المسلمين ويأكل من ذات قصعتهم »

المؤتمر الاسلامي العام في بيت المقدس

نهرج نارنجي

ان عدد المسلمين في هذا المصر أربعمائة مليون نفس أو يزيدون وهم على استحواذ الجهل والفقر والتفرق عليهم لا يزالون يشعرون بأخوة الاسلام ووحدته وهم يملكون أعظم ثروة من الأرض وأعظم هداية للبشر لو عرفوا كيف ينتفعون بهما لسادوا العالم كرة أخرى أعظم وأوسع من السيادة الاولى، وأقرب الوسائل إلى نشر هذه المعرفة وتعميمها والسعي للعمل بها عقد المؤتمرات وتأليف الجمعيات قد فكر أفراد من كبار أصحاب الرأي من المسلمين منذ أواخر القرن الماضي للهجرة بشدة الحاجة إلى الاجتماع للبحث في أسباب ضعف امتهم وما يجب من معالجته وإعادة مجدهم السابق بما تقتضيه حالة هذا المصر من علم وعمل، وإلى تأليف جمعية عظيمة ذات فروع كثيرة لقيام بذلك، وكلن أعظم هؤلاء المفكرين قدراً وأفواهم تأثيراً موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني. وقد نبهنا أمتنا لهذا الامر العظيم في المنار مراراً كثيرة من أول نشأته إلى الآن، من قبل أن نسعي الاجتماع لهذا البحث مؤتمراً

وكان اول ما بسطنا به هذا الرأي مقال عنوانه (الاصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الاسلامية) نشرناه في العدد الذي صدر في المنار في السنة الاولى بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٣١٦ (فيراجع في ص ٧٦٤ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول) وقد جاء فيه ما نصه:

«ويتوقف هذا الاصلاح على تأليف جمعية إسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب في كل قطر إسلامي، وتكون عظمى شعبها في مكة المكرمة التي يؤمها
(المنار: ج ٢٧) (١٥٥) (المجلد الثاني والثلاثون)»

المسلمون من جميع اقطار الارض ويتآخون في مواقعها الطاهرة ومعاهاها المقدسة، ويكون اهم اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف حيث لا بد أن يوجد أعضاء من بقية الشعب التي في سائر الاقطار يأتون الحج فيحملون إلى شعبهم من المجتمع العام ما يستقر عليه الرأي من التعامل السرية والجهرية. وهذا أحد مرجحات وجود الجمعية الكبرى في مكة المكرمة على وجودها في دار الخلافة. وثم مرجحات أخرى من أهمها البعد عن دسائس الاجانب ووساوسهم، والأمن من وقوفهم على ما لا ينبغي وقوفهم عليه في جلته أو تفصيله (ومنها) ان لشرف المكان والحالة قاصديه الدينية اثرآ عظيماً في الاخلاص والتزهد عن الهوى والقرص، فضلاً عن الفش والحيانة. وينبغي أن يكون للجمعية الكبرى جريدة علمية دينية تطبع في مكة أيضاً وأية شعبة استطاعت إنشاء جريدة تنشأ

وقد بينا في تلك المقالة ومقالة أخرى بعدها أم ما يجب أن تقوم به هذه الجمعية الكبرى من الاصلاح لجمع كلمة المسلمين والقيام بمصالحهم العامة، وتبديد تبادل الرأي في كل عام، وهو ما أعدنا الآن بيانه واقتراح بمضيه في مؤتمر بيت المقدس في شهر شعبان الماضي أي بعد ٣٥ سنة كاملة من كتابة هاتين المقالتين

مؤتمر أم القرى الخيالي

ثم جاء مصر الحكيم الاجتماعي المفكر السيد عبدالرحمن الكواكبي فكان من خيار أصدقائنا الذين تحاورهم ونسامرهم في موضوع الاصلاح الاسلامي وكان قد وضع قبل رحلته هذه كتاب سجل جمعية أم القرى الذي هو أوسع شرح لمشروع أعظم مؤتمر إسلامي للاصلاح العام، وكان مختصراً فزاد فيه شيئاً كثيراً بعد المذكرات الطويلة بينه وبيننا نحن وغيرنا من المفكرين والباحثين في الاصلاح الديني والدني والسياسي، ونفع بعضه، وإن لدي نسخة الاصلية المخطوطة الشاهدة على ذلك. ولما طبعه واطلع عليه أحمد مختار باشا الغازي الشهير اتهمني بتأليفه لكثرة ما كان بيني وبينه (أي الغازي) من المذكرات في موضوعه، وقد ذكرت هذا في ترجمة الكواكبي في عهد الغازي. ولو كان الغازي متقناً للغة العربية لما اتهمني

بذلك فان عبارة الكتاب ضيقة وفيها كثير من اللحن والغلط ، ولذلك اتفقت مع مؤلفه رحمه الله تعالى على تصحيح عبارته وبمض التنقيح فيه ونشره في النار وإعادة طبعه عنه مع ذكر ما أخالفه فيه في حواشيه وهو قليل ، وشرعت في ذلك في المجلد الخامس (سنة ١٣٢٠) وتوفي رحمه الله تعالى قبل إتمام نشره وطبعه . وكان يقول لنا ان لجمعية أم القرى أصلاً ، وانه هو توسع في السجل وتقعحه ست جزات آخرها عند طبعه سنة ١٣١٧ ثم أقنعت بإعادة تنقيحه سنة ١٣٢٠

مؤتمر ندوة العلماء بالهند

وفي سنة ١٣٣٠ (الموافقة لسنة ١٩١٢) دعيتي جمعية ندوة العلماء الهندية المشهورة إلى رئاسة مؤتمرها الذي عقدته في الهند فأجبت الدعوة وقد بينت في خطبتي لافتتاح هذا المؤتمر في مدينة لكهنؤ ثم في خطبتي الاربجالية في المدرسة الكلية (الجامعة) في عليكده وهي أعظم المدارس الاسلامية للدينية في الهند - ثم في مدرسة ديوبند وهي أعظم المدارس الدينية فيها - أم أركان الاصلاح الاسلامي في التعليم والتربية . وأقيمت في المحافل والاجتماعات الادبية والمدارس الاسلامية في الهند خطباً أخرى في الاصلاح أهمها الخطبة التي أرتجلتها في لاهور في الاجتماع الذي عقد للصلح بين الصحفيين الكبيرين مولانا محمد انشاء الله صاحب جريدة وطن رحمه الله ومولانا ظفر علي خان صاحب جريدة (زميندار) حفظه الله . وقد أعجب حاضرو ذلك الاجتماع بما ألهته فيه من فلسفة الاختلاف والاتفاق بين البشر حتى اقترح بعضهم ان أجعله موضوع خطبة الصدارة في مؤتمر ندوة العلماء وكان قبل عقد المؤتمر ، ويلبها الخطاب الذي ألقيته في يومي في اجتماع عظيم عقد للتأليف بين أهل السنة والشيعة ، وكنت مهدت له تمهيداً عملياً في لكهنؤ بزيارتي لكبير مجتهد الشيعة فيها وحمله بذلك على زيارة ندوة العلماء وحضور حفلتها ؛ ولم يكن زارها من قبل

المؤتمر السوري العام بدمشق

وفي سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) انتخبت رئيساً للمؤتمر السوري العام الذي عقد في

مدينة دمشق وأعلن استقلال سورية الطبيعية ، وتولية الشريف فيصل ملكا عليها
فكان هذا اختبارا وتمرنا على إدارة المؤتمرات السياسية ومباحثها
المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف

وفي سنة ١٣٤١ هـ عقد في مدينة جنيف المؤتمر السوري الفلسطيني و كنت
من مؤسسيه والوكيل الاول لرئيسه
فهذه نبذة تاريخية في أول عهدي وأوسطه وآخره في فكرة المؤتمرات وعملها
والبحث في موضوعاتها المختلفة ، قبل المؤتمر الذي عقد في هذه السنة في بيت المقدس
وفي المنار مقالات ومباحث ورسائل كثيرة في هذه المؤتمرات وفي مؤتمرات
مسلي الهند وغيرها

مؤتمر مكة المكرمة السعودي

ولما أراد صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد جمع مؤتمر
إسلامي بمكة عقب استيلائه عليها سنة ١٣٤٤ كلفني إرسال دعوته لهذا المؤتمر إلى
بعض رؤساء الحكومات والحجيات الإسلامية من مصر قبل استيلائه على جدة
بجلبت ، ثم كلفني بمكة كتابة مشروع النظام الداخلي له والخطاب الذي يفتحه
جلالته به ففعلت . ثم ألغت لجنة للنظر في مشروع النظام مؤلفة من أعضاء يمثلون
الحجاز والهند و جاوة وروسية وغيرها من بلاد الاسلام فكانت تجتمع عندي في
دار بناج الشهيرة حيث أنزلني جلالة الملك ضيفا ، يبدأني أصبت بالحى الشديدة قبل
إتمام تنقيح مشروع النظام وقد نفخ في هذا المؤتمر شي من روح الشقاق من قبل الوفد
الهندي بمارضة محمد علي وشوكت علي لملك الحجاز في شكل حكومته فوق الله شره
مؤتمر بيت المقدس

قام بالدعوة إلى هذا المؤتمر صاحب الساحة السيد محمد امين الحسيني المفتي
ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى لفلسطين بعد تمهيد غير تام له فلفتي بمارضة قوية
وكيداً شديداً ، وإنني أبداً بنشر صورة الدعوة العامة إلى المؤتمر فالدعوة الخاصة
بي لتمضيده والمساعدة عليه . ثم ألخص أخبار بالقيه من السكيد والمعارضة فأخبار
عقده وأعماله وعلي فيه ورأيي في فائدته كما ينتظر مني قراء المنار فأقول :

﴿نص الدعوة العامة إلى المؤتمر﴾

نشرت الدعوة الأولى إلى هذا المؤتمر في ٢٢ ربيع الأول من هذه السنة (١٣٥٠) وحدد فيها موعد عقده بالتاسع من شهر جمادى الأولى الموافق أول أكتوبر (٢٢) سنة ١٩٣١ ثم جاءت مكثوبات كثيرة إلى الداعي طلب مرسلوها تأخير الموعد ليتمكنوا من الحضور فيه من بلادهم البعيدة فنسخت الدعوة الثانية وهذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿واتمروا بينكم معروف﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وصحبه أجمعين (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فإني أحد اليكم الله الذي ألف بالاسلام بين قلوبنا فأصبحنا بنعمته إخواناً، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم الداعي إلى الحق وصرأ مستقيماً، وعلى آله وأحبابه وتابعيه الذين اهتدوا بهديه، فشقوا بذلك لأنفسهم سبل النجى والفلاح، وحيوا حياة طيبة (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ولما كان المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وكان الحادث إذا نزل بفريق من المسلمين فكأنما نزل بالمسلمين جميعاً، فقد رأى فريق من أهل الرأي النافذ، والنيرة الحافزة من أهل هذه البلاد وغيرها من الاقطار الاسلامية القيام بدعوة واسعة النطاق لقد مؤتمر إسلامي عام في بيت المقدس الذي تشرف بإسراء الرسول الاعظم ﷺ، يدعى إليه أعيان الملة الاسلامية وكبراء رجالها من سائر الاقطار الذين عهدت فيهم النيرة والحمية والعلم الصحيح والرأي السديد والبصر النافذ، للبحث في حالة المسلمين الحاضرة، وفي صيانة الاماكن المقدسة الاسلامية من الايدي الممتدة إليها الطامعة بها، وفي شؤون أخرى تهتم المسلمين جميعاً وتعود عليهم بالخير العميم والنفعة العظيم ان شاء الله تعالى

وبالنظر لما نعهد في جنابكم من الغيرة الاسلامية ، وسداد الرأي والكفاية التامة للاضطلاع بهذا العبء ، فاننا نوجه اليكم هذه الدعوة لحضور المؤتمر الاسلامي العام الذي سيعقد ان شاء الله تعالى بالقدس الشريف في جوار المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله في ليلة الاسراء المباركة في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ وفق ٧ كانون الاول (٧ ديسمبر سنة ١٩٣١) لتتفضلوا بالاشتراك مع الذين يلبون الدعوة من كبراء الرجال في العالم الاسلامي حيث يستلهمون الاقدام والعمل في سبيل الاسلام من رضوان الله عز وجل ، ومن روحانية المصطفى ﷺ . وسيكون افتتاح المؤتمر في المسجد الأقصى المبارك

وان لنا عظيم الامل في أن ننال من جنابكم جوابا بالترديد الجوي في أسرع ما يمكن ، يتضمن استعدادكم للتفضل بتلبية هذه الدعوة لهذا المؤتمر العظيم ، الذي نرجو أن يكون له أثر مبارك ، وشأن كبير في تاريخ الجهاد الاسلامي بفضل غيركم وقوة إيمانكم . واننا نسأل المولى عز وجل أن يسدد خطانا ، ويخير مصلنا في هذه الظلمات الحالكه بنور هدايته ورضوانه ، ويوقفنا جميعا لخدمة الاسلام . قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
رئيس المجلس الاسلامي الاعلى
وفي الديار المقدسية
محمد أمين الحسيني

في ربيع الثاني سنة ١٣٥٠

﴿ نص الدعوة الخاصة بصاحب المنار ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مولانا صاحب الساحة الاستاذ الاكبر العلامة السيد محمد رشيد رضا ، متع الله المسلمين بطول بقائه . آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته «أما بعد» فقد حثت العزيمة بمد الانكسار على الله تعالى على عقد مؤتمر إسلامي عام في القدس الشريف ليمسح هذا المؤتمر في أمم القضايا الاسلامية العامة التي تهتم العالم الاسلامي قاطبة وتبجمة كلمته وتكفل

تناصره بصورة عامة ، وفي القضايا الاسلامية التي تتعلق بفلسطين على الخصوص ومن ذلك قضية البراق الشريف وسائر البقاع المشرفة في فلسطين ، والنظر في اتخاذ ما تدعو المصلحة إلى اتخاذه من المشروعات التهذيبية والثقافية في فلسطين وتحقيق فكرة إنشاء الجامعة الاسلامية التي كنتم أول من عمل على تحقيقها بتأسيسكم دار الدعوة والارشاد وبغير ذلك من مساعيكم المشكورة الخالدة الاثر ، وبذلك تتقوى الروابط بين هذا القطر والاقطار الاسلامية الاخرى ، وتمتد السبل إن شاء الله إلى إنقاذ هذه البلاد المقدسة من الاخطار العظيمة المحدقة بها

ولما وجدنا السياسة الفاشية قد انتهت بقضية البراق إلى الحالة التي وقفتم سيادتكم عليها رأينا انه بات من الضروري الاستعانة برأي العالم الاسلامي في تقرير الخطة التي ينبغي اتخاذها على يد هذا المؤتمر . وسنبث إلى سيادتكم بوقت قريب بخلاصة ما رؤي أن يكون اهدف والغاية في المؤتمر لتتفضلوا بإبداء رأيكم الحكيم ونظركم الصائب وإرشادكم الثمين في هذا العمل الذي نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل منه لمسلمي هذه البلاد الفائدة العظيمة . والنتيجة الحسنة

وقد عرضت لنا الحاجة الآن إلى الحصول على عناوين أرباب المكانة والزعامة والفكر والقيادة من المسلمين في جميع الاقطار لنبحث اليهم بالدعوة لحضور المؤتمر المقرر الانعقاد في ليلة الامراء المباركة الموافقة ٢٧ رجب ١٣٥٠ - ٧ ديسمبر ١٩٣١ وقد ظننا أن لجلة المنار الثراء السبيل إلى إمدادنا بالعناوين التي نرون سيادتكم انه من الواجب توجيه الدعوة إلى أصحابها في جميع الاقطار الاسلامية . وقد يكون في هذا التكليف شيء من المشقة والازعاج فارجو منكم المغو عن هذا والمغفرة مع يقيننا أن للمصلحة العامة أعظم حرز وأكبر ملجأ في ذات سيادتكم الكريمة ، ونرجو أن تتلقى هذه المساعدة الثمينة من سياحتكم بأقرب وقت ممكن ، والله تعالى يأخذ بيدينا ويهدينا سواء السبيل الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين وهو السميع الجيب

مقاومة المؤتمر القديسي ومسألة الخلافة

كان قد ذاع وشاع ان (مولانا شوكت علي) أحد مؤسسي جمعية الخلافة في الهند لترويج سياسة الخلافة العثمانية التركية هو الذي اقترح على السيد محمد أمين الحسيني عقد هذا المؤتمر وان أم غرض فيه مبايعة عبد المجيد افندي العثماني آخر سلاطين الترك بالخلافة وهو الذي نصبته الحكومة الكيالية سلطانا وخليفة روحانياً لاشان له ولا حق في الحكم ولا في نصب الحكم ولا في شريعة الاسلام فرضي ثم خلعت له ثم اختلف الناس في مقام هذا الخليفة فقيل ان شوكت علي متفق مع الدولة البريطانية على أن يكون مقامه في بيت المقدس ليكون آلة في يدها تستعمل سلطته الروحية الوهمية في إخضاع مسلمي الهند وغيرهم لها قلباً وقالباً ، وقيل ان مقامه هذا يكون موقفاً ثم ينقل الى مكة المكرمة بقوة الانكليز وبذلك ينتم شوكت علي من عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد . وقيل بل ينقل بعد ذلك الى الهند فيقيم في حيدرآباد - وهو أينما أقام يكون خليفة بريطانيا . وقيل بل اتفق الانكليز وفرنسة على مبايعة أهل فلسطين وسورية جميعاً له وبقائه في القدس وان يكون نفوذه شركة بينهما بخضمان بهار طايها المسلمين

وقد جهل هؤلاء كلهم كبيرهم وصغيرهم ان انكلترة قد اتفقت مع حلفائها في الحرب على توجيه نفوذهم كلهم الى إمارة منصب الخلافة الاسلامية . موتاً أبدياً على مذهب الدهريين النكرين للبحث والنشور ، وان موته خير لمن من حياته ليكون صاحبه آلة لمن ، إذ لا يأمن أن ترتقي الشعوب الاسلامية وتتفق كلها أو أكثرها على تحقيق وحدتها في التشريع والحكم بجعل هذا للنصب حقيقياً لا وهمياً ، وجعل سلطانه فعلياً لا صورياً ، وانما يمكن هذا بوضع نظام لما لكها المتحدة المستقلة يكون له مجلس اتحادي رئيسه الخليفة

هذا هو الحق ولكن الاشاعة راجت وصدقها الجماهير من الناس غافلين عن تمهيز هذا العمل بهذه الوسيلة الضعيفة وهي جمع مؤتمر بدعوة من مفتي فلسطين يرضى أعضاؤه أن ينتحلوا لأنفسهم صفة أهل الحل والعقد في الشعوب الاسلامية زوراً وظلماً وأن يكونوا طوع شوكت علي الهندي أو خدماً لنفوذ انكلترة في أمتهم .

بل صدقت الاشاعة حكومة الترك الحاضرة قامت لها وقدمت، وأرغمت وأزبدت،
وانذرت وهددت، وصرح كبار رجالها بان هذا عمل عدائي لها، وخطاب سفيرها
في لوندرة حكومتها بذلك، وأكثر جرائد الخوض فيه، ومزجوا كلامهم بالهزم
والتهكم والسخرية من المسلمين والعرب، وراجت الاشاعة في مصر فكثير الخوض فيها
واتتدب علماء الازهر للطن في المؤتمر والصد عنه وشايهم آخرون، فقام
في وجوههم خصوم يفتدون آراءهم ويدافعون عن دعوة المؤتمر، كان لأذعهم قلما،
وأوجهم ألماً، الكاتب المؤثر الجريء الصداق علي افندي عبد الرزاق عدو
الازهر وأنصاره، فاشتد سوء الظن بالمؤتمر عند هؤلاء، وأولئك، وانتقل الصد عنه
والارجاف به من طور إلى طور، وقد كذب السيد أمين الحسيني الخير ثم كذبه
مولانا شوكت علي، ولم تكف الجرائد عن الخوض فيه، ولا الازهريون عن
النقد والطن عليه والصد عنه، وبناء ذلك على الاجمال والايهام في دعوته
اتهم المؤتمر بمناهضة الازهر

بدأ الطعن فيه بمقالات ينشرها بعض كبار شيوخ الازهر في الجرائد فانتقل
إلى تأليف «مظاهرات» اجتماعية من جميع المعاهد الدينية التابعة له في القطر، ويظهر
مما كتب في ذلك أن الازهريين فهموا ما ذكر في الدعوة إلى المؤتمر من الاستعانة
به على إنشاء مدرسة إسلامية جامعة في فلسطين يراد به أن تكون هذه الجامعة
معارضة للجامعة الازهرية ومضادة لها، وحينئذ تكون مفسدة في العالم الاسلامي
يجب درؤها، وإحباط أمر المؤتمر الذي يدعى لها، بل صار موضوع الحوار بين
الناس في هذا المؤتمر أن الغرض منه مقاومة سياسة الحكومة الملكية المصرية وأزهرها.
إن هذا لأمر عجيب، وأنه لا يبعد عن العقل من كون الغرض منه أو كون
أحد الأغراض الاساسية منه نصب خليفة للمسلمين في فلسطين، وأغرب ما فيه
وأدعاه إلى العجب أن يكون المراد من إنشاء مدرسة جامعة في فلسطين معارضة
الازهر ومناصبته، وما استدل به على ذلك من أنها ستسير على نظامه ومناهجته،
وأشد من هذا وأعظم في إثارة العجب أن يشور الازهر وجميع معاهد العلم
التابعة له لصعد العالم الاسلامي كله عن عقد المؤتمر لهذا هذا الخطر الوهمي الذي

تهدده به هذه الجامعة التي يكلف تقريرها والسعي إليها. ولو كان الأزهريون أو غيرهم من الجماعات الإسلامية يهجون لدرء المفساد الحقيقية والاختار المستينة في بده وقوعها كما هبوا لمقاومة هذا الخطر الوهمي قبل وقوعه لما نالت خطوب الدهر ونوائبه من المستلین نیلا

كيف يقتل هذا الخطر؟ من ذا الذي يقصده؟ أهو السيد محمد أمين الحسيني مفتي القدس أم غيره؟ ما فائدة هذا العمل لمن عساه يقصده؟ كيف يتصور أن يتوسل إليه بمؤتمر إسلامي؟ هل يعتقد الأزهريون أن العالم الإسلامي قد ثبت عند دمه أو حكمه ولو كه وأمراته أن الأزهر مفسدة في الإسلام يجب القضاء عليها فيخشوا أن يقبل مندوبوم في المؤتمر اقتراح القضاء عليه أو ممارسته بجامعة نحل محله أو تقضي عنه؟ ثم إذا قبل المؤتمر هذا وقرره وجمع المال الكثير له فكيف يكون التنفيذ لمقصده؟ من ذا الذي يضع النظام لهذه الجامعة الإسلامية المقدسية المؤتمرية؟ حوا الكتب التي تختار أو تصنف لها؟ ومن أين يؤتى لها بالمدرسين الذين يتولون هذا التعليم الغريب فيها؟

انه ليمكن بسط كل استفهام من هذه الاستفهامات الانكارية في مقال أو مقالات يثبت بكل منها ان ذلك الوهم الذي ألتى في روع الأزهر فأحدث فيه ذلك الروع العجيب من محالات القول أو محاربتها. ولكن إقناع الجماعات بالادهام التي ينكرها الحس مع العقل من أسهل الامور المألوفة، كما أن تقليد بعض الجماعات لبعض فيها من الوقائع المروفة، كما حققه فيلسوف التاريخ (غوستاف لوبون) وأما الافراد المستقلون في فهمهم وتفكيرهم فلا تقبل عقولهم أمثال هذه الادهام وقد حدثت بعض أصدقائي من علماء الأزهر غير المحروفين بتيار مشيخة الأزهر في هذه المسألة فوافقوني على استحالة ما عزي الى الداعي إلى المؤتمر واخوانه أعضاء اللجنة التحضيرية له أن يقصدوا من الجامعة المقدسية مصادمة الأزهر ومعاداته وان طعن الأزهريين في هذا المؤتمر بهذه العلة مما لا يسيغه العقل ولا يسوغه الدين

إن كانت الجامعة المطلوبة دنيئة كالأزهر فأجدر بالأزهريين أن يفرحوا بها، ويرشحوا علماءهم للتدريس فيها، وإن كانت مدنية فلا تمردو أن تكون

الجامعة المصرية وقد صرح بعض كتاب مصر في جرائدهم بأن الفرض منها نسخ الثقافة الازهرية القديمة البالية بثقافة طريفة جديدة، ولم تر أحدًا من علماء الازهر حاجها بكتابة ولا مظاهرة. فكيف أخذوا أهبتهم، واستجمعوا قوتهم، واستلوا سيوف أسنتهم وشزعوا اسلالت اقلامهم للضرب والطمان، وبارزوا الجماعة المقدسية قبل بروزها إلى الميدان، ان هذا مما يؤسف له ولكنه وقع، ودفع الازهر فاندفع، وطالبني بعض من يسحبهم رأني في أمثال هذه المسائل الاسلامية أن أكتب مقالاً في هذا الموضوع يحز في المفصل، ويحل هذا المعضل، وينشر في بعض الجرائد اليومية، فقلت ان الكتابة في هذا الموضوع الآن ليس من المصلحة الاسلامية في شيء، فان مخطئة الازهر في أمر ظهر به جمهور شيوخه وجيوش طلابه لا يجوز الا اذا تندر تلافى هذه الفتنة واقناعهم بالكف عن الطعن في المؤتمر والصد عنه مع حفظ كرامة الفريقين. فان تعذر هذا فنصر دعوة المؤتمر واجبة لانه مصلحة اسلامية ضرورية في إحباطها مضار كثيرة عامة ذكرتها لهم، وأشرت الى هذه المصلحة العامة في مقدمة هذا المقال، وقد اشتدت الضرورة اليه في هذا الزمان، وسأذكر للمصلحة الخاصة بالمكان (القدس)، وإرجائه بعد تميم الدعوة اليه كما اقترح بعض الناس فيه مضار أخرى لا تخفى على العاقل المنكر، فلا يقول بها إلا أتين الرأي، أو مي القصد — كذلك حفظ كرامة جامعة الازهر ضرورية من حيث شخصيته المنوية، ولا ينافيها تقد مشيخته في إدارته ونظام التعليم فيه، ولا الرد على بعض شيوخه، والجمع بين كرامته وتأليف المؤتمر وكرامة الداعي اليه ممكنة

لم أر تلافى الفتنة إلا دعوة السيد محمد أمين الحسيني إلى الاسراع بالهجرة إلى مصر لتلافىها مع الحكومة المصرية الملكية ومشيخة الازهر فإني موقن بأنه لا يقصد هو ولا أحد من أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر شيئاً يسوء هذه الحكومة ولا الازهر ولا شيئاً يمس كرامتهما بما يشينها أو يهد غصصاً لحقوقها

ولا أكنم في هذا المقام ما سمعته بأذني من بعض الطاعنين الناقين من ترك السيد محمد أمين ما كان يجب عليه وجوباً أدبياً من استئذان جلالة ملك مصر في

هذه الدعوة لما لهم من المكانة والميزة بين ملوك المسلمين ، ولما لهم من الفضل في مساعدة السيد محمد أمين المالية الكبيرة على ترميم المسجد الأقصى . وقال لي رجل آخر له مكانة في كبراء المسلمين انه كان يجب عليه أن يستشير جميع ملوك المسلمين في هذا العمل العظيم . وقد أجبت هذا وكل من أورد هذا الانتقاد بأن الرجل قد ثبت عنده وعند من شايعه وساعده على الدعوة إلى هذا المؤتمر أنه ضروري لتعزيز مركز فلسطين تجاه مطالع اليهود ومحاربة الدولة البريطانية لهم ولتقوية مركز المجلس الاسلامي الشرعي فيها ومركزه هو فيه - والامر الضروري الذي لا بد منه لا يستشار فيه أحد ولا سيما من كان ما يشير به حكا أو كالحكم الذي لا مندوحة عن طاعته كصاحب الجلالة ملك مصر . وإنما الواجب الادبي الذي تقتضيه المصلحة والدوق إيدان ملوك المسلمين بالدعوة وطلب عطفهم ومساعدتهم ، وأظن ظناً يزاحم اليقين ان هذا قد وقع ، كذا قلت لهذا الرجل الكبير ولن دونه بادي الرأي ثم علمت انه هو الحق

في هذه الاثناء كتب إلي السيد محمد أمين الحسيني كتاباً آخر اقترح علي فيه أن أكتب رسالة فيما أرى اقتراحه على المؤتمر من الاصلاح الاسلامي وإرساله اليه لاجل أن قطع على أعضاء المؤتمر عند حضورهم تكون مادة لتفكيرهم من أخ لهم صرف أكثر من ثلث قرن في البحث والكتابة والعمل والمذاكرة والمناظرة في هذا الاصلاح من جميع جوانبه وفروع مسائله - فكتبت اليه أنه يجب قبل هذا الاستعداد للمؤتمر أن يجي القاهرة لاجل تلافي فتنة المعارضة لفكرة المؤتمر وتشويه سمعته والصد عنه التي شرع الازهر فيها ، ووافقت أهواء آخرين يشايعون خصومه في فلسطين نفسها ، فلم يلبث أن حضر وكل من سميه ماسألخص خبره في هذا المقال المعارضة في فلسطين ومثيروها

يوجد في مدينة بيت المقدس تنافس بين بيت الحسيني وبيت الخالدي من بيوتاتها ، وقد توارث الاول منها منصب الإفتاء وكثر في الثاني كتاب الحكم الشرعية في هذه المدينة وتوارثوا أعمالها في عهد قضائها الذين كانت توليهم مشيخة الاسلام في الاستانة ، فلما أنشيء المجلس الشرعي الاعلى بمد رسوخ

قدم الانكليزي في البلاد وكان رئيسه من بني القدس من آل الحسيني صارت المحاكم الشرعية في البلاد كلها تابعة لرياسته فكان هذا سبباً لقوة التنافس بين الاسرتين: الحسينية والخلادية . وهناك بيت النشاشيبي من أسر الوجاهة وعماده راغب بك النشاشيبي رئيس البلدية وهو مسير وملائم لسياسة الحكومة الانكليزية الصهيونية ، وآل الحسيني زعماء المعارضة لها . فلما علت وجاهة المفتي الحسيني برئاسة المجلس الاعلى الذي يتولى إدارة المحاكم الشرعية والأوقاف الاسلامية معاً كان بينهما من المنافسة ما اقتضى الاتفاق بينه وبين آل الخالدي على معارضة الحسيني . ولكل من الفريقين أنصار في البلاد ، فأقصار الحسيني يسمون المجلسين ، والآخرون يسمون المعارضين ، ولكل منهما جرائد تدافع عنهم وتطعن على الآخرين ، وكل من كان له حاجة عند زعيم فلم يقضها له اتخذ عدواً فظا هرخصه عليه بكل ما يقدر عليه . من قول وفعل ، وعقلاء البلاد الفضلاء يخشون عاقبة هذا الشقاق ويمقتون جميع معظاهره ، ولا يهتمون إلى إزالته سبيلاً .

ولما رأى هؤلاء المعارضون بوادر اعتراض الأزهر على عقد المؤتمر وصدمهم عنه ، وبأنهم أنه عنوان لسخط الحكومة المصرية أو موعز به من رجال القصر ، اشتدت نفرتهم ، وقويت عزيمتهم ، وأرسلوا راندهم إلى مصر فناجى بمض من يرجون شد أزهره ، وصاروا يرسلون أشد جرائدهم طعنات في المؤتمر ولجته التحضيرية وفي جميع أعمال السيد محمد أمين الحسيني حتى السابقة إلى جميع من عرفوا عنوانه من علماء مصر ووجهاؤها ورجال حكومتها ، لأنهم يريدون إسقاط حرمته ومكانته من النفوس لذاته لا لتقصيره معهم بعدم ضم زعمائهم إلى اللجنة التحضيرية المنظمة لدعوة المؤتمر كما يقول أعوانهم ذلك بأن من المعلوم بالبداهة أن دعوة كبير آل الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى إلى عقد مؤتمر اسلامي عام في مدينة بيت المقدس تعلي قدره ، وترفع ذكره ، وتبرز مركزه ، فلهذا هب المعارضون إلى تشويه سمعة المؤتمر والاطعن في مقاصده لصعد المسلمين عن إجابة الدعوة اليه ، أو للتوسل إلى الاشتراك مع السيد الحسيني وحزبه في اللجنة التحضيرية المعدة له ، ثم في إدارة شؤونه ، واختيار من يدعى اليه من أهل فلسطين وغيرهم ليكون لهم شأن وتأثير في اختيار

١٢٦ الاتفاق بين مفتي القدس ورئيس الوزارة بمصر المنار: ج ٢ م ٣٢

الرئيس العام له فيحولوا دون انتخاب رئيس المجلس له، وجملة القول ان غرضهم من المعارضة منع عقد المؤتمر أو الحيلولة دون جعل الفضل الأكبر له ولحزبه فيه، ودون جعله معزراً لمركزه ومقوياً لنفوذه في البلاد

الاتفاق بين مفتي القدس ورئيس الوزارة وعقاييله

دعوت السيد محمد أمين للامام بالقاهرة لتدارك ما فيها فحضر وقال لي انه جاء يدعوني، وقد علمت انه دعاء غيري أيضاً. جاء فاستقبله صديقه الدكتور عبد الحميد بك سعيد الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين وهومن أنصار الحكومة الملكية المصرية الحاضرة في برلمانها الحاضر وفي خارجه وصديق رئيسها صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا، وكاشفنه بظواهر معارضة مشروع المؤتمر هنا وخوافيها، وقوا دم. أجنحة الاشاعات والمؤامرات وخوافيها، وما يراه من الطريقة المثلى لتلافيها، وبأدر إلى جمعه برئيس الحكومة فشرح له السيد المسألة وأقنعه بأنه ليس من مقاصد المؤتمر طرح مسألة الخلافة ولا نصب خليفة للمسلمين، ولا يتضمن شيئاً ما يس الحكومة المصرية من قرب ولا من بعد، وان المدرسة الجامعة التي يدعو اليها مدرسة علمية مدنية معارضة لانفراد الجامعة العبرية الصهيونية بالتعليم العالي في البلاد، ومعززة لمركز المسلمين الديني والدنيوي فيها، وأظن أنه أجاب عن الاجمال في عبارة دعوة المؤتمر الذي أسيء فهمها أو تفسيرها، بأن سببه ان الحق في تفصيل المصالح الاسلامية للمؤتمرين فيه وليس للداعي اليه أن يلزمهم حدوداً مفصلة لا يمتدونها. وهذا نص ما نشر في الجرائد المحلية اليومية عقب اجتماع السيد محمد أمين رئيس المجلس الاسلامي الفلسطيني برئيس الوزارة المصرية:

كتاب مفتي القدس الى رئيس الوزراء

حضرة صاحب الدولة رئيس الوزارة المصرية الأتمم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبصدفاتي أؤيد لدولتكم ما جرى به
الحديث بيننا اليوم من أن الموضوعات التي سيتناولها البحث في المؤتمر الاسلامي
الذي سينقد في بيت المقدس في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ ستكون بعيدة كل البعد

عن أن تمس الشؤون المصرية البحتة من سياسية وقومية أو تعرض لما يتعلق بالازهر الشريف الذي أود بمناسبته ألا يتسرب الى الدهن بأي حال من الاحوال. ان الجامعة المراد اقامتها في القدس قد قصد من انشائها أي مرمى غير خدمة مسلمي فلسطين الذين هم في حاجة الى كلية مدنية بجانب الكلية التي أنشئت لغير المسلمين ، وستتخذ التدابير الفعالة لعدم تحطيم المناقشات الدائرة السالفة الذكر كذلك ستحرص اللجنة كل الحرص على أن لا تؤدي الرخصة العامة الواردة في البرنامج بشأن الاقتراحات الى الخروج بقدر ما عن هذه الدائرة، واني أتهنئ هذه الفرصة لاصرح لدولتكم ان ماذع بشأن تناول اجاث المؤتمر مسألة الخلافه ليس له أساس من الصحة على الاطلاق، كما اني أبدي مزيد الاغباط لتأكيد دولتكم لنا — بعد ما مسمت من تصريحاتنا بشأن المراعي الحقيقية للمؤتمر — ان حكومتكم تنظر اليه بمطف ورطاية .

وتفضلوا يا صاحب الدولة بقبول فائق الاحترام

رئيس المجلس الاسلامي الأعلى بفلسطين

امضاء (محمد أمين الحسيني)

٢٦ جادى الثانية سنة ١٣٥٠ هـ

ماحدث بعد الاتفاق مع الحكومة

بعد هذا سكن الزوع وسكت النضب ، وكف الازهريون عن الطعن في المؤتمر ، فاستفتيت من المغي في السمي الذي كنت بدأت به مع صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية لدرء الفتنة ورتق الفتق ليمهد له السبيل مع الاستاذ الاكبر شيخ الازهر قبل التلاقي مع الاستاذ السيد محمد أمين الحسيني، وقد تلاقيا على وفاق . ولكن ما كاد يعلم الناس بوجود هذا السيد الوحيه في القاهرة حتى أقبل الوجهاء على السلام عليه كما دتتم ، ودعوته الى ما دتتم ، وكان أسبقهم الى ذلك زعماء الوفد للعري أصحاب الدولة والعلالي . الوزراء السابقون مصطفى باشا النحاس ومحمد فتح الله باشا بركات ونجله بهي الدين بركات بكه والاستاذ مكرم عبيد ، فكان من رأي الدين يودون عطف الحكومة الملكية

المصرية عليه وعلى المؤتمر إعجاله ليمود أدراجة الى القدس، خشية انتكاث القتل والنيات الامر، بفتنة الاحزاب المستحرة في مصر، فأعجزهم لوثه وصرفه عن اجابة كل دأع، وحجته انه غريب يجب أن يكون سلماً لكل الناس، فعاد حزب الحكومة الى التريب عليه وتمنيد رأيه، وأذاعوا انه أحبط بهذا كل ما كان مرجواً له أو موعوداً به من العطف العالي، والنوال المالي، وعاد المعارضون له في وطنه يذيمون بألسنتهم وأقلام جرائدهم أن الحكومة المصرية غير راضية منه، ولا هي يعامله على مؤتمره، ولقنهم أنصارها في مصر ما أذاعوه هنا من أن الحكومة سجلت عليه ما حملته على كتابته ونشره في الجرائد من تقييد المؤتمر بما كتبه في بلاغين له ونشره في الجرائد من غير أن تقيده نفسها بكتابة شيء، بل قيل ونشر في الجرائد أن وزارة الداخلية أرسلت اليه أحد رجالها من دائرة حفظ الامن العام لحمله على السفر خفية خيفة حدوث مظاهرة له أو بسببه تضطر الى مقاومتها بالقوة، دأبها في مقاومة كل هذه المظاهرات الحزبية، وقد وافق هذا عاداته في عوداته من مصر إلى فلسطين في زيارته السابقة فسافر ولم يعلم الناس ولا الجرائد بيوم سفره.

السعي للصلح في فلسطين

انتدب الدكتور عبد الحميد بك سعيد للصلح بين السيد الحسيني وراغب بك النشاشيبي وأعوانهما فذهب الى القدس وفاوض الفريقين على قاعدة اشتراك المعارضين مع المجلسين في لجنة المؤتمر التحضيرية وعدد الاعضاء من كل فريق خفياً، ثم يقيم ذلك عدد أعضاء كل منهما في المؤتمر وتعيين شخصهم، وعاد إلى مصر فبلغ الناس والصحف انه تم له ما أراد، ثم ظهر انه ما كان قد بقي كما كان ثم عاد من أورية (مولانا شوكت علي) لاجل حضور المؤتمر وسافر هو وصديقه عبد الحميد بك سعيد الى القدس قبل موعد عقد المؤتمر وحاولا عقد الصلح بين الفريقين فلم يتم لهما ما حاولا، ورأيا أن الإبقاء من السيد الحسيني فسخط منه وسخط هو منهما، وقد كانا من أصدقائه الخريصين على نجاح المؤتمر، وظهر هذا السخط في المؤتمر للكثيرين وبعد انتهائه للناس اجمعين، فكان مدعاة الاسف أما وجهة نظرها ونظر أعوانها ممن حضر المؤتمر من أصدقائه عبد الحميد بك

سعيد فهو ان الصلح خير من الخصام بنص القرآن واتفاق جميع الناس ، وانه لا ينبغي أن يؤلف مؤتمر في فلسطين لاجل مصالح المسلمين وجمع كلمتهم على ما يمكن من المنافع العامة وأهلها في شقاق وخصام يمنع من اشتراك جميع أحزابهم فيه وأما وجهة نظر الحسيني وحزبه فهو ان هؤلاء المعارضين له في المؤتمر وغيره فئة سيئة النية معادية له في جميع أعماله تبدل حسناته سيئات ، لا ينافي منخطهم ومعارضتهم رضاء السواد الاعظم من الفلسطينيين وتأيدهم للمؤتمر ، وانهم لما عجزوا عن احباط مشروع المؤتمر من الخارج أرادوا الدخول فيه لاجباط مقاصده من الداخل ، وتوصلوا الى هذا بنشر المطاعن العظيمة عليه في جميع العالم بجريدة خاصة لهم وبالمشورات الخاصة منهم ، وشايهم اليهود الصهيونيون في جرائدهم ، ولو أرادوا الصلح الصحيح لما توصلوا اليه بهذه الوسيلة ، فالشر لا يكون وسيلة إلى الخير ، وبالباطل لا يكون ذريعة للحق ، وان تصدي الدكتور عبد الحميد بك سعيد بالصلح أولا ومساعدة مولانا شوكت علي له ثانيا بما كان من الاجتماع بهؤلاء المخصوم واظهارهم الليل اليهم وخفية مطالبهم ، قد نأى بهم عن الصلح المقول ، إذ رأوا أن لم أنصاراً أقوياء يستمدون انهم يتفقدون رغبة الحكومة المصرية العظيمة الشأن ، بوانه لولا هذا لكان الصلح قريب النال

رأى في وخطفي في الصلح

انني لما علمت ان صديقي الدكتور عبد الحميد بك سعيد أراد الذهاب إلى القدس لاجل السعي بالصلح اول مرة عنيت بلقائه وتحييد سعيه وما أراه فيه . وكنت أظن أن أول ما يجب أن يقوم به هو أن يتضمن الصلح براءة المعارضين من مثل مطاعن جريدة مرآة الشرق ، ومخرجا مقبولا من المطاعن التي نشروها بانصافهم وأسما من شايهم ، ووضع اساس لاستبدال للمودة بالمداوة ، والتعاون بالمعارضة وجملة القول انه ما كان ليرجى وقوع الصلح بين فريقين شأنهما ما بيناه في هذا طلقا بل بشرارك خصوم القائم بفكرة المؤتمر في عمله الداخلي مع بقاء عداوتهم

الراحة له في بيته وحزبه وسياسته ووظيفته ، لانه عبارة عن حرمان نفسه شرف هذا العمل وكفالاته، ورضاء بان تدخل المعارضة له فيه نفسه ولو وقف الساعون بهذا الصلح عند الحد الذي انتهوا اليه لما كان له ولا لغيره أن يلومهم فيه، ولكنهم كتبوا بياناً في خلاصة سعيهم سجلوا فيه عليه أنه هو الذي أتى الصلح ، بعد ان كانوا أقنوه به وشهدوا لخصومه بحسن النية في مطالبهم ، مع العلم بما كان من مطاعنهم الشديدة في شخصه وذمته وشرفه وأعماله في رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى من اول عهده الى آخره ومع العلم بأنهم أعوان المحتلين ... انني محب لعبد الحميد بك سعيد وصديق ، وأحسد له نهوضه بتأسيس جمعية الشبان المسلمين التي تمتعت وجودها وسميت له منذ عشرات السنين ، وأعتقد انه كان حسن النية فيما سعى اليه بحسب رأيه واجتهاده في سياسته ، ولو نددني للسعي معه للصلح بغد اجتماعنا في القدس لا تندبت كدأبي معه فيما يدعوني اليه من خدمة لجمعية الشبان المسلمين ، وأدلي اليه أحياناً بما أراه من المصلحة تبرعاً واحتساباً ، وأعتقد انه لا يشك في إخلاصي له حتى فيما يختلف فيه رأيي ، ومنه انني نصحت له أن يهجر السياسة ملياً ويسالم جميع أحزابها ويصرف كل جهده إلى خدمة جمعية الشبان المسلمين التي لا يرجى نجاحها إلا باقتناع كل مسلم يفار على الاسلام بان هذا العمل لوجه الله تعالى لا شائبة فيه لمقاصد الاحزاب والسياسة . وذكرت له ان مثله فيه كمثل محمد طلعت باشا حرب في خدمته المالية وأعماله الاقتصادية لمصر ، هجر لاجله السياسة وله فيها الرأي الحصيف عملاً بقاعدة الأستاذ الامام حكيم مصر والاسلام « ما دخلت السياسة في عمل إلا أفسدته » فتشابه على عمله جميع رجال الاحزاب السياسية وقتلوه له صاحب الجلالة الملك فأنعم عليه برتبة (الباشوية) بمحض عطفه ورضاء عن أعماله

قلت ان صديقي عبد الحميد بك لو نددني للسعي معه للصلح لا تندبت ولجأز أن يكون له من رأيي الذي علم بفضله مما مر آنفاً ما يرجي به النجاح ، وإذا أعارضته في نشر تلك الشهادة للمعارضين بحسن النية استبقاء للمودة بيننا وبين الفريقين ، ومن رأيي ان مودته للسيد الحسيني وحزبه أنفع من مودته لغيره من النشاشيبي وحزبه ،

لأن وجهته في خدمة الأمة دينية يجتمع فيها مع الاول بالتعاون والتناصح دون الثاني وأنا قد كنتي بعض المحصلين في القدس بأن أسعى وحدي لهذا الصلح لاعتقادهم انني لا أرضى إلا بالمصلحة العامة وصمم الحق ، فأحببت ذلك وأردت الاستعداد له بالوقوف على كنه الشقاق واختلاف المنافع والاهواء فيه ، فعلت من أقوال أصدق العارفين بالحقائق ان السعي الذي يرجى نجاحه متعذر في تلك الايام - أيام المؤتمر لاختلاف المقاصد فيه وفي السياسة والرياسة وقد تسنح له فرصة أخرى وكان من العوائق انه لم يسبق لي اجتماع براغب بك وقد دعاني إلى حفلة الشاي التي دعا إليها أكثر أعضاء المؤتمر فلم أستجب له لانه لم يزرني عقب وصولي إلى بلده ولم يدعني بنفسه ، بل أعطاني بعض المدعويين رقعة من رقاع دعوته ، ولم يزرني أيضاً أكبر أركان حزبه المعارض للحسيني وهو الامتاذ الشيخ خليل الخالدي على ما ينشأ من تعارف وتواد قديمين ، (ومن صداقة مع أشهر رجال أسرته المرحوم روجي بك الخالدي) وكان يتفضل بزيارتي إذا ألم بمصر - وكأنه ظن انني أشايح السيد أمين الحسيني عليهم لانه صديقي وتلميذي ، وحاش لله ، ما أنصبر احداً على الباطل ولو كان استاذي أو أخي ، أو والدي أو ولدي ، وقد تنكب الصراط المستقيم من كان تلميذاً لي فصحت له فلم يزد إلا ضللاً ، فرددت عليه في المنار أشد الرد وصرحت بالحادة في آيات الله ونعمريه لكتاب الله ، وانني لا أنصح للسيد محمد أمين في كل أمر يقتضي النصح ، والتواصي بالحق والصبر

عوائق الصلح وعواقبه الحزبية السياسية

قلت انني كنت حريصاً على منع وقوع الجفاء بين السيد أمين الحسيني وعبد الحميد بك سميد وعلى تلافيه بعد وقوعه ، فكان من أسباب اشتداد وعلم الجماهير به ذلك البيان في مسألة الصلح ، ومنشور آخر شر منه لمضو من رفاقه المصيرين المشايخين للوزارة الحاضرة ذكر في هذا البيان اتيجع ما يظن به خصوم الحسيني فيه وتكليفه أن يحاكمهم إلى محاكم الجنائيات إن كانوا كاذبين وإلا كن لجميع الناس أن يصدقهم في طعنهم بدمته وشره وأمانته ، وقد طبع هذا المنشور ووزع في الفنادق والاسواق والشوارع بامضاء كاتبه الذي لم يره

أحد بعد نشره لا في المؤتمر ولا في خارجه . ولا يجهل عاقل رأي الناس في مثل هذا المنشور وقصد صاحبه والباعث له عليه والنفق على طبعه والمهم بنشره . وكان قبله ما كان في جفلة افتتاح المؤتمر في المسجد الأقصى ، إذ قام رفيق آخر من أصحابه دعاة الوزارة والمناخين عنها وحاول إسكات الاستاذ عبد الرحمن عزام مندوب الوفد المصري عند ما وقف على كرسي الخطابة وبلغ المؤتمر تحية الوفد ورئيسه وتأيدته له كسائر المصريين ، صاح به محاولا تسكيتة أو تسقطه ، وذكرا من جلالة ملك مصر بما لا يخلو من إيهام كان له أسوأ التأثير في المسجد وهم بعض الفلسطينيين بالصائح ، كما فصلت ذلك الجرائد المصرية والسورية ثم كان بعده ما كان من أحداث أعضاء المؤتمر عند إرادة انتخاب الرئيس له من ميل عن السيد الحسيني وميل إليه ، فكان سبب اقتراح بعضهم اختياره للرياسة بالتركية وموافقة الاكثرية الساحقة على ذلك

كانت عاقبة ذلك كله أن كان لمحمد علي باشا علوبه وعبد الرحمن بك عزام من المكانة والرجحان على سائر المصريين في المؤتمر وفي جميع الحفلات التي أقيمت له في فلسطين ، وانتخب الاول وكيلاً لرئيس المؤتمر والثاني عضواً في مجلس الرياسة ، ثم انتخبا عضوين للجنة التنفيذية له ، والاول من حزب الاحرار الدستوريين والآخر من حزب الوفد المصري ، بل كان للوفد المصري وزعمائه أحسن الذكر والمكانة في البلاد الفلسطينية كلها ، وكان من هؤلاء الزعماء ولا سيما رئيسي الوفد وحزب الاحرار الدستوريين أن أيدوا المؤتمر بما أرسلوه باليه من البرقيات والرسائل البليغة

دعي أعضاء المؤتمر الى ما دأب تكريم في القدس نفسها وفي يافا وضواحيها وفلسطين فكانت السيارات تجري بهم أرسالا وكان أهل القرى والمزارع في طرقهم يجمعون لتحياتهم والتهنئة لهم بالحياة والنصر ، وللمبارزين بالسقوط والحزري ، وكثيراً ما ذكر في الهتاف الوفد المصري ورئيسه مصطفى باشا النحاس ، وتضمن هذا تأييد الوفد وحزب الاحرار في خطبتهما ومعارضتهما للوزارة المصرية شرحتة جرائدهما شرحاً ، وجملته نصراً ميئناً وفتحاً (للكلام بقية)

تاریخ الاستاذ الامام

(تقریظه و قدده لامیر البیان ، و بدع هذا الزمان ، الامیر شکیب أرسلان)

تلقيت الجزء الاول الذي ظهر أخيراً من تاريخ أستاذنا الامام الحجة ، آية الله الباهرة، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه، تلقيته والاشتغال إلى ما فوق رأسي، والافكار مشتتة ، والحوادث مقسمة ، والوقت أضيق من حلقة الميم ، فلم أتمكن من مطالعته كله، ولا من إحالة قداح النظر في جميع نواحيه، فاكثفت بقراءة بعض فصوله، وبالتأمل في فهرس موضوعاته، والمكتوب كما يقال يعرف من عنوانه، فلا شك عندي بما رأيته منه في أن هذا التاريخ هو واسطة عقد التواريخ في هذا العصر

فيل ان الامتاز ابن العميد سأل صاحب ابن عباد ثلاثة : كيف رأيت بغداد ؟ فأجابه صاحب : بغداد في البلاد، كالاستاذ في العباد ، وأنا أقول : تاريخ الاستاذ الامام في الكتب كالاستاذ الامام في الرجال ، كيف لا وعمره حجة الاسلام البالغة في هذا العصر، وإحدى حججه الباقية على الدهر، الذي كان أعظم من أظهر فضل الاستاذ الامام ونشر تصانيفه ، وكان منه بمنزلة أبي يوسف من أبي حنيفة ، السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، وخالد الآغا ، فسبح الله في أجله ، وكافأه أحسن ما يكافى، عبداً على عمله، فمن بعد أن نعرف ان هذا السفر الجليل هو من قلم هذا الحبر الحلال ، ومن فيض هذا البحر الذي ليس له ساحل ، أصبح الثقتان في وصفه من قبيل تفصيل الحاصل ، والبداهيات التي لا تحتاج إلى الدلائل

دعنا من متانة عبارة هذا الكتاب وعلو انشائه ، وانتشار المنطق السديد على جميع قضاياه وامتزاج الذوق السليم بمجيم أعمانه ، فإن فيه من الفوائد التاريخية ما لا يوجد في كتاب آخر، وما لا يتم التاريخ العام إلا به ، بل ما كتب السير والحوادث تبقى في مستقبل الأيام عيالا عليه

نم ان ترجمة السيد جمال الدين الافغاني قد سبق إليها الكثيرون وذهب كل كاتب فيها مذهبا ، وكان محرر هذه الاسطر بمن طرزها كتاب «حاضر العالم

الاسلامي ، وأتى فيها بمعلومات لم تسبق لغيره ، إلا أنه لا يوجد كتاب حوى من أخبار جمال الدين رحمه الله ما حواه هذا الكتاب ولا وفى بما وفى به ، بحيث لا يتطلب فيه مطلباً ذا شأن عن حياة حكيم الشرق وموقفه الاعظم رحمه الله إلا رأيته بين دفتيه . ففي تاريخ الشيخ محمد عبده أوفى تاريخ لجمال الدين أيضاً

وأما تاريخ الشيخ محمد عبده فمن البديهي أنه سيكون هذا الكتاب هو الاول والاخر في الاطاحة بهذا الموضوع لان السيد رشيدا — وهو الذي أشعة نظره في العلوم ، كأشعة رونتجن في الجسم — قد وقف جانبا من حياته على تصنيف هذا الكتاب ، وكان أعرف الناس بأحوال الاستاذ الامام وأزمهم له ، وأحفظهم لأقواله ، وأدراهم بمقاصده ، ومن قال إنه خليفته في الارض ، ونسخة عنه طبق الاصل ، لا يخطئ ، فمن البعث ان ننشد للشيخ محمد عبده تاريخاً من بعد هذا التاريخ

والاستاذ صاحب المنار كما يعلم كل من عرفه سالك طريق المحدثين في التدقيق والتحصيل ، فلا يبلغ أجد من التحري والتثبت ما يبلغه ، بما غلب عليه من خلق علماء الاثر ، فلذلك لا يمكن أن ينطوي هذا الكتاب من الاخبار إلا على ما قتله صاحب المنار علماء ، ولم يدع فيه للشك سهاً ، فالذي يطالع ما فيه من الروايات ويكون ممن يعلم مذهب صاحب المنار في التحري ، لا يقدح في خاطره عارض من شك في أن الحادث الروي إنما حدث على ذلك الوجه — يستثنى من ذلك هنات هينات لا يعبأ بها ، لحظت منها ظنه أن مدير المدرسة السلطانية في بيروت يوم كان الاستاذ الامام يدرس فيها هو للرحوم الاستاذ الشيخ احمد عباس ، والحل ان المدير الذي كان يومئذ هو للرحوم خلقي أفندي الدمشقي وهو الذي أشار الى صرفه بغيره السيد عبد الباسط فتح الله رحمه الله في الفصل المتع الذي كتبه عن مقام شيخنا في بيروت — وما عدا ملاحظة او اثنتين مما ليس بذى طائل لم أجد فيها طائلاً ~~مستحقاً~~ هذا التاريخ رواية لم أقل فيها : هذه اصح الروايات وسندها اوثق الاسانيد . ولقد يوردها المؤلف بطرق مختلفة ويمحصها من جملة وجوه ، ويمرضها على محك القياس ، ولا يزال ينخلها إلى أن تبلغ برد اليقين ، وأقصى درجات التحقيق المستطاعة للمؤرخين . وأنه ليلعب به حب التدقيق انه يروي عن استاذة ما قد ينتقده ، وما

يورد فيه اقوال اقوى من اقوال الاستاذ الامام . فالسيد رشيد في جميع كتاباته ليس عنده احد فوق الغر بال كما يقال، وكأ انه ينظر ابدآ إلى قول مالك رضي الله عنه: ليس منكم إلا من ردّ ورد عليه إلا صاحب هذا القبر - يشير إلى النبي ﷺ

هذا وإنك لن تجد تاريخ الثورة المراتية في كتاب بالبيان الوافي الواضح المستوفي لشروط النقل والعقل، وتقليل الحوادث بأسبابها، ووردها إلى أصولها، كما تجده في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام

وفي هذا التاريخ أيضاً تواريخ أخرى لا توجد إلا فيه ، ولن تكتب بقسط التحقيق الذي كتبت به . هذا وذلك لمكان صاحب المنار من القرب في الزمان والمكان، إلى الحوادث المؤرخة وإلى الاستاذ الامام، الذي كان يومئذ قطب الرحي، وهي مثل تاريخ نهضة مصر، وتاريخ الازهر، وتاريخ نهضة الاسلام الحديثة، وبقطة الشرق الحاضر، وكله مرتبط ببعضه ويمض ومتسلسل تسلسلاً مطرداً بطبيعة الاشياء، وكيف اجلت في نواحيه وجدت عاملين كبيرين هما، جمال الدين ومحمد عبده رحمهما الله ، وأنا اقول ان الله عززها بثالث هو صاحب المنار حفظه الله

ولا تنس تاريخ سمو الخديو السابق وما فيه من الغرائب والمجائب ، وما يشغل حوادثه من النوادر، التي مع صحتها ونخلها بمنخل التدقيق لم تخسر شيئاً من فكاهتها، فلم يزد عليها التحري إلا رونقاً . مثال ذلك سرور المشار اليه بوفاة الاستاذ الامام رحمه الله واستيائه من حزن الامة عليه، وعده ذلك تقريباً من ذنوب الاستاذ، ولم يقلل صاحب المنار في جانب هذه الاخبار - التنويه ببعض حسنات وأشياء حسنات أذنت بها الاقدار الالهية على يد سمو الامير ، فكان مذهبه هنا أيضاً مذهب علماء الحديث ، فما تحامل ولا دلس، ولا زاد ولا نقص . ولو علم أمراء الاسلام أن جميع مؤرخيهم هم كالسيد رشيد رضا يحصون عليهم ما حسن وما قبح لا اعتدوا ، وعلموا أن قبل حساب الآخرة حساباً في هذه الدنيا ، ولكن أضر بأمراء الاسلام وبالاسلام تدليس المؤرخين، وتزيين التزلفين، وأكبر الالم على أولئك الفقهاء الذين انتظر منهم الشارع أن يقوموا الامراء وينهزم عن النكر، ويحشوا في وجوه شهورهم ما كشف من تراب الزجر ، فكانوا الماوين لهم على أهواهم ،

الفتين لم بما يزيد في إغوائهم . وليس مرادي هنا تخصيص الخديو السابق الذي قد يكون أحسن من غيره ، وإنما أريد أمراء المسلمين جميعاً إلا من رحم ربك والله يعلم اني جادلت الخديو السابق في أمر الشيخ محمد عبده ولم أحابه ولم أكرم عنه انه كان متحاملاً عليه . ودافعت عن الشيخ عبدالعزيز جاويش أمام الخديو وهو في قصره برأس التين ، وذلك عند ما كانوا آتين بالشيخ جاويش من الاسنانة الى الاسكندرية بتهمة للمؤامرة على الخديو . ولم أكن لذلك العهد أعرف الشيخ جاويش . ولكني كنت أعرف ان هناك نية للانتقام منه رحمه الله ، فانتدبت نفسي للدفع عنه . ثم دافعت عنه مراراً بعد ذلك أمام الخديو السابق ولم أقبل في حقه كلمة واحدة من سمومه ثم ان في هذا الكتاب من الاخبار السياسية والروايات المأثورة عن أعظم الرجال ما يجتمع منه مؤلف مستقل برأسه - كما أن فيه من الفوائد الشرعية ، ومن الحلول الوجبة للاشكالات الحديثة والمسائل المصرية ، ما لا يتأتى في مجموع آخره وكيف لا يكون ذلك وصاحب النار هو قارس هذه الحلبة الذي لا يجاريه مجار ، وإمام هذا الحراب الذي يضلي وراءه الكبار والعصاة

ولم يختلف نظري عن نظره في هذا الكتاب إلا في أمر الاستاذ المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان ، فإن السيد رشيداً فيما يظهر لا يراه في الرجال الممدودين ، او كما قال له شيخنا : انه ناقم منك انك لا تمتد بلمه . هكذا رواها لي السيد رشيد نفسه ، وكيف كان الحال فكان الشيخ عبد الكريم لم يكن في هذا الكتاب بالمكان الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير . ولست أحمل هذا من صاحب النار على ضمن مع علي منه ومن الشيخ عبد الكريم نفسه بأن المودة لم تكن بينهما في صفاء البلور ، ولكني أحمل على ما قاله الاستاذ الامام من أن السيد رشيداً لم يكن يمتد بسمه علم الاستاذ الشيخ عبد الكريم ، ولولا هذا لوفر له حقه غير منقوص ، لان صاحب النار - مع ما فيه من حفيظة - منصف مقسط لا يبخس الناس أشياءهم . وأما أنا فكنت أعتقد بكثير من علم الشيخ عبد الكريم وأدبه وسلاسة طبعه وحسن إنشائه . والاستاذ السيد رشيد يقول ان الشيخ عبد الكريم كان لا يحب السوربين إجمالاً وإنما كان يستثني أنا من بينهم لفكاهتي ، وعبارة السيد هي هذه :

« ثم سبب آخر هو كراهته للسورين ولا أستثني منهم إلا الأمير شكيب . أرسلان فإنه حل من نفسه محلاً كريماً عند مازار مصر لفكاهاته الاديبة ، ونوادره اللطيفة ، على مكانته من حب الاستاذ الامام وتكرمه إياه ، وللدعاية موقع من نفسه معروف ، يلوها عنده صاحب المفاكة وحاضر النادرة الخ » فإذا قرأ الانسان هذه الفقرة ورأى ما تكرر فيها من وصفي بالفكاهة والمفاكة وسرعة البادرة عند النادرة ، تحيل أبي بنو نواس عصري ، وأني لم أنل من الشيخ عبد الكريم موقفاً كريماً إلا بحجة الاستاذ الامام لي ومحبي أنا لفكاهة ، وحاشا للشيخ عبد الكريم الذي كان لجد عنده نصيب وافر ، والذي ما كان يميل أحياناً للدعاية الا لتكون له عون على الصواب إذا اخذ في معالي الامور ، على غلط من قال : أبي لأجم نفسي بشيء من الباطل ليكون أعون لي على الحق - اقول حاشا للشيخ عبد الكريم ان يكون كرم مقامي عنده ناشتاً عن حرارة نكائي معها كانت رغبته في هذا الشأن . وإنما اقول ان سر المحبة كامن في اعماق الصدور واحياء القلوب ، وان الاعمال تزيد منها وتنقص ، وقد تذهب بها باتاناً ، كما قد تزيد بها اضافاً . ثم اني اشهد للشيخ عبد الكريم انه لم يكن على شيء من الشنان للسيد رشيد ، وانه كان يشهد بفضله ، وانه قال لي مرة : قد اصفيت له المودة بعد وفاة الشيخ

وفي هذا التاريخ فصل من قلبي عن ايام الشيخ في بيروت ، وليس ذلك بكل ما كتبته عنه ، وإنما آخر السيد بقية كلامي إلى الجزء القادم لتعلمها بما ارتسم في خاطري من ايامه بمصر وقد روى لي السيد في هذا الجزء اشعاراً كنت نسبتها فنشرها لي بعد الغناء ، وأبرزها بعد الغناء ، ووعده بنشر الاكثر من مثلها في الجزء القادم . فأنالا أحصي عليه ثناء من أجل هذا اللطف ، وإلحافه بعض اشعاري بهذا الكتاب عملاً بواو المطف ، لاسيما انه لم يبق عندي ولا نسخة واحدة من ذلك الديوان الذي اسميته « الباكورة » والذي أخرجه إذ كنت لم أجاوز السابعة عشرة من العمر وأما عدد صفحات هذا الجزء فترى على الف ومائة صفحة يمتليها دماغ القاري . مما تضمنته من معالي الامور ، وسياسة الجمهور ، وتراجم الصدور ، ونخب الفوائد التي تمخضت بها المصور . وليس هذا بالجزء الوحيد في موضوع حياة الاستاذ .

الامام ، قد تقدمه غيره وسيتلوه سواء . وكله بذلك القلم الذي دانت له اقلام
الاقلام ، وخضعت ممالك الكلام ، اي قلم صاحب النار الشهير ناشر علم الاستاذ
الامام ، ومخلداً أثره على الايام ، فن يقدر ان ينشر من مآثره ألوفا من الصحائف
غير صاحب النار ؛ لاجرم انه كان ابرنا به ، وأقدونا على القيام بالواجب نحوه ،
وأحرى تلاميذه بنشر آرائه في العوالم ، وبأن يكون بعده مرشداً يضيء النهج والليل قائم .
(جنيف - سويسرة)
شكيب أرسلان

﴿ تعليق على تقرير الامير شكيب لتاريخ الاستاذ الامام ﴾

(وائارة من تاريخ الشيخ عبد الكريم سلمان)

أشكر لاختي في البر والوفاء لوالدنا الروحي الاستاذ الامام ، وولي في خدمة
العرب والدفاع عن الاسلام ، ما تفضل به علي من هذا التقرير ، وأجدر بي أن
أفاخر جهابذة الكتاب وموابدة المؤرخين بشهادته لي ولهذا التاريخ ، وهو هو
أمير البيان ، وأستاذ علماء العربية بالتاريخ الخاص العام ، وانني لعاجز عن ايفائه
بعض حقه من واجب الثناء ، مستعيضاً عنه بالدعاء ، فجزاه الله تعالى عن أخيه
وأستاذهما وعن الاصلاح الاسلامي أفضل الجزاء ، ولكن لا مندوحة لي عن
الاعتراف بأنه أعطاني فوق ما استحق من الاطراء ، وعن الدفاع عن نفسي تجاه
مارماني به من التقصير في حق المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان

أظن أن الامير لو كان قرأ كل ما كتبت في شأن الاستاذ الشيخ عبد الكريم
لما كتب ما كتبه ، فاني لم اصغه رحمه الله تعالى بقلة العلم ، وإنما كان الاستاذ الامام
جدس الله روحه هو الذي علل موجودته علي بأنه يظن في ذلك - ولرأى انني على
شدة انتقادي لأكبر علماء الازهر للمارضين الامام في الاصلاح ولغيرهم في بعض
المسائل العلمية قد نوهت في مواضع كثيرة بأن الشيخ عبد الكريم كان تربه
وعشيرته ، وصنوه وظهيره ، وثانيه في مجلس إدارة الازهر وأكبر اعوانه على اعمال
الاصلاح فيه ، وكفى بهذا مدحاً ، وأثبت انه امكنه بفضلته وذكااته ان يكون في
الندوة العليا من قضاة الشرع في المحكمة الشرعية العليا وهو شافعي المذهب ، وإنما

الحكم في هذه المحكمة بمذهب الحنفية ، وما ذكرته مع غيره من خواص الاستاذ الامام كحسن باشا عام وسعد باشا وفتح باشا زغلول إلا وقدمته عليهم في الذكر وينت ايضا انه هو الذي صنف كتاب (اعمال مجلس إدارة الازهر) وكان هذا سرا لا يعرفه غيري ، وصرحت ايضا بالمسائل التي علت انه انفردها من تلك الاعمال الاصلاحية ، وانه لم يصرح باسمه ولا باسم زميله الاستاذ الامام في الاعمال التي اسندها إلى بعض اعضاء مجلس الادارة لاختصاصها لله تعالى فيها موعدم ابتغائهما الشهرة ، فما عرفت له منقبة في ذلك إلا ودونتها له ، والتاريخ ليس بتاريخه ، والامر لم يثن عليه بأكثر من هذا ولا بمثله ، فها انتقله علي من بحس حقه ، فانا أقر مثله بكثير من علمه وأدبه وسلامة طبعه وحسن إنشائه . وأريد على هذا ما أنجزته آنفا مما فصلته في هذا التاريخ

وأعظم منه ما ترجمته به في المجلد العشرين من النار عقب وفاته مفتتحاً بإياه بقولي « في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أنفع علمائه ، وأديب من أبرع أدبائه ، و كاتب من أبلغ كتابه ، وقاض من أعدل قضائه ، أحد أعضاء النهضة لاصلاحية الجالية الشيخ عبد الكريم سلطان تفضله الله برحمته » ثم ذكر تعاشره مع الاستاذ الامام في طلب العلم وتعاونهما في ميدان العمل « تعاون اخلاء الاصحاب ، المتفقين في الآراء والمقاصد والآداب ، وعاشا معا شامتا وادين موادة للذبات والاتراب ، ثم فرق الموت بينهما مدة متفاوتة في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب » (أعني دفنهما في تربة واحدة) فمسي أن يكون هذا مصليا لذلك المحلي إلى دار الثواب ، وأن يجمعنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب » ثم قلت : « لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهنا من الاستاذ الامام ولكن هذا فاقه فقاته بالجد والاجتهاد ، الى أن قلت « فكان الاستاذ الامام البدء من مريد السيد جمال الدين وكان هو الثنيان (*) » ولم أدع بعد هذا شيئا من اعماله وسيرته و اخلاقه الحسنة إلا ونوهت به أحسن تنويه

(*) البدء هو الاول في سيادة قومه ونحوها والثنيان هو الذي يليه قال الشاعر
ثنيانا ان انامم كان بدأهم ويدؤهم ان انا نا كان ثنيانا

محاولة الايقاع بين الاستاذ الامام وصاحب النار

وأما مسألة مساعدته لمحاوي الايقاع بيني وبين الاستاذ الامام فانما ذكرتها لأنها في رأبي من اعظم مناقب الامام احسن الله جزاءه ، وانني وايم الحق قد تجرعت فيها الحق والصدق ، والتجرد من هوى النفس ، ولو كانت وقعت مع غيري لدوتها بهذا الاسلوب عينه بل ربما كنت ازيدها تفصيلا وتنوينا أستحي كتابة مثله في شيء ، يستحي ويخصني ، ولكن لا يجوز لي ان أهضم حق نفسي . وحق الاستاذ في المسألة بمد وفاة الشيخين ودخولها في حكم التاريخ ، وقد دون سلفنا الصالح من المحدثين والمؤرخين من هفوات شيوخهم من الأئمة وكذا الصحابة ما هو أعظم من هفوة الشيخ عبد الكريم هذه

ذلك بأن المسألة من اظهر الحوادث الواقعة التي تدل على ان الاستاذ الامام كان يؤثر المصلحة العامة على العلاقات الخاصة بالصق اخوانه وأصدقائه به وأقربهم اليه ، على ما اشتهر به من كمال الوفاء وصدق الوداد ، وان الاصلاح الاسلامي الذي اتفردت بالاستئصال معه به في خاتمة عمره الشريفة كان عنده فوق كل شيء من أمور الدين والدنيا ، لانه قد رسخ في وجدانه انه مفروض عليه — يثاب على العمل له فوق كل ثواب ، ويقاب على التفريط فيه ما لا يقاب على غيره ، وقد اثبت في استنباطه من الشيخ عبد الكريم وإنذاره إياه استثناءه عن محبة اربعين سنة مكانة الشيخ عبد الكريم عنده

دعابة الشيخ عبد الكريم سلمان وعلمه

ذلك - ولا ادرى وصف الشيخ عبد الكريم بحسب الدعابة والفكاهة الادبية غمزة وإزراء به وهو مشهور بهذا ، وقد وصف بالدعابة في كتب التاريخ والادب افراد من ارقى البشر كأمر المؤمنين علي وأبن مثل أمير المؤمنين علي عليه السلام ؟ واني على ما في من حفيظة - كما قال الامير - لا احمل على أحد حقدا ، ولا انجس احدا حقاً ، واني قد اغضيت على فتور حرارة الشيخ عبد الكريم في مودتي عند سنين ، فكنت على إياي أزوره كثيرا ولا يزورني على ما اعلم من عنايته بزيارة جميع أصدقائه

فلم يشعر احد بشيء من هذا الفتور من قبلي بقول ولا فعل . والامير ينقل عنه انه قال له عني : انني اصفيت له المودة بعد وفاة الشيخ . اه وأنا قد صرحت بهذا في التاريخ وقلت انه صار يزورني ويأكل طعامي كما آكل طعامه ، ويسألني عن اولادي . وهذه شهادة عليه عفا الله عنه بأنه لم يكن مواداً لي كوادني له ، ولا كوادته لأدنى اصحاب الاستاذ الامام وصنائمه حتى صنائع التلمذ وطلاب الصالح وهو يرى ان الاستاذ اصطفا في علي الجميع ، ولكن هذه هي العلة في بماذفته لي على وغير كما كنت أعتقد ، لا ما قاله الاستاذ من انه كان يظن انني لا أعتقد انه عالم ، إذ لو كان هذا هو السبب لما صفاني وده بعد وفاته (رحمهما الله تعالى) فاني إذا كنت أعتقد في عهد الاستاذ الامام انه غير عالم فلا يعقل ان يزول هذا الاعتقاد بعد وفاته ، قول الامير عني « ولولا هذا لوفر له حقه غير منقوص » ، يعني على رأي الاستاذ وعلى عدم قراءته هو كل ما كتبت في حقه ، فأنا أعتقد انني وفيته حقه في هذا التاريخ لم انقصه منه شيئاً يقتضي القيام ذكره ويعد من موضوعه ، بل ربما كنت قد زدت على حقه في المنار

ولعل سبب ظن الاستاذ فيه وفي ما ذكر أن الشيخ عبد الكريم ما كان يشار كنا في المذاكرات العلمية الدقيقة التي تقع بيننا وهو معنا كشاركتنا في المباحث العملية من اصلاحية ووطنية . وانني لأنكر انني ما كنت أعتقد أنه مبتقن لعلم من العلوم ، لانه وجه كل عانيه الى الكتابة . ولكنني لم أكن انطق بما يدل على اعتقادي هذا تصريحاً ولا تلويحاً ، الا ما استثنيت في التاريخ من تمثلي في اثر اعتقادات فقهية وأدبية معه بقول السموأل

وتنكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

فكاهة الامير شكيب ونوادره

بقي علي ما يخص الامير (حفظه الله) من مودة الشيخ عبد الكريم رحمه الله فاني اراه فهم منه ما لم يحضر لي على بال ، وما لا اراه يحضر على بال احد من الناس ، هو ان الشيخ عبد الكريم رحمه الله تعالى لم يجد فيه او لم يعرف منه ما يجنيه اليه ويحمله

من نفسه محل الكرامة إلا فكاهاته الأدبية ونوادره اللطيفة ، وإن هذا التميل مني يميل إلى قارئه أنه - أي الأمير - أبو نواس عصره !

فضائل الأمير ومزاياه بإدرة مضيئة كالشمس لا تخفى على حاسد يعميه الحسد . عن رؤيتها ، فإنه إن لم يرها تلذعه حرارتها ، فكيف يجعلها مثل الشيخ عبد الكريم . في ذكائه ولودعيتيه ، وإثما أعني بما ذكرته أن كراهة الرجل للسوريين لم يكن يخطب مودته منهم معاً علماً ولا أدب ، ولا حسب ولا نسب ، فهي وحدها لا تحلهم من نفسه محل الكرامة ، ولا محبة الأستاذ الامام أيضاً ، فإنه كان يحب السوريين ويفار عليهم ، وما كان الشيخ عبد الكريم يساهم بهذا ، لا في حملة العلم ووعاء الآداب ، ولا في إنباء الاحساب والانساب ، وهو كما قال الأمير لم يكن يتمم صني في شيء عنه ذكر ، وقد أنشأ الأستاذ الكبير الشيخ محمد بن حنيفة مجلة باسم غيره كان ينشر فيها شيء من تفسيره للقرآن ، فقال الشيخ عبد الكريم إن الشيخ بن حنيفة يستطيع أن ينشيء مجلة تنقل عنه تفسيراً وتنوه به مباراة للشيخ محمد عبده فيما تنشره عنه مجلة المنار ولكنه لا يستطيع أن يأتي بمثل الشيخ رشيد يحرقها له فما الفائدة ؟

جد الأمير شكيب وشدة وظرفه

الأمير شكيب مشهور بالجد في علمه وقلمه وبالشدة في سيرة السياسية والاجتماعية ولهذا ينزده بعض الناس بقلب الكبير ، كما ينزرون به أكثر أهل الصدق والجد . ولا يعرف ظرفه في فكاهاته اللطيفة ونوادره الأدبية التزنية إلا من عاشه وحاوره وسامره ، وإني لأعجب عليه ، وأعني لو أوتيت مثلاً ، فإن الجد المحض يمل المجلس ، ويوحش الأنيس ، وأنا لا أعرف من أبي نواس مثل هذا . إنما كان أبو نواس شاعراً بل هو أشعر الشعراء في عصره الذي ارتقى به شعر الحضارة والتمتع إلى أوجه ، وكان مع هذا ماجناً فاسقاً ، ولم يؤث شيئاً من الجد في خدمة الأمة ، ولا

المنار : ج ٣٢٢ مثال من تحاور عبد الكريم وشكيب بالسجع ١٤٣

سياسة الدولة ، ولا عني بهداية الدين ولا بيان فضائل الاسلام ، فأني يذكر مع الامير شكيب أو يخطر بالبال إذا ذكر علمه وأدبه ، أقرئت رسائله وكتبه ؟

إني لأوقن أن الامير لم يظن بي انني عنيت هذا الذي عده لازماً ذهنياً ، لوصفي له بحلاوة الفكاهة ولطف النادرة ، وإنما عده علي مما غصتُ به الشيخ عبد الكريم دونه ، فكان مثاراً لظن من لا يعرفه انه ابونواس عصره ، وان الشيخ عبد الكريم يؤثر المزمل على الجدد ، والدعاة المعارضة ، على الفضائل الراسخة

كلا . انني لم أعن بكلمتي شيئاً وراء ما تدل عليه دلالة المطابقة من تضمن . أو التزام ، فلما قلت ان الشيخ عبد الكريم لم يكن يحب السوريين ، خطر في بالي . ان من واجب الصديق ان أستني الامير شكيباً من هذا الاطلاق او المصوم ، لما كنت سمعته من كل منها من التنويه بالآخر ، ثم مارأيت من اغتباطها بالتلاقي في اثناء إلمامة الامير الاخيرة بمصر

مثال من تحاور عبد الكريم وشكيب بالسجع

لعل الامير لم يفس انني كاشفته في بيروت سنة ١٣١٥ بعزي على الهجرة إلى مصر للاتصال بالاستاذ الامام فيها ، وان هذا سر بيني وبينه لم يتعدنا إلا إلى . الاستاذ عبد القادر افندي القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون والاستاذ الشيخ صالح الرافي ناظر النفوس ، ولله يذكر إذا ذكرته ما حدثني به يومئذ عن محاوراته . مع الشيخ عبد الكريم سلمان و ابراهيم بك الويلحي ، وان جل حديثه عن محاورات الاول ما كانا يلتزمانه من السجع ، والفكاهات الحسنة الوقم ، وأزيد على هذا انني لما بلغت الشيخ عبد الكريم سلامه عليه ، واشتياقه اليه ، برقت أسأريه وطفق يحدثنني عن محاوراته اللطيفة معه ، وأذكر بما ذكره لي كل منهما أن شكيباً . كان عنده بداره فسمعوا صياحاً ونفطاً أمام باب الدار بين الخدم وغيرهم فصاح

١٤٤٠ ما يجب على الأمير شكيب لتاريخ الاستاذ الامام المنار : ج ٢ م ٣٢

الشيخ بخادمه البواب غاضباً : يا ولد يا ولد ، فقال الأمير رافماً صوته * وأول التشاجر الذي ورد * فسكت غضب الشيخ وأغرب في الضحك استغراباً لهذه البدئية الحاضرة ، وإعجاباً بالبادرة النادرة ، وربما لم يكن بخطر له ولا لغيره . ان مثل الأمير شكيب يحفظ العقيدة الازهرية للمروقة بجمهورية التوحيد ، وان يكون من قوة الذاكرة بحيث يسبق الى لسانه هذا الشطر منها عند صيحة الشيخ يا ولد وهما يتباريان السمع ، ومناسبتها للمعنى اقوى من مناسبتها للفظ ، فان الخدم كانوا يتشاجرون عند دار الشيخ ، وبيت الجوهرة في تأويل تشاجر الصحابة رضي الله عنهم فهذا مثل مما عزوته اليهما من حب الفكاهة والمفاكة والنوادر الادبية ، فخل يقول أحد انها تنافي الجدة أو بجانب العلم ، وهي لو عرضت على الحسن وابن سيرين ، لقالا ربنا لئن آتيتنا هذه لتكونن من الشاكرين ؟

ما يجب على الأمير شكيب لتاريخ الاستاذ الامام

وأختم هذا التعليل بتذكير الأمير شكيب بأن لتاريخ الاستاذ الامام عليه حقاً آخر وراء حق التعريف الذي أدى واجبه ومندوبه ، وزاده من النافلة ماشاء الله ان يزيده ، أعني بالحق الآخر تكرار التنويه في مقالاته الاصلاحية بالفرص المقصود بالذات من تصنيفه ، وهو ما فصلناه فيه وأجلناه في فاتحة تصديره وخاتمته ، من الدعوة الى الاصلاح والتجديد للشرق والاسلام ، التي قام بها الحكيم السيد الافغاني والاستاذ الامام ، مع احياء ذكرهما باسناد الفضل الاول فيهما اليهما ، وهذه الدعوة بمجالات واسعة في مقالات الأمير السياسية والاجتماعية ورسائله الاصلاحية ، وليس بكثير على غيرته أن يخصصها بمقال متمم ، ويؤيدها بالبرهان المتعمق . وهو انما يكتب ما يكتب بما نفخ فيه من روحهما ، ونفث في روعه من حكيمتهما ، جعلنا الله وإياه خير خلف لهما ، آمين مؤلف تاريخ الاستاذ الامام

محمد رشيد رضا

المناظرة بين أهل السنة والشيعة

تمهيد وتصحيح غلط

نشرنا في الجزء الاول الماضي الرسالة الاولى لمقترح المناظرة الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين العاملي بنصها على ما فيه وإمضائه ، ولكن سبق القلم في عنوانها فذكرنا أن لقبه «شرف الدين» وهذا لقب لعالم آخر من العالمين بواقفه باسمه وهو أشهر عندنا وعند غيرنا بالذكر والعلم والرأي. فهو لا يكتبها ككتبه نور الدين. ومثل هذا الغلط في الاسماء من شيق القلم لذكر الرجل الاشهر ما ذكرناه في ذلك الجزء من تمازي كبراء المصريين وزعمائهم لنا عند وفاة والدتنا رحمها الله تعالى فقد ذكرنا منهم حسن باشا عبد الرزاق وإخوته وإنا عدينا نجله محمود باشا وكيل حزب الاحرار الدستوريين وكان له أخ آخر اسمه حسن باشا وكلم والده قتل اغتيا لاسياسيار رحمها الله تعالى وسبب هذا الغلط ان اسم حسن باشا عبد الرزاق الكبير منقوش في ذهننا من عهد والدهم الجليل وطول عشتنا لمع شيخنا الاستاذ الامام وذكر اسمه في تاريخه والنار مرارا

مطالبة علماء الشيعة برأيهم في دعوى مناظري

نشرت رسالة مقترح المناظرة بنصها وقلت فيما علقته عليها انه لم يلتزم فيها الشرط الذي اشترطته عليه فيها ، وانني احب أن أعلم قبل الشروع في المناظرة «هل يوافقه كبار علماء الشيعة في سورية والعراق والهند وإيران على قوله : انه لا يمكن الاتفاق بين أهل السنة والشيعة على شيء من المصالح الاسلامية ...» إلا بالشرط الذي اشترطه وهو رجوع أحدهما إلى مذهب الآخر للسبب الذي ذكره . ثم اقترحت عليه وعلى زميلي الاستاذ الفاضل صاحب مجلة العرفان أن يأخذ لي تصريحاً من علماء الشيعة المشهورين في المسألة (راجع ص ٧٢ ج ١)

مرت على هذا الاقتراح ثلاثة أشهر لم يصدر فيها النار للاسباب المبينة في أول هذا الجزء ولم يرد لنا من حضرة مناظرنا ولا من غيره من علماء الشيعة

شيء إلا أن زميلنا الاستاذ صاحب مجلة العرفان ذكر في كتاب تمزيته لنا عن والدتنا انكاراً على السيد عبد الحسين نور الدين في ذلك ، وانه سينشر هذا الانكار في مجلته المحجوبة الآن عند عودتها الى الظهور ، ورسالة من سائح فاضل باسم « نظرة .. » نشرها في هذا الفصل

ثم انني لما دعيت الى المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد في القدس وعلمت أن من أجابوا الدعوة الى حضوره الاستاذ العلامة الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء الشهير أكر مجتهد النجف الذي هو أزهراخواننا الشيعة سررت جد السرور، ونطت أمني في مسألة الشقاق الجديد ، أن يكون تلافيها بتلاقينا في هذا المكان الشريف، وتماوتنا هذا على هذا العمل الشريف ، بأن يكون من أهم مقاصدنا فيه السمي لتأليف ، وقد سبق لي لقاء هذا الاستاذ بمصر اذ زارها بعد الحرب الكبرى وتذاكرنا في وجوب الاتفاق في مكتب دار النار فوجلت منه ما أحب من سمة الصدر والرغبة في الاتفاق ، وكان معه في القدس الاستاذ الشيخ عبد الرسول من آل الكرام ونجله الشيخ عبد الحكيم حفظهم الله تعالى وحفظ بيتهم العلمي موقفاً لخدمة الاسلام تلاقينا على ما أحب وأطلت الشيخ على رسالة السيد عبد الحسين نور الدين وسأله عن رأيه فيها فأنكر عليه أشد الانكار ، فقلت ان الانكار بالقول لا يكفي فهل تكتب رأيك في الرد عليه لينشر في النار ؟ قال نعم

وكان من حسن الحظ أن وجد في أعضاء المؤتمر عالمان شهوراً من علماء الشيعة السوزيين وهما من أصدقائنا قداماء قراء المنار ، أحدهما الاستاذ الشيخ سليمان الضاهر من علماء جبل عامل ، والثاني الشيخ أحمد رضا من علماء حيدرا ، وقد رأيت كلا منهما منكرأ على السيد عبد الحسين نور الدين قوله ان الشيعة بمقتضى مذهبهم لا يمكن أن يتفقوا مع أهل السنة لاجتماعهم أنهم غير متبينين لسبيل المؤمنين

فأما الاستاذ الأكبر الشيخ محمد حسين فقد كتبت اليه عند ما تفضل بتوديعي في القدس ساعة سفرني منها كتاباً سأله فيه كتابة رأيه في المسألة فأرسل الي جوابه بعد عودته الى النجف وسأله في مقال خاص في موضوع الاتفاق وأما الاستاذان السوربان فلم يطلباني كتاباً ولم يرسلاني شيئاً فأرجو منهما أن يكتباني الي في

الموضوع ما أقنع به قراء المنار بما سجد الدعوة اليه من الاتفاق والايلاف ، وأرجو مثل هذا من الاستاذ الشيخ عارف الزين ، واذا أمكنه أخذ كتاب أو إمضاء من العلامة المجهتد الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين وغيره فان الفائدة تكون آتم ، فان هذا الاستاذ قد لاقبته مراراً في بيروت وحدثته في وجوب السي للاتفاق ، فوجدت رأيه موافقاً لرأيي ، وقد اتفقنا يومئذ على كلمته في الطائفتين « فرقمها السياسة وستجمعها السياسة » وسبق لي ذكر هذه الكلمة في المنار

وقد علم هؤلاء وسائر قراء المنار ان القدي دعاني بل دعني الى الرد على الشيعة بل غلاهم الملقين بالرافضة ذلك الكتاب الخبيث الذي لفته ملفقه في تكفير الوهابية كافة وشيخ الاسلام ابن تيمية وصاحب المنار خاصة ... وما كان من تقرير مجلة المرفان ونشرها له وعدم سماع كلمة من علماء الشيعة في الانكار على ملفقه . دع فنته العراق المشهورة وذيوها بين الشيعة والنجديين وكانت بدسائس المستعمرين ولكن جاءتني رسالة طويلة جداً في مناظرة طويلة لعالم سني مع بعض الشيعة في المحمرة لم أنشرها لانها تزيد الشقاق احتداماً

(كتاب ورسالة من سائح شيعي أديب في الانكار على السيد عبد الحسين نور الدين)

سيدي الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا البجل

بعد التحية : لا شك ان حضرتكم تعرفون ما يوجب الدين ويحتمه الوجدان والحق على كل منا في مثل هذا اليوم المعيب ، وقد أثر المقال الذي نشرتموه في مجلتكم الفراء بإمضاء السيد عبد الحسين نور الدين العالمي في تأثيراً اضطرني الى تحرير كلمة حول الموضوع رغم العناء ومشقات السفر ، واني لا أنتظر أن يسارع اخواني وأساتذتي الى نشر حقيقة هذا الرجل وصدءه فيما بعد عن الخوض في مثل موضوعه ذلك المتطرف . وأمل الوعيد أن تسارعوا في نشر ما نجدونه طياً وأشكركم من صميم قلبي ، وأقدّر أعمالكم ودعائكم الإصلاحية بكل عواظي ، وتقبلوا مزيد تقدير غلصكم واحترامه .

الحلص السائح العربي

عبد الهادي آل الجواهري

﴿ نظرة حول مناظرة ﴾

لقد كان من الصعب عليّ وأنا بين عوامل لا تسمح لي أن أخوض في بحث كهذا لكثرة انشغالي وتشوش بالي من كثرة الاسفار وفراق الاوطان وتعدد المصائب والاحزان .

تكاثرت الغباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

نعم والله تكاثرت وتعدد المؤثرات المحزنة المشجبة ، وقد كان الأجلر والأليق بإخواني الذين أعهد فيهم النيرة والحية من أبناء العروبة والاسلام ، والاساتذة الذين وقفوا أقدامهم كحافة الحشرات التي نخرت عظامنا وأنهكت قوتنا ، ومقاومة تلك الدعايات التي يقوم بها بعض أولئك المأجورين باسم الدين والمذهب ، وأن يتصدوا لهم أولئك الأوغاد الذين ينتهزون الفرص لوصمنا بوحدةنا في الصميم ولتصعيدوا بالماء المكر ، أولئك الذين لم يجدوا لهم مورداً شريفاً في هذا المجتمع يسدون به طمعهم ويغلون به جيوبهم وحيابهم إلا إثارة العواطف المذهبية والنزعات الطائفية يفرعون بها البسطاء الجاهلة بمن لم يعرفوا الدين معنى ولا شريعة قيمة . من الأسف - وليس يجدي نفعا - أن نجد بعض أولئك المتزعمين باسم الدين يستغلون (ومن دون غيرهم) الهوى باسم الدين ويحتكرون سمته لاغراضهم وأطماعهم ، فإذا ما وجدوا مجالاً ليمثلوا دورهم على مسرح المذهبية أخذوا يمرضون (فلم) روايتهم المشؤومة المحزنة على رؤوس بعض السذج البسطاء والسوقة

باسم الدين زعم بعضهم وإحداً لو قام ببعض ما تقتضيه هذه المهمة (ولو كانت مدعاة) من عظيم الاعمال ، فينتهز الفرصة ويبرهن على أهليته وكفاءته لهذا المنصب الجليل المهم ، فيؤلفوا بين النزعات ، ويوحداوا القلوب والغايات ، ويظهروا مزايا الدين وينشروا بحاسنه ايجلبوا اليه الانظار ومحبوبه في عين الاجنبي ، لا أن يمسكوا واسطة للتناحر والتماذي ويظهروه بأسوأ مظهر وأخزى منظر ، كي ينفر منه البعيد الاجنبي الذي يعمى وهو لا يعرف منه إلا انه دين أحزاب وخراب وتناحر وبنضاء وشقاء ، على لسان من يدعون الزعامة الدينية في الجرائد والمجلات .

أليس كذلك أيها القاريء؟ أليس إن مجلاتنا وصحفنا تراها طائفة بالسباب وشتم بعضنا بعضا؟ وما كفانا ذلك حتى أخذنا نتخرش ونتجاسر حتى على أولئك المقبورين المدفونين منذ ألف وثلاثمائة سنة. ألسنا وقد خصصنا أوقاتنا وأوقفتنا أفلامنا، وبذلنا دراهمنا، واشغلنا مطالبنا، وأنهكنا أفكارنا وأدمقنا، وسهرنا الليالي والأيام، لنخلق لنا هذه المشاكل المذهبية ولنجعل لنا عقبة لن نذلل؟ ألسنا ونحن أصبحنا بفضل هذه كلها في مؤخرة العالم والمجتمع وعبيداً للأجانب يغتسر بعضنا الآخر وكل ذلك في مصلحة الاجنبي الغربي

أليس نظرة واحدة إلى ماضينا المجيد حين كنا تحت راية واحدة وقد ملكنا زمام أكثر العالم، ودكرنا تلك الاية في قلب الغرب تكفيها وتدلنا على الفرق بين ذلك الزمن والزمن الذي ابتدأت فيه نار العنن الطائفية والتزعزعات المذهبية، وما وصلنا إليه اليوم من حالة لا يرجى لها خير؟ أليس السبب في ذلك كله هو التخاذل والتباغض باسم السلف الصالح والاسلام؟ وحاشا للاسلام أن تكون هذه مبادئه، بل حاشا للسلف الصالح أن يرضى هذه الاساليب والمبتكرات، حاشا ثم حاشا. أوليس دين الاسلام هو دين التآخي والتآلف؟ دين الوحدة والوئام؟ بأسم عمر وعلي نطقن هذا الدين في الصميم؟ بأسمهما نمزق أوصل هذا الدين ونشتت شمله؟ وتلم وحدته ونضيمه؟ حاشاهما أن يعذراكم يا قوم، وأن يرضيها هذه الافعال والاعمال، وبأسمهما تفرقون وتشتتون؟؟ فاتقوا الله يا قوم فيهما

هلموا يا قوم وأمضوا فظركم، وتقمعوا التواريخ، فانكم تجدون السبب كله في هذا التطاحن المذهبي هو تداخل الاجانب في أمورنا الدينية، وتشبههم باسم الدين في تفرقنا وتباغضنا، والمار كل المار أن نكون وفق مشيئتهم ونحت إرادتهم، وأن نسلم مذهبين لما يفرضونه علينا من التنايد والتعادي

والأسف كل الأسف أن تلعب بنا الاهواء والتزعزعات، وتقودنا فئة ذات أطماع واغراض باسم الدين والاسلام الى المهايي والهلكات، وهم يبيدون كل البعد (لو تحققنا) عن الاسلام ومبادئه ما جورون بدعايتهم هذه ومستخدمون بمبادئهم تلك. في هذا اليوم وقد أخذ الكل يشعر بالحاجة الى التآلف وتوحيد الصفوف

أمام الاستعمار وسيله الجارف - في هذا اليوم الذي تن في من انشقاقنا وانفصالنا -
في هذا اليوم الذي سهل على العدو أن يمس آخر قطرة من دماننا وينخر عظامنا،
يظهر لنا حضرة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي في التبعية بمقاله المنشور
في المنار الجزء الاول من المجلد الثاني والثلاثين سنة ١٣٥٠ مناعراً فيه حضرة
الاستاذ صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا يمثل الشيعة ويمرغهم في ذلك القال
المزيف الملوأ خطأ وركه ، والذي ينكره عليه الشيعة انفسهم ، والذي اعتبره
حضرتة أساساً للصلح ، وفاتحة لعقد التفاهم والمودة ما بين اهل السنة والشيعة
وقد كنت أنتظر من اخواني الشيعة في العراق وسورية أن يسارعوا في
احتجاجهم واستنكارهم على هذا الرجل المذموم ، وأن يمجسوا في كم فقه والغرب
على يده ، كي لا يعود مثله أبداً ، ولا زلت انتظر من الشيعة في القاطنين الشقيقتين
أن يعلنوا استنكارهم من هذه الفئة المتمجرة وبراءتهم من هذا الحزب المنهص
المأجور ، الذي جرم الى الهلاك والتدهور ، وأن لا يتماهل المصلحون الذين
أعهد فيهم الحرس على سمة الاسلام في تدارك ما جاء على لسان هذا الرجل ،
وينشروا حقيقة روح المسألة والمودة الاكديتين بين اخواتهم السنيين والشيعة ،
ويدعو بعضهم البعض الى ختم هذا الخلاف واتمام فصول هذه الرواية المحزنة ،
وليصلونا نسير والكل منا ينشد :

ما مذهب السني إلا مذهب الزيدي والشيخي والرواهي
الدين يبرأ من تطاحن اهل
ان الشقاء وأن تطاول عهده آيت به الايام شر ما ب
ألمذهب يتقاتلون وحولهم إلب العداة هم بالاسلاب

وأعود فأقول بالرغم من شذوذ حضرة السيد عبد الحسين نور الدين عن
الموضوع المتفق عليه في المناظرة، وخروجه عن الخططة المرسومة، فقد جاء في المقال
ما لفظه (روي في كنز الاعمال على هامش مسند احمد ص ٤٣ ان علياً سئل عن
كثرة ما يرويه عن رسول الله ﷺ قال : كنت اذا سأله أنبأني واذا سكت
ابتدأني) وقد راجعنا هامش الستة مجلدات من مسند احمد فلم نجد لذلك أثراً

وجاء أيضاً في المقال نفسه (روى الحديث الجليل الموثق عند اخواننا وهو محمد ابن سعد في الطبقات جزء ٣ صفحة ٢٧٣ باسناده عن أبي هريرة قال : قدمت على عمر (رض) من عند أبي موسى بثمانمائة الف درهم فقال لي : ألم أقل لك انك يمان احق ، انك قدمت بثمانين ألفاً . قلت يا أمير المؤمنين انما قدمت بثمانمائة الف درهم ، فجعل يمجب ويكررها ، فقال ويحك وكم ثمانمائة الف درهم فقد دبت مائة الف ومائة الف حتى عدت ثمانمائة) وقد راجعنا أيضاً في طبقات ابن سعد فلم نجد لذلك أثراً . وهكذا قد لفق حضرته مقاله وادعى فيه انه جاء يريد بذلك الاتفاق والتآخي ، وهو أبعد ما يكون من روح الوفاق والوثام ، لما ضمنه من جل وكلمات لا يوافق عليها الشيعة انفسهم (طبعا) وكان الأخرى بصاحب (كذا) أن ينتخب لو اراد التقام وإزالة الخلاف إن يختار من أولئك المصلحين القادرين الذين لا اخال حضرته يجهلهم من اخوانه (الشيعة) في العراق وسورية اما أن يتصدى أمثال السيد عبد الحسين نور الدين وينزع باسم الفرقة الشيعية والذي أعرفه منه أنه لا يملك حرية الشخصية فضلا عن اللادين ، وأنه مأجور لبعض العلماء الايرانيين (في النجف) ثم يجيء حضرة الاستاذ صاحب المنار ويفتح له مجلته للنشر ، فذاك أمر يزيد الطين بلة ، ويوسع شقة الخلاف ، وحينئذ يتفرد على المصلحين الحقيقيين تآفي الخطر ^(١)

وإني أعلم بصفتي أحد الشيعة ومن يئته مكائته الدينية عند الشيعة ومعلمين من أن كلمتي هذه سوف ينكرها عليّ حضرة السيد عبد الحسين وأتباعه الماجورون ، ولكنني أعتقد أيضا أنها سوف تلاقى استحسانا من حضرات العلماء والاساتذة المصلحين ، ومن إخواني الشيعيين جميعا الذين أخذوا يشعرون بحاجتهم الى التعاون والتتام مع اخوانهم ، وأنهم يتفرون من أعمال هذه الفئة المتعصبة المدودة ، التي لازالت تشوه سمعتنا وتسيء اليها في الخارج ، وهم غير مؤيدين من عشر الشيعة ، ولم يوافقهم أحد على ما يقولون ويدعون . وأملّي الاكيد أن سوف يعرف رجال

(١) المنار : انما فصحتا الباب لمناظرة علمية يقصد بها جمع الكلمة فلما رأينا الرسالة الاولى على خلاف الشرط والقصد فوضنا أمر الحكم فيها الى علماء الشيعة

الاصلاح وزعماءه غايات أمثال السيد عبد الحسين فلا يدعوا لهم مجالا بعد
هذا لبث معهم القتالة ، وان يعرفوا العالم هويات هؤلاء ومرامهم ، وان بعد
هذا لنا عليهم حساب (وما ريك بغافل عما يعمل الظالمون) السامع العربي
الحجاز ١٤ رجب سنة ١٣٥٠ عهده المهادي آل الجواهري

(النار) اننا نشكر لهذا السامع الكريم من هذا البيت العريق غيرته الاسلامية
التي لاشك في أن فوائد السياحة وعبرها تزيد في اذكاء نارها ، وتأتق أنوارها ،
واني لأوافق على أن دعاة التفريق بين المسلمين بمصيبة المذاهب أصحاب أهواء
وطلاب مال وجاه ، وان دسائس الاجانب وللتعصبيين تعبت بهم من حيث يدرون
ومن حيث لا يدرون ، وهذا ملايشك فيه أحد من المختبرين الواقفين على الحقائق ،
وانني على هذا العلم لأجرأ على تبرئة السيد عبد الحسين نور الدين من سوء النية
أو خدمة دسائس بعض الايرانيين أو المستعمرين الذين يستفيدون من غلوه ، ولا
زال على رأي السابق فيه وهو انه ذو وجدان خيالي ديني مستحوذ عليه فهو يستقدم ما يقول
الرد على السيد عبد الحسين نور الدين لا على الشيعة في المفاضلة بين الخليفين

لا متدوحة لي وقد نشرت هذه الرسالة على منكراتها من الرد عليها ، ليرى
صاحبها قيمة حججه في مسألة التفاضل بين عمر وعلي رضوان الله عليهما ، وان بعض
ماسماه براهين قطعية ، لا يمدو أن يكون شبهات خطائية ، ونجيات شمرية ، لا يصح
في الشرع ولا العقل أن تجعل من عقائد الدين ، ويجعل الخلاف فيها سبباً للشقاق
بين المسلمين ، وان من أكبر الخذلان ، واتباع خطوات الشيطان ، أن يجعل الخلاف
الطالح مسألة المفاضلة بين الخليفين من أصول الدين ، التي يقذف فيها المخالف
بأنه « غير متبع سبيل المؤمنين » مع العلم القطعي بأن علياً كان ولياً ونصيراً وفهراً
وقاضياً ووزيراً لمر ، وأنه فضل هو وأبو بكر على نفسه وسائر أصحاب رسول الله
ﷺ كما رواه أحمد البخاري وغيره بالاسانيد الصحيحة ، يقابله ما علم واشتهر من تقديم
عمر له في التعظيم والشورى والقضاء ، ومن تفضيله على نفسه ما قاله عمر لابنه عبد الله

حين عاتبه على تفضيل الحسن والحسين عليها السلام عليه في المعاء فقال له : أأنت
أب كائيهما أوجد كجدهما ؟ كما نقله الرضي في نهج البلاغة
أليس أمير المؤمنين علي (ع. م) هو القدوة الأكبر بعد رسول الله ﷺ
للمعصوم عند اخواننا الشيعة فلماذا لا يتبعونه في إجلال أبي بكر وعمر وكذا عثمان
لاجل جمع كلمة المسلمين ، وإعلاء كلمة الدين ؟ وإن كان أحق بالخلافة منه عندهم ،
أوليس هو وعمر عند أهل السنة في درجة واحدة من الخلافة الرشدة ؟ وقد قال النبي
ﷺ «فليكن بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالتواجذ» فالنابي
هذا المعصوم لا تقتدي بهما في الولاية والتماون على مصلحة المسلمين ، وتقتل إلى ما لا يبلغه
من التفاضل بين عليهما ؟ ألا إننا سنغفل ذلك رغم أنوف المتعصبين الغليالين والمأجورين
تفنيد ماسماه البراهين القاطعة على تفضيل علي

خلاصة براهينه أن عمر أسلم في السنة السادسة من البعثة وعمره ست وعشرون
سنة ، ومكث مدة ثلاث سنين لا يرى النبي ﷺ إلا نادراً وهي مدة حصار
في هاشم وبني المطلب في الشعب

ونتيجة هذا انه طلب العلم في سن لم يسمم المعارض أن أحداً طلب العلم فيها
وبرع فيه - فهذا برهان عقلي عنده على ان عمر لم يبرع في علم الاسلام (اه ص ٦٦)
وأما على قد ضمه اليه النبي ﷺ وهو ابن أربع سنوات ولم يفارقه في طول
حياته إلا في أوقات قليلة فقد تلقى العلوم من سن الطفولة التي هي سن التحصيل ،
وفي الزمن الطويل - فهذا برهان عقلي على انه فاق عمر وسائر الصحابة في علوم
الاسلام كلها ممذ كأنه التادر (اه ص ٦٧ - ٦٩)

أقول (١) ان العلم الذي دعا اليه النبي ﷺ لم يكن فيه شيء من الفنون الخاصة
بالأطفال التي تؤخذ بحفظ العبارات أولاً ثم تفهم بالتدرج البطيء الذي يراعى
فيه سن الطفل ونمو مداركه ، وإنما دعا إلى علم لا يوجه إلا إلى العقلاء المكلفين ،
وأوله توحيد الله تعالى والايمان بملائكته وكتبه ورسوله وبالبعث والجزاء ثم بأصول
النضائل وعبادة الله تعالى بالصلاة والذكر والفكر ، وينبوع هذا العلم كله القرآن
وقد بلغ كله للجميع ، وإنما كان النبي ﷺ ميناً له بسنته العملية والقولية ، وكانوا

يتفاضلون في العلم بفهم القرآن . وقد سأل أبو جحيفة عليا (ع . م) هل خصكم رسول الله ﷺ بشي من العلم ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إلا أن يؤتي الله عبداً فيها في القرآن وما في هذه الصحيفة — يعني كرم الله وجهه صحيفة كان ربطها بسيفه فيها أحكام عقل الدية وفكك الاسير وتحريم المدينة مكة وعدم قتل المؤمن بالكافر . والحديث صحيح رواه أحمد والبخاري في مواضع متعددة من السند والجامع الصحيح ورواه غيرهما أيضاً . ولم ينقل ان النبي ﷺ بلغ عشيرته في الشب شيئا من التشريع ولا أن عليا او غيره قال ذلك ، بل من المعلوم الذي لا خلاف فيه ان أكثر الاحكام التشريعية كانت بعد الهجرة

(٢) الانسان كما يقول الاطباء لا يكتمل نموه الجسدي والعقلي الطبيعي إلا باكمال ٢٥ سنة التي هي ربيع العمر الطبيعي المعتدل ، ومن المعلوم بالتجارب في المدارس وغيرها ان ابن ٢٦ سنة أقوى فعلاً لمسائل العقلية من اعتقادية وتشريعية من الطفل المميز والبالغ الذي لم يكتمل نموه ، وان أكثر الذين يطيلون المكث في مدارس التعليم أقلهم نبوغاً فأشهر الحكماء والنابغين لم يكتشفوا في المدارس إلا قليلاً . وقد ضمنت أستاذنا الشيخ حسين الجسري قول السيد علي التمين نقيب الاشراف بطرابلس في تلميذه : انه ساوى في السنة الأولى الاذكياء الذين سبقوه في طلب العلم بسبع سنين (٣) من المعلوم عند علماء النفس وعلماء التاريخ ان من كان قوي الاستعداد

لحفظ يزداد في الشباب قوة باستعمال استعداده كما يعلم من تراجم حفاظ الحديث . ولما حفظ ابن عباس قصيدة عمر بن أبي ربيعة من جماعها مرة واحدة كان كهلاً لا شاباً ولا طفلاً ، وعجب ممن عجب من ذلك فقال : وهل يسمع الانسان شيئاً ولا يحفظه ؟ وأملى الحافظ ابن حجر ألف درس من حفظه وكان كهلاً ، ومن المعلوم أيضاً ان ملكة الحفظ في العرب كانت قوية جداً لاعتمادهم عليها . وكذلك كانت عند غيرهم من الامم قبل تعلم الكتابة والاعتماد عليها في حفظ العلم في تاريخ اليونان القديم ان هؤلاء اعترضوا على اقتباسهم من الكتابة من المصريين بأن الاعتماد عليها يضعف ملكة الحفظ

(٤) ما جعل الله لرجل من قلائين ، وزيادة بعض القوى يقابلها نقص غيرها ، فمن كان أكثر حفظاً للنصوص الشرعية كالقرآن والحديث أو اللغة قلما يساوي في فهمها والتفقه

فيهما من معنى فيهما دون حفظها . وقد علم بالتجربة ان قوة الاستعداد للحفظ قلما تنفق مع قوة الاستعداد لفهم والحكم في المعاني ، فأكثر حفاظ الحديث غير فقهاء فيه ، وأكثر الفقهاء غير حفاظ له ، وكذا علماء المقول قلما يجيد في كبارهم حفاظا للحديث والآثار أو من يسمى محدثا . وقد كان أبو حنيفة يمد أئمة المذاهب المشهورة وهو أقلهم حفظا . وكان أحمد بن حنبل أحفظهم وقد قال فيه الامام ابن جرير انه محدث لا فقيه . بل يروى ان الشافعي قال لأحمد علي ما اشتهر من إجلاله له : اذا صح عندكم الحديث فأخبرونا به فأثم أعلم بروايته ونحن أعلم بفقته ، او ما هذا معناه (٥) ان فائدة حفظ النصوص تبليغها للناس ، وإننا نرى المروي عن عمر بن الخطاب في الحديث في البخاري وفي مسند أحمد أكثر من المروي عن علي وهو لم يرو إلا عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وأبي بن كعب . وعلي قد روى عنه وعن أبي بكر والتمدد بن الاسود رضي الله عنهم . وكذا عن فاطمة عليها السلام ، والمروي عن أبي هريرة الذي اسلم في السنة السادسة من الهجرة أكثر مما روي عن الخلفاء الأربعة ، وعن العبادة الذين هم أكثر رواية من الخلفاء ولكنهم يلوهم في فقه الدين وحكمه . وكان أبو هريرة دون كل واحد منهم في علوم الاسلام الالهية والشرعية فقول هذا السيد في براهينه القطعية عنده « فكان أعلمهم أكثرهم حفظا وأقوام حافظه » غير صحيح وإلا لكان أبو هريرة أعلم الصحابة على الإطلاق ، ثم انه معارض ببرهانه القطعي الآخر ان التأخر في الزمن في التلقي عن الرسول ﷺ لا يبلغ شأوا المتقدم . ثم ان كون علي أكثرهم حفظا وأقوام ذاكرة لا دليل عليه من عقل ولا من نقل ، لان مثله لا يثبت إلا بامتحان استقرائي تام وهو لم يقع تاما ولا ناقصا ، وإن كان في نفسه غير كثير عليه

ومن غرائب براهينه القطعية الخاصة بمنطقه استدلاله بذكرته وذكرة بعض معارفه إذ قال انه لم يكن ينسى في شبيبته شيئا سمعه أو قرأه ولكن يتمجب ممن ينسى ، وبعد بلوغه الثلاثين انقلب الامر وانعكس وأصبح يتمجب ممن يحفظ ولا ينسى ، وانه ما شكك هذا الداء لأحد إلا وشكك له مثله فكان انه هو وأصحابه الذين شكك لهم حاله حجة الله القطعية على البشرية والمعارف لنا بني العلماء والحفاظ ومثل عمر

ابن الخطاب . وأنا أقول له انني بعد بلوغي الستين لم أنس شيئاً مما سمعته وقرأته إلا الامور الثمانية التي لا أقي لها بالاً ولا أحب أن أحفظها ولا أن أعيدها إذا ذكرتها ، ولكنتي منذ الصغر قليل الحفظ لاسماء الاعلام والارقام واستحضار ما لم يتكرر على ذهني منها ، وقوي الحفظ سريع الاستحضار للسائل العلمية ولا سيما للعقولة منها . ومن عادي انني إذا أقيت خطبة أو محاضرة أو سمعتها من غيري ونويت ان أعيدها أو أكتبها فاني أعيدها بما يقرب من ألفاظها وبتحديد معانيها ، وإذا لم أنو هذا فاني أتذكرها بعد ذلك بالاجال لا بالتفصيل

مثال ذلك بعض الخطب التي أقيتها في سورة سنة الدستور وبعض الخطب التي أقيتها في الهند فاني كتبها لامنا بعد إلقائها في مدد قصيرة او طويلة ورأيت للذين سمعوا يقولون انني لم أترك مما قلته شيئاً . ومنها الخطبة التي ارتجلتها في مدرسة عليكرة الاسلامية الجامعة في الهند وموضوعها التربية وأنواعها وفلسفتها . اقترحت علي عند عقد الحفلة التي أقامها طلاب المدرسة لي ، ثم اقترح علي بعد الاحتفال أن أكتبها فلم اجد فرصة لذلك مدة مكثي في الهند ولكنني كتبها في مسقط وأرسلتها إلى عمدة المدرسة وكانوا قد كتبوا كل ما وعوه منها بطريقة الاختزال فلما وصل اليهم ما كتبته وجدوه اوفى وأضبط مما كتبوا ، ولقد رويت عن شيخنا الاستاذ الامام في تاريخي له أموراً كثيرة سمعتها أو حضرتها بعد الثلاثين ودونها بعد الستين ونشرت له خطبا ارتجالية في عهده لم يستدرك علي منها كلمة (٦) لو كان التفاضل في العلم عند الصحابة بالرواية لتنافسوا فيها ولكتبه الكاتبون منهم ماسمعه ووعوه ولم يتقل عنهم هذا بل المنقول خلافة

(٧) من المقرر عند العلماء ان العلوم والاعمال التي يتعدى نفعها افضل وأكثر ثوابا من القاصرة على صاحبها ، ومن المعلوم الذي لا خلاف فيه بين المحدثين والمؤرخين للاسلام ودوله ان علوم عمر وأعماله كانت انفع من علوم سائر الخلفاء في نشر الاسلام واهتمام الشعوب به وفتوحه وما اشتهر به من العدل والفضائل (٨) من المعلوم الذي لا مرية فيه بين الواقفين على تواريخ الامم وسنن الانبياء البشري ان ارقى البشر عقلاً وعلماً نفسياً هم أقدرهم على سياسة الشعوب وإقامة

الدول ، وان هؤلاء مفضلون على الحناظروالماء الفنيين الذين يقومون ببعض الاعمال الجزئية في الدولة ، وهذا هو العلم الذي يرجح صاحبه على من دونه فيه لتولي الحكم العام كالتخلف والمالك . ومن دعاتهم هذا العلم معرفة استعداد الافراد الذين يصلحون للسياسة والادارة والقضاء وقيادة الجيوش ، ومن المعلوم من التاريخ بالتواتر والعمل ان عمر (رض) كان في القدرة العليا من نابغي البشر وأقذاذ الإيم في هذا الامر علما وعلا يشهد له بهذا علماء هذا الشأن من جميع الشعوب . ولبعض علماء اوربة وفلاسفهم اقوال في ذلك مشهورة ومذونة

فلو كان العلم الذي يفضل صاحبه على غيره في الخلافة وإدارة سياسة الامته هو كثرة الحفظ للاحداث وضبط الروايات لكان ابوهريرة وأنس بن مالك أول من يولاهم الخلفاء الراشدون ولا سيما عمر على الامصار ، ولو كان الذي يصلح لذلك أصحاب المبالغة في الزهد والعبادة لكان أبوذر وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعري مقدمين على غيرهم للولاية والسياسة وإدارة أمور الشعوب

وجلة القول في براهين السيد عبد الحسين نور الدين العقلية انها ليس فيها قياس منطقي مؤلف من مقدمات يقينية تصلح لتأليف برهان عقلي ، وإنما جاء بروايات عقلية لا يمكن إثباتها كلها ، وإنما بعضها صحيح كتقدم إسلام علي على إسلام عمر وهو لا يدل على ما استدل به عليه ، وبعضها لا يصح وهو على فرض صحته لا ينتج مع غيره ما فهمه منه بطريقة القياس البرهاني لما بيناه من الحقائق الفلسفية والتاريخية

على أننا نقول ان كلا من عمر وعلي (رض) من أفراد البشر الممتازين بالعبقرية العليا . فممر جدير بأن يفهم في الزمن القصير من القرآن والسنة ما لم يفهمه غيره في الزمن الطويل وهو الذي شهد له الرسول بأنه من المحدثين (يفتح الدال المشددة) أي الملمهين المفهمين من الله تعالى ، وبأن الله جعل الحق على لسانه . وقبله ، وهو هو الذي نزل القرآن مراراً موافقاً لرأيه وقال فيه الرسول ﷺ « لو كان بمدي نبي لكان عمر » رواه احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وأقره الذهبي . وكان في شبابه صاحب سفارة قريش وعمدتهم في المناخرة والمناقرة فلولانه من احفظهم وافصحهم واقوام حجة لما ولوه ذلك ، فإذا كان قد سبقه اربعون رجلاً

إلى الإسلام فلا يمكن لمن يفضل علياً وأبا بكر عليه في علمها أن يفضل عليه باقي الأربعين .
والتفاضل بين الثلاثة أنفسهم لا يسهل أن يثبت بقياس برهاني — وإنما الدلائل
القطعية في فضائل عمرو علي هي ما ثبت بالتواتر من سيرتها العملية التي لا تحتمل التأويل
دلائل مناظرنا النقلة

ان ماذكره الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين من الروايات النقلة التي ينفى
عليها استدلاله تدل على أنه لا يوثق بنقله وان عين مواضعه بالارقم ءولا بتمييزه
بين ما يصح من الروايات وما لا يصح ، ولا يفهمه لما ينقله . وهاك البيان مختصراً
(١) ما نقله عن مختصر كنز العمال من هامش ص ٤٣ من مسند الامام أحمد
وقد أنكره عليه السائح العربي ، وإنما هو في ص ٤٦ منه ج ٥ وهو روايتان —
إحداهما عن علي ولم ينقلها ولفظها : كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني وإذا
سكت ابتدأني . وهذه أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي من طريق عبد الله بن هند وهو
الرازي الجلي الكوفي وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وأقول
ان عبد الله بن هند لم يثبت سماعه عن علي وهو صدوق — والثانية التي نقلها وهي :
عن محمد بن عمرو بن علي بن أبي طالب أنه قيل لابي : مالك أكثر أصحاب رسول الله
ﷺ حديثاً ؟ قال اني كنت إذا سأله أنبأني وإذا سكت ابتدأني . رواه ابن
سعداه ومحمد بن عمر هذا لم يسمع من جده علي ولم يذكر من حديثه عنه ، وفي روايته
من جهة المتن انه لم يثبت ان علياً كرم الله وجهه كان أكثر الصحابة حديثاً أيضاً
(٢) ما نقله عن ص ٢٧٣ ج ٣ من طبقات ابن سعد وهو رواية قدوم أبي هريرة من
عند أبي موسى بن ثمانئة الف درهم ، وقد أنكره عليه السائح العربي أيضاً وهو في
ص ٦١٦ ج ٣ (طبعة أوربة) وهذا لفظه : اخبرنا يزيد بن هارون نا محمد بن عمرو
عن أبي سلمة عن أبي هريرة انه قدم على عمر من البحرين . قال ابو هريرة فلقينته في
صلاة المشاء الآخرة فسلمت عليه فساألني عن الناس ثم قال لي : ماذا جئت به ؟
قلت جئت بخمسمائة الف درهم . قال هل تدري ما تقول ؟ قلت جئت بخمسمائة
الف درهم . قال ماذا تقول ؟ قلت : مائة الف ، مائة الف ، مائة الف حتى عدت
خمساً . قال انك ناعس فارجم إلى اهلك فتم فاذا أصبحت فأتني . فقال ابو هريرة

فقدوت اليه فقال ماذا جئت به ؟ قلت جئت بخمسة الف درهم . قال عمر :
أطيب ؟ قلت نعم لا أعلم الا ذلك . فقال للناس انه قدم عليكم مال كثير فان شئتم
أن تعد لكم عدداً وان شئتم أن نكيله لكم كيلا ؟ ثم ذكر مسألة انشاءه الديوان
اقول (أولاً) ان السيد نور الدين لعدم وقوفه على علوم الحديث ومصطلحات
اهلها يقول إذا نقل شيئاً عن كتاب : ان صاحبه موثق عند اخواننا . كما قال في ابن
سعد ، وإذا كان ابن سعد ثقة فلا يقتضي أن يكون كل ما يرويه صحيحاً فهو يروي
غير الصحيح كغيره من المحدثين وعذره انه يذكر السند الذي هو العمد في تمييز
الصحيح من غيره . وقد قال هو نفسه في محمد بن عمرو راوي هذا الحديث : كان كثير
الحديث يستضعف . ولة فيه يحيى بن معين : ما زال الناس يتقون حديثه ، قيل له وما
علة ذلك ؟ قال كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من روايته ثم يحدث به مرة
أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة اه أي مثل هذه الرواية

(ثانياً) ان هذه الرواية ليس فيها أدنى مطعن على علم عمر (رض) ولا على فهمه بل كل
ما فيها انه استكثر هذا المال ان يجيء من البحرين فظن أن اهريرة مخطيء في بيانه
لنحاس أو تعبطراً عليه — وهو معذور في استكثاره لما كانوا عليه من الضيق والعسر
(٣) قوله : وروى احمد في مسنده ان عمر لم يعرف حكم الشك في الصلاة —
وهذا من غرائب عدم فهمه إذا كان قد رواه بالمعنى وإلا كان اقتراء على السند فانه
ليس فيه ان عمر لم يعرف حكم الشك وإنما فيه عن محمد بن اسحاق عن مكحول عن كريب
عن ابن عباس أنه قال له عمر : يا غلام هل سمعت من رسول الله ﷺ او من أحد
من اصحابه إذا شك الرجل في صلاته ماذا يصنع ؟ فبينما هو كذلك إذ أقبل
عبد الرحمن بن عوف فقال فيرأيتما ؟ فقال عمر سألت هذا الغلام الخ فقال عبد الرحمن
سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر أواحدة صلى أم
ثنتين وإذا لم يدر صلى ثلاثاً أم أربعاً فليجلها ثلاثاً ثم يسجد إذا فرغ من صلاته
وهو جالس قبل ان يسلم »

وأقول (أولاً) ان السؤال لا يكون دائماً عن جهل بالمسؤول عنه بل قد يكون امتحاناً وقد
يكون للتثبت في رواية مختلف فيها او متهم راويها وفي سجود السهو عدة روايات مختلفة

(وثانياً) أن هذا الحديث غير صحيح فإنه رواية ابن اسحاق عن كريب وهو مدلس وقد عمن فلا تقبل روايته، ومكحول رواه له مرسلًا. قال ابن اسحاق فلقيت حسين بن عبد الله فقال لي هل استنده لك؟ قلت لا لكنه حدثني أن كريباً حدثه به. وحسين ضعيف جداً. وقال ابن أبي خيثمة سمعت هارون بن معروف يقول أن مكحولاً لم يسمع من كريب. اهـ ولكن ذكر في التمهيد أنه سمع منه والله أعلم بهذه أمثلة الروايات التي يعتمد عليها هذا المناظر في الطعن في علم عمر بن الخطاب بما ينقله عن المحدثين، فما قولك بما ينقله عن كتاب الاغانى وابن أبي الحديد؟

وأي لأراه وأمثاله ممن يبحثون في الكتب عن شيء فيه طعن ما على من لم هو في نقل الطعن فيه من غير تمييز بين صحيحه ومضميه كدعاة النصرانية (المبشرين). إذ ينظرون في القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير يتلمسون كلمة يمكن الطعن فيها أو اتخاذها حجة على الاسلام والمسلمين ولو بالتحريف فينقلونها، ويمتدنون عليها في تشكيك عوام المسلمين في دينهم، وإلا فما باله يختار من مسند أحمد ما نقله كما فهمه لا كما وجدته ولم يستبرأ رواه أحمد فيه من طرق كثيرة عن علي لأنه قال: خير هذه الامة بمدنييها ابوبكر وعمر ومنها انه قال ذلك وهو على التبر؟ ومنها انه قاله لمن سأله ومنهم ابو جحيفة من جماعته ومفضليه على غيره.

هذا ومناظرنا يوجه هذا إلى صاحب المنار المشهور بالاشتغال بعلم الحديث وتقد الروايات، وإنما يوجه اليه لاجل المناظرة فيه قلوا أنه مصدق لهذه الروايات وواثق بضمه لها مع لقراره بضعف ذاكرته، لما جعلها من موضوع مناظرته معه أكتفي بهذه الباحث في تفنيد براهين الاستاذ عبد الحسين العقلي والنقلي ليعتبر به هو ومن يفهم كلامه، ويسلم أن مثل هذا الذي جاء به لا يوصل إلى الغاية التي طلبت المناظرة لاجلها لعل يحاسب نفسه ولا يجعل شعوره الخيالي وغلوه الوجداني حججاً علمية وبراهين عقلية يحاول بها تحويل أهل السنة كلهم عن مذهبهم إلى مذهبه، فيجمع به كلغة المسلمين بوجهه. أما المناظرة العلمية في مسائل الخلاف فطريقها الوحيد أن تحرم مسائل الخلاف الاساسية بحزباً يعضيه أشهر علماء الشيعة في سورية والنجف، وأما الاتفاق بدون مناظرة فهو ماسئنة في جزء آخر لعله الذي يلي هذا.



قال عليه الصلاة والسلام ابن لا سلام ضوى . ومنا . كثر الطريق

ذي القعدة سنة ١٣٥٠ هـ ق برج الحمل سنة ١٣١١ هـ ش مارس سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير القرآن الحكيم

خلاصة سورة برأة (التوبة)

(وفيها خمسة أبواب وفصول)

(هذه السورة آخر السور المدنية الطول نزولا فيقل فيها ذكر أصول الدين وأحكام العبادات البدنية . - راجع مقدمة خلاصة سورة الاقال في ص ١١٨ والتناسب بين السورتين في ص ١٤٧ ج ١٠)

الباب الاول

(في صفات الله تعالى وأفعاله وشؤونه في خلقه وأحكامه وسنته فيها)

(الفصل الاول في الاسماء والصفات الالهية والاضافات اليها)

(١ - الاسماء والصفات)

في هذه السورة من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى : الغفور الرحيم ، الوهاب ، العزيز الحكيم ، العزيز الحكيم ، السميع العليم ، عالم الغيب والشهادة . ومنها

الكرر مرتين وثلاثاً أو أكثر، وكل منها موضوع في موضعه المناسب لمنه في السياق أو الآية . وأما الفائدة العامة لذكر أسماء الله تعالى وصفاته وتكرارها في المواضع المختلفة فهي تذكير تالي القرآن وسامعه المرة بعد المرة بربه وخالقه وما هو متصف به من صفات الكمال التي يشره زيادة تعظيمه وحبه، والرجاء في رحمته وإحسانه، والخوف من عقابه، لمن أعرض عن هداية كتابه، أو خالف حكمته وسنته في خلقه، وهذا أعلاما قصد القرآن، في إكمال الايمان، وإعلاء شأن الانسان (فراجع في ص ١٩٩ ج ١٠) وبما ورد فيها في العلم الالهي قوله تعالى (٧٨ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ، وأن الله هلام الغيوب) وقوله (١٦ أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم — الى قوله — والله خير بما تعملون) وهما أعظم ما يجددني القلب مراقبته عز وجل عند كل قول وعمل، وحسبك بهما وازما ورافعا

(٢ - للمعية الالهية)

في هذه السورة من المعية العليا قوله تعالى في آية الفار عن رضوله ﷺ (٤٠) إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وهي معية النصر والمعونة ، والحفظ والمصمة ، والتأييد والرحمة ، كما يقتضيه المقام في حال الهجرة ، وهذه المعية أفضل من كل ما ورد في معناها ، ومن أعظمه قوله تعالى لكليمه موسى وأخيه هارون عليها السلام (لا تخفا انني معكما أسمع وأرى) فراجع (ص ٤٢٧ ج ١٠) وفي الآية ١٢٣ (واعلموا أن الله مع المتقين) وهذه معية النصر لانها معطوفة على الامر بالقتال، ويقال في كل منها مع العلم بمعناها انها معية تليق به تعالى

(٣ - الدرجة والمنية الالهية وسكنته تعالى)

قال تعالى (٢٠) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أعظم درجة عند الله) الآية . وقد قلنا في تفسير هذه المنية [ص ٢٢٠ ج ١٠] انها حكيمية [بضم الحاء] شرعية ، ومكانية جزائية ، أي هم أعظم درجة في الفضل والكمال في حكم الله، وأكبر مشوبة في جوار الله

وقال بعد بشارتهم بالرحمة والرضوان والجنان والنعم القيم والخلود فيها من الآية (٢٢) ان الله عنده أجر عظيم) وهو استئناف ياتي فالمندية فيه مفسرة لما قبلها. وقال (٣٦) ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض) فالمندية هنا يفسرها ما بعدها وهو كتاب الله القبي كتب فيه مقادير السموات والارض ونظام الايام والليالي والشهور والسنين . وقيل كتابه المنزل الذي فيه حكمه التشريعي في الشهور وهو قوله بعد ما ذكر [منها أربعة حرم] الخ وفي الآية (٥٢) ونحن نريص بكم أن يصيبكم الله بمذاب من عنده أو بأيدينا) فعندية المذاب عبارة عن كونه بفعلة تعالى دون كسب للمؤمنين وهو ما يسمى بالمصائب السماوية بدليل مقابلته بقوله [أو بأيدينا] والاضافة في المندية الحكمة للتوقيف والتعريف، وفي المندية للمكانية للتشريف، ومثلها إضافة السكينة اليه تعالى

٤ - حب الله ورضاه وكرهه وسخطه وغضبه

قال تعالى (٧) ان الله يحب المتقين) وقال في المهاجرين والانصار [١٠٠] رضي الله عنهم ورضوا عنه [وقال في جزاء المهاجرين المجاهدين [٧٢] ورضوان من الله اكبر [ويدخل في معناه ماصح في الاحاديث من مقام الرؤية كما بيناه في تفسيرها وقال في شأن المنافقين [٩٦] فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين [أسند الله تعالى الى نفسه الحب والرضى في هذه الآيات وفي سور أخرى ، كما أثبت لنفسه الكره في قوله من هذه السورة [٤٧] ولكن كره الله انبيائهم [والسخط والغضب في سور أخرى . والتكلمون يتأولون هذه الصفات بالاثابة والاحسان من لوازم المحبو والرضى، وبالعقاب من لوازم السخط والكره والغضب، فراداً من تشبيه الخالق بعبده الذين تعد هذه الصفات اتصالات نفسية لم يتزده الله عنها . ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله من غير تمطيل ولا تمثيل ولا تاويل ، فيقولون ان حب الله تعالى وكرهه ورضاه وغضبه صفات تليق به تترتب عليها آثارها ، وهي لا تماثل ما سمي باسمها من صفات البشر ، كما ان ذاته ونفسه وعلمه وقدرته لا تماثل ذوات البشر وعلمهم

وقدرتهم بلا فرق . بل نقول ان من خلق الله في عالم الغيب من الجن والملائكة لا مماثل في إدراكه ولا في غيرهما في عالم الشهادة ، بل روي في ثمر الجنة أنه يشبه نمر الدنيا وليس مثله وعن ابن عباس [رض] أنه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا الا الاسماء . وقال تعالى في نعيم الآخرة [فلأعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين] وقال النبي ﷺ في تفسيره له « قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وأمر بقراءة الآية متفق عليه

وأما الكلام مع أهل التأويل من ناحية الأدلة العقلية التي يزعمون الانفراد بها دون علماء السلف فهو أن حب الحق والخير كالإيمان والعدل وأهلها ، وكرهه الباطل كالكفر ، والشر كالظلم ومجترحيها ، كلاهما من صفات الكمال المحض ، وكل ما كان كمالاً محضاً فالعقل يوجبه لواجب الوجود بأعلا مما يكون منه للوجود الممكن . فقد اتفق العقل مع النقل على إثبات هذه الصفات لله بمعنى أكمل مما هي في خيار الناس ، ولكن لا يمكن وضع أسماء لها من كلام الناس تدل على الفرق بين مسمياتها في المطلق والمخلوق ، فوجب الرجوع في ذلك إلى الوحي الفاضل وهو قوله تعالى [ليس كمثل شيء وهو السميع البصير] فالتنزيه في الجملة الأولى السالبة أزال ما يستلزمه التشبيه في الجملة الثانية الموجبة ، بل قال الشيخ محيي الدين بن عربي في تفسير هذه الآية ان الايمان الصحيح هو الجمع بين التنزيه والتشبيه

(الفصل الثاني)

هو أفعال الله في تصرفه وتدييره لا مور خلقه يقتضي سئنه ، لا يجعلهم مجبرين بقدرته ﴿ قال تعالى (١٤) قاتلوم يذبهم الله بأيديكم ويغزمو وينصركم عليهم) الآية . يتوهم أهل الجبر أنها تدل على محنتهم ، ويرده انه تعالى أمرهم بقتال المشركين ، ولو كانوا مجبرين لكان أمرهم لقواً وعبتاً . وقوله (يذبهم الله بأيديكم) معناه يذبهم بتمكين أيديكم من رقابهم قتلاً ، ومن صدورهم ويحورهم طمناً ، ويؤكده

النار: ج ٣٢ تصريفه تعالى لا يقتضي الجبر ولا ينافي الاختيار في الكسب ١٦٥

الوعد بعده بنصرهم وفي معناه قوله (٥٢) ونحن نبرص بكم أن يصيبكم الله بعباد من عنده أو بآيديننا)

وقال تعالى في آية (١٩) والله لا يهدي القوم الظالمين * وقال في آية ٢٤ و ٨٠ والله لا يهدي القوم الفاسقين * وقال (٣٧) والله لا يهدي القوم الكافرين) وليس معنى هذه الآيات أن الله تعالى منهم من الهداية بقدرته فصاروا عاجزين عنها ويجبرين على الفسق والظلم والكفر إجباراً ، وإنما معناها ما بيناه في تفسيرها وهو أن هذه الصفات التي رسخت في أنفسهم بكسبهم منافية لهدى الله تعالى الذي بعث به رسوله بحسب سنته تعالى في الاسباب والمسببات (راجع ص ٢١٩ و ٢٣٦ و ٤١٩ و ٥٦٧ ج ١٠) ويقابله قوله تعالى قبل الآية الأولى من هذه الآيات فيمن ترجى لهم الهداية بحسب سنته تعالى (١٨) إنما يعمر مساجد الله من باؤه واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فسوف أولئك أن يكونوا من المهتدين)

ويدخل في هذا الباب من بيان السنن وطبائع البشر قوله في خوالف المنافقين (٨٧) وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ثم قوله فيهم (٩٣) وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) فهو بيان لسنة الله في تأثير أعمالهم التي منها رضاهم بخطة الحذف والذل وهو التخلف عن الجهاد أن قلوبهم كالطابوع عليها التي لا تقه كنه حاملها ولا تعلم سوء مآلها (ص ٥٩٠ ج ١٠) وفي معناه قوله في الذين ينصرفون منهم متصليين من مجلس القرآن (١٢٧) ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) أي بسبب أنهم قوم قدوا صفة الفقاها الفطرية وفهم الحقائق وما يترتب عليها من الاعمال لعدم استعمال عقولهم فيها الخ ما فصلناه في تفسيرها (ص ٨٥ ج ١١) وبهذه المرأة ترى حقيقة المراد من قوله تعالى فيهم (٤٦) ولكن كره الله انبئائهم فشطهم) وراجعه في ص ٤٧١ ج ١٠ وقوله (٦٧) نسوا الله فنسيتهم)

وراجعه في ص ٥٣٤ ج ١٠

﴿ الفصل الثالث ﴾

في تحليل أفعال الله تعالى وأحكامه وسنته فيها

- ١- ترى تحليل الامر بإتمام اليهود الموقته بقوله تعالى (ان الله يحب المتقين)
 - ٢- » » » بتخليه سبيل التائبين من المشركين بقوله تعالى
(ان الله غفور رحيم)
 - ٣- » » » بإجارة المشرك المستجير لسمع كلام الله بقوله
(ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)
 - ٤- » » » بقتال المشركين الناكثين للعهد بقوله (لعلهم ينتهون)
 - ٥- » » » بعدم قبول صدقات المنافقين بفسقهم ثم بكفرهم في آيتي ٥٣ و ٥٤
 - ٦- » » » المنفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله وفسقهم في الآية ٧٩
 - ٧- » » » النعي عن الصلاة على موتاهم بكفرهم بالله ورسوله في الآية ٨٤
 - ٨- » » » الامر بأخذ الصدقة من المؤمنين بتطهيرهم وتزكيتهم بها [١٠٣]
 - ٩- » » » فتنه المنافقين في كل عام بأمل التوبة والتذكر [١٢٦]
- فيعلم من كل تحليل ان حكمته تعالى في أفعاله وأحكامه منفعة عباده ومصالحهم وخيرهم

سنته تعالى في أفراد البشر وأقوامهم وأممهم

بيننا سن الله تعالى في تأثير العقائد والصفات النفسية في الاعمال وترتيب الاعمال عليها في مواضع [منها] اخذ الكافرين في الآية الاولى [ومنها] نفي هداية الله تعالى للظالمين والفاستقين والكافرين في الآيات ١٩ و ٢٤ و ٣٧ و ٨٠ [ومنها] كراهته تعالى انبعاث المنافقين للقتال وتثبيطه لهم وقوله [اقعدوا مع القاعدین] في الآية ٤٦ [ومنها] طبعه على قلوبهم في الآيتين ٨٧ و ٩٣ وفي معناه صرف قلوبهم عن الايمان بالقرآن في الآية ١٧٧ وتقدم بيان هذا في الفصل الذي قبل هذا

ومن بيان سنته تعالى في الامم قوله تعالى (٤٩) لا تنفروا يذبكم عذاباً ايماً ويستبدل قوما غيركم) فبقاء الامم وعزتها يتوقفان على قوة الدفاع الحربية [راجع تفسيرها في ص ٤٢٥] ومنها قوله (٤٧) لو خرجوا فيكم ما زادوكم [الاجبالا] فراجع تفسيرها في ص ٤٧٢

﴿ الفصل الرابع ﴾

في قضاء الله وقدره وولايتة للمؤمنين وتوكلهم عليه

هذه عدة عقائد من أصول الإيمان ، وكال التوحيد والايقان ، جمعت كلها في آية واحدة من هذه السورة أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرد بها على الناقضين الذين أخبر عنهم بأنهم قسوه كل حسنة نصيبه كالنصر والفتية في غزوة بدر ، ونفروهم كل مصيبة نصيبه كالنكبة التي وقعت في غزوة أحد وهي (٥٩) قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون (فتصور حال مؤمن يوقن أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له - وأنه ان لم يكن يعرف هذا المكتوب له بميته فهو يستند أنه لا يمدو في جهلته وعده تعالى له من حيث هو مؤمن من الخير والنصر والشهادة في حبيب الله المبرر عنهما بالحسينين في الآية التي بعد هذه [أي آية ٥٧] ويستند أن الله تعالى هو مولاه الذي يتولى نصره وتوقيه ، فهو يمتنع بإيمانه بتوكل عليه ويفوض أمره إليه ، تصور حال مؤمن تمكن من هذه العقائد من نفسه ، وملكت عليه وجدانه ، هل يخاف من غير الله ؟ هل يمكن أن يئأس من روح الله ؟ هل يمنه أي خطب من الخطوب عن الجهاد لأعلاء كلمة الله ، وإقامة دين الله ، وبذل الجهد ، في إقامة الحق والعدل ، ومد بساط البر والفضل ؟ وتصور حال أمة يغلب على أفرادها ما ذكر ألا تكون أعز الائم نفساً وأشدّها بأساً ؟

ويؤيد هذه العقائد ويزيدها وضوحاً في قلب تالي هذه السورة ختمها بقوله عز وجل (١٢٩) فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) فينبني للمؤمن أن يتأمل معناها ويطالب نفسه بالتحقق به ، فانه يجد به من حلاوة الإيمان وعزة النفس ما يحترق به خسائس المادية التي يتكالب للماديون عليها ، ويبخون أنفسهم انتحاراً اذا قاتهم أو أعيامهم شيء منها ، وقد ورد في ذلك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء [رض] من قال إذا أصبح وإذا أمسى « حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » صبر مرار كفاء الله ما أهمه . وهذا موقوف له حكم المرفوع ، وهو في سنن أبي داود

الباب الثاني

(في مكانة محمد رسول الله وخاتم النبيين عند ربه وفي هداية دينه وحقوقه على أمته)

وفيه ثلاثة فصول

هو الفصل الاول في اقتران اسمه باسم ربه وحقه ﷺ بحقه عز وجل

وفيه أربعة عشر شاهدا

(١ و ٢) افتتحت هذه السورة بقوله تعالى (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) وعطف عليها قوله تعالى (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) الخ فقرن تعالى اسم نبيه باسمه في تبليغ أحكامه وتنفيذها (٣) قال تعالى في وصف كلمة المؤمنين من الآية (١٦) — ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة (أي دخيلة وبطانة من غيرهم يعلمونهم على الاسرار ، ولهذا أشرك المؤمنين في هذا لانه يتعلق بحقوقهم في ولاية بعضهم لبعض دون أعدائهم ، ويضرم أن يكون بينهم ولائج ودخائل من غيرهم . دون ما قبله الذي هو تشريع هو حق الله تعالى وتبليغ وتنفيذ : مما حق رسوله ﷺ في عهده ، وورثته من بعده

(٤) قوله تعالى (٢٤ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترمتموها ونجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتمسوا حتى يأتي الله بأمره) فجعل كمال الايمان مشروطا بتفصيل حب الله تعالى ورسوله على كل ما يجب في هذا العالم من الناس والمصالح والمنافع ، ولكنه جعل الجهاد في سبيل الله وحده دون رسوله لانه عبادة يتقرب بها الى الله وحده وليس للرسول ﷺ أدنى حق ولا شركة مع الله عز وجل في عبادته (٥) قوله تعالى في صفات أهل الكتاب الذين شرع قتالهم من الآية (٢٩) — ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله (على القول بأن « رسوله » في الآية هو الفرد الاكل خاتم النبيين وهو قول المفسرين يقابله أن المراد به رسوله

تعالى اليهم وهو موسى (ع. م) لليهود وعيسى (ع. م) للنصارى
 وهل العطف في الآية يدل على أن الرسول قد أعطاه الله حق التحريم من
 تلقاء نفسه أم حظه منه التبليغ عن الله تعالى نصاً ولو في غير القرآن أو استنباطاً ؟
 اختلف علماءنا في التشريع الديني في هذه المسألة دون الدين المحض فذهب
 بعضهم إلى الأول وجعلوا منه محرمه والتبليغ للمدينة ككأن يصاد صيدها أو يختلج
 خلاها الخ وذهب آخرون إلى الثاني ومنهم الامام الشافعي وقد بينا هذه المسألة
 في موضع آخر بالتفصيل

(٦) قوله تعالى في سبب منع المنافقين أن تقبل منهم نفقاتهم من الآية ٥٤ :
 (إنهم كفروا بالله ورسوله) ومثله في سبب عدم انتفاعهم باستغفار النبي ﷺ من
 الآية (٧٩ - ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) وهذا ظاهر فإن الذين إنما يكون
 بالجمع بين الإيمان بالله والإيمان برسوله وما جاء به ، وأن يعرف الله وما يرضيه
 من عبادته إلا من طريق رسوله وما أوحاه اليهم ؟

(٧) قوله تعالى في الذين لمزوا النبي ﷺ أي طابوه في قسمة الصدقات
 وكانوا يرضون إذا أعطوا ويسخطون إذا منعوا (٥٩) ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله
 ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، إنا إلى الله راغبون (والجمع
 فيها بين اسم الله واسم رسوله في موضعين أحدهما الرضاء بما آتاه وأعطاه بالمثل ،
 والثاني الرجاء فيما يؤتيان من بعد ، فأما العطاء من الله تعالى فهو أنه هو الذي أنعم وينعم
 بالفتن في الحرب وهو الذي شرع قسمتها بين المؤمنين ، وجعل خسنها فيما تقدم في أول
 الجزء العاشر في مصالح المسلمين ، ومنها موااساة الفقراء والمساكين ، وهو النعم بسائر
 الأموال ، والذي فرض فيها ما تقدم تفصيله من الصدقات ، وأما الرسول ﷺ
 فهو القاسم للفتن والصدقات باعطائها لمستحقها بالحق والعدل ، ولذلك خص الله
 تعالى في الآية بالفضل ، وفيها من أصول التوحيد ، والتميز بين ما لله وحده وباله
 وللرسول أمران (أحدهما) أن الحسب الكافي للعباد هو الله وحده ، ولهذا
 أرشدهم أن يقولوا « حسبنا الله » ولم يقل ورسوله كما قال في الآيات (وثانيهما)
 أن توجه المؤمن فيما يرغب ويرجوه من الرزق وغيره يجب أن ينتهي إلى الله تعالى .

وحده وهو نص قوله (إنا إلى الله راغبون) ومنه (والى ربك فارغب) أي دون غيره (راجع ص ٤٨٨ ج ١٠)

(٨) قوله تعالى (٦٢) يحلفون بالله لكم ليرضوكم ، والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) فقتضى الايمان الذي لا يصح بدونه تحري المؤمنين إرضاء الله ورسوله في المرتبة الاولى ، وإرضاء المؤمنين بما يتعلق بمعاملتهم في المرتبة الثانية التابعة للاولى ، ذلك بأن كل ما يرضي الله عز وجل يرضي رسوله ، وكل ما يرضي رسوله ﷺ يرضيه ، فهما متلازمان ، وأما المؤمنون فقد يرضي بعضهم ما لا يرضي الله ورسوله لجهل بما يرضيهما أو غفلة عنه أو اتباعه لهواه فيه . ومنه في موضوع الآية ان بعض المؤمنين من الصحابة الكرام ربما كانوا يصدقون أولئك المنافقين الذين يحلفون لهم بأنهم صادقون في احتذارهم عما اتهموا به في غزوة تبوك ، لأنهم لا يعلمون ما يطمه الله تعالى من باطن أمرهم وما أعلم به رسوله منه ، ولذلك قال في آية أخرى (يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)

(٩) قوله تعالى (٦٣) ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم الآية وهذه مقابلة لما قبلها فإن من يحادد الله أي يصاديه يصادي رسوله كما أن من يرضي أحدهما يرضي الآخر ، ومن ثم كان الجزاء واحداً

(١٠) قوله تعالى في المنافقين الذين كانوا يخوضون في مسألة غزوة تبوك جهيزون بمحاولة غزو الروم ورجاء الرسول ﷺ النصر عليهم وبما كان وعد به أصحابه من الظفر بملكهم (٦٥) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) فحكم الاستهزاء بالله وآياته الكفر ، وهو حكم الاستهزاء برسوله ، لأن الله تعالى هو الذي وعد رسوله بالنصر وأمره بالفرز ، ورسوله إنما بلغ عنه آياته ووعد في ذلك .

(١١) قوله تعالى (٩٠) وجاء المنفرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله الآية . معنى كذبهم إياها إظهار الايمان بها كذباً وخداعاً

ومن كذب الرسول في دعوى الايمان فقد كذب الله - وان لم يشعر بذلك - واستحق الجزاء الذي في الآية

(١٢) قوله تعالى في أصحاب الاعداء الصادقة في التخلف عن الجهاد الواجب (٩١) ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم ورسولهم (٩٢) فاشترط لقبول جندهم في القعود عن القتال النصيحة لله ورسوله في كل قول وعمل يتقدمون عليها في مقاومة الاعداء ومساعدة المؤمنين وغير ذلك فالنصح من أعظم شجب الايمان ، وراجع تفسير الآية

(١٣) قوله تعالى في المتنبرين من المنافقين عن الخروج إلى تبوك (٩٤) يمتدرون اليكم إذا رجستم اليهم قل لا تمتدروا لن تؤمن لكم قد بناها الله من أخباركم ، وسرى الله عليكم ورسوله (الآية) . وللمراد من ذكر رؤية الرسول لها إعلامهم انه هو الذي سيأمرهم بمقتضاها في الدنيا دون أقوالهم في الاعتذار عن تخلفهم وغيره من سيئاتهم . وأما رؤية الله تعالى لها فهي التي عليها مدار الجزاء في الآخرة كما صرح به في تمة الآية (ص ٣ ج ١٩) وفي معناها قوله تعالى (١٠٥) . قل اعلموا فسرى الله عليكم ورسوله للمؤمنون) هذا الآية حث على العمل النافع للدنيا والآخرة وإنما ذكر للمؤمنون هنا بعد ذكر الله ورسوله لتذكير العاملين بان الله يرى أعمالهم وهو الذي يجازيهم عليها فيجب عليهم الاحسان والاخلاص له والوقوف عند حدود شرعها فيها . وبأن رسوله يراها ويمامهم بمقتضاها وهذا خاص بحال حياته ﷺ - وهو الشهيد عليهم فيها عند الله تعالى ليتحروا أن يشهد لهم لا عليهم- ثم لتذكيرهم بان المؤمنين يرونها فينبغي لهم أن يتبعوا فيها سبيلهم ويتحروا فيها ما يوافق للصالحات العامة التي يشتركون فيها . وجاعة المؤمنين شهداء به منهم على بعض وشهادتهم مقبولة عند الله تعالى (راجع تفسير الآية في ص ٣٣ ج ١١)

(١٤) قوله تعالى (٩٩) ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول (فهذا ضرب من اقتران اسم الرسول ﷺ باسم الله تعالى في موضوع واحد مع الفصل فيه بين ما له تعالى وما لرسوله . فالذي لله عز وجل من هذه العبادة هو قصد القرية واشتاء المرصاة

والثبوت ، والذي للرسول ﷺ هو طلب صلواته أي أدعيته إذ كلف يدعو المتصدقين كما ينه في تفسير الآية (ص ١١ ج ١١)
وكل هذه الآيات مما يفند دعوى بعض الملاحدة أن دين الاسلام هو القرآن وحده دون سنة رسوله ، وكذلك ما ترى في الفصولين اللذين بعده

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ في علو مكانته وعناية الله تعالى به وتكريمه وتأديبه وتكميله إياه ﴾

(وفيه ١١ منقبة بالأجمال وأضفاف ذلك بالتفصيل)

(المنقبة الاولى) جعل الايمان به وطاعته وجهه وارضائه مقرونة في المرتبة والثناء والثواب بما له عز وجل من ذلك على عباده — وجعل ما يقابل ذلك من الكفر به وعصيانته وبغضه واغضابه وايدائه مقرونة في الحظر والكفر والوعيد واستحقاق المذاب الاليم بالكفر بالله وعصيانه الخ ونجد ما في السورة من الامرين مفصلا في الفصل الاول الذي قبل هذا ، فهي تضع عشرة لامنقبة واحدة

(الثانية) انزال الله سكينته عليه وتأيدته بمجنوده من الملائكة في يوم خيبر حين انهزم المؤمنون وولوا مدبرين كما هو مبين في الآيتين ٢٥ و ٢٦ (ويراجع تفسيرها في ص ٢٤٣ - ٢٤٨ ج ١٠)

(الثالثة) نصر الله له عند خروجه للهجرة مع صاحبه الصديق ومعيته الخاصة لها وانزال سكينته عليهما وتأيدهما بمجنوده من الملائكة ، وفيها عدة مناقب كما تراه في آية الغار (٤٠) وتفسيرها البديع من ص ٤٢٦ - ٤٥٩

(الرابعة) إتمام الله تعالى نوره به كما تراه في الآية ٣٢ وقال بعض المفسرين إنه هو ﷺ نور الله المراد من الآية فانظر تفسيرها في ٣٨٣ ج ١٠

(الخامسة) قوله تعالى بعدها (٣٣) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) الآية وهي مشتملة على عدة مناقب فانظر تفسيرها في ص ٣٨٨ - ٣٩٤ ج ١٠

(السادسة) قوله تعالى له (٤٣) عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية وفيها من لطفه تعالى به وتكرمه إياه ان أعله بمفوه عنه قبل اعلامه بخطا الاجتهاد في اذنه لبعض المنافقين بالتخلف عن الخروج معه الى تبوك . وتجد في تفسيرها تحقيق الكلام في ذنوب الانبياء عليهم السلام [ص ١٦٤]

[السابعة] اعلامه تعالى إياه بأن استغفاره للمشركين وعلمه سيان في جانب حكم الله فيهم وهو انه لا يغفر للمصرين على نفاقهم . وذلك في الآية [٧٠] وهذا تقييد لنفع الدعاء والشفاعة

(الثامنة) اعلامه تعالى بأنه ليس من شأن النبي من حيث هو نبي ولا من شأن المؤمنين أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى بعد العلم بموتهم على كفرهم بعد ان فعلوا ذلك . وهذا نص الآية ١١٣ وهي ارشاد من الله لم فيما يجب أن يقنوا عنده من مودة القرابة والنسب (راجع ص ٥٦ ج ١١)

(التاسعة) نهيته تعالى إياه عن الصلاة على المنافقين أو القيام على قبورهم عند الدفن بعد صلاته على زعيمهم الأكبر الأ كفر عبد الله بن أبي بن سلول والقيام على قبره عند دفنه تكريما لنجدة المؤمن الصادق وتأليفا لقومه وكان أكثر المنافقين منهم ، وهذا النهي يتضمن الانكار والتأديب والحد الذي يجب الوقوف عنده في معاملة المنافقين ، وسيأتي تفصيله

[العاشرة] نهيته عن الاعجاب بأموالهم وأولادهم وإعلامه بأن الله يمدحهم في الدنيا قبل الآخرة في الآيتين ٥٥ و ٥٥ على القول بأن الخطاب فيهما له ﷺ ويجوز أن يكون عاما لكل من يسمع القرآن أو يقرؤه ، وهو على كل تقدير تأديب من الله تعالى وتكليف للنبي والمؤمنين بالسو بانفسهم من تعظيم شأن قوة لاموال وعزة الاولاد وزينتهما يكونان للمحرومين من قوة الايمان وعزته وهما ان لا يعلموا شيئا . وتعليمهم ما لم يكونوا يصلحون من ان انعم الصورية الدينية لا تتم لاهلها النعمة والعزة بها الا باطمئنان القلوب بنعمة الايمان ، وتزكي الانفس باعمال

الاسلام، وان السعادة الحقيقية انما هي سعادة النفس بالعلم والرفق وعلو الاخلاق، ومن متماتها الدنيوية كثرة الاموال والاولاد، وان هؤلاء المنافقين يقدم لهم النعم الباطنة، لاسعادة لم يترك النعم الظاهرة، وانما هي منقصات لم في الدنيا نفسها بما ينشأ في تفسير الآيتين [في ص ٤٨٤ و ٥٧٤ ج ١٠]

(الحادية عشرة) توبته تعالى عليه وعلى خيار أصحابه المؤمنين وهذا متعمى التطهير والتزكية لم من بهم عز وجل في اثر غزوة تبوك التي ارهقوا فيه أشد العسر، وقاسوا أعظم الجهد، من الجوع والظما والنصب، ومفارقة موسم الرطب، في شدة الحر، وقلة الزاد والظفر، [الرواحل] فكان لا بد أن يعرض لم بعض المفوات الجديرة برأفة الله ورحمته في جانب تلك الحسنات، التي أشير الى مضاعفة أجرها فيما يلي الاخبار بالتوبة عليهم من الآيات، وهو قوله عز وجل [١١٧] لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم [ثم ذكر فيما يليها توبته على الذين خلفوا من هؤلاء الصادقين عن تبوك بنير عذر [حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم] الخ

والتوبة من العبد الى ربه هي رجوعه اليه عن كل ما لا يرضيه وتحريمه ما يرضيه وهي تختلف باختلاف حال التائبين فيما يتوبون عنه حتى ان منهم من يتوب اليه ويستغفرو من الغفلة، ومن التصغير في استكمال الجهد في الطاعة

وأما التوبة من الرب على عبده فهي قبول توبته، والتجاوز عن ذنبه أو هفوته، أو عن قصوره في عبادته والخطأ في الاجتهاد في إقامة سنته، وتنفيذ شريعته، وعطفه عليه بما يكون مزيد كمال في إعلاء درجته، ولذلك قال بعض المحققين : ان التوبة هي أول درجات الطاعة والمعرفة وهي آخر درجات الكمال في الايمان وعمراته، وانها كالطهارة في الصلاة لا بد من استمرارها من اول سن التكليف إلى آخرها [راجع ص ٦٤ - ٧٢ ج ١١]

(الفصل الثالث)

(في فضله على أمته، وحقوقه الواجبة عليها، وحكم إخلاصها بها وتصويرها فيها) (وهي ثلاثة أقسام)

(القسم الأول في صفاته الخاصة وفيه بضع مزايا وفضائل)

(الأولى) وصف الله تعالى إياه بأنه صلوات الله وسلامه عليه في الآية ٦١ (أذن خير) في الرد الحكيم على قول بعض المنافقين (هو أذن) ينون أنه يصدق كل ما يقال له فيسهل عليهم خداعه، وقد فسر وصفه بأنه أذن خير بقوله تعالى [يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين] ووجه الرد عليهم بهذا أنه ﷺ إنما يؤمن بالله ويصدق ما يوحى إليه في شأن المنافقين وغيرهم، وهو التصديق القطعي اليقيني، وبإليه أنه يصدق المؤمنين بالله تعالى ويرسلته تصديق ثقة بهم وأمان لم فيها هو خير في نفسه، وخير للناس حتى المنافقين منهم، لأنه لا يسمع صياح قبول إلا ما كان حقا وخيرا، دون الكذب والغيبة والمجيئة - راجع تفسيرها في ص ٥١٦ ج ١٠

[الثانية] وصفه تعالى إياه بعد ما ذكر بقوله [ورحمة للذين آمنوا منكم] أي بما كان سببا لهدايتهم وإسباغ الله عليهم سعادة الدنيا والآخرة بإيمانهم به وعلمهم بما دعاهم إليه من أسبابها، دون المنافقين للكاذبين أو المرتابين فيها، وأما قوله تعالى في سورة الانبياء [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين] فهو في معنى إرساله للناس كافة بما هو سبب الرحمة والسعادة. وما يأتي قريبا من وصفه بأنه رحيم بالمؤمنين فهو معنى آخر وستعرف الفرق بينهما

[الثالثة] وصفه في آية ١٠٣ بتعظيم المؤمنين وتزكيتهم بما يأخذهم منهم من الصدقات. وذلك أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يكن مثله في تبليغه لفرض الصدقات والتفقات، وفي أخذه لها وقسمتها على مستحقها كمثل الملوك والحكام الذين يحملون المفروض على الناس من الاموال أتاوات وضرائب قهريه يؤدونها كما يؤدون سائر للغارم، ويمتقدون أنها تنفق بحسب أهواء الملوك والحكام، ويكون لهم منها أكبر نصيب بغير استحقاق، وإنما كان ﷺ يبين للمؤمنين حكمة ما فرضه الله تعالى

١٧٦ كونه ﷺ رحمة للمؤمنين ومن كمالهم ونفع دعائه النار : ج ٣ م ٢٢

عليهم ، وإن فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة لهم في أفرادهم وجماعتهم ، وكان يقسمه بين مستحقه بالعدل ، ويحرم باذن الله على نفسه وعلى أهل بيته أخذ شيء منه ، فهذا وذاك أسند الله تعالى إليه قبل التطهير والزيارة لهم ، وهو داخل في حكمة بعثته في قوله [يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة] ونجد التفصيل في تفسير الآية [ص ٢٤ ج ١١]

[الرابعة] وصف صلاته ودعائه للمتصدقين بعد ما ذكر بأنه سكن لهم تطعن به قلوبهم ، وترتاح إليه أنفسهم ، ويثقون بقبول الله لصدقاتهم ، وتقول إن كل مؤمن متصدق مخلص يناله حظ من دعائه ﷺ للمتصدقين إلى يوم القيامة ، ولكن لم يرد في القرآن ولا في السنة ولا في سيرة الصحابة والتابعين إن النبي ﷺ يطلب منه بعد وفاته الدعاء لأحد .

[الخامسة] وصفه تعالى بإياه بما امتن به على قومه من قوله في خاتمة السورة [١٢٨] لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم [فاقبث له شدة الحب لهم والحرص على هدايتهم وسعادتهم ، وأنه يعز وبشق عليه أن يصيبهم العنت والارهاق في دينهم أو دنياهم]

[السادسة] وصفه بعد ما تقدم بقوله [بالمؤمنين رءوف رحيم] وهاتان الصفتان من أعظم صفات الربوبية غير الخاصة بالله عز وجل الإلهي كالماء ، ورأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين غير ارسال الله تعالى بإياه رحمة لهم خاصة ، وغير ارساله ورحمة للناس كافة ، فإن رحمته بهم من صفات نفسه الشريفة القدسية التي ظهر أثرها في سياسته ومعاشرته لهم ، وتاديبه إياهم ، وتنفيذ حكم الله تعالى فيهم ، كما ترى في هذه السورة كخيرها ، وشواهد سيرته ﷺ في تفسيرها ، فنأمل خطبته ﷺ في الانصار في أثر إنكار بعض شبانهم وعوامهم حرمانه إياهم من غنائم حنين [ص ٢٥٨ - ٢٦٠ ج ١٠]

فعني العجب العجيب ، والكمال ، الذي لم يتم لبشر كما تم له عليه الصلاة والسلام . وأما ارساله رحمة للعالمين وللمؤمنين فهو بيان لحكمة رسالته وفوائدها فيما اشتملت عليه من الحق والعدل والخير التي هي أسباب رحمة الله ومثوبه ورضوانه لمن اهتدى بها كما تقدم بيانه في محله .

﴿ القسم الثاني فيما يجب له على أمته وفيه خمس واجبات ﴾

[الاول] وجوب حبه ﷺ بالتبع لحب الله تعالى وفي الدرجة التي تلي درجته في ثمرة الايمان ، ووعد من يفضل عليهما حب أي شيء مما يجب بمقتضى الفطرة ومصالح الدنيا ، فراجع بيان ذلك في تفسير الآية (٢٥) تجد فيه ما لا تجد مثله في تفسير آخر [ص ٢٢٥ ج ١٠]

[الثاني] وجوب مرضاته بالتبع لمرضاة الله عز وجل في الآية ٦٢
[الثالث] وجوب طاعته بالتبع لطاعة الله في صفات المؤمنين من الآية ٧١
[الرابع] وجوب النصيح له بالتبع للنصح لله عز وجل في صفات المذكورين في التخلف عن القتال من الآية (٩١)

وهذه الواجبات له قد ذكرت في الفصل الاول من هذا الباب في سياق آخر
[الخامس] وجوب نصره كما يؤخذ من آية [٤٠] إلا تنصروه فقد نصره الله [ويؤيدها ما يأتي في القسم الثالث من حظر التخلف عنه]

﴿ القسم الثالث فيما يحظر عليهم من إيذاء وتقصير في حقه وهو خمسة محظورات ﴾

[الاول] حظر إيذائه فداؤه أبي وأمي ونفسي والوعد عليه في الآية [٦١]

[الثاني] حظر محادثته أي معاداته والوعد عليها في الآية [٦٣]

[الثالث] الكفر الصريح بالاستهزاء به في الآية [٦٥]

[الرابع] حظر القعود عن الخروج معه للجهاد في الآيتين [٨١ و ٩٠]

[الخامس] حظر تخلفهم عنه والرغبة بانفسهم عن نفسه في الآية [١٧٠]

وهذا تعبير بليغ جدا يتضمن ان كل من يرضون نفسه عن جهاد وعمل بذل الرسول ﷺ نفسه فيه فهو مفضل لنفسه على نفسه الكريمة في عهده ، ويمكن أن يقال ذلك فيمن بعده وان كان الفرق بين الحالين ظاهراً من ناحية ملاحظة ذلك وعدمها ومن ناحية قيام الحاجة على من كان معه بما لا تقوم به على من لم يكن معه فضلاً عن بعده . وإنما نفي بالامكان انه ينبغي لكل مؤمن أن يتأذى به ﷺ في بذله ماله ونفسه للجهاد في سبيل الله بقدر إمكانه [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً] فراجع تفسير الآية [ص ٧٤ ج ١١]

فتاوى المنار

﴿ تعليم أولاد المسلمين في المدارس اللادينية الحكومية وغيرها أو مدارس النصرانية ﴾

(ص ٢٨) من حضرة صاحب الامضاء بنونس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما رأيكم دام نفعمكم في من يدخل ابنه الصغير إحدى المكاتب (المدارس) الدولية وهي خالية من تعليم الدين الاسلامي وتدرّس اللغة العربية كما يجب بل كل تعليمها امتحان لنفس التلميذ حتى ينشأ ذليلاً محترقاً نفسه وأهله ، واعتناء باللغة الفرنسية الطيبة ، والدافع إلى زج هذه الفلذة الصغيرة هو توقع ماتحقق أن الولد يؤخذ للخدمة الجندية ثلاثة أعوام إذا لم يحوز من تلك المكاتب على شهادة يتخلص بها من الجندية ، مع أن طرق الخلاص منها كثيرة واضحة إلا أن الشهادة (الدرسية) أضحت للخلاص من حيث المال وراحة البال

فهل هذا يعد ضرورة حتى يرتكبه الآباء المحافظون على الدين الاسلامي ، والقومية (العربية) . وما يلاحظ أن بعض البلدان قد تعلم منها القرآن المجيد فضلاً عن حفظه الناشئة المولودة بعد الحرب العظمى ؟ ترقب جوابكم السامي في هذه الزلقة التي انطبعت في فكر السارف والجاهل إلا من عصمه الله وقليل مام ، والفضل الأكبر لدعاية للملّين العربيين بالمكاتب الذين هم مسوقون بأن يكونوا كشموعة ودعاية بين أهلهم وذوهم حتى ، أني رأيت التوظف بها مع القدرة على التمشي من بطريق آخر من أكبر الكبار . فما رأيكم ؟ أطال حياتكم والسلام

من محرره فقير به الخائف لكل أمته في هذه البدعة

(م.خ)

(ج) أن تعليم الاولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسلام وأحكامه عند ما يلقون سن التكليف ومبادئ اللغة العربية التي هي لغة الاسلام فرض على والديهم وأولياء أمورهم، فإذا كانت للدارس الدولية المذكورة في السؤال لا تمنع والديهم من تعليم ماذكر من الامور الدينية ولتتها ومن تربيتهم على هدي الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة النفس — فلا مانع من إدخالهم فيها، وإن كانت تمنعهم بما ذكر من التعليم والتربية الواجبين فلا يجوز لهم إدخالهم فيها، وما ذكر في السؤال من الباعث على ذلك وهو التنصبي من خدمة الجندي لا يصح أن يكون ضرورة ولا عذراً لهم، بل ينبغي للمسلمين أو يجب عليهم العناية بتعليم أولادهم النظام العسكري بقدر الامكان هذا — وإن في البلاد الاسلامية مدارس أخرى شرأ من المدارس المذكورة في السؤال وهي مدارس دعاة النصرانية. وقد ثبت بالاختبار التام في جميع الاقطار الاسلامية أن المدارس التي تنشأها جمعيات الدعاية النصرانية إنما تنشأها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائده وعباداته وآدابه، وأنها تتوخى مع ذلك إبعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسلمين في العلم والجهل. وإن المدارس اللادينية التي تنشأها الجمعيات السياسية والالحادية تتوخى بث الالحاد، بل الكفر المطلق بالرسول وما جاؤا به من الهدى والرشاد وقد ثبت بالاختبار أن الالحاد في الدين قد فشا في للتعليمين في هذه المدارس كلها على درجات تختلف باختلاف أحوالهم، ففهم المعطلة الذين لا يؤمنون بالله ولا بملائكته وكتبه ورسله، ولا بالبعث والجزاء. ومنهم الذين يؤمنون بالله ولا يؤمنون بالوحي والرسول. ومنهم الشاكون (أو اللادريون) ومنهم الذين يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية السياسية والاجتماعية في الزواج والارث والاعیاد والمواصم والجنائز ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يحجون البيت الحرام ولا يصومون رمضان، ومنهم من يلتزم حرمة شهر رمضان وعاداته وقد يصومون إيماناً منه، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الخمر والميسر والزنا والربا إلا بقول دون الفعل ومنهم من يصلي ويصوم أحياناً أو دائماً ولكنهم لا يعرفون كل ما يجب أن

يعرفه المسلم من عقائد الاسلام وأصول احكامه وآدابه
ومن آثار ذلك ما نراه من الفوضى في الامور الاسلامية الجبل ببعض
الامور المعلومة من الاسلام بالضرورة التي اجمع علماء المسلمين سلفاً وخلفاً على كفر
باجلها ، وعدم عذر جاهلها ، والدعوة إلى مخالفتها في المحاضرات والمناظرات والكتابة
والخطابة ، وإنك ترى هذا في الصحف المنشرة ، والرسائل والكتب المنكرة ، التي
تكتب بأسماء إسلامية في الاحكام الشرعية كحقوق النساء وترجمة القرآن وغير ذلك
ومن آثار ذلك ترجيح المتفرجين وأولي العصبية الجنسية للغات الاجنبية على
لغة الاسلام العربية — بل يجهلون ان الاسلام قد جعل لغة العرب لغة لكل المسلمين
تكون عبادتهم واحدة ، وشرعهم واحدة ، وآدابهم واحدة ، ويصدق عليهم
قوله تعالى (ان هذه امتكم امة واحدة) من كل وجه

فعلّم اولاد المسلمين في المدارس التبشيرية والمدارس اللادينية [لا يريك] قد
جنى عليهم في دينهم وديارهم وسياستهم وأوطانهم وسلمهم أكثر ما كانوا نالوه بهداية
دينهم حتى لم يبق منه إلا القليل وهو على وشك الزوال
انهم اسلموا اولادهم وأفلاد أكبادهم لأعدائهم لاجل أن يحلّوهم مثلهم
فما كانت به دولهم عزيزة قوية ، قطعوا عليهم الطريق المستقيم الذي يوصلهم إلى
ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون ، ثم انهم بعد ذلك كله يمارون الذين ينهونهم
ويبينون لهم حقيقة حلّهم وسوء ما لهم

وأكبر المصائب على المسلمين انه ليس لهم دولة إسلامية تقيم الاسلام في
علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجفون اليها فيما يختلفون
فيه من امورهم في بلادها وغير بلادها

وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمة غنية كجمعيات النصارى واليهود
تنشئ لهم المدارس والملاجيء والمستشفيات الاسلامية تقضيهم بها عن الالتجاء
إلى أعداء دينهم فيما صاروا ويزونه ضروريامن التعليم الذي عليه مدار المعاش في هذا العصر
ترك المسلمون هذه الامور التي هي من فروض الكفايات فكان من سوء
تأثير تركها ارتكاب الافراد لمصيبة الله تعالى في تعليم أولادهم في المدارس التي

بيننا ضررها وفسادها في دينهم ودنياهم

قد يفتقر بعض الذين يعرفون الاسلام ويثقون بترية اولادهم عليه فيظنون انه يمكنهم حفظ عقائد اولادهم مع تعليمهم في هذه المدارس، وقلما يصدق ظن احد منهم وضع اخي السيد صالح (رحمه الله) بنتاً له في مدرسة البنات الامير كانية بطرابلس الشام وهي ناشئة في بيت قلما يوجد نظير له في بيوت المسلمين في معرفة الاسلام والاعتصام به — وكان السيد صالح بارعاً في جدال القسوس والمبشرين شديد المعارضة قوي الحججة، وكان يكون له الفلج والظفر بهم في كل مناظرة، ولكنه كاد يصجز عن إقناع بنته بطلان ما لفتتها المدرسة من الاناشيد في ألوهية المسيح وفدائه للبشر أو انتزاع شعورها الوجداني به، فاضطر الى إخراجها من المدرسة قبل أن تتم مدتها. ثم كانت — على تدينها ومحافظتها على الصلوات والصيام وبقينها بتوخيد الله تعالى وكون المسيح عبده ورسوله — تحن الى المدرسة وتعتقد ان ناظرتها (مس لا كرايح) من افضل البشر، وفي هذا عبرة لمن اعتبر

﴿ إشكال في تفسير المنار في نقل العرب المناسك وتحريم الاشهر عن ابراهيم ﴾

(س ٢٩—٣٢ من صاحب الامضاء في طرابلس الشام)

حضرة الاستاذ الفاضل علامة العصر، وفريد الدهر، الشيخ رشيد افندي رضا المحترم — السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعالى (وبعد) فقد قرأت في العدد الاول من مجلد هذه السنة [بقي السنة الماضية] من مجلتكم الغراء ما يأتي:

بعد ما ذكرتم قوله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) قلتم في تفسير هذه الآية: كانت العرب ورثت من ملة ابراهيم واصحابه تحريم القتال في الاشهر الحرم لتأمين الحج وطرقه كالتقدم، كما ورثوا مناسك الحج، ولما طال عليهم الامل غدوا وبدلوا في المناسك وفي تحريم الاشهر الحرم ولا سيما شهر الحرم منها، فانه كان يشق عليهم ترك القتال وشن الغارات ثلاثة أشهر متوالية فأول ما بدلوا في ذلك إحلال الشهر الحرم بالتأويل وهو أن ينسؤا تحريمه إلى صفر

فتبقى الأشهر الحرم أربعة كما كانت، وفي ذلك مخالفة للنص ولحكمة التحريم معاً، اء
فخرج من فضيلتكم أن نحييونا على هذه الأمثلة الآتية على طريق الاستفادة

لأن مجلتكم ترغب بنشر الباحث ليزداد النفع وتظهر حقية هذا الدين
أولاً - هل لدينا ما يثبت أن مناسك الحج وتحريم القتال في الأشهر الحرم هو
من شريعة سيدنا إبراهيم الخليل؟ أين الكتب الدينية أو السند المتصل الذي
يثبت ذلك ويظهره ظهور الشمس في رابعة النهار؟ - فتوارث ذلك عن أسلافهم
إلى أن يصل إلى إبراهيم الخليل لا يكون سنداً يعتد به في الأمور الدينية لعدم
الثقة برجال الجاهلية لكونهم عبدة أوثان، ولأن كل ما يفعله كانوا ينسبونه
إلى إبراهيم الخليل، ولا يمد أن تكون عبادتهم للاصنام ادعاءً منهم أن سيدنا
إبراهيم كان يعبدها

ثانياً - كيف يجعل الله عبادة الوثنيين ومناسكهم عبادة في الإسلام ومناسك
له، والإسلام جاء ليبحث جذور الوثنية كما في تحريمه التشفع بالولياء، والصلحاء
لأنها تماثل ما يفعله الوثنيون

ثالثاً - إذا كانت العرب ورثت عن إبراهيم الخليل المناسك وتحريم القتال
في الأشهر الحرم يلزم أن تكون العرب قبل الإسلام أمة غير جاهلية لأنها صاحبة
شريعة، وإن اعتدنا أنها كانت أمة جاهلية لكونها غيرت وبدلت ما شرع إبراهيم
الخليل فتكون الأمة الاسرائيلية أيضاً قبل ظهور السيد المسيح أمة جاهلية لأنه كان
لها أحكام فييرتها، وعقائد حقة بدلتها

رابعاً - ما معنى كون العرب قبل الإسلام أمة جاهلية؟ هل لكونها لم يرسل لها
نبي أو لكونها غيرت شريعة إبراهيم الخليل صلوات الله عليه؟

ترجو الجواب على صفحات مجلتكم الغراء مؤيداً بالأدلة العقلية والنقلية، فلا
عدمت الأمة الإسلامية أمثالكم ودمم لها حصناً حصيناً وسيفاً طاملاً لأعناق المعتدين
والسلام محمد فؤاد إشراقية

(ج) إن ما تنقله الامم بالعمل التواتر لا يحتاج في إثباته إلى أسانيد قولية
محفوظة ولا مكتوبة كنقل الكلام، فصحة الصلاة وعددها وعدد الركعات فيها وصحة

مناسك الحج المجمع عليها من الطواف والسعي والوقوف - كل ذلك بينه النبي ﷺ بالعمل وجرى عليه المسلمون بالعمل الى يومنا هذا ، وبذلك كان قطعيا يرتد جاحده عن الاسلام لا براوية المحدثين له بأسانيدهم في كتبهم . وكذلك العرب أخذت عن ابراهيم واسماعيل مناسك الحج التي أسندها الله تعالى اليهما في كتابه ، وكذا تحريم القتال في الاشهر الحرم وعملوا بها قرنا بعد قرن ، إلا أنهم أحدثوا فيها بدعا كالنسي في الاشهر والعري للطواف ووضع الاصنام في البيت وغيره ، وكانت هذه البدع والأحداث مروفة عندهم هي ومن أحدثها إلا قليلا منها ، ونقل هذا عنهم في كتب الحديث والتاريخ الاسلامي . ولم يكونوا يستندون عبادة الاصنام الى ابراهيم ﷺ وقد جاء في سيرة ابن اسحق ان النبي ﷺ قال « رأيت عمرو بن لحي يحرر قصبه في النار لانه أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وسب السائبة » الخ ورواه الطبري . اني بلفظ « غير دين ابراهيم » وهو الذي وضع صنمي أساف ونائلة على الصفا والمروة ولكن العمدة في التمييز بين ما كان من مناسك ابراهيم وما لم يكن منها انما هو كتاب الله وبيان النبي ﷺ وهو متقول في كتب الحديث ، فبا أفرد ﷺ من تلك المناسك قد صار مشروعا لنا باقراره إياه لا بنقلهم له ، وقد كان الحسن من قریش يقفون بالمزدلفة دون عرفات ويفضون منها وظنوا ان النبي ﷺ يفعل ذلك في حجة الوداع فوقف مع الناس وأفاض . ونزل في ذلك [فإذا أفضم من عرفات الى قوله - ثم أفضوا من حيث أفاض الناس] وصوروا ابراهيم واسماعيل يستسلمان بالازلام فكذبهم النبي ﷺ بيانا لجمل الله ذلك من الفسق . بل جاء شرعنا موافقا لبعض عاداتهم فصارت مشروعة لنا ، وما كل عاداتهم ولا تقاليدهم كان قبيحا فهذا جواب السؤالين الاول والثاني

وأما الجواب عن الثالث والرابع فهو أن حالة العرب قبل الاسلام سميت جاهلية لما كان يغلب عليهم من الجهل بالدين والشرائع وغلبة الامية والوثنية ومفاسدها عليهم ، ولا ينافي هذا تعظيمهم لابراهيم واسماعيل وحفظهم لأكثر مناسكها لما كان لهم في ذلك من العزة والفخر بالآباء والنافع للمادية في سدانة البيت وموسم الحج - والفرق بينهم وبين اليهود عظيم وهو غير محتاج إلى البيان لظهوره ، على أن هذا الجواب ليس بمحل

ترجمة القرآن

وكون العربية لغة الاسلام

(مقدمة إجمالية)

وضعت مسألة ترجمة القرآن موضع المناظرة والجدال في الجرائد السياسية، فكانت كسائر المناظرات في السياسة الحزبية، والاهواء الاجتماعية، خاض فيها من له إلمام بأصول الدين الاسلامي وفروعه ومن لا إلمام له بها بمن اعتادوا تحكيم آرائهم في كل شيء بما يبيحه لهم فوضى العلم والدين والسياسة في مصر، فكان الجمهور حائراً لا يستقر له فكر، ولا يستبين له حكم

ثم برز الى الميدان علماء الازهر فكانوا مختلفين كثيرهم، وقد أكثروا من نقل عبارات الكتب واختلفوا في فهمها، والترجيح بين مدلولاتها، فزادوا الجمهور حيرة على حيرة، واضطراباً على اضطراب، لانه كلام في مقابلة كلام، وخصام حيث لا مسوخ للخصام، ولم يصرح أحد من الكاتنين على ماهو مثار النزاع في المسألة وهو عمل الحكومة التركية اللادينية : ما حقيقته وما سببه؟ وما موقعه من دين الشعب التركي ومذهبه واعتصامه بها؟ بيد أن بعض من كتب من العلماء ألقى نظرة عجل على شعوب الإسلام الاعجمية ليعطيها حقها من حكم ترجمة القرآن، بحسب حاجتها في هذا الزمان، ولكنه لم يبصر بهتبه النظرة العجلى ما عليه هذه الشعوب، وألقى نظرة أثبت منها على الشعوب غير الاسلامية فأدرك ما للإسلام من الفائدة في اطلاعها على ترجمة القرآن بألسنتها، ولكنه لم يحرر الموضوع من كل وجهة، فظلت الحقيقة خفية غير ظاهرة

وقد كنت وفيت هذه للباحث حقها في مواضع من المنار ومن الجزء التاسع من تفسير القرآن الحكيم، وجمت أكثرها في رسالة خاصة، ولما أُلح علي الكثيرون من العلماء والفضلاء بكتابة شيء جديد يناسب مقتضى الحال، ويرجى

أن يزيل كل إشكال، شرعت في كتابة مقال طويل جمع بمضه في الطبعة ، ثم بدلي . بعد دخول كبار العلماء في المصمة أن أرجي . إتمامه ، وأعجل الى الجمهور بيان القضايا القطعية في الموضوع وما يجب على المسلمين منه في هذا العصر ، وهو ملخص في عشر مسائل ، وسأنتشر بمدها ذلك القل الطويل للفصل ، الذي يحز في الفصل ، ويزيح كل مشكل ، ويثبت أن اللغة العربية هي لغة دين الاسلام وللمسلمين ، ورابطة الاخوة العامة ووسيلة السلام للمؤمنين ، بما يفند نزعات الشعوبية وعصبية الجنسية ونزعات اللحددين ، ويوحد كلمة العلماء المختلفين ، بما يخرج من بين فرقة . ودم لبنا خالصا سائفا لشاريين . وهذه خلاصته الاجالية :

١ — أجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على أن هذا القرآن المحفوظ في قلوب الالوف التي لا تحصى من الحفاظ ، المرسوم في ألوف الالوف من المصاحف ، هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين ، بلسان عربي مبين ، معجز للخلق أجمعين

٢ — أجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على أن هذا القرآن العربي هو أساس دين الله الذي أكمل به ما أوحاه الى رسله من قبله وآتم به نعمته على العالمين ، وأمر رسوله أن يبلغه كما أنزله عليه بنصبه العربي المبين ، قبله كما أمره الله ، وأمر أصحابه وأتباعه بإذنه تعالى أن يبلغوا عنه ما بلغهم عن الله عز وجل الى جميع البشر ، قبلوا وما زالوا يبلغون هذا القرآن بنصبه العربي المنزل ، وما بينه من سنة الرسول الذي جاء به ﷺ وما استنبطه أئمة العلم من عقائده وأحكامه وآدابه ،

٣ — أجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على أن الله تعالى قد تعبد بهذا القرآن العربي كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من أجناس البشر تلاوة وتديراً وادكاراً واعتباراً ، وامتنالاً للأوامر ، واجتناباً للنهائي ، وحكماً بين الناس كما قال (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) على ما في ذلك من الفروض والواجبات على الاعيان ، ومن الفروض والواجبات على الكفاية التي يكفي قيام البعض بها عن قيام الكل ، وما فيه من المندوبات والفضائل والاداب الكالية ، فجميع الشعوب الاسلامية تعبد الله به الى هذا اليوم ، ومستعبده به الى ما شاء ، الله على تفاوت عظيم فيما بين جماعاتهم .

وأفرادهم في حظهم من هذه العبادة ، وبين خير القرون وما يليها
 ٤ - أجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجميا على أن ما فرضه الله تعالى على
 أفراد أمة محمد ﷺ من قراءة في الصلاة فالواجب على كل فرد أن يتلوه بنصه
 العربي المنزل كما انزل (قرآنا عربيا غير ذي عوج)

ولكن اختلف مدونو الكتب الفقهية بعد عصر النبي ﷺ وأصحابه [رض]
 فبعضهم عجز عن أفراد الاعاجم عن النطق به عربيا صحيحا غير ذي عوج بدون تحريف
 وتبديل لا يبيحها له الشرع ، فقال بعضهم انه في حال المعجز تسقط عنه القراءة فيقف
 ساكنا مخبتا خاشعا لله تعالى . وقال بعضهم يستبدل بها ذكر آخر . وقالت الحنفية
 بل يستبدل بها ترجمتها وجوبا أو جوازا (قولان) كما ان العاجز عن القيام في
 الصلاة يصلي جالسا ، والعاجز عن الجلوس يصلي مضطجعا ، والعاجز عن الركوع
 والسجود يوميء بها ، ومتى زال العذر في الجميع يرجع المصلي الى الاصل المفروض
 باجماع الامة .

ومن المعروف بالاختبار أن المعجز عن النطق بالقرآن العربي نادر فلما يقع الا
 لمن أسلم من بعض الاعاجم وهو كبير السن ، وقد جرى المسلمون على تعليم أولادهم
 للفتحة وبعض السور القصيرة عند تعليمهم أحكام الصلاة وأذكارها في الصغر ، فلا
 يكاد يوجد فيهم من يعجز عن النطق بها ، ويضطر أن يستبدل بها ترجمتها فيحتاج
 الى هذه الرخصة الحنفية فيها ، وانما يحتاج اليها بعض من يدخل في الاسلام
 كبيرا الى أن تتحل عقدة لسانه بالتمرين على اللفظ العربي

٥ - أجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجميا على انه لا يباح للمسلمين ترجمة
 القرآن بلغة أخرى يتعبد بها في الصلاة والتلاوة والتشريع ، ويطلق عليها اسم
 كلام الله ، وكتاب الله ، والقرآن الكريم ، والقرآن العظيم ، والقرآن المجيد ، كما
 سمى الله كتابه العربي ، ويستغنى بها عن كتابه المنزل ، الذي أرسل به رسوله ،
 هو تعبد به أمة ، وصرحوا بأنه لا يفضل ذلك إلا مجنون أو زنديق ، ولذلك نرى
 جميع الشعوب الاسلامية الاعجمية من الترك والفرس والافغان والهند والجاوه
 والصين وغيرهم يعلمون أولادهم القرآن ويدرسون في مدارسهم الدينية تفاسيره

وكتب الحديث والفقه والاصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة العربية ولكن أكثر أهل القرون الأخيرة منهم صاروا يفسرونها لطلاب العلم بلغاتهم خلافا للمتقدمين فلذلك قل المجتهدون والنافقون فيهم ، وكثيراً ما يرسلون أولادهم الى مصر أو المجر لاجل اتقان اللغة العربية وعلومها

٦ - قد علم من هذه الاصول التي أجمت عليها الامة اعتقاداً وعملاً بأن إقامة هذا الدين في عباداته وتشريعه وحكومته تتوقف على معرفة اللغة العربية ، وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة وأوجب عليهم تعلمها ، إذ لا يمكن العمل بما ذكر من الاجماع بدونها ، وقد صرح بهذا الامام الشافعي في رسالته التي هي أول كتاب صنف في تدوين اصول هذه الشريعة وكذلك الشاطبي في مقاصدها من كتابه الموافقات^(١) وبيناه في مواضع من المنار والتفسير ، وسنزيده بياناً وإيضاحاً في تفصيل ما في هذا المقال من الاجال ، فلينتظره من يشبه في شيء منه

٧ - قد ترجم القرآن بعض علماء الافرنج بأشهر لغاتهم العلمية كالفرنسية والانكليزية والالمانية والاطليانية ، وترجمه بعض المسلمين بأشهر لغاتهم الشرقية وبالانكليزية أيضاً ، وفي كل ترجمة من هذه التراجم أغلاط كثيرة مخالفة لدلولات عباراته اللغوية والشرعية ، فتح بها باب اللطخ فيه والصدع عن الاسلام ، كما انها ختمت باب آخر ان اطلع عليها من مستقلي الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئاً كثيراً من عقائد الاسلام الصحيحة ، وحكمه العالية ، وأحكامه العادلة ، ومقاصده الحكيمة في اصلاح البشر ، وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ، ورجال الكنيسة المتعصبون ، ودعاة النصرانية المرتزقون ، من الكتب والرسائل الكثيرة في الطعن على الاسلام ، بأن ما دونوه فيها من اللطاعن زور وهتان ، فكثرت ما دحو الاسلام من علمائهم الاجرار ، واهتدى كثير منهم به ، واستضاءوا بنوره ، ولا تكاد تمر سنة إلا ونجد بعض المستقلين في الفهم منهم يدخلون في الاسلام بالاطلاع على بعض هذه الترجمات أو يعرفه ممن عرفهم من المسلمين

(١) ولكن الشاطبي لخطأ في كلامه في موضوع ترجمة القرآن ، وفي المسألة التي حاول بها إثبات كون هذه الشريعة أمة وسنين ذلك في التفصيل الآتي

٨- ان ما ترتب على ما ذكر من الترجمات من صلاح وفساد يوجب على المسلمين وجوباً كفاً أن يزيدوا ما كان من صلاح قوة وتأيداً ، وأن ينفدوا ما حدث من الفساد تفنيداً ، وأما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، اذ كانت الترجمة الحرفية متعذرة وغير مفيدة ، كما نبين ذلك بالأدلة والشواهد التي لا تقبل النقص ، ولا تقابل بالرد ، وفاقاً لما قررناه من قبل ، وهذه الترجمة التي تعد بما ذكرنا من الحاجة اليها فرض كفاية على المسلمين ، لا تسمى قرآناً ولا يتعبد بتلاوتها ، انما هي خلاصة تفسيرية له تدخل في باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ، وفي باب الدعوة اليه من جهة أخرى ، وان كانت الدعوة العامة لا تتوقف عليها كما سنبينه في تفصيل هذه المسألة المجلة

٩- ان هذه الترجمة لا يرحي أن تكون متقنة ومقبولة عند المسلمين وغيرهم الا اذا قام بها جماعة من العلماء الراسخين في اللغة العربية وعلوم الشريعة الاسلامية وتاريخها ، ومتقنين للغات التي يترجمون بها ، حتى يكون لها صفة تشبه البلاغات الرسمية الدولية ، ولا يتم هذا العمل الا بائفاق ألوف كثيرة من الجنهيات ، فلا بد أن تقوم به دولة غنية ، أو جمعية قوية ، أو يكفله احد ملوك المسلمين بنفذه وماله

١٠- لا جرم ان الدولة المصرية أقدر الدول الاسلامية الحاكمة على أداء هذا الواجب الذي يعد أعظم خدمة للاسلام لدى الشعوب غير الاسلامية ، وأن جلالة ملكها للعظيم أجدر ملوك المسلمين به ، اذ يمكنه ان يبذل في سبيله عشرات الألوف من الجنهيات من الاوقاف الخيرية العامة والخاصة بالابرة المالكة ، وان احتاج الى المزيد فان في ثروته جلالته ما يغني عن فتح اكتاب له من الامراء والنبله من أسرته وسائر أغنياء مصر وغيرها ان أراد أن يستقل بشرقه ، وإلا وجد كثيراً من المتنافسين بمشاركته فيه ، وقد يبذل جلالته ألوقاً من الجنهيات لعالم فرنسي جزاء على كتابة تاريخ حديث مصر ، فلا يكثر على جوده ان يبذل اضعافاً في سبيل الله ، والدفاع عن دين الله ، وتعميم هداية كتاب الله ، فان هذا افضل ما يمكن ان يعمله الاسلام فاذا وفق الله تعالى جلالته لتنفيذ هذا العمل الذي نتقرب الى الله تعالى ثم الى مقامه الاسلامي السامي باقتراحه عليه أولاً ، فهو أعلم الناس بطريقة التنفيذ ، وتأليفه

للجمعية التي تقوم بالترجمة من علماء الازهر وغيرهم من العارفين باللغات الاجنبية
لحاذاقين لها ، ووضع النظام لمعلمهم

وان كان لدى جلالته مانع من ذلك (وهو ما لا نظنه) فان هذه الفريضة لا تسقط
عنه وعن سائر المسلمين إلا بقيام آخرين بها ، وأيا ما قام بها يرتفع الائم عن
الآخرين ، وحينئذ يجب أن يفكر أهل الغيرة على الدين في الامر ، ويسعوا لتأليف جمعية
قوية غنية تقوم به كجمعية الرابطة الاسلامية العامة التي فكر فيها الخديو السابق
لمصر [الامير عباس حلمي] ونشرنا نظامها في النار ، لا الجمعية الضعيفة التي
وضع أساسها في هذا الشهر بعض المهتمين بالدفاع عن الاسلام ، فان لم يتيسر
هذا ولا ذاك فيجب أن يجعل هذا للشروع أهم ما يعرض على المؤتمر الاسلامي
العام في دورته الثانية ، اذا وفق الله تعالى لاعادته ، بما نرجو أن يكون أفضل من بدايته
ويمكن صاحب هذا الاقتراح أن يبين ما ينبغي توخيه في هذه الترجمة
لتكون تامة الفائدة بما له من طول الاشتغال بتفسير القرآن الحكيم مدة ثلث قرن
أخرج فيها عشرة مجلدات منه بطريقة لم يسبق بها من تهري صحيح المأثور عن
النبي ﷺ وأصحابه وعلماء السلف ، واجتباب الروايات الموضوعة والضعيفة من
الاسرائيليات وغيرها ، وبيان ما أغفله المفسرون من سياسة الاسلام ، وما أرشد اليه
القرآن من سنن الاجتماع وأصول البمران ، والتزيل بين ما كان عليه للسلمون
في القرون الاولى من سعادة وسيادة بهدائه ، وما صاروا اليه من جهالة وضعف
بتركها أو التقصير فيها ، مع رد شبهات الفلسفة والعلم الحديث ودعاية الاتحاد أو
الاديان الاخرى المضادة لها .

وانني اقترح على اصحاب الفضيلة شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرهما
من كبار علماء الازهر أن يؤيدوا اقراحي هذا بتأليف وفد منهم يقابل جلالته
ويسيطر لهما في هذه الخطة للإسلام من الفوائدها ، والثوبة وغظم الاجر ، وحسن
الاحدوثة وشرف الذكر ، وعسى ألا يصددهم عن هذا السعي ان كان مقترحه
والمذكور به أخوهم المحلل المتواضع :

محمد رشيد رضا

إِنِّي أَنَا الْعَجَلُ الْإِسْلَامِي

نشر النداء الآتي في صحيفة (إيمان) التي تصدر في مدينة (لاهور-الهند) بالعربية والاوردية والفارسية والانكليزية وجاءت فيها عدة نسخ وزعناها على خواص المسلمين وبعض الصحف وانا نرجو من الجرائد والجمعيات الاسلامية وأفراد المؤمنين الصادقين التامل فيه والعمل به والحث عليه وهذا نص العربي منه

نداء عام لاهياء ذكرى يوم النبي

انتشرت فكرة في البلاد الهندية عام ١٩٢٨ لاقامة احتفال عام شامل دعي باسم «يوم النبي» وقد أيد هذه الفكرة جميع أجلة العلماء، وأكابر هذه البلاد تأييداً تاماً، كما أن الصحف الاوردية كانت من أول محبيه، والداعية اليه، والغرض من هذه الفكرة هو أن يجعل هذا اليوم وقفاً في سبيل ذكرى النبي ﷺ في كل أقطار العالم، وأن ينفذ كل الاقوام في هذا اليوم التمسبات الدينية والاختلافات للنهيية ظهرياً ويتناسوها، وأن يقفوا صفاً واحداً متحدين متضامين في سبيل الاخوة الانسانية بداعي المحبة والمساواة، ساعين للاستنارة بنور هديه ﷺ والافتداء به

ان كل ما نرجي اليه هذه الفكرة هو توحيد نظريات مسلمي العالم وهم لجانه في كل الاقطار الاسلامية وجمعهم في مركز واحد، ليقوموا جميعاً بالسعي والمجد لنشر تاريخ الحياة النبوية بين جميع اقوام الارض، مترجمة إلى لغاتهم على أن يكون ذلك ضمن حلقة واسعة النطاق بصورة مستقلة دائمة شاملة منتظمة حتى يقضى من وراء ذلك (أولاً) ربط النظام التبشيري الديني في جميع البلدان بنظام واحد وإبراز نظام الاتحاد الاسلامي بالباس العملي (وثانياً) السعي لايصال الكتاب الكريم والحياة النبوية إلى كل فرد من أفراد السكونة، حتى يزول بذلك معلق في الاذهان وما هو رائج بين العوام من سوء الظن بالاسلام والنبي ﷺ وليتجه الناس

إلى مطالعة القرآن المجيد، وليقفوا على ما فيه من الحق والنور المبين ، وليهتدوا بهديه ويتأسوا بأسوة النبي الحسنة

ان خير مناسبة تاريخية توافق الفطرة والطبع هو أن يكون ذلك اليوم (اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول) الذي يزغت فيه أشمته ﷺ في عالم الوجود ، وإنا لترجو أن يتخذ هذا اليوم العظيم يوم عيد شامل على أهل السكونة أجمعين ، وأن يوقف لتبليغ الناس للتأسي بالأسوة الحسنة ، وأن يكون مركز اتجاه العالم بأنظاره نحو تلك الذات الطاهرة لاغير ، وأن يرى لواء (ورفنا لك ذكرك) مرفرفا فوق ربوع الارض كافة، وأن تظهر عيانا وبأجلى المظاهر صفته ﷺ بأنه (رحمة للعالمين)
برناج هذا اليوم هو كما يلي :

(١) أن يقوم للمسلمون وغير المسلمين في كل بقاع الارض باظهار شأنه ﷺ باقامة احتفالات عامة ومواكب فخمة ، تذكراً لذلك اليوم
(٢) أن ينشر معثروعا في اليوم المذكور من كل سنة خطاب أو محاضرة لاي فاضل من الافاضل سواء أكان مسلماً أم غير مسلم يتضمن السيرة النبوية على أن يترجم إلى لغات العالم اجمع

(٣) أن تلقى هذه النشرة الآتفة الذكر كمحاضرة في الاحتفالات في ذلك اليوم ، وأن تترجم وتوزع في كل بلدة مجانا بكثرة ، ليقف العالم كله في آن واحد على جانب من سيرة حياته ﷺ

ان السمي الذي بذل منذ ثلاث سنوات حتى الآن قد آتى بخير ثم حيث أقيم في مئات من المدن مراكز تبليغية للحياة النبوية ، وقد ترجمت السيرة النبوية بفضل جهود هذه المراكز الى سبع عشرة لغة ، كما انه في كل سنة يقام مايزيد على خمسين الف اجتماع، وتوزع بمختلف اللغات الآلاف بل مئات الآلاف من المحاضرات المطبوعة مجانا على المسلمين وغير المسلمين

إنا لترجو من اخواننا المسلمين ومن لجانهم للوقرة ، ومن صحفهم النراء أن يسمي كل في بلاده لإنجاح هذا السعي الخيري الانساني ولفرح مناره، وأن يؤسسوا

لجانا لتسييم نشر السيرة النبوية باذلين مافي وسعهم لتنظيم الاحتفالات المذكورة
جادين وراء التبليغ ، كما اتنا لعل يقين من مهمهم القعساء أن يرجعوا كل الى لفته
القومية سيرة الحياة النبوية وأن يوزعوها بجانا

اتنا مفترون الى معونة كل فرد من اخواننا للمسلمين في كل أقطار الارض
لأننا نحتاج هذا للسعى للقدس الجليل ، وإنا لندعو من أرباب الصحف أن ينشروا
نداءنا هذا على صفحات جرائدهم الغراء ، وأن يزودونا بما عندهم من الآراء
الصائبة ، كما انا لندعو من كل القراء الكرام لهذا النداء أن يتفضلوا علينا بلائحة
تجوي أسماء وعناوين اللجان الاسلامية ، والصحف الكبيرة ، ومشاهير العلماء والوجهاء
في بلادهم وغير ذلك من المعلومات القيمة ، ولهم منا جزيل الشكر ، ومن الله عظيم الاجر
ان المحاضرة التي ستلقى في « يوم النبي » للعام القادم ١٣٥١ سيعتني طبعا
في شهر رمضان ، فمن كان يود ترجمتها الى لفته وتوزيعها سواء كان في الهند أو
في خارجها فعليه أن يطلب اليها إماها بمنواتنا أدناه ، على أن تكون المكتبة بهذه
اللغات : العربية ، الاوردية ، الفارسية ، الانكليزية - فتقدم اليه بجانا
القاضي عبد الحميد القرشي بتي (لاهور الهند)

(ملحوظة) لقد طبع في السنوات الثلاث التي خلت ثلاث محاضرات ، وكانت
محاضرة عام ١٣٥٠ محاضرة كتبها الحاج اللورد هيدلي أحد مشاهير الانكليز
الذي اعتنق الاسلام حديثا ، فها انا نرسل هذه المحاضرات مع بعض التراجم الى
أرباب الصحف الاسلامية راجين منهم إيداء آرائهم بشأنها وشأن ندائنا هذا ،
وأن يتكرموا علينا بنسخة من الجريدة التي تطبع فيها ولهم منا الشكر ، وكل من يرغب
الحصول على هذه المحاضرات التي قد ترجمت الى اللغات : الاوردية ، الكرمكية ،
الانكليزية ، الكجراتية ، الهندية ، التاميلية — لا فرق أكانوا مسلمين أم غير مسلمين
ترسل اليهم عند الطلب بجانا اه

(النار) هذا وان قد ارسل اليها عدة نسخ من محاضرة اللورد الحاج هيدلي
المذكورة وزعنا كثيرا وجاءنا من ناموس اللجنة خطاب في الموضوع باللغة الانكليزية
يقترح علينا فيه وضع محاضرة لسنة ١٣٥١ وستنشر ترجمته بالعربية في الجزء الآتي :

المؤتمر الاسلامي العام

في بيت المقدس

(٢)

مانجب مراعاته في عقد المؤتمر الثاني

لا يجوز أن تتضمن المؤتمرات الاسلامية العامة التي تهدف لمعالجة مصالح المسلمين الدينية والدنية ما ليس موضوعا لها من تأييد حزب على حزب، ولا شعب اسلامي على حكومته، ولا اقرار استبداد حكومة في شعبها، ولا يجوز أن يسمح لرئيس ولا زعيم أن يكون له هوى شخصي في مؤتمر اسلامي يستعلي به على خصومه في الجاه والعظمة ولا يجوز أن يكون اختلاف الرأي بين الذين يعقدون المؤتمرات الاسلامية لاحياء هداية الاسلام واعادة مجده ومصلحة شعوبه سبباً للتصادم والتخاصم، وقد عرض لمؤتمر القدس الاول شيء من هذه الشوائب

التهديد لعقد المؤتمر الثاني منوط باللجنة التنفيذية فالواجب عليها قبل غيرها ان تراعي فيه ما ذكرنا واذا رجحت عقده في القدس لعدم المانع فالواجب عليها أن تسمى لمقد الصالح بين الفريقين المتنازعين في فلسطين الذين يلتقون بالمجلسين والمارضين والا كان محاولة عقده فيها مثارفتة قد تكون سبباً لمنع الحكومة الاثكلية إياه ان لم يكن لديها سبب آخر للمنع

فمن ان جمهور أهل فلسطين وسورية الشمالية ولبنان الذين ينعون بأخبار السباسة المصرية يميلون الى الوفد المصري ويمحون زعماء لانهم يشاركونهم في احتمال الآلام من نفوذ الاستعمار الاجنبي ويمنونهم قدوة لهم في ممارسته ومناهضته، وفي مقاومة كل حكومة وطنية تواتيه وترضيه، وليس من شأن المؤتمر أن ينكر عليهم رجالة هذا الميل والشعور لانه حق طبيعي لهم، ولا أن يجملوا المؤتمر مظهرآ

له فيه لانه ليس بما يقدر له المؤتمر من الصالح الاسلامي التي يجب استجابة جميع الشعوب الاسلامية وحكوماتها لمساعدتها ، واتقاء مسخط أحد منهم على شيء منها بقدر الطاقة ، وأهمها الشعب المصري المجاهد والحكومة المصرية مهما تكن صفاتها في بلدها ، وكذا جلالة ملك مصر مهما يكن شكل حكومته وصفاتها ، فان لطف جلالته ومساعدته قيمة كبيرة لا يمدلها غيرها

وجلة القول انه يجب على اللجنة التنفيذية أن تفي أشد العناية بجعل التمهيد للمؤتمر الثاني مقنعاً لجميع المسلمين بخلاؤه من الشوائب التي أشرنا إليها ونجعل نصب عينها قاعدة الأستاذ الامام الحكيم «مادخلت السياسة في عمل إلا أفسدته»

جمعية الرابطة الاسلامية ومؤتمرها وناموسها

بعد كتابة ما تقدم تنمة لما نشر في الجزء الماضي من النار وضيق الجزء عنه شاع أن صاحب السمو الأمير عباس حلمي باشا خديو مصر (السابق) ألف في جنيف (سويسرة) جمعية باسم (الرابطة الاسلامية) من موضوعها عقد مؤتمرات إسلامية دورية ، ثم علمنا أن سموه جعل السيد ضياء الدين الطباطبائي الإيراني ناموسا (سكرتيراً) عاما لهذه الرابطة . وكانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي العام الأول قد اختارت هذا السيد ناموسا عاما لها فتردد في القبول وسافر إلى أوروبا واحداً بأن يكتب إلى رئيس المؤتمر بما يستقر رأيه عليه من القبول وعدمه ، فلما تبين أنه قبل العمل مع سمو الأمير عباس حلمي صار قبوله العمل في لجنة مؤتمر القدس مشكلاً ، فان كتب إلى رئيسه بالقبول وجب على الرئيس أن يستشير أعضاء اللجنة كلهم أيما كانوا في أمره ، فان ما يلغنا من أخبار جمعية الرابطة الاسلامية يقتضي أن يعمل هذا الناموس لإدغام اللجنة التنفيذية للمؤتمر القدس في جمعية الرابطة الاسلامية الاوربية وتفويضه أمر المؤتمر الثاني إليها بحجة اتساع دائرة أعمالها ووفور ثروتها وحرية مركزها العام ، وهذا يتوقف على قرار رسمي من اللجنة التنفيذية للمؤتمر ولا يملك رئيس المؤتمر الاول البت فيه . وهو لا يجمع

اللجنة التنفيذية ولا ألف مكتبها . ولا ريب انه يتمذر على السيد العباطباي أن يقوم بأعباء وظيفته في القدس ووظيفته في جنيف مما ان الأمير عباس حلمي هذا من أعظم أمراء المسلمين حنكة واختباراً وحمه وإقداماً ، واشتهر أن له مع ذلك آمالاً شخصية في الملك وقد خاضت صحف الشرق والغرب في هذه الاثناء في أخبار سعيه لمرش سورية ، وهذا مما يجعل عمله هنا موجبا للظنة . وسنعتقد لهذه الرابطة مقالاً خاصاً بها

﴿ نظام المؤتمر الأول وافتتاحه ومكان عقده ﴾

ان المجلس الاسلامي في القدس قد قام مع اللجنة التحضيرية له بوضع النظام التام لعقد المؤتمر وتنفيذه ، وأدخل له مدرسة روضة المعارف الاسلامية التابعة للمجلس فكانت كافية لذلك ، ووضع فيها من الورق والاقلام والدفاتر والمحابر والكتب والخدم (ومنهم سقاء الشاي والقهوة البمانية الامامية) مالا حاجة معه الى مزيد ، وكان من التمهيد لراحة أعضاء المؤتمر والاقتصاد في نفقاتهم اتفاق المجلس الاسلامي مع أصحاب الفنادق التي ينزلون فيها على اسقاط قدر غير قليل من النفقة المعتادة عنهم ، والاتفاق مع أصحاب سيارات الركاب على نقلهم من الفنادق الى المؤتمر ومنه اليها أو الى حيث شاؤوا على حساب المجلس ، بل احتمل المجلس جميع نفقة الفنادق عن بعضهم . وكان السيد محمد أمين الحسيني يعني بكل ما يرضي الاعضاء بقدر اجتهاده وقد على مدينة القدس كثير من أهل اللدن والقرى الفلسطينية لحضور حفلة المؤتمر ، واتفق أن كان يوم الاحد ٢٦ رجب الذي يجتمع فيه الاعضاء في مكان المؤتمر لاجل الاحتفال يوماً شديداً للطر ولولذلك كانت الوفود أضاف ما رأينا اجتمع الاعضاء في مدرسة الروضة وقبل المغرب توجهوا الى المسجد الاقصى بين الجماهير من مسلمي القدس ووفودها فوجدنا المنتظرين في المسجد يدون بالآلاف وعند ما حضرت صلاة المغرب قدم السيد محمد أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الشرعي الاعلى الاستاذ العلامة كبير مجتهدى الشيعة في أعظم ما همدها العلمية (النجف الاشرف) الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فضلى إماماً بالناس

فكان لهذا التقديم تأثير عظيم ووقع حسن من أنفس أعضاء المؤتمر وغيرهم من المسلمين الذين يشرون بشدة الضرورة الى التأليف بين أهل السنة والشيعة والقضاء على هذا الفرق والتادي الذي طال عليه العهد، وكان فساد وضرره على الاسلام وشعوبه ودوله عظيما، ولم تكن له أدنى فائدة صحيحة لاحد من الفريقين . وبعد صلاة للغرب قرأ بعض القراء المهودين آيات من أول سورة الاسراء وتلام الاستاذ الشيخ حسن ابو السعود قرأ رسالة في شمائل سيد ولد آدم محمد رسول الله وخاتم النبيين وما جاء به من الاصلاح العام للبشر، ألم فيها بمعجزة الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إللما، وكانت يتخلل إلقاء استراحات ينشد فيها بعض القراء حسني الصوت أناشيد محفوفة في مدح النبي ﷺ قد اعتادوا إنشادها في حفلات الوالد، وفي بعضها منكرات نهت صاحب الساحة المفتي ورئيس المجلس إلى وجوب الاختصار فيها ثم إعادة النظر فيها بعد المؤتمر وقد دعيت بُندان أم الاستاذ قراءة رسالته إلى إلقاء كلمة في معنى الاسراء وفضل المسجد الأقصى واختيار هذه الليلة الشريفة لافتتاح المؤتمر الاسلامي العام فأجبت وأقيمت ما ألهته على الكرسي للمد قلائك وامتد ذلك إلى وقت المشاء، أوجزت الكلام في منقبة الاسراء إلى المسجد الأقصى وتواترها، وتقرىب وقوعها إلى القول بما أجمع عليه العلماء والفلاسفة الروحانيون حتى غير الملمين منهم على جواز تشكّل الارواح في أجساد لطيفة كالأثير في نفوذها من الكثائف وسرعتها كالكهرباء، وإثبات أوف منهم وقوع هذا التشكّل بالفعل، وذكر من حكمته وتسمية هذا المكان الشريف بالمسجد الأقصى بمدخراب ما بناه سليمان عليه السلام ومحو اثره هو أن الله تعالى شرفه بمجده مبدءاً للمسلمين إلى آخر الزمان، وجهه في المرتبة الثالثة بمد للمسجد الحرام ومسجد الصطفى عليه الصلاة والسلام، وأوجب على المسلمين صيائه وحفظه إلى آخر الزمان، ولهذا اختير افتتاح هذا المؤتمر الاسلامي العام فيه وإقامته بمجواره . الخ

وبعد صلاة المشاء بإمامة الاستاذ آل كاشف الغطاء افتتح السيد الحسيني المؤتمر بخطبة التي كن أعدها لذلك وطبعت وأرسلت إلى الجرائد في البلاد المختلفة فنشرت

وألقى بعده الأستاذ آل كاشف الغطاء محاضرة أو درساً في تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والارض) الآية ذهب فيه الى أن المراد بالشجرة المباركة في الآية الكريمة آل بيت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، ثم خطب غيره من أعضاء المؤتمر خطباً تناسب المقام . وقد نشر كل ذلك في الجرائد وسيدون في الكتاب الذي تقرر تأليفه ونشر اللجنة التنفيذية له في الاقطار ، فلا حاجة الى نشر شيء منه في النار ، وإنما ننشر خلاصة في صفة المؤتمر ورجلته ونظامه واقتراحاته ورجلته ، ونخص بالذكر خطبتنا فيه وتقرير لجنة الدعوة والارشاد من لجان المؤتمر ، وخطبتنا التي ألقيناها في آخر يوم منه في أمراض المسلمين الداخلية والخارجية وطرق علاجها فتقول :

رجال المؤتمر ورجلته ورجلته

كان في المؤتمر نفر من خواص رجال المسلمين في العلم والرأي وكل ما يحتاج اليه في عقد المؤتمرات للبلية العامة ، يقابلهم ردهم من طبقة العوام — وأكثر أعضائه بين هذين ، وبلغ المنتظمون في عضويته زهاء ١٥٠ من جميع الاقطار والشعوب الاسلامية العربية والهندية والجاوية والتركية والروسية والأوربية . وأيدته الحكومات العربية العثمانية والمجازية النجدية والعراقية والاردنية وكثير من الامراء والزعماء والعقلاء من مصر والهند وجزائر اندونيسية وغيرها .

وكان نظام جلساته حسناً لم يستطع أعداؤه الطعن فيها ، إلا أن أكثر أوقاتنا ضاعت بالقاء الخطب والمناقشات العديدة مع كثرة التكرار في الموضوع الواحد والخطبة الواحدة . حتى إنني كنت شديد الزهد في الكلام فيها الا لضرورة . وقد أشرت الى ما انتقدته من الاقتراحات فيه في مقدمة تقرير لجنة الدعوة والارشاد وأما لجانته فقد بني تأليفها على أساس فاسد وهو أنه أتيح لكل عضو أن يدخل في اللجنة التي يختار العمل فيها فكان المصير الواحد يكتب اسمه في لجتين أو ثلاث بحسب ما يهوى لا بحسب استعداده للعمل فيها كلها ، وإن أجعل الناس من يظن أنه مستعد لكل عمل وبصير بكل علم ، وقد دخل زهاء نصف الأعضاء

في لجنة تنقيح القانون الاسامي للمؤتمر فكان أكثر الكلام في جلساتها لنوا
وجدا باطلا كادت تزهق له أرواح واضعي مشروع القانون وأهل العلم بهذه
القوانين من الاعضاء . وسأين ما قاسيناه في لجنة الدعوة والارشاد
وأما لجانته فكانت ثمانا (١) للدستور (٢) للدعاية والنشر (٣) للمالية والتنظيم
(٤) للثقافة وجامعة المسجد الاقصى (٥) لسكة الحديد الحجازية (٦) للاماكن
المقدسة والبراق الشريف (٧) للدعوة والارشاد (٨) للمقترحات

خطتنا وعملنا في المؤتمر

ذكرت في الجزء الماضي ان صاحب السباحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى
في القدس الذي تولى الدعوة الى المؤتمر بمساعدة اللجنة التحضيرية له قد اقترح
علي باسم اللجنة وضع تقرير في الاصلاح الاسلامي ليكون مادة لمباحث أعضاء
المؤتمر فابدا هذا الفصل بنشر كتابه في ذلك وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السباحة الاستاذ الاكبر العلامة السيد محمد رشيد رضا
المعترم ، متع الله السليم بطول بقاء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فقد تلقيت بيد التنظيم كتابكم
الكريم المؤرخ في ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٥٠ وشكرت لسماحتكم تفضلكم
بتلبية الدعوة إلى هذا المؤتمر الذي نرجو من ورائه الخير للصلحة الاسلامية
الامة ، وبما لا ريب فيه ان حضور سيادتكم هذا المؤتمر هو قيمة كبيرة وسبب
عظيم لانجاح المؤتمر وتحقيق غايته ومقاصده باذن الله تعالى

وقد قررت اللجنة التحضيرية في جلستها الاخيرة أن نرجو من سماحتكم أن
تفضلوا بوضع تقرير بشأن الاصلاح الاسلامي ، لي طرح هذا التقرير على المؤتمر
أثناء انعقاده ، ويكون مداراً لما يقرر في هذا الشأن ، واني باسم اللجنة التحضيرية
أنهي إلى سيادتكم هذا الرجاء مشفوعا برجائي الخاص أن تفضلوا بشد ازر
المؤتمر بوضع التقرير الخطير ، وإذا أمكن الفراغ منه وإرساله إلينا قبل ميعاد انعقاد

المؤتمر بأسبوعين أو ثلاثة على الأقل فانتا تتخذ أسرع الوسائل لطبعه وإعداده على شكل كراس على حدة

وانني أنتظر تفضل مباحثكم بالجواب بهذا الشأن ، مختمها بالدعاء لله بأن يوفقنا إلى ما فيه خير المسلمين ديناً ودنياً ، واني أرجو أن تتفضلوا بإبداء نصائحكم الثمينة وآراءكم القيمة ، في شأن هذا المؤتمر ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠
رئيس المجلس الاسلامي الاعلى

محمد أمين الحسيني

جاء في هذا الكتاب في أثناء اشتداد الفتنة التي أثرت في الازهر والمعاهد الدينية التابعة له لمقاومة المؤتمر وصدد العالم الاسلامي عنه وقد بلغ الارجاف فيه مدى أبعد مما نشر في الجرائد وأشرنا اليه في الجزء الماضي فقد سمعت من لسان الاستاذ الاكبر شيخ الازهر أنه بلغه أن السيد الحسيني دعا الشيخ أبازيد الممنهوري الى حضور هذا المؤتمر أي ليث نزغاته الاحادية فيه ويدعو اليها !! فقلت له ان هذا لا يقل ولئن رأيت في المؤتمر لا ترحن اخراجه منه فان لم أحب خرجت محتجاً . وعلت انه قد بلغه وبلغ فضيلة مفتي الديار المصرية ان أحد أعظم علماء الازهر المشهورين سبقي في هذا المؤتمر خطاباً في الطعن في الفقه الاسلامي والدعوة الى تركه ، وقد جزمتم بأن هذا البلاغ افك وزور ، وكان عجبى شديداً ان انتهت الفتنة الى هذا الحد ، وان بلغ الارجاف فيها هذا المبلغ ، وكنت وجلاً من سوء عاقبتها ، لهذا كتبت الى السيد الحسيني انه يجب عليه أن يبادر الى اطفاء نارها بنفسه في القاهرة وبعد ذلك أنظر في أمر اقرباها ، وقد حضر وكان من عاقبة معيه ما كلن وشرحنا ما فيه العبرة من خبره

بعد هذا شرعت في كتابة التقرير المقترح على كثرة الشواغل وفي أثناء ذلك بلغني أن جمعية الشبان المسلمين وضعت تقريراً طويلاً تعرض فيه على المؤتمر ما تراه من الإصلاح الاسلامي ، وان معالي محمد علي باشا حلوية يضع تقريراً في الإصلاح القومي بوضع معجم عربي للعلوم والفنون والاصطلاحات المصرية ، فترجع عندي أن كثرة التقارير السامة ستكون من الشواغل لمن يهتم بها من أعضاء المؤتمر

ولأزيد فاندتها على مايقرون في الكتب والمصحف، وان الاجدر بي إذا يسر الله تعالى لي حضور هذا المؤتمر — الذي أخشى أن تعوقني عنه شدة العسرة المالية وما يتعلق بها من الحقوق — أن أعرض ما أراه من الإصلاح في جلساته عند الحاجة إليها فان ذلك أحرى أن يثمنه بها ، وكذلك كان، وتركت إتمام كتابة التقرير ثم غلبت انه عرض على المؤتمر بيانات أو تقارير غير مذكور نامطبوعة ، منها تقرير لجنة الدفاع عن سكة الحديد الحجازية وتقرير لجنة البراق الهولية ، وتقرير في أعمال دعاة النصرانية وهو مهم جداً قرأته بعد العودة إلى مصر وربما أنشره في النار

لجنة الدعوة والارشاد

لما ألفت اللجان كتبت اسمي في لجتين فقط (الاولى) لجنة القانون الاساسي لاجل حضور بعض مواده وأهمها عندي المادة الثالثة التي موضوعها تأليف المؤتمر وقد قاومت فيها رأي الزعيم شوكت علي جعل المؤتمر شعوبيا كما اقترح في مؤتمر مكة وتقرر فكان أفضل الاسباب في قتل ذلك المؤتمر واقترح مثل هذا في مؤتمر القدس ففندنا اقتراحه فلم يقبل (الثانية) لجنة الدعوة والارشاد وكان مني في هذه اللجنة الاساتذة: رضا بك توفيق الملقب بالفيلسوف التركي وقد ولي وزارة المعارف في الدولة العثمانية ، والشيخ محمد عبد الرسول كاشف الغطاء من علماء النجف الشرعيين ، والشيخ عبد الوهاب النجار ناظر مدرسة عثمان ماهر باشا بمصر والمدرس بقسم التخصص في الازهر (وكان مدرسا في دار العلوم وكذا في مدرسة الدعوة والارشاد) والشيخ محمد عبد الطيف دراز من علماء الازهر ، والشيخ حسن أبو السعود قاضي الرملة الشرعي وإساعف بك النشاشيبي أديب فلسطين ، والشيخ محمد سعيد درويش البابي الحلبي (وكان قد جاور في الازهر) ومحمد علي أفندي الجوماني التاجر من نبطية لبنان ومهاجرها في أمريكا، وغيرهم ممن لم يحضر الا جلسات قليلة

وكان كل واحد من هؤلاء الاعضاء عضواً في لجنة أُلجان أخرى . اجتمعنا أول مرة في الحجرة التي خصصناها بها من حجرات روضة المعارف فانتخبت رئيساً

اللجنة ، وانتخب الاستاذ رضا بك توفيق نائباً للرئيس والاستاذ اسعاف بك
النشاشيبي أميناً للسمر ومقرراً للجنة ، وشرعنا في البحث ، وكان كل عضو من هؤلاء
الاعضاء يعلم مسبق لي من الاشتغال في تأسيس جماعة الدعوة والارشاد ومدرسة
لها توليت وضع نظامهما ومناهج التعليم في المدرسة وكنت ناظرآ لها إلا العضوين
الاخيرين (ومن العلوم بالبداهة انه وقع بيني وبين الاعضاء المؤسسين لجمعية
الدعوة والارشاد في الاستانة ثم في مصر مناقشات كثيرة في كل مادة من نظامها)
فلما شرعنا في البحث كان هذان العضوان يارضان في كل كلمة ويجادلان بنير علي في كل
رأي حتى تنقضي الجلسة بدون وضع شيء يتفق عليه فيكتب ، وكنا مضطرين للصبر
عليها مراعاة لقاعدة حرية الرأي وقاعدة المساواة بين الاعضاء ، الى ان عيل الصبر
وقد كان أول مقلته بمد شكر الاعضاء على اختيارهم إياي لرئاسة اللجنة وما
غلو به : ان مشروع الدعوة والارشاد هو أعظم مشروع إسلامي لاصلاح المسلمين
في أنفسهم ولتجديد هداية دينهم ومجده ، وهو يتوقف على تعليم جديد وتربية
جديدة في مدرسة خاصة ، وعلى جمعية كالجمعية التي سبق لنا تأسيسها في مصر ،
وعلى مال كثير لذلك وللدعاة والمرشدين الذين يتخرجون في المدرسة . ولا يتم
غرسه ونباته وإثماره إلا في سنتين كثيرة ، وأعضاء المؤتمر يطلبون منه بما يشعرون
به من حاجة المسلمين شيئاً عاجلاً موقتا قبل الشروع في العمل الاسامي الدائم
من تربية الدعاة والمرشدين وتعليمهم ما يؤهلهم للقيام بهاتين الفريضتين العظيمتين
التي لا قوام للإسلام بدونهما

والذي أراهم في الحاجة للوقت أن يسمى المؤتمر (أولاً) لتأليف ثلاث رسائل في عقائد
الاسلام القطعية ، وفي آداب وفضائله وما ينافيها من الرذائل والمهرمات القطعية ،
وفي أحكام المبادات التي لا يسمع مسلماً جهلها - وأن يقتصر في هذه الرسائل على
المجمع عليه بين المسلمين الذي لا يختلف فيه المذاهب الاسلامية ليكون مقبولاً عند
الجميع ، ويترك لاهل كل مذهب تعليم أهل مذهب خاص به الى آخر ما سياتي تفصيله
(وثانياً) لنشر رسائل في نقض أسس الدين التي يتصدى دعائها لاضلال
المسلمين عن دينهم ، ويوجد في هذا رسائل وكتب مطبوعة قد جربت قائلتها

وذكرت لم منها (عقيدة الصلب والغداء) وكذلك كتاب (نظرة في كتب
 المهدين القديم والجديد) لـ دكتور محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى
 نازعي العضوان المذكوران هذا الكلام وتنازعوا مع اللجنة فيه واقترح أحدهما
 الشيخ محمد سعيد درويش : تأليف كتاب لازالة الاختلاف بين فرقتي الوهابية
 والشيعية التي تكفر كل منهما الاخرى بصرح فيه باثبات اسلام كل منهما وعدم الفرق
 بينها (تم علم انه من أعداء الوهابية وإنما يريد الرد عليهم ، او يتحداني للدفاع عنهم)
 قلت له : ان التأليف بين فرق المسلمين ومقلدي المذاهب المختلفة منهم من
 أم مقاصد المؤتمر ، وأنا قد سميت له سمية منذ خمس وثلاثين سنة ، وما اقترحه
 هو لا يفيد ذلك ، فان التصيب الذي يكفر مخالفه عن اعتقاد قد يكفر من يخطئه في
 اعتقاده أيضا . ومن كان من هؤلاء يتبع هذا المؤتمر في رأيه فقد علم القاصي والداني
 ان هذا المؤتمر لا يفرق بين أحد من أهل القبلة باختلاف مذاهبهم الاجتهادية
 المعروفة . ومن أعضائه السنيون من سلفية وخلفية ، والشيعية من زيدية وإمامية ،
 والاباضية — ولم يبق من فرق المسلمين الكبرى غير هؤلاء ، وكأهم في المؤتمر
 اخوان يصلي بمضهم مع بعض — فلم يعجبه هذا البيان وأصر على اقتراحه ،
 وكان يشاغب فيما عداه

واقترح محمد علي افندي الحوماني إرسال المؤتمر بمئة إلى أميركا لتقوية
 المسلمين الذين هاجروا اليها والدعوة إلى الاسلام ، وهذا اقتراح حسن في نفسه
 ولكن المؤتمر لا يمكنه الآن مثله ، وإنما هو ثمرة من ثمرات جمعية الدعوة والارشاد
 التي ستقدم اللجنة له اقتراحها في شأنها ، فأصر على رأيه وكان يشاغب في كل ماعداه
 أكثر هذان العضوان المراء والشغب في اللجنة حتى مل سائر الاعضاء
 وقل اجتماعهم فيها ، ثم ملاهما وقل حضورهما ، فاختتمت فرصة تخلفهما ووضعت
 ما أراء من الاقتراحات مع مقدمة لها في جلسة واحدة وتناقشنا فيها مع أهل
 العلم والرأي من سائر الاعضاء فتعمت ، ثم دعا السكرتير المقرر جميع الاعضاء
 لقرائتها الاخيرة قبل تقديمها إلى المؤتمر فامتنع العضوان المذكوران من الحضور
 فقدمناهما الى المؤتمر ، واني أنشر هنا نصها ثم أقفي عليه بما كان فيه من شأنها :

تقرير لجنة الدعوة والارشاد

للمؤتمر الاسلامي العام

وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (سورة آل عمران)

(مقدمة)

أما بعد فإن الله تعالى جلت حكمته قد أكل لمباهه الدين ، بنبي أمي يمشي في
الأميين (ينلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل
لنفي ضلال مبين) محمد رسول الله وخاتم النبيين ، وجعل دعوته عامة للناس أجمعين ،
فأتم به نعمته على العالمين ، باستكمال دينه العام الباقي الى يوم الدين ، لجميع ما يحتاجون
اليه من حقوق الروح والجسد للأفراد والاجتماع ، بالهداية الروحية ، والمصالح
للدنية ، للموصلتين لمن أقامهما إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ولم يمشه من أتباع
الانبياء الذين كانوا قبله ، ولا في الشعوب التي تورثت العلوم والفلسفة ، وأقامت
معالم الحضارة ، وأهنت فنون الصناعة ، لتكون أميته صلى الله عليه وآله ، من
دلائل اعجاز الكتاب الذي يمشي به ، وتكون سفته في بيان هذا الكتاب بالملم
والعمل ، والخلق والأدب ، والحكمة وجوامع الكلم ، من الحبيج الطيبة الحسية
على نبوته ورسالته ، فلا يمكن المراء ولا الزية فيها

ثم لتكون سيرة خلفائه الراشدين فيها فتحو من الامصار ، وما أقاموا من
ميزان العدل والمساواة في الاجكام ، وما ضربوه هم وسائر أصحابه لاهل اللل
وأجناس الامم من المثل الصالح في الاخلاق والفضائل وأحسن الاعمال ، مؤيدة

لذلك الحجاج في اظهار حقية دين الاسلام ، وتوارها بين الامة ، ولما من عند الله عز وجل ، لاستمددة من قوانين موضوعة ، ولا من معارف مكتسبة أو مكتسبة ، ولا من تقاليد موروثة

لقد كان الاساس الاعظم لاصلاح هذا الدين لجميع من يهتدي به من البشر هو التوحيد ، للزيل لجميع أنواع الشقاق والتفريق ، ولذلك كان التوحيد خمسة أنواع (١) توحيد الالهية والربوبية ، المظهر للعقول والقلوب من خرافات الوثنية وأوهامها المفسدة لفطرة البشرية ، الراجع لاهله الى أعلى المعارف الالهية (٢) توحيد المبادئ ، للزكية للأنفس من دنس الفواحش والمنكرات ، الربية لما على الاتحاد والاجتماع والنظام (٣) توحيد التقديف والآداب النفسية والمزلية والاجتماعية ، المربي للامة في الصحة ومكارم الاخلاق وأحسن المبادئ (٤) توحيد التشريع المدني والمالي والسياسي والاجتماعي الذي هو قوام المصالح القولية والمنافع من التفريق في الاحكام والاطمان (٥) توحيد الفنة الذي يتم به التعاون والتعارف والتآلف والتعليم ، ويحول دون تفرق الامة الى أجناس مختلفة

فهذه الانواع من التوحيد والتأليف بين أجناس البشر في جميع مقومات الامة كانت أخوة الاسلام الدينية ، وروابطه الحسية والمعنوية ، أقوى وأمتن ما عرفته الانسانية في الجمع بين شعوبها وقبائلها وتعارفهم وتآلفهم ، وإزالة ما أربطها من التماهي والشقاق بينهم ، باختلاف الاديان ، واللغات والانساب والاطمان ، وتمهدت بذلك جميع وسائل الكمال البشري والمدنية الحق الفاعلة التي كلف الحكماء السابقون يتعنونها ويفشدونها ولا يهتدون اليها سبيلا ، وما زال الحكماء اللاحقون ينفونها ولن يجدوا اليها في غير ظل الاسلام مقبلا

جرى السلف الصالح من خلفاء الاسلام وأمرائه وقواد جيوشه وقضاياه على صراط هذا التوحيد العام الكامل وهو الصراط المستقيم ، فكان هذا هو السبب دون غيره في دخول الامة في دين الله أفواجا ، وفي ترك لغاتهم الى لغة التي جعلها ربه لغة لدين الاسلام وأهله ، إذ جعل كتابه لهم عربيا ، وحكمه فيهم به عربيا ، وأوجب عليهم تدبره والتعبد به في الصلاة وغيرها . ولولا ان الدين كانوا

يهتدون الى الاسلام برؤية ما كان عليه الفاتحون من الصحابة (رض) وأهل الصدر الاول من العدل والفضائل قد علموا ان هذا الدين هو القرآن وما بينه رسول الله ﷺ من سنته ، وان لفته هي لغة القرآن لا تقوم هدايته ولا تشريعه ولا تتم وحدة أمته وأخوتها إلا بها لما أقبلوا على تعلم هذه اللغة من تلقاء انفسهم يباحث العقيدة ، ولما انتشرت بينهم بظك السرعة العربية ، حتى ان الشعب الفارسي العريق في المجد والحضارة والادب فضل لغة دينه السامية ، على لغة جفنه وشبه الرشيقه الزاقية ، فانشرت منذ العصر الاول فيهم بسرعة البرق ، من غير دعاة ولا مدارس ولا كتب ، ثم كان من رجاله واضوا بعض معاجمها وفنونها ، وأئمة الحديث والفقهاء وسائر العلوم فيها ، وصارت هي اللغة الوحيدة للاتطار السورية وللصرية والافريقية ، وتفق بهذا أن هذه اللغة إنما هي لغة الاسلام لا لغة العرب وحدهم ، ولولا ضعف الخلافة العباسية في العلم وتقلب نفوذ الاعاجم فيها ومنازعة سلاطينهم إياها في حكمها ، لعمت العربية بلاد الاعاجم الاسلامية كلها على انهم ما زالوا كلهم يعبدون الله تعالى بها بذلك التوحيد الذي أوجزنا في بيان أنواعه ساد الاسلام العالم كله ديناً ولغة وحكماً وتشريعاً وأدباً وعلماً وحكمة وحضارة ، ولكن للسليين لم يلبثوا ان حدهوا ببيان كل توحيد منها ، وتفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وكانوا شيما حتى في العقائد والتشريع ، ودعوا الى المعصية النفسية والغوية ، واقتلوا بنمرة عصبيات المذاهب والملك والوطن ، فأوشك ان يخرجوا من حظيرة قوله تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وكاد يحيط بهم سرادق (الدين فرقوا دينهم وكانوا شيما كل حزب بما لديهم فرحون) ولا تنسج هذه القصة لبيان الاسباب التي دعتهم الى هذا التفرق بل دعتهم اليه دعا ، وعائلتهم الى هذه الضلالة عملاً ، مع بيان شواهدنا من الكتاب العزيز والتاريخ

فبروا ما بأنفسهم فتبر الله ما بهم بملقضى سنته العادة في خلقه ، فسلب منهم جل ما كان آتام من ملك وسيادة وقمة كانوا فيها فاكين ، وأنفذ وعيده فيهم ، كما أنفذه فيمن قبلهم ، وقد بلغ من خذلان الجهل وقساد الاخلاق فيهم ان راجت فيهم شبهة أعدائهم الذين وسوسوا اليهم ان سبب ما طرأ عليهم من الضعف وزوال

الملك انما هو دينهم ، وهو هو القدي ساد به سلفهم ، وعزبه ملكهم ، ونشأت هدايته حضارتهم ، ولكنهم جهلوا دينهم وتاريخهم

أتى عليهم بضع قرون ، وهم في غمرة ساهون ، لا يشعرون بذنوبهم فيتوبوا منها ، ولا يحصون بخطور أفعالهم فيها ، بما لجئوا ، حتى اذا ما بلغ السيل الزبى بامعان الاقوياء في الفتك بهم ، ومحاولة الاجهاز على دينهم في كل قطر أجهزوا فيه على دينهم ، بث الله تعالى لهم مجدداً من آل بيت نبيه الاخيار ، آتاه الحكمة وفصل الخطاب ، ألا وهو الحكيم الرباني ، السيد جمال الدين الافغانى ، فصاح بهم صيحة بعد صيحة ، في قطر بعد قطر ، أخطت كثيرا من الناعمين ، ونهبت المستعبد من الخاملين ، بدأ إنذاره بالافغان فالتند فصر ، فالتروك والتتار والفرس ، فربى بحكمته وحمته رجالاً ، نفروا لجهاد الملى والسياسى والمدنى خفاً وعلناً ، وكان ظهيره ووليّه في عهده ، وخليفته في الاصلاح من بعده ، الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده (رحمه الله تعالى) فهما المجددان اللذان شخصاً الداء ووصفا الدواء ، وشرطاً في العلاج ، فهب لمارضتهما الجامدون من التقليدين ، والخرافيون من الرشدين ، والسقيدون من الحاكين ، وكان بينهما وبين قواد تلك الجنود المجددة ما كان من مصارعة ومقارعة ، ومصارعة ومنازلة ، حتى كان لدموعهما النصر ، ولتعاليمهما الغفر ، على سنة التدرج المطردة في الامم ، فكل ما سمعناه في الجلسات العامة لهذا المؤتمر وجلسات ما عقده من اللجان من الشكوى من تفرق المسلمين وجهلهم وضعفهم ، ومن الآراء في الدفاع عنهم ، انما هو أثر دموعهما ، ومريانهما في جسم المالم الاسلامى مريان البرء في السقم

أكثر أعضاء هذا المؤتمر من شعوب المسلمين في جميع الاقطار فيما اقترحوه عليه من الاصلاح وهو في مهد مولده ، حتى كأنه دولة نياية قوية غنية ، وانما هي نقات معدورين ، وكرير مخنوقين ، بل يصح أن يقال في بعضها انها استنائة غرقى أو حشرجة محضرين ، كالصوت القدي وصل من اخواننا المرهقين بظلم البلشفيه في الروسية ، وقرب منهم اخواننا برابرة المغرب ولاسيا الاقصى ، ومنها ما هو تمبير عن الرجا في المؤتمرات المليئة التي هي أقوى وسائل توحيد قوى الامة

على انه قد بقي من مصائب المسلمين ما قصر الاعضاء في بيان كنهه ، وتمثيل خطره ، وهو فشو الاحاد والاباحة ، والاسراف في الشهوات الجوانية ، هذه الموبقات اشد فتكا وأسرع انتشاراً من مضار تفرق المذاهب ، والجلود على التقاليد والاسرار على الخرافات ، بل هي شر مآلاً من قبايم الدعاة إلى دين غير الاسلام ، فان سموها تنفث في الارواح ، من طريق العلوم والفنون التي يتهاقت عليها نساء المسلمين في جميع الاقطار ، يباعث اعتقادهم واعتقاد أولياء أمورهم انها طريق الحياة المادية ، ووسيلة السعادة في الحضارة المصرية ، والعيشة الراضية المربية ، فأما كون الحياة المدنية في هذا العصر لا تقوم إلا بالعلوم والفنون فقد صار من المسلمات التي لا راء فيها ، وأما كون العلوم تقتضي الاحاد والاباحة فهذا باطل ، ولهذا كن من أعظم مقاصد هذا المؤتمر إنشاء مدرسة جامعة لها تكون إسلامية وليس معنى كونها إسلامية أن تقبل طلاب العلم العالي فيها من جميع شعوب المسلمين كما قيل ، فان معاهد العلم العالي في كل بلد لا يصد عنها المسلمون ، فدرستهم أحق بذلك وأولى ، وإنما يعنى به أن يجمع فيها بين العلم النافع ودين الاسلام الصحيح الذي هو دين العلم والحضارة بطبيعته ، بحيث يكون الاسلام فيها مهذباً للعلوم المادية بالعقائد الحق وربية العباداة والفضائل التي تصد عن جملها وسائل للاسراف في الشهوات ، وفكس الاقوياء بالضعفاء ، ويكون العلم فيها ممزجاً للاسلام وأهله بالبروة والقوة التي تصد الاعداء عن الاعتداء على دار الاسلام ، وتحول دون تمكنهم من سلب سلطته واستعباد أهله — وحسبنا هذه الجملة الوجيزة في معنى كون هذه المدرسة الجامعة اسلامية ، ومنه ننقل إلى موضوع لجنتنا واقتراحاتها فنقول :

المقصد

ان ما يقصده المؤتمر من مشروع الدعوة والارشاد هو الذي يتحقق به معنى كون الجامعة إسلامية ، وبه تحصل جميع المقاصد الاصلاحية التي كثرت الاقتراحات فيها ، كقائمة التبشير المراد به تنصير المسلمين ومخاربة الاحاد والاباحة — ومناهضة التفريق بين المسلمين بمصيبة المذاهب والجنس والفئة وعدم البدع والخرافات وغير ذلك ذلك بأن المراد من الدعوة والارشاد أن تعرف حقيقة الاسلام الحق وإظهاره .

بأمثل طرق التعليم في جميع درجاته ، وتربية من يقوم بذلك بالتعليم والارشاد والخطابة والتأليف ، وتعميم ذلك بقدر الاستطاعة ، وبالقدح عن الاسلام ، وبيان فضله على جميع الاديان ، وكونه هو الدين الذي لا يمكن بدونه أن تصالح أمور البشر ، وبما لا يهددها من مفاسد البلشفية والاباحية وفوضى الافكار المادية وأما تنفيذه فلا يتم إلا بتعليم خاص وتربية خاصة ، وجمعية خاصة وانما يمكن أن يقوم المؤتمر الآن بما هو دون الكمال منه والذي يقترحه في ذلك يلخص في المواد الآتية :

(نص المواد التي اقترحتها لجنة الدعوة والارشاد)

(المادة الاولى) تؤلف جمعية باسم (جمعية الدعوة والارشاد الاسلامية) تكون تابعة للجنة التنفيذية وهي تعين مركزها العام ، ويكون لها فروع في الاقطار الاسلامية .
(المادة الثانية) غايتها (١) نشر الهداية الاسلامية (ب) توثيق عرى الوحدة والاخاء بين المسلمين (ج) مقاومة الاتحاد (د) صد الفارة على الاسلام ودفع الشبهات عنه .
(للمادة الثالثة) تتوسل الجمعية إلى ذلك بالوسائل الآتية (١) بث الدعوة إلى الاسلام (ب) بث الرشد بين المسلمين ولا سيما أهل البادية منهم (ج) نشر رسائل وكتب تشتمل على أصول الاسلام وفضائله وآدابه وحكمة التشريع فيه (د) إلقاء المحاضرات والخطب ونشر المقالات في الصحف (هـ) إنشاء صحف باللغة العربية وغيرها في الاقطار المختلفة تبنى بالشؤون الاسلامية (و) السعي لاصلاح منهج الخطب المنبرية ودروس الوعظ والارشاد (ز) السعي لدى حكومات البلاد الاسلامية ومدارسها الاهلية لاجل العناية بالتعليم الديني والتربية الاسلامية .
(المادة الرابعة) الاهتمام بتعميم اللغة العربية في جميع الشعوب الاسلامية

المقرر
وئيس اللجنة

اسماء الشائبي السيد محمد رشيد رضا

(النار) كانت هذه الاقتراحات مبسولة ومطولة فتند المناقشة فيها قرر المؤتمر تاليف لجنة تلخصها وتضعها في صيغة مواد قانونية ، فاجتمعت اللجنة وافقنا معها على وضعها بالنص الذي تراه هنا وقرره المؤتمر بالاجماع وساذكر في الجزء الآتي النص الاصيل لما تدنه وما كان من الاعتراض عليه وتفنيد كلام المعترض خدمة للنار

الرابطة الاسلامية الدولية

(جاء في جريدة صوت الشعب الفلسطينية لصاحبها الكاتب الوطني المعروف
عيسى أفندي بنبك بتاريخ ١٢ آذار (مارس) تحت هذا العنوان ما نصه)
نشرفنا على نظام الرابطة الاسلامية الدولية التي يشغل السيد ضياء الدين
طباطبائي وظيفة السكرتير العام لها في جنيف ويشمل سمو الخديوي هذه الرابطة
بنفوذ وعظفه :

﴿ (١) اسمها ، مركزها ، أغراضها ووسائل عملها ﴾

(المادة الاولى) أسست وفقاً للمادة الستين وما يليها من مواد القانون
المدني السويسري جماعة اسمها « الرابطة الاسلامية الدولية » ومركزها العام
مدينة « جنيف »

(المادة الثانية) ترمي هذه الرابطة على وجه الخصوص الى ما يأتي :
أولاً — العمل على استدامة الوثام بين مختلف عناصر العالم الاسلامي
ثانياً — إنشاء مركز تعاون فكري بين علماء الاسلام وجامعاته ومعاهم
ثالثاً — السهر على الاحتفاظ بأوضاع الطوائف الاسلامية حيناً توجد
رابعاً — اعانة أعمال البر والمؤسسات الاجتماعية الاسلامية
خامساً — اطلاق غير المسلمين على الاصول الصحيحة لعلوم الاسلام ومذاهبه
ورفع المعجمات غير المبررة التي توجه اليها والوصول عن هذا الطريق الى توثيق
العلاقات بين الشرق والغرب

(المادة الثالثة) تعمل الرابطة بوسائل اذاعة النشرات ، وعقد الاجتماعات ،
وتقديم الآراء ، واسداء النصائح ، وذلك كله في الحدود التي ترسمها القوانين
الاهلية في كل دولة

﴿ (٢) أعضاء الرابطة ﴾

(المادة الرابعة) يقبل عضواً في الرابطة كل مسلم كامل الاهلية تزيد سنه عن الواحدة والعشرين من غير تمييز للجنس أو اللغة أو المذهب متى قبل قوانين الرابطة وتمهد باحترام لوائح أنظمتها المختلفة ويتسديد قيمة اشتراكه في الميعاد (المادة الخامسة) أعضاء الرابطة على سبعة أنواع : أعضاء شرف ، ومحسنون ، ومتبرعون ، ومؤسسون ، وعاديون ، وجامعيون ، ومتنصبون

(ا) فأعضاء الشرف هم الملوك ، ورؤساء الدول المسلمون ، وكذلك عظماء رجالات الاسلام ، الذين يؤدون للرابطة خدمات أدبية أو مادية يقدرها مجلس الرابطة الاعلى

(ب) والاعضاء المحسنون هم الذين يهبون الرابطة هبة أو يوصون لها بوصية تزيد قيمة أيتهما على عشرة آلاف فرنك سويسري

(ج) والاعضاء المتبرعون الذين يساهمون في ميزانية الرابطة بمبلغ سنوي تزيد قيمته على مئة فرنك سويسري

(د) والاعضاء المؤسسون هم الذين اشتركوا في تكوين الرابطة بمدينة « جنيف » في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٣١

(هـ) والاعضاء العاديون هم المسلمون الذين يستوفون شرائط المادة الرابعة من هذا القانون الاساسي وتصادق اللجنة التنفيذية على طلبات الانضمام التي يقدمونها اليها

(و) والاعضاء الجامعيون هم الاحلاف التي تؤسس في عواصم بلاد أوروبا والعالم الاسلامي مع ما يكون لها من فروع في هذه البلاد المختلفة وتديرها لجان أهلية تقرر طريقة تأليفها في قوانين الاحلاف التي يجب تصديق المجلس الأعلى عليها قبل نفاذها

وتنظر هذه اللجان الاهلية على وجه الخصوص في أمر قبول الاعضاء المنتسبين وتسهر على تحصيل الاشتراكات وارسل عشر قيمتها الى المجلس الاعلى وتقف هذا المجلس على حالة الطائفة الاسلامية في بلادها ، وتنفذ قراراته في حدودها ، كما تفصل بصفة ابتدائية في الخلافات التي تنشأ بين الفروع التابعة لها

(ز) والاعضاء المنتسبون هم الذين ينتهون الى حلف من أحلاف الرابطة ويدفعون له اشتراكات متساوية تعادل قيمته خمسة فراكات سويسرية
(المادة السادسة) أعضاء الرابطة العاملون هم المؤسسون والمنتسبون والمتبرعون الذين يطلبون ذلك

﴿ (٣) نظام الرابطة ﴾

أنظمة الرابطة هي :

(١) المؤتمر العالمي الاسلامي (ب) المجلس الاعلى (ج) اللجنة التنفيذية

المؤتمر العالمي الاسلامي

(المادة السابعة) يؤلف المؤتمر العالمي الاسلامي من الاعضاء المؤسسين ومن الاعضاء المتبرعين العاملين ومن مندوبين عن الاحلاف يمثل الواحد منهم ألف عضو منتسب وينتقد المؤتمر هيئة جمعية عامة عادية مرة في كل ثلاث سنين وبهيئة جمعية عامة فوق المادة كلا وجد المجلس الاعلى ضرورة ذلك
ويرسل المجلس الاعلى الدعوات لمعد الجمعية العامة العادية قبل موعد الانقاد بستة أشهر على الأقل ولمعد الجمعية العامة فوق المادة قبل موعد انعقادها بشهر واحد على الأقل

المجلس الاعلى

(المادة الثامنة) يدير الرابطة مجلس أعلى مؤلف من الاعضاء المؤسسين وخمسة أعضاء ينتخبهم المؤتمر العالمي الاسلامي بين المرشحين الذين يقدم كل حلف اثنين منهم ، ويكون انتخابهم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد
(المادة التاسعة) يجب على المرشح لمضوية المجلس الاعلى أن تكون سنة قد جاوزت الاربعين وان يكون قد أمضى أكثر من سنتين عضواً في لجنة أهلية
(المادة العاشرة) يجتمع المجلس الاعلى كل ثلاثة أشهر مرة على الأقل ولا تكون قراراته صحيحة إلا بحضور خمسة من أعضائه على الأقل

(المادة الحادية عشرة) يدعو المجلس الاعلى الى اجتماع مندوبين عن الاحلاف بواقع واحد عن كل حلف مرة في كل عام قصد التشاور وتبادل الرأي

(المادة الثانية عشرة) يختص المجلس الاعلى بالفصل بصفة نهائية فيما ينشأ من خلاف بين حلف وحلف آخر كما يختص بالنظر استئنافيا بناء على طلب احد الاطراف ذات الشأن في الاحكام الصادرة في الخلافات بين الفروع

(المادة الثالثة عشرة) يرفع المجلس الاعلى الى المؤتمر العالمي المنعقد بهيئة جمعية عامة عادية تقريراً عاماً عن سير أعمال الرابطة وإدارة أموالها

اللجنة التنفيذية

(المادة الرابعة عشرة) يختار المجلس الاعلى من بين أعضائه رئيس الرابطة ووكيلها وسكرتيرها العام وأمين صندوقها الذين يكونون لجنتها التنفيذية

(المادة الخامسة عشرة) رئيس الرابطة هو في الوقت نفسه رئيس المجلس الاعلى واللجنة التنفيذية والمؤتمر العالمي الاسلامي

(المادة السادسة عشرة) يحدد المجلس الاعلى اختصاص اللجنة التنفيذية والسكرتير العام وأمين الصندوق في لأهته الداخلية التي تشمل كذلك أحكاماً خاصة بالنشرة الرسمية للرابطة وبمقتضاها الزاثرين

(المادة السابعة عشرة) تجتمع اللجنة التنفيذية مرة في كل شهر ولا تكون قراراتها صحيحة الا بحضور اثنين على الاقل من أعضائها ،

﴿ (٤) أموال الرابطة ﴾

(المادة الثامنة عشرة) تتكون إيرادات الرابطة التي يسد بادارتها الى المجلس الأعلى من هبات أعضاء الشرف والأعضاء المحسنين ووصايم ومن مساهمات الأعضاء المتبرعين واشتراكات الأعضاء الماديين وعشر اشتراكات الأعضاء المنقسين أما الاحلاف فيستقبل كل واحد منها بإدارة إيراداته المكونة فقط من تسعة أشرار اشتراكات الأعضاء المتمين اليه

وقيمة الاشتراك السنوي للأعضاء الماديين خمسة فرنكات سويسرية تدفع في مركز الرابطة العام : إه

رأى النار في هذه الجمعية

(وفي سمو مؤسستها)

ان موضوع هذه الجمعية لعظيم جداً ، وان هذا الهيكل العظمي لنظامها
لكبير جداً ، وان حاجة العالم الاسلامي اليها لشديدة جداً ، وان همة مؤسستها
(الامير الكبير عباس حلمي خديو مصر السابق) لكبيرة ، وإن إرادته لقوية ،
وإن ثروته لواسعة ، وانما يتوقف نجاح هذا العمل العظيم مع استخدام هذه
القوى الثلاث ، على طائفة من الرجال العظام ، وانما اعني العظام بمقولم وقلوبهم
وأخلاقهم وعلومهم وأعمالهم وإخلاصهم وحريرتهم واستقلالهم — لا بألقائهم
يوجد في بلاد الاسلام المتفرقة أفراد من هؤلاء الرجال ، لا يميزهم للقيام بمثل
هذا المشروع العظيم إلا القوة والمال ، وأغنياء المسلمين أولوا المال كلهم أو جلهم
أغنياء أو بخلاء ، وأمرؤهم أولو القوة والثغوذ كلهم أو جلهم مستبدون أو جهلاء ،
فهم لا يعرفون أقدار عقلاء المصلحين ولا يقدرّون على الاتفاق معهم ، لأنهم
يريدون استخدامهم لأشخاصهم لا لأمتهم ، ويحاولون تسخيرهم لأهوائهم
دون العمل بمقتضى عقيدتهم ، والرجل المصلح المخلص لا يتبع في عمله هوى نفسه ،
فكيف يتبع هوى غيره ؟

ولا أعرف أحداً من أمراء المسلمين قد جرب الناس وخبرهم كالامير عباس
هذا ، ذلك بأنه كان في عهد إمارته قليل التحجب والترف ، كثير المقابلة للناس
من الطبقات العليا والوسطى ، واسع الحرية في عبادتهم ، وقد تدلى عن افق الامارة
والمالك إلى مادة رجال من خواص أمتة واتخاذهم خصوصاً ، ثم ارتقى إلى مقامه
اللائق به فأدى الباقي منهم واتخذ منهم أولياء وأنصاراً ، وقد رأى كثيراً من
الناس الذين يتبعون هواء ، ويبيعون دينهم بدنياه ، لا حباً فيه بل حباً لانفسهم ،
وتوسلاً به إلى شهواتهم ، ورأى قليلاً من الناس لا يسمعون إلا لأمتهم ، ولا يؤثرون
أحد على ملتهم ، فلا يلفتهم المال ولا الجاه أقل لفته عن عقيدتهم ، ورأى أن قليل

هؤلاء الصادقين، خير من كثير أولئك المنافقين، وإن جميع علماء الازهر ما كانوا
ينفون غناء الشيخ محمد عبده ، وأن جميع رجال بطائنه وحاشيته لا يلبون بلاء حسن
عاصم باشا وحده، فإذا كان مبلغ استفادة صموه من هذه التجارب؟ هذا ما لا أعلمه
ولكنني كنت ممن هاداهم ثم أداناهم ، وقد وعدني بالمساعدة على ما أقوم به
من الإصلاح الاسلامي إلى مدى بعيد، وشرع في الوفاء لخالف الحرب المالية دون
استمرار العمل الذي بدأت به بمساعدته (وهو مدرسة الدعوة والارشاد) وكان
من مقاصده فيه الاتفاق مع الدولة العثمانية على مثله وما هو أوسع منه بعد وقوع ما كان
يتوقعه من شعور رجالها بمخطئهم في عدم تنفيذهم لمشروع الدعوة والارشاد في
الاستانة . ولا أدري ما كان يري اليه من وراء ذلك الاتفاق وما ظننت الا خيرا
وأقول الآن : لو كان معه في مؤسسي هذه الرابطة الاسلامية رجالان كالشيخ
محمد عبده وحسن باشا عاصم في بصيرتهما واستقلال عقولهما وإرادتهما وإخلاصهما
لرجوت له الفوز والنجاح فيها ، إذا هو أعطاهما حقهما في استقلالهما وحريةهما، وقننا
بالعمل مع الخدمة الاسلام بالذات، وخدمته هو بالتابع لخدمة الاسلام، وإنما اقتصرنا
على ذكر رجلين اثنين في هذا المثل لانه ذكر في المادة السابعة عشرة من قانون رابطة
ان اللجنة التنفيذية لمجلسها الأعلى تنعقد بحضور اثنين من أعضائها وتكون
قراراتها ايجابية، وهذا مما ينتقد من مواد هذا القانون ، ولكن عقبني الرجال ينفي
قليهم عن كثير غيرهم ان وجدوا ، ولا يفري فريهم ألوف الدهماء إن فقدوا
وأريد بهذا المثل أن مثل هذا العمل لا يمكن أن ينهض به إلا كبار رجال
الإصلاح السالمين بامراض العالم الاسلامي المارقين بطرق علاجها، الذين يهمهم
أمر أمتهم ، أكثر مما يهمهم أمر أنفسهم وأهلبيهم وأولادهم ، فان كان الأعضاء
المؤسسون لهذه الرابطة مع صموه في جنيف (سويسرة) من هذه الطبقة فان ذكر
أسماهم في ذيل قانون الرابطة أعظم تأثيراً في العالم الاسلامي من جميع مواده الواسعة
النطاق ، المحيطة بالآفاق ، ولكن آني له رجال من هذه الطبقة ؟

أسس صموه هذه الرابطة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣١ الموافق خامس رجب
من هذه السنة في مدينة جنيف ، ولا نعلم أنه كان فيها من رجال العالم الاسلامي

الذين يصلحون للهوض بهذا العمل إلا الأمير شكيب أرسلان ، الملقب بأمير اليان ،
والمشهور بمجاهده في خدمة الاسلام في كل مكان ، وإنا نعلم علم اليقين انه لم يكن من
المؤسسين مع سموه لهذه الرابطة ولا ممن استمد رأيهم فيها ، ولقد يميز على من
يمرّف هذا الرجل أن يثق بمشروع إسلامي يرغب مؤسسه عن اشتراكه ، أو
يرغب هو عن مشاركتهم فيه ؟

أسس سموه هذه الرابطة بعد أن وصل اليه كتاب الدعوة إلى المؤتمر الاسلامي
الذي عقد في القدس الشريف وكان وعد بأن يحضره أو يرسل مندوباً عنه يحضره ،
ورأينا في أساس نظامها عقد (مؤتمر عالمي إسلامي) في كل ثلاث سنين مرة ،
ورأينا في مقدمته أن السيد الطباطبائي سكرتير لجنة هذا المؤتمر التنفيذية المنتخب
جمل سكرتير الجمعية الرابطة الاسلامية الدولية أيضاً ، وهو كثفوا باستمداده الفني
والسياسي ، ولكنه لا يمكنه الجمع بين العمليين ولا ادغام احدهما في الآخر

زار سمو الأمير عباس - بعد تأخير هذه الرابطة - أقرة وجدد مودته
لحكومتها الجمهورية اللادينية ، وزار فلسطين وسورية فاحتفى بزيارته المندوب
السامي البريطاني في الاولى والمندوب السامي الفرنسي في الثانية ، وزار شرق
الاردن وجدد مودته لأمرها عبد الله بن الملك حسين ، وكل زيارة من هذه
الزيارات تضيف الثقة بهذه الرابطة التي أسسها ، فإذا قرن ذلك بمن استخدمهم سموه
في زيارته هذه وباختياره لفشر قانون الرابطة جريدة رجل مسيحي في (بيت لحم)
من فلسطين على المجالات الاسلامية والجرائد اليومية المشهورة فإن الثقة بها تزداد
وهنا على وهن ، وظنة على ظنة

عبارة قانون الرابطة ضيقة ، ومنها ما لا يفهم معناه إلا بالقرينة ، وفي موادها
على نقصها أمور مبهمّة وأخرى غير معقولة ، ومن أغربها ان من أعضاء الشرف في
هذه الجمعية ملوك المسلمين و رؤساء دولهم (أي الجمهورية) فن ذا الذي يقل أن
يرضى إمام اليمن وملك مصر وملك الحجاز ونجد وملك الافغان وشاه ايران وملك
العراق أن يكونوا أعضاء هذه الجمعية ، وليس للمسلمين حكومة جمهورية إلا حكومة
الترك ولكنها حكومة لادينية لا حكومة إسلامية ، فهي قد جلت جميع روايتها

الاسلام وتبرأت من كل صلة لها بالمسلمين ، ومن الشرق والشرقين ، فأنى
 يقبل رئيساً أن يكون عضواً لهذه الرابطة الاسلامية ؟ الا انه قد يكون له هوى سلبى
 فيها ، وقد يكون منه شيء يتعلق بالخلافة ، ولكنه لا يرضى ان يكون عضواً فطناً .
 تدوات الصحف نبأ اضطراب هذه الحكومة اللادينية وانزعاجها من عقد
 مؤتمر اسلامي في القدس الشريف ، وخوفها أن يكون من مقاصده إحياء منصب
 الخلافة الاسلامية ، فحاطبت وزارة خارجيتها الدولة الانكليزية باعراضها على عقد
 مؤتمر هنالك يبحث في مسألة الخلافة . فبلغتها هذه الدولة ان ذلك ليس من عمل
 المؤتمر ، ولم يمنحها هذا من الكتابة إلى الدول الاسلامية : ايران وافغانستان ومصر
 والحجاز والعراق مقترحة عليها عدم الاشتراك في هذا المؤتمر

وجلة القول أن اسباب الارتباب في هذه الجمعية كثيرة منها ما ذكرناه آنفاً ،
 ومنها ما ذكرناه في الكلام على المؤتمر الاسلامي العام من هذا الجزء ، وهو ماشاع
 من سعي سمو العباس ليكون ملكاً لسورية أو رئيس جمهورية لها في ظل الانتداب
 الفرنسي ، وقد تناقل المشتغلون بالقضية السورية عنه أنه مهد السبيل لهذا السعي
 مع فرنسا وحكومة الترك الجمهورية بما حملهم على بث الدعاية لمقاومة سميته ، واحباط عمله
 ويمكنني بعد هذا كله ان اقول ان مشروع هذه الرابطة الاسلامية هو أكبر عمل
 فكر فيه العباس ، وانه خير له من ملك سورية في ظل الانتداب ، وقد يكون افضل
 له من ملك مصر مع سيطرة الاحتلال ، اذا هو أعطاه حقه ، واختار له من الرجال
 أهل ، وما اراد الا يستقداً اخلاصاً في النصيح له ، عملاً بحديث «الدين النصيحة لله ولرسوله
 ولأئمة المسلمين واطمئنتهم» (رواه مسلم في صحيحه) وقد صرح لي بعمل هذا الاعتقاد اذ
 شرقي بالدعوة الى مقابلته في قصر القبة بعد ابعادى عنه وإلحاحه في عداوتي تسع سنين
 فليأتى لى سمو العباس مقالى هذا تأملاً ، وليتدبره تدبراً ، وليتفكر فيه تفكراً ،
 فانه ان يعطى حقه من ذلك غير مشوب بشعور عظيمة ماضيه ، ولا بإماني حاضره وآتيه ،
 يعلم ان ماقلة هو الحق لا ريب فيه ، وحينئذ يجب عليه ان يقف مواجبه النفسية
 والمالية على اخذه بريانه ، وتوسيد العمل فيه الى أهله ، فبذلك يحدث أكبر إصلاح
 في الشرق والغرب ، وإلا فالأجدر به تركه والتفجعي منه ، و« كل ميسر لما خلق له »

أذان ابراهيم الخليل بالحج ودعاؤه لاهل الحرم بالرزق

(وما للمسلمين وعليهم من ذلك في هذا العهد)

قضت حكمة الله تعالى أن يجعل الركن الاجتماعي العام لدينه الاسلام في بقعة من الأرض ليس للناس هوى فيها لذاتها، فهي لا تقصد الاعتدال هوائها.. ولا لذوية مأثها، ولا لبهجة رياضها وحنى جناتها، حتى يكون الباعث على قصدها لأداء المناسك هو التعميد المحض والاخلاص لله تعالى فيه وكان من شرع الله في هذه المناسك إهداء الانعام لبيت الله تعالى، وإيجاب الفدية على من أخل بشيء من واجبات الاحرام عنده، وعلى من تمتع بالعمرة بالحج فيه، لأجل توسعة الرزق على سكان حرم الله تعالى

قال الله تعالى (وإذ يوأنا لآبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيته للطائفين والماكفين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير). بل كان من عناية الله بأهل حرمه وجيران بيته أن أنطق خليله ابراهيم بالدعاء لهم أن يجذب اليهم قلوب الناس، وأن يرزقهم من الثمرات، وهي غاية نعمة الرزق والرفاهة - قال تعالى (وإذ قال ابراهيم : رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر : قال (أي الله تعالى) ومن كفر فأمتنه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) فوعد تعالى بأن يرزق من كفر منهم به ووجد نعمة بالرزق من الثمرات في الدنيا، وإنما يكون جزاؤه على الكفر في الآخرة لا يجرمان الرزق في الدنيا. وقال تعالى فيما قصه علينا من دعائه (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا

الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا) استجاب الله تعالى دعاء خليله لاهل حرمه في كل زمان، فسخر لهم القلوب تهوي إليهم من كل مكان، وتقترب اليه تعالى بادرار الرزق عليهم، أجوراً لدورهم، وجزاء على خدمتهم، وصدقة على قرائتهم، وهدايا لاغنيائهم، إذ علموا ان هذه التوسعة عليهم من مميزات نسكهم، وموجبات رضوان ربهم، حتى ان الله تعالى سخر لهم في عهد الحرب العامة دولتي انكلترة وفرنسة تحمل الحجاج إليهم من المشرق والمغرب مع الاتفاق على هؤلاء الحجاج، وسخر الاولى لحل الارزاق لهم من الهند وقد وفق الله تعالى أغنياء هذه الامة المحمدية فوقفوا على حرم الله وحرم رسوله ﷺ ما لا يحصى من الاطيان والبساتين والقار في جميع الاقطار، مما لو حفظ كله أو جله وصرف ريعه في عمران المسجدين وما جعله الشرع حرماً لكل منهما، وفي التوسعة على سكانها، لكان الحرمان الشريفان أعظم بلاد الله تعالى عمراناً، ولكان أهلها أوسع عباد الله تعالى رزقاً وأبسطهم عيشاً، بحيث لاتنتال منهم أمثال العسرة المالية الحاضرة شيئاً

ولكن القاسقين من الافراد والظالمين من الحكام قد جعلوا كثيراً من تلك الاوقاف ملكاً، وطمسوا معالمها طمساً، على ان ما بقي منها معروف الى الآن كاف لعمران الحجاز كله، وترفيه مبيشة أهله، بل ان المعروف من أوقاف الحرمين في وزارة الاوقاف المصرية وحدها يعني بذلك، واننا لانجد الحكومة مصر عنراً شرعياً في منع الحرمين الشريفين حقهما من أوقافهما والتصرف فيها بغير ما وقفت عليه هل يصح أن يكون منع ملك الحجاز استمرار بدعة المحمل المنكرة الخرافية سبباً شرعياً لحرمان الحرمين وسكانها من ريع هذه الاوقاف؟ هذا ما لا يقول به مسلم يعرف الاسلام ولو لم يكن المحمل بدعة مشتملة على كثير من المنكرات الشرعية حتى صرح الفقهاء بتحريم الاحتفال به، والتفرج بالنظر اليه، فكيف يكون التبعيد بالتبرك به وجعله من قبيل مناسك الحج؟

هل يصح أن يكون عدم اعتراف الحكومة المصرية بحكومة الحجاز الحاضرة عنراً شرعياً لهذا النع والحرمان؟ كلا ان هذا ذنب وذلك ذنب، ولكن بعض رجال

الحكومة المصرية يلبسون الشرع بالسياسة كما اعتذر المرحوم عبد الخالق ثروت باشا عن عدم إرسال كسوة الكعبة المشرفة بأحوال ود الوهابية لها بإدعاء أنها بدعة كالمحمل، قال هذا في جواب البرلمان وقبلة منه البرلمان مع علمه وعلم أعضاء البرلمان أن الملك ابن السعود قبل الكسوة السابقة ووعده بقبول اللاحقة التي لم ترسل، ومع علم الجميع بأن المحمل بدعة ابتدعته شجرة الدر، وأن كسوة الكعبة مشروعة مجم عليها بين المسلمين، وقد ضمنها ابن السعود بعدم منع مصر لها، فاستأثر بهذا الشرف من دونها وقد بلغنا عن بعض رجال الحكومة أنهم ينتدرون عن منع مخصصات الحجاز السنوية من مال وغلال وهي دون حق الحجاز أن تاخر أوقاف مصر لا يأمن حكومة الحجاز على وضعها في مواضعها، ويعتذر على وزارة الاوقاف توليها لتوزيعها وإشرافها عليها ومراقبتها له، وهذا التعليلات غير صحيحة، ولو صحت لما صلحت أن تكون سببا لمنع هذه الحقوق أهلها، لحكومة الحجاز أمانة ويمكنها إثبات توزيع ما يرسل اليها على مستحقيه، وهي لا تمنع عمال وزارة الاوقاف عن توزيع ما تشاء من المال إذا لم يكن بصفة تتضمن الطعن بأمانتها، ولو فرضنا أن الذين يتولون توزيعها يخونون بأكل شيء منها لما كان هذا مبيحا لمنسها كلها عن جميع مستحقيها، وقد يكون هؤلاء الخونة المفروض وجودهم منهم

مالنا ولا اعتذار السياسية والسياسة ما زالت تلبس الحق بالباطل وتكتم الحق الصريح على علم بأنه الحق، نحن الآن أمام خطب عظيم يجب فيه تحكيم الرحمة التي هي فوق الحقوق الرسمية، والممارسة السياسية

إن جيران الله وجيران رسوله محتاجون، وقد تكون العسرة العامة أشد عليهم من غيرهم، وإن حقوقهم على المسلمين كافة أكبر من حقوق غيرهم من اخوانهم في الدين، فلي المسلمين في جعلتهم أن يتقربوا إلى الله تعالى بتوفير ما أمكن به على سكان حرمهم من إغداق الرزق عليهم حتى احتج على المشركين منهم بقوله (أو لم يمكن لهم حرما آمناً يجي إليه غمرات كل شيء وزقا من لدنا)؟ وعلى المسلمين أن يتقربوا إليه عز وجل بأن يكونوا مظهراً محققاً لعداء خليله إبراهيم جسيمة هذا الرزق عليهم، ولعداء محمد رسول الله وخاتم النبيين بالعداء لاهل حرمه أيضاً.

والذي أقرحه على خيار المسلمين في هذه العسرة أن يقبل المستطيعون على الحج ويكون الذين يوقهم الله تعالى لأدائه أسخياء، ييسطون أيديهم بالمعطاء للمطوفين والمزورين والخدم، وبالصدقات على الفقراء، فإن ثواب المناسك في هذا العام مضاعف، وثواب جميع النفقات في الحرمين مضاعف، وليذكروا فيه حجة الوداع لمن هدام الله تعالى إلى هذه السعادة برسائه، وشرفهم بجملهم من أمته صلى الله عليه وآله وصحبه، وأنه أهدى في حجته هذه إلى بيت الله تعالى مائة بدنة (جمل) نحر ييده الشريفة منها في منى ثلاثا وستين (وهي عدد سني عمره الشريف) وأمر ربيبه عليا كرم الله وجهه فنحرا الباقي

وليحذر كل مسلم من فتنة بعض المضلين والمليدين الذين يصدونهم عن التوسع في النفقة في الحرمين الشريفين ويغرونهم بالمشاحة والمأكسة فيها، ويصنفون جيران الله ورسوله بالطمع في أموال الحجاج، حتى صار المفتونون بأقوالهم يعدون كل ما يقرب إلى الله تعالى من النفقة هناك مغرما من المغارم، وإن كانوا يسرفون في سائر النفقات حتى المكروهة والمحرمة منها في بلادهم ولا سيما أما كن اللهو والفسق الخاصة بالاجانب. دع اسراف الفساق في بلاد الافرنج، وأني لأخشى على صاحب هذا الشمو أن يكون حجه غير مبرور، وضعيه غير مشكور، وإن يكون بهذا مأزورا غير مأجور

بل أحدث اعداء الاسلام من الاجانب ومن ملاعبة أهله دعاية أخرى شريرة من هذه وهي ترك الحج لما فيه من اضاءة ثروة الوطن في بلاد العرب، وهذا ضرب من الدعاية إلى ترك الاسلام من أهله، وانما السلم من بفضل النفقة في الحرمين الشريفين على النفقة في وطنه تقربا إلى الله تعالى وقد صار أكثر الحجاج من الفقراء الذين يزاحون أهل الحرمين في رزقهم أخبرني الرحلة الشيخ عبد الرشيد ابراهيم أنه رأى مرة في البيت الحرام رجلا من حجاج بلخ فسأله عن فائدة حجه، فأجابته بأن الله تعالى جعل بيته في هذه البقعة الجرداء، وسخر لاهله الناس لاجل أن يؤمنواهم ويدروا عليهم الارزاق، فتأدتي اني ممن سخرهم الله تعالى لما يحبه من ذلك، فهذا البلخي الاعجمي قد

فهم من هذه الحكمة من حكم الحج ما لم تفهمه الاوف الكثيرة من المسلمين
 . وأخبر هذه الذكري بمخاطبة مولانا صاحب الجلالة ملك مصر باسم الله
 . وبما تقدم من آيات كتابه وسنة خليله ابراهيم ، وحبيه محمد صلوات الله وسلامه
 عليهما ، أن يصدر أمره لوزارة الاوقاف بارسال جميع مخصصات الحرمين المتأخرة
 إليهما في هذا العام ، فانه يكون بحسن النية أكبر أجراً من جميع الحاج فيا ينفقون فيه ،
 وإن لم يذل من ماله الخاص شيئاً ، ويكون له أعلى الذكر وأرفع الشرف والحمد في
 جميع العالم ، وترفع في بيت الله ومسجد رسوله ﷺ وسائر مشاعر الحج اصوات
 العالائسين وغيرهم بالدهاء المرجو الاجابة له ولولي عهده (ان الله لا يضيع أجر المحسنين)

مجلة الازهر والاستاذ المراغي

في أثناء اشتغال الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي بوضع قانون
 الازهر الجديد كان بدا كر أهل العلم والرأي من أصدقائه في موضوعه ومناهج
 التعليم في الكليات التي ستنشأ فيه . وقد أفضى الحديث بيني وبينه في ذلك الى
 اقتراحه علي أن اكتب له مذكرة في موضوع المجلة التي تقرر في القانون الجديد
 إنشاء ادارة المعاهد الدينية لها ، وفي موضوع درس الفقه في كلية الشريعة بمحدث
 حلويل دار بيننا في الموضوعين فضلت ، ثم قضى الله تعالى أن يستقيل من منصب
 المشيخة ورياسة المعاهد ، وصدرت المجلة بعد ذلك قمرظتها في المنار ، ونصحت
 لها بما أرجو أن يكون نافعا مفيدا ، ولكن خاب أمني وآمال كل من أعرف من
 أهل العلم والرأي وطلاب الاصلاح الاسلامي فيها كما بينت ذلك في الجزء (١٠ م
 ٣١) من المنار وقد قرأت في جريدة الاهرام في الشهر الماضي ان شيخ الازهر ألفت
 أو يؤلف لجنة لوضع تقرير فيها تراه من الاصلاح وترقية هذه المجلة (نور الاسلام)
 فقد كرت ما كنت كتبت للشيخ المراغي وأحييت نشره في المنار لما فيه من التنويه
 بمقاصد الاستاذ المراغي العالية في الاصلاح والتمهيد له ، وعسى أن يكون مساعدا
 للجنة على عملها ، أو مذكرا لها بشيء يفوتها ، وها هو ذا :

﴿ مذكره صاحب المنار للاستاذ الافضل الشيخ محمد مصطفى المراغي ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية
رغبت إليّ أيدك الله أن أكشفك برأيي في صفة التدريس في كليات الازهر
للمعمور التي سقتنا — إن شاء الله تعالى — في أول السنة الدراسية من هذا العام
ولاسيما دراسة العلوم الجديدة فيها ، وأن أذكر لك من أعرف من العلماء الذين
يصلحون لتدريس هذه العلوم ، ورأيك غير متقيد بكون هؤلاء العلماء مصريه
الجنس ، ولا من الحاملين لشهادة مدرسية رسمية ، واستحسنتم أن أعجل اليك
بكتابة ما أراه في صفة تدريس الفقه خاصة ، وبكتابة ما أراه في نظام مجلة الازهر التي
تقرر إصدارها منسوبة اليه ، والمواد التي تتألف منها أبوابها — الخ ما تفضلتم بمشافعي به
أكبرت هذه المشاورة من فضيلتكم ، على ما أعلم وأعهد من عادتكم وشئنتكم
فيها ، وإنها لآية بينة على ما آتاكم الله تعالى من نور البصيرة ، وسعة العلم ، وبعد
الرأي ، والتأسي برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله في امتثاله لأمر الله
عز وجل في قوله (وشاورهم في الامر)

وانني أرى أن امتثال أمركم هذا — وكذا كل ما هو بمقتضى — واجب على
شرا بما أمر الله تعالى به من التعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق ، والامر
بالمعروف ، وبما صح من قول رسوله ﷺ « الذين النصيحة » قالوا لمن يا رسول الله ؟
قال « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم من حديث
تميم الداري ، وفي حديث أبي هريرة الرفوع في حقوق المسلم الست « وإذا
استنصحتك فانصحه » رواه مسلم أيضا

مجلة الازهر

أعيد في هذه المذكرة الوجيزة ما قلته في حديثنا من وجوب العناية التامة بالمجلة
من أول الامر ، وبذل الجهد في إتمام تحريرها ، وحسن الاختيار لموادها ، فانها هي
المرآة التي تتجلى فيها صورة عهد الإصلاح الجديد ، في هذا المعهد الاسلامي التليد ،

لجميع العالم الانساني، ولا سيما العالم الاسلامي، الذي يجب أن تكون هذه المجلة مدرسة كلية سيارته، تهديه إلى كل ما يجب أن يكون عليه في أمر دينه ودينه، وبها يحكمون للازهر ومشيعته ورئيسه أو يحكمون عليه وعليهم، وسيكون هذا الحكم قطعياً لا يقبل استئنافاً ولا نقضاً، وليس لشيء من دروس كليات الازهر مثل هذا الشأن لعدم اطلاع العالم عليها، ولأن المهود في مثلها أن يبدأ ناقصاً ويرقى في معارج الكمال بالتدرج، وأما هذه المجلة فيجب أن تكون من أول يوم في أعلى درجات الكمال المستطاع أو يصرف النظر عنها

إن كثيراً من الكتاب وعلماء اللغة وعلماء الدين والمؤرخين والسياسيين وغيرهم من البارعين في العلوم المختلفة والفنون سينظرون إلى هذه المجلة بسني النقد القويقي الاشعة، لها من الصفة الرسمية، ولما يتوقع أن يكون لها من التأثير في العالم الاسلامي - ومنهم المنصف وغير المنصف - فيجب أن يحسب رئيس تحريرها لذلك كل حساب، ويعلم أن حرية القول فيها يجب أن تكون دون حرية صحف الشركات وصحف الافراد - وأن يعنى باتقاء الاستهداف لسهام الاقلام وأسئلتها أولاً، وبعدها الجان الصادقة لها ثانياً، ثم بمداداة كلومها بمد الاصابة ثالثاً، ولا سيما إذا كان الانتقاد موجهاً اليها من بعض الدول الاجنبية أو من بعض صحفها أو رجال سياستها أو علمائها

فأول ما يجب أن يهتم به اختيار لجنة التحرير، وأن توزع مواد أبوابها على الاختصاصيين في كل باب، وأن تكون العناية باختيار رئيسها أشد، وأول ما يشترط فيه أن يكون له معرفة واسعة بحالة العصر، وبما أشرنا اليه في أول هذه المجلة من مواضع النقد، فإن لم يتيسر وجود من يوثق به في هذا فينبغي أن يكون للتحرير مراقب أو مستشار، وإن لم يكونا من المحررين الموظفين، وقد يوجد من فيه الكفاية لذلك من أساتذة بعض الكليات

وإذا يسر الله تعالى اختيار ثلاثة رجال لرياسة التحرير ولما راقبته وللادارة العامة فيهم الفناء والكفاية فانهم يفتنون مولانا الاستاذ الاكبر عن وضع هذا

الداعي للتقرير الفصل الذي كاشفني برغبته فيه ، ولا أضن بوقتي عليهم إذا أحبوا استشارتي في علمهم ، فإن خال — بعد الاطلاع على هذه المذكرة الوجيزة — على رأيه في وضي للتقرير لم يجدني إلا صادعا بأمره مها يكن فيه من بذل الوقت قلما أجود بمثله على أعمال الادارية

أبواب المجلة

أم أبواب هذه المجلة فيما أرى سبعة :

(الباب الاول) باب المقالات الدينية والعلمية والتاريخية والخطابية ، ويجب أن يكون الغرض الاول منها بيان حقيقة الاسلام وحقايقه ، وإصلاحه لشؤون البشر الشخصية والمزلية والقومية ، والوطنية والسياسية ، ورفع مستوى الانسانية ، وتوحيد مقومات الاعم ، وبيان حاجة البشر إلى إصلاحه في كل زمان ومكان ، ولا سيما هذا الزمان الذي طفت فيه الافكار المادية والشهوات على الاعم فأفسدت آدابها ، وعلى الدول فحشرت كل منها مها في الاستعداد للوثوب على التي تأنس فيها الضعف منها ، وحل التنازع في مرافق الحياة محل التعاون عليها .

(الباب الثاني) باب الفتاوى العامة الذي يفتح لكل طارق له من مشارق الارض ومقاربهما فيما يتماق بمقائد الاسلام وآدابه وحكمه وأحكامه وتشريعه وسياسته ، فمن سأل عن حكم في مذهب معين أوجب بالاعتماد في ذلك المذهب ، ومن اطلق السؤال أوجب بما يقتضيه الاستقلال في الاستدلال (كما يهده مولانا الاستاذ وغيره في فتاوى المنار)

(الباب الثالث) باب كشف الشبهات ، وحل عقد المشكلات ، التي تعرض لطلاب العلوم وغيرهم بالإطلاع على كتب العلوم والفلسفة والاديان المختلفة ، وما يورده للاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن في الاسلام ، وما يستشكه قراء كتب التفسير والحديث والفقهاء منها وغير ذلك ، والغرض الاعم من هذا الباب مقاومة تيار الالحاد ، الذي انتشر وباؤه في البلاد ، فكاد يعمها الفساد

(الباب الرابع) باب البدع والخرافات، وانتقاد الضار من العادات، ويجوز التعبير عنه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وينبغي لمحرري هذا الباب أن لا يكتفوا بما سبقهم إليه العلماء الذين عنوانا بالتصنيف فيه ككتب الملل والنحل، ومثل الاعتصام والدخل، بل يجب أن يستقروا ما ابتدع بمدم وما لا يزال يستحدث في كل عصر ولا سيما عصرنا هذا

(الباب الخامس) باب التربية والتعليم، وأخى بالتربية ما يشمل جميع موضوعاتها ومواضعها، فمن الأولى التربية الدينية والجسمية والعقلية والنفسية، ومن أقسام العقلية تربية ملكة الاستقلال في الفهم، وحرية البحث، ومن أقسام النفسية تهذيب الاخلاق بتربية ملكات الفضائل، وتربية الارادة التي عليها الدار الاعظم في النهوض بالاعمال الجلية والنجاح فيها، وتربية الخيال بالاماليب للصورة السامية الخطاوية والشرعية

وأما الثانية (وهي مواضع التربية) فأولها البيوت، وتليها المدارس على اختلاف درجاتها، فالحميات على تعدد أنواعها من دينية وخيرية وعلمية وفنية ومنها ما حدث في هذا العصر من التربية البدنية المعروفة بالكشافة وكذا التربية العسكرية — فينبغي أن يدخل كل هذا وما قبله في مباحث باب التربية من هذه المجلة

(الباب السادس) باب آداب اللغة العربية وتاريخها، ولا حاجة إلى التذكير بشيء من مباحثه الا اقتباس بعض أساليب اللغات الغربية الراقية المؤثرة

(الباب السابع) باب الاقتباس والانتقاد، وتقرير الكتب والصحف — نرى كل يوم في الجرائد والمجلات من عربية وغربية والكتب التي تنشر بالطبع مباحث نافعة لقراء مما يؤيد هداية الدين، ومصالح الامة، فيحسن اقتباس المهم منها في المجلة، فان من الناس من تؤثر في نفسه هذه المباحث ما لا يؤثر غيرها، ولا سيما إذا كانت مستندة إلى كبار العلماء والكتاب من رجال الغرب — ونرى فيها مباحث أخرى باطلة ومضلّة، فيجب على المجلة انتقاد ما يخشى ضرره منها في الدين والدنيا بعبارات تزيه حكيمة يهتدي كاتبوها بما أمر به الكتاب الحكيم من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فتجب بذلك أسنة السفهاء، وتنعاهي ما لا يليق بها من الجدل الباطل والمراءاة

التجديد والتجدد والمجددون

(تابع لما سبق من محاضرتنا في الجمعية الجغرافية الملكية)

القضية الثالثة

(في بيان الحاجة الى التجديد الديني والدنيوي)

لايسعنا في بيان وجه الحاجة الى التجديد الديني والدنيوي وحكم الاسلام فيهما وحش عليهما إلا أن نبدأ بمقدمة وجيزة في جود العلماء ، وما كان لهم من سوء التأثير في الحكام وطلاب التجديد الديني من سياسي واجتماعي . وقد ذكرت بعض الشواهد على جود علماء تنصر في الكلام على القضية الاولى ^(١) وإن لي في المنار مقالات كثيرة في هذا الموضوع ومباحث أخرى في تفسير القرآن الحكيم وباب الفتاوى وغيره من أبواب المنار ، وانني أستغني عن ذلك هنا بكلام لغيري فأقول لكم جملة من كتاب لبعض نابغي شبان المسلمين في الهند كتبه في السامع من هذا الشهر (رمضان) في السنة الماضية (سنة ١٣٤٨) وهو من الذين طلبوا العلم بمصر وقرأ الآن بعض جرائدها وبراسلها ، ويتبع كل حركة عامة فيها . وهذا نص ما أورده منه :

﴿ جود علماء المسلمين في الهند ﴾

قال الكاتب الهندي المصلح في زعمائهم المسلمين

« نحن مشر الدعاة الى الاصلاح والانتقال السياسي قد وقفنا في الايام الاخيرة في مشكلة هويصة . وهي اننا نجد أمامنا حزينين يتنازعان الزعامة في المسلمين : حزب الماديين وحزب الروحانيين أو الدينيين . ونجد الاول يدعو إلى : الانقلاب الاجتماعي والسياسي معاً . ونجد الثاني يدعو الى الحرفاات ويمارض كل تغيير في الحالة الحاضرة حتى أنه يخالف الانقلاب السياسي ^(٢) »

(١) لم أنشره في المنار هنا لاني نشرته في مقالات المساواة بين الرجل والمرأة
(٢) قد تفسر موقف علماء الهند الشرعيين في هذا العام « ١٣٥٠ » ورفضوا أصواتهم بطلب الانقلاب السياسي

« هذه الحالة في بلادنا : أننا لا نرضى بحال أن نبقى مستعبدين للإنكليز بل نفضحي بأرواحنا في سبيل الانقلاب السياسي . أي قلب الحكومة الإنكليزية وطردها أعدائنا من بلادنا . وانا غادي وقاوم كل من يكون عقبة في سبيل هذا الانقلاب السياسي . وكذلك نحن نريد تغيير الهيئة الاجتماعية الحاضرة بعض التغيير . ونريد بث الاخلاق الفاضلة والعقائد السلفية في المسلمين . ولكننا نرى الحزب المادي يماشينا الى حد بعيد . ونرى الحزب الديني يماركنا في أول خطوة وقلبك ترون أننا قد وقفنا في مشكاة

« نحن لانحب الماديين ولكننا نريد الاستفادة من حركتهم ، ونحب الدينيين لاننا منهم، ولكننا لانستطيع تأييدهم لانهم أعداء لكل ما يرجي منه الخير حتى انهم أعداء الاسلام الصحيح

« اني أتمنى لو ترشدوني الى الخطوة الرشيدة في هذه المسئلة . أنا أواظب على قراءة الجرائد المصرية وأعرف ان الماديين في مصر أناس قوالون ، لا يعملون ولا يريدون أن يعملوا . ولا يعرفون كيف يعملون . وانما هم يريدون الظهور بالكلام الفارغ وبمخالفة أحكام الشريعة القراء . ولكن حالة الهند تختلف عن مصر اختلافا كبيرا (الى أن قال بعد وصف حالة الهند ووجه الحاجة الى جعل حركة الانقلاب مادية مانعه)

« فالرجاء أن تبينوا لي أفكاركم العالية وتشرحوا لي ما ينبغي أن يفعله أناس مثلي وهم الذين يريدون الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي مما " هذا ولا تؤاخذوني في بسط اعذارى وأفكارى لاني إن لم أصرح بها لكم فن الذي ألجأ اليه غيركم في هذه المسائل " اه المراد منه

١ « كتبت اليه انه يجب عليه هو ومن على رأيه من اخواننا طلاب الإصلاح المزدوج أن يكونوا وسطا بين الحزب المادي والحزب الديني حتى يجمعوا بينهما و يوحدوا وجهة المسلمين على منهاجنا الذي فصلناه في المنار

(جمود علماء المسلمين في الترك)

وانني أفني على هذا الشرح المؤثر لحالة المسلمين في الهند بكتبتين لرجلين من رجال الترك في جمود علماءهم ونفوذهم المانع من الترقى : رجل من أكبر علماء الإسلام المستنيرين ، ورجل من أشهر رجال الاتحاد المجاهدين ، ثم أذكر كلمة حكيم الشرق فيهم

(الرجل الاول) شيخ الإسلام موسى السكاظم رحمه الله تعالى كان يشرح لي في داره بضواحي الأستاذة ما يريد وضعه من الإصلاح لحكومة اليمن وهو جل أحكامها كلها شرعية ، وإنشاء محكمة تجارية واحدة في الحديدة مختص برؤية القضايا المتعلقة بالأجانب واليهود . قلت له اذا كنتم ترون التزام مذهب الحنفية فأنا أضمن لكم أن أخرج لكم من الشريعة الإسلامية الواسعة ما تحتاج اليه جميع السلطنة من الأحكام الموافقة لحال هذا الزمان الخ . قال أنا أعلم ان هذا ممكن ولكن ماذا فعل بمشايخ الفتوى غانه ؟

يعني ان كبار الشيوخ المنوط بهم الافتاء الرسمي للدولة عندهم في باب المشيخة الإسلامية هم الذين يمارضون في ذلك . وما علمته عنهم وعن شيخ الإسلام المتبد بهم في الفتوى أنهم لا يفتون بأحكام المجلة العدلية وهي كلها شرعية لان فيها ما يخالف القول المتمد في مذهب الحنفية التي عليه الفتوى في كتبها للتداوله (الثاني) الدكتور عبد الله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التي كان ينشرها في مصر قبل الدستور لانه كان مضطهداً لا يمكنه دخول البلاد المصرية وهو أحد المؤسسين لجمعية الاتحاد والترقي

هذا الرجل المجاهر بالاجاد كان يساعدني في الأستاذة في مشروع الدعوة والارشاد . وقال لي اذا نجحت في هذا العمل وأسست المدرسة الكلية الإسلامية فأنا أتبرع بالتدريس فيها وأجمل دروسي الصحية والعلمية على مشيخكم في الإصلاح الديني . قلت كيف وأنت تحارب الدين ؟ قال انما أحارب دين مشايخ الفاسخ والسليانية . لانه لا يمكننا أن نرتقي مع اتباع أفكار هؤلاء . وأما الدين

الاسلامى الذى يفهمه رشيد افندى رضا والشيخ محمد عبد فوه يساعده على الترقى وتنفع به الدولة فانا اول من يمتنى خدمته تحت رياستكم .
(وقد بلغنى بعد عودتي من الاستانة الى مصر انه قال لطالبت باشا وزير الداخلية وركن جمعيتهم في الحكومة : انكم اخطاكم ان تركتم رشيد افندى يسافر ولم تتفعلوا تشيئه (أي مشروع الدعوة والارشاد))

قد كان لعلماء الاستانة نفوذ عظيم في الامة والحكومة ليس لعلماء مصر منه أدنى نصيب فيجربوا باتهامهم بمقاومة الترقى المدني ، و أين هو ؟ ومتى قاوموه مقاومة عملية تخشاها الحكومة ؟ و انني لما عرضت مشروع الدعوة والارشاد على الصدر الاعظم حسين حلمي باشا رحمه الله تعالى قال لي : هذا مشروع عظيم ضروري للدولة ولكن تنفيذه عندنا يتوقف على قبول العلماء له وعلى موازنة جمعية الاتحاد والترقي وبما كلم شيخ الاسلام ليقنع العلماء ، وأكلم صادق بك ليقنع الهيئة المركزية للجمعية ، وأجتهد في إقناعها ببذل نفوذها في ذلك . وقال لي محمود شوكت باشا رحمه الله تعالى مثل هذا القول في نفوذ علماء الترك ثم قال : ان العلماء في بلادنا (اي العراق) ليس لهم مثل هذا النفوذ ولا ادري كيف حاله عندهم في مصر ؟
(كلمة السيد جمال الدين في علماء الترك)

وأما كلمة السيد جمال الدين التي أعنيها هنا ولها امثال من كلامه في غيرهم من علماء المسلمين فهي ما قاله في النازلة الآتية بيانها :

كان ميكادو اليابان ارسل في مودجوده في الاستانة كتاباً الى السلطان عبد الحميد يخطب فيه مودته ويقول ان كلا منا ملك شرقي ، ومن مصلحتنا ومصلحة شعوبنا أن تتعارف وتتواد ، وتكون الصلات بيننا قوية بنجاح الدول والشعوب الغربية التي تنظر البنا بين واحد ، و انني أرى شعوب الافرنج يرسلون الى بلادنا دعاة إلى دينهم لحرية الدين عندنا ولا أراكم تفعلون ذلك فانا احب ان يرسلوا البنا دعاة يدعون الى دينكم (الاسلام) ويمكن ان يكون هؤلاء صلة معنوية خفية بيننا وبينكم

اهتم السلطان لهذا الكتاب وأمر بتأليف لجنة من أكبر أهل الرأي عنده

في قصر يلدز للتشاور فيهم شيخ الاسلام وناظر المعارف و هو الوزير المختصان بهذا الموضوع من الجهة الرسمية ، والسيد جمال الدين الافغاني الأخص به من كل جهة ، وآخرون ، فاجتمعوا لدى السلطان في قصر يلدز ودارت المذاكرة فاستحسن شيخ الاسلام ووزير المعارف تأليف بعثة من علماء مدارس الآستانة لارسالها الى اليابان ، والسيد جمال الدين ساكت فوجه اليه السلطان النظر وسأله عن رأيه فقال ما حاصله : يا مولاي ان هؤلاء العلماء ينفرون المسلمين أنفسهم من الاسلام فكيف يناط بهم إقناع أمثال اليابانيين بالدخول فيه ؟ اتما الرأي ان يربي طائفة من الاذكياء ويعلموا تعليما خاصا يؤهلهم لقيام بهذا الواجب في هذا العصر ، ويكتفي جلالة السلطان الآن بارسال كتاب ودي الى الميكادو مع هدية لاقاة به ويذكر له في الكتاب ان ما اقترحه قد وقع في اعلى مواقع الاستحسان وسننظر في تنفيذه بالصلة المرضية ، فكان عمل السلطان بهذا الرأي ، ولكن دون تنفيذ اقتراح التسليم الخاص بالدعوة الى الاسلام

المقصد من موضوع التجديد

أما بعد فقد تقدم في التجديد الديني حديث «ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» وهو نص في الموضوع بلفظه وقد يننا معناه في أول المحاضرة وينحصر المراد منه بالرجوع بالدين إلى سهولته وهدايته كما كان في الصدر الاول وجمع كلمة المسلمين على ما أجمعوا عليه قبل التفرق والاختلاف ، وجعل ماعدا الفطمي منه مما يندر فيه كل فرد باجتهاده ، وكل مقلد باتباع المذهب أو العالم الذي وثق بعلمه ، من غير تعصب يفرق الامة الواحدة إلى شيع وفرق يماذي بعضها بعضا . ولنا في تفصيل هذا الاجمال وبيان مقالات كثيرة جصنا أهمها في كتاب خاص باسم (الوحدة الاسلامية) ومن وسائل هذا التجديد إحياء اللغة العربية بالكلام والكتابة والخطابة وتأليف الكتب بالاساليب العصرية السهلة وتعميم التعليم والتربية على القواعد الفنية ونشر الدعاة الاسلامية في العالم وإذا كانت الامة تحتاج إلى التجديد في إقامة أمر دينها وقد اكمل الله تعالى لها وحظ

عليها الا ابتداء فيه فهي أحوال إلى التجديد في أمور الدنيا التي تختلف مصالحها باختلاف الزمان والمكان وعرف الناس، والشرع يراعي ذلك كله كما هو مقرر في كتب الفقه والتجديد فيها نوعان : نوع يتعلق بالمصالح العامة وما يحتاج إليه من التشريع وقد حث الشارع على التجديد في هذا النوع بقوله ﷺ « من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء »، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء »، رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الله وإن من هذه السنن العامة وضع قواعد العلوم والفنون النافعة وإنشاء المدارس والملاجي والمستشفيات، ويستوي في هذا التجديد الافراد والجماعات والحكومات، ومنها ما هو خاص بالحكومة كالمصالح العسكرية التي يتوقف عليها حماية البلاد وحفظ الامنة من العدوان

وأما التشريع المتعلق به فهو موكول في الاسلام إلى أولي الامر، والجماعة للمعبر عنها بأصحاب الحل والعقد، فهم يقررون بالشورى بينهم، والاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من حيزهم، ولا سنة ماضية من سنن نبينهم، بشرطه المروفة في محلها، فإن الاجتهاد مع وجود النص ممنوع في الشرع وفي القوانين الوضعية جميعا والنوع الثاني ما هو من أمور المعاش كالزراعة والصناعة والتجارة وأمور الماديات التي ليس فيها مفسدة وقد وكله الشارع إلى تجارب الناس، وفي هذا قال ﷺ « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم من حديث أنس وعائشة (رض) وقال في معناه « ما كان من أمر دينكم فإلي وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به » رواه أحمد وجملة القول أن التجديد المشروع يشمل كل ما تمز به الامة والدولة من العلوم والفنون والصناعات والنظم المالية والادارية والعسكرية والبنات البحرية والبحرية والجوية، فكل ذلك يعد في الاسلام من فروض الكفايات التي تأثم الامة كلها بتركها والشرع لا يقيد بها فيما لا باجتناب الضرر والضرار والظلم (ومنه استغلال حاجة المعسر لا يأخذ الربا منه) مع قواعد إباحة الضرورات المحظورات وتقديرها بقدرها « ومراعاة الحق والعدل (لها بقية)

السنة والشيعة

(الاتفاق بينهما والوسيلة اليه ، ورأينا ورأي علامة الشيعة فيه)

قد علم قراء المنار ما سبق لي من السعي الخيث منذ ثلث قرن ونيف للاتفاق والوحدة بين المسلمين بالقول والعمل والكتابة والتصنيف ، وانني ألجئت في هذه الآونة الاخيرة إلى الرد على عالين من علماء الشيعة لكتابين لهما كانا من أكبر أسباب التفريق والتعادي ، وان أحدهما طعن في كتابه على ديني وعقيدتي وأخلاقي الخ والثاني طلب مناظرتي مدعياً استحالة الاتفاق والتعاون بين أهل السنة والشيعة الا أن ترجع إحدى الفرقتين إلى مذهب الاخرى في مسائل الخلاف الاساسية ويملكون انني لم أقبل الدخول في المناظرة على هذه القاعدة التي وضعها الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين إلا أن يقره عليها جمهور علماء الشيعة ، وطالبتهم ببيان رأيهم في زعمه هذا فلم يرد عليه أحد منهم - وانني افترضت لقاء مجتهد علمائهم الاشهر في هذا العصر الأستاذ الكبير الشيخ محمد آل كاشف الغطاء في القدس أثناء عقد المؤتمر الاسلامي العام ، فأطلعته على ما كتبه الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين وسأله رأيه فيه فأبكره أشد الانكار ، ووعد باجابتي إلى استنكاره والرد عليه كتابة كما اقترحت ليعلم ذلك من قرؤا تلك الدعوى في المنار ويقنعوا بأن اكبر علماء الشيعة يخالفونه فيه ، واشترط هو أن أسأله ذلك كتابة ففعلت

وذكرت في الجزء الماضي أن الجواب قد جاء من حضرة وانني سأشره في هذا الجزء إذ كان ردي على الأستاذ السيد عبد الحسين نور الدين في الجزء الماضي في موضوع طعنه في علم أمير المؤمنين عرين الخطاب (رض) قد طال حتى انتهت بي إلى آخر الجزء وكان له بقية استغثت عنها ، وقد قلت ان هذا الرد ليس رداً على الشيعة وإنما هو رداً على منكر علم عمر ، ولم يكن لي يد منه بعد نشر تلك النظريات الباطلة ، والروايات التي لا يعرف نأقلها درجتها من الضعف ، وقد حملها ما يتبرأ من حمل من سوء الفهم ، وإنني أنشر الآن جواب الاستاذ كاشف الغطاء ، وأقفي عليه بما يزيد الحقيقة كشفاً

﴿ جواب العلامة آل كاشف الغطاء ﴾

عقيدة الشيعة في الاتفاق

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * وله الحمد في السموات والارض ﴾

لما جئني المؤرخ الاسلامي العام للتعقد ليلة الاسراء في القدس الشريف بالعلامة الشهير ، امام السنة والحديث ، الاستاذ الميام ، صاحب منار الاسلام ، السيد محمد رشيد رضا نفع الله المسلمين بمنار علومه - دفع إلي كتاباً بخطه يتضمن السؤال عن عقيدة الشيعة في اخوانهم المسلمين من أهل السنة ، وأنه هل صحيح ما رجا يقال من أنه لا يمكن اتفاق الشيعة الامامية معهم على شيء ولو كان لصالح الفريقين إلا إذا رجعوا إلى رأي الشيعة فيما يخالفونه فيه ؟ - إلى أن قال دام تأييده - فأنت أيها الاستاذ أكبر مجتهدي الامامية فيما قد اشتهر في بلادنا ، وعلى قولك نتمدد الخ ما كتب - ونحن نرغب اليه أن ينشر هنا في الجواب على صفحات مناره الاغراميلي :

ان إجماع الشيعة الامامية من سلف إلى خلف ولعله من ضروريات مذهبهم لا يخالف فيه أحد من فضلائهم فضلاً عن علمائهم - ان من دان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولم ينصب المداوة والبغضاء لأهل بيت النبوة سلام الله عليهم فهو مسلم وسيله سبيل المؤمنين ، يحرم دمه وماله وعرضه ، وفحل مسادرته * ومصاهرته ، ولا تحل غيبته ولا أذيته ، وتلزم اخوته ومودته ، أخوة جعلها الله في حكم كتابه ، وعقدها في أعناق المسلمة من عباده ، فأصبحتم بنعمته إخوانا والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، وقد استفاض في السنة النبوية من طرق الفريقين أن للمسلم أخو المسلم شاء أو أبى ، والمسلم من المسلم كالعضو من الجسد الى كثير من أمثله هذا وما سجد الاسلام وصعد الى أعلى ذروات المزم والمجد إلا يوم كان محافظاً على تلك الاخوة ، وما انحط الى أسفل دركات السقوط والقلعة إلا بعد أن أضاع تلك القوة ، وشهد الله سبحانه أن ما ذكرته من عقيدة الشيعة الامامية في اخوانهم المسلمين هو الحقيقة الراهنة التي لا محاباة فيها ولا تقية ، وإن ظهر من كلام بعض الميام خلافها فقلعه من قمعور التمييز وعدم وقاء النيان : ومن شاء الزيادة في اليقين

(* كذا في الاصل ولعل أصله مصحف أو عرف

خُدُونَهُ الصَّحِيفَةَ السَّجَّادِيَّةَ لِلْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهِيَ زُبُورُ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَلْيَنْظُرْ فِي دَعَائِهِ لَا هَلْ الثُّمُورُ الَّتِي يَقُولُ فِي أَوَّلِهِ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَحَصِّنْ ثُمُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ ، وَأَيِّدْ حَمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ ، وَاسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَّتِكَ ، الْخِ الدَّعَاءَ عَلَى طَوْلِهِ - وَهَلْ يَشْكُ أَحَدٌ أَنْ حَمَاةَ الثُّمُورِ فِي عَصْرِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ (ع) أَغْنَى عَصْرَ بَنِي أُمَيَّةَ كَمَا وَانْ جَهْوَ الْمُسْلِمِينَ وَأَكْثَرَهُمْ بَلْ كُلَّهُمْ - مِنَ السَّنَةِ ، وَالصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ تَالِيَةُ الْقُرْآنِ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ فِي الْإِعْتِبَارِ وَحِمَاةِ السُّنَنِ وَالْقَصَارَى أَنِي أَعْلَنُ عَنِّي وَهَنْ جَمِيعٍ مَجْتَهِدِي الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ فِي النَّجَفِ الْإِشْرَافِ وَغَيْرِهَا - أَنْ اتَّفَاقَ الْمُسْلِمِينَ وَاشْتِرَاقَهُمْ فِي السَّعْيِ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْحِفَاظَةِ عَلَيْهِ مِنْ كَيْدِ الْإِغْيَارِ - لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مِنْ أَمْرِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَعْظَمِ خِرَائِضِهِ وَأَمٍّ وَظَائِفِهِ ، أَمَا الْفِرَاقَاتُ الْمَذْهَبِيَّةُ ، وَالزُّعْمَاتُ الْجَدَلِيَّةُ فَهِيَ عَقِيمَةُ الْفَائِدَةِ فِي الدِّينِ ، عَظِيمَةُ الضَّرَرِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَهِيَ أَكْبَرُ آلَاتِ الْمُسْتَعْمَرِينَ فَرَجَائِي إِلَى الْإِسْتِاذِ صَاحِبِ (الْمَنَارِ) أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مَا فَرِطَ مِنْهُ كَثِيرًا مِنْ التَّحْرِيشِ بِالشَّيْعَةِ ، وَنَشْرِ الْأَبْحَاثِ وَالْمَجَادَلَاتِ مَعَ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ ، وَالطَّنَنِ الْمُرَّ عَلَى مَذْهَبِهِمُ الَّذِي لَا يَشِيرُ سِوَى تَأْجِيجِ نَارِ الشَّحْنَاءِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْأَخَوِيْنَ ، وَلَا يَعُودُ إِلَّا بِلَاءَ الضَّمَفِ وَالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَنَحْنُ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ الْيَوْمَ إِلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ ، وَتَوْحِيدِ إِرَادَةِ الْأُمَّةِ ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ

وَالْإِسْتِاذُ الرَّشِيدُ - أَرْشَدَ اللَّهُ أَمْرَهُ - مِمَّنْ يَمُدُّ فِي طَلِيْمَةِ الْمُصْلِحِينَ ، وَكَبَارِ رِجَالِ الدِّينِ ، فَبِالْحَرْفِيِّ أَنْ يَقْصُرَ (مَنَارُهُ الْإِسْلَامِي) عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الْوِفَاقِ وَالْوِثَامِ ، وَجَمْعِ كُلِّ الْإِسْلَامِ ، وَتَشْجَاقِي فِي كُلِّ مَوْثِقَاتِهِ - سِيَا فِي تَفْسِيرِهِ الْخَطِيرِ - عَنْ كُلِّ مَا يَمَسُّ كِرَامَةً ، أَوْ يَثِيرُ عَصَبِيَّةً أَوْ حَمِيَّةً ، أَوْ يَهْجِجُ عَاطِفَةً ، وَأَنْ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، قَانَ ذَلِكَ أَنْجَمٌ وَأَنْفَعٌ ، وَأَعْلَى دَرَجَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأَرْفَعُ ، وَعَلَى هَذِهِ خَطَايَا وَخَطِيئَاتِي ، وَهِيَ دِينِي وَدِينُكَ عَلَيْهِ أَحْيَا وَعَلَيْهِ أَمُوتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وَالِيهِ تَعَالَى أَرْغَبُ وَأَتَهَلُّ فِي أَنْ يَجْمَعَ كُلُّنَا عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى حَتَّى نَكُونَ يَدًا وَاحِدَةً فِي نَصْرَةِ هَذَا الدِّينِ الْخَفِيفِ أَنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

حرره في زاوية النجف الاشرف المقدسة يوم
المنصف من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٠

[انثار] هذائن الجواب اللوغود من سماحة العلامة الواسع الصدر، الجليل
 القدر، وهو على حسنة ولطفه دون ما سمعت منه بالمشافهة، ودون ما كنت أتوقع
 من الصراحة، جاء مجملًا ليس حراً في الفصل، لم يذكر فيه كلمة الخصم الشنماء وإنما
 أشار إليها « ربما يقال » وحصر كلامه في رأي الشيعة الإمامية في « اخوانهم
 المسلمين » وقال انها مجمع عليها بالشرط الذي ذكره، وانه « إن ظهر من كلام بعض
 العلماء خلافها قلعله من قصور التعبير وعدم وفاء البيان » فتضمن قوله هذا الاعتذار
 عن الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين بأنه ليس فيه الإقصور والتعصير عن مذهبهم
 وعدم وفاء البيان به، وهذا السيد ليس ضعيف البيان بل هو فصيح العبارة قلما يوجد
 في معاصريه مثله في حسن بيانه وصراحته، وهو يرى ان أكثر الصحابة والسواد
 الأعظم من المسلمين من بعدم قد « نصبوا العداوة والبغضاء لاهل بيت النبوة سلام
 الله عليهم » من عهد أبيهم علي كرم الله وجهه الى الآن، وكذلك الامة العربية في
 جعلتها كما يعلم من كتابته الاولى من كتاباته الثلاث، وحجته الكبرى على ذلك تقديم
 غيره عليه بالخلافة ويليها من الحجج مخالفة أهل السنة لما يفهمه هو بوجوده من
 الروايات الصحيحة في مناقبه ولما يذكره من الروايات الباطلة فيها، ويطعن في حفاظ
 السنة حتى البخاري ومسلم لعدم روايتها، فهو يعدم كلهم من النواصب المتبعين لغير
 سبيل المؤمنين - فهو يسلّم ما قاله العلامة كاشف الغطاء من ان عدم نصب العدا لاهل
 البيت شرط لصحة الاسلام ولا يلة أهل ولا يراه ردا عليه أو تخطئه ؟ وكذلك
 السيد محسن الماملي لا يعدم ردا على كتابه الذي يمدني فيه مع الوهابية غير متبعين
 لسبيل المؤمنين لاننا ننكر الحجج الى للشاهد وعبادة قبور أهل البيت او عبادتهم بالادعاء
 والطواف بقبورهم، ولكننا نبيد الله تعالى بالصلاة على نبيه وعلى آل بيته في الصلاة
 وغيرها، وتقرب اليهم بمحبهم ولا يتهم، وبالحكم على من ينصب لهم العداوة والبغضاء
 بأنه عدو الله ورسوله . وهذا القول يقول جميع أهل السنة من الوهابية وغيرهم .
 ولا يرون القول بصحة خلافة الراشدين كما وقعت ووجوب حبهم وحب سائر الصحابة
 منافيا لذلك . فما قاله الاستاذ في ناحية الشيعة مجمل غير كاف ولا شاف .
 بيد أنه عند ما توجه إلى ناحية السنة وأهلها تفضل على صاحب النار بالصيغة

أن لا يعود إلى «ما فرط منه كثيراً من التحريش بالشيعة» الخ وهو يعلم أن صاحب المنار كان مبدوءاً لا بادئاً ومدافعا لا مهاجماً ، ولم يكن محرشاً ولا متحرشاً ولم يكن يخفى على ذكاء الاستاذ ما يكون لهذا الجواب عندنا من كلتي ناحيتيه وما ضمه بين قطريه — وهو ما رأينا من حسن التدقيق الاكتفاء بالإشارة إليه ، فشفعه بكتاب شخصي ، يتضمن الاعتذار عما توقعه من تأثير الجواب السليبي ، قال فيه بعد الاعتذار عن تأخيريه بما هو مقبول :

ما قاله العلامة في كتابه الشخصي

« نأمل من أطرافه تعالى انكم لا تزالون ممتعين بالصحة والعافية ، والعز والكرامة ، مستمرين على مناجمكم الدائب في خدمة العلم والدين ، وكونوا على ثقة من اننا لا تزال ندعو لكم بالتأييد والتسديد ، وان يجعل الحق مناركم عالماً ، ونور معارفكم لظلمات الجهل ماحياً ، ولا تزال ذكرى أخلاقكم الطيبة وغوارفكم الذكية ماثلة في نفوسنا ، شاخصة أباننا

» وتجدون مع هذا الكتاب جواب الرقيم الذي تفضلتم به وأرجو أن تجلبوه كافياً شافياً ، وتشرروه على صفحات مناركم الزاهر ليم النفع به ، ويكون إحدى همزات الوصل بين المسلمين ، وممزق ما نسجته عناكب الاوهام على ذلك الصرح المشيد ، وهي الغاية التي تنوخواها في جميع جهودنا ومساعدتنا ، ولعلكم أحرص عليها منا ، وما التوفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب

» وقد تجاوبت عن ذكر القائل بتلك المقالة القريبة والتي لا يوافقها عليها أحد نظراً لبعض الملاحظات التي لا تخفى عليكم (ان تجدعيها فسدً اخلاقاً) المراد منه [المنار] ان عبارة هذا الكتاب ، تكشف لنا الغطاء عما خفي في ذلك الجواب ، بما تنطوي عليه جواهر كتابها من أريحية إسلامية ، تأتلف بها معارفه العقلية وغوارفه القلبية ، وعما رأى أنه مضطر اليه في مقامه من الرياسة في علماء المذهب من مداراة الدارك المتفاوتة ، والوجدانات المودونة ، واكتفائه من صدق لقيه (كاشف الغطاء) ان يبلغ غايته في الدروس القلبية ، والفنون العقلية والنوعية ، ويقف فيما دونها من مهابت الاهواء الطائفية والمذهبية ، التي تختلف فيها

الافهام، وتزاحم الاوهام، موقف مراعاة الجامدين، ومداواة المتصمين، اهتداء بما روي في الصحيح عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: تحدثوا الناس بما يعرفون أتريدون ان يكذب الله ورسوله. وروي عنه انه كان يقول: ان هنا لعلماً جماً لا أجد له حلة. وأشار الى صدره - ثقله صاحب نهج البلاغة - فهذا ما أشرحه من عذر صديقي في إجهاله في الجواب، على ما فيه من موضع النظر، ووضع إيادي بالتحريش والطنن المر بالشيعية، ومطالبي بالكف عن العودة الى ذلك مبعراً عنه بلفظ الرجاء، واحتشابه الانكار على أولئك المهاجرين، وما هو بالمدر القدي برضاء منه جميع القارئین سيحدثني صديقي العلامة المصلح عند رجائه ان شاء الله تعالى، نيد اني أرى أن ما نسعى اليه من جمع الكلمة، ووحدة الامة، لا يرحى نجاحه من طريق الدين إلا بسمعي علماء الطائفتين له على القاعدتين اللتين رفعا بنيانها في المنار (الاولى) تتعاون على ما تنفق عليه، ويمدربعضنا بمضا فيما يختلف فيه (والثانية) من اقترف سيئة من التفريق والعداء أو غير ذلك من احدى الطائفتين يقول أو كتابة قالوا يجب أن يتولى الرد عليه العلماء والكتاب من طائفته، وإذا لم يكن صديقنا الاستاذ الكبير آل كاشف الغطاء هو الامام القدوة لمن ينهضون بهذا الإصلاح وهو هو في رياسته العلمية وثقة الطائفة باخلاصه ونصحه، فمن ذا الذي يتصدى له من دونه؟ إن المبالغة في مداواة القاصرين، ثقف بصاحبها دون ما هو أهل له من زعامة المصلحين، كان استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر نسيج وحده في علماء سورية الجامعين بين علوم الشرع والوقوف على حالة هذا العصر، ولولا مبالغته في مداواة الجامدين من المعلمين وكذا العوام أيضاً لكان ثالث السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده في زعامة الإصلاح، وانني قد صارحته باستنكار هذه المبالغة في الداراة مشافهة له وهو ما انتقدته على كتاب الرسالة الحديدية له من اراد المسائل العلمية التي لاشك فيها بصبارات تدل على الشك فيها واحتمال محنتها بالفرض والتسليم الجدلي، ثم قلت له: وقد اعتذر بمداواة الجامدين: اذا لم يكن مثل مولاي الاستاذ في مكانته من سعة العلم والصلاح يجرى المسلمين على الجزم بالمسائل العلمية التي يستفكرها أو يحيلها الجمهور - فمن ذا الذي يجرهم على هذا ولا يخشى اعتراض الجاهلين؟

فأرجو من الاستاذ الكبير كشف الغطاء ان يتأمل ما ذكرته من توقف التوفيق والتأليف على بنائه على القاعدتين المنارتين عسى ان يجد عنده قبولاً ، ولا يخفى عليه أن علماء الدين اذا لم يجمعوا كلمة المسلمين جهديته على القيام بمصالحهم المشتركة فقد يغلبهم الملاحدة المتفرنجيون على أكثرهم ، ويقنعونهم بان الدين أكبر المصائب عليهم ١١

﴿ السيد محمد بن عقيل بن يحيى ﴾

ذكرنا في آخر الجزء الاول من هذا المجلد (٣٢) خبر وفاة هذا السيد النبيل واننا شرعنا في كتابة ما نرى فيه الفائدة والمبرة من سيرته ، واضطررنا إلى تقديم خيرة والدتنا بالنشر عليها . وقد سافرنا بعد ذلك إلى القدس لحضور المؤتمر الاسلامي العام وبعد العودة إلى مصر والشروع في طبع الجزء الثاني أردنا أن ننشر فيه ما كتبنا من سيرته وتزيد عليها فضلت عنا فلم نجد لها ، فلا ندري أسقطت في الورق المهمل الذي يخرج من الخادم من مكتبنا أم ضلت بين أوراق أخرى . وقد نشرت ترجمته رحمه الله في كثير من جرائد الاقطار الاسلامية ، وعقدت له جلسات تأيين في مصر وجاوة ، وانني أفي بوعدني بنشر شي من سيرته استأنف كتابته فأقول : كان رحمه الله تعالى قوي الجسم والعقل ذكي القهن ، زكي النفس ، عالي المعية ، واسع الاطلاع على الكتب الاسلامية من شرعية وأدبية وتاريخية ، مختبراً لأهل هذا الزمان ، عارفاً بشؤون السياسة الدولية ، وأحوال الشعوب الشرقية والغربية ، فأن له عدة رحلات من بلاده حضرموت إلى جاوه والحجاز ومصر والهند والصين واليابان وأوربة الشرقية والغربية

وكان قوي الذاكرة ، حسن المذاكرة ، ذا بديهة حاضرة ، وعارضة ماضية ، وعبارة سليمة في الكتابة ، لا ركاكة فيها ولا براعة ، ولا أعلم شيئاً عن خطه من الخطابة . وكنت أول عهدي بطلب العلم بطرابلس الشام أقرأ في التلويذ مقالات معزوة إلى الرحلة سيف الدين اليمني ثم علت أنها له

وأما أخلاقه فصفها مشئت من عزة نفس ، وسخاء كف ، وشجاعة وإقدام وغفة وورع ، ووفاء ومروءة ، واهتمام بالمصالح العامة القومية والمالية ، ولولا أنه شغل بالتجارة لكان من أكبر زعماء الامة العربية ودعاة الاصلاح الاسلامي فيها

وكان كثير الزواج يجمع ماطالب له من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وكثير النسل والانتاج ، أخبرني سنة ١٣٣٠ أن أولاده وأحفاده يزيدون على خمسين نسمة .
 وهم متفرقون في بلاد مختلفة ، وانه لا يعرفهم كلهم بأشخاصهم ، وانه لا يعلم عدد من مات منهم ، ولم يكن هذا يشاغل له عن أعماله التجارية ، ولا عن أبحاثه العلمية والسياسية .
 وقد نشأ على مذهب الشافعية تربية وتعلما وعملا ، ولكنه كان مع ذلك مستقل
 الفكر في المسائل العلمية والدينية لإقيامه لك وجدانه من شعور السيادة ولوازم عصيته
 ولما ظهر للنار في أواخر سنة ١٣١٥ بدعوته الإصلاحية في الدين والاجتماع .
 واللغة كان من السابقين إلى الاشتراك فيه ثم عني بنشره في سنا فورة وجاؤه وسائر
 الجزائر الاندوسية ، واتصلت المودة والمكانة بيننا بقوة وحرارة ، ثم قبرت في
 السنوات الاخيرة لما سأذكره ، وقد أنشأ في جاؤه مع بعض الاخوان مطبعة ومجلة
 اسلامية سماها (الامام) وكتب إلي أن الغرض منها نشر مقاصد للنار الإصلاحية
 بلغة البلاد الملاوية ، وان جل أعياده فيها على ما يترجمه عنه

وأول خلاف في الآراء وقع بيننا مسألة « لمن معاوية » وكان دعاة التشيع
 من العلويين قد أثاروها في جاؤه اواندوسية كلها واستغثت فيها فأفقت بعدم
 الجواز وبينت ما في هذا الشقاق من الضرر والفرق بين المسلمين بدون مصلحة
 راجعة تقابله ، وفيها ألف كتابه المشهور (النصائح الكافية) وعذر كل منا أخاه في اجتهاده
 ثم تفاقمت دعاية الرفض والعلو في آل البيت وسلائهم في تلك الجزائر فكان
 من زعمائها بالتبع لاستاذ السيد ابن شهاب كما بينت ذلك في ترجمة هذا عقب
 وقاته ، ولكنه لم يكن داعية لما وراء ذلك من الحرافات كمباداة الملوك من السادة وغيرهم
 من الصالحين بدعائهم والطواف بقبورهم ، ولما كان العلو والافراط في طرفي كل امر
 يثير العلو في الطرف الآخر ، ظهر في تلك الجزائر خصوم كثير من السادة العلويين
 وتفاقم الخلاف ، واستقرى به الشقاق ، وهو ما كنا نحشاء وننوقه ، وظهرت في
 اثناء ذلك جمعية عربية باسم (جمعية الارشاد) غرضها إنشاء المدارس ونشر التعليم الديني
 والمدني الذي تقتضيه حالة العصر من الاستقلال واحياء هداية الكتاب والسنة ومقاومة
 الحرافات الفاشية من طرق الابتداع في الدين وجرد ذلك الى انكارهم على العلويين ترفهمهم

بأنسابهم على الناس بما بعد احتقاراً لعلماهم وأهل الوجاهة منهم، وأفرط بعضهم في ذلك وقد طلبت مني جمعية الارشاد مرة أن أختار لها بعض المعلمين لمدارسهم من مصر فاجبتها الى ذلك بما أمرنا الله تعالى به من التعاون على البر والتقوى، وإنما يقومان على أساس العلم، فكتب إلي السيد محمد بن عقيل عفا الله عنا وعنه كتاباً ينكر علي فيه مساعدة هذه الجمعية الضالة المضلة في زعمه بل وصفها بما هو أقيح من ذلك، ثم أذاع بعض المالوين أنني أنصر الارشاديين عليهم، وهم مخطئون، فأنا لا أنصر إلا ما أعتقد أنه الحق ولو كنت أتبع الهوى لكن هو أي مع المالوين لا أنني منهم وأهل العلم الصحيح منهم يعلمون ذلك.

وقد علمت منه أنه ترك مذهب الشافعي لا إلى اتباع الدليل بل إلى تقليد مذهب العترة أو آل البيت (أي مذهب الزيدية) وأخبرني أنه حاول إقناع الملك حسين بنشر هذا المذهب في الحجاز والحكم به دون مذهب أبي حنيفة الذي أجبرت دولة الترك شرفاء مكة على تقليده - فلم يقبل فغضب عليه، ولعل هذا بسبب ما أرسله الي من مكة وقتل في الطعن على الملك حسين، ووصف ظلمه واستبداده وقسوته في سجنه وغيره مما نشرته وقتلته، واعتمدت عليه في الخطاب العام الذي وجهته الى العالم الاسلامي في القيام عليه

ثم سعى لدى شيخ الازهر في مصر لتقرير تدريس هذا المذهب في الازهر، فلم يقبل، وأنا لم أنكر عليه هذا السعي لأن مذهب الزيدية في الفقه كثيره من المذاهب الاربعة التي تدرس في الازهر وقليلاً يخالف بعضها في حكم الا ويكون موافقاً لآخر منها. وإنما كنت أعارضه قولاً وكتابة هذا القل في المالوين الذي تأباه حالة البشر الاجتماعية في هذا العصر الذي فشلت فيه فكرة المساواة وما يسمونه (الديمقراطية) وهم مما يكن من غلوهم في تعظيم آل البيت النبوي قلن يصل إلى غلو من قبلهم من الشيعة الظاهرية والباطنية وكله عرضة للضعف فإزوال

وقد عرضت عليه وعلى غيره في تلك الاثناء رأياً لم يجد المالوين من الحضارة ولا من غيرهم أمثل منه لآحياء مجد آل البيت النبوي وحمل جميع المسلمين على حفظ كرامتهم وإعلاء شأنهم وتفضيلهم على غيرهم بالطوع والاختيار وهو ما سأذكره في النبذة التالية إن شاء الله تعالى



قال عليه الصلاة والسلام ان لا يسلم من ضربي • ونا • كذا الطريق

ذي الحجة سنة ١٣٥٠ هـ في برج الثور سنة ١٣١١ هـ أبريل سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير القرآن الكريم في ضوء أصوله وخصاله

(بقية خلاصة سورة براءة — التوبة)

الباب الثالث

في دين الاسلام وما في السور من حججه وأصوله وصفاته أهله وفيه ٣ فصول

(الفصل الاول في حجج الاسلام من البشارات والندى والاحبار والتب وهي عشرة)

(الاولى) قوله تعالى في الآية الاولى (واعلموا انكم غير ممجزي الله وأن

الله مخزي الكافرين)

(الثانية) قوله (١٤) قاتلوا من ينهكم الله بأيديكم ويخزكم وينصركم عليهم)

(الثالثة) قوله في الآية (٢٨) وان ختم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله)

(الرابعة) بشارته بخذل اليهود والنصارى فيما يحاولون من إطفاء نوره تعالى (الاسلام) ووعده بإتمامه وإظهار دينه على الدين كله وذلك في الآيتين (٣٢ و ٣٣) يريدون أن يطفئوا نور الله بأقوامهم - إلى قوله - ولو كره المشركون (الخامسة) قوله تعالى (٦٤) يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم (السادسة) قوله (٦٥) وإن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب (الآية ولعلك كله ولما سألني قال (٧٨) ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) (السابعة والثامنة والتاسعة) قوله (٩٤) يستذرون اليكم إذا رجعت إليهم فلي لا تشعروا أن تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم) الآية وقوله (٩٥) سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم - وقوله (٩٦) يحلفون لكم لتعرضوا عنهم) الآيات وهي أظهر في خبر الغيب من قوله (٥٦) ويحلفون بالله أنهم لنحكم) وقوله (٦٢) يحلفون بالله لكم ليرضوكم) لاحتمال أن يكون الأخبار بهذين الحلفين بعد وقوعهما ليان غرضهم وما في باطنهم وهو تعليل حلفهم في الآية ٩٦ (العاشرة) قوله (١٠١) ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) أي في الدنيا وقد تم كل ذلك وصدق وعد الله ووعده

وفي السورة أخبار أخرى بالغيب يحتمل أن تكون من باب طبيعة المعبران وسنن الله في البشر وترى مثاله في الفصل الثالث من الباب الأول

(الفصل الثاني)

(في صفة الاسلام ومدخله وأهم أصول التشريع فيه - وفيه عشرة أصول) (الاصل الأول) أن دين الاسلام هو نور الله تعالى العام، وهذه الكلمتان اللتان اللذان نسخ به ما تقدم من الأديان، ووعده الله عز وجل بإتمامه، وخذلان مريدي إطفائه، وذلك نص الآيتين (٣٢ و ٣٣) وتجد في تفسيرهما [من ص ٣٨٣ - ٣٩٤ ج ١٠] ما لا تجد مثله في شيء من كتب التفسير الأخرى من إظهاره على جميع الأديان، بالحجة والبزهان، والهداية والعرفان، والطم والمعران، والسيادة والسلطان

(الاصل الثاني) مدخل الاسلام ومفتاحه وما يتحقق به وهو قوله تعالى
 في المشركين (٥) فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ويؤكد كدها
 قوله (١١) فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخلواكم في الدين) والراد
 التوبة من الشرك ويحصل بالافرار بالشهادتين ، وتجد في تفسيرهما خلاف العلماء
 في كفر تارك الصلاة ومافع الزكاة من أفراد المسلمين (ص ١٦٨ و ١٨٧ ج ١٠)
 (الاصل الثالث) بناء الاسلام على العلم الصحيح دون التقليد الذي ذمه
 القرآن في آيات كثيرة وشنع به على المشركين . ودليله في هذه السورة قوله تعالى
 في تمثيل الامر بجارة المشرك الحربي في دار الاسلام ليسمع القرآن (٦) ذلك بأنهم
 قوم لا يعلمون) وقوله في الآية (١١) ونفصل الآيات قوم يعلمون) وأصرح منها
 قوله في مقالة أهل الكتاب (٣١) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) مع
 تفسير النبي ﷺ ذلك باتباعهم إياهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم [ص ٣٦٣ ج ١٠]
 [الاصل الرابع] ان التكليف العام من العبادات والحلال والحرام الديني
 لا يثبت الا بنص قطعي وهو ما كان عليه السلف الصالح وأصل مذهب الحنفية
 وشاهده في هذه السورة قوله تعالى [١١٥] وما كان الله ليعضل قوماً بعد إذ هداهم
 حتى يبين لهم ما يتقون] وبيانه في تفسيرها [ص ٦١ ج ١١]
 (الاصل الخامس) جهاد للمشركين في سبيل الله وعدم السماح لهم بالاقامة في
 بلاد العرب أو بدخولها في الاسلام وهو في آيات منها الآية التي سموها آية للسيف
 وهي الخامسة (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)
 وهي غير ناسخة لآيات الغزو والفتح والإعراض عن المشركين كما قيل
 وترى في تفسيرها تحقيق الآيات الناسخة والمنسوخة (ص ١٦٦ ج ١٠) وستأتي
 أحكام القتال وقواعده في الباب الرابع الآتي
 (الاصل السادس) جمل الغاية من قتال أهل الكتاب أداء الجزية لنا بشرطها
 إلا أن يدخلوا في الاسلام . وهو في الآية ٢٩ وستذكر في أحكام القتال
 [الاصل السابع] للسواة بين الرجال والنساء في ولاية الايمان المطلقة وصفاته
 الشخصية والامة للمشركة في قوله (٧١) وللؤمنون والؤمنات بعضهم أولياء بعض

يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله (ويدخل في إطلاق الولاية ولاية النصر والدفاع عن الامة والبلاد، إلا انه لايجب على النساء القتال الا في حال النفير العام (ص ٥٤١ ج ١٠)
(الاصل الثامن) المساواة بين الرجال والنساء في جميع نعم الآخرة تبعاً للمساواة في التكليف ، وهو نص قوله تعالى (٧٢ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات) الخ (الاسلان التاسع والعاشر) وجوب طلب العلم والتفقه في الدين - وجوب بث العلم مقرونا بالوعظ والانتذار الذي يرجى تأثيره النافع - وهما في الآية ١١٦ وفي السورة من أصول الايمان عقيدة البعث وجزاء المؤمنين والكافرين والمنافقين في آيات كثيرة كسائر القرآن (تراجع الآيات ٣ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢١ و ٢٢ و ٣١ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٩ و ٦١ و ٦٣ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٤ و ٨١ و ٩٥)
وفائدة هذا التكرار أن ترسخ هذه العقيدة في قلوب المتعبدين بتلاوة القرآن بكثرة تذكرها في المواضع المختلفة من ذكر الاعمال التي يترتب عليها ذلك الجزاء وان من ضروب إعجاز القرآن أن يرد فيه للمعنى الواحد في العشرات أو المئات من المواضع ، ولا يمل تكراره القاريء ولا السامع

﴿الفصل الثالث﴾

(في آيات الايمان الصادق وصفات أهله وطبقاتهم وفيه ٣٢ شاهدآ)

(الشاهد الاول) آية صدق الايمان للميزة بين الصادقين والمنافقين ومرضى القلوب التي تظهر بالامتحان وهو الجهاد وحفظ أسرار الله والدولة أن يفضى بها إلى وليجة أو بطانة من دون المؤمنين ومنهم جواسيس الاعداء . وهو نص الآية ١٦ (ص ٢٠٢ ج ١٠)

(٢) آية صدق الايمان وما ينافيه من ولاية الآباء والاخوان الذين يستجوبون

الكفر على الايمان في الآية ٢٣ (ص ٢٢٣ ج ١٠)

(٣) آية صدق الايمان تفصيل حب الله ورسوله والجهاد في سبيله على حب

الآباء والابناء والاخوان والمشييرة والمال والتجارة والمساكن المرضية . وذلك
مفصل في الآية ٢٤ وتجد من بيان معانيها في تفسيرها مالا تجد مثله في شيء من
كتب التفسير (ص ٢٢٥ - ٢٤٢ منه)

(٤) أخوة الاسلام الدينية في الآية ١١ وتفسيرها في (ص ١٨٧ و ١٩٠)
(٦٥) عمارة مساجد الله حسا ومعنى وعدم خشية أحد إلا الله في الآية ١٨
(٧) ولاية بعض المؤمنين لبعض ذكروا وإنا أنا (٨) الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر (٩) طاعة الله ورسوله - في الآية ٧١*

(١٠) صفات المؤمنين المعيزة لهم من الناقضين في المقابلة بين الآيتين ٤٤ و ٤٥
(ص ٦٨ و ٤٦٩) وبين الآية ٦٨ وما بعدها (ص ٥٣٣) والآية ٧١ وما بعدها
(ص ٥٤١) والآية ٨٦ وما بعدها (ص ٥٨١) والآية ٨٨ وما بعدها (ص ٥٨٢)
وبين الآيتين ٩٨ و ٩٩ (ص ١٢٩ - ١٣٠ ج ١) وبين الآيات ١٢٤ - ١٢٧ (ص ٨٢ منه)
(١١) طبقات خيار المؤمنين الثلاث: المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
في الآية التامة لثلاثة (ص ١٣٣ منه) وفي الآية ١١٧ (ص ٦٤ منه)

(١٢) المؤمنون الذين خلطوا عمل صالحا وآخر سيئا في الآية ١٠٢ (ص ٢٠
منه) والمؤمنون الذين أرجأ الله قبول توبتهم في الآية ١٠٦ (ص ٣٥ منه)

(١٣) الاخلاص في الاتفاق في سبيل الله ابتغاء القربى عند الله ، وصلوات
الرسول أي أديته - الآية ٩٩

(١٤) العمل النافع للدين والدنيا والذي رضي الله ورسوله والمؤمنين - الآية ١٠٥

(١٥) حب التطهر من الادران الحسية والارجاس المعنوية - الآية ١٠٨

(١٦) بيع المؤمنين أنفسهم وأموالهم لله تعالى بالجنة في الآية ١١١

(١٧-٢٥) صفات هؤلاء المؤمنين : التوبة . العبادة الخالصة . الحمد لله على كل

حال . السياحة . ركوع الخضوع . سجود الخشوع . الامر بالمعروف والنهي عن

المنكر ، والحفظ لحدود الله في الآية ١١٢

(*) وفي هذه الآية اقامة الصلاة وابتداء الزكاة وهما أهم أركان الاسلام العملية كما تقدم في ذكر أصوله

- (٢٦) آية المؤمنين عدم الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى - الآية ١١٣
 (٢٧) تقوى الله عز وجل (٢٨) ملازمة الصادقين - الآية ١١٩
 (٢٩) التفقه في الدين (٣٠) إنذار الناس وتعليمهم - الآية ١٢٢
 (٣١) المغلظة في القتال على الكفار المحاربين - الآية ١٢٣
 (٣٢) زيادة الايمان وقصه بنزول القرآن في الآيتين ١٢٤ و ١٢٥

الباب الرابع

(في المسائل المالية والمسكرية والسياسية ، وما فيها من احكام القتال والمهود . وفيه ٣ اصول)

﴿ الفصل الاول في احكام الاموال ﴾

(تقدم في سورة الانفال احكام القتائهم وما في منهاها من أموال الحرب وفرض الخمس فيها ومصارفه وحق آل الرسول ﷺ فيه وحكمته وما للامة فيه من المصلحة ، وبيان أنواع الاموال الشرعية في الاسلام وامهات مقاصدها في القوة الاسلامية . فاف في هذه السورة متم لما قبله في الاموال كما انها شتمت لما فيها من احكام القتال وشؤون المنافقين والكفار

والكلام في هذا الموضوع ثلاثة أقسام (١) المسائل الدينية والاجتماعية في الاموال
 (٢) أنواع الاموال ومصارفها (٣) فوائد اصلاح الاسلام المالي للبشر

(القسم الاول)

(في مكان اتفاق المال من الايمان ، والبخل به من النفاق ، وفيه ١٠ مسائل)
 (المسألة الاولى) كون الزكاة المينة أحد أركان الاسلام لا تقبل دعواه بدونها ، ولا تحصل اخوته الدينية الا بأدائها ، واعتبار ما فيها من الجماعات مرتدين يجب مقاتلتهم وفي الأفراد خلاف تقدم تحقيق الكلام فيه . ونص ذلك في قوله تعالى (٥ - فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقوله (١١ - فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) ويؤكد كده عدد الزكاة كالصلوات من صفات المؤمنين الراضحة في آية (٧١) والؤمنون والؤمنات بعضهم أولياء بعض) الخ

(٢ م) كون بذل الاموال في سبيل الله آية الايمان الصحيح وقوام الدين، ومن شواهد الآيتان المشار اليهما آفا في فريضة الزكاة، ومنها الآية (٢٠) الذين آمنوا وعاجروا واجهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) إلى قوله في الآية (٢٢) إن الله عنده أجر عظيم * ومنها الوعيد الشديد لمن أمواله ونجارته وسائر حظوظه أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله في الآية (٢٤) ومنها قوله تعالى في آية النفي العام (٤١) انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) وقوله (٤٤) لا يستأذك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) ويتم معناها الآيتان بعدها ومنها قوله تعالى (٥٥) فلا تسحبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليغنيهم بها في الحياة الدنيا)

(٣ م) كون البخل والامتناع عن الانفاق في سبيل الله آية الكفر والنفاق فمن شواهد عدم قبول نفقة المناقين وكون أموالهم بلاء ووبالا عليهم في الدنيا والاخرة في الآيات ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ (ومنها) لمز المناقين ^{لنبي} في قسمة الصدقات لقطع في اللال في الآية ٥٨ (ومنها) وصف المناقين بالبخل وقبض الايدي عن الانفاق في قوله (٦٨) المنافقون والناقصات بعضهم من بعض إلى قوله ويقبضون أيديهم) ويؤكد هذا ضرب المثل لهم في الآية ٧٠ بعدها بالذين من قبلهم من المنورين بالقوة والمال ووصف المؤمنين بعدها بصفات منها (إيتاء الزكاة)

(ومنها) قوله تعالى (٧٥) ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية والوعيد الشديد على البخل في الآيات التي بعدها (ومنها) لمز المناقين للمتطوعين من المؤمنين في الصدقات في الآية ٧٦ (ومنها) فرح المخلفون بمقدم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) الآية

(٤ م) وصف كثير من رؤساء الدين من أهل الكتاب بأكل أموال الناس بالباطل تحذيراً من فعلتهم، ورضا قدر كل مسلم أن يسف ويسفل إلى درجتهم

(٥ م) الوعيد على كنز الاموال وعدم انفاقها في سبيل الله في الآيتين (٣٤ و ٣٥) يأيا الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل — إلى قوله — فذوقوا ما كنتم تكذبون)

(٦ م) آية (٩٨) ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً (وم مناقوم كفي
أسد وغطفان كانوا يعطون الصدقات رياء وخوفا لا يرجون منها نقضا بتأييد الاسلام
ولا ثوابا في الآخرة لعدم ايمانهم، فهي في نظرم منارم يلتزمونها لصدقوا بما
يظهرون من اسلامهم، وهكذا شأن المناهقين في الدين وفي القومية والوطنية لا يبذلون
شيئا من مالهم لاجل المصلحة العامة، بل للرياء والسعرة، وهو في نظرم غرامة
(٧ م) آية (٩٩) ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ
ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول (وم بنو أسلم وغفار وجبينة وحسبك
شهادة الله تعالى لهم بصدق ايمانهم وحسن نيتهم في نفقاتهم، وحكمها عام
(٨ م) الرغبة في الصدقات بالتيسير عن قبولها والاثابة عليها باخذ الله
عز وجل لها كما في الآية (١٠٤)

(٩ م) الرغبة فيها بقوله تعالى (١١) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
واموالهم بان لهم الجنة (الآية)

(١٠ م) فضل التبعة في الجهاد قلت او كثرت وكون الجزاء عليها احسن
الجزاء وهو نص الآية (١٢١) وتفسيرها في ص ٧٦ ج ١١

(القسم الثاني)

(أنواع الاموال الشرعية وأحكامها بالاجمال ومصارفها وفيه ١٤ مسألة)

(١) مال الجزية — وقد بينا معناها وتاريخها وأحكامها وشروطها في تفسير
آية الجزية (٢٩) وهو في ص ٢٨١ — ٣٠٦ ج ١٠

(٢) أنواع الصدقات الواجبة المقدرة الموقوتة وهي النقدان من الذهب
والفضة والتجارة في استغلالها والأتام والزرع الذي عليه مدار الاقوات والركاز
وهو للدفون في الارض يتر عليه والمعدن (ص ٤٨٩ و ٥٠٨ ج ١٠)

(٣) سهم الفقراء والمساكين وهل هما صنفان أو صنف واحد ينقسم بالوصف
الى قسمين ؟ (راجع ص ٤٩٠ ج ١٠)

المنار: ج ٣٢٤ امتياز الاسلام وإصلاحه للبشر بالزكاة المفروضة والصدقات ٢٤٩

- (٤) سهم العاملين على الصدقات من جياة وخزنة وكتبة (ص ٤٩٣)
- (٥) سهم المؤلفة قلوبهم وهم ستة أصناف (ص ٤٩٤)
- (٦) سهم الرقاب أي تحرير الرقيق بإعائه على شرائه لنفسه المبرعته بالكتابة أو شرائه من مالكه وعتقه (ص ٤٩٧)
- (٧) سهم التارمين الذين ركبهم ديون فمذرع عليهم أداؤها، والذين يفرمون عمدا ما ينفعونه لإصلاح ذات الدين ومنع الفتن الشائرة (ص ٤٩٨)
- (٨) سهم الانفاق في سبيل الله على الزواة والمراجلين الذين لا نفقة لهم من بيت المال ، وما يدخل في عموم ذلك من المصالح العامة (ص ٤٩٩ — ٥٠٤)
- (٩) سهم ابن السبيل وهو المنقطع عن بلده في سفر لا يتيسر له فيه الوصول الى ماله ان كان له مال فيعطى لقره العارض ما يستعين به على إتمام سياحته والعود الى بلده وأهله (ص ٥٠٤)

- (١٠) الدليل على كون عروض التجارة مما تجب فيه الزكاة (ص ٥٠٨)
- (١١) توزيع الصدقات على الاصناف كلهم أو بعضهم (ص ٥٠٩)
- (١٢) الزكاة المطلقة والمبينة ومكاتها في الدين وحكم دار الاسلام ودار الكفر فيها والبلاد المذبذبة بين الدارين (ص ٥١١)
- (١٣) لا تعطى الزكاة للمرتدين ولا للإباحين والملاحدة (ص ٥١٣)
- (١٤) التزام أداء الزكاة كاف لإعادة مجد الاسلام (ص ٥١٤)

❖ فصل في فوائد الزكاة المفروضة والصدقات وإصلاح الاسلام المالي للبشر ❖
(وامتياز الاسلام بذلك على جميع الاديان)

وفيه مقدمة في منافع المال وارتباط جميع مصالح البشر الدنيوية والدينية به وشأنهم في حبه وكسبه وانفاقه وامساكه ، وإرشاد الدين فيه ، وكون الاسلام وسطا بين اليهودية والملاذية فيه ، وغلو عباده من اليهود والافرنج في جمعه واستغلاله - وبين بدعة البلشفية الاشتراكية في مقاومة الشعوب والدول المالية وغلوها في ذلك وفي هدم الاديان . وتلخيص الإصلاح الاسلامي المالي في أربعة عشر أصلا - فراجع في ص ٢٧ - ٣١ ج ١١

(الفصل الثاني في أحكام القتال والمهادنات والصلح وهي ٢٠ حكماً)

(الحكم الاول) البراءة من المشركين ونبيذهم ودالمعادين منهم، ذلك أن مشركي مكة قد ناصبوا النبي ﷺ العداوة منذ دعا الى التوحيد وقيمهم سائر العرب فكانوا حرباً له ولن آمن به يقتلون كل من غفروا به منهم أو يذبونه اذا لم يكن لهم يحميه من المشركين، ولما هاجروا من مكة صاروا يقاتلونهم في دار هجرتهم وكان الله ينصر رسوله والمؤمنين عليهم كما وعده . حتى اذا ما كثروا وصارت لهم شوكة اضطر المشركون الى عقد أول صلح معهم في الحديبية فهاهجوم سنة ست للهجرة على السلم والامان مدة عشر سنين ولم تلبث قريش مع أحلافها من بني بكر أن غدروا وتقضوا العهد فكان ذلك سبباً لفتح النبي ﷺ مكة سنة ثمان ، ثم جمع المشركون جموعهم لقتاله في حنين والطائف فنصره الله عليهم ، وأصره في السنة التالية بأن ينيذ للمشركين عهودهم ويتركهم في موسم الحج (ص ١٩ ج ١٠)

(الثاني) أذان المشركين (إعلامهم) بذلك إذا نالوا في يوم الحج الأكبر وهو عيد النحر الذي يجتمع به وفود الحاج بمعنى من جميع القبائل بحيث يعم هذا البلاغ جميع قبائل العرب في اقرب وقت ، لان الاسلام يحرم القدر وأخذ المعادين على غرة فكان لا بد من اعلامهم بذلك بما ينتشر في جميع قبائلهم ، وكانت تلك الوسيلة الوحيدة لعلم كل فرد بعود حالة الحرب بينهم وبين المسلمين، وهذا من عدل الاسلام ورحمته لان المشركين لم تكن لهم دولة ولا رئيس عام يلخص ما يتعلق بشؤونهم ومعالجهم العامة فيكتفى بأبلاغه مثل هذا كما هو العود في الدول الملكية أو الجمهورية للندية، ولم يكن في عصرهم صحف منشرة عامة ولا آلات للاخبار البرقية تنشر مثل هذا البلاغ

(الثالث) منحهم هدنة اربعة اشهر يسبحون في الارض حيث شاؤا آمنين مطمئنين أحراراً في سيرهم وإقامتهم وسائر اعمالهم الدينية والدنيوية ليتروا في امرهم، ويتشاوروا في عقبتهم . وفي هذا من رحمة القادر بعدوه ما يفخر به السليون بحق بوعده الاحكام مريحة في الآيات الثلاث الاولى من السورة (ص ١٤٩ ج ١٠)

(الرابع) وعظمتهم بأنهم إذا تابوا من شركهم وما يفرهم به من عداوة المؤمنين

وقتلهم والفدر بهم فهو خير لهم ، لانهم لن يمجزوا الله في الارض ولن يمجزوه هرباً منها ، وقد وعد بنصر رسوله عليهم من قبل ان يكثر أتباعه ويأبسه انصاره ، وأنجز له وعده في جلة غزواته معهم ، وسبب هذا الوعد ان الايمان امر اختياري طريقه الموصل اليه المدعوة ودلائل الاقتناع ، وذلك قوله في بقية الآية الثالثة (فان تبدم فهو خير لكم) الخ وفيها من الاخبار عن المستقبل ماصدقة الواقع

(الخامس) استثناء بعض المشركين من نبذ عهدهم وهم الذين عاهدوا المؤمنين عند المسجد الحرام في الحديبية سنة ست ولم ينقصهم من شروط العهد ومواده شيئاً ، ولم يظاهروا ويأمنوا عليهم احداً من أعدائهم للمشركين ولا اهل الكتاب ، كما نقض اهل مكة العهد بمظاهرة أحلافهم بني بكر على أحلاف النبي ﷺ بني خزاعة ، والامر باتمام عهدهم إلى نهاية مدته ، وتعليقه بأنه من التتوى التي يحجبها الله تعالى . وهذا نص الآية الرابعة بشرط ان يظلوا مستقيمين عليه كآيئته في الآية السابعة (السادس) الاذن في الآية الثامنة باستعمال جميع اسباب القتال معهم بعد

أنسلاخ أشهر الهدنة التي ضربت له وحرم فيها ، وهي القتل والاسر والحصر والقعود لهم في جميع المرصد لمراقبتهم لمنهم من التجوال والتقلب في البلاد ، وهو يدل على شرعية استعمال ما يتجدد بين البشر من وسائل القتال المواقعة لاصول الاسلام العادلة الرحيمة . فان استعمال المدو ما هو مخالف لما قالناه بالمثل للموم قوله تعالى (ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله) (السابع) تخليع سبيل من يتوبون من الشرك بالنطق بالشهادتين ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ، لانهم بهذا يدخلون في الاسلام ، ومن قبل الصلاة والزكاة والتزهم ما لا بد أن يلتزم غيرها . وهذا نص الآية الخامسة

(الثامن) ايجاب إجارة من يستجير النبي ﷺ منهم — وفي حكمه الامام الاعظم وقائمه والقائد العام في حال الحرب — لاجل ان يسمع كلام الله ويقف على دعوة الاسلام وبلاغه بمد ذلك المكان الذي يأمن فيه على نفسه من سلطان المسلمين (التاسع) تحليل نبذ عهد المشركين السابق وعدم استئنافهم بالاسباب الآتية (١) انهم نقضوا عهد الحديبية بالمدرف لم يخبروا المؤمنين بذلك لياخذوا اهبتهم

(ب) ان من دأبهم وشأنهم انهم إذا ظهروا على المؤمنين يرجحان قوتهم لا يرقبون فيهم عهداً ولا ذمة ولا قرابة، بل يفتكون بهم بدون رحمة
(ج) انهم يناقشون ويكذبون عليهم في حال الضعف فيرضونهم بأفواههم، ويقولون بألسنتهم لم ما ليس في قلوبهم ، وأكثرهم ابي السواد الاعظم منهم فاسقون اى خارجون من قيود اليهود والمواثيق والصدق والوفاء.
(د) انهم يصدون عن سبيل الله ويعادون الاسلام وأهله لاجل منفعة قليلة يتمتعون بها ويخافون ان تسلب منهم بالزام شريعته التي تحرم اكل اموال الناس بالباطل كالربا والقتار والغزو

(هـ) انهم على كونهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة في حال القوة ولا في حال الضعف هم المتمدنون على المسلمين بالقتال، فلا يمكن أن يظاوا معهم كذلك في كل حال
(و) انهم نكثوا عهدهم السابقة، فكذلك ينكثون غيرها فلا ثقة بها قراعى
(ز) انهم هموا باخراج الرسول من وطنه، بل هم الذين اضطروه الى الخروج هو وسائر من آمن معه ، وذلك بعد ان تواطوا على قتله

(ح) انهم هم الذين بدؤوا المؤمنين بالقتال أول مرة، وبقيت الحرب مستمرة، فلما أنهت معاهدة الحديبية حالة القتال أعادوها بقدرهم فيها وقصصهم لها ، وهذه الاسباب الثمانية صريحة في الآيات ٧-١٠

(الحكم العاشر) وجوب قتال مشركي العرب كافة الا أن يسلموا وهو نص الآية الخامسة المعروفة بآية السيف ، وقوله في الآية ٣٦) وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ووجه ما علم من جملة الآيات في قتال مشركي العرب وهو عدم قبول الجزية منهم وعدم إقرارهم على السكينة والمجاورة للمسلمين في بلادهم مع بقائهم على شركهم لانهم لا أمان لهم ولا هم وقيمهم ان يعيش المؤمنون معهم بسلام (الحكم ١١) تحريم ولاية الكفار من الآباء والاخوان كثيرهم على المؤمنين وكونها من الظلم العظيم في الآية ٢٣

(الحكم ١٢) حكم قتال أهل الكتاب بشرطه حتى يملأوا الجزية في الآية (٢٩)

ومن فروع هذه المسألة الفرق في القتال بين مشركي العرب ومائتي الوثنيين.
ومنها أن ما في هذه السورة من قتالهم وقاتل أهل الكتاب إنما هو في بيان غاية
لا في بدايته ، وإن أول ما نزل من التشريع في القتال آيات سورة الحج (٢٢ :
٣٩) ثم آيات سورة البقرة التي أولها ١٩٠ : ٢٨٩ (راجع آخر ص ٢٧٩ ج ١٠ وما بعدها
وص ٢٨٩) ويليهما آيات سورة الانفال فسورة آل عمران فسورة محمد فهذه السورة
(الحكم ١٣) وصف أهل الكتاب الذين بين حكم قتالهم هنا بأربع صفات
سلبية هي علة عدوانهم للإسلام ووجوب خضوعهم لحكمه (فراجع تفسير آية
الجزية في ص ٢٨١ وما بعدها)

(فصل في حقيقة الجزية لغة وشروط تاريخها وشروطها وأحكامها وصيرتها للصحابة)

فيها (ص ٢٩٠ - ٣٠٦ ج ١٠)

﴿ استطراد في حقيقة معنى الجهاد والحرب والفتنة وإصلاح الإسلام فيه ﴾

ص ٣٠٦ - ٣١٢ ج ١٠

﴿ فصل في دار الإسلام والعدل . ودار الحرب والبيئ ، وحقوق

الاديان والأقوام في هذا العصر ﴾ ص ٣١٣ - ٣٢١ ج ١٠

(الحكم ١٤) إبطال النسيء في الأشهر لاجل القتال وكونه قسرياً جاهلياً

وهو نص الآية ٣٧

(الحكم ١٥) النفي العام ، وهو ما يكون القتال به واجباً بشرطه على الأعيان

كما فصل في الآيات ٣٨ و ٣٩ و ٤١ وأما النفي الخاص فهو في الآية ١٧٢

(الحكم ١٦) الاستثنان في التخلف عن الجهاد بالمال والنفس من علامات

النفاق ومنافيات الإيمان بالله واليوم الآخر كما ترى في الآيتين ٤٤ و ٤٥ وما

قبلهما وبعدهما من أحوال المنافقين وتمت ذلك في الآيات ٨٦ - ٩٣

(الحكم ١٧) وجوب مجاهدة الكفار والمنافقين في الماملات المدنية والادبية

والمخاضون لأحكام الإسلام كما في الآية (٧٣)

(الحكم ١٨) الاعذار للبيعة لتتخلف عن الجهاد في قوله تعالى (٩١ ليس على الضعفاء ولا على المرضى) الى آخر الآية ٩٣
(الحكم ١٩) وجوب بذل النفس والاموال في القتال المشروع لاعلاء كلمة الله وهي الحق والعدل باشتراء الله اياها من المؤمنين بأن لهم الجنة ، وهو نص الآية ١١١ وتقدم تحريم الفرار من الزحف في سورة الانفال (الحكم ٢٠) قتال الاقرب فالاقرب من الكفار الحربيين وهو نص الآية ١١٣

﴿الفصل الثالث﴾

في القواعد والاصول السياسية والحربية المأخوذة من المسائل والاحكام السابقة

وهي ١٣ أصلاً

- (١) جواز البراءة من اليهود ونبذها للمجاهدين لدفع الفاسد المترتبة على بقائها . وهو في الآيتين الأولى والثانية من السورة
- (٢) عقد الماهدات مع الدول والأمم من حقوق الامة لأن لما غنمها وعليها غرمها ، وإنما يقدها الامام أو نائبه من حيث إنه هو الممثل لوحدة الامة . وهو منطوق إسنادها الى المؤمنين في قوله في الآية الأولى (عاهدكم من المشركين) مع العلم بأن الذي تولى العقد وكتب باسمه في الحديثية هو النبي ﷺ
- (٣) نبذ الماهدات يجب أن يذاع ويفشر بحيث يعرفه المخاطبون بالعمل به كما أمر الله بالأذان به يوم الحج الأكبر ، والاذاعة تختلف باختلاف الازمنة والامكنة وأحوال البشر في حضارتهم وبدواتهم
- (٤) وجوب الوفاء بالمعاهدة مادام الطرف الآخر من الاعداء يفي بها ولا ينقص منها شيئاً كما ترى في الآيات ٤ و ٧ و ١٢ و ١٣ إكمالاً لما تقدم في سورة الانفال
- (٥) للمعاهدة اللقوة تنهى باتهاء مدتها بنص قوله تعالى (فآمروا اليهم

- عهدهم الى مدتهم) وقوله - (فاما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)
- (٦) ان القبائل والشعوب التي ليس لها دين ولا شرع يحرم عليها نقض العهد وجرب عليها نكثها للايمان لا يجب التزام معاهداتها السابقة ولا تجديد ما انتهت مدته منها كما تراه مفصلا في الآيات الثلاث عشرة الأولى من السورة ، ودول الافرنج تعمل بهذه القاعدة فلا تعقد للماهدات الا مع الدول المنظمة التي تلتزم بشرائع والقوانين الدولية
- (٧) الهدنة بين المحاربين مشروعة والمسلمين أن يبدأوا بها اذا اقتضت ذلك للمصلحة ومنها الرحمة بالمشركين فيما لا يضر المؤمنين ، وهو نص قوله تعالى في الآية الأولى (فسيحوا في الارض أربعة أشهر)
- (٨) تأمين المحربي بالاذن له بدخول دار الاسلام جائز للمصلحة فاذا استأمن لأجل سماع كلام الله أو الوقوف على حقيقة الاسلام وجبت إجارته ثم إبلاغه ما منعه عند الخروج من دار الاسلام ، وهو في الآية السادسة
- (٩) انتهاء قتال مشركي العرب منوط بالدخول في الاسلام ومقتاحه التوبة من الشرك والالتزام أحكام الاسلام وأهمها ركنا الصلاة والزكاة
- (١٠) انتهاء قتال أهل الكتاب ومن في مقام مناط بالاسلام أو باعطاء الجزية مع الخضوع لأحكام شرعنا كما ترى في آية الجزية ٢٩ وفي تفسيرها بيان حكم سائر الملل
- (١١) التنفير العام الذي يكون به الجهاد فرضا على الايمان في الآية ٤١ ، وترى في تفسيرها ما تكون به فرضيته ، وما يكون به فرض كفاية
- (١٢) امتناع نفر المؤمنين كلهم للجهاد في غير حل التنفير العام في الآية
- (١٣) المعجز عن القتال أو عن الخروج اليه عند في التخلف عنه وتجدد بيان أنواعه الشخصية والمالية في الآيات الثلاث ٩١ - ٩٣ وهي تختلف باختلاف أحوال الزمان والمكان والاستعداد للقتال

الباب الخامس

(في شؤون الكفار والمنافقين وحكم الاسلام عليهم وسياسته فيهم وفيه فصول)

(الفصل الاول في ذم القرآن للكفار والمنافقين ونزاهته فيه عن السب والشتم)

(تنبيه وتمهيد)

الذم الوصف بالقبیح ، والسب والشتم ما يقصد به التعبير والتشني من الذم سواء كلن منناه صحيحاً واقماً أو افكاً مفترى ، والقرآن منزّه عن ذلك ، قال تعالى (٨: ١٠٨) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) فنهى عن سب آلهة الكفار ومعبوداتهم ومنها الاصنام ، وقال النبي ﷺ « المستبان شيطانان ينهاتران ويتكاذبان » رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد من حديث عياض بن حمار بسند صحيح . فإني القرآن من ذم الكفار والمنافقين بيان لحقيقة حالهم وقبح أعمالهم ، وما يعقبها من الفساد والضرر بهم وسخط الله تعالى عليهم ، واستحقاقهم لعقابه ، وبهدم من رحمته وثوابه ، بقصد الانذار والوعظ ، لأجل التنفير والزجر ، ولذلك تراها موجهة اليهم بوصفهم أو الى وصفهم العام : المشركين ، الكافرين ، المنافقين ، الفاسقين ، الظالمين ، المجرمين ، الفسدين . أو الخاص بطائفة منهم كبعض الاحبار والرهبان دون الاشخاص المصينين باسمائهم وألقابهم ، هما يكن من شدة كفرهم وايدانهم للنبي ﷺ والمؤمنين كعبد الله ابن أبي بن سلول رئيس المنافقين الذي كلن شرهم وأجرأهم على الضرر ، فقد كلن ضرره في المدينة أشد من ضرر أئمة الكفر والشرك في مكة (كافي ج ١)

ومن اطلع على شيء من هجاء العرب وسبابهم البذي ، وقذعهم الفاحش أدرك نزاهة القرآن ، وعلوه عن مثل بذاتهم في الكلام

ويستثنى من هذه القضية الكلية في ذم الشخص المعين من أعداء الاسلام والرسول (ص) ما نزل في ذم أبي لهب واسرائته في سورة وجيزة لما بيناه من حكمة ذلك في قصة ابراهيم مع أبيه آزرو الاضطراد إلى آباء الانبياء وأولي قريام

وما صح في الأحاديث في أبي النبي ﷺ وعمة أبي طالب وأبي لهب، لا ثبات قاعدة عظيمة في الفرق بين دين الله تعالى على ألسنة أنبيائه ورسله والاديان الوثنية، وهي أن دين الله تعالى مبني على أن مدار السعادة والنجاة من عذاب الآخرة والفوز ينسبها إنما هو الإيمان الصحيح والأعمال الصالحة التي تنزك بها النفس وتكون بصفتها العالية أهلاً لجوار الله تعالى ومَرْضَاتِهِ . وأن الأديان الوثنية مبنية على أن السعادة والنجاة والفوز إنما تكون بواسطة بعض المخلوقات التي توصف بالولاية والقداسة أو النبوة ويدعى لها التأثير في النفع والضرر بأنفسها أو بالشفاعاة عند الله تعالى وكونها تحابي بشفاعتها ووساطتها أولى القرابة منها والتقرب إليها بالمحذ لها والاستئانة بها وذعاتها من دون الله أو مع الله عز وجل .

وقد كان أبو لهب أغنى بني هاشم ومن أكثر المشركين غروراً بماله وورثته ونسبه وكان بهذا التورر أول من جاهر بمداواة ابن أخيه (محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه) محترقاً له لأنه كان هو وابوه الذي لم يدركه وعمة الذي كفته بمجده أقر بني هاشم ، وقال له حين جمع عشيرته وبلغهم دعوة ربه امتثالاً لأمره (وانذر عشيرتلك الأقرين) : نبالك سائر اليوم لهذا جمعتنا ، وكان يقول قريش : خذوا على يديه ، قبل أن تجتمع العرب عليه . وكان أشد المشركين صداً للناس عنه وتكذيباً له كلما دعا أحداً منهم إلى الإسلام ، وكان كلامه مقبولاً عندهم أكثر من كلام سائر الرؤساء الذين جاهرُوا بمداواته . كابي جهل وعقبة بن أبي معيط وأبي سفيان بن حرب لقربانته ، وكذلك كانت امرأته أم جميل أخت أبي سفيان مسرفة في عداوته وذهمه والصد عن دعوته بالنيمة وقتل الأخبار الكاذبة عنه لتبنيضه للناس ، وهو المراد من كنيته « حائلة الحطب » كما هو معروف عند العرب . وروي أنها كانت تجمع الحطب الثالث وتلقيه في طريقه بالفعل ، ومع هذا كله لم تكن السورة التي نزلت فيه الإدماء عليه بالثياب وهو الخسار اللغوي إلى الهلاك أو إخباراً به ، ويكونه لا يفتني عنه ماله الكثير وما كسبه من الجاه والولد شيئاً . في مقابلة قوله للرسول ﷺ نبالك سائر اليوم — فهو إخبار بمقابلة

« المنار : ج ٤ » « ٣٣ » « المجلد الثاني والثلاثون »

امرها وموتها على كفرها، وخسرتها معا الدنيا والآخرة، وقد صدق
خير الله ووعده، فهو قد مات بدوقة بدر التي ساعد عليها بماله، أسفاً لجزءه
عن الخروج إليها بنفسه، فذاق وبال امره بخذلان اقران من صناديد قريش وروس
الشرك، وخسران ماله الذي أنفق فيه مصداقاً لقوله تعالى (ان الذين كفروا
يفتنون أموالهم ليصلوا عن سبيل الله فيسفتقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم
يغلون) وراى مصداقاً مبادئ عز الاسلام وفصره . مات بعدها بأيام قليلة
بالعدسة شرميتة وترك ميتاً حتى أنقذ ، ثم استؤجر بعض السودان حتى دفنوه .
وكان غم بعد نزول السورة بولده مئة الذي كان يعتز به ، ففرضه أسد في طريق
الشام ، ولو أسلم كما أسلم أخوه وثانيه في جمع المال (العباس رضي الله عنه) رأى
مثل ما رأى هو وخرج من عز الاسلام، وصدق ابن أخيه عليه أفضل الصلاة والسلام
في وعده لم بأن كلمة « لا إله إلا الله » تجمع عليهم العرب ، وتدين لهم بها الجحيم .
ذكرت هذا التنبيه الطويل لبيان غلط بعض العلماء في قولهم ان القرآن اشتمل
على سبهم وحسب آلهتهم، وتنفيداً لما يهذي به بعض ملأحة الكتاب في المقارنة
بين آذنه والأدب الجاهل . وما روي من قول رءوس المشركين للنبي ﷺ لقد
سببت الآباء وعبت الدين وسفقت الاحلام وشتمت الآلهة - فقد ذكر السب
والشتيم فيه مبالغة في الإنكار على أنه مرسل ضعيف السند وفيه رجل مبهم . وهاك
ما وصف الله تعالى به أعداءه وأعداء رسله والمؤمنين من هؤلاء المنافقين والكافرين
في هذه السورة وهو أشده .

﴿ شواهد ذم القرآن النزيه للكفار والمنافقين ﴾

(١-٤) وصف المشركين في الآيات (١٠ و ٩ و ٨) بأنهم لا يرجون ولا
يراعون في أعداء المؤمنين إلا ولاؤمة، حتى قطعوا أرحامهم بخلاف ما دلتهم في
عصبية النسب، وأنهم يصلون عن سبيل الله، وأن أكثرهم قاسقون وأنهم هم المخذلون.
(٥) قوله تعالى في منتهى من عمارة المسجد الحرام وغيره من التبذير (١٧) ما كان
للمشركين أن يمسروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت
أعمالهم وفي النار هم خالدون)

(٦) قوله تعالى (٢٨) إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
طهرهم هذا) وكانت نجاستهم معنوية وهي الشرك وخرافته ، وحسية إذا كانوا
يأكلون الميتة ولا يدينون بالطهارة من النجاسة ولا الحيض والجنابة
(٧- ١٠) وصف كفار أهل الكتاب في الآية (٣٠) بأنهم باتخاذ ابن الله
سبحانه يضاهون قول الذين كفروا من قبلهم كوثني قدماء الهند والمصريين
وقوله (قاتلهم الله آى يؤفكون) ووصفهم في الآية (٣١) بأنهم اتخذوا آجارهم
ورهبانهم أربابا من دون الله ، وفي الآية (٣٢) بأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله
بأقواهم أي بكلامهم الباطل في الصد عن الاسلام - وفي الآية (٣٤) بأن
كثيراً من آجارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل
الله . وكل هذه الصفات ظاهرة معروفة في تاريخهم الماضي وسيرتهم في هذا الزمان ،
ومن دقائق الصدق في القرآن الحكم في مثل هذا على الكثير منهم دون العموم
كما قال في المشركين (وأكثرهم فاسقون) ولم يمد مثل هذا التحري في كلام البشر
وأما وصفه لشور الناقين وذهم فيها فتلخصه فيما يأتي تاجعاً في العدد لما قبله
(١١) ذكر في استئذان الناقين واعتذارهم عن الخروج إلى غزوة تبوك
وبيان ما يكون شأنهم لو خرجوا من ابتداء الفتنة والافساد بين المؤمنين بالتبسيط
وغيره ولم يزد فيها على قوله فيهم (والله عليم بالظالمين) وقوله (وإن جهنم لمحيطة
بالكافرين) (راجع الآيات ٤٢ - ٤٩)
(١٢ و ١٣) تحليل عدم قبول نفقاتهم في الآية ٥٣ بنسبهم وقوله بعده (٥٤) وما
منهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ويرسوله ولا يأتون الصلاة الا
وهم كسالى ولا ينتفون الا وهم كاذبون)
(١٤ و ١٥) ووصفهم بعد اثبات استهزائهم فيما بينهم بالله وآياته ورسله واعتذارهم
عنه بقوله « إنما كنا نخوض ونلعب » بأنهم كفروا بعد إيمانهم وأنهم كانوا
مجرمين ثم قال بعد ذكر صفاتهم العامة من الآية ٦٧ (نسوا الله أنفسهم أن الناقين
هم الفاسقون) أي الخارجون من محيط هداية الدين وسلامة الفطرة
(١٦) قوله فيلزمهم وعيبيهم المتطوعين من المؤمنين في الصدقات وصغرتهم

منهم في الآية ٧٩ (سخر الله منهم ولهم عذاب اليم) وهذا التعبير يسمى بالمشاكلة اي عاقبهم بمثل جرمهم فجعلهم سخرة للمؤمنين بما فضح به نفاقهم الذي كانوا يخفونه (١٧) قوله في تليل عدم غفران الله لهم (٨٠) ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقوله في هذا المعنى (٨٤) ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وقد نزل هذا في زعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول ولكن جعل حكم النبي عاماً (١٨ و ١٩) أشد ما وصفهم به في الآية (٩٥) أنهم رجس وانه كلما نزلت سورة من القرآن زادتهم رجسا إلى رجسهم، حتى ماتوا على كفرهم كما في الآية ٢٥ وانهم عند نزولها ينصرفون من مجلس النبي ﷺ عند خلة للمؤمنين عنهم ثم قال (صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون) أي صرف الله قلوبهم عن الاهتداء بها بسبب انهم لا يفقهون ما فيها من البينات والهدى بمقتضى سنته في ارتباط الاسباب بمسبباتها وهذا آخر ما ذكرنا به في هذه السورة من الآية ١٢٧

فانت ترى ان كل ما وصفوا به بيان لحقيقة حالهم بأزهر تصوير يدل عليه مقرونا بتلك الاعمال القبيحة والاخلاق السافلة والسرار التي هي شر منها - وأن المراد بوصفهم التنفير منه لاعداد من فيه استعداد لقبول الحق بالرجوع اليه وقد تاب أكثرهم وله الحد

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في المنافقين وصفاتهم وأعمالهم وسياسة الاسلام فيهم)

النفاق خلق رديء ووصف خبيث تتلوث به الانفس الدنيئة الفاسدة الفطرة فلا يرى اهلها وسيلة إلى مطاعمهم في المال ومطامعهم إلى الجاه الا الكذب والرياء ، ولقاء الناس بالوجوه المختلفة والتصنع والحداع ولين القول، كما قال تعالى فيهم (واذا رأيتهم تصيبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم) وهم يوجدون في كل شعب وكل قبيلة ، لا تخلو منهم بادية ولا حاضرة . والنفاق قسمان : خاص وعام ، فالخاص هو الشخصي الذي يحاول صاحبه لقاء كل أحد بما يرضيه

عنه وبجبهه اليه ولاسيا الحكم وأصحاب الجاه والمناصب والثرا الذين يرجى الانتفاع منهم . فهو يلبس للصالحين منهم لباس التقوى والصلاح ، ويخلم للفاسق جلابب الحياء ، ويفرغ على المستكبرين حلال الاطراء ، وهو اهلون النفاقين .
واما النفاق العام فهو ما يكون في الدين والدولة ، وخيانة الامة والملة ، وما وجد النفاق في عهد الرسول ﷺ الا بعد الهجرة ، لما صار للاسلام قوة ودولة ، اذ اسلم اكثر الانصار بظهور نور هذا الدين التوفيق لهم ، ولم يكن لهم مصلحة دينية تعجب هذا النور عن بصائرهم ، او تحصلهم على مكابرة الحق ووجوهه ، ككبراء قريش الثرورين بتروهم الواسعة ، وجاههم في العرب بسدانة البيت الحرام ، واستكبارهم على سائر الناس ، واسرافهم في التمتع بالسكن والزنا وكل الربا والشهوات ، فكانوا يرون أن الاسلام يساوى بينهم وبين سائر الناس في جميع الحقوق ، ويفضل الفقير المتقي لله تعالى على الغني السرف في الفسوق ، ويقتضى للسوقة من الامراء والملوك ، ويحقر للتكبريين ، ويكرم للتواضعين ، ويزدري الظالمين والفاسقين ، فيسلبهم بهذا جميع ما يمتازون به على دماء الناس . ولهذا كان اكثر من اهتدى به في مكة الفقراء وبعض اصحاب الفطرة السليمة والعقول الحرة من الطبقة الوسطى وكل اعلام فطرة وأزلام نفسا أبو بكر الصديق وسائر المشرة الكرام المبشرين بالجنة

آمن بض الاوس والخزرج أولا بقاء النبي ﷺ في موسم الحج ودعوا قومهم الى الاسلام بعد عودتهم الى المدينة فصادت دعوتهم رواجاً قوة المقتضي وهو التوحيد وفضائل الاسلام ، فلما كثروا هاجر الرسول ﷺ اليهم اذ عاهدته قباؤهم في منى على نصره ومنه (اي حمايته والذب عنه) مما يمنعون انفسهم وأهلبيهم ، ومن العقول ان يكون نور الاسلام لم يظهر لكل فرد منهم على سواء ، وان يكون منهم من اضطر الى الدخول فيما دخل فيه قومهم موثاة لهم ، مع عدم وجود نظام لديانتهم الوثنية يرتبط به بعضهم ببعض فيقيمونه ويذبون عنه ، فكان منافقو المدينة من هؤلاء ومن حولهم من قبائل الاعراب الذين لم يقلوا الاسلام ، كاسد وغطفان .

وكان هناك يهود كثيرون يقيم اكثرهم في حصون لهم بالقرب من المدينة كني قريظة وبني النضير ، وقد عاهد النبي ﷺ على حريتهم في دينهم وأنفسهم وأموالهم ، ولكنهم كانوا ينتفضون عهده ويظاهرون عليه الشركين كلما جاؤا لقتاله ، بل كانوا يفرونهم ويحرضونهم عليه ، فكانوا في اظهار الوفاء بعهده منافقين ، وكان لهم احلاف من عرب المدينة لحافظ على مودتهم مناقوها بالسرا كما يننا ذلك كله في محله

فكانت سياسة الاسلام في الفريقين أن من اظهر الاسلام يعامل كما يعامل سائر المسلمين ، لان قاعدة الاسلام ان الحكم على الظواهر ، وان الله تعالى وحده هو الذي يحاسب ويماقب على السرائر ، وأن من حافظ على الوفاء بعهده من اهل الكتاب يوفى له ، وكان اليهود ينتفضون عهدهم مع النبي ﷺ سرا ، فاذا ظهر شيء من خيانتهم وغدرهم اعتدوا عنه ، حتى اذا ما افتضح امرهم حازهم ﷺ وأجلام عن البلاد ، كما ترى في تفسير الآيات ٥٥ - ٥٨ من سورة الانفال (ص ٤٨ - ٦٠ ج ١٠)

وقد قص الله علينا في سورة الحشر ما كان بين اليهود والمنافقين من الاخاء والولاء وانه لاخير فيه لاحد منهما على ان اليهود ظاهروا المشركين على النبي ﷺ ولكن المنافقين لم يفوا لليهود بما وعدوهم به من نصرهم اذا هم اظهروا عداوتهم لان المنافق القعج دون المتدين الكافر حمة وشرقا وخلقنا . قال تعالى (١١:٥٩) ألم تر الى الذين ناققوا يقولون لايخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب : لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وإن قوتكم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ١٢ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)

كان سبب معاهدة النبي ﷺ لليهود واقراءه إياهم على دينهم ان الاسلام دين حرية وعدل ، ودعوه قائمة على البرهان والحجة ، ولذا منع المسلمين من أخذ أولادهم الذين تهودوا وانضموا الى اليهود بالقوة ، وأمرهم بأن يخبروهم اذا زل فيهم قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

وقد قدم ان سبب معاملة المناقين بظاهر اضلاعهم هو ان امر السرائر لله وحده ، فهو الذي يعلمها ، وهو الذي يجازي عليها ، ولا يباح لحاكم ولا لغيره ان يحكم على انسان بأنه يسر الكفر في نفسه ولا أن يتهمه بذلك ويماقبه عليه . ولا يثبت الكفر على من ظاهره الاسلام الا باقرار صريح منه أو صدور قول أو فعل يدل عليه دلالة قطعية لا تحتمل التأويل كتكذيب القرآن أو النبي ﷺ أو جحود كونه خاتم النبيين لا نبي بعده ، والشرك بالله بدعاء غيره ، وغير ذلك مما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة لا يقبل فيه تأويل ، كجحود فرضية الصلاة والزكاة والصيام والحج ، أو استحلال الزنا والربا وشرب الخمر وأما حكمة ذلك وفائده فهي أن من يلزم شوائر الاسلام وأحكامه ولو بنير ايمان يقيني فإنه يرجى له بطول العمل ان ينشرح صدره للايمان ويعلمن به قلبه ، ويوقن به عقله ، وإلا كانت استفادته واغادته للامة دينوية فقط

(فان قيل) إن مقتضى حرية الدين التي امتاز بها الاسلام في معاملة أهل الكتاب بإذ أقرم على العمل بدينهم حتى فيما بين لهم أنهم خالفوا فيه ما جاء به وحسابهم من المسلمين لهم ملهم من الحقوق وليس عليهم ما عليهم من الواجبات تتناقض لا يقول به عاقل ، ولا يحكم به عادل ، ومثلهم فيه كمثل من يسمح له بحقوق الجنسية السياسية الوطنية ولا يطالب بالخضوع لقوانينها ، ولا يماقب على انتهاكها ومخالفة أحكامها ، وإنما تكون حرية الدين المقولة لاهله في دائرة محيطة بأن لا يحاسب أحدهم أحد على عقيدته ووجدانه فيه ، ولا اجتهاده في فهمه ، الا من طريق البحث العلمي ، وليس منها ان يخالف اصوله القطعية التي لا يكون المسلم مسلماً بدونها وبعد مع ذلك مسلماً ، وإذا ليس لاحد أن يطالب بحكومته المتدنية بالسماح له بالخروج على دينها ، كما لا يصح له أن يطالبها بالسماح له بالخروج على قوانينها ، فتكون حريته هنا متعارضة مع حريتها هي وحرية أمتها

(فان قيل) ان القرآن قد فضح بعض المناقين في هذه السورة وحكم بكفرهم ولم ينفذ النبي ﷺ عليهم أحكام المرتدين عن الاسلام ، بل بقي يعاملهم هو وأصحابه

معاملة المسلمين (قلنا) ان ما بينه الله تعالى من حال المناقين انما كان وصفا لا ناس غير معينين بأشخاصهم ، انذاراً وزجراً لم يرفوا حقيقة حالهم ، ويخشوا سوء ما لهم . عسى أن يتوب المستعدون للتوبة منهم ، وقد تاب الكثيرون منهم ، بما ظهر لهم من إخبار القرآن عنهم ، بما لا يعلمه إلا الله تعالى من أمرهم .

وكان الذين عرف النبي ﷺ بعض أصحابه أشخاص قليلين جدا كالذين هموا باغتياؤه ﷺ بنشره راحلته في عقبه في الطريق منصرفهم من تبوك ليطرحوه منها ، وقال بعضهم لبعض : لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الخير . وفيهم نزل (٧٣) يخفون بالله ما قالوا . ولقد قالوا كلمة الكفر وهو ما لم ينالوا . ولما استأمره أصحابه بقتلهم قال « اكروه أن يتحدث الناس ويقولوا ان محمداً قد وضع يده في أصحابه » أي في رقابهم بقتلهم ، وهذا أكبر منفر عن الايمان ، فان كثيرا من الناس كان يستحسن هذا الدين ويفضله على ما كانوا عليه من الشرك في أحكامه وآدابه لأنها ، قبل أن تقوم عندهم الحجة على اليقين بكونه وحيا من الله تعالى ، فيدخلون فيه ، ثم بعد زمن قليل أو كثير من معرفته التفصيلية تطمئن قلوبهم بالايمان اليقيني ، ومنهم من كان يدخل فيه تبعا لا كبر قومه من غير نظر الى تفضيله لقلة عليه بدعوته ، وكل هؤلاء يقبل إسلامهم ويمتد به شرعا ، وفيهم نزل قوله تعالى من سورة الحجرات (قالت الاعراب آمنا . قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم . وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئا) ولو سمع أمثال هؤلاء ان النبي ﷺ يقتل بعض من اتبعه وصحبه لظهور شيء يدل على عدم ايمانهم في الباطن ، أو لاعلام الله تعالى إياه بما في قلوبهم ، لنفروا من الاسلام وخافوا عاقبة الدخول فيه .

وتم مفسدة أخرى في هذه الاشاعة وهي أن المناقين والكفار يذيمون فيها ماشاؤا من اثم الباطلة والافك المفتري ، كزعمهم أنه انما قتل من ظهر لهم منه ما دلهم على بطلان دينه بعد أن صدقوه وجاهدوا معه .

على أن الله تعالى قال فيهم بعد وصفهم بالكفر بالقول وبالم بشر نتائجهم من الفعل (فان يتوبوا بك خيرا لهم وان يتولوا بعدهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) .

المناز : ج ٣٤ م ٣٢ مايراد من الاشكال على حرية الدين ومعاملة المناقذين ٢٦٥

الآية ، فليراجع تفسير الآية وما قبلها من الامر بجهاد الكفار والمناقذين في (ص : ٥٤٨ - ٥٥٨ ج ١٠)

وبلي هذا في السورة خبر الذي عاهد الله لئن آتاه من فضله لينصدقن (في الآيات ٧٤ - ٧٧) وما روي في سبب نزولها خاصة وانه شخص قال له ثعلبة ، وانه بعد أن نزلت فيه الآيات تاب وأراد أن يؤدي زكاة ماله فلم يقبلها منه النبي ﷺ ثم لم يقبلها منه أبوبكر ولا عمر ولا عثمان من بعده ، وانه هلك في خلافة عثمان . وقد بينا في تفسيرها أن في حديث سبب نزولها اشكالات في سنده وفي متنه فانه يخالف لاصل الشريعة القطعي المجمع عليه من العمل بالظاهر فهو باطل قطعاً بما فصلوه به .
تفصيلاً (راجع ٥٥٨ - ٥٦١)

ويقرب منه في المعنى ما روي في الصحاح من نزول قوله تعالى (٨٤) ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا . وهم فاسقون) في عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المناقذين الأكبر وقد بينا في تفسيرها ما في الحديث من التضارب مع القرآن فراجع (في ص ٥٧٣ - ٥٨١) .
ومن المشكل في هذا الباب قصة مسجد الضرار في الآيات (١٠٧ - ١١٠) . فقد بين الله تعالى فيها انهم اتخذوه لأربعة أغراض منها الكفر وسأثوها . أقبح مقاصد أعداء الله ورسوله وللمؤمنين . وقد أمر النبي ﷺ بهدمه فهدم ولم يأمره بقتلهم ، وقد شهد الله بكنزهم فيما حلفوا عليه من حسن نيتهم . وسبب ذلك ان الذين بنوه للمقاصد الاربعة المذكورة في الآيات كانوا كما قال المفسرون اثني عشر رجلاً من منافق الاوس والخزرج أتباع أبي عاصم الراهب الذي وعدهم بأن يتوسل بنصرانته الى قيصر الروم في الشام فيرسل معه جنداً يكفهم أمر الرسول ومن اتبعه من المؤمنين ، ولكن صدقهم في ظاهر عملهم وما زعموه من حسن النية فيه كثير . من المؤمنين وشاركوهم وصلوا معهم فيه ، وكان التمييز بينهم متعذراً .
فصح أن يأتي في الفريقين قوله تعالى في المسلمين المستخفين من المشركين في مكة عام الحديبية (لوتزولوا لعذنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً)
والسبب الخاص لعدم عقاب أصحاب مسجد الضرار على الكفر الذي أثبت

النص الصريح أمران [أحدهما] أن الآيات في قصصهم قد بدئت بما يحتمل أن يكون ذكراً فيها معطوفاً على الذين أوجب الله البت في أمرهم وجملة التوبة عليهم مرجوة وهو قوله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله إما يذبهم وإما يتوب عليهم) والثاني ختم قصصهم بقوله تعالى (لا يزال بنياهم القدي بنوا ربية في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) فيظهر في معنى تقطع قلوبهم احتمال هو أحد الأقوال في تفسيره، وهو قطعها من الأسف والحزن على ما فرط منهم ووقوع هذا الاستثناء محتمل، وإذا يكون أقوى الأدلة على التوبة وأصدقها، ويكفي الاحتمال لمنع الحكم عليهم بالكفر وجملة القول في هذا الباب أن سياسة الإسلام في المنافقين أن ياملوا بحسب ظواهرهم وما يبدو من أعمالهم، وأن للإمام الأعظم أو عليه — ومثله نوابه من أولياء الأمور — أن يعرض في الخطب العامة والتصريحات الرسمية بتبجيح ما يلزم من سوء أعمالهم والاندثار بسوء عواقبها ليعدهم للتوبة منها، أو الحذر من إظهار ما يضررونه من الشر القدي يترتب عليه العقاب. وتتضمن هذه السياسة الأصول اللاحقة.

﴿ الاصول الثلاثة في حرية الدين، ومعاملة المنافقين ﴾

١ - أن حرية الاعتقاد والوجدان مرعية لا سيطرة عليها للرؤساء الحاكين، ولا للمعلمين والرشدين، إلا في التربية والتعليم، فليس لأحد أن يهجم إنساناً بأخبار الكفر ولا بنية الخيانة للملّة أو دولته، ولا بإرادة السوء لقومه وأمتة، ولا أن يعاقبه على ذلك بعقاب بدني ولا مالي، ولا بحرمانه من الحقوق التي يتمتع بها غيره من أفراد الأمة.

٢ - أنه ليس لمن يضر الكفر بالله أو بما جاءت به رسله أن يكون فتنة للناس بإظهار ذلك لهم ودعوتهم إليه، أو الطعن في عقائدهم، أو إظهار ما يتنافى منها من قول أو عمل، وإن لم يكن دعوة ولا طعن، فإن فعل ذلك وكان يدعي الإسلام بحكم بارتداده وخروجه من الملّة، إن كان ما أظهره من الكفر صريحاً قطعياً مجملاً عليه لا يحتمل التأويل، ويترتب عليه ما هو مقرر في الشرع من استنابته وعقابه إن لم ينب (ومنه منع التوارث بينه وبين المسلمين وفسخ نكاحه بالمسلمات، وعدم تشييم جنازته والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين)

لان حرية كل احد في اعتقاده تقف عند حد حرية غيره، ولا سيما احترام عقائد الله التي يعيش في ظل شريعته، وسائر شعائرها وعباداتها
وليعلم القاريء أن كثيراً من الفقهاء قد أسرفوا في أبواب الردة في المسائل التي يحكم فيها بالكفر المخرج من الملة، وبنوا كثيراً منه على اللوازم البعيدة، والمحتملة للتأويلات القريبة، وما ورد في صفات المنافقين في هذه السورة حجة عليهم، وإن قال بعض العلماء المتقدمين: إن ما كان في زمن النبي ﷺ نفاقاً لا ينافي ظاهر الاسلام، هو الآن كفر محض لا تقبل معه دعوى الايمان، فهذا قول باطل، فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ هما الحجة في الدين، والاهتداء بها هو الواجب الى يوم الدين، فيجب قبول قول كل من أظهر الاسلام ولم يصرح بما ينافيه بما لا يحتمل التأويل، وما يحتمل التأويل احتمالاً ظاهر آجيم للباحث العلمية المخافة لظواهر النصوص كما هو مقرر في الاصول.

٣- ان من ظهر منه شيء من أمارات النفاق العملي في الدين، او الحيانة للامة والملة بما هو غير صريح، بما لا يعاقب عليه في الشرع بحمد ولا تمزيق، فلولي الامر أن يظفه بالتعريض، ثم بالتصریح والتكشيف، وله أن يعاقبه بما يرجى أن يزهه عن غيه من التاديب، كالحرمان من مظاهر التشريف، او الازورار والتعطيل، او التانيب والتعنيف، كما بيناه في تفسير (٧٣) جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) ومنه حرمان النبي ﷺ للذين تخلفوا عن غزوة تبوك من الخروج معه الى غزوة أخرى بقول الله تعالى (٨٣) فان رجلك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن يخرجوا معي أبداً) الآية. ولكن اللوك للمستبدین يقربون اليهم المنافقين فيزيدونهم فساداً، ويمرؤن غيرهم بل يرغبونه في النفاق وخيانة الامة جهاراً، حتى إن المناصب الدينية المحضة صارت تنال بالنفاق، ويضاعف عنها أهل الصدق والاخلاص، وإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(انتهى بيان ما فتح الله به علينا من خلاصة هذه السورة)

(وكتب في أوقات متقطعة في سنة عسرة شديدة)

(وتم في ذي الحجة سنة ١٣٥٠)

فتاوى المنار

(القبر روضة أو حفرة، وتناسخ الارواح)

(س ٣٤ و ٣٥) من صاحب الامضاء في جنة المحلة (مديرية الغربية بمصر) :
حضرة صاحب الفضيلة والارشاد الشيخ محمد رشيد رضا، بعد تقديم فروض
الاحترام نرجو أن تتكرم بالرد على السؤالين أدناه بمجلتكم المنار القراء

١ - هل « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » حديث
متواتر عن رسول الله ﷺ أم لا؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فهل الحكم في هذه
الحالة للروح أو للجسد مع ملاحظة انه إن كان للروح فانها لا تسكن القبور ، وإذا
كان للجسد فما الحكم لمن يتلمه الموت أو اليم أو الوحوش الكامرة؟ وإذا كان
بالسلب فما الفرق بين العاصي والطائع وما الفائدة من سؤال منكرو ونكبر وهل ننكره؟

٢ - هل تتقلب الروح من جسم الى آخر أو لكل جسم روح خاصة ؟
لازلت للاسلام المرشد الرشيد الذي يضي النج والليل قائم . وتنازوا بقبوله
وافر احتراماتي
مصطفى صالح

(ج) أما حديث « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » فقد
رواه الترمذي والطبراني وسنده ضعيف، فلا هو متواتر ولا صحيح، ولكن عذاب القبر
ثابت بالأحاديث الصحيحة وأنه يكون عقب الدفن ، وإضافته الى القبر مبنية على
أن الغالب في الموت أنهم يدفنون في القبور لا على أنه خاص بمن يدفن، وللارواح
ماوى في البرزخ بحسب درجاتها لا في القبور ، والاجسام تغنى وهي باقية به
وكل ماورد في القرآن أو الاحاديث من أخبار عالم القيب ومنه كل ما يكون بعد
الموت فهو على غير المعروف لنا في عالم الشهادة ، وليس لنا أن نبحث عن صفته وكنهه
ونحن نجعل حالة الارواح بعد انفصالها من هذه الاجسام، واليها يوجه السؤال في حالي
الاتصال والانفصال ، ومما تكن حالتها فالفرق بين المؤمنين المتقين والكافرين
المجرمين مما لا ينكره عاقل ، والوارد في سبب سؤال الملكين لمن يموت أنه

لمتحان له يعرف به بعض مستقبل أمره في الآخرة ومتى صح الخبر عن عالم الغيب قالوا يجب الايمان به وان لم ندرك سره
وأما مسألة تقلص الارواح وانتقال الروح الواحد من جسد الى آخر فهو
مذهب قديم باطل مشهور بمذهب التناسخ. والثابت عندنا أن لكل انسان روحا
يفتحها فيه ملك يرسله الله عند ما يتم خلق جسده

(أسئلة مختلفة)

(س ٣٥ - ٤٩) من صاحب الامضاء في منوف (مديرية للنوفية بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الرب القدير والصلاة والسلام على البشير النذير وعلى آله وأصحابه
ومن تمسك بهداه فكلن من الفائزين

من مصطفى حافظ عيسى إلى صاحب المقام العالي السيد رشيد رضا
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) كيف أقدر لكم مجهوداتكم
المدهشة وبلاغتكم النادرة، ومحاوراتكم الطيبة، وردودكم للجملة لافواه الملمحين،
الذين حاولوا على المسلمين حملة شعواء فكنتم أنتم في مقدمة المجاهدين الذين بددوا
ظلماتهم بأنواركم الساطعة، وراهنكم القاطعة. قد جعلتم العالم الاسلامي يقوم
من سرقه بعد نوم عميق فصبق لكم العالم إجلالا، لقد أبنتم بمناركم الرشد من
الني، والظلام من النور، والبدعة من السنة، قالى الامام، أطال الله عمركم
حتى تنتفع بعلومكم الانام، ومهد لكم الطريق حتى تتمكنوا من القضاء المبرم
على هؤلاء الاشرار

يا صاحب الفضيلة :- لما كان صدركم رحبا في الاجابة عن الاسئلة التي توجه
اليكم وخصوصاً صارت مجلتكم النار موضع نظر العالم الاسلامي لذلك أرجو نشر
الاسئلة المسطرة في هذا الخطاب حتى تسفروا عن حقائق الشريعة القراء ولكم
عن الله الجزاء الاوفى :-

١. ما قولكم في صلاة الجمعة في البيت جماعة هل هي صحيحة أم باطلة

وهل يشترط في الجمعة السجدة ؟ نرجو الإجابة عن ذلك بالدليل من السنة ؟

س ٢ ما حكم الصلاة والسلام بعد الاذان بصوت مرتفع ؟

س ٣ ماهي البدعة وما اقسامها وما المراد من قول الرسول ﷺ « كل بدعة ضلالة » وما المراد من قول سيدنا عمر بن الخطاب « رض » نعمت البدعة هذه ؟ وما حكم الصلاة خلف المبتدع ؟

س ٤ ما حكم شرب الدخان هل هو حرام أم لا ؟ وما رأي الأطباء فيه هل هو مضر أم لا ؟ وما رأيكم في الحديث الذي معناه « صرف المال فيما لا يضر ولا ينفع حرام » نرجو الافادة بأسهاب على هذا السؤال خاصة

س ٥ ما حكم أكل الفسيخ والسردين المعروفين بمصر وهل أكله مضر وما رأي الأطباء في أكله من حيث الضرر وعدمه ؟ وهل فيه ميكروب ؟؟

س ٦ ما حكم بيع الفسيخ والسردين والدخان ؟؟

س ٧ ما الغرض من الحديث الذي معناه « لن الله الواصلة والاستوصلة » وهل المراد وصل الشعر بالشعر أو وصل خيوط من القطن تسمى عند العامة « بالصفائر » ؟

س ٨ هل العامة الخضراء والحجراء والصفراء ثبت لبسها عن رسول الله ﷺ ؟ وما حكم لبسها إذا لم يرد عن رسول الله أنه لبسها ؟ أو كان يراد بها التقرب من الله أو الاختيار أو اظهار النسب ؟

س ٩ ما حكم الذكر في المسجد بصوت مرتفع جماعة أو فرادى ؟ وهل هذا ورد عن رسول الله ﷺ

س ١٠ يشرب الناس الشاي في هذه الايام شربا كثيرا حتى صار عادة عند الناس لا يمكن الاستغناء عنه ولا يمكن القيام بالأعمال الميشية الا بعد تناوله ويشرب بالكيفية الآتية : -

مرآجدا لا يمكن استساغته إلا مع التضجر من شدة الحرارة وقلة السكر ،
قعاد الكرة ثلاث مرات . في مواعيد مخصوصة . يكون للشاي رئيس مخصوص
ينفذ قوانينه . يدار الشاي على الجميع كما تدار الخمر على محتسبيها الى غير ذلك ؟؟
س ١١ هل ورد عن الرسول أنه قال فيما معناه « كل محروق حرام » وإذا

كان قال ذلك فهل البن المستعمل في شرب القهوة محروق فيكون حراما؟ وماحكم الشارع فيه إذا أضيف عليه شيء من السكر؟

س ١٢ ماحكم الحجب والتأثم والرقى وهل ورد عن الرسول فعل ذلك أو إقراره؟

س ١٣ ماحكم المحراب للمستعمل الآن في الساجد؟ وهل ورد عن الرسول ﷺ

أنه قال فيما معناه « لا تزال أمتي بخير ما لم يتخفوا في مساجدكم مذابح كذاب

النصارى » وقال في موضع آخر « اتقوا هذه المذابح » وهل المذابح هي المحاريب

وما المراد من قول الله تعالى « كلما دخل عليها زكيا المحراب وجد عندها رزقا »

وقوله « فخرج على قومه من المحراب » وقوله « وهو قائم يصلي في المحراب »؟

س ١٤ ماحكم السلام بين المراهض هل هو جائز أم لا؟

س ١٥ و١٦ ما عطر الرجل وما عطر المرأة؟ وإذا قلم أن عطر الرجال ما ظهر ريحه

وخفي لونه فما عطر المرأة؟ وإن قلم ما خفي ريحه وظهر لونه فما هو إذا؟ وهل

استعمال الطلاء المستعمل لتلوين الوجه من عطر المرأة الذي خفي ريحه وظهر لونه؟

أرجو من فضيلة الأستاذ إجابتي عن هذه الاسئلة الخمسة عشر إما في المجلة

على مرار تباعا وإما كتابيا ثم نشرها في المجلة ولكم من الله جزيل الثواب

مصطفى حافظ عيسى

(ج ٣٥) صلاة الجمعة في البيوت جماعة

صلاة الجمعة عبادة اجتماعية من شعار الإسلام المليئة التي يقيمها بالمسلمين إمامهم

الاعظم أو نائبه إن وجد ويخطب فيهم بما تقتضيه الحل من مصالحهم وإرشادهم ويجب

على جميع المكلفين في البلد الاجتماع لها في مسجد واحد إن أمكن. ولكن لا يشترط

أن يكون المسجد موقوفا بل مسجد م حيث يصلون. وأما صلاة الأفراد لها في

بيوتهم جماعات صغيرة فهذا شيء لا نعرفه عن سلف المسلمين ولا خلفهم. ولكن

بعض الظاهرة جوزوا إقامتها في أي مكان لمدم وجود نص في الكتاب والسنة في

العدد ولا في صفة المكان وقد قلنا هذا عنهم في فتوى سابقة ولم نلتق عليه وقتئذ. ولكن

يجب أن يعلم أن شعار الإسلام الظاهرة من مناسك الحج والجمعة والجماعة والميدين

والاذان التي ثبتت بالتواتر المبني المجمع عليه في عهد الرسول ﷺ وخلفائه

فالواجب فيها الإلتباع ولا يجوز فيها تغيير بزيادة ولا نقصان ولا صفة من الصفات بناء على عدم دليل يمنع ذلك، بل الأدلة العقلية الظنية لا يستد بها في معارضة الشعائر المنقولة بالتواتر ، وأما اذا وجد جماعة في قرية ليس فيها مسجد موقوف تقام فيه الجمعة والجماعة وأقاموها في بيت من بيوتهم فانهم لا يكونون مخالفين للأئور ، بحلى قول الجمهور بصلاتها في القرى وعدم اشتراط المصر الذي تقام به الاحكام الشرعية وهذا مذهب الحنفية

(ج ٣٦) زيادة الصلوات والسلام في الاذان

الاذان من شعائر الاسلام المنقولة بالتواتر من عهد الرسول ﷺ ، وكمكانه معدودة في كتب السنة وكتب الفقه مجمع عليها بين أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة ، والشيعية يقولون فيه «حي على خير العمل» ولهذا أصل في بعض الروايات نوهو انه وجد في أول الاسلام ثم ترك ونسخ في عهد النبي ﷺ .
وأما زيادة الصلوات والتسليات في آخره فهي من بدع المؤذنين المتأخرين وقد توسع فيها بعضهم فصاروا ينادون فيها البدوي وغيره من الاموات الذين يدعوم هؤلاء البدعة من دون الله ، فقد دهشت سنة قدومي إلى مصر إذ سمعت أول مؤذن طرق صممي صوته في أذان الفجر ينادي في آخر الاذان «يا شيخ العرب» وإنما فشت هذه البدعة وأمثالها في أمصار المسلمين بسبب جهل المصممين أدغياهم العلم بالسنة ، وما ترتب عليه من عدم إنكارهم على منتحلي البدع . وفتح لم باب الاحتجاج على تأييد البدع قول بعض فقهاء القرون الوسطى بأن البدعة قسبان حسنة وسيئة ، فصاروا يقيمون أهواءهم في الاستحسان وعدمه . وإنا لنعجب أشد العجب أذنرى بعض كبار علماء الأزهر يفتون الناس ببدعة الزيادة في الاذان . ويرعون انها حسنة لانهاذكر مشروع في جنسه وحسن وقد قلنا ولا تزال قول في تنفيد جهلهم هذا : اذا جاز للناس في العبادة للأئور أن يزيدوا فيها غير الأئور في نفسه وان كان مأثوراً في نفسه فلم أن يزيدوا في أول الاذان وفي وسطه كما يزيدون الآن في آخره ، وأن يكون من هذه الزيادة تلاوة بعض آيات

القرآن فانه لا أحسن منه . ولم أيضا أن يزيدوا في الصلاة ركعات أو سجدات أخرى ، وأن يصلوا على النبي ﷺ بعد التلاوة في كل ركعة وهل يوجد دليل على امتناع هذا كله غير كونه مخالفا لما نور ؟ وما الفرق إذا بين الاذان وغيره ؟ أما انه لو فعل هذا كثير من العوام ، لاقتام باستحسانه مفتي مجلة نور الاسلام

(ج ٢٧) تعريف البدعة وأقسامها

البدعة في اللغة الفعلة أو الحالة للبتدعة للمستحدثة ، فان كانت في الدين فهي شرع لم يأذن به الله واقتراء على الله ، وهي ما لم يكن في عهد النبي ﷺ وجماعة المسلمين في عهده من العبادات ، كما قال الامام مالك : كل ما لم يكن في عهد النبي ﷺ ديننا فلا يكون بعده ديننا . وأما غير الدينية المحضة فهذه منها حسن وهو النافع الذي لا مفسدة فيه ، ومنها سيئ وهو الضار وما يترتب عليه فساد مثلا وكل منهما درجات فتميزها الاحكام الخمسة . ودليله حديث مسلم « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » الخ وقوله في الاسلام معناه في عهد الاسلام المقابل لعهد الجاهلية .

وتسمية عمر (رض) جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح بدعة تسمية لغوية فان صلاة قيام رمضان جماعة مشروع في عهد النبي ﷺ ولكنه ﷺ لم يواظب عليه لثلاث يفرض أو ثلاث يظن وجوبه وصار الناس بعده يصلونها جماعات متفرقة فجمعهم عمر على إمام واحد لكرامة التفرق شرعا

وأما البدعة الدينية المحضة فهي لا تكون الا قبيحة وضلالة ودليل الكلية ما صح عن النبي ﷺ انه كان يقول على المنبر « أما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله وان أفضل الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » الحديث - رواه أحمد ومسلم وغيرهما

وعرف الشاطبي البدعة في كتابه الاعتصام بقوله « انها طريقة في الدين

محتروعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلك عليها المبالغة في التمسك لله تعالى أو يقصد بالسلك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية « وقسمها إلى حقيقية وإضافية فراجع وروى بعض الجاهلين بالسنة أحاديث في عبادات مخصوصة بصفة مخصوصة كصلاة رجب التي سموها صلاة الغائب وصلاة نصف شعبان وقد عمل بها الناس في بعض البلاد وأجازها بعض الفقهاء لجهلهم بأن الحديث فيها موضوع ، فتصدي لم الفقهاء المحدثون ويدينوا خطأهم حتى قال الأمام النووي في النهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . وأنكر الفقهاء صلاة ركعتين بين الصفا والمروة قياسا على سنة ركعتي الطواف ، لان العبادة انما تثبت بالنص دون القياس ، وقد فصلنا هذا الموضوع في مواضع من مجلدات المنار محررا تحريرا

(ج ٣٨) شرب الدخان

بيننا مرارا أنه لا يقوم دليل على تحريم التدخين تحريماً عاماً إلا اذا ثبت أنه ضار ضرراً شديداً بكل من يستعمله ، وهذا لم يثبت . ولكن الأطباء متفقون على أن فيه مادة سامة يسمونها «نيكوتين» وان استعماله يضر بعض الناس وينفع بعضا في الجملة . وان أكثر الذين يحمونه بالتدريج لا يضرهم ضرراً ظاهرا . وعلى هذا يختلف حكمه باختلاف مستعمليه فن ثبت عنده أنه يضره بالتجربة أو بقول طبيبه فليبه أن يتركه لانه يكون محرما عليه وقد اختلفت فيه أقوال فقهاء المذاهب فكان أكثرهم يحرمه بحسب ظهوره كمادتهم في كل شيء جديد وبعد أن فشا واعتيد صار أكثرهم يبيحه وبعضهم يكرهه كمادتهم في مثل ذلك . وقد أفتى شيخ الأزهر أبو الفضل الجيزاري ومفتي الديار المصرية بأن ثالث أقوال العلماء فيه وهو الكراهة هو الوسط الراجح وأما حديث «صرف المال فيما لا يضر ولا ينفع حرام» فلم أره في شيء من كتب الحديث ، ولعله لا يوجد في الدنيا شيء يصرف فيه المال لا ينفع ولا يضر مطلقا . والتحريم في أصول الشرع هو حكم الله المقتضي لترك اقتضاء جازما . وكان علماء السلف يشترطون في هذا الخطاب الإلهي أن يكون قطعي الرواية والدلالة معاً وقد مرح به أئمة الحنفية وهو الحق . فالحديث المزعوم معارض بهذا الأصل الشرعي وبإصل الإباحة في الأشياء المأخوذ من قوله تعالى «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً»

(ج ٣٩) أكل الفسيخ والسردين

كان ينبغي للسائل الرجوع في هذا السؤال الى الاطباء ، وانا لم أسمع منهم ولا عنهم أن أكل الفسيخ والسردين ضار، والفسيخ لا يؤكل في بيتي لانتناستقذره ولم تتعوده ولا نحب أن تتعوده ، وأما السردين ففنه نوع جيد كالفسيخ لانا كله ونوع كالطبوخ شكلا وطعما ربما نأكله قليلا وقد تمر السنون الكثيرة ولا يأكله أحدهما

(ج ٤٠) بيع الفسيخ والدخان

حكم بيع الفسيخ والدخان تابع لحكم استعماله الذي علم مما تقدم

(ج ٤١) حديث «لن الله الواصلة والمستوصلة»

أما الحديث فهو متفق عليه رواه الجماعة كلهم ، وأما معناه فهو وصل شعر المرأة بشعر مستعار من غيرها . فالمستوصلة طالبة الوصل ، والواصلة هي التي تفضل لها . وأما سببه فهو أنه زينة مزورة قد تستعمل للفش في الزواج وغيره كما في حديث معاوية في البخاري أن النبي ﷺ ساء الزور

ولا يدخل فيه الضفائر التي كانت تسمى بالقرامل وهي تكون من الصوف أو القطان أو الحرير روى أبوداود عن سعيد بن جبير قال : لا بأس بالقرامل وبه قال الامام أحمد وكثير من العلماء ، ومنه الامام مالك وآخرون . وقال الشافعية إذا وصلت المرأة بشعر ظاهر من غير الآدمي باذن الزوج أو السيد جاز وإلا حرم

(ج ٤٢) العائم الخضراء والحمراء والصفراء

هذه العائم التي يلبسها مشايخ الطرق المنسوبة الى الصوفية لم يثبت عن النبي ﷺ منها شيء الا العامة السوداء فقد ورد انه دخل مكة عام الفتح وعليه عامة سوداء . وهو لم يلبسها تشرعاً بل اتفق له ذلك . وقد سئل السيد محمد الزبيعي الجبلائي شيخ الطريقة القادرية في طرابلس الشام عن سبب اختلاف اهل الطرائق

في ألوان عمامهم واعلامهم وغير ذلك مع قولهم ان غايتها واحدة هي عبادة الله ومعرفته - فاجاب السائل وهو من مريديه : تغيير شكل ، لاجل الاكل . اخبرني بهذا ابنه الاستاذ الكبير السيد عبدالفتاح قسيب الاشراف وشيخ الطريقة لهذا العهد واما حكم لبسها لذاته فهو الاباحة الا اذا كان لأجل شهرة باطلة ومنها التمام الخضراء لتغير الاشراف في البلاد التي تمدها شعارا لهم - او ايها الناس بالصالح او الولاية واه أو استدراار للنافع المادية او طلب الشهرة فيكون محظورا بقدر حظر هذه المفاصد وما يترتب عليها من الباطل . وشر من هذا كله ان تلبس بدعوى انها مطلوبة شرعا وانها من سنن الرسول ﷺ فان هذا من الكذب على الله ورسوله .

(ج ٤٣) الذكر برفع الصوت في المسجد

ان رفع الصوت الشديد بالذكر والثناء المشروعين مكروه منهي عنه . وأما هذا الذي يفعله اهل الطريق في بعض المساجد والازوايا وفي الطرقات احيانا فهو من يدعهم المنكرة من كل ناحية لم يرد عن رسول الله ﷺ ولا عن السلف الصالح ، وفعله في المساجد شر من فعله في غيرها ، لانه يشغل المصلين وقديمتهم من الصلاة التي نيت المساجد لاجلها ومن الذكر والتفكير والتدبر من العبادات المشروعة . بل اتفق العلماء على ان تلاوة القرآن اذا كان رفع الصوت بها في المسجد يشغل المصلين ويهوش عليهم فانه بمنع وقد فصلنا هذا في مواضع من النار ، وللإمام الشاطبي في الاعتصام بحث طويل في الانكار على اذكار الصوفية البدعية فراجع فيه وراجع كتاب المدخل ايضا .

(ج ٤٤) شرب الشاي كالخمر

شرب الشاي مباح كالقهوة لمن لا يفسد ضرره منه ، وهذا الصفة التي ذكرها السائل لم نرها ولم نسمع خبرها عن أحد من قبله ، وهي تشبه بالسكر في شرهيم للخمر أقل ما يقال فيها انها مكروهة كراهة شديدة . وقال بعض كبار الفقهاء بأن مثل هذا التشبه حرام . ذكر التزالي في الكلام على إباحة السماع لذاته وتحريره لبعض المواضع ان من تلك المواضع التشبه بأهل البدع وأهل الفسق الذي

يلحق التشبه بمن يشبه بهم كما ورد «من تشبه يقوم فهو منهم» رواه أبو داود من حديث ابن عمر (رض) مرفوعاً وخسنوه — ثم قال مانعه :

« وبهذه اللة قولوا اجتمع جماعة وزينوا مجلساً وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجين^(١) ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويستقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحيي بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشروب مباح في نفسه لأن هذا تشبه بأهل الفساد الخ

(ج ٤٥) حدث كل محروق حرام

هذه الجملة لم أرها في كتاب ولم أسمعها إلا من بعض العوام . والمحروق يطلق في اللغة على الذي زالت حارقته وهي رأس الفخذ أو الذي زال وركه سـ على السفود وهو بوزن التنور الحديدية التي يشوى عليها اللحم . وللخبز أو اللحم الذي يجرقه النار أسماء في اللغة الفصحى أشهرها الخماش وقال محشته النار وأمحشته . واللغة الفصحى في فعل النار الاحراق والتحريق وهو المستعمل في القرآن والحديث والحرق بالتحريك اسم النار ، وأما قولهم حرق الثوب ونحوه فقد قال الراغب إن معناه إيقاع حرارة فيه من غير لهيب وحرق الاسنان والاضراس سحق بعضها على بعض ومن بابي نصر وضرب

(ج ٤٦) الحجب والتأمم والرقى

هذه الامور من أعمال الجاهلية وسائر الشعوب الممجية التي استحذت عليها الخرافات والافهام ، وقد ابطالها الاسلام ، وورد في حظرها احاديث شديدة منها قوله ﷺ « من علق نيمة قد أشرك » رواه أحمد والحاكم من حديث عقبة بن عامر . وقوله « ان الرقى والتأمم والتولة شرك » رواه احمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن مسعود . وقوله « ثلاث من السحر : الرقى والتولة والتأمم » رواه الحاكم من حديثه ايضا

ولما كان بعض المرضى ولاسيما أصحاب الامزجة العصبية منهم ينتفعون
(١) السكنجين شراب كان يصنع من الخلل والسكر وهو مفيد للصفاة

بالاوهام أذن النبي ﷺ بالرقية وقال «من استطاع متكم أن ينفع أخاه فلينفعه»
رواه أحمد ومسلم من حديث جابر. وأجاز الذين رقا أسيد الحي المشرك من اللوعة
بقائمة الكتاب كما في الصحيحين وأجاز لهم أخذ الجمل عليها. واشترطوا في
الرقية المباحة أن لا يكون فيها شرك كرقى الجاهلية كما في حديث عوف بن مالك
عند مسلم وأبي داود. وروى البخاري في التاريخ وابن سعد والبخاري والطبراني
 وغيرهم أن النبي ﷺ لدغ مرة فغشي عليه فرماه ناس فلما أفاق قال «إن الله شافني
 وليس برفيتكم» وذلك أنهم كانوا كاثلهم في كل زمن ينسبون نفع ذلك إلى
الجن وما شاكل ذلك من الخرافات فابطل ذلك بضده وهو دعاء الله تعالى فكان
ﷺ يقول في رقيقته للعريس «الهم رب الناس مذهب الباس، اشف أنت الشافي
 لا شافي إلا أنت شفاء لا ينادر سقاء» وفي رواية «أذهب الباس» وهو في
الصحيح من حديث انس وعائشة وقال في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب
«م الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيقون» الحديث وهو في الصحيحين وغيرهما
وقد فصلنا هذه للسألة في مواضع من النار أذكر منها الآن ص ٣٩٠ م ٧٣

(ج ٤٧) المحارب في المساجد والمذبح في الكنائس

المحارب يطلق في الفتى على مقدم المجلس وصدر المجلس والمحل المشرف العالي
منه وعلى غرفة في مقدمة الدار. ومنه يسمى مكان الامام من المسجد محراباً :
واتماً جبل لمقبره في جدار القبلة حتى لا يعطل الامام منه صفراً كملالان المصلين
يكونون وراءه. وكان لهياكل العبادة عند الوثنيين ثم عند أهل الكتاب محارب
جميع الموضع المتنس عندهم من الهيكل أو المبد ومنه محراب زكريا ومريم عليهما
السلام، وما يسمى عند النصارى بالمذبح الآن. وأصل المذبح في الاديان القديمة
موضع ذبح القرابين الدينية. ففي سفر التكوين ٢٠: ٨ «وبنى نوح مذبحاً للرب
وأخذ من كل البهائم الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. وفي آخر سفر الخروج
أن الرب أمر موسى أن يصنع له مذبحاً من تراب يذبح عليه محرقات وذبايح سلامته
قال «واذا صنعت لي مذبحاً من حجارة فلا تنه منها منحوتة» أي لأنها تشبه

التمثيل ويراجع في هذا السفر مذهب الحرقات أو المذهب النحاسي ومذهب البخور أو المذهب الذهبي. ومحارب مساجدنا لانتبه هذه المذاهب ولا محارب الكنائس في صورتها ولا في أحكامها. وما ذكرتم من الأحاديث فيها فهو ما لا نعرف له رواية. فان كنتم رأيتموه في كتاب فأخبرونا به أو اقولوا لنا عبارته ان كان غير مشهور ولا يجوز لاحد ان يمزو الى رسول الله (ص) حديثا الا اذا رآه مرويا في كتاب من الكتب الموثوق بها او سمعه من عالم مؤمن على السنة الطاهرة. وانا نرى بعض كبار علماء الازهر يذكرون في مجلته المسماة بنور الاسلام أحاديث موضوعة ويدعون صحتها، واذا قيل لم معترض حكم بعض الحفاظ بوضعها ماروا وجادلوا وحرفوا وتأولوا، مصرين على تصحيح الموضوع كما ترونه في باب التقرير من هذا الجزء - فأرايكم في غيرهم. اما نحن فنقول فيما ثبتت على يده، ونقول فيما لا نعرفه اننا لا نعرفه. ومن قال لا ادري فقد افني

(ج ٤٨) السلام بين المراهض

قال صاحب كتاب الآداب الشرعية (ص ٣٧٨ ج ٢) ويكره السلام على من يقضي حاجته وورده منه، نص عليه أحمد لان النبي ﷺ لم يرد على الذي سلم عليه وهو يبول رواء مسلم وغيره. وقدم في الرعاية الكبرى أن الرد لا يكره لان النبي ﷺ رد، كذا رواه الشافعي من رواية ابراهيم بن أبي يحيى. وابراهيم ضعيف عند اكثرين

(ج ٤٩) طيب الرجال والنساء

في حديث أبي هريرة المرفوع « طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه ». رواه الرمزي والنسائي. وفي معناه حديث عمران بن حصين « ألا وطيب الرجال ريح لالون له وطيب النساء لون لا ريح له ». قال بعض الرواة هذا اذا خرجت المرأة واما اذا كانت عند زوجها فلتطيب بما شئت. ومستند حديث أبي هريرة في الصحيح « أما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » رواه مسلم وأبو داود والنسائي وحديثه بالتفرقة بين طيب الرجال وطيب المرأة غير صحيح وان صححه الحاكم

إنباء العالم الاسلامي

ذكرى يوم النبي ﷺ أو المولد النبوي

نشرنا في الجزء الماضي النداء العام في موضوع هذه الذكرى ووعدنا بان
تنشر في هذا الجزما اقترح مسكوتير لجنة لاهور علينا في الموضوع وهو تأليف
رسالة في حقوق النساء في الاسلام ، وحظ الجنس الطيف من اصلاح محمد عليه
الصلاة والسلام هذه ترجمته :

خطاب اللجنة لصاحب المنار واقراءها عليه

أخي العزيز في الاسلام

قد تعلمون بالاستعدادات القائمة الآن في الهند بخصوص الاحتفال السنوي
بمولد النبي ﷺ أعظم من أسدى خيرا الى الانسانية . ولا ريب في أن الاكثريين
حتى من طبقة المتعلمين يجهلون تماما تفاصيل حياة نحر الكائنات وسيرته ، وهو
الذي قل لا يبارى على مر السنين في كونه متقدماً للانسانية من أسفل دركات
الاضططاط والفساد والاحلاد ، ورافعا لها الى أعلى ذروات المجد من كافة النواحي
الدينية والاجتماعية والاخلاقية . وان جهل الجماهير لهذه الحقيقة لحقيقة ألحمة

وهذه الخطوة في الهند تعطي الفرصة للقيام بدعاية واسعة في كل ركن من
أركان الارض لبيان ما اكتسبه العالم من ذلك ينبوع الدائم الفياض من المزايا
التي لا حصر لها ، والفوائد المثمرة التي لن تبرح ماثلة ظاهرة

وهذه الدعوة تنشر بوسائل المطبوعات ومن فوق للناشر . ولتحقيق هذه
الغاية رؤي من المستحسن أن يقوم المهذبون الذين على حمة من العلم بمقداجتماعات
يُدعى اليها المسلمون وغير المسلمين في كل أنحاء العالم يوم مولد الرسول ﷺ
أي يوم ١٢ ربيع الاول من كل سنة

كما أن من المناسب ان يكون بجانب تلك الاجتماعات العامة إذاعة نشرات

دورية من وضع المسلمين وغير المسلمين في ملخص سيرة الرسول ﷺ وأعماله الحميدة . وتلك الخطوة كانت قاصرة على الهند في بدء سنتها الاولى . ولكن السنوات القليلة تبشر بانتشار جهودها في كثير من الممالك الاسلامية الاخرى . ثم ان كل هذه الخطوة هي من وضع القورد الحاج الفاروق هادي الشريف الانكليزي المسلم الذائع الصيت . ولقد ترجمت الى ست عشرة لغة مختلفة ووزع منها ستائة ألف نسخة على القراء من المسلمين وغير المسلمين ، كما أنها أذيعت من محطة الاذاعة الاسلاميية بكلكتا الى كثير من الممالك الاوروبية .

ولقد قررت اللجنة أن تقدم اليكم بطلب كتابة صورة من حياة نبي الاسلام ﷺ لاجل نشرها واذا عنها عموماً في سنة ١٩٣٢ . وللوضوع الطلوب لهذه المرة هو : (نبي الاسلام وحقوق الجنس اللطيف) ولنا في حاجة الى التذكير بالجهد المستمر في الممالك الاوروبية لمساواة المرأة بالرجل في الحقوق

وإن الاسلام ليفخر الى أبعد مدى بأنه كان هو الدين الاول والآخر الذي شد أزر حقوق المرأة ، وأخذ بعصدها — ولكن في سياق الفضيلة ولا ريب وهذه المقالة من غير شك سيكون لها قوة التأثير والمجازية في نساء أمريكا وأوروبا . ولقد اختارتكم اللجنة كالمراجع الأعلى لهذا الموضوع . وعلى أية حال نرجو أن تسمحوا للجنة بأن ترغب اليكم بأن تكون الخطابة جذابة ومؤثرة وداعية الى هذه الحقيقة التي لا ريب فيها وهي اثبات أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي يوجد في تشريعه أعظم الوسائل الممكنة على وجه الأرض للوصول الى إرضاء الجنس اللطيف باعطائه جميع حقوقه وارواء غلة الظلم الشديد الى ذلك في الممالك المتعدية . هذا وان اللجنة لا تاتي بقول ما ترون كتابته اليها في أي ناحية أخرى من أوجه حياة النبي ﷺ قد ترونها أكبر نفعاً وأعظم أهمية في وجهتها الاجتماعية العالمية العامة . ومن الواضح الجلي أن اللجنة في طلبها هذا تعتمد إلهاماً على قوة إيمانكم الشديد المعروف ، ومواهبكم وأبحاثكم المستفيضة النادرة في الشاغل النبوية .

ومن الموثوق به أن نشاط اللجنة في نشر الدعوة هذه المرة سيكون إن شاء الله أوسع وأكبر مما كان عليه في الثلاث السنين الماضية . وقد شرع الآن في عمل

الترتيبات اللازمة فلا لترجمة مقالاتكم الى أكثر ما يمكن من اللغات وتوزيعها باقصى ما يستطيع على ملايين الفكرين في العالم .

وتعتقد اللجنة بأن مقالاً في موضوع يمثل تلك الأهمية من حياة نبي الاسلام وبقلم مسلم مذهب كشخصكم الفاضل ، سيكشف عن نور جديد وسيكون تأثيره عظيماً وثابتاً في الطبقات المتملة في أنحاء العالم .

وبالنسبة الى جلاله هذا العمل وعظيم أهمية خطواته الأولى تؤمل اللجنة أن تلبوها الى طلبها وتوافروها بكتابكم حوالى آخر نوفمبر سنة ١٩٣١ وتنتهي اللجنة هذه الفرصة للاعراب عن خالص تشكراتها لهذا العمل المحبوب الذي ستتقبلونه ان شاء الله بانسراح .

عبد المجيد قرشي

(المنار) جاءت هذه الرسالة منذ بضعة أشهر فالتقيناها الى الادارة لترجمتها والنظر في اجابة مرسلها الى ما طلب فلم تترجم لنا إلا بعد انتهاء المدة المقترحة . فكتبنا الى حضرة مرسلها ناموس اللجنة (السكرتير) فنشتر عن القيام باجابة الطلب في الموعد وأرسلنا اليه رسالتنا (خلاصة السيرة المحمدية) بالمرية مع ترجمتها بالانكليزية فتلغاها شاكرآ وكتب اليها انها ستطبع بعد شهرين ومد لنا في أجل الرسالة النسائية الى آخر ذي الحجة ، وقد شرعنا فيه بكتابتها ونسال الله التوفيق لانعامها ، وإيتاءنا الحكمة وفصل الخطاب فيها

(الدعوة الى الاحتفالات بالسيرة المحمدية يوم المولد النبوي الشريف)

(أرسلتنا اليها اللجنة الهندية العربية وطلبت منا توقيماً لاجل نشرها في ذلك اليوم العظيم فوقمتها . والظاهر انها طلبت ذلك من غيرنا من العلماء والزعماء)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)

قال رسول الله ﷺ « يلنوا عني ولو آية »

لا يزال منار عظمة النبي محمد (ص) وجلاله من حيث العلم والعمل منذ الف

وثلاثمائة سنة قائما على صخرتين عظيمتين لا تزعزعان قط . وقد ثبت أن هذا المنار هو النور والمليح الوحيد لذلك التهذيب والتمدن الحائرة في محور الحياة المتلاطمة بالظلمة والظلميان في كل آن وزمان ، أعني أن كل ما قاله ﴿ص﴾ فهو للجميع ، وكل ما فعله فهو للكل

ان النبي ﴿ص﴾ لم يمت إلا لينظم أبناء للذاهب (الملل) المختلفة والتهذيب المتنافر ، في سلك واحد من الاخوة والمساواة ، وانه ﴿ص﴾ لم يكن ليخالف التفرقة المذهبية فحسب ، بل كان يأتي ويشر من الخلاف العالمي بين أبناء الانسانية الواحدة بأية صفة وعلى أية حالة كان ، وان تعليمه ﴿ص﴾ لم يكن مما يتعلق بشخص أو مواطن أو شعوب خاصة ، بل كان تعليما عاما أبديا لكل الخلق في كل البلدان والاقطار على حد سواء ، ليحكم علائق ارتباط المحبة الاخوية بين أفراد الانسانية جمعا . وان ذلك الدين الذي دعا النوع الانساني اليه لم يكن دينا مخصوصا بجماعة أو فرقة بل هو دين الخلق أجمع ، وان قبول هذا الدين رادف قولنا : اننا قد أصبحنا أحرارا مطلقين من قيود تلك الحلقات الضيقة التي قلعت دعائمها على اللون والجنس واللغة والقومية والوطن ، واننا أصبحنا تحت إمرة (ولاية) سلطان واحد وهو الله ، وان الارض كلها وطن لنا وان كل ما عليها من العوالم من النوع الانساني هم أفراد عائلة واحدة فتعالوا نمحفل اليوم بكون عيداً للصحبة والاستقلال الحقيقيين ، ليكون هذا اليوم ذكرى لنبي الوحدة والمحبة ، حيث تنزع من بيننا كل اختلاف وتناساها ، وقف في صف واحد بدأ واحدة فسعى في خدمة الانسانية وتآخينا وفلاحها لا يجرم أن اليوم الثاني عشر من ربيع الاول يجب أن يصخذ لهذه الغاية لانه هو يوم ولادته ﴿ص﴾ وتذكاره الذي لا يفنى :-

اننا ندعو بناية الاخلاص والاحترام عموم أبناء البشر للاشتراك في عيد الاتحاد هذا ونرجو منهم ان يقوموا باقامة احتفالات متحدة في سائر أقطار الارض باسم ﴿الاحتفالات بالسيرة النبوية﴾ احتفالات تليق بمحضرة محمد ﴿ص﴾ وتتفق في عظمتها مع عمله وعظمته وقدره يوولد منها بين أفراد البشر احساسات حقيقية للمساواة والمحبة وخدمة الخلق :-

إننا آخذون يجوزج بعض النشرات التي تبث في أمم الامور من بعض جهات الحياة النبوية التي قد ديجتها أقلام خيرة من العلماء والفضلاء ، فالرجاء أن تقرأ هذه النشرات يوم الاحتفال كمحاضرات وأن تترجم الى لغات الارض الحية ، وتذاع وتنفذ في كل بقاع الارض بالجان ،

و بالخطام قائنا نرجو الله تعالى أن يجعل هذا العيد السعيد مباركا على جنس الانسان

المؤتمر الاسلامي العام في بيت المقدس

(٣)

نشرنا في الجزء الماضي نص تقرير لجنة الدعوة والارشاد التي وافق عليه المؤتمر بالفعل وذكرنا ان المواد الاربع التي فيه ملخصة من عدة مقترحات كانت اللجنة وضعتها مبسطة فقرر المؤتمر في جلسته العامة أن تلخص بصورة مواد قانونية تصوغها فيها لجنة فرعية خاصة وكان ذلك - ووعدنا بأن ننشر المقترحات الاصلية لما فيها من الفائدة العلمية والتاريخية ، ولما وقع فيها من المناقشة والاعتراض وهذا نصها :

(مقترحات لجنة الدعوة والارشاد الى المؤتمر الاسلامي)

- ١ - تأليف جمعية باسم [جمعية الدعوة والارشاد الاسلامية] على النهج الذي كانت عليه الجمعية التي ألفت بهذا الاسم في القاهرة يكون لها مدرسة كلية خاصة تكون إحدى كليات الجامعة الاسلامية التي قرر للمؤتمر السعي لانشائها في بيت المقدس لتخرج طائفتين من العلماء (إحداها) تخصص لارشاد المسلمين على اختلاف أجناسهم الى حقيقة الاسلام بالتعليم النظامي السهل والثرية الدينية العملية الموافقة لحالة العصر - والثانية لاجل دعوة غير المسلمين الى الاسلام، ويستعان على إنشاء الجمعية والمدرسة بما وضع للجمعية السابقة ومدرستها من نظام ومناهج وتجربة
- ٢ - أن يجعل المؤتمر بإجابة رغبة كثير من الاعضاء الى ما طلبوه من اتخاذ وسائل سريعة لتقاومة سوء التأثير والضرر الواقع بالفعل من طعن دعاة النصرانية [المبشرين] على الاسلام ، وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، بخطبهم وكتبهم ورسائلهم بوسيلة عملية ناجزة ، وأن لا ينتظر في ذلك انشاء المدرسة وتخرج البعثة والمرشدين فيها للقيام بهذا الواجب
- وترى اللجنة ان أقرب الوسائل لذلك نشر بعض الرسائل العلمية - المؤلفة

والتي تؤلف - في حقيقة دينهم وتقاليدهم فيه . ومن أهمها رسالة موضوعها [عقيدة الصلب والقداد] قد بين فيها ما أخذ هذه العقيدة وأنها ليست بما جاء به المسيح عليه السلام . وإنما الحق في مسألة الصلب ما حققه القرآن ، وهو كتاب الله الأخير الذي حفظه الله من التحريف والتبديل ، ففتقر أن يطبع المؤتمر منها أوقاف كثيرة من النسخ باللغة العربية وتوزع المجان في جميع البلاد العربية التي انتشر فيها أولئك الدعاة وقد ترجمت هذه الرسالة باللغة الملاوية ترجمها الشيخ محمد بسيوي عمران إمام مهراب سمبس برنيو وهو أحد تلاميذ مدرسة الدعوة والارشاد السابقة ، ففتقر أن يخاطب المؤتمر الجماعات الاسلامية في البلاد الاندوسية بطبعتها وتوزيعها على المدارس والجماعات والاندية في تلك البلاد - وأن ينتدب المثلون لمسلمي الهند في المؤتمر لترجمتها بلغة الأوردو ، ونشرها في كل مكان يوجد فيه هؤلاء البشر من تلك البلاد . وينبغي أن ترجم باللغة الفارسية والانكليزية وغيرها أيضا

وقد شكوا صاحب مجلة إسلامية في الصين لصاحب مجلة دينية في مصر تصدي المبشرين عندهم لتصوير المسلمين والظن في الاسلام والرسول عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ، فأرسل اليه نسخة من هذه الرسالة فطلق يترجمها وينشرها في صحيفته فكف أولئك المبشرون عن التصدي للمسلمين هناك

٣ - أن يعجل المؤتمر بتقديم خدمة الى العالم الاسلامي ترى اللجنة انها أم ما يجب البدء به وتقييمه بقدر الطاقة وهي ان يكلف بعض العلماء بالكتاب والاسئلة ومسائل الاجماع والمذاهب الاسلامية تأليف رسائل في عقائد الاسلام وآدابها وفنائه وعبادته وتاريخ نشأته ، تكون الوسيلة الاولى لاجياد روح الدين ومقاومة الاتحاد والزندقة في عامة المسلمين . وتحقيق الاخرة الاسلامية على أكل وجه ممكن . ويتوخى فيها ما يأتي :

(١) أن يقتصر فيها على المسائل الاجماعية عند جميع أهل المذاهب الاسلامية في الاصول والفروع لتكون مقبولة عند جميع المسلمين ، وعميداً لجمع كلمتهم ، وكونهم أمة واحدة لا يميز أن تتفرق باختلاف الاجتهاد الذي يميز فيه كل مجتهد باجتهاده ، وكل عامي باتباع المذهب الذي نشأ عليه

(ب) أن تكون مشتملة على ما لا يسع مسلما جهله من أمور دينه وما يعلم القديمه بطلان ما يدعو اليه المبشرون وغيرهم من الدعاة الى ما ينافي الإسلام وأنه كفر وقسوق عن الإسلام ، من غير تصريح بشيء من تلك الاصول والبدع ولا ذكر العقائد المخالفة ولا أسماء أهلها . وأهم هذه المسائل كون محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين ، المرسل رحمة للعالمين ، وان التشريع الساوي قد تم بشرعه ، ومن ادعى الوحي بعده فهو مقتر على الله تعالى مارق من دينه

(ج) ان تكون في متعنى السهولة في العبارة والاسلوب يمكن ان يفهمها العوام بمجرد التلقين والبيان الوجيز ، ومن شرط ذلك خلوها من الاصطلاحات الكلامية والعقيدة والادلة المنطقية والاصولية

(د) أن يكون ما تدونه في الايمان بالله تعالى وصفاته وأفعاله موجها الى ما يؤثر في القلوب والاعمال من حبه تعالى ومراقبته ، والتذكير بعلمه بما يسره الزم ، ويغنيه ، والرجاء في ثبوته لمن احسن عملا ، والخوف من عقابه لمن اساء ، وعظم الخ ويكون الكلام في رسالة الرسل عليهم السلام مبينا لمصمتهم وكذب من يعترفون عليهم ، ويرمونهم بشيء من النقائص ، وكونهم كانوا كلهم داعين الى عبادة الله وتوحيده وابطال الشرك والوثنية ، والى العمل الصالح والاستعداد للآخرة —
نمما امتاز به خاتمهم ﷺ من الزايات والكالات في أميته وكتابه واشغال شريسته

على الاصول الكافية لاصلاح البشر الى آخر الزمان ، وما في افعاله وشمائله من الاسوة الحسنة والقندوة الصالحة كشجاعته وسخائه ورحمته وايثاره الناس على نفسه وأهله

(هـ) ان يكون الكلام في آداب الاسلام وفضائله مقرونا بما لها من التأثير في الاعمال النافعة من شخصية ومنزلية واجتماعية سالك الكلام فيها يتأفها من الرذائل مبينا لما لها من سوء التأثير والضرر في الابدان والاموال والاعراض ، كضار التمار والسكر واستمال الخمرات التي فشت في هذا الزمان الخ

(و) ان يقتصر في العبادات على الكليات المجمع عليها في الطهارة ومنافها وصفة الصلاة وحكمتها وهي النهي عن الفحشاء والمنكر ومناقة الملح والجبن والبخل ، وتعود النظام وجمع الكلمة ، وكون الزكاة كنما من أركان الاصلاح المدني والاجتماعي

والسياسي واقيا للمسلمين من الفقر للدفع ومناسدا للبشعة وعونا لهم على كل إصلاح .
وكون الصيام يقصده بتقوية الارادة بتربية النفس على ترك الشهوات البدنية الضرورية .
الباحية تعبدا لله تعالى لتكون على ترك الشهوات المحرمة أقدر - وكون الحج عبادة
روحية مالية ، ورياضة جسمية واجتماعية ، ووسيلة لتعارف الشعوب الاسلامية النخ
٤- ان يقرر المؤتمر الاستحانة بأعضائه الحاضرين ثم ببلجانه التي تؤلفه للتنفيذ
ولنشر ولجمع الاموال ، ثم بمجموعات الشبان المسلمين وغيرها من الجمعيات الاسلامية
التي تكثر في جميع الامصار ، على نشر هذه الرسائل في جميع الشعوب الاسلامية بعد
ترجمتها بلغاتها الراقية لئات الكتابة والتأليف ، كما تقدم في نشر رسالة المقاومة التبشير
٥- ان يقر المؤتمر بالسعي للصلة بين خطباء البلاد الاسلامية وتعاونهم على
اصلاح الخطابة ، وجعل موضوعاتها في المساجد في امور الدين وسائر مصالح المسلمين
٦- ان يقرر المؤتمر التوصل لجعل التعليم في المدارس الاسلامية ولا سيما الحرة
التي لا سيطرة عليها للاجانب والرسميات كمدارس المجلس الاسلامي الاعلى في مكة
(فلسطين) على الوجه الذي يؤهل تلاميذها للدعوة والارشاد الذين تقدم بيانها
٧- ان يتخذ المؤتمر الوسائل التهديدية لتعميم اللغة العربية في جميع الشعوب الاسلامية
لما في مقدمة هذا التقرير من توقف فهم الدين ووحدته عليها ، واشتداد الحاجة في
هذا العصر الى هذه الوحدة التي تجمع قوة هذه الامة للؤلفة من ٣٥٠ مليوناً بل
٤٠٠ مليون لحفظ حقيقتها واعلاء شأنها ودفع ضروب العدوان عن دينها ودنياها
فاللغة في الامة الواحدة كالجموع المصبي في البنية به يكون شعور جميع
الاعضاء بكل ما يطرأ عليها من الادراكات والمؤثرات المؤلة والملائمة ، وعلى
هذا الشعور يتوقف التعاون الايجابي والسلي . فلا يتم لنا احياء هداية الاسلام
بانواعها ولا وحدانه المتقدمة ولا فائدة مؤتمراته الا باحياء لغته الجامعة
هذا ما رأيت لجنتنا عرضه على الهيئة العامة لهذا المؤتمر وهي مستعدة لبيان ماعصاه .

يحتاج الى الايضاح منه ، والدفع عما يرد عليه من النقد ، والسلام
المقرر
رئيس لجنة الدعوة والارشاد

محمد رشيد رضا

اسماعيل النشاشيبي

(الاعتراض على التقرير في المؤتمر)

دعيت لتلاوة التقرير على منصة المؤتمر في جلسة يوم الاحد قبل الظهر ثالث شعبان سنة ١٣٥٠ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٣١) وتصدى للاغراض الشيخ سعيد درويش البابي الحلبي أحد أعضاء اللجنة الذي ذكرت خطته وشغبه في الجلسات التي حضرها ، فأسكتته الرئيس ليتمكن الاعضاء من سماع التقرير وفهمه متصلاً بمضه يبعث ، وليكون الاعتراض بعد إنجازه وفهمه أدنى الى كونه معقولاً الخ

وبعد تلاوته حضرت صلاة الظهر فأرجئت الجلسة إلى ما بعد الصلاة ثم افتتحت في أول الساعة الثانية بمدها وفتح باب المناقشة فيه ، فقام الشيخ سعيد درويش فقال ان مسألة الدعوة والارشاد مهمة جداً لانها تتعلق بالعقيدة وان أم شي عند المسلم أن يحافظ على عقيدته ، وانه هو كان عضواً فيها وفي اللجنة المالية ولكنه رأى الشيخ رشيداً رئيس هذه اللجنة مستبداً فيها لا يسمح للاعضاء بأبداء آرائهم . وانه هو كلما كان يدي رأياً نادى عليه الشيخ رشيد بالويل والثبور

ثم قال ان هذا التقرير الذي قدمه الشيخ رشيد ليس تقريراً لكنه محاضرة هو الذي وضعها وحده فلم يشترك هو فيها ، وانها صُنفت من مادة مطاطة بأسلوبه الوهابي ليؤيد فيها مذهب الوهابية ضد سائر المذاهب الاسلامية وانه هو كان اقترح على اللجنة أن تقرر عدم وجود خلافيين المذاهب فلم يقبل كلامه (قال) وانا نطلب الحكم على هذا التقرير بالاعدام

وقام السيد محمد الصبان مندوب الجاليات الحجازية التي تسمى لمقاومة ملك الحجاز في خارج الحجاز فتى على رأي الشيخ سعيد درويش بان هذا التقرير وهابي وضع لتأييد مذهب الوهابية ، فاضطرب للمؤتمر هذه الجراة الغريبة وانبرى أعضاؤه لتنفيذ هذه المفسدة الدعاة مفسدة التفريق بين مذاهب المسلمين وفرقهم

فسبق الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني رئيس المجلس الاسلامي في بيروت وألقى خطاباً وجيزاً بصوت جهوري قال ما خلاصته :

اننا جئنا الى هنا لجمع كلمة المسلمين ونحن فوق المذاهب ، وليس في استطاعة أحد

أن يمنع اختلاف المذاهب ويجعلها مذهباً واحداً فالذاهب تبقى على حالها ولبحترم كل منا مذهب الآخر ، ويكون مرجعنا الى كتاب الله فهو جامعنا الدينية الكبرى ولا بد أن يأتي يوم تتقارب فيه الاذهان حتى لا يبقى خلاف . واذا كنا نحن ندعو الى التقارب بين المسلم والمسيحي فكيف يمكن أن نفرق بين السلم والسلم ؟ ثم تكلم مقرر اللجنة الاستاذ اسماف بك النشاشيبي فقال ما خلاصته :

ان لجنتنا قد اجتمعت واختارت السيد رشيد رضا رئيساً لها . وعمل ذلك بالتنويه ببلده وخدمته للاسلام في هذا العمل وغيره زهاء اربعين عاماً . وان للمعرض كان يحضر الجلسات أولاً وقد اقترح على اللجنة أن تقرر انه لا يوجد خلاف بين المذاهب الاسلامية . وانني أنا رددت عليه وقلت له ان الخلاف موجود وإنكاره مكابرة لا قائمة فيها ، وغير لنا ان لا نذكره وأن نكتفي بذكر الاشياء المجمع عليها . ثم اقطع عن الحضور . وقال اتنا لما أردنا قراءة التقرير للمرة الاخيرة أخبرنا الشيخ سعيداً هذا ودعوته الى حضور الجلسة فامتنع . والتفت اليه وقال : أما نحن فقد حضرنا وقرر كل شيء برأياء ، وأما انت فقد قررت من الزحف (قال) نعم ان السيد رشيد رضا هو الذي وضع التقرير ولكنه لم يستبد به بل كنا مشعر الأعضاء نبدى له كل ما تراه من آرائنا فيقبلها ويدونها فتدور المناقشة فيها ولم تقدم الى التوقيع إلا ما اتفقنا عليه

ثم تكلم الاستاذ الشيخ حسن أبو السعود وبدأ كلامه بقوله ان الاستاذ النشاشيبي مقرر اللجنة قد ذكر جل ما كن يريد أن يقوله هو ، وقد قول المعرض ان السيد رشيداً ما كان يقبل أن يناقشه أحد . وأنا أقر وأعترف بأنه تقبل كثيراً من آرائي يقبول حسن وأنا بمنزلة ولله وتليده . وبالغ في الثناء كالاستاذ النشاشيبي

ثم قام محمد علي أفندي الحاموي وقال انه يوافق السيد رشيداً على آرائه في العلم والدين ولكنه لا يوافق على أن الاسلام قام بالدعوة والحجة دون السيف والقوة . فضج الأعضاء واضطربوا من كل ناحية ، يشكرون كلامه ، ويهجون لسانه . وكان سيد قوله ويديه المرة بعد المرة متمججاً مبتسماً حتى اسكنوه واجما مبتسماً

ثم نهض الاستاذ الشيخ سلمان الضاهر وقال: إنا جئنا الى هنا لتوحيد كلمة المسلمين لا لتفريقها، واني بصفتي شيعياً أؤيد تقرير السيد رشيد رضا ولا أرى فيه تفرقاً، وانا أعرف السيد وأقرأ من أوائل العهد بإصداره وأشهد أنه كان من أول المدعين إلى التآليف بين المسلمين وجمع كلمتهم ولكنني أقترح تنقيح المادة الرابعة منه (فرد السيد محمد حسين الدباغ مندوب حزب الاحرار الحجازي كلمة الاعتراض على المادة الرابعة وعلى مقدمة التقرير طالبا إعادة قراءتها للنقاش فيها فلم يجبه أحد) ثم تكلم الاستاذ الشيخ ابراهيم إطفيش (الاباضي) قال مامخلصه إنه هو ممن ابتلوا بدراسة الخلاف بين المسلمين، وأنه يستند أن التوفيق والتآليف في هذا المؤتمر متفق عليه، وأن الاخلاص مخيم عليه، وأنه يعرف السيد رشيداً ويعرف فكره وفضله، وإن رائده الوحدة الاسلامية وهو دائماً يدعو اليها... قال: ولكنني رأيت في هذا التقرير ما كنت أود ألا يذكر فيه (٢٢)

ثم نهض الاستاذ الحاج فنان الاعظمي البغدادي فألقى خطاباً حماسياً في الاتفاق والوحدة واتفاق الجميع عليها والانكار على اثاره ما يخالفها كالقدي يحاوله المنرض ثم نهض الاستاذ الشيخ محمد بهجة الاثري البغدادي وألقى خطاباً حماسياً في الموضوع أثنى فيه على السيد رشيد رضا وقال أنه هو يوافق على كلامه من الناحية العملية النظرية ولكنه يخالفه في إمكان جعل هذا التقرير نافذا بالفعل

ثم قام الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار فقال ان التقرير الذي وضعه السيد محمد رشيد رضا جيد لا غبار عليه، ولا تفريق بين المسلمين فيه، وليس فيه ميل الى النزعة الوهابية كما قالوا قبل قراءته، وأنه وضع على ملائمتنا واني قرأته معه، وواظمت عليه، وكل ما فيه نافع مفيد، وان السيد محمد سعيد الباني طلب من المؤتمر الحكم على هذا التقرير بالاعدام والتقرير لم يقرأ، فأطلب قراءته وتعديل ما يرى المؤتمر إمكان تعديله منه

(وأقول) انني أخفت كلمة الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار بنصها من مذكراته التي أطلعني عليها بعد ذلك بمصر، ورأيت كتب فيها كلمة تاريخية غريبة لا تحضر الا في بال مؤرخ حفيظ مثله وهي:

» ويذكرني القول بإعدام هذا التقرير بما قرره كهنه اليهود في هذا المكان من وجوب إعدام المسيح ، وأسأل الله تعالى لتقرير النجاة كأنجبا المسيح عليه السلام ، اه
وأنتى بعض الاعضاء على التقرير الا انهم ارتأوا وجوب اختصاره
(أقول) أما أنا فقابلت ذلك المبحوم من الشيخ سعيد درويش البابي - الذي أخبرت بعد الجلسة انه أزهرى ايضا - بالحلم والرفق . وقد كفاني الله تعالى أن أقول شيئا في إظهار جهله وجراته على البهتان بما كتبه به أعضاء لجنة الدعوة والارشاد ، فكان فضيحة له على رموس الاشهاد ، وباستنكار هيئة المؤتمر كلها لما حاول من إثارة فتنة المصيبة ، والانكار على الوهاية ، ولهذا نصره مندوب حزب الاحرار الحجازي الذي جاء المؤتمر لينصر حزبه على حكومة الحجاز السعودية ، ولم ينصره أحد غيره بل خذله المؤتمر كله

وقد افتتحت الدفاع عن التقرير : بالإشارة إلى ما يعرفه أكثر أعضاء المؤتمر وغيرهم من جهادي مدة ثلث قرن ونيف في سبيل جمع كفة المسلمين على طريقة أستاذي بل أستاذي العصر وحكيمه السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبد الصري ويشهد لي بذلك أكثر من ثلاثين مجلداً من مجلة النار لا يمكن لأحد أن يماري فيها (قلت) وان لي قاعدة معروفة مشهورة في الجمع بين أصحاب المذاهب الاسلامية سميت القاعدة الذهبية وهذا نصها :

تعاون على ما تنفق عليه ، وبذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه

وذكرت أن مسائل هذا التقرير ليست من الخواطر التي عرضت في جلسات اللجنة وإنما هي نتائج تفكير قديم ، ويحث طويل عريض ، وتجارب محمصة ، ثم أعيد تمحيصها بالشكل الذي وضعت في مسودة هذا التقرير مع أعضاء لجنته ، وبحثت بما اتفقوا عليه ، بعد المناقشة فيه ، وان سبب ما اقترح من جل الرسائل الاسلامية في العائد والاحكام المجمع عليها إنما هو جعلها مقبولة عند علماء جميع

المذاهب فتكون أول نواة غرست في كل شعب إسلامي للاتفاق والوحدة، فكيف يفهم عاقل أنها سبب للتفرقة ، ولا أرى حاجة الى تلخيص كل ماقلتة في ذلك الموقف لأنني عالم أن كل من يقرأ هذا التقرير في المنار يرى ان من الفضول الدفاع عنه أو الرد على المعارض عليه بعد أن جيبه أعضاء اللجنة في جلسة المؤتمر العامة بما أثبت كذبه وبهتة لي ولم وأنه يتكلم عن هوى لا عن رأي واعتقاد ، حتى رثيت له ولم أزد على ماقالوه كلمة واحدة في تجهيله واظهار سوء نيته ويرى أن اعتراض بعض الاعضاء على المادة الرابعة مما لا يظهر له وجهه فيه، مع صحة نيتهم وحسن فهمهم الذي لا نزاع فيه

وأما مكتب الرياسة فانه نظر في وهن الاعتراض وخذلان من أثاره، وتأمل فيما ارتآه بعض الاعضاء من استحسان تنقيح بعض المقترحات أو اختصارها بمثل حذف ذكر جمعية الدعوة والارشاد الاولى ومدرستها ، وايضاح بعض المقترحات التي استحسن بعض الاعضاء تنقيحها كالمادة الرابعة ، - نظر المكتب في كل هذا ففرض على هيئة المؤتمر العامة أن تقرر تأليف لجنة فرعية تختصر هذه المقترحات وتضمنها في صيغة مواد قانونية ، فوافق المؤتمر على ذلك ، وتألفت اللجنة وخرج أعضاؤها من هو الجلسات الى حجرة خاصة ، وبعد البحث والمناقشة وضعنا للواد

الاربع التي تقدم نصها في الجزء الاخير من المنار (ص ٢٠٨) ثم عدنا الى الجلسة العامة وقرئت المواد الاربع فوافق عليها المؤتمر بالاجماع فقام مندوب الحزب الحجازي وطلب إعادة قراءة مقدمة التقرير والمناقشة فيها فلم يمن بطلبه أحد. فهذا ملخص ما وقع، ولم يدون مثله في شيء مما تناقش فيه المؤتمر وإنني سأنتشر في جزء آخر خلاصة الخطاب الطويل الذي ألقته على هيئة المؤتمر العامة في الاخطار التي تهدد العالم الاسلامي من أمراضه الدانية العامة لجماعته والشخصية في أفرادها والطارجية وما يجب على مثل هذا المؤتمر من السعي لدرء الاخطار ومعالجة الامراض

جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين

ألفت في مكة المكرمة جمعية بهذا الاسم أرسل البنا رئيسها الاستاذ الشيخ عبد الله الشبيبي النجل الاكبر للشيخ عبدالقادر الشبيبي حاجب بيت الله الحرام ما يأتي

بسم الله الرحمن الرحيم

معدن الفضل ، ومنبع الحكمة ، فضيلة العالم العلامة ، والاستاذ الجليل ، السيد رشيد رضا ، كلاته العناية

تحية من عند الله مباركة طيبة (وبعد) فان لي الشرف الاعظم الاثيل أن أحيط فضيلتكم علماً أن الحكومة السنية مدد الله مداها ، قد لبث طلب الشعب الحجازي في تأسيس جمعية يوكل اليها أمر المطالبة بأوقاف الحرمين ، وإذ قد اعترف رسمياً بهذه الجمعية بعد أن بلغت تصديق نظامها الذي اعتمدت السير بمقتضاه نحو الناية الجليلة التي أسست من أجلها - أجمع رأي الهيئة الإدارية المدون بمحضرها رقم ٤ وتاريخ ١٦ الحجة ١٣٥٠ على نشر بلاغ بالكيفية ، وزف هذه البشرى الى فضيلتكم مشفوعة بصعوبة من البلاغ والنظام للصدق للذكورين طلباً في نوال عطف ذوي الفضل والهمم ، وأرباب الكلام والشيم أمثالكم ، وإعلاناً للحاجة الجمعية في مظاهرتكم لها في الخطط التي اقرستها ، وبمبدأ الشاؤ الذي نصبت ، لا عدمت الامة الإسلامية تلك الانفاس الطاهرة ، وذلك القلم السيلان بأسمى المواطف الشريفة وأنبلها ، والمتحضر بتني وجدان وحساس شعور وحي ضمير حر عرف ماله وما عليه هذا ولم يفت الجمعية بهذه النامية ان تبدي لشخصكم الكريم عظيم شكرها وخالص امتنانها على تلك النفقات البقرية التي تضروعت من خلال مقال نشر لكم على صفحات صوت الحجاز في موضوع أوقاف الحرمين الشريفين ، فجاء بالحقيقة آية

استفاضت من علم غزير، ومبدأ جليل، ونظر ثاقب، ورأي صائب، أبدع أساليب
الحكمة، وضروب الحجج الناصعة، في تأييد حق البلج، أبصرتم بوازع ما هو مسلم
به لكم من غير دينية، وحمية إسلامية، وجوب مناصرتة، والأخذ بناصية أهله إلى
حيث ينتظام في الحصول عليه مجزأكم الله خيرآ، وأكثر اللامه الاسلاميه من هذا
للث - أمثال علم وعمل وصدق وإخلاص

وإذ تعظم الحمية لفصيلتكم أيادي أسديتموها، ومتناً أوليتموها، تؤكد لفصيلتكم
بأنها عظمية الثقة وطيدة الأمل في أن يكون لها من شخصكم الكريم خير مستمد
روحى، وأمثل ينبوع حكمى، تستنزف من متلاحق قبضه إرشادات قيمة، وأفكار
نيرة، تسهل لها مهمة ما أخذت على عاتقها تذليله من الصعاب، وكؤود العقبات
التي تترضها في سبيلها تجاه الغاية المرجوة والشأو المبغى . تولى الله الجميع بعونه
وعين عنايته وتوفيقاته، والسلام ٢٠ - ١٢ - ١٣٥٠ توقيع
رئيس الجمعية

﴿ بلاغ من جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين ﴾

غير خاف ما لهذا البلاد المقدسة وأهلها في سائر الاوساط الاسلامية كنونس
ومعر وتركيا والمراق والهند وفلسطين وسوريا - من أوقاف عظيمة، منها ما هو
للمحرمين الشريفين وخدمتها خاصة، ومنها ما هو لمواثيل معلومة، وأشخاص
معروفين من مجاورها، لكل وقف شروط معينة، ولو أخ معينة لنوع الوقف
وموقعه وحدوده، ومقدار ما يستحقه الحجاز من رمية السنوي، عكف نظاره على
توفية المستحقين حقوقهم من هذه المحصولات طبق شروط الواقفين، ولكن
أسباباً وعوامل - ذهب المجموع في تسليها كل مذهب - حالت هذه السنوات الاخيرة
عن انتظام إيصال هذه المبرات الدائمة والحقوق الموروثة إلى أهلها
ولما لم يد في قوس صبر الامة مزع اعتمدت بعد الله على ما يدها من مستندات

قيمة وحجج قوية تؤيدها في مشروع حق لها موروثة وسارعت الى تشكيل جمعية تحت عنوان ﴿جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين﴾ وألقت على كاهلها مهمة البحث بالطرق الممكنة والمشروعة عن اموال الاوقاف المأداة للحرمين الشريفين وأهلها وحصر جهودها في المطالبة برؤسها السنوي وإيصال ذلك إلى مستحقيه الاول فالاول ، وإذ تمان الجمعية اعتراف الحكومة السنية بتأسيسها وتصديقها نظامها الذي اعتمدت السير بمقتضاه نحو الناية التي أسست من أجلها - تظهر حاجتها القصوى الى استعفاف نظر أوليائهم والجمعية عليها من خائر رجال المسلمين مستحقة - باسم الواجب الديني - مهمهم ، ومستنهضة عزيمتهم على موازرتهم ومناصرتهم في كل ما من شأنه يسهل لهم مهمة القيام بهذا العمل الجليل ، والمشروع الخطير ولما كانت المادة التي تحتاج اليها الجمعية لتأمين مصروفاتها في سبيل تحصيل المعلومات وإرسال الهيئات وتعيين المحامين عند الحاجة والازوم انما هي منحصرة في تبرعات المحسنين من رجال البر والاحسان في كل صقع من الاصقاع الاسلامية وفيما يتكون من بدل اشتراك سنوي زهيد لا يقل عن ريال واحد مفروض على كل عضو من أعضائها - فان الجمعية تدعو كل من يترتب عليه أداء هذا الواجب ، وبالاخص عموم أفراد الامة على اختلاف طبقاتها باعتبارهم أعضاء طبيعيين في هذه الجمعية الى المبادرة بالقيام بما عليهم من واجبات أهمها تقديم بدل الاشتراك المنوّه عنه ومظاهرة الجمعية في كل ما منته تشجيع وتمضيد لها على تحقيق غاية جليلة ، وأمنية مضمونة الحصول والنفع العميم ان شاء الله

نظام جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين

- ١ - تأسس في مكة المكرمة والمدينة المنورة جمعية تسمى ﴿جمعية المطالبة بحقوق أوقاف الحرمين الشريفين﴾
- ٢ - مركز الجمعية في المدينة المنورة يكون مريوطاً بمركز جمعية مكة
- ٣ - غرض الجمعية خيري محض ولا تتطاول السياسة مطلقاً

٤ - تبحث الجمعية بالطرق الممكنة والمشروعة عن أموال الإوقاف العائدة للحرمين الشريفين وأهلها في أي جهة كانت

٥ - يجري تنظيم كل ما تحصل عليه الجمعية من نتيجة درسها ضمن لوائح تحتوي على نوع الوقف وجهته وغلته والبلدان التي توجد بها أعيان الاوقاف والتي تستحصل غلالها منها برسم الخطوط القومية التي يستطيع مع تطبيقها الوصول الى الشأو المبتنى

٦ - تقوم الجمعية بمحصر جهودها في المطالبة والملاحقة بأموال الاوقاف وإيصالها الى مستحقيها بالاشتراك مع مديرية الاوقاف عند التوزيع

٧ - تقوم الجمعية بالمطالبة بحقوق الاوقاف وتثبيتها سواء أكان ذلك عن طريق المرافعات بما يلزم لها من تعيين محامين أو إيفاد مندوبين من قبلها أو مخابرات الجمعيات والهيئات الخيرية في الخارج أو ما في معنى ذلك

٨ - للجمعية حق تشكيل فروع لها داخل المملكة طبق ما تقتضيه المصلحة والازدوم

٩ - لعموم الوطنيين حق الانتساب الى هذه الجمعية والاشتراك فيها بمبلغ لا يقل عن ريال واحد سنوياً كما يجوز لهيئة الجمعية قبول من يتراءى لها مصلحة في دخوله ممن يعلن الرغبة في الانضمام الى الجمعية من سائر المسلمين

١٠ - تجتمع الجمعية العمومية لأول مرة برئاسة أكبر الاعضاء سناً وبعد ذلك برئاسة رئيس الجمعية أو من ينوب عنه في كل سنة مرة واحدة بمكة المكرمة والمدينة المنورة في شهر ذي القعدة بدعوة من هيئة الادارة أو بطلب عشرة أعضاء من الهيئة العمومية

١١ - الهيئة العمومية تنتخب من بين أعضائها هيئة إدارية في رأس كل سنة لتتوب عنها في جميع أعمالها طيلة السنة

١٢ - تنظر الجمعية العمومية في الاعمال الآتية:

١ - الحساب السنوي

- ب - الاعمال التي قامت بها الهيئة الادارية والتي عهد اليها أمر القيام بها من قبل الهيئة العمومية
- ج - الاقترحات المقدمة باسم الجمعية
- ١٣ - تكون قرارات الجمعية العمومية صحيحة بالاكثرية الحاضرة على أن لا يقل ذلك عن ثلثي نصابها المؤلفة منه

نقات الجمعية ومصاريفها

- ١٤ - الاموال التي تحتاج اليها الجمعية للمصروفات في سبيل تحصيل المعلومات وارسال الهيئات - وتقديم المحامين تكون من التبرعات التي يتبرع بها المحسنون ومن مجموع بدل الاشتراك المفروض دفعه سنوياً من قبل أعضاء اللجنة للصندوق طبق المادة (٩) من هذا النظام
- ١٥ - ترصد التبرعات والاشتراكات التي تقدم الى الجمعية في سجل خاص بها
- ١٦ - تصدر الجمعية في نهاية كل سنة بياناً عن عموم الاعمال التي قامت بها خلال تلك السنة وما دخل وأفق فيها ،
- ١٧ - تتألف هيئة الادارة من عشرة أعضاء تنتخبهم الهيئة العمومية والهيئة المنتخبة تنتخب من بين أعضائها رئيساً ونائباً وسكرتيراً وأميناً للصندوق
- ١٨ - تجتمع الهيئة الادارية في الاسبوع مرة ولها أن تقرب أوقات الاجتماع وموالاته يومياً عند الحاجة والزموم
- ١٩ - لا تكون قرارات الهيئة الادارية نافذة للمفعول الا بالاكثرية المطلقة
- ٢٠ - الهيئة الادارية تقوم بتنفيذ قرارات الجمعية العمومية وعرض مقرراتها واعمالها الى الجمعية العمومية عند اجتماعها ،
- ٢١ - يهد بجميع دفاتر الجمعية الى السكرتير وذلك فيما عدا دفتر الحساب الخاص بالدخل والنقات فانه يكون من نسختين احدهما في عهدة أمين الصندوق والاخر في عهدة رئيس هيئة الادارة ونائبه ويكون موقفاً على صحة حسابها من أكثر الهيئة الادارية

٢٢ - للجمعية حق مراجعة الموارثات العلاقة فيها تحتاجه من إيضاحات ومطالعات وغير ذلك - وعلى الدوائر المذكورة أن تبذل منهن الجهد في مساعدة هذه الجمعية وتسهيل أمر مهمها اهـ

(الناظر) انه ليس في تأليف هذه الجمعية وأعدادها بكل ما تكافئني إياه من مساعدة أقدر عليها ، وأحث كل مسلم مخلص لدينه ومحب لله ولرسوله (ص) ولخير انهما في حرميهما على مساعدتها - ولعل أول من فكر في مسألة البحث عن أوقاف الحرمين العامة والخاصة بمصارف مدينة والمطالبة بها لاجل إيجالها إليها إلى مستحقيها وأول من دعا إلى ذلك السعي بدماء السيل الملك عبد العزيز السعود على الحجاز ، وقد كنته بهذا عند وضي الباحت التي يجب بحث المؤتمر الاسلامي العام فيها ، وكنت أرى انه يجب أن يوضع عامته مثل ما وضع في هذا العام من النظام وتأليف اللجان لهذا العمل ولكن المرض الذي كاد يقضي على ثم ما كان من شجب وقد جمعية الخلافة في المؤتمر الذي كاد أن يقضي عليه والاشترافي مما ليجته قد حالا دون هذا وغيره مما كنت عازما على السعي لهوض المؤتمر به تقريرا وتفصيلا

ثم اتيت كنت أناقش هنا كثيرا من رجال الحكومة المصرية وغيرهم في مسألة أوقاف الحرمين وقد ذكرتها في النازر مرارا آخرها المقالة التي نشرت في الجزء الثاني من النازر وفي جريدة الجهاد المصرية وجريدة صوت الحجاز المكية الجديدة (*) ولكن أتت نشرها جريدة أم القرى الرسمية لحكومة الحجاز وقد أرسلت إليها نسخة منها لنشرها ا لم أرسلت في بريد معتمد حكومة الحجاز ونجد بمصر الى وكيل وزارة الخارجية بمكة المكرمة فكان من التريب الذي لا يقبل أن تأتي هذه الجريدة لنشر هذه المقالة الحكيمة في الحث على القيام بحقوق الحرمين وسكانها والدفاع عن حكومتهما ، بدلا من أخبار منشوريا وشنغاي وأمنالها ، وكان المنتظر أن تأمر حكومة الحجاز بترجمة هذه المقالة الى لغات أكثر الحجاج وتطبع الوثقا من أصلها العربي وتراجمها وتوزعها على الحجاج ولعل المانع من ذلك انقضاء سخط حكومة مصر ، ولكننا عجبنا من قول جلالة الملك في خطبته التقيسة على حجاج هذا العام انه لم يدافع عنه أحد من المسلمين فيما يوجه اليه من الطاعن مع طنا بكثرة المدافعين عنه في كل قطر فهل يحجب عن جلالة ما ينشر في صحف الأفاق الاسلامية من ذلك فلا يقرؤه ولا يلمحظه له ديوانه حتى هدم المقالة ؟

(*) من غريب ما فعلت هذه الجريدة انها نشرت المقالة ووضعت لها هذا الامضاء (الشيخ رشيد رضا)

اصلاح عظيم في وزارة المعارف

وإخراج الدكتور طه حسين منها وخروج أحمد بك لطفي السيد من الجامعة المصرية
 لقد كان أكبر م الاحتلال الانكليزي في مصر إفساد ما يتوقف عليه
 استقلالها في مستقبل أمرها اذا قصت الاقدار الالهية خروج جيشهم منها وهو المدارس
 والجيش ، فاما الجيش فلا كلام لنا فيه هنا ، وأما المدارس فكان مهم من السيطرة
 عليها تخريج نسل جديد لا م لهم الحياة إلا التمتع بالذات الجسدية والزينة في
 اللباس والاثاث والرياش والتنافس في خدمة الحكومة ووظائفها ، والتوسل إلى
 ذلك بالشهادات المدرسية ، والتعلق للرؤساء المسيطرين من الانكليز في المرتبة
 الاولى ومن صناتهم الوطنيين في المرتبة الثانية

لهذا كان أهم ماعني به المسيطر على وزارة المعارف منهم (ألا وهو القسيس
 مسر دانلوب) أن يطمس كل أثر كان للدين الاسلامي في المدارس الاميرية ولا
 يدع للتربية الاسلامية ولا لتعليم الدين منفذاً يشرف منه على القلوب ، أو يشرق
 على العقول ، تيسيراً للالحاد والاباحة أن يتغنا سموها في افساد الاخلاق ، وعبادة
 للشهوات ، وإثارة على هداية الله ، ومصالح الامة ، وحجابا دون مقاصد
 الاسلام المالية في السيادة المالية ، وعدم الخضوع لأي سيطرة أجنبية ، أن تتمكن
 في الاذهان ، وتغلغل في أعماق الوجدان ، وإلهاء المسلمين والمتململين عن ذلك
 بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية ، التي تفصل بين مسلمي مصر ومسلمي سائر الاقطار
 ولا سيما العربية ، التي تخشى انكثرة أن تتحد بها فيكون منها دولة عربية اسلامية
 قوية - وهو الأمر العظيم الذي كان استشراف له محمد علي الكبير فحالت الدولة
 الانكليزية دونه بحيلة الانتصار للدولة العثمانية التي كانت تراها سائرة الى الانحلال
 نجح مسر دانلوب في سياسته اتم النجاح ، وشغل المدارس بألعاب الرياضة
 الجسدية عن ترويض الأرواح ، (على سهولة الجمع بينها) وكان من المواقب
 فنجاحه ان طبع وزارة المعارف المصرية بطابع سياسته ، ووجهها شطر مقعده ،

حتى اذا جاء الاستقلال المقيد وصار أمر التعليم في ايدي الوطنيين كان بعض وزراء المعارف من بعده، شرا على التربية والتعليم مما كان في عهده . بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزغات التفرج وصد تيار الاباحة والاحاد ، الذي يقذف بالامة في فوضى الاخلاق والفساد

ومن العجيب ان نرى جميع الاذكياء من العلماء والادباء والكتاب مجمعين على ان اقل امراض هذه الامة فساد الاخلاق ، وانه لا ينفعها بدون تهذيب الاخلاق علم ولا استقلال ، ثم لا نجد لهذا الاجماع ادنى تأثير في التربية المدرسية مع الاجماع على فقد التربية المنزلية

واعجب من هذا اننا لم نره من حزب من احزاب البلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة في اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح اللي والادبي الذين يهمهم حفظ دين الامة والدولة ووقايتها من الفساد والفوضى ، وانما الطريقة المتبعة عند كل حزب تقسيم الوزارات بين رجال الحزب المستسكين به ، لا يصرفهم صارف عن جعل وزير المعارف احدا المرؤفين بالاحاد ، كما لا يصدمه صاعد عن جعل وزير الحرية احدا الادباء او رجال الاقتصاد

ولقد كان من منار العجب جعل الاستاذ احمد لطفي السيد المحامي وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تبوأ هذا المنصب مراد بك سيد احمد القاضي الاهلي زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين ان الحكومة المصرية متمسدة بالقضاء على هداية الدين في الامة بتربية بنينا وبناتها على الاحاد والاباحة للطلق

لئن كان الدكتور طه حسين من سينات الاول بتنذيرته مباديه الاحاد في نفسه ، وتجربته على شيئا بقله أولا وفي دروسه في الجامعة آخرأ ، فان الثاني قد ابتدع في وزارة المعارف من قنون التربية على الاباحة ، والقاء جلايب الحياء والصباة ، من رقص التهلك والخلاعة ، وتصوير الشبان والشواب ، مجردين ومجردات من الثياب ، ما يتضال امامه ذلك الافساد القوي الذي يمكن ابطاله بما هو اقوى منه في نوعه .

ليس بكثير على مثل مراد بك سيد احمد أن يفترض ارتقاءه إلى منصب وزارة

المعارف فيتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات التمثيل الاباحي والرقص (التوقيعي) بان من الرياضة الجسدية وتجديد المدنية، ويرسيهم على التجرد من الثياب بحجة الترفي في صناعة التصوير ، وهو هو الذي كان قاضيا فرقت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب أستاذ في المدارس على التصدي لتخريب امرأتها وفسادها عليه بمخاطبته اياها في الطريق بعبارات التصبي والاستالة، كتوله لما ان جهالها قد سلب منه الرقاد، وحكم عليه بطول السهاد، فحكم هذا القاضي الذي ارتقى من كرمي القضاء الى كرمي الوزارة بأن ما وقع من الاستاذ المعلم المربي مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل ، وإنما يعاقب القانون على الرذائل ، فحكم ببراءة الفاسق المنصدي لافساد نظام الزوجية ، وكفى به إفسادا للامة

أجدر برجل هذا رأيه وهذا وجدانه في القضاء أن يعد من أعلى الفضائل التي يخدم بها أمته بتريتها عليها بالفعل تمتع شبانها وشواها بكل ما في أبدان الحسان من الجمال الخفي والظاهر ، على مذهب الشاعر القائل :

حسن النصوص اذا اكتست أوراها و نراك أحسن ما تكون مجردا

ولكن القريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضي الجمالي والمجدد الاباحي وزيرا للمعارف ، وأن يتدع فتنه وتقره هيئة الوزارة عليها ، ، ولاتبالي انكار أهل الدين ومحبي الصيانة لما ، وما منفي أن أرفع صوتي يومئذ بمشايعة المستنكرين الا أنني ظننت أن الحكومة المصرية قد أجمعت أمرها على إلقاء هذا الشعب المتدين في فوضى الاباحة المطلقة ، وقذفه في تيهور الالحاد والزندقة ، وأنه لم يبق لهذا المزاج الحكومي من علاج ، إلا أن يصب الله المنتقم عليها صوت عذاب .

يبد أن الحكومة لم تلبث أن أخرجت هذا الرجل من الوزارة وجعلته سفيرا ، لما في أوربة ، وناطت وزارة المعارف بمحمد حلمي باشا عيسى ، فابطل البدعتين الاباحيتين ، فلما أن اجتمعوا إنما كان بسوء رأي الوزير الذي اقتصرهما ، لا بمقتضى خطة اجماعية من الحكومة قام بتنفيذها

ثم ان هذا الوزير جل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب في الجامعة حفنتا لغة العربية في الوزارة فأخرجه من الجامعة التي يبت فيها إلحاده ، فكان

لاخراجه ضجة شديدة ورجة عنيفة في الجامعة ، لا لاجل طه حسين نفسه بل لاجل المحافظة على جل الجامعة مستقلة كجامعات اوروبا لا يملك وزير المعارف قتل عميد منها ولا استاذ إلا بقرار من مجلس ادارتها ، وقد اقترص هذا الضجة والرجة معارضو الحكومة فكبروها تكبيرا وكبروا طه حسين بالاتباع لها ، فهب في وجوههم مجلس النواب المؤيد للحكومة فطلب احد اعضائه الدكتور عبد الحميد سيد (رئيس جمعية الشبان المسلمين) استجوابا من وزير المعارف في مساءة طه حسين واستنكارا لاقامة في وزارة المعارف على ما عرف الخاص والعام من سوء سيرته في نفث سموم الاحاد في الطلبة وافساد عقائدهم وادابهم بدروسه وكتبه . وقد اتى المستجوب على المجلس يانا طويلا لما تضمنته كتب هذا المدرس من نزغات الكفر والاحاد والاباحة ، فوعدت الحكومة المجلس بانها ستعظر في مسأله وتقرر ما يرضي المجلس والامة في شأنه ،

اسبغ مجلس النواب والجرائد الموالية للحكومة في الطعن على طه حسين ، فأطنبت الجرائد المعارضة لها في اطرائه ، وذلك دأب للتأخرات السياسية ، وكان من تأثير اطراء الجرائد المعارضة وبعض طلبة الجامعة وغيرهم في نفس طه حسين ان شجع انفه ، واهتز عطفه ، فأقلت من لسانه ما ارادت الحكومة بتحقيقه فسألته عنه فاستمع من الجواب ، وعتا عتوا كبيرا انتهى بمرله من وظيفة التفتيش قبل ان يعمل فيها عملا ، وهذا ما تبنيه المعاهد الدينية والنواب وكل منسل يرف افساد طه حسين في الجامعة

وكان مما دفعته سيول هذه الحوادث ان استقال استاذه ومريه أحمد لطفي بك السيد من رياسة الجامعة المصرية فقيلت الحكومة استقالته قم بذلك سرور اهل الدين لقد أوتي طه حسين من الحظ والتأييد أضفاف ما أوتي من العلم والتأديب ، فهو يدعي التجديد ولم يأت بجديد ، إلا أن خدم دعاة النصرانية بالصد عن الاسلام وبنيه عوجاء وقلد بعض فلاسفة الافرنج في الشك والتشكيك ، وهو ضربه من السفسة قديم ، كان الدين ابتلا به يشكون فيما يرونه بأعينهم ويسمعونه بأذانهم ، ويندوقونه بألسنتهم ، حتى شكوا في وجود ذواتهم ، فما تعود أحد وانتحل منهجا

له الا وأعقبه جبلا لا مخرج له منه ، ومن شك في كلام الله ، وفيما توازن من أخبار الناس ، قأى له أن يوقن بأراء طه حسين ؟ كلا إنما مثله كمثل من يبيع الموجود بالمعدوم ، والمتحقق بالموهم ، أو كما قال الله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب *) أو كظلمات في بحر لحي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب ، ظلمات بعضها فوق بعض . إذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة لهم أنهم رأوه مستولفا مستهترا لا يبالي في سبيل الشهرة . بالاحاد والاباحة ذما ولا عارا ، وهم حريصون على نشر هذه الدعوة في الجامعة المصرية ليهدموا بمعاول المتخرجين فيها كل ما بقي للإسلام في مصر من هداية دينية وجنسية عربية ، فهم ارادوا جعل الجامعة حرا على الازهر وما يتبعه من الماهد الدينية وعلى دار العلوم أيضا ، وقد صرح بعض كتابهم بهذا في مقالات نشرت في بعض الصحف ، بل صرحوا بان ثقافة هذه الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الازهر الدينية في مصر وفي سائر البلاد العربية . ويسرنا ان بعض الذي جاھروا بهذا المداء للدين وصلينا نارقفهم الرد عليهم فيه قد ثابوا في هذا الصهد او العام الى رشدهم ، وانا بو الى ربهم ، ولقد كان اظهر الاسباب لئلاية اولئك الملاحدة ببث دعايتهم في الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب مازال يقلب عليه الدين ، فهو يحتقر في نفسه أمثالهم من الزنادقة والمطلين ، وقد رأى طه حسين ان في كفالتهم له وتقديهم اياه رحما لا يصل اليه بدون هذه الوسيلة ، وان الذين لا يزالون يقارون على الدين لا ينصرون انصاره ، ولا يضرون أعداءه ، الا أذى من القول ، وقد كان من دهائمه وعدم مبالاته بالقلم أن لا يرد على منترض ، ولا يثار من منتقص ، فكان الرد عليه يزيد شهرة ، ولولا كثرة الردود عليه لما ذاعت شهرته وانتشرت مصنفاته ، فكان هذا من كبر حظه أيضاً

ولعلني هذا لم أعن بالرد عليه والتمانة باظهار جهله . بل لم أنظر الا في قليل مما كتبه ، وكان الرحوم رفيق بك العظيم أول من أنبأني بمقالاة في جريدة السياسة

التي جعل عنوانها (حديث الاربعاء) وما فيها من الجناية على التاريخ العربي والاصلاح الاسلامي واغراما لثابتة بالنسق والاباحة لافراها وأرد عليها فلم افضل ، ولله كان وجه الله أول من رد عليه ، ولكنني عنيت باظهار ما كان خفيا على الناس من امر الحزب الذي اتخذه داعية له والجمعية التي تؤيده وتنوه به ، وقد سميتها (جمعية الاتحاد والزندقة ، والاباحة للطلقة) فانتقموا مني بهجر من القول ، وقذع فاحش من البهت ، وتبدل حساني سيئات ، كقولهم انني كنت أقل الناس وقاء ، وأشدم كنودا للشيخ محمد عبده حتى انني بمت مذكر انه مستندات تاريخه للخيديو عدوه !!!

ها هو ذا تاريخ الاستاذ الامام قد ظهر ناطقا بما يعلم الناس وبما لم يكونوا يعلمون من سيئات الخديو في مقاومة الشيخ محمد عبده في اصلاحه ، وناشرا لما كان مطويا من مذكراته ، فهل رجح المقري علينا عن بهتانته ؟ واذا كان صاحب النار قليل الوفاء للشيخ محمد عبده وهو الذي يشهد له ٣٢ مجلدآ من النار بالتبويه بفضلته ، والاشادة بذكركه ، فلماذا ذلك الكاتب على الاوفياء له أو على واحد من أحيائهم أو أمواتهم ؟

لقد كان وجود الدكتور طه حسين أستاذآ معلماً للأدب العربي في الجامعة المصرية ذنباً كبيرآ لوزارة المعارف فانه مفسد لأدب النفس التي لا قوام لها إلا بالدين ، ولا دين إلا باليقين ، ومن قواعد آدابيه الشك والتشكيك في الدين وفي غير الدين ، فهو من أكبر المفسدين ، وإنه على إفساده لأدب النفس غير مصلح في آداب الثقة بل هو مفسد فيها أيضاً ، وإن شهد له اخوانه الملاحدة في مصر وأوربة وأخوه الذي في حلب أيضاً - بأنه امام المصلحين ، كما شهد هو لآبي نواس أفسق أهل عصره بأنه امام المصلحين !! فان كل آدابيه اللسانية خلاصة لغفلية ، ونظريات جدلية ، وإذا كان وجوده ذنباً لها وللحكومة فاخر اجه كفارة لهذا الذنب ، وإذا كان هو مفسداً للأدب فاخر اجه اصلاح لاريب فيه

ولقد سر هذا اصلاح جميع أهل الدين ، وكل من يثار على القضايل والآداب الصحيحة ، ولو وقع في عهد سعد باشا عقب حملته عليه في مجلس النواب تلك الحملة الشديدة لعد السواد الاعظم من الامة من أكبر حسنات سعد ، ولماضت آثار الجرايم الوفدية بمقالات التناء على سعد ، والقذف والرجم لطله حسين ، إذ كان

يدخل حجرة المدرس في الجامعة فيقسم من صفير طلبتها وزفيرهم ما يكتو بحرفه احراقا ولكن جاء هذا الاخراج أو الاصلاح في وقت لم تظهر فيه مزايده لجمهور الامة وسوادها الاعظم، وأظرف غير مناسب « كما قال بعض الادباء المستقلين، فكان من أثره ما كان من الدافع عن طه حسين واطرائه بالتبع للدافع عن استقلال الجامعة المصرية، والهجوم على الوزارة للصدقية، ورميها باخراجها لاسباب حيادية، وما لنا نحن معاشر المستقلين في الرأي والمنقذين لا نقصى مكان من السياسة الحزبية لا نقول الحق ولا نخاف فيه لومة لائم، على انه لا يقدر أحد أن يتهما بالانحصار للحكومة أو الدافع عنها، بل يعلم السعديون الخاص اننا كنا مع سعد من حزب شيخنا وشيخه الاستاذ الامام (رح) وما زلنا أقرب الى مبادئ سعد والوفد الشعبية أو الوطنية (الديمقراطية) منا الى خصومها مع المحافظة على استقلالنا في الرأي، وجهرنا بما نعتقد انه الحق، وعدم نصبنا الهداء لاحد — ما لنا لا نقر ونقر وننزه بما نعتقد أنه إصلاح، ونقول إنه إصلاح، ونظهر سرورنا به، وشي على قاعه، من غير أن نماري خصومه في سياستهم، وأي صحيفة أجدر بنصر الاصلاح الاسلامي من منار الاسلام الذي نصب للناية به والدعوة اليه قال حكيمنا المصلح الكبير السيد جمال الدين الافغانى لاستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي في الآستانة : اننا لا يمكن أن نخطو خطوة واحدة الى الامام إلا اذا كنا نعطي كل ذي حق حقه، فنقول للحسن أحسنه، وللسي أسأت ولن كان غلاة التجديد السوري الاباحي يحمدون وزير الرقص وتصوير المرأة ويسمونهم مجددا، ويذمون وزير الفضيلة والعيانة ويسمونهم رجيا مقلداه فاجدر بأهل الاعتدال في الاصلاح على صراط الاسلام المستقيم، الجامع بين مصالح الدنيا والدين، أن يحمدوا الحلي باشا عيسى عمله ويسموه من الصلحين الا انني كلمت من أدركت قبل حلي باشا من وزراء المعارف الا واحدا أو اثنين منهم — فيما يجب من الاصلاح الديني فيها فما رأيت من أحد منهم ما رأيت منه من الارياح والقبول والتوجه الى العمل من تلقاء نفسه، وقد بدأ بالتهديد والتخيلة، وقه الله تعالى لأمام ما بدأ به، بالتعليم والتربية

تقرير المطبوعات الحديثة

النقد التحليلي لكتاب (في الادب الجاهلي)

مؤلفه الاستاذ الفاضل محمد احمد العمر اوي خريج مدرسة المعلمين العليا بمصر ثم جامعة لندن في انكلترة، وله مقدمة حافلة بقلم أمير البيان الامير شكيب أرسلان طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٣٤٧ م وصحفاته بغيره دون مقدمته ٣٢٥ وثمان التسعة ١٥ قرشا

أما كتاب (في الادب الجاهلي) الذي وضع هذا الكتاب لنقده بالاسلوب الذي يسمى بالتحليلي فهو كتاب للاكتور طه حسين الذي كان أستاذ أدب اللغة في كلية الآداب من الجامعة المصرية ، وأخرج منها في هذه الاثناء ثم عزل من وزارة المعارف . وكان سماه (في الشعر الجاهلي) لخص فيه دروسا في آداب اللغة العربية ألقاها على تلاميذه في الجامعة كل أم مقصد له فيها نفت مسموم الاحاد في أرواحهم بالتشكيك في عقائد الاسلام بل صرح فيه بتكذيب القرآن العظيم ، فضج المسلمون في غير الجامعة ضجيجا شديدا بالانكار عليه ، وكتبوا مقالات كثيرة وألقوا كتباً ورسائل في نقض مطاعته وغيرها من جهاته ، فكان يظهر بذلك سرور الاله سبب لطيران شهرته وعلومكاته عند مناقحي المسلمين أعداء الاسلام من الافرنج وغيرهم ولا سيما الملاحدة ودعاة النصرانية منهم ، وهما الفرقتان اللذان قد أيدعا بينهما وكان ما كتبه في الصد عن الاسلام أضر من كل ما كتبه . ولكن آل ذلك الى مطالبة النيابة العامة مقاضاته الى محكمة المقوبات واحداً رئيسها عقب التحقيق قرارا في شأن كتابه شديد الوطأة عليه ، وأبلغ من كل ما كتب من الطعن فيه ، إلا أنه لم يثبت عنده أنه سيء النية في وطنه ، بحيث يحكم القانون بعقابه ، ولكن جاء في صيغة القرار ما يدل على سوء النية . وقد أمرت الحكومة بمصادرة الكتاب وجمع ما بقي من نسخته ومنع نشرها فنقد ذلك

ذلك بأن مجلس النواب المصري كان قد ثار عليه يومئذ ثورة شوى وارناى
بوجوب عقابه ومنه من التدريس وكان رئيسه الزعيم الاكبر سعد باشا زخلول يرى ذلك

ولكن تصدى لظاهرة الدكتور والدفاع عنه زعماء الحزب الدستوري الذي ينتمي اليه ، فلما اشتد سخط باشا عليه بلغ من اتعاصر عدلي باشا له أن بلغ سعد باشا أنه يستقيل من الوزارة إذا عوقب طلح حسين - وكان عدلي رئيس الوزارة الاتلافية بمد الصلاح بينه وبين سعد باشا - فاضطر سعد باشا الى الانحياز والانضمام - فكان هذا أغرب ضعف رأيتاه من سعد باشا ، وأغرب قوة وشدة عزيمة عرفناها من عدلي باشا .. ولماذا ؟ لأجل إبقاء طلح حسين في الجامعة المصرية بنفث مسموم الاتحاد والزندقة فيها

يبد أن الدكتور طلح حسين اضطر في أثناء هذه المحنة أن يصرح بقول ينحو به من عقاب الحكم عليه بتعمد الطعن على القرآن ومعاداة الاسلام فصرح في كتاب كتبه إلى رئيس الجامعة يقول فيه انه مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولكن مثل هذا الاقرار لا يكفي في اثبات رجوعه عما كان قاله وفعله منافيا للاسلام فان أهل الكتاب يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله إجمالا وهو لم يأخذ طمعه في القرآن إلا عنهم ، وإنما كان يجب أن يقر بأنه يؤمن بأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين وان كل ما فيه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وان ما قاله منافيا أو معارضا لذلك فهو خطأ

ثم انه قد اضطر بعد هذا الى أن يخفف اصرح ما قيل انه تكذيب للقرآن ومناف للاسلام والايمان من كتاب (في الشعر الجاهلي) ويزيد فيه بعض المباحث وسيد طبعه مسميا إياه (في الادب الجاهلي) وهذا الكتاب الثاني هو الذي ألفه الاستاذ العمراوي كتابه في قده ، واثبات ما فيه من الجهل ومناقاة الاسلام والتشكيك فيه ، ولكن طلح حسين لا يبالي قدا ولا قضا ، ولا يرد على ناقد ولا ناقض ، لانه ان فعل هذا يظهر جهله للزورين بلعه من تلاميذه وغيرهم ، وربما كان أكثرهم لا يقرعون كلام الذين يردون عليه ، وما هو بالذي يتحرى الحق وما ينفع الناس فيرجع عما يظهر له خطؤه فيه

أما مقدمة الامير شكيب الكتاب فلم يكتب في النقض الاجمالي لكتابي الدكتور طلح حسين أو كتابه ذي التوين أو الاممين - لما احتيج الى غيرها . وأما كتاب الاستاذ العمراوي نفسه فهو لم يتادر صغيرة ولا كبيرة فيه إلا أجابها ،

وحكم عليها حكماً تحليلياً عادلاً ، ولعمري الحق إن طه حسين وكتبه الخلابه الافسادية لا يستحقان كل هذه الضايقه وانما عني العلماء والادباء بالرد عليه لما رأوا من عناية بعض الوزراء والكبراء به وبما يكتبه وبدفاعهم عنه ، ولهذا زاد الامير شكيب على الاستاذ النمراوي القاء ذنبه على وزارة المعارف ووضع ذنبها على برلمان البلاد وذنب البرلمان على الامه المصريه

إن دعاية الاتحاد التي ينفث سموها طه حسين في ارواح طلبة الجامعة وقد دون أصولها في كتابه هذا مبني على قاعدة التجديد بتجديد الأدب — وإن مادته فيها كتب دعاة النصرانية وكتب بعض المستشرقين ولا ضيا أعداء الاسلام منهم كالدكتور مرجيولث الانكليزي المشهور — وإن أسأله فيها — هو ذم كل قديم في الاسلام وكتبه وآدابه وأعتمها والتشكيك في كل حق وحسن منها عبارات التهم والاستهزاء ، وأما حجتة فيها فهي أنها مقتضى النقد التحليلي الذي يزعمون أنه من وضع الافرنج وما هو من وضع الافرنج بل كل معروف عند سلفنا علماء العرب وأدبائهم ، فته ما نراه في مقدمة حكيمنا ابن خلدون من تقديمه لكتب التاريخ ومنه ما كتبه كثير من العلماء والادباء في تقضيم الشر ولبيض كتب العلم كتقضي شيخ الاسلام ابن تيمية لكتاب أساس التقديس للإمام الرازي وتقضي علم المنطق وإذا قرأت كتاب النقد التحليلي للاستاذ النمراوي فإنه يثبت لك أن الدكتور طه حسين لا يملك من هذا النقد الا خلاصة اللفظ ، فيا سدا الدعوى ولحقه الجهل ، وحسبك اعتاده فيه على الشك ، وانما الشك دون الظن ، والظن دون البرهنة وقد بينا هذا في المنار من قبل

وفي كتاب النمراوي من الحجج القيمة على جهله ما لا يمكن رده . وفيه من الفوائد العلمية والقول الحق في المسائل المبحوث فيها وفيها حولها ما لا يستغني عنه طلاب الأدب فبحث القراء على مطالعته والاستفادة منه

(كتاب البروق النجدية ، في اكتساح الظلمات الدجوية)

(مؤلفه الشيخ عبد الله بن علي النجدى القصيمي من طلاب العلم في الازهر وطبع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠ وخصافته ٢٠٣ وثمن النسخة منه ٥ قروش)
أسرف الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي في الظن على جماعة الوهابية فيا

ينشره من اللقالات في مجلة الازهر المسماة بنور الاسلام ، كما أسرف في فتاويه التي تنشرها هذه المجلة ، فيما ادعاء من شرعية دعاة المروق والاستغاثة بهم في الشدائد ، وإيهام الجاهلين بأصول التوحيد أن الصالحين منهم يستجيبون لمن يدعوهم ويستقيت بهم فيعتنونهم ويقضون حوائجهم — فهو ينصر بهذه الفتاوى من أفسلت عليهم انحرافات الوثنية دينهم ودينام ، فهم يتكلمون على أصحاب القبور ويطلبون منهم ما لا يطلبه المؤمن الموحد إلا من الله عز وجل كما ينه في الجزء العاشر من المجلد ٣١ وقد كان لعدم اطلاعه على كتب الوهابية في التوحيد وإبطال البدع والخرافات والرد على دعايتها والدافعين عنها يظن انه لا يوجد فهم علماء يقدرون على تفنيد شبهاته ، وإبطال خرافاته ، وكيف وهو على قلب «أحد هيئة كبار علماء الازهر» حتى تصدى أحد طلاب العلم منهم بالازهر للرد عليه بهذا الكتاب ، فظهر ان اطلع عليه أن مؤلفه الطالب البدوي أعلم من الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي بمقائد الاسلام ومذاهب المسلمين والتفسير والحديث النبوي وأقوال أئمة علماء السنة ، فلذلك كبر عليه وعلى الاستاذ الاكبر أمره ، وعاقبوا مؤلفه بمجرماته وحرمان زميل له من اخوانه النجديين بما سنذكره

بلننا أن الاستاذ الدجوي اكبر أمر هذا الكتاب فأنكر أن يكون هذا الطالب النجدي هو المؤلف له وقال لا بد أن يكون مؤلفه صاحب المنار ، وهذا غريب من فضيلته فان لصاحب المنار أسلوباً في الكتابة غير أسلوب هذا الكتاب ولونا غير لونه ، وطما غير طممه (وان اتفقا في المسألة) فاذا كان الاستاذ الدجوي لا يميز بين الالوان والاساليب الكلامية كالحسية أفلا يذوق طممه ايضاً ؟ ومتى كان صاحب المنار يميز قله لغيره ويكتم علمه ورايه ؟ ولو اطلع على كتب علماء نجد في هذه المسائل لما استكثر على طالب منهم مثل هذا الرد عليه

الكتاب مؤلف من مقدمة وأربعة أبواب ، أما المقدمة فقد افتتحت بقصيدة خيرية للمؤلف مستقيدة في ذوقنا ، يليها تفسير كلمة الوسيلة وتقسيم التوصل إلى مشروع وهو أصد عشر نوعاً ، ومنوع غير مشروع وهو ما يثبت الشيخ الدجوي وأمثاله وأنا الابواب فالاول منها في إبطال ما ادعاء الشيخ الدجوي من أدلة القرآن

على التوصل المنوع وهو ست آيات ، والثاني في إبطال ما ادعاه من الأدلة الحديثة وهي ١٤ - والثالث في محق أدلته العقلية - والرابع في احتج به من أقوال العلماء . وفي كل باب منها مسائل كثيرة أظهر فيها من أغلاط الشيخ الدجوي وجهه بأصول الشرع الاعتقادية والعقوبة وقلة اطلاعه على كتب السنة وعدم وقوفه على الصحيح وغيره ، ومن ضعفه في الاستدلال ، ما لم يكن يخطر لأحد من الأزهريين على بال ، ولو أردنا إيراد الشواهد منه على ذلك لطال بنا المقال

ولما اطلع عليه الشيخ ضاق به ذرطولجا إلى رئيسه الأستاذ الأكبر ، لينتقم له من هذا الطالب النجدي المجاور في الأزهر ، فيقال ان الشيخ لجأ أولا إلى الحكومة كداته وطلب منها مصادرة الكتاب ، فسأله صاحب القولة رئيسها هل يوجد في الكتاب طعن في الدين بمنه القانون ويصاف عليه ؟ قال لا وإنما فيه تأييد مذهب الوهابية والاتصاف له ، قال الوزير : ان له أن يدافع عن مذهبه ويؤيده كما تدافعون عن مذاهبكم وتؤيدونها فلجأ ثانيا إلى حمل المؤلف على بيع الكتاب لم يشن بحس ، ووعد به أن يعطى شهادة مالية في أقرب وقت ، فلم يقبل لأنه يطلب العلم لأجل الانتفاع والنفع به ابتغاء وجه الله تعالى لا لأجل الشهادة الرسمية

فما أعيته الحيلة فيه انتهى ثالثا إلى سلطته الرسمية وهو لا يسئل فيها عما يغفل فقطع أولا ما كان له ورفيق له من النجديين من رزق قليل ، وانتهى آخرأ إلى قطع اسمه من سجل المجاورين وإخراجه من مأواه معهم . فإذا صبح هذا كما يظهر فهو حجة ناهضة على عجز مشيخة الأزهر وعجز مجلتها عن طالب علم وها بي مبتدى . فقول يليق بهم بعد هذا أن يسودوا إلى الطعن في الوهابية في مجلتهم وقد صارت هذه المجلة حجة عليهم لا لهم ؟

يبد أن الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي مفتي هذه المجلة ومجاهلها قد راخه تحدث بمض الأزهريين وغيرهم في مسائل من رد هذا النجدي عليه . تصد من أكبر الفضائح الهادمة لصيته السابق - فطلق برد عليها في المجلة بأسلوبه اللعروف وطريقته الجدلية في المناظرة ، منها الحديث للوضوح الذي يتخذ هذا الشيخ وأمثاله من القبوليين حجة على ما يسمونه التوصل بنوات الانبياء والعالمين وسؤال

الله تعالى بحقهم عليه وبأشخاصهم وهو ما رواه الحاكم في مستدركه عن عمر (رض) عرفوا انه لما افتقر آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، قال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب لأنك لما خلقتني بيديك، ونفخت في من روحك، وغفت رأسي فزأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فسلمت أنك لم تفض إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله صدقت يا آدم، انه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك

أمر الأستاذ الدجوي على القول بتصحيح هذا الحديث والتفصي من قول الحافظ الذهبي انه موضوع بالمناطقة والتأويل. وقد سألتني بعض مجاوري الازهر عن رأيي في رده قراءته على تحايي قراءة هذا الجملة لئلا أراني مضطراً إلى ما لأجبه من الرد على ما أنكره فيها، فبينت لاسائل خطأه فيه اجمالاً وانني أذكره هنا استطراداً

تصحيح الدجوي لحديث آدم الموضوع

زعم الأستاذ الدجوي أولاً ان الحاكم صحح هذا الحديث وان الحافظ الذهبي أقره على تصحيحه. والحق ان الحافظ الذهبي تعقبه في تصحيحه وصرح بأنه موضوع. وقد بالغ المؤلف النجدي في التشنيع على الدجوي بهذا الجمل الجريء والافك الصريح، فظن الدجوي بعد التأمل والتفكير في المسألة عدة أشهر إلى جواب عنه نشره في مجلة «نور الاسلام» بمظهر معارفة وعلومه بمد الازهر... وهو أن الذهبي كتاباه في الاحاديث للوضوعة التي في مستدركه الحاكم... وهو غير متداول... ولم يذكر هذا الحديث فيها، فقدم ذكره له دليل على انه رجع عن عدمه من الموضوعات الذي صرح به في كتابه «تلخيص المستدرك» أو أنه مدسوس عليه، ثم حاول تصحيح الحديث أو تقويته بتحقيقات أثرية طويلة بدأها بقوله:

[على اننا نقول ان الذي قاله الذهبي في تلخيص المستدرك بمد قول الحاكم إنه صحيح هكذا «بل موضوع وعبد الرحمن بن زيد واه ولم يزد على ذلك» ونقول ان هذا مدسوس على الذهبي من بعض تلك الطائفة ويمد جداً أن يكون من كلامه، وكثيراً ما رأينا ذلك وثبتنا منه، وربما جرت اليه المناسبة في الاعداد الآتية... فان ذلك لو كان من الذهبي لقال: فيه فلان الكذاب أو الرضاع، ولا يكتفي في

الحکم علیہ بالوضع أن يقول ان عبد الرحمن واه ثم یسکت بل کان یقول علی الاقل: واه جداً . وكيف یقول انه موضوع وقد رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة الذي قال فيه الذهبي نفسه : إن هذا الكتاب كله هدى ونور]

ثم ذكر ان القاضي عياض رواه في الشفاء وان سنده فيه صحيح وان مناظرة مالك لابن جعفر المنصور تدل على تصحيحه له . وأطال في محاولة توثيق عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم بطريقته البعدية الازهرية التي لا تروج بضاعتها إلا على أمثال تلاميذه من مجاوري الازهر الذين ترووا على أن يقبلوا من مشايخهم كل ما يقولون، وأن يمانوا اذا عارضوهم في شيء مما يقررون .

واقول ان هذا الاستيراد لا يتسع لتفنيد كل ما في هذا الردمن الخطأ ولكنني اذكر للقارئ نموذجاً موجزاً منه يعلم قدر الدجوي في امانة النقل وفي الفهم (١) قال الدجوي ان الذهبي لم يزد في التلخيص على قوله « بل هو موضوع وعبد الرحمن بن زيد واه » واقول بل زاد على ذلك أن قال بعده : رواه عبد الله ابن مسلم النهري ولا أدري من ذا ؟ عن اسماعيل بن مسلمة عنه ام أي عن عبد الرحمن . قوله ولا أدري من ذا ، سببه الاشتباه بينه وبين عبد الله بن مسلم ابن رشيد الذي ذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان عن الذهبي قول ابن حبان فيه « منهم بوضع الحديث » ثم ذكر بعده النهري هذا وقال قلاً عن الميزان روى عن اسماعيل بن مسلمة بن قنبل ، عن عبد الرحمن بن اسلم خبراً باطلاً فيه : يا آدم لولا محمد ما خلقتك ، رواه البيهقي في دلائل النبوة . ثم قال ابن حجر قلت ولا استبعد ان يكون هو الذي قبله فانه من طبقته اهـ فالحافظ ابن حجر يقول في عداقه ابن مسلم راوي الحديث ائمن من طبقه عداقه بن مسلم بن رشيد يعني أنه يضم الحديث أو هو هو ولكن الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي لا يعرف اصطلاح المحدثين في حكمهم على الاحاديث واكتفاءهم أحياناً بالاستدلال على المعلول منها بذكر علته من رجال السند المبروجين من غير وصف الواحد منهم بالوضع أو الكذب كما ذكره . (٢) زعمه انه لا يقل حكم الذهبي على الحديث بالوضع وهو يعلم أن البيهقي رواه في الدلائل التي مدحها - مرود بما ذكره في ميزان الاعتدال من حكمه بطلانه

هذا الحديث معزوه الى كتاب الدلائل لليهقي، وقد واقه الحافظ ابن حجر في ذلك . فالمسألة مسألة نقل ممنون لاسألة نظريات عقلية واحتمالات أزهرية (٣) ذكر المجوي أمون ما قال اهل الجرح والتعديل في جرح عبد الرحمن بن زيد واحتج به على ان حديثه غير موضوع وأنه قد يكون صحيحا إنقال : معلوم ان الذي يغلّب عليه الروم قد يصح حديثه الخ وأقول في تفنيد قوله هذا : ان عبد الرحمن ليست علة ضعفه غلبة الروم عليه كما زعم ، بل أمون ما قالوا فيه انه واه وضعيف جداً وأنه لا يعقل ما يروي وكان الشافعي يهزأ بخرافاته عن أبيه ويصعلها مضرب المثل في الكذب ، والحاكم نفسه قال فيه أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة . فليراجع ص ١٧٨ و ١٧٩ من تهذيب التهذيب لحافظ ابن حجر (الجزء السادس) فتصحيحه بعد هذا الحديث له رواه عنه الفهرري الذي هو شر منه ممن عنائب أخلاطه في المستدرک وان كان لم يفرغ لتفنيحه (٤) ان القاضي عياض قد ذكر حديث آدم هذا في الفصل الاول من الجزء الاول من الشفاء حكاية عن أبي محمد السكي وأبي الليث السمرقندي وهما من الذين يكثر من حكاية الموضوعات ولم يروه من أحد من أهل الحديث ولا عزاه الى كتبهم (٥) ان ما رواه القاضي عياض من مناظرة أبي جعفر المنصور لماك المشتل على قول مالك له مستدلا على استقبال الرسول ﷺ في الدعاء دون القبلة : ولم تعرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة إليك آدم؟ - ليس نصا صريحا من مالك بصحة حديث عمر المذكور اذا فرضنا ان هذا قول ثابت عن مالك وما هو بثابت بل هو مخالف لمذهبه المعروف ولما ذهب سائر الامة (٦) ان زعمه ان سند القاضي عياض اليه صحيح لا مطمئن فيه، زعم باطل لا ريب فيه . بطلانه فانه سند منقطع وينتهي الى ابن حميد الرازي وقد ضعفه بعضهم واثبت آخرون . كذبه وكان بعضهم يده مقبولا في بعض مروياته قبل ان يثبت عندهم كذبه ومنهم . الامام أحمد فقد نقل عنه ابنه صالح انه استأذن عليه مرة ابو زرعة ومحمد بن مسلم بن وارة فتحدثا عنده ساعة ثم قال له الثاني يا أبا عبد الله رأيت محمد بن حميد؟ قال نعم . قال كيف رأيت حديثه ؟ قال اذا حدث عن المراقين يأتي بأشياء مستقيمة واذا

حدث من اهل بلد ياتي باشياء لا تعرف، لا يدري ما هي. قال قتال أبو زرعة وابن وارة
صحيح عندنا انه يكذب. قال صالح قرأيت ابي بعد هذا اذا ذكر ابن حميد نقض يده .
(٧) استدلال الدجوي بعدم ذكر حديث عمر هذا فيما جمعه الذهبي من
موضوعات المستدرک على انه غير موضوع . موافق لقاعدة له باطلة يجري عليها
في الجدل والاستدلال على شرعية كثير من البدع التي لم يرد أو لم يطلع هو على
ما ورد في عدم شرعيتها أو لم يفهمه، ككون الموقفي يقضون حاجات الدين بدعوتهم
ويستنيثون بهم . وقد عقد الطالب النجدي لهذه الجبهالة فصلا في كتابه رأيه
في فهرس الكتاب ولم أقرأ منه شيئا . ولولا اغترار بعض العوام والمجاورين
بكلام هذا الرجل وبمجة نور الاسلام لما كان هذا مما يحتاج الى الرد فان القاعدة
المعروفة التي لا خلاف فيها بين العلماء هي ان شرعية الاحكام لا تثبت الا بالدليل،
وعدم شرعيتها هو الاصل فلا يطالب مدعيه بالدليل . وقد قال بعض أسياف
الازهر مرة في هذه السألة أو ثلها: أين الدليل على منعها وكونها بدعة ؟ وكان
ذلك في حضرة الشيخ أبي الفضل الجيزاوي شيخ الازهر رحمه الله - فانهره
أبو الفضل وقال له : هذا جهل ، انما يطالب بالدليل من يدعي ان هذا الامر مشروع
لا من يقول انه غير مشروع . ومن فروع قاعدته السلبية استدلاله على صحة
الحديث المذكور بعدم تعقب صاحب المواهب ومحشيا له على أنها لو مرحا
بصحته لما كان لتصريحها قيمة بعد العلم بوضعه .

وهنا يقال لشيخ الدجوي (أولا) لانسلم ان الحافظ الذهبي لم يذكر هذا
الحديث فيما جمعه من موضوعات المستدرک لانه ليس في الايدي نسخة منها
(ثانياً) اذا وجدت نسخة مخطوطة لاتمد من الاصول المعتمدة في اصطلاح
المحدثين فلا يصح الاحتجاج بها مع وجود المارضى لها ، لاحتمال وقوع التحريف
والزيادة والنقص من النساخ فيها .

(ثالثاً) لو وجدت نسخة معتمدة لم يذكر فيها هذا الحديث لما صح ان تعدد ليللا
على رجوع الذهبي عما قاله في تلخيص المستدرک لاحتمال تركه سهواً فالمعدة ما صرح
بیه لا ما سكنت عنه

(رابعا) إذا فرضنا أنه صرح في هذه الرسالة بأن هذا الحديث غير موضوع فلا يصح ترجيح ما أثبتته فيها على ما أثبتته في تلخيص المستدرک الا إذا علم أنه جمها بعد كتابة التلخيص للذکور وقائلا اشتراط علماء الاصول في النسخ (خامسا) إذا فرضنا أنه صرح في هذه النسخة بأن الحديث غير موضوع فتصريحه هذا يصدق بكونه واهيا منكرا لا يصح الاستدلال ولا العمل به حتى في فضائل الاعمال التي لها أصل مشروع لأن من قال من العلماء ان الحديث الضيف يعمل به في مثل ذلك اشترطوا أن لا يكون واهيا أو شديد الضعف فضلا عن القول بتصحيحه هذا وان الكلام قد طال في هذا الاستطراد للرد على ما رأيت للاستاذ الدجوي في مجلة نور الاسلام من المقاطعات في محاولة تصحيح هذا الحديث والتبجح بتجويل المؤلف جزاء على تجهيله إياه في تصحيحه مم الاستكبار عن ذكر اسمه واسم كتابه خوفا من زيادة اشتهاره ، فنكتفي بما ذكرنا

باب وفیات الاعيان

﴿ تمة ترجمة السيد محمد بن عقيل ﴾

(٢٠)

كنت اود لو أتيج لي كتابة ترجمة لسديقي السيد محمد بن عقيل (رح) في وقت فراغ يسهل علي فيه ان أراجع مکتوباته الكثيرة المحفوظة عندي ومانشترته في المنازل من المسائل الاصلاحية التي اختلف فيها رأينا واعتقادنا ، ولكنني لا أمك من هذا الفراغ كثيرا ولا قليلا . لهذا أقصر على مسألة واحدة هي أمها وأهها اقتراحي على العلويين وشيختهم

انا أعتقد ان شر مامني به الاسلام هو الخلاف والشقاق ، وان اضر انواعه ماكان بين اهل السنة والشيعة ، فلقد كان كل ضر دون ضره ، وكل شر اهن من شره ، ولا أستني ردة الموقدين ولا قتال الكافرين ، ولا ظلم المستبدين ، واعتقد

ايضا ان الغلو في اعتنا آل البيت العلوي النبوي عليهم السلام كان اضر عليهم من كل ما اصيبوا به من البلاء والهن ، بل كان هو سبب اكثرها . انما استثنى عدا بني أمية لهم فهو عدا موروث من عهد الجاهلية اذ كى ناره في قلوبهم بعد الاسلام حب الرياسة وعظمة الملك ، ولذات الدنيا ، واعتقادهم أن أولئك الائمة أولى وأحق بالامامة منهم ، وان الامة لو تركت وشأنها فاتها فضلهم عليهم . واعتقد أن شر ذلك الضرر على أكثر سلاسل أولئك الائمة الهادين المهديين . هو ما حدث في أنفسهم من اعتقاد أن شرف النسب أعلى من شرف العلم والعمل لاهزاز الملة بمصالح الامة ، وأنه يفي عنه فيما تحبه الطباع من كرامة الجاهل ونعمة المال ، فأعرض الأكثرون منهم عن الجهد والاجتهاد في تحصيل العلوم والفنون ، والمجاهد في سبيل مصالح الامة العامة ، اكتفاء بشرف النسب الذي يجذب الرؤساء والحكام الى تقبيل أيديهم ، والاغنياء الى بذل كثير من المال لهم ، فصار جميع الذين فتنوا بهذا المظهر منهم طاعة على الناس ، ولقد حرم الشرع عليهم الصدقات تكريما لهم فأحلوها لانفسهم بهذه الفتنة ، وتوهمهم أن تقبيل للتصدقين عليهم لأيديهم ، يتأني كون تلك الصدقة من أوساخهم التي كرمهم الشرع بمنعهم منها . حدثني صادق باشا أحد شرقاء مكة المشهورين قال إنني أردت أن أعلم أولادي في مدارس الدولة في الآستانة فبلغني رئيس كتاب السلطان عبد الحميد أن جلالة السلطان لا يرضيه ذلك لانه لا يليق ببناء الرسول ﷺ أن يزاحوا سائر طبقات الناس في المدارس توسلوا بها الى الدنيا ، وإن أكبر رجال الدنيا يقبلون اناملهم تبركا بهم وتقربا اليهم . فاحضرت لهم مملبا لقتنهم الدروس في داري فبلغني (الباشكانب) كرامة السلطان تلك ومعني منه . والنسب الباطن لهذا المنع أن السلطان كان يكره أن يوجد في أبناء هذه الاسرة المشهورة في الاشراف علماء يعرفون أصول الشرع وطبائع الامم وسنن الاجتماع ، لئلا تسمو بهمهم بالعلم الى قيادة الامة التي تحكمهم من ناصية الملك فلما رأيت ما يشه السيد محمد بن عقيل وشيخه السيد أبو بكر بن شهاب (عنا الله عنهما) من تجديد الغلو في اطراء العلويين والاحتجاج لهم في استئثارهم على الناس بأنسابهم ، حتى بما يجدد التفريق بين المسلمين وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم .

عن الطعن في بعض الصحابة وأئمة السنة - اعتقلت أن هذه الدعاية ستأتي بضد ما يرومه دعايتها منافي هذا المعصر الذي تطلعت في شعوبه وأقوامه كلها نزع المساواة التي يبرون عنها في عرف هذا المعصر بكلمة (الديمقراطية) وأنها ستخرج عليهم الناس وتعلمهم على بعضهم والطعن فيهم وفي أنسابهم (وكان الامر كذلك كما تقدم) ففكرت في تلافي هذا الشر قبل تفاقمه وتوجيه عصبية النسب الى عمل لا يمكن إعلاله شأن أهل البيت النبوي وحمل المسلمين كافة على الاعتراف بفضلهم وشرفهم في هذا المعصر بغيره فاهتديت لما أذكره هنا بمعنى ما كتبت يومئذ لعدم تمكني من مراجعته وربما كان هنا أوضح من ذلك

اقترحت عليه السبي لانشاء مدرسة جامعة خاصة بآل البيت يتخرج فيها الاختصاصيون النابغون في جميع العلوم الدينية والدنيوية والفنون التي عليها مدار المعمران في هذا المعصر، فيكون منهم الذين يتفردون بعلوم القرآن ويكونون المرجع للأمة في تفسيره وبيان إعجازه وصرائط هدايته للمستقيم، وما أودع فيه من الحكمة وإصلاح البشر، ودفع الشبهات التي تقوم حوله، وسائر ما يمرض للناس في هذا المعصر من ذلك ويكون منهم حفاظ الحديث وعلماء روايته وذرايته وغريرو كل ما يحتاج الباحثون الى تحقيقه فيه من جرح وتعديل واستنباط لما قصر فيه المتقدمون من حكمه واحكامه وسياسته وسائر ما يحتاج اليه أهل هذا المعصر من هدايته

ويكون منهم أئمة الفقه واصول التشريع القادرون على بيان ما في الشريعة السمحة من أصول الاصلاح للبشر الذي تفضل به جميع القوانين الوضعية - واساتذة علوم اللغة العربية وآدابها الناهضون بترقية التعليم والتصنيف فيها على المناهج التي ارتقت بها لغات الامم الحية والمتننون لجميع اللغات الراقية

ويكون منهم الاطباء في كل فرع من فروع الطب والمهندسون البارعون في كل نوع من أنواع الهندسة والفلكيون وعلماء الاقتصاد السياسي والماليون

وقول بالاختصار يجب أن يتخرج منهم في هذه الجامعة كل صنف من العلماء والعاملين الذين تحتاج اليهم الامة الاسلامية فيما يجب أن تتوجه اليه في نهضتها التي تحيي بها مجد الاسلام وسياذته واصلاحه للبشر ليتولوا ترقية الترية والتعليم والارشاد

والتهذيب في المدارس وتأليف الجمعيات الدينية ، والعلمية والخيرية ، والاحزاب الاجتماعية والسياسية والشركات المالية وغير ذلك ، وحيث تعلم الامه أن سلائل آل بيت نبينا هم ساداتها وأئمتها وصفينة نجاتها عما سقطت فيه من القل والجمل والفرق والتمزق ويتوقف هذا المشروع على وضع نظام لجمع المال الكثير له من جميع أقطار الأرض بطريقة مأمونة موثوق بها يقتنع كل من وقف عليها بأن ما يدفعه سيصرف في الغرض الذي جبي لأجله ، وعند الشروع في جباية المال يعلم المحبون الصادقون لآل البيت ، ويعلم المناقرون والمقلدون الذين ينحصر حيزهم لهم في مآثم عاشوراء ، وتقل ريم الموتى إلى النجف والكاظمية وكر بلاء ، وما إلى ذلك من البدع التي سيفضي عليها روح هذا الزمان بسرعة عجيبة

قد انتشر اقتراحي هذا واشتهر حتى إن بعض المخلصين من شعبة المراق طبعوه في رسالة صغيرة ونشروها في الناس ، ولكن السيد محمد بن عقيل الذي كان أول من خوطب به وعرف قيمته لم تسم به همته إلى السعي لتنفيذه ولا سعى غيره من العلويين ولا من الشيعة لذلك

يبد أن الملك فيصل أنشأ في بغداد مدرسة باسم (جامعة آل البيت) لم ينح لها من رجال العلم وأئمة الإصلاح من يعطيها حقها فتضي عليها في مهدها وأختم هذا البحث هنا بكلمة نصح اخص بها اخواني مؤسسي جمعية الرابطة العلوية في جزائر الهند الشرقية وغيرها « والرائد لا يكذب أهله » وإن أعطني الجاهلون منهم خصما لم وهي : تساهلوا ما استطعتم في الصلح بينكم وبين الإرشاديين ، واعلموا أن التواضع خير لكم من التكبر ، وإن تفضيل الناس لكم يشرف النسب لمن يكون في هذا الزمان الا بوسيلتين أقربهما وأسهلها مكارم الاخلاق وعمل البر ، وأبدعها التبوع في العلوم والاعمال الإصلاحية العامة التي اقترحتها عليكم من قبل ، واعتبروا بالقولة البريطانية (الأرستقراطية) التي صار رئيس وزارتها من حزب العمال ، واعلموا أن تسخيركم لتسبيكم ، رهين بحفظكم لحرمته بأديكم ، ولا تنسوا قاعدة الشرع في الغنم والغرم ، فمن يؤثى أجره مرتين ، يضاعف له المذايبه ضمنين . وسأفصل هذا في مقال مستقل إن شاء الله (للترجمة بقية)

﴿ الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ﴾

في المشر الاخير من رمضان هذا العام قضى نحبه ولقي ربه صديقنا الاستاذ الكبير،
 العلم الشهير، الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ورئيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية،
 تحسرت بوفاته الامة الاسلامية والبلاد السورية رجلاً من أفضل رجال عصره علماً
 وفضلاً وديانة وصيانة ووطنية وإخلاصاً ودفاعاً عن الدين وقُدوةً صالحة في التقوى
 والعمل الصالح النافع للامة والوطن، في مصالح الدين والدنيا. بغيره وشدة لاهوادة
 فيها ولا مداراة، وأخذ بالعرائم لا يمنح فيه الى رخصة إلا ما صرح به الفقهاء، بيد أنه كان
 على تقليده للمقام في العمل والفتوى لم يبط به الجود الى غمط حق أو لي الاستقلال في
 العلم والفهم، الداعين الى هداية الكتاب والسنة، اذ ارآهم من المتصمين بحبل الله والاسوة
 الحسنة برسول الله ﷺ لا من الجاهلين الأذعياء الذين يقبضون أهواءهم، ويتخذون
 دعوى اتباع الدليل ذريعة لمخالفة علماء المذاهب وتجترأه الموا على المعاصي
 كان من قراء المنار منذ انشائه الراضين عنه وعن منشئه بل الحيين المثنين،
 وقد نشرنا فيه ما قرظ به تفسيرنا وكتابنا الوجيز (خلاصة السيرة المحمدية) ولم ينكر
 علينا يوماً شيئاً مما قررناه أو أفتينا به مخالفاً لما يراه تقليداً لفتها مذهب الشافعية الذي
 يستمد عليه في عبادته، أو مذهب الحنفية الذي كان يفتي به بمحكم وتقليته، وكنت من
 جهتي أعذره في تشديده التليدي فيما يقوم الدليل من الكتاب والسنة أو قواعد
 الاصول على الرخصة أو السعة فيه، وأرى أن من مصلحة الشعب أن يوجد فيه مثله في
 الورع والتقوى والنور من الله والحب ولو مباحات ما يوجد فيه من الفساق
 واليائين الى الاباحة المطلقة ومن القدوة السوء في بعض الذين يدعون من علماء
 الدين، وأرى أن الاعتدال في الارشاد يوضع كل من العزائم والخص في مواضعها
 لا يظهر أنه اعتدال بين طرفين الا إذا وجد من يقفون في كل طرف منهما موقفاً ظاهراً
 أجدر بي أن يحزنني موت صديقي الشيخ مصطفى نجا، وإني لأراني أحق بأن
 أعزي عنهم أن أعزي. وكنت أرجو أن يكتب الي بعض آله أو تلاميذه ترجمة
 له أنشرها مع تأييده وزائنه فخاب الرجاء الى الآن، وعسى أن تكون هذه الكلمة
 باعثاً لأحد منهم على كتابة ما يدونه المنار من تاريخه النافع (رحمه الله تعالى)

عبد الحميد بك الرافعي

في اليوم السابع عشر من شهرنا هذا اعتزت أسلاك البرق وخفت بنمي حديقنا الكريم ، ولينا الحميم ، عبد الحميد بك الرافعي رحمه الله تعالى . وفي مثل هذا الشهر من سنة ١٣٤٨ احتفل في طرابلس بالميد الذهبي لهذا النابغة السوري العربي ، (وقد بينا مناقبه ووصفنا أدبه في الناربومثد) فلم يكن بين الاحتفال بعيد مجده ، والاحتفال بتجهيزه لميد لقماربه إلا سنتان فقط ، فسبحان الذي يحجي ويميت واليه المصير ، ولقد كان مازما على زيارة مصر في هذا الربيع فسرونا جد السرور بخبر عزمه ، وميننا النفس بمودة ما كان لنا في سن الشباب من التمتع بأدبه ، ولم نلبث أن حزنا أشد الحزن لما حال دون إنجاز وعده ، فتنسأل الله تعالى أن يجمعنا به في دار كرامته ليس المقام الآن مقام التأبين والثناء بل مقام الصلاة والثناء ، والمبرة والموعظة ، والشهادة الحسنة بما نرجو به . لتقيدنا الرحمة والمغفرة ، فقد كان أحسن الله ما به ، وأجزل ثوابه ، من أحسن الناس أخلاقا وقد قال رسول الله ﷺ « ان خياركم أحسنكم أخلاقا » رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو . وقال « ان من أجبك إلي وأقر بكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا » رواه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه . وكان رحمه الله من أوصل الناس للرحم وأبرهم بالوالدين والأخوة والأهل ، فهو للربي لغير واحد من أخوته ، ولا يزال في كنفه كثير من أولادهم ، وقد قال ﷺ « الرحم شجرة من الرحمن فقال الله : من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته » رواه البخاري من حديث أبي هريرة وعائشة ، وقال ﷺ « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » متفق عليه من حديث أنس ورواه البخاري من حديث أبي هريرة

إن أدب عبد الحميد لا ينسى ، وإن شعره اخلافا لا يلى ، وإن ذكراه بنجاة نجليه لا دؤم وأبقى ، فهما المثل الحي لا دأبه وفضائله والمزاء للوطن عن شخصه ، وإن سميرا لشاعر عصري وكاتب مجيد ، ووطني صادق ، فلا زال هذا البيت الكريم نفخرا للعرب ، في العلم والادب ، والفعل والحسب . آمين



قال عليه الفقه والتقدم . انه قد سميح . وما را . كذا الطريق

الحرم سنة ١٣٥١ هـ ق برج الجوزا سنة ١٣١١ هـ ش مايو سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير المفسر سميح الدين سميح

١٠ - سورة يونس

(السورة الماثرة في المصحف وآياتها ١٠٩ عند الجمهور وعند الشامي ١١٠)

هي مكية نزلت بعد سورة الاسراء (بني اسرائيل) وقبل سورة هود . وما رواه ابن مردويه من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس . من كونها مدنية فاطم مخالف للروايات الكثيرة . وعن غيره بل للاجماع الذي يؤيده موضوع السورة من أولها إلى آخرها فهو يدور على

« الثمان : ج ٥٥ » . « ٤١ » . « المجلد الثاني والثلاثون »

اثبات اصول التوحيد وهدم الشرك واثبات الرسالة والبحث ودفع الشبهات عنها وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين الاصلية التي هي موضوع السور المكية، وعثمان بن عطاء ضعيف متروك لا يحتاج بروايته فيما يحتمل الصواب فكيف ينظر اليها في مثل هذه المسألة، ولكن الرواة لم يتركوه متردلة الا وألقوه للناس ليحكموا فيه

وقال السيوطي في الاتقان: استثنى منها (فان كنت في شك) الآيتين ٩٤ و٩٥ - وقوله (٤٠ ومنهم من يؤمن به) الآية قيل زلت في اليهود، وقيل من أولها إلى رأس أربعين مكي والباقي مدني حكاه ابن الفرس والسخاوي في جمال القراء اهـ

أقول ان موضوع السورة لا يقبل هذا من جهة الدراية، وهو ما لم تثبت به رواية. وكون المراد بالذين يقرؤون الكتاب (في الآية ٩٤) اليهود لا يقتضي أن تكون زلت في المدينة. ويأنه من وجهين (أحدهما) أن المراد بالشرطية فيها الفرض لا وقوع الشك حقيقة ولذلك قال ﷺ ولا أشك ولا أسأل، وهو مرسل يؤيده قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري كما سيأتي في تفسيرها (وثانيهما) ان هذا المعنى نزل في سور مكية أخرى كقوله تعالى في سورة الاسراء (فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) وقوله في سورتى النحل والانبياء (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ووجه مناسبتها لما قبلها أن تلك ختمت بذكر رسالة النبي ﷺ وهذه افتتحت بها، وان جل تلك في بيان أحوال المنافقين ومنه ما كانوا يقولونه وما كانوا يفعلونه عند نزول القرآن مما يدل على كفرهم به وحرمانهم من نفعه

وهدايته - وهذه في أحوال الكفار ومنها ما كانوا يقولونه في القرآن كآيات

١٥ و ١٦ و ١٧ و ٣٧ - ٤٠

واعلم أن التناسب الذي يوجد بين السور ليس سببا في هذا الترتيب الذي بينها ، فرب سورتين بينهما أقوى التناسب في موضوع الآيات ومسانها يفصل بينهما تارة ويجمع بينهما أخرى فمن الأول الفصل بين سورتي الممزة واللب وموضوعهما واحد . ومنه الفصل بين السور المبدوءة بالتسبيح بسورة المنافقين . ويقابلها من الوجه الثاني الوصل بين سور الطواسين وسور آل حميم وبين سورتي المرسلات والنبأ وسورتي التكويد والانفطار ، وربما يقال ان التناسب بين أكثر السور المكية أقوى منه بينها وبين السور المدنية

ومن حكمة الفصل بين القوية التناسب في المعاني كالمكية التي موضوع أكثرها العقائد والاصول العامة والزواجر الصاعدة والمدنية التي موضوع أكثرها الاحكام العملية أنه أدنى إلى تنشيط تالي القرآن بالترتيب وأنأى به من الملل ، وأدعى له إلى التدبر ، فهذه الحكمة تشبه حكمة تهريق مقاصد القرآن في السورة الواحدة من عقائد وقواعد ، وأحكام عملية ، وحكم أدبية ، وترغيب وترهيب ، وإشارات ونذر ، وأمثال وقصص ، والعمدة في كل ذلك التوقيف والاتباع

وهاءنذا أشرع في تفسير السورة ملتزما فيها القصد والاختصار في كل ما سبق له بيان مفصل في تفسير السور السابقة ولا سيما السورتين المكيين من السور الطول : الانعام والاعراف : وإنما أبسط القول فيما لم أبسطه فيه تمام البسط من قبل ، وأهمه في هذه السورة مسألة الوحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الرَّاءُ، تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ، قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ

﴿الر﴾ تقرأ هذه الحروف الثلاث بأسمائها ساكنة غير مصرية هكذا: ألف، لام، را. والحرف الأخير غير مهموز. وفائدة التعلق بها وبأمثالها هكذا تنبيه الذين تتلى عليهم السورة إلى ما بعدها لعظم العناية بفهمه حتى لا يفوتهم من معانيه. وهي أقوى في هذا التنبيه من حرف الماء الموضوع له في اسم الإشارة، ومن كلمة «الاء» الافتتاحية، وقد فصلنا هذه المسألة في أول تفسير سورة الاعراف.

﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ أي تلك الآيات البعيدة الشأو، الرفيعة الشأن، التي تألفت منها هذه السورة، أو القرآن كله، هي آيات الكتاب الموصوف بالحكمة في معانيه، والاحكام في مبانيه، الحقيق بهداية متدبره وواعيه.

﴿أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ الاستفهام التمجيب من عجب الكفار واستنكارهم إنكارهم للوحي إلى رجل من جنسهم. والوحي الاعلام.

(١) زعم بعض ملاحدة مصر ان هذه الاحرف كانت تكتب في بعض مصاحف الصحابة رمزاً لاصحابها فادخلت في القرآن عند كتابة المصاحف الرسمية فلما انها من السور. وفي هذا الزعم اكبر جرأة على الافتراء والافتجار ورد النقل المتواتر بدون ادنى شبهة غير وسوسة الشيطان، وعداوة الرحمن،

الخاص لامرئ بما يخفى على غيره - اي أكلن إجماعاً إلى رجل من الناس أمراً
نكراً اتخذوه أعمىة بينهم يتفكرون باستغرابها! كأن مشاركتهم له في البشرية يمنع
اختصاص إلهيائه بما شاء من العلم . والراد بالناس كفار مكة ومن تبهم في إنكار
نبوة محمد ﷺ ، وعبر عنهم بالناس لأن هذه الشبهة على الرسالة قد سبقتهم إليها
أقوام الانبياء قبله كما تقدم في قصة نوح وهود من سورة الاعراف (٧: ٦٢ و ٦٨)
أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم؟ وهذا المعنى مكرر في القرآن
وقد دحضنا هذه الشبهة في آخر تفسير سورة الانعام ﴿ أن أنذر الناس ﴾
«أن» هذه مفسرة لما قبلها ، والانذار الاعلام بالتوحيد والبعث وسائر مقاصد
الدين المقترن بالخوف من عاقبة الكفر والمعاصي ، أي أوحينا إليه بأن أنذر الناس كافة
﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ التبشير مقابل الانذار ،
أي الاعلام المقترن بالشارة بحسن الجزاء على الايمان والعمل الصالح . والمعنى
وبشر الذين آمنوا منهم خاصة بأن لهم قدم صدق عند ربهم بمجزئهم به في الآخرة -
والصدق في اصل اللغة ضد الكذب ثم أطلق على الايمان وصدق النية والوفاء
وسائر مواقف الفضائل ، ومنه في التنزيل : مقعد صدق ، ومدخل صدق ، ومخرج
صدق ، وقدم صدق . والقسم ههنا السابقة والتقدم . قال البيضاوي : سابقة
ومنزلة قيمة سميت قدماً لأن السبق بها كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد ،
وإضافتها إلى الصدق لتحقيقها ، والتنبيه على أنهم إنما يتألفونها بصدق القول والنية
﴿ قال الكافرون إن هذا الساحر مبین ﴾ قرأ ابن كثير والكوفيون (لساحر)
يعنون النبي ﷺ ، والباقون (لسحر) ويعنون به القرآن ، وكلا من القولين
قد قالوا وكل من القولين يشير إلى إثبات رسالته ﷺ فان قولهم إن القرآن سحر
جاء به ساحر يتضمن اعترافهم بانها فوق المهود والمعلوم للبشر في عالم الاسباب
القدورة لهم . وتأكيد قولهم بالجملة الاسمية وإن واللام وبوصف السحر أو الساحر

بالمين الظاهر يفيد المحصر كقول الوليد (إن هذا إلا سحر يؤثر) يعني القرآن .
ومموه سحر لأنه بقوة تأثيره في القلوب وجذبه النفوس إلى الإيمان يفرق بين
الراء وأخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجه وبنيه ، وفصيلته التي تؤيه ، وتغنيه وتحميه .
وأما السحر ما كان بأسباب خفية خاصة يمرض الناس يتعلمها بعضهم من بعض ،
وهي إما حيل وشعوذة ، وإما أسباب طبيعية علمية من خواص الأشياء ، أو قوى
النفوس المشتركة بين الكثيرين من العارفين بها ^(١) وقد استبان لعامة العرب ثم لغيرهم
من شعوب المعجم أن القرآن ليس بسحر يؤثر بالتعليم والصناعة ، بل هو مجموعة
علوم طلية في العقائد والآداب والتشريع والاجتماع مرفقة للقول ، مزيكة للأنفس ،
مصلحة للناس ، وأنه معجز للبشر في أسلوبه ونظمه ومعانيه وهدايته وتشريعه
وإخباره بالغيب (٢) وأن محمدا ﷺ مبلغ له ، ولم يكن ليقدّر على شيء منه وقد
عجز عنه غيره ، ثبت أنه نبي الله ورسوله ، وإن ما جاء به وحى منه تعالى .

وقدينا حقيقة الوحي لمة وشرعا وإثباته لتبيننا ﷺ في مواضع منها ما في بحث
دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ وهو في (ص ٢١٦ - ٢٢٤ ج ١ تفسير) ومنها
تفسير (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) وهو في (ص ٦٧ ج ٦ تفسير) ومنها
رد شبهات الكفار عليه في سورة الأنعام (ص ٣٠٩ - ٣٢٠ ج ٧ تفسير) ومنها
في خلاصتها (ص ٢٧٤ - ٢٨٠ ج ٨) ومنها تحقيق القول في مسألة الكلام الإلهي
بمناسبة تكليم الله لموسى عليه السلام (ص ١٧٨ - ١٩١ ج ٩) وبقي علينا بسط
القول في نبوة محمد مع مثبتتي الوحي ونفاته ، وشبهة النفاة لعالم الغيب عليها وتصويرهم
الوحي إليه بغير صورته ، فنعتقد له الفصل التالي :

(١) راجع حقيقة السحر في ص ٣٩٩ - ٤٠٥ ج ١ تفسير

(٢) راجع إعجاز القرآن ص ١٩٠ - ٢١٥ ج ١ تفسير

فصل في اقامة الحجة على مثبتي الوحي ونفاته

(في إثبات نبوة محمد ﷺ)

الكلام في الوحي لمحمد ﷺ مع مثبتي الوحي

أما الفريق الاول فهم أهل الكتاب ، وان من اطلع على كتبهم المقدمة المبر عنها بكتب المهدين المتبق والجديد وعلى القرآن وكتب السنة والسيرة المحمدية علم علماً عقلياً وجدانياً انه لا يستطيع أحد أن يؤمن إيماناً عالياً بأن تلك كتب وحي من الله ، وان الذين كتبوها أنبياء معصومون فيما كتبوه ، ثم لا يؤمن بأن القرآن وحي من الله وأن محمداً نبي معصوم فيما بلغه من الله تعالى ، كما لا يستطيع فقيه أن ينكره أبي حنيفة والشافعي ولا نحوي أن يجهل فهو سيئوبه وابن جني ، ولا شاعر أن ينفي شاعرية الرضي والبحري ، بل كما لا يستطيع بصير أن يكابر حسه فيفضل نور القمر والكوكب على ضوء الشمس ، أو نور السراج على نور النهار ، والله در البوصيري حيث قال :

الله أكبر ان دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قبلاً

لاتذكروا الكتب السوالمف عنده طلع الضباح فاطية القنديل

وقد صرح بهذا المعنى علماء الافرنج الذين فشوا في النصرانية وأحاطوا بها علماً وخبراً ثم عرفوا الاسلام مرفقة صحيحة ولو غير تامة . وهاك شهادة حديثة لما لم مستشرق منهم

كتب الاستاذ أدوار مونتيه المستشرق مدرس اللغات الشرقية في مدرسة جنيف الجامعة في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن ما ترجمته بالعربية :

« كان محمد نبياً صادقاً كما كان أنبياء بني اسرائيل في القديم ، كن مثلهم يؤي رؤيا ويوحى اليه ، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الالهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الانبياء أسلافه فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم

ذلك الإلهام النفسي، وهذا التضاضف في الشخصية اللذين يحدان في العقل البشري المراتي والتجليات والوحي والاحوال الروحية التي من بابها اه
فهذا العالم الاوربي المستقل الفكر يقول ان كل ما كان به انبياء بني اسرائيل انبياء كان ثابتا لمحمد . ونحن نقول ان جميع خصائص النبوة التي كانت فيه هي اكل شكلا وموضوعا وأصح رواية وأبعد عن الشبهات كما نوضحه ، وأما ما فسر به هذه الخصائص فهو التليل الذي يسل به الماديون الوحي المطلق، ومنتكلم عليه في القسم الثاني من هذا الفصل

وقد لحص هذا العالم خبر نزول الوحي على محمد ﷺ من كتب إسلامية مدعنا لصحة روايتها وفصلها بمدى العالم المستشرق الفرنسي أميل درمنغام^(١) في كتابه (حياة محمد) مدعنا لصحة الرواية ولموضوعها مفصلا لتأثير نبوته في إصلاح البشر متمنيا الاتفاق بين المسلمين والنصارى أسفا لشقاق بينهم
واننا نقل هنا تعريف الوحي والنبوة والآيات (المعجائب) من أحد علماء الافرنج الجامعين بين العلوم العصرية والدينية والتواريخ وهو الدكتور جورج بوزت الشهير مؤلف كتاب (قاموس الكتاب المقدس) بالعربية ليبي عليها الباحث المستقل العقل حكمه في نبوة انبياء بني اسرائيل ووجههم ونبوة محمد رسول الله وخاتم النبيين والوحي الذي أنزل عليه

تعريف الوحي عندم

جاء في تفسير كلمة «وحي» من قاموس الكتاب المقدس ما نصه مع حذف رموز الشواهد : «تستعمل هذه اللفظة للدلالة على نبوة خاصة بمدينة أو شعب . وجاء في (حز ١٢ : ١) «هذا الوحي هو الرئيس» اي انه آية للشعب . وعلى العموم يراد بالوحي الإلهام . وعلى ذلك يقال «ان كل الكتاب هو موحى به من الله» والوحي بهذا المعنى هو حلول روح
١ . يكتب هذا الاسم في مجلة السياسة (درمنجم) بالجم المصرية وانما اخترنا كتابه بالنين لكتاب جاءنا من المؤلف بالعربية كتب فيه امضاءه : اميل درمنغام ونشرناه في الجزء الاول من مجلد المنار الثلاثين

المنار: ج ٣٢ م ٥ تعريف النصارى لالوحي والنبوة والانبياء وترتيبهم وعلمهم ٢٢٩

الله في روح الكتاب الملمين وذلك على انواع (١) إفاذتهم بمخائيق روحية او حوادث مستقبلية لم يكن يمكنهم التوصل اليها. إلا به (٢) ارشادهم الى تأليف حوادث معروفة. أو حقائق مقررة والتفتوه بها شفاها او تدوينها كتابة بحيث يعصمون من الخطأ. فيقال « تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » وهنا لا يقتد المتكلم او الكاتب شيئا من شخصيته وانما يؤثر فيه الروح الالهي بحيث يستعمل ما عنده من القوى والصفات وفق إرشاده تعالى . ولهذا ترى في كل مؤلف من الكتاب الكرام ما امتاز به من المواهب الطبيعية وتقط التأليف وما شا به ذلك وفي شرح هذا التعليم دقة. وقد اختلف العلماء فيها اوردوه من شرحه ، غير ان جميع المسيحيين يتفقون على ان الله قد اوحى لأوائك الكتاب ليدونوا إرادته ويفيدوا الانسان ما يجب عليهم من الايمان والعمل لكي ينال الخلاص الابدى » اه

تعريف النبوة والانبياء عندهم

وجاء في تفسير « نبي أنبياء نبوة » منه ما نصه :

« النبوة لفظة تعبد معنى الاخبار عن الله وعن الامور الدينية ولا سيما عما سيحدث فيما بعد . وصحي هارون نبيا لانه كان الخبير والمتكلم عن موسى نظرا لفصاحته . أما انبياء العهد اقدم فكانوا ينادون بالشرعية الموسوية ، وينبئون بمجيء المسيح . ولما قلت رغبة الكهنة وقل اهتمامهم بالتعليم والعلم في أيام صموئيل أقام مدرسة في الرامة وأطلق على تلامذتها اسم بني الانبياء فاشتهر من ثم صموئيل باحياء الشريعة وقرن اسمه باسم موسى وهارون في مواضع كثيرة من الكتاب وتأسست أيضا مدارس أخرى للانبياء في بيت ايل وأرجما والجلجال وأما كن أخرى . وكان رئيس المدرسة النبوية يا عى ايا اوسيدا ، وكان يعلم في هذه المدارس تفسير التوراة والوسيقى والشعر ، ولذلك كان الانبياء شعراء وأغلبهم كانوا يرفعون ويامنون على آلات الطرب . وكانت الغاية من هذه المدارس أن يشرح الطلبة فيها لتعليم الشعب . أما معيشة الانبياء وبني الانبياء فكانت ساذجة للغاية ، وكثير منهم كانوا متسككين او طوافين يضافون عند الاتقياء

« ويظهر ان كثيرين من الذين تعلموا في تلك المدارس لم يسلطوا قوة على الانبياء بما سيأتي ، انما اقتصرت هذه الخصوصية اناس منهم كان الله يقيمهم وقتا دون آخر حسب مشيئته ، ويعدم بترية فوق العادة لواجباتهم الخطيرة . على ان بعض الانبياء الملهمين كان يختصهم الله بوحيه ولم يتعلموا من قبل ولا دخلوا تلك المدارس كما موسى مثلاً فانه كان راعيا وجاني حمير . اما النبوة فكانت على انواع مختلفة كالا حلام والرؤى والتبليغ . وأحيانا كثيرة كان الانبياء يرون الامور المستقبلية بدون تمييز ازمنتها فكانت تقترب في رؤى الحوادث القريبة العهد مع البعيدة كافتراق نجاة اليهود من الاشوريين بخلاص العالم بواسطة المسيح ، وكانتصار اسكندر في القرنين باثيان المسيح ، وكافتراق انسكاب الروح القدس يوم الخميس بيوم الحشر . ومن هذا القبيل اقتران خراب اورشليم بحوادث يوم الدينونة

« وقد ارسل الله الانبياء الملهمين ليعلنوا مشيئته وليصلحوا الشؤون الدينية وعلى الاخص ليخبروا بالمسيح الآتي لتخليص العالم : وكانوا القوة العظيمة الفعالة في تعليم الشعب وتنبيههم وارشادهم الى سبيل الحق . ولكن لم دخل عظيم في الامور السياسية اه بنصه

ما يرد على نبوتهم من تعريضها

أما تفسيره الالهام بحلول روح الله في روح الملهم فهو تحكم للنصارى لا يعرفه ولا يعترف به أنبياء بني اسرائيل ولا علماءهم . ولا يمكنهم إثباته ولا دفع ما يرد عليه من وقوع التعارض والتناقض والخلف فيما كتبه أولئك الملهمون وما عاقلوا فيه الواقع ، وقد أشار الى ذلك بقوله : ان في شرح ذلك التعليم دقة وان العلماء اختلفوا في شرحه الخ ، ومن حل فيه روح الله صار الها اذ المسيح لم يكن الها عند النصارى الا بهذا الحل فكيف يقع في مثل ما ذكر ويختلف وحيه او يخالف الواقع ؟ وأما كلامه في النبوة والانبياء فيؤخذ منه ما يأتي :

« ١ » ان أكثر انبياء بني اسرائيل كانوا يتخرجون في مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها تفسير شريعتهم التوراة والموسيقى والشعر وأنهم كانوا شعراء ومغنين وعزافين على آلات العزب وبارعين في كل ما يؤثر في الانفس ويحرك الشعور

والوجدان، ويشير رواكد الخيال، فلاغرو أن يكون عزرا ونحميا من أعظم أنبيائهم سابقين من سقاة الحجر لملك بابل (ارتحششا) ومغنين له، وإن يكونا قد استمنا بتأثير غنائها في نفسه على مباحه لمل بالعودة بقومها الى وطنها وإقامة دينها فيه فالنبوة على هذا كانت صناعة تعلم موادها في المدارس ويستعان على الاقتناع بها بالتخييلات الشعرية والالامات السكلامية، وللؤثرات الغنائية والموسيقية. والعلومات للكنيسة. فأبن هي من نبوة محمد الأبي الذي لم يتعلم شيئاً ولم يقل شعراً، وقد جاء بأعظم مما جاءوا به كلهم ؟

« ٢ » ان كثيراً من هؤلاء الانبياء وأولادهم كانوا متنسكين أو طوافين على الناس يبشون ضيوفا عند الاتقياء المحيين لرجال الدين كاهو اليهود من دراويش المتصوفة أهل الطرق في المسلمين، ومن المعلوم أن هؤلاء هم الذين يقبلون من رجال التنسك كل ما يقبلون، ويسلمون لم ما يدعون، ويذيعون عنهم كل ما يقبلون منهم، ومن غير هؤلاء الكثيرين من الانبياء من نقلت عنهم كتبهم المقدسة بمض كبار المباحي، وان من أخبار الصوفية والنساك والسياح عند المسلمين من تفضل سيرتهم سيرة هؤلاء الانبياء في كتبهم، فكيف يصح أن يرتفع أحد منهم الى درجة محمد ﷺ في نشأته الفطرية ومعيشته من كسبه، وكونه لم يكن عالة على الناس في شيء قبل النبوة ولا بعدها

« ٣ » أشهر أنواع نبوتهم الاحلام والرؤى المنامية والتخييلات البهيمية وكلها تقع لغريم، وقد كانت الرؤيا الصادقة مبدأ نبوة محمد ﷺ قبل وحي التشريع الذي كان له محور أعلى منها متينها بعد. والرؤى صور حسية في الخيال تذهب الآراء والافكار في تبيرها مذاهب شتى قلما يعرف تأويل الصادق منها غير الانبياء كرويا حلك مصر التي عبرها يوسف عليه السلام، ورؤياه هو في صفه

« ٤ » ان نبوة الاخبار عن الامور المستقبلية وهي التي يستدلون بها على كونهم مخبرين عن الله تعالى كانت أحيانا كثيرة بدون تمييز أزمتها ولا حواذنها فكان بعضها يختلط ببعض فلا يكاد يظهر الراد منها إلا بعد حملها على شيء واضح بعد وقوعه كما يهدفي كل عصر من أخبار المرافين والمنجيين، بله الروحانيين الكاشفين،

ومنها ما ظهر خلافه كما أشار إليه ولم يشرحه ولكن التاريخ شرحه. وكان أعظم نبوات هؤلاء الانبياء إخبارهم عن المسيح (مسيا) وملك اسرائيل وخراب العالم ومجيء الملكوت وهي لا تزال مبهمة مضطربة ومثار خلاف كبير بين اليهود والنصارى.

امتياز نبوة محمد على نبوة من قبله

فأني تضاهي هذه الاخبار (النبوات) وهي كاعلمت أنباء القرآن الكثيرة بالمعاني كالذي بيناه في خلاصة تفسير السورة السابقة مما وقع من المنافقين وما هو في سورة الفتح. وقوله تعالى في أول سورة الروم (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين) الآية، وقوله (وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) وأين هي من إنباء النبي ﷺ أصحابه بأنهم سيفتحون هذه بلاد الشام وبلاد الفرس ومصر وسيتولون على ملك كسرى وقيصر حتى انه متى كسرى عصره باسمه الخ ؟

هذا ما يقال بالإجمال في أحد موضوعي النبوة وهو الاخبار عما سيكون في مستقبل الزمان ، فما جاء به محمد ﷺ منها في وحي القرآن وغيره أظهر وأوضح وأبعد عن احتمال التأويل ، وأعصى على إنكار الرأتين ، ويزيد عليه ما جاء به من أنباء الغيب الماضية ، وسأذكر ما يتأوله به الجاحدون للنبوة والوحي في بيان بطلان شبهتهم وأما الموضوع الثاني للنبوة وهو الأهم الأعظم أي عقائد الدين وعباداته وآدابه وأحكامه فالنظر فيه من وجهين (أحدهما) ما ذكره من كونه لا يمكن أن يصل إليه عقل من جاء به وفكره ولا علومه ومعارفه الكسبية فيتمين أن يكون بوحي من الله (وثانيهما) أن يكون ما فيه من هداية الناس وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم أعلى في نفسه من معارف البشر في عصره ، فيتمين أن يكون وحياً

فأما الأول الخاص بشخص الرسول فإن المأقل المستقل الفكر إذا عرف تاريخ محمد ﷺ وتاريخ أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام فإنه يرى أن محمداً ﷺ قد نشأ أمياً لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ، وأن قومه الذين نشأ فيهم كانوا أميين وثنيين جاهلين بمقائد الملل وتواريخ الأمم وعلوم التشريع والفلسفة ، حتى إن مكة عاصمة بلادهم ، وقاعدة

دينهم، ومثوى كبارهم ورؤسائهم، ومثابة الشعوب والقبائل للحج والتجارة فيها، والمفاخرة بالفصاحة والبلاغة في أسواقها التابعة لها، لم يكن يوجد فيها مدرسة ولا كتاب مدون قطعاً، فاجاء به من الدين التام الكامل، والشرع العام العادل، لا يمكن ان يكون مكتسباً ولا ان يكون مستنبطاً بمقله وفكره كما يبناه من قبل، وسندفع ما يرد من الشبهة عليه في القسم الثاني من هذا الفصل

ويرى تجاه هذا أن موسى أعظم أولئك الانبياء في عمله وفي شريعته وفي هدايته فقد نشأ في اعظم بيوت الملك لأعظم شعب في الارض وأرأاه تشريعا وعلماء وحكمة وفنا وصناعة، وهو بيت فرعون مصر، ورأى قومه في حكم هذا الملك القوي القاهر مستعبدين مستذلين، تذبج أبناؤهم وتستحيا نساؤهم، تهيأ لفنائهم ونحوهم من الارض، ثم انه مكث بضع سنين عندهم. وكان نبيا - او كاهنا كما يقولون - فنم يرى منكرو الوحي ان ما جاء به موسى من الشريعة الخاصة بشعبه ليس بكثير على رجل كبير العقل عظيم الهمة، ناشئ في بيت الملك والشريع والحكمة الخ

ثم ظهر في أوائل هذا القرن الميلادي ان شريعة التوراة موافقة في اكثر أحكامها لشريعة حورابي العربي ملك الكلدان الذي كان قبل موسى وقد قال القديس عثروا على هذه الشريعة من علماء الالمان في حفائر العراق انه قد تبين أن شريعة موسى مستمدة منها لا وحي من الله تعالى كما شرحنا ذلك في مجلد النار السادس وذكرنا خلاصته في تفسير سورة التوبة (٣٠:٩) وهو في [ص ٣٤٨ ج ١٠] وأقل ما يقوله مستقل الفكر في ذلك انه ان لم تكن التوراة مستمدة منها فلا تعد أحق منها بأن تكون وحيًا من الله تعالى، ولم ينقل ان حورابي ادعى ان شريعته وحي من الله تعالى ثم يرى الناظر سائر أنبياء العهد القديم كانوا تابعين للتوراة متعبدين بها، واتهم كانوا يتدارسون تفسيرها في مدارس خاصة بهم وبأبنائهم مع علوم أخرى، فلا يصح ان يذكر أحد منهم مع محمد، ويرى أيضا أن يوحنا المعمدان الذي شهد المسيح بتفضيله عليهم كلهم لم يأت بشرع ولا بنبا غيبي - بل يرى ان عيسى عليه السلام وهو أعظمهم قدراً، وأعلامهم ذكراً، وأجلهم أثراً، لم يأت بشريعة جديدة بل كان تابعا لشريعة التوراة مع نسخ قليل من أحكامها، وإصلاح روحي أدبي لجود اليهود المادي على غواهر الفاظها، فامكن لجاحدي الوحي أن يقولوا انه لا يكتر على رجل مثله ذكي

القطرة ذكي العقل ناشيء في حجر الشريعة اليهودية، والمندنية الرومانية، والحكمة اليونانية، غلب عليه الزهد والروحانية، أن يأتي بتلك الوصايا الادبية، ونحن المسلمين لا نقول هذا وإنما يقوله الماديون والمحدون والعقليون وألوف منهم. يقسبون إلى المذاهب النصرانية

وأما الوجه الثاني وهو عقائد الدين وعباداته وآدابه وأحكامه فلا يرتاب العقل المستقل المفكر غير المتقيد بالدين من الأديان أن عقائد الاسلام من توحيد الله وتزبيها عن كل نقص، ووصفه بصفات الكمال، والاستدلال عليها بالدلائل العقلية والعلمية الكونية، ومن بيان هداية رسله، ومن عباداته وآدابه للزكية للنفس الرقية للعقل، ومن تشريعه العادل وحكمه الشوري الرقي للاجتماع البشري - كل ذلك أرقى مما في التوراة والانجيل وسائر كتب العهد القديم والجديد، بل هو الاصلاح الذي يبلغ به دين الله أعلى الكمال، ويشهد بهذا علماء الافرنج وقد شرحناه من وجهة نظرنا وجهة نظرهم في مواضع من المنار والتفسير [آخرها ص ٣٥٩ ج ١٠ تفسير]

ومن نظر في قصة آدم ونوح وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب ويوسف من سفر التكوين وسيرة موسى وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء في سائر أسفار العهد القديم، ثم قرأ هذه القصص في القرآن يرى الفرق العظيم في الاهتداء بسيرة هؤلاء الانبياء المطام، ففي أسفار العهد القديم يرى وصف الله تعالى بما لا يليق به من الجمل والندم على خلق البشر والانتقام منهم، ووصف الانبياء ايضا بما لا يليق بهم من المماهي مما هو قدوة سيئة، من حيث يجد في قصص القرآن من حكمة الله تعالى ورحمته وعدله وفضله وسنته في خلقه، ومن وصف انبيائه ورسله بالكمال وأحسن الاعمال، ما هو قدوة صالحة وأسوة حسنة تزيد قارئها إيماناً وهدى، فأخبار الانبياء في كتب الهندين تشبه بستاناً فيه كثير من الشجر والعشب والشوك والمنار والازهار والحشرات، وأخبارهم في القرآن تشبه العطر المستخرج من تلك الازهار، والصل للشار من تلك الثمار، ويجد فيه رايضاً أخرى جمعت جهال الكون كله. ونذكر هنا ذكر ما كتبه علماء الافرنج الاحرار في نقد هذه الكتب والطعن فيها، ومن أخصرها وأغربها كتاب (أضرار تعليم التوراة والانجيل) لاجد علماء الانكليز، وما فيها من مخالفة العلم والعقل والتاريخ، والقرآن خال من مثل ذلك

(صد الكنيسة عن الاسلام وبغية عوجا)

ان رجال الكنيسة لم يجدوا ما يصدون به اتباعها عن الاسلام بعد أن رأوه قد
قفى على الوثنية والمجوسية وكاد يقضي على النصرانية في الشرق ثم امتد نوره إلى
الغرب الا تأليف الكتب ونظم الاشعار والاغاني في ذم الاسلام ونييه و كتابه بالافك
والمهتان وغش الكلام الذي يدل على أن هؤلاء المتدينين اكذب البشر واشدم
عداوة للحق والفضيلة في سبيل رياستهم التي يتبرأ منها المسيح عليه صلوات الله وسلامه
وقد كلن أنبا عهم يصدقون ما يقولون ويكتبون ، ويتميعون بما ينظلمون .
وينشدون، حتى اذا ما اطلع بعضهم على كتب الاسلام ورأوا المسلمين وعاشروهم
فضحواهم اقبح الفضائح ، كما ترى في كتاب (الاسلام خواطر وسواخ) للكونت دي .
كاستري وكما ترى في الكتاب الفرنسي الذي ظهر في هذا العهد باسم (حياة محمد) للموسيو
درمنغام وهذا ان الكاتبان افر نسيان من طائفة الكاثوليك اللاتين ، وقد صرحا كخبرهما
بان كنيسةهم هي البادية بالظلم والعدوان ، والافك والمهتان ، وبأدب للمسلمين في الدفاع *

(*) قال موسيو درمنغام ما ترجمته العربية بقول الدكتور محمد بك حسين هكل : لما نشبت
الحرب بين الاسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلاف وسوء الفهم بطبيعة الحال واذا دبت حدة
ويجب أن يدترف الانسان بأن الفريقين كانوا السابقين الى اكبر الخلاف . فن المجادلين
البيزنطيين الذين أومروا الاسلام احتقاراً من غير أن يكفوا أنفسهم فيما خلا جلوداً ماسية
مؤنة دراسة لمعارب الكتاب والنظامون (بني الشمرام) مسلمي الاندلس الا بأسنخف التائب .
فقد زعموا محمداً لس نياق (?) وزعموه منها لك على الهوى وزعموه ساحراً وزعموه رئيس عصاة
من قطاع الطرق بل زعموه قسا رومانياً مقيظاً ان لم ينتخب لكرسي البابوية .. وحسبه بعضهم
الها زائماً « يقرب له عبادته الضحايا البشرية » وان جبر دنونج قسه وهو رجل جد ليدكر أن
محمداً مات في نوبة سكر بين (كذا) وان جسده وجد ملقى على كوم من الروث وقد أكلت منه
الخنازير وذلك ليسر السبب الذي من أجلهم حرّم المحرور من لحم ذلك الحيوان . . . وذهبت الاخريات
الى حد أن جلت محمداً صناماً من ذهب وجعلت المساجد الاسلامية براقي (ما بدأ أستم) ملاي بالتأثيل
والصور . وقد تحدث واضع اغنية أنطاكية حديث من رأى صنم «معلوم» مصنوعاً من ذهب ومن فضة
خالصين وقد جلس فوق قيلع على مقدمه من الفسيفساء وأما اغنية رولان التي تصور فرسان شارلمان
يحيطون الاوان الاسلامي فتزعم أن مسلمي الاندلس يبدون نالوتاً مكوهاً من توطيان وماهوم .
(هو ماهوم وسنونه محمد) وأبولون . وتحسب « قصة محمد » ان الاسلام يبيع المرأة تعدد الأزواج .
وقد ظلت حياة الاحقاد والحرافات قوية مقشبة بالحياة . فنن رودلف دولهيم الى وقتنا الحاضر
قام نيكولا دكيز وفيغس وسراتني وهوتنجر وبيللا ملار وبريدو وغيرهم فوصفوا محمداً بأ نديجال
والاسلام بأنه مجموعة من الهرطقات (الكفر) كلها وأنه من عمل الشيطان والمسلمين بأنهم وحوش والقرآن
بأنه نسيج من السخاظ . اه المراد منه على كثرته عواها ما ياتي بترجته وهو قليل من اسرارهم

ولما ظهرت طائفة البروتستان وغلب مذهبها في شعوب الانجولوسكسون والجرمان، وكان الفضل في دعوتهم الاصلاحية لما انعكس على أوربة من نور الاسلام، لم يشغف قسوسهم ودعاتهم (المبشرون) عن افتراء الكذب، ولا يتجملوا فيه بشيء من الزهانة والادب، والذي تراه في هذا العصر من مطالعتهم وافتراءهم وضوء أديهم أشد مما تراه من غيرهم، ولكن الذين أنصفوا الاسلام من أحرار علماءهم إصرح قولا، ولعلمهم أكثر من الاثنين عدداً، وكذلك الذين اعتدوا به، وسبب ذلك أن الحرية والاستقلال في تربيتهم أقوى، وسيكونون هم الذين ينشرون الاسلام في أوربة والولايات المتحدة الاميركانية ثم في سائر العالم كاجزم العلامة برناردشو الانكليزي في كتابه الحياة الزوجية

• مسألة الآيات والعجائب أي الخوارق •

بقي الكلام في مسألة العجائب التي بفتت على أساسها الكنائس النصرانية على اختلاف مذاهبها، وفيما يدعونه من مجرد محمد ﷺ من لباسها، وهي قد أصبحت في هذا العصر حجة على دينهم لاله، وصادة للعلماء والعقلاء عنه لا مقبنة به، ولو لا حكاية القرآن لآيات الله التي ايد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان إقبال أحرار الافرنج عليه أكثر، واعتداؤهم به أعم وأمرع، لان أساسه قذافي على العقل والعلم ومواقفة الفطرة البشرية، وتزكية أنفس الافراد، وترقية مصالح الاجتماع، وآيته التي احتج بها على كونه من عند الله تعالى هي القرآن، وأمية محمد عليه الصلاة والسلام، فهي آية علمية تدرك بالعقل والحس والوجدان كَمَا كُنَّا بِالْعِلْمِ فِي الْإِمَامِيِّ بِمَعْجَزَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّبَادُلِ فِي الْيَمِّ

واما تلك العجائب الكونية فهي ماثر شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها. وأمثال هذه الامور تقع من اناس كثيرين في كل زمان والمكان ومنها عن صوفية الهندو والمسلمين أكثر من المنقول عن المحدثين المعتقدين. والجديد يدع عن مناقب القديسين وهي من منفردات العلماء عن الذين في هذا العصر، وسنبين ما جاء الاسلام فيها من الفصل

العجائب وما للمسيح منها

جاء في تعريف العجائب وأنواعها من قاموس الكتاب المقدس ما نعه :

«عجيبة: حادثة تحدث بقوة الهية بخارقة تجري المادة الطبيعية لاثبات ارسالية من جرت على يده اوفيه. والمعجبة الحقيقية هي فوق الطبيعة لاخذها تحدث بتوقيف نواميس الطبيعة لا بما كستها ، وهي اظهار نظام أعلى من الطبيعة يخضع له النظام الطبيعي، ولنا في فعل الارادة مثال يظهر لنا حقيقة امر العجائب اذ بها نرفع اليد وبذلك نوقف ناموس الثقل . ويتسلط الله على قوى الطبيعة ويرشدها ويمد مدارها او يحصره لانها عوامل لمشيئته. ويناط فعل العجائب بالله وحده او بمن صحح له بذلك » «واذا آمنا بالاله القادر على كل شيء لم يسر علينا التسليم بإمكان العجائب وكانت المعجبة الاولى خليفة الكون من المدم بإرادته تعالى . اما المسيح فاقنومه عجيبة اديبة عظيمة، وعجائبه لم تكن الا اظهار هذا الاقنوم واعماله، واذا آمنا بالمسيح ابن الله المديم الخطية لم يسر علينا تصديق عجائبه . اما الشيطان فمعجائبه كذابه » «ولا بد من العجائب لتعزيز الديانة فكثيرا ما يستشهد المسيحي بعجائبه لاثبات لاهوته وكونه المسيح، وكان يفعلها لتمجيد الله ولمنفعة نفوس الناس وابدانهم، وكان يفعلها ظاهراً امام جماهير اصحابه واعدائه ولم ينكرها اعداؤه غير انهم نسبوها ليعازبول (١) وسواء امتحنها بالشهادة من الخارج وبمناسبتها الى ارساليته الالهية ظهرت لكل من كان خاليا من الفرض صحيحة . فاذا لم نسلم بصحتها التزمنا ان نقول بان مقرريها كذابون الامر الذي لا يسوغ ظنه بالمسيح والرسول

«وبقيت قوة العجائب في عصر الرسل ولما امتدت الديانة المسيحية زال الاضطراب اليها (٢) ولا يلزمنا الآن سوى العجائب الادبية الحاصلة من هذه الديانة مع الشواهد الداخلية على صحتها غير انه يمكن لله تعالى ان يجددها في اي وقت شاء » اهـ

ثم وضع المؤلف جدولاً احمى فيه عجائب العهد القديم من خراب سدوم

(١) اي الى الشيطان والاناجيل تثبت العجائب للشيطان كما صرح به آفا

(٢) هذا مذهب البروتستانت واما الكاثوليك فيدعون وجودها في كل عصر

(النار : ج ٥) (٤٣) (الجلد الثاني والثلاثون)

وعودة على قوم لوط الى « خلاص يونان (يونس) بواسطة حوت » فبلغت ٦٧ عجيبة
وقفي عليه بمجدول المعجائب المقرونة بحياة المسيح من الجبل به « بفعل الروح القدس »
الى « الصعود إلى السماء » فبلغت ٣٧ . وعزز الجدولين بثالث في « المعجائب التي
جرت في عصر الرسل » اي الذين بثوا دعوة المسيح من تلاميذه وغيرهم من
« انكسب الروح القدس يوم الحسين » الى « شفاء أبي بوليطوس وغيره » فكانت
عشرين . وقد صرح بان روحنا الممدان لم يرد في الكتاب انه صنع عجائب

بحث في عجائب المسيح عليه السلام

اقول : ان ٢٧ من عجائب المسيح المذكورة شفاء مرضى ومجانين لابستهم
الشياطين وثلاث منها إقامة موتى عقب موتهم وما بقي فسأله الجبل به ونحوه الماء الى
خروص حب الشبكة في بحر الجليل ، واشباع خمسة آلاف مرة واربعه آلاف مرة أخرى ،
وضرب الثينة القيمة بما أيسرها ، وقيامه المسيح وصيد السمك والصعود . وانا
تلخص رواية الانجيل لأهمها وهو إحياء اللواتي نذكر ما يقوله فيها منكر المعجائب
الميت الاول شاب من مدينة نائين كان محمولا في جنازة وأمه تبكي فاستوقف
النمش وقال له : أيتها الشاب لك أقول قم . فجلس وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه فأخذ
الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم واقتد الله شبيهه (لوقا ١١ : ١٦)
الثاني صبية ماتت فقال له أبوها وكان رئيساً : ابنتي الآن ماتت لكن تعال
فضع يدك عليها فتحيها . فجاء بيت الرئيس ووجد الزميرين والجمع يضجون فقال
لم « تنحوا فان الصبية لم تمت لكنها نائمة » فضحكوا عليه فلما أخرج الجمع دخل
وأمنسك بيدها فقامت الصبية (مت ٩ : ١٨ - ٢٤)

فنفكرو المعجائب يقولون ان كلا من الشاب والشابة لم يكونا قد ماتا بالفعل
وان كثيراً من الناس في كل زمان قد قاموا من نعوشهم بل من قبورهم بعد أن
ظن الناس انهم ماتوا . ولذلك تمنع الحكومات للدينية دفن الميت إلا بعد أن يكتب
أحد الاطباء شهادة بموته . والمؤمنين بالآيات أن يحزموا أيضاً بأن الصبية لم تكن
ميتة أخذوا بظاهر قوله عليه السلام

وأما الثالث فهو « ليعازر » حبيبه وأخو مريم حبيبته : مرض في قريتهم « بيت عنيا » فأرسلنا إلى المسيح قائلين « هو ذا الذي تحبه مريض » فكث يومين وحضر فوجد أنه مات منذ أربعة أيام فلاقته مرثا وقالت : يا سيد لو كنت هنا لميت أخي ، ثم دعت أختها مريم فلما رأتها خرت عند رجليه قائلة بكاءت مرثا وكانوا قد ذهبوا إلى عند القبر للبكاء ، فلما رأها تنبكي واليهود الذين جاءوا معها يسكنون « انزعج بالروح واضطرب » وقال « أين وضعتوه ؟ » فدلوه عليه فبكى وانزعج في نفسه وجاء إلى القبر وكان مفارقة وقد وضع عليه حجر ، فأمر برغم الحجر فرفضوه « ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : ابها الاب أشكرك لانك سمعت لي ، وأنا علمت انك في كل حين تسمع لي ، ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك أرسلني » ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم « ليعازر ! اهل خارجا » فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطان بأقطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لم يسوع : حلوه ودعوه يذهب . اه ماخصاً من الفصل ١١ من انجيل يوحنا

أندري أيها القارئ ما يقول منكرو العجائب والآيات في هذه القصة على تقدير صحة الرواية ؟ اني سمعت طبيباً سورياً يروتستنتياً يقول انها كانت بتواطؤ بينه وبين حبيبته وحبيبه لاقتناع اليهود بنبوته . وحاشاه عليه السلام . وانما ننقل هذا لنين أن النصارى لا يستطيعون إقامة البرهان في هذا العصر على نبوة المسيح فضلاً عن ألوهيته بهذه الروايات التي تدل على النبوة وتنفي الألوهية ، كما فهم الذين شاهدوها ، لانه ليس لها أسانيد متصلة إلى كاتبها ، ولا دليل على عصمتهم من الخطأ في روايتها ، دع قول المشكرين باحتمال الاحتيال والتلبيس أو المصادفة فيها أو عدم إياها على تقدير ثبوتها من فئات الطبيعة

وإذا كان اعظمها وهو احياء الميت يَحْتَمِل ما ذكرنا من التأويل فما القول في شفاء المرضى واخراج الشياطين الذي يكثر وقوع مثله في كل زمان والاطباء كلهم يقولون ان ما يدعي العوام من دخول الشياطين في اجساد الناس ما هو الا أمراض عصبية تشفى بالمعالجة أو بالوهم والاعتقاد . ودونها مسألة البحر والسماك وبس التينة :

آية نبوة محمد علمية وسائر آياته الكونية

هذا وإن مارواه المحدثون بالاسانيد المتصلة نارة وبالمرسلة أخرى من الآيات الكونية التي أكرم الله تعالى بها رسوله محمدًا ﷺ هي أكثر من كل مارواه الأنجيليون وأبعد عن التأويل، ولم يجعلها برهاناً على صحة الدين ولا أمر بتلقيها للناس ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والفكر في ثبوتها وفي موضوعها، لأن البشر قد بدؤوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة لنظام المألوف في سن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك بل هو من موانئه، فجعل حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته وهو كتابه المعجز لبشر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظي والمعنوي (كما ينه في تفسير سورة البقرة) ليربي البشر على الترقى في هذا الاستقلال، إلى ما هم مستعدون له من الكمال هذا الفصل بين النبوات الخاصة بالماضي، والنبوة العامة الباقية، قد عرّفه النبي ﷺ بقوله «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما أمته آمن عليه البشر» وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تاباً يوم القيامة» متفق عليه من حديث أبي هريرة (رض).

وقضى الله تعالى علينا في كتابه أن المشركين اقترحوا الآيات الكونية (المعائب) على رسوله فاحتج عليهم بالقرآن في جلته وبما فيه من أخبار الرسل والكتب السابقة التي لم يكن يعلمها هو ولا قومه، وبهدايته وعلومه وباعجازه، وعدم استطاعة أحد ولا جماعة ولا العالم كله على الاتيان بمثله (١٧: ٨٨ قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً). وأما ما أكرمه الله تعالى به من الآيات الكونية فلم يكن لأقامة الحجة على نبوته ورسالته بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه في الشدائد كنصرهم على المعتدين عليهم من الكفار الذين يفوقونهم عدداً وعدداً واستمداداً بالسلاح والطعام وناهيك بغزوة بدر والنصر فيها، ثم بغزوة الأحزاب إذ تألب المشركون واليهود

على المسلمين وأحاطوا بمدبقتهم فردم الله بضيقهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال من تلك الآيات شفاء المرضى وإبصار الأعمى وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل في هذه الغزوة وفي غزوة تبوك كما وقع المسيح عليه السلام . ومنه تسخير الله السحاب لاسقاء المسلمين وثبتت أقدامهم التي كانت تسيخ في الرمل بيدرو لم يصب المشركين من غيها شيء . ومثل ذلك في غزوة تبوك إذ نفذ ماء الجيش في الصحراء والحار شديد حتى كانوا يذبحون البعير ويخرجون الفرس من كرشه ليعتصروه ويبلوا به ألسنتهم على قلة الرواحل معهم ، وكان يقل من يجد من عصارته ما يشربه شرباً ، فقال أبو بكر يا رسول الله ان الله عودك في الداء خيراً فادع لنا ، فرفع يديه فدعا فلم يرجعها حتى كانت السماء قد سكبت لم مملأوا ما معهم من الروايا ولم تتجاوز عسكرهم

تأثير العجائب في الافراد والامم

لقد كانت آيات الرسلين حجة على الجاحدين الماندين استنقوا بجهودها عذاب الله في الدنيا والآخرة ، ولم يؤمن بها من شاهدها إلا المستعدون للايمان بها : ان فرعون وقومه لم يؤمنوا بآيات موسى ، وإن أكثر بني اسرائيل لم يقتلوا به وقد اتخذوا العجل وعبدوه بعد رؤيتها . وقال اليهود في المسيح لولا انه رئيس الشياطين لما اخرج الشيطان من الانسان . وقالوا ان ابليس أو بلزول يفعل اكبر من فعله ، وما كان اكثرهم مؤمنين . وقال الناقور وقد رأوا بائعهم سحابة واحدة في ابان القبط قد مطرت عسكر المؤمنين وحده عند دعاء النبي ﷺ : انا مطرنا بتأثير النور لا بدعائه .

وقد كن اكثر من آمن بتلك الايات انما خضعت أعناقهم واستخذت انفسهم لما لا يقتلون له شيئاً وقد انطوت الفطرة على أن كل ما لا يعرف له سبب فلا يبي بمظاهر الخالق سبحانه ان لم يكن هو الخالق نفسه ، وكان أضعاف أضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للحررة والشموزين والدجالين ولا يزالون كذلك وقد نقلوا عن المسيح عليه السلام انه سيأتي بعده منسحاء كذبة وأنبياء كذبة

ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً (متى ٢٤ : ٢٤) وقد ذكر في قاموس الكتاب المقدس عدداً كثيراً منهم وأسماء بعضهم . وأقول : إن منهم القادياني الذي ظهر من مسلمي الهند ، وتذكر صحف الأخبار ظهور هندي آخر يريد اظهار عجائبه في أمريكافي هذا العام وتقالوا عن المسيح أنه قال : « الحق اقول لكم ليس كل نبي مقبول في وطنه » وجعل القاعدة لمرفة النبي الصادق تأثير هدايته في الناس لا الآيات والمعجائب فقال « من ثمارهم تعرفونهم » ولم يظهر بعده - ولا قبله - نبي كانت ثماره الطيبة في هداية البشر كنثار محمد ﷺ ولا احد يصدق عليه قوله في انجيل يوحنا (١٦ : ١٢) ان لي أموراً كثيرة أيضاً ولكن لا أستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك (أي البارقليط) روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق (الخ وما جاء بعده نبي أرشد الناس الى جميع الحق في الدين من توحيد وتشريع وحكمة وتأديب غير محمد رسول الله وخاتم النبيين

ومن استقرأ تواريخ الامم علم ان أهل الملل الوثنية اكثر اعتماداً على المعجائب من أهل الأديان السماوية ، ورأى الجميع ينقلون منها عن معتقديهم من الاولياء والقديسين ، اكثر مما نقلوا عن الانبياء المرسلين ، وان اكثر المصدقين بهامن الخرافين

ثبوت نبوة محمد بنفسها واثباتها لغيرها

وجهة القول ان نبوة محمد ﷺ قد ثبتت بنفسها ، أي بالبرهان العلمي والعقلي الذي لا ريب فيه لا بالآيات والمعجائب الكونية ، وان هذا البرهان قائم ماثلاً للقول والحواس في كل زمان ، وانه لا يمكن اثبات آيات النبيين السابقين إلا بثبوت نبوته ﷺ وهذا القرآن الذي جاء به ، قلحجة الوحيدة عليها في هذا الطور العلمي الاستدلالي من اطوار النوع البشري هو شهادته لها . فان الكتب التي قلنتها لا يمكن اثبات عزوها الى من عزيت اليهم ، اذ لا يوجد نسخ منها منقولة عنهم قوا ترا باللفات التي كتبوها ، ولا يمكن اثبات عصمتهم من الخطأ فيما كتبوه على اختلافه وتناقضه ،

وتعارضه ، ولا اثبات صحة التراجم التي نقلت بها ، كما قلنا آنفاً وبيناه بالتفصيل مراراً
الكتاب الالهي الوحيد الذي نقل بنصه الحرفي تواتراً عن جاء به بطريقتي
الحفظ والكتابة معا هو القرآن ، والنبي الوحيد الذي نقل تاريخه بالروايات المتصلة
الامانيذ حفظا وكتابة هو محمد (ص) فالدين الوحيد الذي يمكن العلماء المستقلين
في الفهم والرأي ان يعقلوه وينبؤوا عليه حكمهم هو الاسلام . وأما خلاصة ما يمكن
الاعتراف به من الاديان السابقة لثبوت قضاياها الاجالية بالتواتر المعنوي ، فهو
انه وجد في جميع اعم الحضارة القديمة دعاة الى عبادة الله تعالى والى العمل الصالح
والى ترك الشرور والبرذائل منهم انبياء مبلغون عن الله تعالى مبشرين ومنذرين ،
كما انه وجد فيهم حكماء يبنون ارشادهم على الاحتجاج بما ينفع الناس ويضرهم بحكم
العقل والتجربة - ووجد في جميع ما نقل عن الفريقين أمور مخالفة للعقل ولما
ينفع الناس من الاعمال ، وخرافات ينكرها العقل ويتقضاها العلم

واذ كان الاسلام هو الدين الوحيد الذي عرفت حقيقته وتاريخه ، بالتفصيل
فاننا نذكر هنا شبهة علماء الافرنج الماديين ومقلدتهم عليه ، بعد مقدمة في شهادتهم
الاجالية له ، تمهيداً لدخض الشبهة ، وهووض الحجة ، فنقول :

(درس علماء الافرنج للسيرة المحمدية وشهادتهم بصدقه ﷺ)

درس علماء الافرنج تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده على طريقتهم في النقد
والتحليل ، ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلحوا فلها ونقشوها بالمناقش ،
وقرؤا القرآن بلغته وقرؤا ما ترجمه بأقوامهم ، وكانوا على علم محيط بكتب المبهدين
القديم والجديد ، وتاريخ الأديان ولا سيما الديانتين اليهودية والنصرانية ، وبما
كتبه المتصبون للكنيسة من الافتراء على الاسلام والنبي والقرآن بما أشرنا إلى بعضه
آنفاً ، فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتية :

﴿ ان محمد آ كان سليم الفطرة ، كامل العقل ، كريم الاخلاق ، صادق ﴾
 ﴿ الحديث ، عفيف النفس ، قنوعا بالقليل من الرزق ، غير طموح بالمال ولا ﴾
 ﴿ جنوح الى الملك ، ولم يعن بما كان ينبغي به قومه من الفخر ، والمباراة في تحبير ﴾
 ﴿ الخطب وقرض الشعر ، وكان يمت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات ﴾
 ﴿ الوثنية ، ويحتمر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية ، كالخمر والميسر ﴾
 ﴿ واكل أموال الناس بالمباطل ، وهذا كله وبما ثبت من سيرته وبقينه بعد ﴾
 ﴿ النبوة جزموا بانه كان صادقا فيما ادعاه بعد استكمال الأربعين من سنه من ﴾
 ﴿ رؤية ملك الوحي ، واقرأه آياه هذا القرآن ، وإنيأنه بأنه رسول من الله ﴾
 ﴿ لهداية قومه فمأثر الناس ﴾

وزادهم ثقة بصدقان كان أول الناس إيمانا به واعتداء بنبوته أعلمهم بخيلة
 أمره ، وأولهم زوجه خديجة المشهورة بالعقل والتبل والفضيلة ، ومولاه زيد بن
 حارثة الذي اختار أن يكون عبدا له على أن يلحق بوالده وأهل بيته ويكون معهم حرا ، ثم
 أن كان الذين آمنوا به من اعظم العرب حرية واستقلالاً في الرأي ولا سيما أبي بكر وعمر
 فاما المؤمنون بالله وملائكته وإن للبشر أرواجا خالدة من هؤلاء الافرنج
 فقد آمنوا بنبوة محمد ﷺ على علم وبرهان ، وهم يزيدون عاما بعد عام ، بقدر
 ما يتاح لهم من العلم بالاسلام ، وأما الماديون فلم يكن لهم يد من تفسير لهذه الحادثة
 أو الظاهرة التي لا ريب في صحتها وثبوتها ، وتصويرها بالصورة العلمية التي يقبلها
 العقل ، الذي لا يؤمن بما وراء المادة أو الطبيعة من عالم الغيب

قد حوا زناد الفكر ، واستوزوا به نظريات الفلسفة ، فلاح لهم منه سقط
 أبصروا في ضوئه الضئيل الصورة الخيالية التي أجعلها الاستاذ موتية في عبارته التي
 قلناها عنه آنفاً وفصلها أميل درمنقام وغيره بما نشرحه ههنا .

نهضة جديدة لاهياء لغة الاسلام العربية في البلاد الهندية

لعل صاحب هذه المجلة (المنار) أول من فطن في هذا القرن لما غفل عنه المسلمون منذ بضعة قرون من كون الاسلام قد جعل اللغة العربية لغة لجميع المسلمين بالتبعية لدينهم الذي هو كتاب الله للنزل بلسان عربي مبين، وستة رسوله العربي الكريم، وأن هذا أمر مجمع عليه بين المسلمين وجري الخلفاء الراشدين والاميون والعباسيون على تنفيذه في جميع الشعوب غير العربية الى أن قوي الاعاجم وصار لهم دول تمصّب لغاتها وترجحها على لغة دينها بجهل ملوكها وحكامها بحقيقة الاسلام وبنائه على أساس الوحدة الدينية والاجتماعية والسياسية التي تحقق إخوة الاسلام وكون أهل أمة واحدة لا يفرق بينهم جنس ولا وطن ولا لغة

دعونا المسلمين إلى احياء لغة دينهم منذ عشرات السنين وكان أكبر أملنا في إجابة هذه الدعوة من قبل الشعوب الاعجمية الشعب الهندي لأن عسكته بلغته الاوردية ليس مقترنا بمصيبة دولية كمصيبة الفرس والترك بل عصبية الاسلامية أقوى من كل عصبية، وأعلى كان جهل التعليم العام بلغته الوطنية وجعله العربية لغة علماء الدين فقط لأسباب عارضة لا محل هنا لبسطها، وطالما كتبت العلماء والزعماء منهم الذين كنت أقام بمصر في وجوب احياء اللغة العربية في بلادهم فيعترفون بالوجوب ويمتنعون بالعجز عن أداء هذا الواجب

ولما زرت الهند في سنة ١٣٣٠ إجابة لدعوة جمعية ندوة العلماء لرئاسة مؤتمرها العام كتبت كثيراً منهم في هذا الواجب ونوهت به في بعض الخطب العامة التي ألقيتها في معاهد العلم ولا سيما مدرسة ديوبند العلماء فرأيت منهم قبولاً وارتياحاً وأبشّر العالم الاسلامي اليوم بأنه قد وصل إلينا قبل إتمام تحرير هذا الجزء من المنار (الذي تأخر صدوره عن وقته ليصدر مع الذي بعده) مجلة عربية أنشئت في كهنؤ مركز ندوة العلماء باسم (الضياء) لأجل هذا الترض وجعلت تحت إشراف صديقنا الأستاذين الجليلين العلامة السيد سليمان الندوي والعلامة الشيخ تقي الدين الحلالي المغربي - فإنا نرجل بنشر فاقمتها للأول في هذا الجزء وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم طلوع الضياء

(بقلم العلامة الجليل الأستاذ السيد سليمان الندوي رئيس دار المصنفين)

باسمك اللهم تفتتح وبك نستعين ، فتم القامح أنت وتم المين ، فاشرح لنا
 دينا صدورنا ، ويسر لنا أمورنا (واهدنا) سبيل الرشاد ، وألهمنا طريق
 السداد ، واحل عقدة من لساننا ليقتطروا قولنا ، ونصلي ونسلم على النبي العربي
 الامين ، الذي انزل عليه الكتاب بلسان عربي مبين

(وبعد) فللاسلام مزاي تفوت الاجماء دررها ، وتستغنى عن الانبياء
 غررها ، احداها انهذين وحدة الشعوب والامم ، ودين مؤاخاة البشر ، والنصيحة
 للامة الصالحين - ومن الوسائل التي اتخذها لتحقيق بغيته هذه أن جعل للمؤمنين
 قرآنه ، وانماضهم لسلطانه ، على اختلاف السنتهم وبلدانهم ، وجنسياتهم
 وألوانهم ، لغة خاصة وهي لغة كتابه المنزل من السماء ، يتفاهمون بها معاني القلوب ،
 ويتعارفون بها (١) هو اجس الافكار ، ويخطب بعضهم بها مودة بعض ، فهي
 على قلب من الاحوال ، لغة عصبة الامم الاسلامية منذ قرون وأجيال

قد رأى الآن رجال من نصارى الافرج في حلمهم أن يدعوا امهم الى
 الوحدة الانسانية ، والمودة البشرية ، فأحدثوا لغة واحدة يسهل عليهم أخذها ،
 يتحدثوا (٢) بها الاقوام ، وينادوا (٣) بها الى الالتحام ، ولكن أولي النهى ممن يرون
 العواقب رأي العين يتنون أن لا بقية لانه إلا اذا كانت لها دعائم من الدين
 والسياسة يتصعب لها ذووها ، ويسمى لما بنوها ، وان الاسلام قد قضى وطره
 عنها منذ خاق ، فجعل لأئمة المنتشرة في أكنان الارض مشارقها ومقاربها لغة
 تم أطرافها وتضم أشتاتها ، وهي لغة نبيها المصطفى ، ودينها المرقضى ، وكتابها
 المنتقى ، وهي لغة علومهم وآدابهم وحضارتهم ، ولها أهل يحمون حوضها ،

(١) النار : تعارف الناس عرف بعضهم بعضا وهو لازم كما في التنزيل

ويذوبون عن حياها ، فهي تبقى معهم معا بقوا ، وترحل معهم أينما رحلوا ، وتحمل معهم بأي ارض حلوا ، وهي تجمع بين دفتيها دفتر أربعة عشر قرنا ، فيها الدين والشرع ، والرواية والاثار ، والتاريخ والخبر ، والشعر والادب ، والجذب واللعب ، تلم بين طرفيها شعث ما تركه سلفهم ، وكسبه خلفهم ، وما جادت به طبائهم ، وفاضت به بنايهم (١) وفاقت به بحارهم ، وزرعتهم أفهامهم ، وحصدته أقاليمهم ، وما أبدعوا من انواع الطراف ، وما أودعوا من أوراق الصحف ، فلنستم هذه كنز خير لم لا يفتى ، وثوب غر لم لا يبلى

لا تكاد تجد قرية احتلها المسلمون من بلاد الارض إلا وفيها رجال ينطقون بالضاد ويتقنون بالقرآن ، ويفهمون لغة قريش ، ويتدارسون آداب العرب ، وإن كانت في لسانهم عقدة ، وفي بيانهم عجمة ، هذه بلادنا الهند فيها نحو (من) ثمانين مليوناً من المسلمين ، وفيها نحو (من) مليونين من يفهم لغة القرآن ويعرفها ، وإن لم تكن لهم قدرة على التكلم بها ، وتقدر مدارسهم العربية بألف من صغارها وكبارها ، وطلبة العربية فيها نحو (من) مائة ألف أويزدون ، فان صفحاً واحداً من أصقاع الهند يعرف ببلاد بنغال يضم بين جناحيه ستين ألفاً من طلبة العلوم العربية وتلاميذها ، وتوجد في مدينة واحدة وهي دهلي عاصمة الهند نحو مائة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة أتراها مدرسة جامع فتحبوري ، وأعمالها المدرسة الامينية ، وتلقى في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في ديوبند أكثر من خمسمائة طالب تدبر على أكثرهم المدرسة روايت شهرية نفي بما كلهم وملابسهم ، ودع عنك دار علومنا التي قامت بتأسيسها ندوة العلماء ولكنها في أحدثها عمرا ، ولكل منها من المزايا ما لا يخفى على ذي عينين

وعلى ذلك ما يؤلفنا ذكره ، ويشوكونا نشره ، ان هؤلاء الجم الغفير ، والعدد الوفير ، أكثرهم يكمن التكلم (٢) باللغة العربية ، ولم يعمي عن الكتابة البديعة السلسلة المنسجمة ، فصلا عن الخطابة فيها من مجلدين ، وليست كتابتهم إلا في أمور طليقة من العقه ، أو أبحاث ميمجة في المنطق ، تجمعها الأذان ، ولا تسمن ولا تنفي من جوع العلم ، وتنبو طباعهم عما تنشره الصحف والمجلات الارادية ، فلا يقرؤنها فيستفيدوا

فيحرمون من حظ وافر من العلم الذي يتزايد أمره كل يوم ، وينمو شأنه كل صباح ومساء ، وزادك (١) أسفا لو رأيت مناهج دروسهم العقيمة ، وما فيها من الكتب السقيمة ، ذات الاساليب الرميمة

وأول من تنبه لسد هذا الخلل ، وملافة هذا الخطأ ، دارالعلوم التي أسستها ندوة العلماء بلقناؤ ، فأفرغت جهدا في تعليم اللغة العربية قديمها وحديثها كتابة وخطا ، وزادت في قائمة دروسها كتب الادباء المجيدين ، من السلف الكرام المجيدين ، الذين كتبهم ينوع الأدب ، ومادة لغة العرب ، مثل مصنفات ابن قتيبة الدينوري ، وعبد القاهر الجرجاني ، وقدامة بن جعفر البغدادي ، وأبي الهلال العسكري ، وجاحظ البصري ، واستبدلت دواوين قدماء الشعراء بما تكلفته خواطر المحدثين للتأخرين بعد القرن الرابع

ثم وضعت بعض كتب ابتدائية لدرس المبتدئين وألفت معجبا جديدا يضمن شرح الكلمات الدخيلة والعربية التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية ، وذهبت معلما خاصا لتعليم اللغة الحديثة فيها

وآثرت لتعليم الآداب العربية رجالا معروفين من العرب أنفسهم لكون اللغة لهم طبعاً وذوقاً ، ولنا تكلفنا وتعمقا ، فأسندت أولا رئاسة أساتذة اللغة العربية الى الأستاذ العلامة الشيخ محمد طيب المكي ، ثم الى الأستاذ الفاضل الكامل الشيخ محمد بن حسين الخرزجي البغدادى رحمهما الله تعالى ، وأخيرا يملأ هذا الفراغ فيها صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي

وقد كان لمسماها دوي في سائر أندية المدارس العربية ، وأخذت تبذل ما في وسعها من الجهد في مباحثها ، والحق أخق أن يقال ، إنه بعد ما تملك صديقه العزيز ، ورفيقنا في طلب العلم ، ورفيقنا في تلقي الدروس ، وشريكنا في الشيوخ وأوثنا في الجمع بين علوم الشرق والغرب ، الشيخ ضياء الحسن العلوي الندوي (م ع) زمام تفتيش المدارس العربية ورئاسة امتحاناتها في ولايتنا البلاد المتحدة صار لهذه المدارس العربية وامتحاناتها في العلوم الشرقية طور آخر ، ودور زاهر ، فانه أدخل فيها تبديلات نافعة ، واتخذ لاجلها أمورا تديرها ناجحة ،

فجعلها متسقة النظم ، ومتحدة النظام ، وانتقى لها مناهج درس ، وقوام كتب ، تضمن بالنجاح ، وتؤخذ بالفلاح ، فجعل فيها للأدب العرب محلا يطبق به ، والزم متعلمي المدارس العربية الكتابة وإنشاء المقالات بالعربية

و كذلك فلت رئاسة المدارس العربية في ولاية بنجاب فجعلت الكتابة والانشاء بالعربية من مواد امتحاناتها الشرقية التي لا غنى عنها لطالب

وتلقها الجوامع الانكليزية الرسمية ، فانها أدخلت تحسينات فاضة في فرعها العربي بأيدي أساتذة فضلاء ذكورة في العلوم العربية نالوا شهادة الدكتورية من جوامع ألمانيا وانكلترا ، ولهم يد بيضاء في استبدال المناهج الجديدة المفيدة بالمناهج القديمة العقيمة . وقد أسفرت مساعيهم عن نتائج ذات بال ، ولجامعتي لاهور ودهلكة خطوة في هذا السبيل بميدة الشوط ، وتبعتهما جوامع اله آباد ولكنور وبننور وكلكتة ، واهتمت بها من الماهد العربية التي للحكومة الكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى بيننور ، والمدرسة العالية بكلكتة

وأشد الجوامع الانكليزية اعتناء باللغة العربية جامعة دها كة ، فانها خصصت لها قائمة درس تدرس فيها اللغة العربية وعلومها مع بعض العلوم الجديدة واللغة الانكليزية ، وتمنح التاجحين فيها شهادة تؤهلهم للدخول في كل ما يمكن الدخول (فيه) للتاجحين في العلوم الانكليزية المحضة من الوظائف والمناصب ، أما جامعتنا الاسلامية بمليكرة فارادت أن تقتني أثر جامعة دها كة في جعل العربية وآدابها فرعاً لها خاصاً قررت لجنة لتحقيق أمنيتها ، ونيل بقيتها ، وعسى أن تأتي بأثر يذكر . وعمل يشكر ، وأما الجامعة الثمانية بمحيدر آباد الدكن فهي أكثر الجوامع انفاقاً على فرعها العربي وأشدّها اهتماماً بأمره ، واکراماً للتاجحين في علومه وآدابه ، وأسماها منحةً بالمناصب والوظائف لهم

هذا - ولكن هذه الاموال المنفقة ، والجهود المفرغة ، تكاد أن تذهب سدى ، ولا تأتي بمجدوى ، لان جو الهند غير عربي ، يكدر فضائها زعازع هوجاء من العلوم الافرنجية ، والأدب الانكليزية ، فتحرق بالطلبة البصيف الاردية ، والجراند والمجلات الانكليزية ، وترد عليهم النشرات الاردية والانكليزية

تتري ، فلا تدع لهم جانباً فارغاً العربية ، فلا تُجِدْ للهند صحيفة عربية يقرءونها ولو مرة في الشهر ، ويكتبون فيها ولو مرة في السنة ، فيتمرنوا في الانشاء العربي ويحذقوا فيه ويسهل عليهم الكتابة في اللغة العربية ويستطيعوا ابداء المعاني الطيبة غير الخيالية التي يقرءونها في الكتب ، فيخيّل اليهم من صبحها آهيم في جيل غير جيلهم ، ويقننوا على إبراز المعاني المستحدثة في طراف جلال تسر الناظرين ، وتجري أقلامهم في نقد السياسة والاخلاق ونشر التربية والتعليم ، وسرد الانباء والحوادث ، وقرض الشعر ونسج الادب ، ويضربوا بهم نافذة في معرفة الآداب العربية المستطرفة المستطرفة ، ويتمكنوا من الخوض في كل موضوع والاستغراف (١) من كل حوض ، وتكون لهم صلات متواصلة بالبلاد العربية ، فتقوى بها بينهم وسائل التعارف والتداني ، ووسائل التصافح والتصافي ، ولا تنفي عنهم الجرائد والمجلات العربية التي تجلب من البلاد الاجنبية ، ليمد شقتها ، وغلاء أثمانها ، واختلافها عن ذوق متعلمي العربية بالهند ، (وآي لهم التناوش من مكان بعيد ؟)

فذلك مادعانا الى اصدار مجلة عربية ، واضطرنا أن نتحمل هذا العبء الثقيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولقد ألقينا بأيدينا إلى الهلكة ، ونقصنا أنفسنا غرضاً لسهام الحوادث ، ونعلم ما أصاب إخواننا السابقين من خيبة المسعى وكبوة القصد فكان أحد سلفنا رحمه الله أصدر جريدة الرياض فظهرت وزهرت ، ثم تقلبت بها الرياح ، فأصابها أعصار من نار الفقر قاحت رقت ، وتلتها مجلة البيان ، ففضت من عمرها سنين ثم أتاها الدهر عليها بكلاكله ، فخرست (١) عن النطق ، ثم جاءت على فترة من رسل الكلام ، الجامعة لأبي الكلام ، فلم تبلغ أشدها حتى دهاها ما فرق جمها ، وشنت لها ، فذهبت معها أذراج الرياح ، وغيرها من الصحف العربية التي لم ترق الحياة إلا لشهر أو شهرين ، فنخشى علينا ما أصابهم من خيبة الأمل ، وقرية الاجل

(١) في الاصل خرصت بالصاد وهو من غلط الطبع . وخرس لازم ومعناه العجز عن النطق فقوله عن النطق تفسير أو تضمين لمعنى العجز

وليس لدينا قوة لنفتح بها هذه العقبات الا التوكل على الرحمن، ولا من زاد لهذا السفر الشاسع الا الشقة بنصر من الخلال، ولا من بضاعة لهذه التجارة الكاسدة، الاحسن الظن بناصري العربية في هذه البلدان، فمن أحسن اليها فأجره على الله ان الله يحب للحسنين

وليحسب حياة العربية في الهند أن خلوجوها من صوت صحيفة عربية عار لم غير ظاهر (٢) فكم من لغات مبيتة تدون لها في هذه البلاد ألسنة حال تنطق، وعيون حياة لها تدفق، وما ذلك إلا بنصر من الدعاية، وهاجس في صدورهم يحس بفرض الكفاية، وكم من بلاد مثل أمريكية فيها جالية من العرب يقل عددهم عن عارفي اللغة العربية في الهند، ولم يحف سائرة، فالرجاء من القائمين بالمهاد العربية ومدرسيها الكرام، وأساتذتها الفخام، وتلاميذها النجباء ومحبيها الاختيار، ان يأخذوا بأيدينا، وينصروا من ليس له قوة ولا ناصر، (وما النصر إلا من عند الله وهو العزيز الحكيم)

وليعلم أن المجلة مواد بحثها ومواضع انشائها تنحصر في علوم الدين وفنون العلم وأداب اللغة وطرق التربية والتعليم وما يناسبها من المسائل والأخبار، وأنها لا تعزو نفسها إلى معهد دون معهد (ولا) تتمصب لاحد على أحد، بل هي لسان حال المهاد العربية كلها في هذه الديار

ونرجو أساتذة لغة العرب، وجما بذة نقد الادب، ولا سيما أمراء القول من العرب، وما لكي أزمة البيان منهم أن يسبلوا علينا ذيل الستر، وينو اعلينا بغض البصر، فاستأنا إلا متطفلين على ما مدتهم، ومنكففين لرفادتهم، والحمد لله أولاً واخراً وظاهراً وباطناً.

[النار] نرحب بأختنا مجلة الضياء، ونرجو أن نرى منها خير مدد يومي للنار. ونحث قراء العربية في كل مكان على الاشتراك فيها وإمدادها بالمساعدة المالية والقلبية، ونوجه عناية صديقتنا الثيوريين للمشرفين على المجلة بان يبذلا كل العناية لتصحيحها فاننا رأينا في الجزء الاول أغلاطا أكثرها من غلط الطبع، في مثل هذا المقام، ويفتقر في الابتداء ما لا يتفق في الدوام، وسنعود الى تقيظها والتقل عنها ان شاء الله

نداء للجنس الطيف

يوم المولد النبوي الشريف

(في حقوق النساء في الاسلام، وحظن من الاصلاح المحمدي العام)
نشرنا في جزء المنار الماضي ما اقترحت عليه لجنة (ذكرى يوم النبي)
في لاهور الهند من كتابة رسالة في هذا الموضوع، لاجل ترجمتها بأشهر
لغات العالم المدني ونشرها في يوم المولد من سنة ١٣٥١- واننا قد شرعنا
في كتابتها في شهر ذي الحجة التي صدر الجزء الرابع من المنار في آخره
وأقول الآن انني لما شرعت في كتابة الرسالة توخيت فيها الاختصار، وفاقا
لاقتراح لجنة لاهور في كتاب خاص، وقد أرسلت ثلاث كراسات (ملازم)
منها بالبريد الجوي في رابع المحرم وكرستين آخرين في الحادي عشر منه، وبمئة
مائة في ١٨ منه، ولما لم يرد إلي جواب من اللجنة ترجع عندي انها لن تتمكن
من ترجمتها ونشرها في يوم مولده هذا العام، وكان عرض لي أن أبسط بعض
المسائل ولا سيما مسألة تعدد الزوجات، وحكمة كثرة أزواج النبي ﷺ بأكثر
مما يطلبه اللجنة على أن أختصر الرسالة لها إذا أرادت ترجمتها لسنة أخرى
بيد أنني رأيت أن أنشر الرسالة كلها في المنار، ثم أطبعها على حدة
وأنشرها في يوم المولد الشريف من هذا العام، مشاركة لاختواتنا مسلمي
الهندي لإحياء هذه الذكرى ببيان ما استدعت إليه حاجة هذا العصر من بيان
الاصلاح الاسلامي العام للبشر، الذي يعلم به أن محمدا ﷺ بمثل رحمة المالمين،
جوهكم لا دين الله على السنة النبیین والمرسلین، ومصلحا لما أفسده البشر من
الاديان والشرائع وشؤون الاجتماع البشري كلها. وهذا نص الرسالة

﴿ مقدمة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وخاتم النبيين ،
الذي ارسله لاصلاح جميع البشر في أمور دينهم ودنياهم ، وازالة التعادي والتناكر
بين شعوبهم وقبائلهم بالتمارف والتآلف بينهم ، وإثبات المساواة في الحقوق
والاحكام بين اجناسهم ، وأفراد رجالهم ونسائهم ، على اختلاف عروقهم وألوانهم ،
وبقاعهم وانطامهم ، ومنع التمايز بين الطبقات والمناشر بالانساب والتقاليد
العرقية أو الوراثية ، وتحقيق التوحيد بينهم في جميع القومات الانسانية ، والاخوة
الروحية ، والتفاضل بالفضائل النفسية ، من علمية وعملية ، قال عز وجل

(١٣:٤٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

أما بعد فيقول محمد رشيد آل رضا الحسيني الحسيني منشئ مجلة النار الاسلامي ،
ومؤلف التفسير السلفي المصري الاربي السياسي الاجتماعي في مصر القاهرة :
إن الجماعة التي تألفت من اخواننا مسلمي الهند في مدينة لاهور لادفاع سيرة رسول
الانسانية الاعظم ، وهدية واصلاحه الاقوم ، وخصصت لذلك يوم مولده من كل
سنة ، قد اقترحت علي ان اكتب رسالة في أهم ما جاء في كتاب الله تعالى المنزل عليه
وفي سنته المينة له من حقوق النساء ، والاصلاح الذي يجب على الجنس الطيف أن
يمر به في كل شعب ويطلب به الرجال ، ليتبرج بالغات المشهورة وينشر في الآفاق
في يوم ذكرى مولده ﷺ من سنة ١٣٥١ هجرته الشريفة

قبلت الاقتراح ، وأجبت الدعوة بالارتياح ، شاكرًا لافخاني تفضلهم علي
واختصاصهم إياي ببيان هذا الواجب الكفائي العظيم ، داعيًا أن يلهمني الله تعالى فيه
الصواب ، ويؤتييني الحكمة وفصل الخطاب ، وقد امتحنت أن ابدأ ما أكتب
بتدء عام للنساء ، ليمررن حقوقهن ويمررنها الرجال ، فأقول :

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

في

﴿ حقوق النساء في الاسلام ، وحظن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
(سورة الروم ٣٠ : ٢١)

ألا يا معشر النساء ، وبنات حواء ، في الشرق والغرب والجنوب والشمال ، هل
تدرين كيف كانت عيشة جداتكن قبل بعثة مصلح البشر الاعظم ، محمد النبي الامي
(ص) ؟ أم تدرين أن البشر لما يفقهوا كنهه الاقاييم الثلاثة للحياة الزوجية التي
نزل بيانها من لدن رب العالمين ، على قلب محمد خاتم النبيين . أعني السكون النفسي
الجنسي الذي يصعد به الزوجان فيكونان حقيقة واحدة كلاء والهواء - والمودة التي
تتعدى الزوجين الى أسرتيهما فيسري بها الحب والتعاون من الاقارب الى البعداء ،
والرحمة التي تكلل لها بالولد المفصل منهما الممثل لهما فينتشر التزام بين الاحياء ؟
تعالين أحدثكن عما كانت عليه جداتكن بالاجمال ، وبما جاء به محمد (ص)
بشيء من التفصيل : لقد كان جميع نساء البشر ، مرهقات بظلم الرجال في البدو
والحضر ، لا فرق فيه بين الاميين والمتعلمين ، ولا بين الوثنيين والكتابين

كانت المرأة تشتري وتباع ، كالبهيمة والمتاع ، وكانت تكره على الزواج وعلى
البغاء ، وكانت تورث ولا ترث ، وكانت تملك ولا تملك ، وكان أكثر الذين يملكونها
يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون اذن الرجل ، وكانوا يرون للزوج الحق في
التصرف بما لها من دونها ، وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها انساؤا ذا نفس
وروح خالدة كالرجل أم لا ؟ وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ؟

وفي كونها تدخل الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا ؟ تقرر أحد المجامع في درومية انها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكفها كالبهيمة والكلب المقور لمنها من الضحك والكلام . لانها أحبولة الشيطان . وكانت اعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته ، وكان بعض العرب يرون أن للاب الحق في قتل بنته بل في وادها «دفنها حية» أيضا . وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية

وكان أمم انصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسي في أوريبة بعد ميلاد محمد (ص) وقبل بئسته ان قرروا بعد خلاف وجدال أن المرأة انسان الا انها خلقت لخدمة الرجل ولد محمد (ص) في سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام ، وأصدر الفرنسيين هذا القرار النسوي في سنة ٥٨٦ أي بعد مولده بخمس عشرة سنة ، ولم يكن يدري هو ولا غيره بما سيجيء به من الاصلاح البشري العام ، والاصلاح النسوي الخاص فهل أتاكن يا بنات حواء أنباء ما جاء محمد نبي الرحمة من التعاليم في حقكن ؟ هذا ما اقترح علي ان أقصه عليكم وعلى رجال الامم كلها في هذه الرسالة في هذا اليوم من ذكرى مولد محمد (ص) سنة ١٣٥١ من هجرته

بعث محمد (ص) في أوائل القرن السابع للمسيح عليه السلام مبشرا ونذيرا للبشر كافة يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى اصلاح انفسهم التي أقسدها التقاليد الدينية ، والعصبيات القومية والوطنية ، وكان للنساء حظ كبير من هذا الاصلاح لم يسبق الاسلام به دين ، ولم يبلغ شأوه تشريع ، ودونكن التفصيل :

١- المرأة انسان هي شقيقة الرجل

قام محمد (ص) جلوسا على البشر آيات الله عز وجل في كون النساء والرجال من جنس واحد ، لا قوام للانسانية إلا بهما وهذه أربع شهادات منها :

(١٣: ٤٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَبَكُمْ دِينًا لِلَّهِ أَنْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ اللَّهَ تَائِبِينَ خَيْرٌ

(١٤: ١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
(١٨٨: ٧) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

(٧٢: ١٦) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِجَمَلِ أَعْمَلِكُمْ
مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً

وكان ﷺ يقول: «انما النساء شقائق الرجال»^١

٢- إيمان النساء كالرجال

قام محمد (ص) بطولى الناس ما أئبته الله تعالى من إيمان النساء كالرجال، فمن
ذلك قوله تعالى (١٠: ٦٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُْ التَّوْمِينَتُ
مُهْجِرَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ أَكْمَلُ بِإِيمَانٍ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ (الآية)

ومنه قوله تعالى (٣٣: ٥٨) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا كَتَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مَبِيدَانِ

وقوله (٨٥: ١٠) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ
يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ

وأخبرهم بأن الله تعالى أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعاً بقوله (٤٧: ١٩)
(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَتَوَلُّكُمْ)

(١) روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين والبخاري عن أنس

ومن المجمع عليه المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ان على النساء ما على الرجال من أركان الاسلام الان الصلاة تسقط عن المرأة في زمن الحيض والنفس مطلقا فتركها ولا تعيدها لكثرتها. وأما الصيام فيسقط عنها في زمنها وتقصي ما أنقضته من أيام رمضان لقلتها، وأما حجبها فيصحب في كل حال ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهي طاهرة

٣ — جزاء المؤمنين في الآخرة كالمؤمنين

وقام على العالم في جزاء المؤمنين كالمؤمنين آيات من الله تعالى منها قوله تعالى (١٦: ٩٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وقوله تعالى (٤٠: ٤١) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وََمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ

وقوله تعالى (٤: ١٢٣) لَيْسَ بِأَمَانِيَّكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَتَمَلَّ سُوْءًا يُجْزَىٰ بِهِ وَلَا يُجْزَىٰ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَآ نَصِيرًا (١٢٤) وَمَنْ يَتَمَلَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا

وقوله تعالى في أولي الابواب الذين ذكروهم كثيرا ويذكرون في خلق السموات والارض ويدعون (٣: ١٩٥) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ يَنْفَضُّكُمْ مِنْ بَعْضِ الْآيَةِ، وفيها وعدم جميعا بادخالهم الجنة وحسن الثواب

وقوله تعالى (٢٣ : ٣٥) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

وقوله (٩ : ٧٢) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتِهِ ن
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

٤ - مشاركة النساء للرجال في السعائر الربانية

(والاعمال الاجتماعية والسياسية)

النساء يشاركن الرجال في العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيد
قنشرع لهم ولكن لا تجب عليهم تخفيفا عليهم، وصح أن النبي (ص) أذن للحيض (*) منهن
بمحضور اجتماع العيد في المصلى دون صلاته. وعبادة الحج الاجتماعية مفروضة عليهن
كالرجال كما تقدم ويحرم عليهن وضع النقاب على وجوههن ولبس القفازين في أيديهن
مدة الاحرام، وقد شرع لهم من الامور الاجتماعية والسياسية ما هو أكثر من ذلك

قال الله تعالى (٩ : ٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(*) الحيض بتشديد الياء جمع حائض، ومصلى العيد كان خارج البلاد

المنار : ج ٥ م ٣٢ أمان للمرأة للحريين : وانكارها على الخلفاء والسلاطين ٣٥٩

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (فأنبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فيدخل فيها ولاية الاخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي ، وولاية النصرة الحرة والسياسية ، إلا أن الشريعة أسقطت عن النساء وجوب القتال بالفعل ، فكان نساء النبي وأصحابه يخرجن في الفزوات مع الرجال يسقين الماء ، ويمهزن الطعام ، ويضمدن الجراح ، ويحرضن على القتال . وقد ثبت في الصحيح ان بنت رسول الله (ص) فاطمة عليها السلام كانت تحمل قرب الماء هي وأم سليم وغيرها الى الجرحى في غزوة أحد يسقينهم ويسلن جراحهم . ولما جرح رسول الله (ص) تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده .

٥ — (أمان المرأة للحريين)

ومن حقوق المرأة السياسية في الاسلام انها اذا أجازت أو أمنت أحدا من الاعداء المحاربين فقد ذلك ، فقد قالت أم هانيء للنبي (ص) — وهي بنت عمه أبي طالب يوم فتح مكة : انني أجزت رجلين من أحمائي . فقال (ص) « قد أجزنا من أجزت يا أم هانيء » وهذا حديث صحيح متفق عليه . وفي بعض الروايات أنها أجزت رجلا فأراد أخوها علي كرم الله وجهه قتله فشكته الى النبي (ص) فأشكاها وأجاز جوارها . وفي حديث حسن عند الترمذي عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال « إن المرأة لتأخذ للقوم » يعني تجهيز على المسلمين أه وفي معناه أم المؤمنين قالت : إن كانت المرأة لتجهز على المؤمنين فيجوز . وقل ابن النذر ان المسلمين أجمعوا على صحة اجارة المرأة وأمانها

٦ (أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر)

وما في الآية من فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على النساء كالرجال يدخل فيه ما كان بالقول وما كان بالكتابة ، ويدخل فيه الانتقاد على الحكم من الخلفاء والملوك والامراء فمن دونهم ، وكان النساء يعلمن هذا ويعلمن به رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تعالى الناس في منور النساء حين انصبت ديام في عصره يخاف طاعة ذلك وهو ما يشكو منه الناس منذ عبورهم فنعى الناس أن يزيدوا فيها على أربعة دراهم فأعرضت له امرأة من قريش فقالت أما سمعت ما أنزل الله ؟ يقول (وأتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا) فقال اللهم غفرا ، كل الناس أقدم من عمر . وفي رواية انه قال : امرأة أصابت وأخطأ عمر . وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن قوله

٧- مبايعة النبي ﷺ للنساء كالرجال

كان النبي (ص) يبايع الرجال على السمع والطاعة والانصرة وكانت أولبيعة منه لقباه الانصار في عقبه من قبل الهجرة على بيعة النساء كما في السيرة ولكن آية بيعة النساء لم تكن نزلت ، وبايعهم البيعة الثانية الكبيرة على منعه - أي حمايته - مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم . وبايع المؤمنين تحت الشجرة في المدينة على أن لا يغروا من الموت ، سنة ست من الهجرة - وخصت بيعة النساء بذلك نصها في سورة الممتحنة وهو قوله تعالى (٦٠ : ١٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبْكِينَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسِرْنَ وَلَا يُزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيَهُنَّ يَفْرِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَنْتَ فَخِمْهُنَّ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا اللَّهُ غُورٌ رَحِيمٌ

نزلت يوم فتح مكة وبايع النبي (ص) بها النساء على الصفا بعد مغرغ من بيعة الرجال على الاسلام والجهاد . وكان عمر بن الخطاب يلقيه عنهن وهو واقف أسفل منه وقد حضرت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب بيعة النساء هذه وهي معتقة منكورة مع النساء لثلا يعرفها رسول الله (ص) وهي التي كانت أخرجت كبد عمه حمزة (رض) يوم قتل في أحد فضضها ولا كتبها شاة واتقاما . ولسكنها كانت تحكم عند كل جملة . قال رسول الله (ص) « (أبايسن) » (على أن لا يشركن بالله شيئا) فوفت هند رأسها وقالت : والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيتك تأخذته على الرجال - وكان يبايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد - فقال النبي (ص) (ولا يسرقن) فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هبات فلا أدري أيجل لي أم لا ؟ قال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيا مضي رفيما غير فهو لك جلال ، فضحك رسول الله (ص) وعرفها فقال لها «وانك لهند بنت عتبة ؟» قالت نعم قاصف عما سلب عفا الله منك ، قال (ولا يزني) فقالت أو تزني الحرة ؟ قال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيتهن صغار أو قتلنهم كبارا فأنهم وأعلم ، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر ، فضحك عمر رضي الله عنه حتى

استلقى وتبسم رسول الله (ص) فقال (ولا يأتين بيتهن يغترنه بين أيديهن وأرجلهن) .
 وهو أن تحذف ولداً على زوجها وليس منه . قالت هند والله إن البيهتان لتيسح وما
 تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال (ولا يمصبينك في معروف) قالت هند
 ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نمصبك في شيء . فافترق النسوة بما أخذ عليهن
 وكان « ص » يقول لمن عند المبايعة « فيما استطعن وأطقتن » فيقولن : الله
 ورسوله أرحم بنا من أنفسنا . (أقول) وأية رحمة ويسر في الاسلام أوسع من تهديد
 الله طاعة رسوله بالمعروف ، وهو لا يأمر إلا بالمعروف) ومنه منع عادات الجاهلية
 في الموتى (ثم تهديد الرسول نفسه ذلك بالاستطاعة والطاقة وقفاً لقوله تعالى (فأتوا
 الله ما استطعتم) وقوله (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وقوله (يريد الله بكم
 اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) .
 وقتل الاولاد يدخل فيه ما كان يفعله بعض العرب من وأد البنات أي دفنهن .
 حيات اتها لغارهن أن يسبين أو ينجرن ، وقتل الصغار لأجل الفقر أو خوف الفقر
 إذا كبرن ، وقال بعض المفسرين إن منه تعمد المرأة إسقاط الجنين لأي سبب من
 الاسباب . وأما البيهتان الذي أخذ عليهن ألا يغترنه بين أيديهن وأرجلهن فهو أن
 يلصقن بالرجل ولداً ليس له كما فسر في الحديث — أي ولو لقيطاً يلتقطنه فإن
 المرأة تضع طفلها كذلك وهذه الكناية من أبدع كنايات القرآن بلاغة ونزاهة
 ثم تابع رسول الله « ص » الرجال بيعة النساء كما في حديث عبادة بن الصامت .
 المتفق عليه : قال كنا مع رسول الله « ص » في مجلس فقال « تبايعوني على أن
 لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم — وقرأ الآية التي
 أخذت على النساء : إذا جاءك المؤمنات — فن وفي منكم فتجره على الله ، ومن
 أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله
 عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه »

وروى الامام أحمد ان قاطمة بنت عتبة جاءت تباع رسول الله (ص) فاخذ
 عليها « أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يزني » الآية فوضعت يدها على رأسها حياء .
 فحجبه ما رأى منها فقالت عائشة : أقرى أينما المرأة فواقه ما يباعنا إلا على هذا .
 قالت : ففهم إذاً . فبأيهما بالآية

٨ - حقوق النساء في التعليم والتأديب

بين الله تعالى في مواضع من كتابه أنه أرسل نبيه محمداً (ص) في الامين ليخرجهم من الامية فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ومدح العلم في آيات كثيرة ومدحه رسوله في مواضع لا يحل لسرد شيء منها هنا ، وقد فسر بعضهم الكتاب في هذه الآيات بصناعة الكتابة لانه في الاصل مصدر كتب ثم اطلق على المكتوب ، وكان النبي يحث اصحابه على تعلم الكتابة وقد أمر الله بها في آية للذين (٧ : ٢٧٢) وقد ثبت من عدة طرق ان الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة

وقد اشتركت النساء مع الرجال في اقتباس العلم بهداية الاسلام فكان منهن راويات الاحاديث النبوية والآثار ، يرويه عنهن الرجال ، والادبيات والشاعرات والمصنفات في العلوم والفنون المختلفة . وكانوا يملكون جوارهم وقيانهم كما يملكون بناتهم وقد أجمع المسلمون على ان كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما نذبه اليه فالرجال والنساء فيه سواء الا ما استثنى مما هو خاص بالنساء لا توثقن في الطهارة والولادة والحضانة وما رفع عنهن من القتل وغير ذلك مما هو معروف .

وقد بلغ من عناية محمد رسول الله وخاتم النبيين بعلم النساء وتربيتهن ان ذكر فيمن يؤتيهم الله تعالى أجراً مرتين يوم القيامة - أي مضاعفاً - قوله « أيما رجل كانت عنده وليدة فعملها فاحسن تعليمها ، وأدبها فاحسن تأديبها ، ثم أعطاها وتزوجها فله أجران » فقرر ثواب التعليم والتأديب بثواب العلق الذي كان يرغب فيه كثيرا فوق ما شرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعقده . والحديث متفق عليه عن أبي موسى (رض) وله ألقاظ أخرى

وان حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل المسلمات باتفاق علماء الاسلام وان لم يرد فيه لفظ (ومسامة) وقد صحح في الجامع الصغير بعض طرقه . وأما متنه فمصحح بالاجماع

وسأتي في الكلام على أمهات المسلمين ان الفرض الاول من تعددهن ان يكن حاضرات للنساء ومفتيات لهن ، بل كان الرجال حتى الخلفاء يرجعون اليهن فيما يشكل عليهم من بعض الاحكام الشرعية ولا سيما السيدة عائشة (رض)

٩- حقوق النساء المالية

قد أبطل الاسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من الممتلكات، أو التضييق عليهن في التصرف بما يملكن، واستبداد أزواج الزوجات منهن بأموالهن، فأنهت لمن حق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة، فشرع الوصية والارث لمن كالرجال وزادهن ما فرض لمن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وإن كانت غنية، وأعطاهن حق البيع والشراء والاجارة والهبة والصدقة وغير ذلك. ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن ماله كالدفاع عن نفسها بالتقاضي وغيره من الاعمال المشروعة، وإن المرأة الفرنسية لا تزال إلى اليوم مقيدة بإرادة زوجها في جميع التصرفات المالية والعقود القضائية

١٠- حقهن في الميراث

قال الله تعالى في ابطال ظلم الذين كانوا يمنعون النساء من الارث ويعطونهن الرجال خاصة من سورة النساء (٤ : ٧) **الرِّجَالُ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**

ثم بين نصيب كل وارث من الرجال والنساء في آيات الموارث من هذه السورة (اصفي ١٠-١٢ و ١١٦) وهي مبينة على قاعدة «لذكر مثل حظ الانثيين» من الآية العاشرة المفصلة في سائر الآيات. وحكمة جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ان الشرح الاسلامي أوجب على الرجل أن يتفق على للمرأة. فهذا يكون نصيب المرأة مساو لنصيب الرجل تارة وزائد أعليه تارة أخرى باختلاف الاجوال إذا مات رجل عن ولدين ذكر وأتى وترك لها ثلاثة آلاف دينار مثلاً كان للذكر ألفان ولا خته ألف. فإذا خرج هو كان عليه أن يعطي امرأته مهرأ وان يعد لها مسكناً وأن يتفق عليها من ماله سواء أكانت فقيرة أم غنية، ففي هذه الحالة تكون الانثيان له ولزوجته، فيكون نصيبه بالفضل مساوياً لنصيب أخته أو أقل

منه . ثم إذا ولد له أولاد يكون عليه نفقتهم وليس على أمهم منها شيء . وفي هذه الحالة يكون ماله للورث دون مال أخته . قلنا إذا تزوجت كما هو الغالب قلنا تأخذ مهرًا من زوجها وتكون نفقتها عليه فيمكنها أن تستغل ما ورثته من أبيها وتنمي لنفسها وجدها ، فلم يكن للوارثين إلا ما يرثونه من أموالها . لكأن أموال النساء دائماً أكثر من أموال الرجال ، إذا اتحدت وسائل الاستغلال ، فيكون إعطاؤهن نصف الميراث تفضيلاً لمن عليهن في أكثر الأحوال ، إلا أن سببه أن المرأة أضعف من الرجل عن الكسب ، ولها من شواغل الزوجية وما يحصل بها من حمل وولادة ثم من شواغل الأمومة ما يصرفها عن الكسب الذي تقدر عليه وهو دون ما يقدر عليه الرجل في الغالب . فمن ثم لم يكن فرض نفقة الزوجية والدار والأولاد على الرجل ظلماً له وتفضيلاً للمرأة عليه في المعيشة ووجه إعطاء المرأة ما تعطى من الميراث أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها إذا لم يحس لها الزواج أو مات زوجها ولم يترك لها ما يقوم بأودها ، فهو من قبيل المال الاحتياطي لها وللأسرة . وقد شرحنا هذه المسألة بالتفصيل في مقالات أخرى .

١١- مهر الزواج

إن مما امتازت به الشريعة الإسلامية المحمدية في تكريم النساء على جميع الشرائع والنظم التي يجري عليها البشر في الزواج أنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقرن بها مهرًا مقدماً على البناء بها ، من حيث تعرض الشعوب غير المسلمة على المرأة أن تدفع هي للمهر للرجل - ولكنهم يسمونه باسم آخر - فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكدح لأجل أن تجمع مالا تقدمه لمن يقرن بها إذا لم يكن لها ولي من والده أو غيره يذل لها هذا المال ، وكثيراً ما تركب الاوانس التاعامت أخشن المراكب وتتعرض للعت ، والتفريط في العرض والشرف ، في سبيل تحصيل هذا المال وشريعة اليهود تعرض للمرأة مهرًا لكنها لا تملكه بالفعل إلا إذا مات زوجها أو طلقها لأنه ليس لها أن تنصرف بما لها وهي متزوجة

فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضاً حتماً وحريماً عليه أن يأكل شيئاً منه بعد الزواج بدون رضاها وطيب نفسها فقال (٤ : ٣) وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . والنحلة في اللغة العطاء الذي لا يقابله عوض فقول الفقهاء إن المهر في معنى ثمن

الاستمتاع بخالف لغة ورد عليهم شيخنا الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده
حنفي الديار المصرية رحمه الله) فقال : كلا ان الصلة بين الزوجين أعلا وأشرف
من الصلة بين الرجل وفرسه أو جاريته ولذلك قال « نحلة » قلندي ينبغي أن
يلاحظ ان هذا العطاء آية من آيات المحبة وصلة القربى وتوثيق عرى المودة
والرحمة ، وانه واجب حتم لا تخير فيه كما يصحح المشتري والمستاجر ، ونرى
عرف الناس جاريا على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشتمل بالمهدايا والتحف اه
كلامه ولكنه قال في موضع آخر ان حكمة المهر للمرأة أن تطيب نفسها برياسة
الرجل عليها ، وهو مع ذلك تكريم لها ، وسيأتي

والخطاب يحتمل وجه آخر وهو ان الخطاب للاولياء الذين يزوجون البتلى
وغير البتلى فقد كان ولي المرأة في الجاهلية يزوجه ويأخذ صداقها لنفسه دونها
فنهى الله الاولياء في الاسلام أن يفعلوا ذلك . قال تعالى (فَإِنْ طِبَّنْ لَكُمْ عَنْ
شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا) أي فان طابت أنفسهن عن شيء من
المهر فاعطينه من غير إكراه ولا إلجاء بسبب سوء العشرة ، ولا إكجال بالغلابة
والخدعة ، وقال ابن عباس (رض) : من غير ضرار ولا خديعة (فكلوه هنيئاً مريئاً)
أي سائغاً لا غصص فيه ولا تنقيص ، فإذا طلب منها شيئاً فحملها الخجل أو الخوف
على إعطائه ما طلب فلا يحمل له ، وعلامات الرضا وطيب النفس لا تخفى

١٢- النواج وحقوق النساء فيه

كان عند العرب في الجاهلية انواع من الزواج الفاسد الذي كان يوجد عند كثير
من الشعوب ولا يزال بعضه الى اليوم في البلاد التي تطلب عليها المسيحية - فمنها
اشتراك الرهط من الرجال في الدخول على امرأة واحدة وإعطائها الحق في
الولد ان تطهقه بمن شاءت منهم

ومنها نكاح الاستبضاع وهي ان ياذن الرجل لزوجته ان تمكن من نفسها رجلا
معينا من الرؤساء والكبراء الممتازين بالشجاعة أو الكرم ليكون لها منه ولد مثله
وهذان النوعان لا يزالان موجودان بصفة مطلقة دائمة في بعض البلاد كالتبت
وغيرها وكان عند العرب موقفاً ومقيداً بما ذكرنا

(ومنها) السفاح بالبغاء العلني وكان عند العرب خاصا بالاماء دون الحرائر (ومنها) اتخاذ الاخذان اي الصواحب العشيقات، وكان عرب الجاهلية يستترون بهو يعدون ما ظهر منه لئلا وخسة — وهذان النوعان عامان شائعان في بلاد الافرنج كلها جبراً، وقد سرى فسادهم منهم الى بلاد الشرق التي غلب نفوذهم عليها او على حكامها كالهند وتونس والجزائر ومصر وسورية ولبنان والعراق وقد قررت حكومة فرنسا أخيراً جعل اولاد الاخذان كالأولاد الشرعيين في الميراث وغيره بعموم الفساد فيه (ومنها) نكاح المتعة وهو الموقت وقد شاع في بلاد الافرنج أخيراً ويسمونه نكاح التجربة وتبيحه الشيعة الامامية من المسلمين (ومنها) نكاح البدل والمبادلة وهو ان يرل رجلان كل منهما عن امرأته للآخر. ونكاح الشغار وهو ان تزوج كل من الرجلين الآخر بنته او اخته او غيرها من تحت ولايتها بدون صداق — وهذان النوعان مبنيان على قاعدة حسابان المرأة ملكاً للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في بهائمه وأمواله، ولا يزالان يوجدان في بعض الشعوب الفاسدة او الممجة كالنجر. والتبن في كل ذلك على النساء فمن اللائي يحملن أطفاله وأوزارهن الجنسية والادوية والمالية

وأما المرتقون من العرب كقريش فكان نكاحهم هو الذي عليه المسلمون وبعض الشعوب الراقية من الخطبة والمهر والعقد، وهو الذي اقره الاسلام مع إبطال بعض العادات الظالمة للنساء فيه من استبداد في تزويجهن كرها او عضلن اي. منعهن من الزواج او أكل مهورهن، وكذا تعددهن بغير حد في العدد ولا قيد في المصلحة ولا شرط في العدل ولا في الحقوق — إبطال الاسلام كل المظالم الخالصة وقيد عنها ما فيه وجهان بما يرجع المصلحة على المتسدة والعدل على الظلم

١٣ — (ولاية النكاح وحرية المرأة واختيارها فيه)

جمع الاسلام بين جعل حق التزويج لولي المرأة وحق المرأة في قبول من ترضاه من الأزواج ورد من لا ترضاه، فنع الاولياء من الاستبداد في تزويج موليائهم من بنات وإخوات وغيرهن بغير رضاهن وكان من ظلم الجاهلية لمن، بل لا يزال والوالدان يكرهن بناتهن على الزواج بمن يكرهن من الرجال في جميع الامم على ما فيه من الشقاء

والفساد، كذلك منع المرأة من الزوج بغير كفؤ برضاها وأولياؤها وعصبتها فيكون تزويجها به سببا لوقوع العداوة والشقاق بينهم وبين عشيرته بالتبع له، بدلا من تجديد مودة وتعاون بمصاهرته. وليس للأولياء ولا للوالد نفسه أن يمتنع من زواجها بأي كفؤ ترضاها

روى الجماعة كلهم (١) عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال «لا تنكح الائم (٢) حتى تستأمر. ولا البكر حتى تستأذن - قالوا يا رسول الله وكيف اذنها؟ قال ان تسكت» ورووا (الا البخاري) عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) «الطيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وأذنها صاهتها» أي سكوتها يكفى به فلا تكلف التصريح لحياتها كما روي عن عائشة أنها سألت النبي (ص) عن استئذان البكر فقالت ان البكر تستأذن فتسبحي فتسكت فقال «سكاتها اذنها» متفق عليه وروى الجماعة الامسلا من خنساء بنت خدام الانصارية أن أباه زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله (ص) فرد نكاحها أي أبطله. قال بعض المحققين لا يكون سكوت البنت اذا نكح الأب بزوجها الا اذا كانت تعلم ذلك. فان كانت لا تعلم فينبغي اعلامها.

وروى احمد والنسائي من حديث ابن بريدة وابن ماجه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال جاءت فتاة الى رسول الله (ص) فقالت ان أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خيسسته. قال فجعل (ص) الامر اليها، فقالت قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء انه ليس الى الآباء من شيء. تعني أنه ليس لهم اكراهين على التزوج بمن لا يرضينه.

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة أنه (ص) قال «إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير» ورواه من حديث أبي حاتم المزني بلفظ «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» الخ ورواه أبو داود في المراسيل

(١) الجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة
(٢) الائم بتشديد الياء غير المتزوجة بكراً كانت أم ثيباً

١٤ - أركان الزوجية النظرية في الاسلام

أرشد الله البشر بكتابه القرآن الحكيم الى ان الحياة الزوجية ثلاثة اركان (أو أقاليم) يجب عليهم تعريبها فيها وهي ما اشرنا اليه في صدر هذه الرسالة وصدرناها بآياتها من قوله عز وجل (٢١:٣٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحَةً

فالسكون الشهي الجنسي وهو الركن الاول من هذه الاركان خاص بالزوجين وهو تعبير بليغ عن شعور الشوق واللذة والحب الذي يجمعه كل منهما باتصالهما والملابسة بافضاء أحدهما الى الآخر الذي به تتم انسانتهما فتكون متبعة نامي مظهرها وبه يزول أعظم اضطراب فطري في القلب والعقل لا ترواح النفس وتطمئن في سريرتها بدونه

وانما تكون المحافظة على هذا الركن بما أرشد كتاب الله تعالى اليه من قصد الاحصان في النكاح وهو أن يقصد به كل من الزوجين إحصان الآخر أي إعفافه وحفظه من صرف داعية النسل الطبيعية الى الساقطة أو اتخاذ الاخذان لاجل اللذة فقط ، وقصارى هذا الاحصان أن يقصر كل منهما هذا الاستمتاع على الآخر ويقصد حكمته وسيلة النسل وحفظ النوع البشري على أسلم وجه وأفضله قال الله تعالى بعد بيان عزمات النكاح من سورة النساء (٤ : ٢٤) وَأَحِلَّ

لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ لَكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ عُصْنِينَ غَيْرَ مُسْفِهِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً (الآية) ثم قال بعدها في نكاح الامه (٢٥) فَاكِفُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ عُصْنِينَ غَيْرَ مُسْفِهِينَ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْبُرُصِ وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ (٥ : ٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّبَيِّبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِسْبَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْتَفْسِحِينَ وَلَا مُتَخَذِي أَخْدَانٍ) والركن الثاني من اركان الزوجية للودة اي المحبة التي يظهر أثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأمرة كل منهما -والركن الثالث الرحمة التي لا تنكح للانسان إلا بعواطف الامومة والابوة ورحمتهما لاولادهما، فيكون لكل البشر او الاحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة، إذا لم يكن فسادا لثنية والمعاشرة أو تعاليم العداوات والعصبيات بين البشر مفسدة لها او قاصرة لها على المشاركين في القومية او العقيدة أو الوطن ومن تفكر في هذه الاركان الثلاثة حق التفكير علم أن عليها مدار سعادة الزوجية التي هي جل سعادة الانسانية . ولذلك قال تعالى بعد بيانها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) *

المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن

ان الاصلاح الاكبر الذي جاء به الاسلام ، وتزل به القرآن في شأن النساء هو الآية (٢٢٨:٢) من سورة البقرة فهذه الآية قد هدمت جميع ما كان من النظريات والنعائوي والعادات والتقاليد التي يستبد بها الرجال الاقوياء ويستعملون على النساء الضعيفات في اغسهن وأموالهن وأولادهن . وقد فسرنا هذه الآية في الجزء الثاني من تفسيرنا بما يتنا به هذه الدرجة وننشر هنا ملخصه وهذا نصه :

(وَلَمَنْ مِثْلُ الَّذِي عَلِمْنَاهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)

هذه كلمة جليظة جداً جمعت على إيجازها ما لا يؤدي بالتفصيل إلا في سفر كبير ، ففي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمراً واحداً غير عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى (٣٤:٤) الرجال

(*) قد أنشأنا عدة فصول في شرح هذه الاركان نشرناها في مجلد المناج الثامن

«المجلد الثاني والثلاثون»

« ٤٧ »

« المناج ج ٥ »

قوامون على النساء ﴿ الآية ﴾ . وقد أحال في معرفة ما هن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهن ، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم ، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والاحوال ، فاذا هم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر أنه يجب عليه مثله بازائه ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما « اني لا تزين لامرأتي كما تزين لي لهذه الآية »

وليس المراد بالمثل للمثل لالعيان الاشياء وانما اراد ان الحقوق بينهما متبادلة وانها أكفاء ، فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابلها لها ان لم يكن مثله في شخصه ، فهو مثله في جنسه ، فما مما تثلان في الحقوق والاعمال ، كما انها مما تثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل ، أي ان كلا منهما بشر تام له عقل يفكر في مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسره ، ويكره ما لا يلائمه وما يفر منه ، فليس من العدل أن يحكم أحد الصنفين بالآخر ، ويخذله عيدا يستذله ويستخدمه في مصالحه لاسيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

قال الاستاذ الامام قدس الله روحه : هذه الدرجة التي رفع النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ، ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها امة من الامم قبل الاسلام ولا بعده ، وهذه الامم الاورية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالفت في تكريم النساء واحترامهن وعنت برأيهن وتعليمهن العلوم والفنون — لا تزال قوانين بعضها تمنح المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها . وغير ذلك من الحقوق التي منحها إياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف

وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب أو أسوأ حالا - ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لانا نعتقد أن تعليم المسيح لم يخلص لهم كاملا سالما من الاضاقات والبدع . ومن المعروف ان ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الاقربج الذين قصرت مدينتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهيجية في معاملتنا النساء ، ويزعم الجاهلون منهم

بالاسلام أن مانحن عليه هو أثر ديننا — ذكر الاستاذ الامام في الفرس ان احد الساعين من الافرنج زاره في الازهر ويناهما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتا مارة فيه فبغت وقال ما هذا ؟ أنى تدخل الجامع انقل له الامام: وما وجه الغرابة في ذلك ؟ قال انتا تعتقد ان الاسلام قرر أن النساء ليس لهن ارواح وليس عليهن عبادة . فبين له غلظه وفسر له الآيات فيهن . قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا ؟ والى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة (١) لما بالكم بعامتهم ؟ إذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل ما لم عليهن إلا ما ميزهم به من الرياسة ، فالواجب على الرجال بمقتضى كفاالة الرياسة أن يملوهم ما يمكنهم من القيام بما يجب عليهن ، و يجعل لهن في النفوس احتراماً ما يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقته ، فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدباً عالماً بما يجب عليه حاملاً به ولا يسهل عليه أن يهينه أو يهينه ، وإذا بدرت منه بادرة في حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجراً له عن مثلها

خاطب الله تعالى النساء بالايان والمعرفة والاعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال ، وجعل لهن عليهم مثل ما جعل لهم عليهن ، وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة و بايع النبي (ص) المؤمنات كما بايع المؤمنين ، وأمرهن بحلم الكتاب والحكمة كما أمرهم ، وأجمعت الامة على ما مضى به الكتاب والسنة من انهن محريات على اعمالهن في الدنيا والآخرة — أفيجوز بعد هذا كله أن يحرم من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولاولادهن ولذي القربى والائمة والملة ؟

العلم الاجمالي بما يطلب فطرته شرط في توجه النفس اليه إذ يستحيل ان توجه الى المجهول المطلق ، والعلم التفصيلي بالمبين لقائده فعله ومضرة تركه يعد سبباً للعناية بفعله والتوقى من إهماله — فكيف يمكن للنساء أن يؤدبن تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالاً وتفصيلاً ؟ وكيف تسعد في الدنيا او الآخرة أمة نصفها كالبهايم لا يؤدى ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس ؟ والنصف الآخر قريب من ذلك لانه لا يؤدى الا قليلاً مما يجب عليه من ذلك ويترك الباقي ومنه إبانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه أو إلزامه إياه بما له عليه من السلطة والرياسة

(١) كان سبب هذا ما اذا عرّج رجال الكنيسة من الكتب والرسائل والانشيد في ذم الاسلام والاعتراض عليه

ان ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابها وعباداته محدود ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية اولادها ونحو ذلك من امور الدنيا كاحكام المعاملات - إن كانت في بيت غنى ونعمة - يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال، كما تختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال : ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل الثقة والسكينة والخدمة للآلهة بحال المرأة ؟ ألا ترى ان فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها فبعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقتلى كافيا في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفا على المدافع والبنادق والبوارج، وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالامس ؟ ألم تر ان تمرض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيرا على النساء في عصر النبي (ص) وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفا على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة ؟ أي الامرين أفضل في نظر الاسلام : أن تمرض المرأة لزوجها إذا هو مريض أم اتخاذ ممرضة اجنبية تطلع على عورته وتكشف خبايا بيته ؟ وهل يتيسر للمرأة أن تمرض زوجها أو ولدها إذا كانت جاهلة بقانون الصحة وبامهات الادوية ؟ نعم يتيسر لكثيرات تقتل مرضاهن بزيادة مقادير الادوية السامة او يجعل دواء مكان آخر

(وقد ذكرنا في التفسير هنا كلاما للمحدثين والفقهاء في حقوق كل من الزوجين على الآخر كقول الاكثرين : ان المرأة لا يجب عليها للرجل غير الطاعة في نفسها وحفظ نفسها وماله دون خدمة الدار، ورده بامر النبي (ص) بنته فاطمة بخدمة البيت وبامر علي بما كان في خارجه، وجزم بعض المحققين من الحنابلة أن ذلك يرجع الى عرف الناس، ثم قلنا)

وما قضى به النبي (ص) بين بنته وربييه وصهره عليها السلام هو ما قضى به فطرة الله تعالى وهو توزيع الاعمال بين الزوجين : على المرأة تدبير المنزل والقيام بالاعمال فيه : وعلى الرجل السعي والكسب خارجه، وهذا هو المأثلة بين الزوجين في الجملة، وهو لا يناقش استعانة كل منهما بالخدم والاجراء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه، ولا مساعدة كل منهما للآخر في عمله إذا كانت هناك ضرورة، وبما ذلك هو الاصل والتقسيم القطري الذي هو بمصلحة الناس وهم لا يستغنون في ذلك ولا في غيره عن التعاون (٢ : ٢٨٦) لا يكلف الله نفسا الا وسعها - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله)

وإذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شريعتهم فانظر في معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهم بقدر الاستطاعة، لا يبعد أحدهم عن ظلم امرأته إلا العجز، ويحملون ما لا يحمله إلا بالتكلف والجهد، ويكثرون الشكوى من قصيرهن، ولئن سألهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم عليهن ليقولن كما يقول أكثر فقهاءهم إنه لا يجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش، ولا ارضاع طفل، ولا تربية ولد، ولا اشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك، إن يجب عليهن إلا المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع، وهذا من الامران عدميان، أي عدم الخروج من المنزل بغير إذن وعدم المعارضة بالاستمتاع، فالمنى أنه لا يجب عليهن للرجال عمل قط بل ولا الأولاد مع وجود آبائهم وأما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئا وعلي الرجال أشياء، ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المقصرة بقوله تعالى (٤ : ٣٤) الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آرائهم ووزعياتهم في بعض الامور، ولا يقوم مصلحةهم إلا اذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف، لتلا عمل كل على ضد الآخر فتتفهم عروة الوحدة الجامعة ويخل النظام، والرجل أحق بالرياسة لانه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف الخ

مقتضى الفطرة في أعمال الزوجين

هذا وان ماقرر في السنة من اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضى الفطرة - والاسلام دين الفطرة - فقد فضل الله الرجل في خلقته بقوة في الجسم والعقل كان بها أقدر على الكسب والحماية والدفاع الخاص بالاسرة، والعام للامة والدولة، ومن ثم فرض عليه النفقة، وبها كان الرجال قوامين على النساء، يتولون الرياسة العامة والخاصة التي لا يقوم النظام العام ولا الخاص بدونها،

فعله جميع الاعمال الخارجية في أصل القطرة ، وهذا ما عليه جميع أمم الحضارة ومن مقتضى القطرة اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الاطفال وتربيتهم وتدير المنزل بجميع شؤونه ، ولها الرياسة في جميع الاعمال الداخلية المحضة فيه قال النبي (ص) « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته » الحديث وهو متفق عليه . ولا ينافي في تفضيل الله الرجل على المرأة في نظام القطرة الاجاهل أو مكابر ، فهو أكبر دماغاً وأوسع عقلاً ، وأقوى عضلاً ، وأعظم استعداداً للعلوم وأقدر على مختلف الاعمال ، بل هو يؤدي وظيفته من حكمة الزوجية وهي النسل كإفراغ مادته بإرادته واختياره في طامة أحواله ، والمرأة ليس لها قدرة على مثل هذا وإنما تنشأ فيها بوياضات النسل في أوقات مخصوصة لا إرادة لها فيها ، والحيوان المنوي الذي يلقح هذه البويضات هو الذي يسمى البها في مكانها من مدخل الرحم إلى مسخرة فيلقحها وليست هي التي تسمى اليه ، بل هي لا تشاركه أيضاً في هذا السعي وإنما تنتظره انتظاراً ، فمنه الحصول والقمل ، وعليها القبول والافعال ، ويعقد في البيضة التي يلقحها الغذاء الذي يكون به النمو . وإنما الحركة والنمو من خاصيته لامنها . إلى أن تتكون النطفة المتحددة بالتمثل في الاطوار فتكون جنيناً لانسان كامل ، فكذلك يسعى الرجل ويكسح وينقل ما يكسبه إلى المرأة في الدار فتصرف فيه بما تقتضيه حاجة الاسرة من غذاء وغيره .

ومن استقرأ طباع النساء السلمات القطرة من جناتية سوء التربية وفساد النظام يرى أن الثابت في غرائزهن أن خير الأزواج وأولام بالاختيار من كان قادراً على الكسب وحماية النسل وصيانتهم . وما يتوقف عليه تربيته إلى أن يبلغ أشده . وقد ألفت غير واحدة من الصحف الانجليزية ولاسيا الانكليزية أسئلة على النساء فيمن يفضلن من الأزواج وصفات الرجال فجاءت أكثر أجوبتهن على ما ذكرنا . على أن هذا النظام القطري الشرعي في الزوجية لا يمنع غير الزوجات والامهات من المسلمات أن يشتغلن بالتوسع في بعض العلوم والاعمال العامة بقدر استعدادهن ورغبتهم ، وإنما الافضل واللائق لهن ولامتنهن وللانسانية كلها أن يتقن العلوم والاعمال الحاضرة بالزوجية والامومة ، وقد صارت في هذا العصر كبيرة وكثيرة

(١٧ - رياسة الرجل في الاسرة شورية لاستبدادية)

وردت النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله محمد خاتم النبيين في جعل ادارة المنزل والاسرة مقيدة باوامر الشريعة ونواهيها وبالعرف المرعي بين الناس في المعاشرة بالمعروف وحفظ الكرامة في حالي الحب والكراهة والرضا والسخط قال الله تعالى (٤ : ١٩) وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا

وقال النبي (ص) ولا يفرك (١) مؤمن مؤمنة : إن كره منها خلقا رضي آخره رواء مسلم من حديث جابر - والفرك ضد العشق بين الزوجين . قال حديث بمعنى الآية . والنهي فيه مبنى على أن الاصل في الزوجين التصالح التام ، فإن حرمانه فليجنبنا اسباب الكراهة والبغض . وخص النبي (ص) الرجل بالنهي عن الفرك لزيادة العناية بشأن المرأة - وهو يتضمن نهيا عن فركه بالاولى لان العرب كانت تسند الفرك الى النساء في الاكثر ، والفارك منهن ضد العروب بفتح العين المتحبة الى زوجها والقاعدة الشرعية في نظام المنزل التزام كل من الزوجين العمل بإرشاد الشرع في كل ما هو منصوص عليه ، والتشاور والتراضي في غير المنصوص عليه ومنع الضرر والضرار بينهما وعدم تكليف احدهما الآخر ما ليس في وسعه ، والاصل في قاعدة هذه الاحكام كلها قوله تعالى (٢ : ٢٢٣) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوَائِلَ كَامِلِينَ لَعِنَ آرَادَ أَنْ يُنْفِخَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لا تكلف نفس إلا وُسْعَهَا ، لا تضار وُلْدَةً يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودَ لَهُ يُولَدُهَا ، وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ آرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) الآية . وهي في الولايات المطلقات قائما بات الزوجية أولى منهن بالتراضي والتشاور مع الوالد فيها فيه الصلحة لولدها . وهو يدخل في وصفه تعالى للمؤمنين بقوله (٤٢ : ٣٨)

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

وقال (ص) استوصوا بالنساء خير أقان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج (١) ومعناه ان في طبع المرأة عوجا في صلابة خلقية لحكمة في ذلك فهي كالضلع في عوجها وهو حسنة لحكمة، فيجب على الرجل أن لا يحاول تقويم هذا العوج بالقوة، وان يستوصي بها خيرا على ما هي عليه بما هو طبع لها، وانما يكون التأديب على العوج والميل عن الصواب والمصلحة في الامور العادية التي يمكن تركها بدون مقاومة للطبع

وقال (ص) خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي (٢) وقال «خيركم خيركم للنساء» (٣) وقال خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي، ما أكرم النساء إلا بكريم ولا أهانهن إلا للئيم (٤) وقال (ص) لعمري سألته عن آية الوعيد على كنز الذهب والفضة ألا أخيركم بغير ما يكثر؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته (٥)

واننا نريد موضوع تفضيل الرجال على النساء والمساواة شرعا لما قد تجدد في هذا العصر من البحث فيه ومن طلب المساواة التامة بين الجنسين التي جرت نساء أوروبا على المطالبة بها وإلحاحهن في الطلب بعد الحرب العالمية الكبرى أنهن تولين فيها أكثر أعمال الرجال في الكسب والافاق ووجدنهن ألوف الألوف أرامل وعوانس لا كافل لمن من الرجال، فنشرحه بما يعلم به القارئ ان نساء العرب استشرفن الى مثله في صدر الاسلام بما نفعه من روح الحياة فيهن، وأن الوحي طالعهم علاجا لا يمكن ان يعالج في بلاد الافرنج الا به فنقول:

(١) رواه الشيخان في صحيحيهما. وفي رواية قال الضلع (٢) رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس والطبراني عن معاوية وهو صحيح (٣) رواه الحاكم عن ابن عباس (٤) رواه ابن عساکر عن علي وهو صحيح كما علم عليه السيوطي في الجامع الصغير (٥) رواه ابن أبي خثية وأبو داود وأبو يعل وغيرهم

١٨- وظائف الرجال والنساء وأعمالهما

قال الله تعالى في سورة النساء (٤ : ٣٢) وَلَا تَتَمَتَّعُوا بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

ذكرنا في الجزء الخامس من تفسير المنار انه ورد في صلب نزول هذه الآية وموضوعها ثلاث روايات (الأولى) عن مجاهد ان ام سلمة زوج النبي (ص) قالت يا رسول الله : يغزو الرجال ولا تغزو ، وانما لنا نصف الميراث (الثانية) عن عكرمة ان النساء سألن الجهاد فقلن : وددنا ان الله جعل لنا الغزو فنصيب من الاجر ما يصيب الرجال (الثالثة) عن قتادة والسدي قالوا لما نزل قوله تعالى (للذكر مثل حظ الأنثيين) قال الرجال : انا نرجو ان تفضل على النساء بمسئلتنا كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من أجر النساء . وقالت النساء : انا نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كالنساء الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا . كل هذا قد قيل ونزلت الآية فاصلة فيه وفي غيره مما في معناه . وقلنا عن استاذنا الامام في تفسيرها ما نصه :

سبب تلك الروايات الحيرة في فهم الآية ومعناها ظاهر وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا فما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركون فيه النساء ، وما كان خاصا بالنساء لهم نصيب من أجره لا يشاركون فيه الرجال ، وليس لاحد أن يتمنى ما هو مختص بالآخر ، وجعل الخطاب عاما للفرقتين مع أن الرجال لم يتمنوا أن يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء وهو الولادة وتربية الاولاد وغير ذلك مما هو معروف وانما كان النساء من اللواتي يتمنن عمل الرجال ، وأي عمل الرجال تمنين ؟ تمنين أخص أعمال الرجولة وهو حماية الدمار والدفاع عن الحق بالقوة ، وفي هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن وهن موضع للرأفة والرحمة لضعفهن واخلاصهن فيما تمنين . والحكمة في ذلك أن لا يظهر ذلك التمني الناشئ عن الحياة المليئة بالشرقة (منهن) فان تمني مثل هذا العمل

غريب من النساء جدا، وسببه أن الامة في عفوان حياتها يكون النساء والاطفال فيها مشتركين مع الرجال في هذه الحياة وفي آثارها، وانها تسري فيها سرانا عجبيا، ومن عرف تاريخ الاسلام ونهضة العرب به وسيرة النبي (ص) والمؤمنين به في زمنه يرى أن النساء كن يسرن مع الرجال في كل منقبة وكل عمل فقد كن يأتين. وبياض النبي (ص) تلك الميابة المذكورة في (سورة الممتحنة) كما كان يياحه الرجال، وكن يفرن معهم اذا قروا للقتال، يخدمن الجرحى ويأتين غير ذلك من الاعمال، قاراد الله أن يختص النساء باعمال البيوت والرجال بالاعمال الشاقة التي في خارجها ليتقن كل منها عمله، ويقوم به كما يجب مع الاخلاص له. وتذكر لفظ « نصيب » لافادة أن ليس كل ما يعمله العامل يؤجر عليه وانما الاجر على ما عمل بالاخلاص - أي في الكلام حث ضمني عليه - (واسألوا الله من فضله) أي ليسأله كل منكم الامانة والقوة على ما ينط به حيث لا يجوز له ان يمتن ما ينط بالآخر. ويدخل في هذا النعمي تمتن كل ما هو من الامور الخلقية كالجمال والعقل إذ لا فائدة في تمنيا لمن لم يعطها. ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الانسان من الامور الكسبية اذ يحمد من الناس أن ينظر بعضهم الى ما نال الآخر وحنن لنفسه مثله وخيرا منه بالسعي والجد، كأنه يقول وجها أنظاركم الى ما يقع تحت كسبكم، ولا توجهوها الي ما ليس في استطاعتكم، فاما الفضل بالاعمال الكسبية فلا تمنوا شيئا غير كسبكم وعملكم اذ المراد قلة

١٩ - درجة الرجال على النساء - الرياسة

﴿ وكونهن منهم قسمين صالحات وناشرات ﴾

بعد هذا النعمي لكل من الرجال والنساء عن تمتن ما اختص به الآخر بمقتضى الفطرة التي أكلها الله بدن الفطرة بين لنا عز وجل سبب التفصيل بقوله :

(٤ : ٣٤) الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِأَنفِقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِتَاتٌ حَفِظَتِ لِقَائِبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالنَّسَاءُ نَجَافُونَ شُورَهُنَّ فِعْظُهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا

وقد كتبت في تفسيرها من الجزء الخامس ما نصه :

أي ان من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والراية والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك أن يفرض عليهم الجهاد دونهن فانه يتضمن الحماية لهن، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن، لان عليهم من النفقة ما ليس عليهن، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة، فكان التفاوت في التكليف والإحكام، أثراً للتفاوت في الفطرة والاستعداد، وثم سبب آخر كسب يدعم السبب الفطري، وهو ما يتفق الرجال على النساء من أموالهم، فان في الهور تعويضا للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال، قالن شرعية كرم المرأة اذ فرضت لها مكافأة عن امر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة وهو أن يكون زوجها قياً عليها فجعل هذا الامر من قبيل الامور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالعقود لاجل المصلحة، كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة ورضيت بعوض مالي عنها، فقد قال تعالى ٢٢٧.٢١ ولهن مثل الذي عليهن المعروف وللرجال عليهن درجة) فالآية أوجب لهم هذه الدرجة التي تقتضيها الفطرة لذلك كان من تكريم المرأة اعطاؤها عوضاً ومكافأة في مقابل هذه الدرجة، وجعلها بذلك من قبيل الامور العرفية لتسكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريحة العين. ولا يقال ان الفطرة لا تغير المرأة على قبول فقد يجعلها مروسة للرجل بغير عوض، فان ترى النساء في بعض الامم يعطين الرجال المهور ليكن تحت رياستهم، فهل هذا إلا بدافع الفطرة الذي لا يستطيع عصيانته إلا بعض الافراد ؟

الاستاذ الامام : المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المردوس بارادته واختياره، وليس معناها أن يكون الرؤس مقهوراً مسلوب الارادة لا يعمل عملاً الا ما يوجه اليه رئيسه، فان كون الشخص قياً على آخر هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده اليه أى ملاحظته في أفعاله وترتيبه، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقتها ولو لتحوز بارة أو لي القربى الا في الاوقات والاحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى (قال) والمراد بتفضيل بعضهم على بعض تفضيل الرجال على النساء ولو قال (بما فضلهم عليهن) أو قال (بتفضيلهم عليهن) لكان أخضر وأظهر فيما قلنا انه المراد، وانما الحكمة في هذا التعبير هي عين الحكمة في قوله (ولا تتموا ما فضل الله

به بعضكم على بعض) وهي افادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد : فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن (أقول) يعني أنه لا ينبغي للرجل أن يبغي بفضل قوته على المرأة ولا للمرأة أن تستغل فضله وتعده خافضاً لقدرها، فإنه لا عار على الشخص أن كان رأسه أفضل من يده وقلبه أشرف من معدته مثلاً، فإن تفضيل بعض اعضاء البدن على بعض يجعل بعضها رئيساً دون بعض إنما هو لمصلحة البدن كله لا ضرر في ذلك على عضوماً، وإنما تتحقق وتثبت منفعة جميع الاعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة في فضل الرجل على المرأة في القوة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذي يتيسر لها به القيام بوظيفتها الطبيعية وهي الحمل والولادة وتربية الاطفال وهي آمنة في سربها، مكفية ما يهمها من أمر رزقها. وفي التعبير حكمة أخرى وهي الاشارة الى أن هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس لا لجميع افراد الرجال على جميع افراد النساء، فكمن امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل به وفي قوة البنية والقدرة على الكسب؟ الخ

٢٠ - صفة الزوجات الصالحات

ثم قال تعالى ﴿والصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ هذا تفصيل لحال النساء في هذه الحياة المنزلية التي تكون المرأة فيها تحت رياسة الرجل ، ذكر أنهن فيها قدمان : صالحات وغير صالحات. وأن من صفة الصالحات القنوت وهو السكون والطاعة لله تعالى وكذا لزوجهن بالمعروف ، وحفظ الغيب

قال الثوري وقتادة : حافظات للغيب يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وروى ابن جرير والبيهقي من حديث أبي هريرة أن النبي (ص) قال «خير النساء التي إذا نظرت إليك سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها ، وقرأ (ص) الآية . وقال الاستاذ الامام الغيب هنا هو ما يستصحب من اظهاره اي حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلع أحد منهن على شيء مما هو خاص بالزوج

أقول ويدخل في قوله هذا وجوب كتمان كل ما يكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة ولا سيما حديث الرفث فما بالك بحفظ العرض . وعندني أن هذه العبارة أبلغ ما في القرآن من دقائق كنايات الزهادة، تقرأها خرائد العذارى جهرًا أو يفهم

ماتويء اليه مما يكون سرا ، ومن على بعد من خطرات الحجل أن تمس وجدانهم
 الرقيق بأطراف أناملها ، فقلوبهم الامان من تلك الخبايا ، التي تدفع الدم إلى
 الوجنات ، ناهيك بوصل حفظ الغيب (بما حفظ الله) فالانتقال السريع من ذكر
 ذلك الغيب الخفي ، الى ذكر الله الجلي ، يصرف النفس عن التماذي في التفكير فيما يكون
 وراء الاستار ، من تلك الخفايا والاسرار ، وتشغلها بمراقبته عز وجل
 وفسروا قوله تعالى (بما حفظ الله) بما حفظه لمن في مهوهم وإعجاب الشفة
 لمن - يريدون انهم يحفظن حق الرجال في غيبتهم جزاء على المهر وجوب
 الثقة المحفوظين لمن في حكم الله تعالى . وما أراك إلا ذاهبا معي إلى ومن هذا
 القول وهزله ، وتكريم اولئك الصالحات بشهادة الله تعالى أن يكون حفظن
 لذلك الغيب من يد تلمس ، أو عين تبصر ، أو أذن تسترق السمع ، معللا بدرام
 قبضن ، ولقيات يرتقبن . ولكك بعد أن يمج هذا القول يقبل ذوقك ما قبله ذوق
 وهو أن الباء في قوله (بما حفظ الله) هي صنو باء (لا حول ولا قوة إلا بالله)
 وأن المعنى حافظات للغيب بحفظ الله أي بالحفظ الذي يؤتيه الله إياهن بمصالحهن
 فان الصالحة يكون لها من مراقبة الله تعالى وتقواه ما يجعلها محفوفة من الخيانة ،
 قوية على حفظ الامانة . او حافظات له بسبب أمر الله بحفظه ، فمن يطمئنه ويعين
 الهوى ، فمضى ان يصل معنى هذه الآية الى نساء عصرنا اللواتي يتكهنن بأفشاء
 اسرار الزوجية ولا يحفظن الغيب فيها (١)

٢١ - حكم الزوجات الناشزات

الاستاذ الامام : ان هذا القسم من النساء ليس للرجال عليهن شيء من سلطان
 التأديب وانما سلطانهم على القسم الثاني الذي بينه وبين حكمه بقوله عز وجل
 (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واحجروهن في المضاجع واضربوهن) النشوز
 في الاصل بمعنى الارهاق - فالمرأة التي تخرج عن حقوق الرجل قد ترفت عليه
 وحاولت ان تكون فوق رئيسها بل ترفت ايضا عن طيعتها وما يقتضيه نظام القطرة

(١) قال رسول الله (ص) « ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته
 وتفضي اليه ثم ينشر ادعما سراحيه » وفي رواية التصريح بذلك بانته (من أعظم الامامة عند الله)
 رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وفي المسند والسنن أحاديث في هذا المعنى

في التعامل فتكون كالتأثير من الأرض الذي خرج عن الاستواء . وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط وبعضهم بالعلم به . ولكن يقال لم ترك لفظ العلم واستبدل به لفظ الخوف ؟ او لم يقل (واللأني ينشزن) ؟ لا جرم ان في تعبير القرآن حكمة لطيفة وهي ان الله تعالى لما كان يحب ان تكون المعيشة بين الزوجين معيشة محبة ومودة وتراض والتمام لم يشأ ان يسند النشوز الى النساء إسنادا يدل على ان من شأنه ان يقع منهن فعلا بل عبر عن ذلك بعبارة توحي الى أن من شأنه ان لا يقع لانه خروج عن الاصل الذي يقوم به نظام الفطرة . وتطبيب به المعيشة - ففي هذا التعبير تنبيه لطيف الى مكانة المرأة وما هو الاولى في شأنها ، والى ما يجب على الرجل من السياسة لها وحسن التلطف في معاملتها ، حتي اذا آتس منها ما يغني ان يؤول الى الترفع وعدم القيام بحقوق الزوجية فعليه اولا ان يبدأ بالوعظ الذي يرى انه يؤثر في نفسها

والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على النشوز ، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا كشيانة الاعداء والمنع من بعض الرغائب كالتأنيب الحسنة والحلم والرجل العاقل لا يغني عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته

واما المهجر فهو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها ويشق عليها هجره اياها ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه وهو الفراش ، ولا بهجر الحجرة التي يكون فيها الاضطجاع ، وانما يتحقق بهجر في الفراش نفسه . وتعتمد هجر الفراش او الحجرة زيادة في العقوبة لم يأذن بها الله تعالى وربما يكون سببا لزيادة الجفوة ، وفي المهجر في المضجع نفسه معني لا يتحقق بهجر للمضجع أو البيت الذي هو فيه لان الاجتماع في المضجع هو الذي يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين الى الآخر ويزول اضطرابها الذي اثارته الحوادث قبل ذلك فاذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة رجعي أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي الى سؤاله عن السبب ويهبط بها من فئز المخالفة ، الى صفصف (١) الموافقة ، وكأني بالقارئ وقد جزم بأن هذا هو المراد ، وان كان مني لم يره لاحد من الاموات ولا الاحياء ،

(١) النشز بالتحريك المكان المرتفع من الارض والصفصف المستوي من الارض

وأما الضرب فشرط فيه أن يكون غير مبرح وروى ذلك ابن جرير مرفوعاً إلى النبي (ص) والتبريح الإيذاء الشديد . وروى عن ابن عباس (رض) تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه . أي كالضرب باليد أو بقصبة صغيرة

وقد وردت أحاديث كثيرة في تقييد الضرب والتفريق عنه منها حديث عبد الله ابن زهرة في الصحيحين وغيرهما قل قال رسول الله (ص) «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» وفي رواية عن عائشة عند عبد الرزاق «أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد؟ يضربها أول النهار ثم يجامعها آخره» يذكر الرجل بأنه إذا كان يعلم من نفسه أنه لا بد له من ذلك الاجتماع والاتصال الخاص بامرأته وهو أقوى وأحكم اجتماع يكون بين اثنين من البشر يتحد أحدهما بالآخر اتحاداً تاماً ، فيشعر كل منهما بأن صلته بالآخر أقوى من صلته ببعض أعضائه ببعض - إذا كان لا بد له من هذه الصلة والوحدة التي تقتضيها القطرة ، فكيف يليق به أن يجعل امرأته وهي كنفسه ، مهينة كهيئة عبده ، بحيث يضربها بسوطه أو يده ؟ حقا أن الرجل الحي الكريم ليتجافى به طبعه عن مثل هذا الجفاء ، ويأبى عليه أن يطلب منتهى الاتحاد بن اثرتها متلة الاماء . قال الحديث ابلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء

وأذكر اني هديت الى معناه العالي قبل أن اطلع على لفظه الشريف ، فكنت كلما سمعت أن رجلاً ضرب امرأته أقول بالله العجب كيف يستطيع الإنسان أن يعيش عيشة الأزواج مع امرأة تضرب ؟ تارة يسعلو عليها بالضرب ، فتكون منه كالشاة من الذئب ، وتارة يذل لها كالعبد ، طالبا منتهى القرب . ولكن لا ننكر أن الناس متفاوتون ففهم من لا تطيب له هذه الحياة ، فإذا لم تقدر امرأته بسوء تربيتها تكريمه اياها حق قدره ، ولم ترجع عن نشوزها بالوعظ والهجران ، فارقها بمعروف وسرحها باحسان ، إلا أن يرجو صلاحها بالصحكيم الذي ارشدت اليه الآية ، ولا يضرب فإن الاخيار لا يضربون النساء ، وإن أيسح علم ذلك للضرورة فقد روى البيهقي من حديث أم كلثوم بنت الصديق (رض) قالت كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ثم شكوهن الى رسول الله (ص) بأنهم تمردن عليهم حتى قال عمر يا رسول الله قد ذر النساء على أزواجهن ، أي تمردن وعتين في النشوز والجراقة ، فغلى بينهم وبين ضربهن ثم قال «ولن يضرب خياركم» لما اشبه هذه الرخصة بالخطر . وخلة القول أن الضرب

علاج مر، قد يستغني عنه الخير الحر، ولكنه لا يزول من البيوت بكل حال، او
يم التهذيب للنساء والرجال

قال تعالى (فان أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) قال الاستاذ الامام أي ان أظعنكم
بواحدة من هذه الخصال التأديبية فلا تبغوا بتجاوزها الى غيرها طريقاً، قايلاً بما
بدأ الله به من الوعظ، فان لم يقد فليجبر، فان لم يقد فليضرب، فاذا لم يقد هذا ايضاً لجأ
الى التحكيم، وبفهم من هذا ان الصالحات اللغات لاسبيل عليهن حتى في الوعظ
والنصح، فضلاً عن الحجر والضرب (ان الله كان علياً كبيراً) فان سلطانه عليكم
قوى سلطانكم على نساءكم، فاذا بنيت عليهن ما قبكم، واذا تجاوزتم عن هفواتهن
كروا وشما تجاوز عنكم، قال الاستاذ آتي بهذا بعد النهي عن البغي لان الرجل انما
يبغي على المرأة بما يحسه في نفسه من الاستملاء عليها وكونها كبريتها واقدرة، فذكره
تعالى بجلوه وكبريائه وقدرته عليه ليتعظ ويخشع ويتقي الله فيها. واعلموا ان الرجال
الذين يحاولون بظلم النساء ان يكونوا سادة في بيوتهم، انما يلدون عبيداً لغريم اه يعني
ان اولادهم يربون على ذل الظلم فيكونون كالعبيد الاذلاء لمن يحتاجون الى المعيشة معهم

٢٢ - التحكيم بين الزوجين

قال تعالى بعد ما ذكر (٤ : ٣٥) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا
حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ بَرُّيدَا إِصْلَاحًا يَوْفِقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا
الخلاف بين الزوجين قد يكون بنشوز المرأة وقد يكون بظلم من الرجل، فالنشوز يعالجه
الرجل بأقرب التأديبات الثلاثة المبينة في الآية التي قبل هذه الآية فاذا اتى هوفي ظلمه
او عجز عن إزالتها عن نشوزها وخيف ان يحول الشقاق بينهما دون إقامتهما للحدود
الله تعالى في الزوجية باقامة أركانها الثلاثة : السكون والمودة والرحمة - ويجب على
المؤمنين للتكافل في مصالحتهم ومنافعهم ان يعيشوا حكماً من اهلهم وحكماً من اهلها، عارفين
بأحوالهم وأحوالها. ويجب على هذين الحكمين أن يوجها إرادتهما إلى اصلاح ذات
البين. ومضى صدقت الارادة كان التوفيق الالهي رفيقها ان شاء الله تعالى. ويجب
للخضوع لحكم الحكمين والعمل به - فخوف الشقاق توثقه بظهور أسبابه.
والشقاق هو الخلاف الذي يكون به كل من المختلفين في شق اى في جانب. والحكم
(بالتحريك) من له حق الحكم والتمصل بين الخصمين. والمراد بينهما ارسالهما
الى الزوجين لينظرا في شكوى كل منهما، ويعرفا ما يرجي أن يصلح بينهما،
ويسترضوا بالتحكيم، واصطفاوا حقا للجمع والتفريق اه أراد هنا من تفسير الآية

٢٣ - نشوز الرجل وإعراضه وعلاجه بالصلح أيضا

قال الله تعالى في نشوز الرجل (١٢٨:٤) وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَهِيمَةِ
نَشُوزٍ أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا - وَالصُّلْحُ
خَيْرٌ - وَأُجْزِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ارشد الله الزوجين إلى الصلح عند خوف المرأة نشوز زوجها
وإعراضه التام عنها ، وذكرهما بما يحول دون الوفاق من طبع النفس ، وهو
بخل كل منهما بأداء ما عليه من الواجب وحرصه على استيفاء كل ماله من الحق ،
بل يقصر كل فيما عليه ، ويطالب الآخر بأكثر مما عليه ، ولا سيما المرأة -
فإن الشح جامع لمعني البخل والحرص . فاحضار الانفس الشح عبارة عن كونها
حاضرة له بطبعها لاتكاد تفارقه الا بمعالجة وعزيمة قوية . ثم وصف لها هذا
العلاج بما يرغبها فيه وهو الاحسان في المعاملة الذي قد يكون فوق أداء الواجب ،
واتقاء الله في منع الحقوق او المطالبة بأكثر منها طاعة لشح النفس . وهالك خلاصة
معنى الآية من تفسير المنار (ص ٤٤٥ ج ٥)

اي وان خافت امرأة (من بھيمۃ نشوزاً) وترفعاً علیھا (أو إعراضاً) عنها ، بأن ثبت
لھا ذلك وتحقق ولم يكن وهماً مجرداً ، او وسواساً طارئاً ، وذلك ان المرأة إذا رأت
زوجھا مشغولاً بأكبر العظائم المالیة او السیاسیة ، أو حل أعوص المسائل الطبیة ،
او بغير ذلك من المشاكل الدنیویة او المھمت الدینیة - لاتفقد ذلك عذراً یبیح له
الاعراض عن مسأرتها او منادمتھا ، او الرغبة عن مناعتھا ومباغتھا . والواجب
علیھا أن تبین وتثبت فیما تراه من أمارات النشوز والاعراض فإذا ظهر لھا ان
ذلك لسبب خارجي لا لکراهتھا والرغبة عن معاشرتها بالمعروف فعلیھا أن تنذر
الرجل وتصیر علی ما لا تحب من ذلك . وان ظهر لھا ان ذلك لکراهتھا إیھا ورغبتھ عنها
(فلا جناح علیھا أن یصلحا بینھما صلحاً) ای فلا جناح علیھا ولا علیھ فی الصلح
الذي یفقان علیھ بینھما کأن تسمح له ببعض حقھا علیھ فی النفقة او المیت معها
(المنار : ج ٥) (٤٩) (المجلد الثاني والثلاثون)

أو بحقها كله فيها أو في أحدهما لتبقى في عصمته مكرومة (١) أو تسمح له ببعض المهر ومئة الطلاق أو بكل ذلك ليطلقها — فهو كقوله تعالى في سورة البقرة (فلا جناح عليهما فيما اقتدت به) وإنما يحل للرجل ما تعطيه من حقها إذا كان برضاها واعتقادها أنه خير لها، من غير أن يكون ملجئا إليها لئلا يحل له من ظلمها أو إهانتها

قال تعالى ﴿ والصالح خير ﴾ أي من التبرج والفراق وإن كان باحسان وأداء المهر والمئمة وحفظ الكرامة كما هو الواجب على المطلق — لأن رابطة الزوجية من أعظم الروابط وأحقها بالحفظ، وميثاقها من أغلظ المواثيق وأجدرها بالوفاء .

﴿ وأحضرت الانفس الشح ﴾ البخل الناشئ عن الحرص ، ومعنى إحضاره الانفس أنها عرضة له ، فإذا جاء مقتضى البذل ألم بها ونهاها أن تبذل ما ينبغي بذله لأجل الصالح واقامة المصلحة ، فالتساهل حريصات على حقوقهم في القسم والتنفقة وحسن العشرة شحيحات بها ، والرجال أيضا حريصون على أموالهم أشد من النساء ، فينبغي لكل منهما أن يتذكر أن هذا من ضعف النفس الذي يضره ولا ينفعه ، وأن يعالجه فلا ييخل بما ينبغي بذله والتساهل فيه لأجل المصلحة — فإن من أقبح البخل أن ييخل أحد الزوجين في سبيل مرضاة الآخر بعد أن افضى بعضهم إلى بعض وارتبطا بذلك الميثاق العظيم ، بل ينبغي أن يكون التسامح بينهما أوسع من ذلك وهو ما تشير إليه الآية :

﴿ وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خيرا ﴾ أي وإن تحسنوا العشرة فيما بينكم فتقوا وتعاملوا ويحذر بعضكم بعضا وتقوا النشوز والاعراض ، وما يترتب عليهما من منع الحقوق أو الشقاق ، فإن الله كان بما تعملون من ذلك خيرا لا يخفى عليه شيء من دقائقه وخفاياه ، ولا من قصدكم فيه ، فيجزى الذين احسنوا منكم بالحسن ، والذين اتقوا بالعاقبة الفضلى اه باختصار

ثم بين لنا في الآيتين اللتين بعده هذه أن عدل الرجل بين النساء غير مستطاع ولا سبي في الحب وإنما عليه ما ملك من العدل في التنفقة والمعاشرة وأن يكبح جماح الليل القسري بقوة الإرادة حتى لا يفسح فيه فتكون المائل عنها كالمعلقة التي لا هي متروكة ولا خلية — وأنها إذا تفرقا لتعذر اقامة حدود العدل والتراضي فإن الله يعني كلامهما عن الآخر بفضله

(١) هذا ما فسرت به الصلح مائنة أم المؤمنين (رض) قالت هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها (أي من معاشرتها لكبر سن أو مرض أو غير ذلك) فيريد طلاقها أو تزوج غيرها فتقول امسكني ولا تطلقني ثم تزوج غري فانت في حل من التنفقة على والقسمة لي الخ رواء البخاري وغيره عنها . ومثل هذا يقع كثيرا باختيار المرأة لمصلحتها

تعدد الزوجات

أيتها السيدات الكرام

كأنني بكن وقد ممعن أو قرأت ما كتبه لكن مما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين من نكح يمكن وإثبات مشاركتكم للرجال في جميع الأمور الدينية والحقوق الإنسانية — ترضن أمواتكن قائلات: آمنا وصدقنا بأن هذا إصلاح لم يسبق الإسلام إليه دين، ولم يبلغ: أو محمد فيه نبي ولا حاكم ولا حكيم، ولكن ما باله تعدد الزوجات بقي في دينه مباحا حتى أنه هو نفسه لم يشزه عنه، بل أباح له شرعه الإلهي منه أكثر مما أباح لغيره من رجال أمته؟
الإن لكن أن تسألن هذا السؤال، وعلى أن أدلي اليك بالجواب:

٢٤ — مقدمة في تاريخ تعدد الزوجات وأصله

يقول الباحثون في طبائع البشر، وتواريخ البدو والحضر، أن تعدد الزوجات في الاقطار الكثيرة التي اعتاده أهلها هو أثر ما كان من استرقاق النساء وانحاذ الأقوياء والاغنياء العدد الكثير. منهن للاستمتاع والمخدمة والعظمة. ولذلك كان خاصا بالملوك والأمراء والرؤساء والاغنياء، وكان يكثر في البلاد الحارة التي يغتني أهلها بشهوة الاستمتاع، وكثرة التنقل بين الحسن وصغار السن من النساء. وكان عند بعضهم استرقاقا محضاً، ثم وجد الجمع بين نكاح الحرات والاستمتاع بالجواري المملوكات. فقدماء اليونان الاثينيين كانوا يبيعون النساء في الاسواق، ويبيعون تعدد الزوجات بغير حساب. وقد أباح الاسيرطيون تعدد الأزواج للمرأة الواحدة كاهل (البت) دون تعدد الزوجات للرجل. وكان التعدد قشياً في أوروبا عند الغولوا في زمن سيزار ومروعا عند الجرمانيين في زمن ناسيت. وقد فشا في الرومان فعلا قانونا حذر حظره جوسبيان في قوانينه ولكنه ظل فاشيا بالمثل، وأبانه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الإسلام كشرلان ملك فرنسا الذي كان مباحرا للخليفين المهدي والرشيد من العباسيين. وقد اختلفت عادات الناس فيه بين الامم

في جميع القارات والجزائر الجنوبية وما شذعن ذلك إلا اهل اوربة في القرون الاخيرة، ولكنهم استبدلوا بتعدد الزوجات الشرعيات السفاح واتخاذ الاخذان كما تقدم، وسيأتي مزيد بسط له في بحث التسري على ان النساء في اوربة قد كن مهنات كالاماء عند اولئك الوثنيين حتى في اعراضهن، الى ما بعد ظهور الاصلاح الاسلامي الحمدي بقرون. والشواهد التاريخية على هذا كثيرة

يقول الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي في كتابه (علم وصف الاجتماع) ان الزوجات كانت تباع في انكلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر، وانه حدث اخيراً في القرن الحادي عشر ان المحاكم الكنسية سنت قانوناً ينص على ان الزوج ان يتقل (أو يصير) زوجته الى رجل آخر لمدة محدودة حسبما يشاء الرجل المتقولة اليه المرأة (١) وشر من ذلك ما كان للشريف النيل (الحاكم) روحانيا كان اوزمينا من الحق في الاستمتاع بامرأة الفلاح الى مدة اربع وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها عليه (اي على الفلاح) وفي سنة ١٥٦٧ ميلادية صدر قرار من البرلمان الاسكوتلاندي بأن المرأة لا يجوز ان تمنح اي سلطة على اي شيء من الاشياء

واغرب من هذا كله ان البرلمان الانكليزي اصدر قراراً في عصر هنري الثامن ملك انكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد أي يحرم على النساء قراءة الاناجيل وكتب رسل المسيح. فأين هذا من وضع الصحابة المصحف الاول الذي كتب في خلافة أبي بكر عند امرأة وهي حفصة أم المؤمنين ثم كتابة نسخ المصاحف التي وزعت على الامصار في خلافة عثمان عن ذلك المصحف. ولم تخل البلاد الاسلامية من نساء يحفظن القرآن كله حفظاً تاماً من عصر الصحابة الى عصرنا هذا (٢) ومن العجيب ان بعض الناس الذين جمعوا بين الزواج والتسري كانوا يحرمون على شرف الزوجات ويذلون جوارهم لضيوفهم وأكابر قومهم يستمتعون بهن كما

(١) من الغرائب التي قلت عن بعض صحف انكلتره في هذه الايام انه لا يزال يوجد في بلاد الارنايف الانكليزية رجال يبيعون نساءهم بمن يحس جداً كثر لاثنين شلنا وقد ذكرت اسماء بعضهم

(٢) كان المناسب وضع هذه النصوص التاريخية في مقدمة الرسالة

قل عن اهل جزيرة فيقي . ونقل عن بعض وثني امريكا الشمالية ان من تزوج امرأة منهم حلت له جميع اخواتها ، وقالوا ان هذا قد انتشر كثير في كولومبيا وغيرها وكان تعدد الزوجات شائعا بين اليهود قبل السبي في ملوكهم وانبيائهم وناهيك بدادود وسليمان عليهما السلام . وكانت البنت مينة عندهم حتى كان بعضهم يبيع لابنها يبعها . وهاك النص المقدس عندهم لا عندنا في نساء اعظم انبيائهم وملوكهم داود وسليمان عليهما السلام

جاء في الفصل الخامس من سفر صموئيل الثاني « ٧ فقال ناثان لداود انت هو الرجل ، هكذا قال الرب اله اسرائيل : انا مسحك ملكا على اسرائيل واخذتك من يد شاول واعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك » ثم وبخه على قتله لاوريا الحثي واخذ زوجته وقال (١١) هكذا قال الرب : هاءذا اقيم عليك الشر من بيتك واخذ نساءك امام عينيك ، واعطيهن لقريبك فيضطجع مع نساءك في عين هذه الشمس) وسأذ كر خير اوريا مع داود عند الكلام على زينب أم المؤمنين وفي الفصل الحادي عشر من سفر الملوك الاول مانعه « واحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون . موآيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحيات ٧ من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم يدخلون اليكم لانهم يعملون قلوبكم وراء الهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالهبة ٣ وكانت له سبعائة من النساء السيدات وثلاثمائة من الجواري فامالت نساؤه قلبه » الخ

٢٥- الإصلاح الاسلامي في تعدد الزوجات

لما بعث الله محمدا خاتم النبيين في العرب وأبطل شرعه الزنا وكل ما هو في معناه من انواع الانكحة وكل ما هو مبني على عد المرأة كالمتاع او الحيوان المملوك، لم يحرم تعدد الزوجات تحريما مطلقا ولم يدع الرجال على ما كانوا عليه من الاسراف في العدد وفي ظلم النساء ، بل قيده بالعدد الذي قد تقتضيه مصلحة النسل وحالة الاجتماع ويوافق استعداد الرجال له وهو ان لا يتجاوز الاربع وبالقدر على الثقة عليهن واشترط فيه العدل بين الزوجين والازواج لمنع ما كان من ظلم النساء بقدر الاستطاعة وهو ما قد يفرض بالمتدين بالاسلام الى الاقتصار على زوج واحدة إلا لضرورة

قال تعالى في سورة النساء (٤ : ٣) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا بِمَنَابِلِكُمْ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثٌ وَرُبُّنَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَوَلَّوْا)

المول الجور أي ذلك الاقتصار على امرأة واحدة أو ملك اليمين اقرب الوسائل لعدم وقوعكم في الجور والظلم المانع من تعدد الزوجات لمن خاف الوقوع فيه .
قآلية تدل على تحريم التعدد على من يخاف على نفسه ظلم زوجة بحالة لاخرى وتفضيلا لها عليها - وعلى تحريمه بالاولى إذا كان عاجزا على هذا الظلم بأن كان يريد ان يضارها لكرمه لها . ثم قال تعالى في الآيه ١٢٩ من هذه السورة نفسها (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فإذا قرئت هذه القضية بقضية (فان يخفم ألا تعدلوا فواحدة) أتجتا وجوب الاقتصار على امرأة واحدة - ولكنه قال بعدها (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) فلم يه ان غير المستطاع هو العدل في الحب وأمره من ميل النفس ، فيجب ضبط النفس في أمره وما يترتب عليه من المعاملة المستطاعة في النفقة والمبيت وغيرها وهو العدل المشروط في الاولى

هنا ثلاث مسائل قطعية (إحداهما) ان الاسلام لم يوجب تعدد الزوجات ولم يندب اليه ، وانما ذكره بما يدل على انه قلما يسلم فاعله من الظلم المحرم . وحكمة هذا وقاعدته أن يتروى فيه الرجل الذي تطالبه نفسه به ويحاسبها على قصده وعزمه وما يكون من مستقبل أمره في العدل الواجب

(الثانية) انه لم يحرمه تحريما قطعيا لا هوادة فيه لما في طبيعة الرجال وماداتهم الراسخة بالوراثة في جميع العالم من عدم اقتصارهم في الناب على التمتع بامرأة واحدة - ومن حاجة بعضهم الى النسل في حال عقم المرأة أو كبرها أو علة أخرى مانعة من الحمل - ومن كثرة النساء في بعض الازمنة والامكنة ولاسيما اعقاب الحروب بحيث تكون الالوف الكثيرة منهن أيامي لا يمتدن رجالا بمحصنونهن ويشقون حلين مع وجود الاقوياء الاغنياء القادرين على إحصان امرأتين أو أكثر الراغبين فيه

(الثالثة) انه لهذا وذلك تركه مباحا إلا انه قيد بما تقدم يانه آثا من العدد والشرط الذي يقتضي به ضرره ويرجى به نفعه إذا التزم فاعله جميع أحكام الاسلام وآدابه في معاملة النساء وقد تقدم أهمها : وقد رأينا بأصقنا وسمعنا بأذنا من

أهل عصرنا ان من المذنبين المتقين من لم يرزق ولداً من زوجه الاولى فصر عليهم ذلك فرغبتهم في الزوج بغير من وخطبن لهم وعشن مع الزوج الثانية كهيئة الاخوات في حجر والدهن . وقد كان هذا هو اكثر حال المسلمين في قرون الاسلام الاولى ولكنه قل في هذا الزمن بما طرأ على اكثر الشعوب الاسلامية من الجهل بالاسلام ، وبمحكمه واحكامه وآدابه في الزواج ، وفسدت توجيهم بالتج لفساد حكومتهم ، فصار تعدد الزوجات في الامصار مآثرا للمفاسد لا تحصى في الازواج والاولاد وعشائر الزوجين حتى اقلب ما بيننا من اركان الزوجية الثابتة في كتاب الله تعالى من حب ومودة ورحمة إلى أضدادها - وقد حمل شيخنا الاستاذ الامام في سياق تفسيره للاتية في الازهر حملة منكرة شديدة على هذه المفسدة في مصر وقرر انه يستحيل تربية الامة تربية صحيحة مع كثرة هذا التعدد الاقتصادي الذي صار يجب منعه عملاً بقاعدة « لا ضرر ولا ضرار » الناجية في الحديث (١) وقاعدة تقديم دره المفاسد على جلب المصالح وهي متفق عليها . وقد نشرنا اقواله في تفسيرها من الجزء الخامس وذكرنا في أول المجلد ٢٨ من المآثر انه افتي فتوى غير رسمية بأن للحكومة منع التعدد لتغير ضرورة مبيحة لا مفسدة فيها

وشرحنا في تفسيرها أيضاً ما اجملناه في المسألة الثانية هنا من وجوه الحاجة الى التعدد من شخصية وطبيعة واجتماعية وآراء بعض علماء الافرنج ونسائهم الكاتبات في تفضيله على بذل النساء من أفكار وثنيات أعراضهن للرجال في اختلاطهم بهم في العامل وخدمة البيوت وما في ذلك من المفاسد والمضرات التي لا يحد تعدد الزوجات بالنسبة اليها شيئاً قبيحاً او ضاراً اذا التزم فيه شرع الاسلام . وقد زادما كتبناه في موضوعنا على ثلاثين صفحة ولا تسع هذه الرسالة لنقله كله ، فراجع تفصيله في محله (٢) بيد انني أكتب هنا كلمة في استعداد كل من الزوجين للنسل الذي هو غاية الزوجية ومقصد ما القطري بما تظهر به حكمة جعل الحد الأقصى في عدد الزوجات أربعة . وأفتي عليه بيان الاسباب التي يكون بها التعدد حاجة أو ضرورة تقتضيها مصلحة الزوجية بل مصلحة الانسانية ، ثم اقل بعض ما اشترت اليه من ذلك التفصيل

(١) رواه احمد و ابن ماجه عن ابن عباس (٢) راجع ص ٣٤٤-٣٧٥ ج ٤ تفسير المآثر

٢٦- استعداد كل من الذكر والانثى للنسل

من المعلوم بالمشاهدة أن الذكر قد يكون مستعداً لوظيفة النسل من سن البلوغ الى نهاية العمر الطبيعي وهو مائة سنة، وأن الانثى يتقطع استعدادها في سن الخمسين الى ٥٥ ثم إنهما اذا حملت كان حملها شاغلاً لها عن غيره الى نهاية مدته وهي تسعة أشهر في الغالب ثم الى انتهاء النفاس وهو اربعون يوماً في المتوسط وقد يمتد الى شهرين ولكن لاحد لاقله، ثم ان استعدادها للحمل في مدة الرضاعة يكون ضعيفاً جداً ومن مصلحتها ومصلحة طفلها أن لا يقع وان كان ممكناً ومدة الحمل والرضاعة المشتركة بين البدو والحضر ستان ونصف كما قال تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ولكن الرجل يكون في كل هذه المدة مستعداً للقيام بوظيفته الزوجية ان لم يكن في كل يوم ففي كل اسبوع أو أقل أو أكثر على حسب قوة المزاج وسلامة البنية وحسن الغذاء وما يقابل ذلك من الاضداد ، فاذا فرضنا ان زوجين اقرنا في متوسط سن البلوغ وهو ١٥ سنة كان أقصى ما تلده له ٢٠ ولدا في اربعين عاماً وهو على كونه نادراً يبلغ ربع ما يمكن أن يولده له من اربع نسوة الى سن الثمانين

وقد بينت في آخر فصل المساواة بين الزوجين ما يفضل به الرجل على المرأة في مادة النسل وعلمها في العلوق والحمل الذي للمرأة فيه ما هو معروف بما هو خاص بها - وقد علم بالاختيار أنه يوجد من النساء الزاهدات في الرجال لضعف استعدادهن للنسل أضعاف ما يوجد في الرجال من الزاهدين في النساء وأن موافقه الخلقية فيهن أكثر من موافقه فيهم ،

٢٧- مصلحة الزوجية أو الانسانية في تمدد الزوجات

سبق لي ان بينت هذا الموضوع في فتوى عن سؤال ورد من طالب طب في امريكا نشرت في مجلد المنار السابع (سنة ١٣٢١) ثم في جزء التفسير الرابع - وبدايتها بخمس مقدمات قيمت عليها بما يلي :

إذا أُنعت النظر في هذه المقدمات كلها، وعرفت فرعها وأصلها، تجعل لك النتيجة أو النتائج الآتية : أن الأصل في السعادة الزوجية والحياة اليتيمة هو أن يكون للرجل زوجة واحدة ، وأن هذا هو غاية الارتقاء البشري في بابه، والكمال الذي ينبغي

أن يرى الناس عليهم يقتسموا به، وأنه قد يمرض له ما يحول دون اخذ الناس كلهم به، وقد تمس الحاجة إلى كفالة الرجل الواحد لاكثر من امرأتين واحدة، وان ذلك قد يكون لمصلحة الافراد من الرجال والنساء جميعا كأن يزوج الرجل بامرأة مقيمة فيضطر إلى غيرها لاجل النقل، وقد يكون من مصلحتها أو لمصلحتها معاً أن لا يطلقها ويرضى بأن يزوج غيرها، لأنها إذا كان ملكاً أو أمة أو تدخل المرأة في سن اليأس ويرى الرجل أنه مستعد للاعتاق من غيرها وهو قادر على القيام بأود غير واحدة وكفاية أولاد كثيرين وتربيتهم، أو يرى أن المرأة الواحدة لا تكفي لاحصائه لان مزاجه يندفع إلى كثرة الانشاء ومزاجها بالعكس، أو تكون قاركة شفاهاً (أي تكثر الزواج طبعا) أو يكون زمن حبسها طويلاً ينتهي إلى خمسة عشر يوماً في الشهر ويرى نفسه مضطراً إلى احد الامرئين: الزوج بانية أو الزنا الذي يضيع الدين والمال والصحة، ويكون شراً على الزوجة من ضم واحدة اليها مع الدل ينهها كاهو شرط الاباحة في الاسلام، ولذلك استبيح الزنا في البلاد التي يمنع فيها التعدد بالمرءة

وقد يكون التعدد لمصلحة الامة كأن تكثر فيها النساء كثرة قاحشة كاهو الواقع في مثل البلاد الانكليزية وفي كل بلاد تقع فيها حرب محتاجة تذهب بالالوف الكثيرة من الرجال فيزيد عدد النساء زيادة قاحشة تضطرهن إلى الكسب والسعي في حاج الطبيعة ولا بضاعة لاكثرهن في الكسب سوى أبضاعهن، وإذا هن بذلن فلا يخفى على الناظر ما وراء بذلها من الشقاء على المرأة التي لا كافل لها إذا اضطرت إلى القيام بأود نفسها، وأود ولد ليس له والد ولا صبي عقب الولادة ومدة الرضاعة بل الطولية كلها. وما قال من قال من كتابات الانكليز بوجود تعدد الزوجات إلا بعد النظر في حال البنات اللواتي يشتغلن في المعامل وغيرها من الاماكن العمومية وما يمرض لمن هن هناك الاعراض، والوقوع في الشقاء والبلاء، ولكن لما كانت الاسباب التي تيسر تعدد الزوجات هي ضرورات تقدر بقدرها وكان الرجال إنما يدفعون إلى هذا الامر في الغالب لإرضاء للشهوة لا عملاً بالمصلحة. وكان الكمال الذي هو الامل المطلوب عدم التعدد — جعل التعدد في الاسلام رخصة لا واجباً ولا مندوباً، لذاته، وقيد بالشرط الذي نطقت به الآية الكريمة، واكدته تأكيداً مكروهاً، فقامها به وكتبنا في الرد على لورد كرومر إذ ألقى خطبة انتقد بها الشريعة الاسلامية ما نصه

فقلنا عن (ص ٢٢٥) من مجلد المنار المأخر :

طالما اتفق الاوربيون على الاسلام نفسه مشروعية الطلاق وتعدد الزوجات ،
 وها لم يطلبوا ولم يحمدا فيه ، وانما أجزا لانهم من ضرورات الاجتماع كما بينا ذلك غير
 مرة ، وقد ظهر لهم تأويل ذلك في الطلاق فشرعوه وان لم يشرع لهم كتابهم (الانجيل)
 الا لعله لئلا . وأما تعدد الزوجات فقد تعرض الضرورة له فيكون من مصالحة النساء
 أنفسهن كأن تنال الحرب كثيرا من الرجال فيكثر من لا كافل له من النساء فيكون
 الخبير لمن أن يكن ضررا ولا يكن فواجرا يأكلن بأعراضهن ويعرضن أنفسهن بذلك
 لمصائب ترزحن أنفسها . وقد انشأ القوم يعرفون وجه الحاجة بل الضرورة الى
 هذا كما عرفوا وجه ذلك في مسألة الطلاق وقام غير واحدة من نساء الانكليز الكنائيات
 اقتاضات بطلان في الجرائد باباحة تعدد الزوجات رحمة بالعمالات الفقيرات ،
 وبالبنات المضطرات . وقد سبق لنا في النار ترجمة بعض ما كتبت إحداهن في جريدة
 (لندن تروت) مستحسنة رأي العالم (تومس) في انه لا علاج لتقليل البنات الشاردات ، إلا
 تعدد الزوجات ، وما كتبت الفاضلة (مس اني رود) في جريدة (الاسترن ميل)
 والكاينة (اللادي كوك) في جريدة (الايكو) في ذلك (راجع ص ٤٨١ م ٤ منار)
 إن قاعدة اليسر في الامور ورفض الحرج لهي من القواعد الاساسية لبناء الاسلام
 (٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر — و — ٦ : ٥ ما يريد الله
 ليجعل عليكم في الدين من حرج) ولا يصح أن يبنى على هذه القاعدة تحريم أمر
 تلجيه اليه الضرورة أو تدعو اليه المصلحة العامة أو الحاجة (كما بينا ذلك في مقالات
 الحياة الزوجية وغيرها) وهو مما يشق امتثاله دفعة واحدة لاسيما على من اعتادوا
 المبالغة فيه كتعدد الزوجات ، كذلك لا يصح السكوت عن مترك الناس وشأنهم فيه على ما
 فيه من المفساد ، فليبق الا أن يقلل العدد ويقيّد بقيد قليل وهو اشتراط اتقاء الخوف من
 عدم العدل بين الزوجات ، وهو شرط يزعمه من فقهه واحتبر حال الذين يزوجون
 بأكثر من واحدة يتعجل له ان أكثرهم لم يلزم الشرط ومن لم يلزمه فزواجه غير اسلامي
 وجملة القول في هذه المسألة أن القرآن آتى فيها بالكمال الذي لا بد أن
 يعترف به جماهير الاوربيين ولو بعد حين ، كما يعترف به بعض فضلائهم وفضلياتهم
 الآن . وأما المسلمون فلم يلزموا هذا بتهفصا روا حجة على دينهم ، ونحن أحوج الى الرد
 عليهم والناية بارجاعهم الى الحق منا الى إقناع غير المسلمين بفضل الاسلام مع بقاء
 أهله على هذه الحمازي والانام ، إذ لو رجعوا اليه ، لما كان لاحد أن يتعرض عليه اه

٢٨ - أحوال بعض فضليات الانكليزيات في تعدد الزوجات

أما ما أشرنا اليه من اقتراح بعض كاتبات الافرنج تعدد الزوجات فهو ما أودعناه
 في مقالة عنواها (النساء والرجال) نشرت في (ص ٤٨١م) من المجلد (١٠) وهالك المقصود منها
 لما تنبه أهل أوروبا إلى إصلاح شؤونهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية اغتنوا
 بقرينة النساء وتلبية من فكان لذلك أثر عظيم في ترفيتهم وتقدمهم ولكن المرأة لا تبلغ
 كلها الا بالقرينة الاسلامية وأعني بالاسلامية ما جاء به الاسلام لا ما عليه المسلمون اليوم
 ولا قبل اليوم بقرون فقد قلت أنا إنهم مارعوا ما لم دينهم حق رعايته . ولهذا وجدت
 مع القرينة الاوربية للنساء جرائم الفساد ونمت هذا الجرائم قولت منها الادواء
 الاجتماعية والامراض المدنية، وقد ظهر اثرها بشدة في الدولة السابقة اليها وهي فرنسا
 فحذف نسلها، وقلت مواليدها قلة تهددها بالاقرض، والذنب في ذلك على الرجال
 حذر هذه الامراض العقلاء ، وحذر من عواقب الكتاب الاذكياء
 وصرح من يعرف شيئا من الديانة الاسلامية ، بمنى الرجوع الى تعاليمها المرضية،
 وفضائلها الحقيقية ، وصرحوا بأن الرجل هو الذي أضل المرأة وأفسد تربيتها وان
 بعض فضليات نساء الافرنج صرحن بمنى تعدد الزوجات للرجل الواحد ليكون
 لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال

(١) جاء في جريدة (الاغوص ويكلي ركورد) في العدد الصادر في ٢٠ ابريل
 (نيسان) سنة ١٩٠١ نقلا عن جريدة (لندن ثروت) بقلم كاتبة قاضية ما ترجمته ملخصا:
 «لقد كثرت الشاردات من بناتنا ورم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذا
 كنت امرأة أراني انظر الى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا ، وما إذا
 عسى يفيدهن بي وحزني وتوحي وتنجي وان شاركني فيه الناس جميعا لا لا فائدة
 إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجس ولة هو العالم الفاضل (تومس) فانظر إلى
 النساء ووصف له الدولة الكافل الشقاء وهو (ان يباح للرجل الزوج بأكثر من
 واحدة) وبهذه الوسيلة يزول البلاء لاحتالة وتصبح بناتنا ربات بيوت، قابله كل
 (٢) هو الذي صدر في جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ هـ الموافق سبتمبر سنة ١٩٠١ م

البلاء في اجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التحديد هو الذي جعل نباتا شوارد وقذف بين الى الناس أعمال الرجال ، ولا بد من تفاقم الشر اذا لم يسمح للرجل الزوج بأكثر من واحدة .

« أي ظن وخرص يحيط بمدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعالة وعاراً على المجتمع الانساني ؟ فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الاولاد وباهياتهم مآم فيه من العذاب المون ، ولستم عرضين وعرض أولادهن قن مزاحمة المرأة لرجل ستهل بنا الدمار . ألم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها ؟ وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة دبة يتوأم أولاد شرعيين

ولشئت السكينة الشهيرة (من أنرود) مقالة مفسدة في جريدة (الاسترن ميل) في العدد الصادر منها في عشرة مايو (أيار) سنة ١٩٠١ فتعطف منها ما يأتي « لأن يشتغل نباتا في البيوت خوادم أو كالحوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصعب البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الابد . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والصفاء والطهارة رده الخادمة والرفيق يتبعان بأرغد عيش ، ويأملان كما يامل أولاد البيت ، ولا تعمس الاعراض بسوء . نعم انه لما على بلاد الانكليز أن يجعل نباتها مثلاً للرفائيل بكثرة مخالطة الرجال ، فما بالنا لانسى وراء ما يجعل البنت تعمل على ما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرعها ؟

وقالت الكتبة الشهيرة (اللادي كوك) بجريدة (كوك) مترجمته وهو يؤيد ما تقدم « ان الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، وهنا البلاء العظيم على المرأة ، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تغلب على مضجع الفاقة والنساء ، وتذوق مرارة البذل والمهانة والاضطهاد بل الموت أيضاً . أما الفاقة فلان الحمل ونقله والوجع ودواره من موانع الكسب الذي يحصل بقوتها ، وأما النساء فهو أن تصبح شريرة حائرة لا تدري

ماذا تصنع بنفسها، وأما النمل والمار فأبيح بعد، وأما الموت فكثيراً ما تبخع المرأة نفسها بالاحتجار وغيره

هذا والرجل لا يلزم به شيء من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسئولة وعليها التبعة مع ان عوامل الاختلاط كانت من الرجل

« أما آن لنا أن نبحت عما يخفف - إذا لم نقل عما يزيل - هذه المصائب المائدة بالمار على المدينة الفرية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الألوف من الاطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المحبولة على رقة القلب المقضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود ويعني به من الاماني، حتى اذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسي العذاب الاليم

« يا أيها الوالدان لا يفرنكما بعض درهيمات تكسبها بتاعسكما باشتغالن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا . حلوهن الإبتعاد عن الرجال، أخبروهن بإقامة الكيد الكامن لهن بالمرصاد ، لقد دلتنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا عظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال . ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتلات في المعامل والخدامات في البيوت وكثير من السيدات المرعات للأنظار، ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية للأسقاط لرأينا أضاف ما نرى الآن، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورنا في الامكان، حتى أصبح رجال مقاطعات من بلادنا لا يقبلان البنت زوجة ما لم تكن مجربة، أي عندها أولاد من الزنا ينتفع بشغلهم ١١١ وهذا غاية الهبوط بالمدينة، فكم قاست هذه المرافقين مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفاتهم، والذي عقلت منه لا ينظر إلى أولئك الاطفال ولا يتهدم بشيء،، ويلا من هذه الحالة التمسة : ترى من كان معينا لما في الوجه ودواره ، والحمل وأثقاله ، والوضع وآلامه، والفصال ومرارة ؟ » اه

ذلك ما فتنه في وجه الحاجة تارة والضرورة تارة الى تعدد الزوجات ويزاد عليه ما علم منه ضمنا من كثرة النسل للمطلوب شرعا وطبعيا، فإذا كان منع التمدد ولا سيما في أعقاب الحروب وكثرة النساء يفضي الى كثرة الزنا وهو ما يقلل النسل كان مما يليق

بالشريعة الأجنبية الرغبة في كثرة النسل والمصلحة في منع الزنا ان يبيح التعدد عند الحاجة اليه لاجل ذلك مع التشديد في منع مضراته. وقد صرح بعض علماء أوروبا بأن تمدد الزوجات من جهة اسباب انتشار الاسلام في افريقية وغيرها وكثرة المسلمين. ومما يكن من ضرر تعدد الزوجات هو لا يلغ ضرر قلة النسل الذي منيت به فرنسا بانتشار الزنا وقلة الزواج وسببها انكثرتا وغيرها من الامم التي على شاكلتها في السواحل في الشرق

وامانع تعدد الزوجات إذا نشأ ضرره وكثرت مفسده ومبت عند أولى الامر ان الجمهور لا يجدون فيه في بعض البلاد عدم الحاجة اليه بالضرورة فقد يمكن ان يوجد له وجه في الشريعة الاسلامية السمحة اذا كان هناك حكومة اسلامية فان للامام ان يمنع المباح الذي يترتب عليه مفسدة مادامت المفسدة قائمة به والمصلحة بخلافه، بل منع محر (رض) في عام الرمادة ان يعد سارق ولذلك نظائر اخرى ليس هذا محل بيانها : ولاستاذ الامام قسوي في ذلك (تقدم انها في أول المجلد ٢٨ من المتأخر) لكن الافرنج ياللون في وصف مفسدات التعدد وكذا المتفرنجيون كدأب الناس في التسليم للامام القوي والتقليد لها . وما قال الأستاذ الامام ما قاله في التنج على التعدد الا لتغير القواطين من المصريين وأمثالهم الذين يتزوجون كثير او يطلقون كثيرا لحض الثقيل في الفذة والاغراق في طاعة الشهوة مع عدم التهذيب الديني وللدني ألا ان التهذيب الذي يعرف به الانسان قيمة الحياة الزوجية يمنع صاحبه التعدد لغير ضرورة فهذه الحياة التي ينشأ الله تعالى في قوله (٣٠ : ٢١) من آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فلما تحقق على كمالها مع التعدد ولا سيما اذا كان لغير عذر ولذلك يخل في للهذين من يجمع بين زوجين، وانني لا أعرف أحداً من أصحابي في مصر وسوريقه أكثر من زوج واحدة اه المراد منه

يامعشر النساء المحصنات

أرايتن ما قتلته اليكن عن بعض نساء الشعب الانكليزي الذي هو أسلم من الشعب القبرلي أخلاقاً ، وأمثل نرية وأكثر نسلاً ؟ فك ما كتبته منذ ثلاثين عاماً ، فأرايتن فيما يقوله أمثالهن من الكائنات والكائين في هذه الاعوام ، وقد فقدت أوربة في جريها العالمية الكبرى زهاء عشرين مليون رجل أسمى مثلهم أو أكثر منهم . من النساء محرومات من الحياة الزوجية والنسل وكفالة الرجل (١) . فترجل للملايين منهن وصرن يزاحن الرجال في الاعمال على كثرة الماطلين منهم والباطلين ، وبطلين مساوئهم في كل شيء ، فقلت الرغبة في الزواج وتقام شر الطلاق ، واستشرى فساد الخا والبنا ، حتى صرح بعض كبار العقلاء من الكتاب بأن الليوت الانكليزية مهددة بالسقوط والزوال ، بعد أن كانت أشد رسوخاً وبناناً من الحبال ، وإن الحال فيما عدا ايطالية من الدول الحرية أسوأ ولا سبها الولايات المتحدة الاميركية فان اسراف نساها ورجالها في الطلاق وفي تكاليف التجربة قد أوشك أن يقوض فيها بناء الاسرة وينتهي باستغلال النساء وأمر التسل الى الشيوعية المحضة . وإن آخر ما قرأناه من نسبة عدد الطلاق الى عدد الزواج فيها انه الخمس أي ٢٠ في المائة ويقال انه يتوقع بلوغه النصف بعد سنين قليلة

٢٩ — كلمات لبعض كبار علماء أوربة في التمدد والاسلام

ولولأن تطول هذه الرسالة بما يخرج مما اقتضه مطالبوها من التصدي فيما تلفت لكن كثيراً من أقوال الصحف الافرنجية في اثبات ما ذكرته ولكنني أخف هذه المسألة بحكم حكيمين من أكبر علماء الاجتماع وفلسفة التاريخ الواسعي الاطلاع على تاريخ المسلمين وغيرهم في المسألة

(الاول) الدكتور غوستاف لويون الفرنسي صاحب المصنفات . وله في تعدد الزوجات وأقوال علماء الافرنج فيه أقوال كثيرة في مصنفاته وأوسعها بسطاً وتحقيقاً ما نشره في كتابه (حضارة العرب) فأثبت به عدالة حكم الاسلام بالتمدد واقتضاء

(١) جاء في بعض الجرائد أن عدد النساء الايامي في أوروبا ٢٥ مليوناً

الضرورة الاجتماعية له . وفيه عبارة مختصرة في كتابه روح السياسة قالها في سياق الكلام على اصلاح امور المسلمين في الجزائر هذه ترجمتها :

« وأما اصلاح براه الموسو (لروا بوليو) هو تحريم تعدد الزوجات ، وقد أسهب في بيان فوائد الاقتصار على زوجة واحدة فقال : « ان تدير المنزل يقوم على الزوجة الواحدة فقط . فتعدد الزوجات نزول روح العائلة وهناء البيت وينحط المجتمع العربي »

« ولا أريد أن أئين هنا الاباب التي جعات الشرقيين يقولون بتعدد الزوجات . وأن أذكر أن تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين خير من تعدد الزوجات الخبيث المؤدي الى زيادة القحط في أوروبا . فلي القاريء أن يطالع كتابي « حضارة العرب » . فقيه يجد ايضا كافي لهذه المسائل وغيرها ويرى أنه ظهر أيام سلطان العرب لساء قاضيات طامات كما يظهر عندنا في هذه الأزمنة .

« وقد ثبت في أيامنا أن توقف ارتقاء المسلمين لم ينشأ عن تعدد الزوجات . وهل من الضروري أن أذكر أن العرب وحدهم هم الذين أطلعو على العالم الاغريقي الروماني وأن جامعات أوروبا ومنها جامعة باريس لم تعرف في سنة قرون لما مورداً علمياً غير مؤلفات العرب وتطبيق مناهجهم ؟ فحضارة العرب هي إحدى الحضارات التي لم يعرف التاريخ ما هو أكثر منها نصارة . ولا تسكر أنها ماتت ككثير من أخواتها غير أننا نرى من السذاجة أن نمزج إلى مبدأ تعدد الزوجات نتائج صادرة عن عوامل أكثر منها أهمية »

« ولا ندرك السبب في حقد ذلك الأستاذ الفاضل على مبدأ تعدد الزوجات وهو الذي يخبرنا باقتصاره على ما كتبت العرب للمثلية وبأن ظله يتفلس بالتدريج وإذا كان الرجوع اليه نادراً فلماذا يراد إلغاؤه وكيف يكون « من الاسباب الكبيرة في انحطاط المجتمع العربي » ؟

وأما العالم الثاني فهو الأستاذ (فون أهر ملس) الالمانى فإنه قد صرح بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورة للسلائ الأوربية . أي نحوها وبقاتها .

وهكذا يرجع علماء الأفرنج وحكائهم الى قواعد الاسلام قاعدة بعد قاعدة ، بل جزم العلامة برناردشو الانكليزي في كتابه (التوزيع) أو الحياة الزوجية بان الدولة الانكليزية ستضطر الى اتخاذ الاسلام ديناً لما قبل انقضاء هذا القرن . ونقلت عنه بعض الصحف العربية أنه جزم بان شعوب أوربة وأمريكا كلها تهتدى بالاسلام قبل انقضاء قرن - وهذا ما نجزم بانتهاء جميع الأفرنج اليه بالتبع لما جزم به قبلنا حكما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده (رح) وسيمصدق عليهم قول الله عز وجل (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)



قال عليه الصلوة والسلام انه لا سلام في شيء من هذا وماذا ، كذا الطريق

صفر سنة ١٣٥١ ق برج السرطان سنة ١٣١١ ش يونيه سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير القرآن الحكيم في مائة وعشرين جزءاً

(شبه منكري عالم الغيب على الوحي الالهي)

(وتصورم لنبو محمد ﷺ)

خلاصة رأي الماديين أن الوحي إلهام يفيض من نفس النبي الموحى اليه لا من الخارج ، ذلك أن نفسه العالية ، ومزينة الطاهرة ، وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عبادة وثنية ، وتقاليده وراثية ، يكون لها من التأثير ما يجعل في ذهنه ويحدث في عقله الرؤى والاحوال الروحية ، فيتصور ما يتقد جوبه إرشاداً إلهياً تازلأ عليه من السماء بدون واسطة ، أو يمثل له رجل يلقيه ذلك يستند أنه ملك من عالم الغيب وقد يسميه يقول ذلك ، وإنما يرى ويسمع ما يستند في البقطة كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام اقل هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع

الانبياء ، فكل ما يخبر به النبي من كلام ألقي في روعه أو ملك ألقاه على صممه فهو خبر صادق عنده

يقول هؤلاء الماديون: نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع، وإنما نقول ان منبع ذلك من نفسه ، وليس فيه شيء جاء من عالم الشيب الذي وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس، فان هذا شيء لم يثبت عندنا وجوده كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه ويلحقه بالحال، وإنما نفسر الظواهر غير المعتادة بما عرفنا وثبت عندنا دون ما لم يثبت

ويضربون مثلاً لهذا الوحي قصة جان دارك الفتاة الافرنسية التي قررت الكنيسة الكاثوليكية قداستها بعد موتها بزمان، وهذا التصوير الذي يصورون به ظاهرة الوحي قد سمرت شبهته الى كثير من المسلمين المرتابين الذين يقلدون هؤلاء الماديين في نظرياتهم المادية أو يقتنعون بها. وانني أفتتح الكلام في ابطال هذه الصورة الخيالية بالكلام على جان دارك فقد ألقي الى سؤال عنها نشرته مع الجواب عنه في صفحة ٧٨٨ من المجلد السادس من المنار (سنة ١٣٢١) وهذا نصه

(شبهة على الوحي)

حضرة الاستاذ الرشيد

عرضت لي شبهات في وقوع الوحي (وهو أساس الدين) فعمدت الى رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده - حيث وقع اختياري عليها - وقرأت في بابي (حاجة البشر الى الوحي) و (إمكان الوحي) فوجدت الكلام وجيباً معقولاً ، غير ان الحاجة الى الشيء لا تستلزم وقوعه ، وكذا إمكانه وعدم استحالة عقله لا يقتضي حصوله . ثم ما ذكر بعد من أن حالة النبي وسلوكه بين قومه وقيامه بمجالات الاعمال وبوقوع الخبير للناس على يديه هو دليل نبوته وتأيد بعثته ، فليس شيئاً ، فانه قد يكون (كون النبي حميد السيرة في عشرينه صادقا في دعوته - اعني معتقدا في نفسه - سببا في نهوض أمته ، ولا يكون كل ذلك مدعاة الى الاعتقاد به والتسليم له

وقد حدث بفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي اذ كانت مقهورة للانكليز

ان بنتا تدعى (جان دارك) من اجل النساء سيرة واسلمهن نية اعتقدت وهي في بيت اهلها بعيدة عن التكاليف السياسية انها مرسله من عند الله لا تقاذ وطها ودفع العدو عنه، وصارت تسمع صوت الوحي فأخلصت في الدعوة للقتال، وتوصلت بصديق ارادتها الى رئاسة جيش صغير وغلبت به العدو فعلا، ثم ماتت غيب نصرتها مودة الابطال من الرجال، إذ أخذها قومها، ووقعت في يد عدوها فألقوها في النار حية، فذهبت تاركة في صحائف التاريخ اسما يبقو نشره وتضوع رياه. وهي الآن موضع إجلال القوم وإعظامهم، فلقد تيسرت لهم النهضة بعدها وجروا في العلم والرفي بعيداً. فهل نجزم لذلك ان تلك البنت نبية مرسله ؟؟ ربما تذهبون الى ان عملها لا يذكر مقارنا بما انت به الرسل وما وصل للناس من الخير بسببهم، فأقول هل هناك من ميزان تزن به الاعمال النافعة لنيل ان كانت وصلت الى الدرجة التي يجب معها ان نصديق دعوة صاحبها ؟ وهل لو لمساعدت الصديق (كذا) رجلا على ان يكون اكبر الناس فعلا وأبقاهم أثرا واعتقد برسالة نفسه لوم قام (عنده) يفضي بنا ذلك الى التيقن من رسالته ؟ اظن أن هذا كله مضافا لتعريفه يدعو الى الرجوع ولا يستلزم اليقين ايدا. على انني أتظن ان تجدوا في قولي هذا خطأ تقنوني به أو تزيدوني ايضا حين تكشف به الحجاب وتناولون به الثواب هذا واني اعلم من فئة مسلمة ما أعلمه من نفسي ولكنهم يحفظون في الكتان، ويسألون الكتب خشية سؤال الانسان، ولكنني لا اجد في السؤال عارا، وكل عقل يخطيء ويصيب، ويزل ويستقيم (احد قرائكم).

﴿جواب المنازع﴾

لقد مررنا من السائل انه على تمكن الشبهة من نفسه لم يدعن لها تمام الاذعان، فيسترسل في تعدي حدود الدين الى فضاء الاهواء والشهوات التي تفسد الارواح والاجسام، بل أطاع شعور الدين الفطري، ولجأ الى البحث في الكتب، ثم السؤال ممن يظن فيهم العلم بما يكشف الشبهة، وقيم الحجة، وان كثيرا من الناس لينصرفون عن طلب الحق عند اول قذعة من الشبهة تلوح في فضاء أذهانهم، لانهم شبوا على حب التمتع والالتباس في اللذة، ويرون الدين صادراً لهم عن

الانحماك والاسترسال فيها ، فهم يحاولون إمانة شعوره الفطري ، كما امتاز
النشوء في الجهل برهانه الكسبي

ارى السائل نظر من رسالة التوحيد في المقدمات ووعاها ولكنه لم يدقق النظر
في المقاصد والنتائج ، لذلك نراه مسلما بالمقدمات دون النتيجة مع الزوم بينها ، فاذا
هو عاد الى مبحث (حاجة البشر الى الرسالة) وتديره وهو مؤمن بالله وانه أقام الكون
على اساس الحكمة البالغة والنظام الكامل فاني ارجو له أن يقتنع . ثم انني آتست
منه انه لم يقرأ مبحث (وقوع الوحي والرسالة) او لم يقرأه ولم يتديره ، فانه لم يذكر
البرهان على نفس الرسالة وبني الشبهة عليه وانما بناها على جزء من أجزاء المقدمات ،
وهي القول في بعض صفات الرسل عليهم السلام . واني اكشف له شبهته أولا فأبين
انها لم تقصب موضعها ثم أعود إلى رأيي في الموضوع

ان [جان درك] التي اشبهه عليه امرها بوحى الانبياء لم تهم بدعوة الى دين
او مذهب تدعي ان فيه سعادة البشر في الحياة وبعد الموت كما هو شأن جميع الرسلين ،
ولم تأت بأية كونية ولا علمية لا يهد مثلها من كسب البشر تتحدى بها الناس
ليؤمنوا بها . وانما كانت فتاة ذات وجدان شريف حاجه شعور الدين وحركته
مرعجات السياسة ، فتحرك ، فنفر ، فصادف مساعدة من الحكومة ، واستعدادا
من الامة للخروج من القل الذي كانت فيه ، وكان التحمس الذي حركته ميبا
للمحة الصادقة على المدعو وخذلانه . وما اسهل تهيج حماسة أهل فرنسا بمثل هذه
للثورات وبما هو أضعف منها ، فان نابليون الاول كلن يسوقهم الى الموت مختارين
بكلمة شعرية يقولها ككلمته المشهورة عند الاهرام

وأذكر السائل الفطن بأنه لم يوافق الصواب في إبعاد الفتاة عن السياسة ومذاهبها
فقد جاء في ترجمتها من دائرة المعارف (العربية للبستاني) ما نصه :

« كانت متوردة للاشغل خارج البيت كرحي المواشي وركوب الخيل الى العيين
ومنها الى الليت ، وكان الناس في جواردومري [أي بلاها] متمسكين بانظراته ،
ويعملون الى حزب اورليان في الاقسامات التي مزقت مملكة فرنسا ، وكانت جان

تشارك في المباح السياسي والحاسة الدينية، وكانت كثيرة التخيل والورع تصب ان تتأمل في قصص العذراء وعلى الاكثر في نبوة كانت شائعة في ذلك الوقت ، وهي ان احدي العذارى ستخلص فرنسا من اعدائها . ولما كان عمرها ١٣ سنة كانت تعتقد بالظهورات الفائقة الطبيعية وتتكلم عن اصوات كانت تسمعا ورؤى كانت تراها . ثم بعد ذلك يضع سنين خيل لها انها قد دعيت لتخلص بلادها وتزوج ملكها . ثم اوقع البرغنيور تمديدا على القرية التي ولدت فيها فعوى ذلك اعتقادها بصحة ما خيل لها »
ثم ذكر بعد ذلك توسلها الى الحكام وتعيينها قائدة لجيش ملكها وهجومها بمشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانكليز الذين كانوا يحاصرون أورليان ، وانها دفنهم عنها حتى رفعوا الحصار في مدة اسبوع ، وذلك سنة ١٤٢٩
ثم ذكر انها بعد ذلك زالت خيالاتها الحساسة ، ولذلك هوجمت في السنة التالية سنة ١٤٣٠ فانكسرت وجرحت وأسرت

فن ملخص القصة يعلم ان ما كان منها انما هو تهييج عصبي سببه التألم من تلك الحالة السياسية التي كان يتألم منها من نشأت بينهم مع معونة الخمس الديني والاعتقاد بالغرافات الدينية التي كانت ذاتة في زمنها . وهذا شيء عادي معروف السبب وهو من قبيل الذين يقعون باسم المهدي المنتظر كحمد احمد السوداني والباب (وكذا البهاء والقادياني) بل الشبهة في قصتها ابعد من الشبهة في قصة هذين الرجلين ، وان كانت اسباب النهضة متقاربة فان هذين كانا كأمثالهما يدعون الى شيء (ملفق) يزعمان انه اصلاح للبشر في الجملة

أين هذه النبوة المصيبة القصيرة الزمن ، المروعة السبب ، التي لادعوه فيها الى علم ولا اصلاح اجماعي ، الا المدافعة عن الوطن عند الضيق التي هي مشتركة بين الانسان والحيوان الاعجم ، التي لاحجة تممدها ، ولا معجزة تؤيدها ، التي اشتملت بنفخة وطفت بنفخة ؟ أين هي من دعوة الانبياء التي بين الاساذ الاماماتها حاجة طبيعية من حاجات الاجماع البشري ، طلبها هذا النوع بلسان استعداد فورها له المدير الحكيم الذي (اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فسار الانسان بذلك إلى كاله ، فلم يكن أدنى من سائر المخلوقات الحية النامية بل أرق وأعلى . وأين دليلها من أدلة

النبوة وأين أثرها من أثر النبوة ؟ إن الامم التي ارتقت بما أرشدها اليه تعليم الوحي إنما ارتقت بطبيعة ذلك التعليم وتأثيره ، وإن فرنسا لم ترتق بإرشاد (جان درك) وتعليمها ، وإنما مثلها مثل قائد انتصر في واقعة فصلة بشجاعته وبأسباب أخرى ليست من صنعه ، واستولت أمته بسبب ذلك على بلاد رقها بعلوم علمائها وحكمة حكماؤها وصنع صناعاتها ، ولم يكن القائد يعرف من ذلك شيئاً ولم يرشده اليه ، فلا يقال ان ذلك القائد هو الذي أصلح تلك البلاد ، وعمرها ومدنها ، وإن عد سبباً بعيداً فهو شبيه بالسبب الطبيعي ، كهبوب ريح نهبيج البحر فيفرق الاسطول وتنتصر الامة

أين حال تلك الفتاة التي كانت كبارقة خفت (أي ظهرت وأومضت) ثم خفيت ، وصيحة علت ولم تلبث أن خفت ، من حال شمس النبوة المحمدية التي أشرقت فأثارت الأرجاء ، ولا يزال نورها ولن يزال متألق السناء ، أي يتم قضى سن الصبا وسن الشباب هادئاً ما كنا لا يعرف عنه علم ولا تخيل ، ولا وهم ديني ، ولا شعر ولا خطابة ، ثم صاح على رأس الاربعين بالعالم كله صيحة « انكم على ضلال مبين ، فاتبعون أهدكم الصراط المستقيم » فأصلح وهو الامي أديان البشر هائتها وآدابها وشرائعها ، وقلب نظام الأرض قد دخلت بتعليمه في طور جديد ؟ لاجرم أن الفرق بين الحاليين عظيم إذا أمعن النظر فيه العاقل

لاسعة في جواب سؤال لتقرير الدليل على النبوة وإنما أحيل السائل على التأمل في بقية بحث النبوة في رسالة التوحيد ومراجعة ما كتبناه أيضاً من الامالي الدينية في النار لاسيا لدرس الذي عنوانه (الآيات بينات ، على صدق النبوات) وإن كان يصدق على رسالة التوحيد المثل « كل الصيد في جوف الغراء » فإن بقي عنده شبهة فالاولى أن يتفضل بزيارتنا لأجل المذاكرة الشفاهية في الموضوع ، فإن المشافهة أقوى بيانا ، وأنصهر بها ، ونحن نعهده بأن نكتم أسرهم وإن أبى فليكتب الينا ما يظهر له من الشبهة على ما في الرسالة والامالي من الاستدلال على وقوع النبوة بالفعل ، وعند ذلك نسهب في الجواب بما نرجو أن يكون مقنناً ، على أن المشافهة أولى كما هو معمول وكأنت لنا بالتجربة مع كثير من المشتبهين والمرتابين اه

هذا وان ما بينه الاسناد الامام في اثبات وقوع الوحي لا يستطيع أحد فهمه حق الفهم وهو يؤمن بوجود الله المليم الحكيم الفاعل المختار الا أن يقبله ويذعن له ، فانه ين أن الوحي والرسالة بالشيء الذي قرره لازم عقلي لملة تعالى وحكمته وكونه هو (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ولا يفهمه حق الفهم الامن أوتي نصيبا من علم الاجتماع وحكمة الوجود ومنه وأصول العقائد ، ونصيبا آخر من بلاغة اللغة العربية . وان نبوة محمد ﷺ ورسائله يمكن اثباتها بما دون هذه الفلسفة والبلاغة وهو ما قهر عقول علماء الافرنج على تصديق دعوته ، وحمل للماديين على تصويرها بما ينسبها فيآتي ونقفي عليه باثبات بطلانه

تفصيل الشبهة ودحضها بالحجة

قد فصل أميل درمنغام الشبهة التي اجعلها موثقة بما لم تر مثله لغيره من كتاب الافرنج حتى اغتر بكلامه كثير من المسلمين ، ولئن قال حكيمنا السيد جمال الدين لبعض مجادلي النصرانية : انكم فصلتم قبيساً من رقائق العهد القديم وألبستموها للمسيح عليه السلام . فحين نقول لم انكم فصلتم قبيساً آخر مما فهمتم من تاريخ الاسلام لا من قصصه وحلواتم خلعها على محمد ﷺ ، وانني أشرح هذه الشبهة بأوضح مما كتبه درمنغام وما بلغني عن كل احد منهم ، ثم أكر عليها بالنقض والدحض فأقول : (١) قالوا ان محمداً قد لقي بحيرا الراهب في مدينة بصرى بالشام ، وقالوا انه كان نسطوريا من أتباع آريوس في التوحيد وينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث وان محمداً لا بد أن يكون علمته عقيدته ، وقالوا في بحيرا ايضا انه كان عالماً فلياً منجماً وحاسباً ساحراً ، وانه كان يعتقد أن الله ظهر له وأنباء بأن سيكون هادياً لآل اسماعيل إلى الدين المسيحي . بل سمعنا من بعض الرهبان انه كان معلماً لمحمد ومضاجاً له بعد رسالته ، وان محمداً ما حرم البحر إلا لانه قتل أستاذه بحيرا وهو سكران ، وأمثال هذا من الافراء والبهتان ، وكل ما عرفه المسلمون من رواة السيرة النبوية ان النبي ﷺ لما خرج مع عه أبي طالب الى الشام وهو ابن تسع سنين

وقيل ١٢ سنة رآه هذا الراهب مع قريش ورأى صحابة تظله من الشمس وذكر لعمه انه سيكون له شأن وحذره عليه من اليهود - وفي المسألة روايات أخرى بمنها ضيقة الاسانيد إلا رواية للرمذي ليس فيها اسم بحيرا وفيها غلط في اللن وليس في شيء منها أنه عليه السلام سمع من بحيرا شيئا من عقيدته أودينه

(٢) قالوا ان ورقة بن نوفل كان من متنصرة العرب العلماء بالنصرانية وأخذ أقارب خديجة - يوهمون التاريء أنه عليه السلام اخذته شيئا من علم اهل الكتاب - والذي صرح من خبر ورقة هذا هو ما رواه الشيعان في الصحيحين وغيرهما من أن خديجة اخذته عليه السلام عقب اخباره بإياه برؤية الملك في جراه إلى ورقة هذا وأخبرته خبره وكان شيعا قد عمي ولم يلبث بعد ذلك أن توفي ولم يثبت ان النبي عليه السلام رآه قبل ذلك (وسأذكر نص الحديث في آخر هذا المبحث) وقد استقصى المحدثون والمؤرخون كل ما عرف عن ورقة هذا بما صرح عنده وبما لم يصح له سند كدأبهم في كل ماله علاقة بالنبي عليه السلام والاسلام فلم يذكر احد منهم انه عرف عنه دعوة إلى النصرانية او كتابة فيها . وإنما ورد في بعضها انه قال حين علم من خديجة خبر محمد : انه هو النبي المنتظر الذي بشر به المسيح عيسى بن مريم . وفي بعضها انه عاش حتى رأى بلالا يذب المشركون ليرجع عن الاسلام ولكن هذه الرواية شاذة مخالفة للحديث عائشة الصحيح انه كان عند بدء الوحي اعمى ولم ينشب أي لم يلبث أن مات ، وقد كان تمذيب بلال بعد إظهار دعوة النبوة ودخول الناس فيها وقد كان هذا بعد بدء الوحي ثلاث سنين - وأميل درمنتام قد غلط فيما نقله من خبر فترة الوحي لاختلاط الروايات عليه فيها وعدم اطلاعه على ما دون في كتب الحديث منها . وإنما كان هم المحدثين في خبر ورقة أن يعلموا انه كان محميا أم لا ، فان الصحابي هو من لقي النبي عليه السلام بعد البعثة مؤمنا به ، ولو بلغهم عنه أي شيء من علمه بالتوراة أو الانجيل لنقلوه

(٣) ما كان من انتشار اليهودية والنصرانية في بلاد العرب قبل الاسلام وتنصر بعض فصحاء العرب وشعرائهم كقص بن ساعدة الايادي وأمية بن أبي الصلت وإشادة هؤلاء بما كانوا يسمعون من علماء أهل الكتاب عن قرب ظهور النبي الذي بشر به موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء . وقد نشرنا بعض ما نقل عنهم في

التوراة والانجيل وكتب النبوات في تفسير (١٥٧) الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل من سورة الاعراف
فأما قس فقد مات قبل البعثة . وروي ان النبي ﷺ رآه قبل البعثة بزمان
طويل بخطب الناس في سوق عكاظ على جهله اوراق، بكلامه مونت، قال فيه: ان
ان لله ديناً خيراً من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد أظلم زمانه، وأدرككم اوانه ،
فلو لم أدركه فاتبه ، وويل لمن خالفه - والروايات في هذا ضعيفة ، وتعددتها
يدل على أن لها أصلاً

وأما أمية بن أبي الصلت الشقي فهو شاعر مشهور . قال ابو هبيدة اتفقت
العرب على ان أمية أشعر شقيف ، وقال الزبير بن بكار حدثني عبيد الله بن عمار
في الجاهلية نظر الكتب وقرأها وابس المسوح تعبداً وكان يذكر ابراهيم واما عيل
والحنيفية ، وحرم الحمر ويحجب الاوثان وطعم في النبوة لانه قرأ في الكتابان نبيا
يعث بالحجاز فرجا أن يكون هو . فلما بعث النبي ﷺ حمده فلم يسلم . وهو الذي
رأى قتلى بدر (المشركين) بالقصيدة التي أولها

ماذا يبدر والمقد قل من مرازة ججاج

وفي المرأة عن ابن هشام انه كان آمن بالنبي ﷺ فقدم الحجاز ليأخذ
ماله من الطائف وبهاجر فلم بغزوة بدر وقتل صناديد قريش فيها فجدع أنف
ناقته وشق ثوبه وبكى لان فيهم ابني خاله وعاد إلى الطائف ومات فيها . وصح
ان النبي ﷺ استشهد الشريد بن عمرو من شعره فأنشده فقال «كاد ان يسلم»
ولكنه كان حنيفياً على ملة ابراهيم ولم يتنصر ومن شعره

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة زور

(٤) إسلام سلمان الفارسي (رض) كان فارسياً مجوسياً فتنصر على يد بعض
الرهبان وصحب غير واحد من عبادهم وسمع منهم أو من آخرهم بقرب ظهور النبي
الذي بشر به عيسى والانبياء من العرب قصد بلاد العرب وبيع لبعض يهود
يثرب ظلاً وعدواناً ولم ير النبي ﷺ إلا بعد الهجرة فأسلم وكتب سيده . وفي
قصته روايات متعارضة هذا هو المراد منها لدرمنظام وغيره

(٥) ما كان من رحلة تجار قريش في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام واجتماعهم بالنصارى في كل منها كلما مروا بدير أو صومعة للرهبان، وكان هؤلاء النصرارى يتحدثون بقرب ظهور نبي من العرب

(٦) زعم درمنقام انه كان يوجد بمكة نفسها اناس من اليهود والنصارى ولكنهم كانوا عبيداً وخداما لان رؤساء قريش لم يكونوا يسمحون لهم أن يسكنوا في مكة حرمهم المقدس الخاص بوثنيتهم وأصنامهم . وكان هؤلاء يسكنون في أطراف مكة «في المنازل البعيدة عن الكعبة المتاخمة للصحراء»!! وكانوا يتحدثون بقصص عن دينهم لاتصل الى مسامع رؤساء قريش وعظماهم أو ما كانوا يحفلون بها لسماع أمثالها في رحلاتهم الكثيرة. ولكنه ذكر ان اباسفيان عتب على أمية بن أبي الصلت كثرة تكريره لما يذكره الرهبان من هذا الامر

فهذه مقدمات يذكرها كتاب الافرنج لتلليل مظهر به محمد ﷺ من دعوى النبوة على طريقته في الاستنباط وما يسمونه النقد التحليلي، ويقرون بها مقدمات اخرى في وصف حالته النفسية والعقلية وحالة قومه وما استفادها منها من تأثير وعبرة، فنلخصها مضمومة الى ما قبلها مع الامام بنقدها

(٧) قال درمنقام في كفالة أبي طالب لمحمد بعد وفاة جده: انه لم يكن غنياً فلم يتح له تعليم الصبي الذي بقي أمياً طول حياته (يوم القارىء ان أولاد المومنين بمكة كانوا يعملون كأن هنالك مدارس يعلم فيها النشء بالاجور كمدارس بلاد الحضارة وهذا باطل لا أصل له — ثم قال)

«ولكنه كان يستصعبه وإياه في التجارة فيسير والقوافل خلال الصحراء يقطع هذه الابعاد المتناهية وتحقق عيناها الجميلتان بمدين وادي القرى وديار نمود، وتستمع أذناه المرهفتان إلى حديث العرب والبادية عن هذه المنازل وحديثها وماضي تبها . ويقال انه في إحدى هذه الرحلات الى الشام التقى بالراهب ببحيرا في جوار مدينة بصرى وأن الراهب رأى فيه علامات النبوة على ما تدله عليه أبناء كتبه . وفي الشام عرف محمد احبار الروم ونصرانياتهم وكتبهم ومناوأة الفرس من عباد النار لم وانتظار الوقعة بهم»

كل ما ذكره درمنظام هنا فهو من مخترعات خياله ومبتدعات رأيه الا مسألة بحيرا
 الراهب فأصلها ما ذكرنا، وكأنه لم يحفل بإثباتها لما يعلمه من مقربات رجال الكنيسة فيها
 فمحمد ﷺ لم يذهب مع عمه الى التجارة في الشام إلا وهو طفل كما تقدم وقد
 أعاده إلى مكة قبل إتمام رحلته . ثم سافر اليها في تجارة خديجة وهو شاب مرة واحدة
 ولم يتجاوز سوق بصرى في المرتين . والقوافل التي تذهب الى الشام لم تكن تمر
 بمدين وهي في ارض سيناء . ولم تكن هذه القوافل تضع شيئاً من وقتها للبحث مع
 العرب او الاعراب في طريقها عن أنبأها والتاريخ القديم لبلادها ، ولم يعرف عن
 تجارها أنهم كانوا يعمنون ببقاء احبار النصارى ومباحثتهم في دينهم وكتبهم ، فن
 أين جاء درمنظام أن محمداً هو الذي كان يشتغل في تلك التجارة بالبحث عن الامم
 والتواريخ والكتب والاديان ويعني بقاء رؤسائها والبحث معهم ؟ انما اخترع هذا
 لانه لا يستطيع تحليل ما جاء في القرآن من قصص الرسل إلا به وكذلك الانباء
 بغلب الروم للفرس كما سيأتي . وسرى ما نفد به تحليله وتحليله وتركه على تقدير
 صحة ما زعمه كله

(٨) ثم ذكر درمنظام أن العرب ولاسيا أهل مكة كانوا يصرفون معظم
 أوقاتهم بعد ما يكون من تجارة أو حرب في الاستمتاع باللذات من السكر والتسري
 وغير ذلك ، وان التاريخ يشهد بان محمداً كان يراهم ولم يكن يشاركهم في ذلك
 لالغقره وضيق ذات يده قال « لكن نفس محمد كانت شغوفة بان ترى وأن تسمع
 وأن تعرف ، وكان حرمانه من التعليم الذي كان يعلمه أذاده جعله أشد للمعرفة
 شوقاً ونها تعلقاً ، بما أن النفس العظيمة التي تجلت من بعد آثارها ، وما زال يغمر
 العالم سلطانها ، كانت في توقها إلى الكمال ترغب عن هذا اللهو الذي يطمح اليه
 أهل مكة إلى نور الحياة المتجلي من كل مظاهر الحياة لمن هداه الحق اليها الاستكناه
 ما تدل هذه المظاهر عليه وما يحدث الموهوبين به »

هذا الخبر من مخترعات درمنظام فمحمد لم يكن شغوفاً بان يرى ما يفعله فساق
 قومه من فسق وجور ، ولأن يسمع ذلك ، ولا يتحرى أن يعرفه ، وقد ثبت
 عنه أنه لم يحضر سمرهم ولهموم الامرئين ألقى الله عليه النوم في كل منهما حتى طلعت

الشمس فلم ير ولم يسمع شيئاً ، وقد بطل بهذا ما همل به الخبر على ما فيه من المدح المتضمنين لدرستين (احدهما) أن أنداده في قریش كانوا متعلمين وكان هو محروماً مما لقنوه من العلم وكان حرمانه هذا يزيد شغفاً بالبحث والاستطلاع (والثانية) أن نفسه كانت بسبب هذا تزداد طموحاً إلى نور الحياة المتجلي في جميع مظاهرها لاستكناه ما تدل عليه هذه المظاهر ، فبهذه مدحة غرضه منها تمليل ما انبثق في نفسه بعد ذلك من الوحي ، وسرى بطلانه .

(٩) ثم ذكر درمنقام مسألة أبناء النبي ﷺ القاسم والطيب والطاهر وهو يشك في وجودهم ويقول إن تكنيته بأبي القاسم لا تدل على وجود ولد له بهذا الاسم وإنه ان صح انهم ولدوا فقد ماتوا في المهد ، والتحقيق أنه ولله غلام سماه القاسم وكني به وإنه مات طفلاً وقيل عاش إلى أن ركب الدابة وإن الطيب والطاهر لقبان للقاسم . ولكن درمنقام قد كبر مسألة موت هؤلاء الاولاد الذين يشك في وجودهم ، وبني عليها حكماً ، وأثرهما ، قال بعد أن زعم أن محمداً بنى زيد بن حارثة لأنه لم يطق على الحرمان من البنين صبراً :

«فن حق المؤرخ أن يجعل لهذا الحادث بل الحوادث الثلاثة التي أصابت محمداً في بنيه ماهي جديرة بأن تتركه في حياته وفي تفكيره من أثر . والامر كذلك بنوع خاص أن كان محمد أمياً ، فلم تكن المضاربات الجدلية (كذا) لتصرفه عن التأثير بعبر الحوادث ودروسها ، وحوادث ألمة ك وفاة أبناء جديرة بأن تستوقف تفكيره وأن تلفته في كل واحدة منها لما كانت خديجة تتقرب به إلى اصنام الكعبة وتنحرف لهبل واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تريد أن تقتدي نفسها من ألم الشكل فلا تفيد قربان ولا تهدي النحر »

« والامر كان كذلك لا ريب أن كانت عبادة الاصنام قد بدأت تنزعج في النفوس تحت ضغط النصرانية الآتية من الشام منحدره اليها من الروم ومن البن من تخليط اليها من خليج العرب (البحر الاحمر) من بلاد الحبشة »

غرض درمنقام من تكبير الصبية بموت الابناء للشكوك في ولادتهم هو أن يجعلها مسوقة لما اختلقه من توسل خديجة الى الاصنام بالقرابين لينفذوها من

مصيبة الشكل، ثم يستنبط من ذلك زعزعة إيمانها وإيمان بلها بمبادتها الذي كان سببه تأثير النصرانية في مكة وغيرها من بلاد العرب، ثم ليحصل ذلك من الاسباب التحليلية لتلميل الوحي لمحمد ﷺ - وهو ما تبني زيدا الا لانه أثر أن يكون عبداً له على أن يكون حراماً والدعوى عند ما جاء مكة لافتدائه بالمال فقال لها «ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم بغير فداء» ثم دعا ففسأه عن أبيه وعمره فمر فها قال «فانما قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترنى أو احقرها» فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحداً. أنت مني بمكان الاب والعم. فقالوا ويحك يا زيد أختار البودية على الحربة وعلى أهلك وعمك وأهل بيتك؟ قال قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً. فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه إلى الحجر فقال «اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه» فلما رأى ذلك أبوه وعمره طابت أنفسهم. فقدمي زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام. رواه ابن سعد ونحوه في سيرة ابن اسحق.

هذا وان محمدا لم يكن جزوا عند موت والدولاء غيره بل كان أصبر الصابرين، وان خديجة لم تياس بموت القاسم من الله ان يمن عليها بولد آخر، ولم تنحر للاصنام شيئاً. وان اللات كانت صخرة في الطائف تعبد بها قريش ولم تكن من أصنام قريش، والعزى كانت شجرة ببطن نخلة تعبد بها قريش وكثانة وغطفان، ومناة كانت صنماً في قديد لبني هلال وهذيل وخزاعة. وقد كان ما ذكره من ضعف الوثنية في ذلك العهد - وزعم انه سببه انتشار النصرانية - جديراً بأن يمنع خديجة وهي من أعقل العرب وأسلمهم فطرة وأقربهم الى الحنيفة ملة ابراهيم أن تهاجر الى هذه الاصنام لتتنحر لها وتترب اليها لترزقها غلاماً، فان لم يمنها عقلها وفطرتها فأجدر ببلها المصطفى أن يمنها من ذلك وهو عدو الوثنية والاصنام من طفولته كما يتصرف درمنقام - ولكن اتباع الهوى ينسي صاحبه ما لم يكن لينساه لولاء

(١٠) زعم درمنقام أن ما ذكره من تقلل النصرانية في بلاد العرب اوجد فيها حالة نفسية أدت الى زيادة إيمانهم فيما كانوا يسمونه في الجاهلية التحنث او التحنف وفرغ على ذلك قوله :

« وكان محمد يجد في التحنث طمأنينة لنفسه أن كان له بالوحدة شغف، وأن

كان يجد فيها الوسيلة الى ما يرح شوقه يشتد اليه من نشدان المعرفة واستلهاهم ما في الكون من اسبابها ، فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء يجبل أبي قيس مكتئباً بالقليل من الزاد يحمل اليه لمضي أياما بالنار طويلة في التأمل والعبادة بعيداً عن ضجة الناس وضوضاء الحياة »

وأقول : ان روايات المحدثين تفيد انه حبس اليه التحنث في غار حراء في العام الذي جاءه فيه الوحي وكان هو يحمل الزاد وما كان أحد يحمله اليه ، وما ذكره ابن اسحاق من تعبه فيه في شهر رمضان كل سنة انما كان في زمن فترة الوحي كما سيأتي وهما وصل درمنگام إلى آخر المقدمات التي تتصل بالنتيجة المطلوبة له فأرعى لحياله العنان ، ونزع من جواده اللجام ، ونخسه بالمهاز ، فعدابه سبجاً ، وجمع به جمحاً ، وقدحت حوافره له قدحا ، وأثارت له نغماً ، وأذن لشاعريته الفرنسية أن تصف محدداً عند ذلك الغار بما تحدثه في نفسه مشاهد نجوم الليل ، وما تسفحه به شمس النهار ، وما تصور أنه كان يراه في تلك القنة من الجبل من صحارى وقفار ، وخيام وآبار ، ورعاة تهش على غنمها حيث لا أشجار ، وقد اتقن التخييل الشعري ، ولكنه لم يوافق به الوصف الموضعي ، ثم قال مصوراً لما يبتغيه من مشاهداته **ملاحظ** : « وهذه النجوم في ليالي صيف الصحراء كثيرة شديدة البريق حتى يحسب الانسان أنه يسمع بصيص ضوئها وكأنه نغم نار موقدة

« حقا ! ان في السماء لشارات للمدركين . وفي العالم غيب بل الصالم غيب كله . لكن ! ألا يكتفي أن يفتح الانسان عينيهِ ليرى ، وأن يرهف أذنه ليسمع ؟ ليرى حقا ، وليسمع الكلم الخالد ! لكن للناس عيوناً لا ترى وآذاناً لا تسمع .. أما هو فيحسب أنه يسمع ويرى . وهل يحتاج لكي تسمع ما وراء السماء من أصوات إلا أن قلب خالص ونفس مخلصه وفؤاد مليء إيمانا ؟

« ومحمد في ريب من حكمة الناس فهو لا يريد أن يعرف إلا الحق الخالص الذي لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه باطل ، وهو لا يستطيع العيش إلا بالحق ، والحق ليس فيما يرى حوله ، فحياة القرشين ليست حقا ، وربما الزايرين وذهب البدو وهو الخلقاء وكل ما إلى ذلك لا شيء من الحق فيه . والاصنام المحيطة بالكعبة ليست حقا

وهبل الاله الطويل القदन الكثير المطور والملابس ليس آلهما حقا
» إذن فاين الحق وماهو «

» وظل محمد يتردد على حراء في رمضان من كل عام سنوات متتالية وهناك كان
يزداد به التأمل ابتغاء الحقيقة حتى لكان ينسى نفسه، وينسى طعامه، وينسى كل
ما في الحياة، لان هذا الذي يرى في الحياة ليس حقا. وهناك كان يقلب في صحف
ذهنه كل ماوعى، فيزداد عما يراول الناس من ألوان الظن رغبة وازوراراً : وهو لم
يكن يطعم في أن يجد في قصص الاحبار وفي كتب الرهبان الحق الذي ينشد، بل
في هذا الكون المحيط به: في السماء ونجومها وقرها وشمسها. وفي الصحراء ساعات.
لهيها المحرق تحت ضوء الشمس الباهرة اللاأواء، وساعات صفوها البديع إذ تكسوها
أشعة القمر أو أضواء النجوم بلباسها الرطب الندي، وفي البحر وموجه وفي كل
ماوراء ذلك مما يتصل بالوجود وتشمله وحدة الوجود - في هذا الكون كان يلتبس
الحقيقة العليا وابتغاء إدراكها كان يسمو بنفسه ساعات خلوته ليتصل بهذا الكون.
وليخترق شفاف الحجب الى مكثون سره

قال درمنغام : فلما كانت سنة ٦١٠ أو نحوها كانت الحال النفسية التي يعانيها
محمد على أشدها فقد أبهظت عاتقه العقيدة بأن أمراً جوهرياً ينقصه وينقص، قومه.
وان الناس نسوا هذا الامر الجوهري وتثبت كل بصنم قومه وقبيلته، وخشي
الناس الجن والاشباح والبوارح وأهلوا الحقيقة العليا، ولملهم لم ينكروها ولكنهم
نسوها نسياناً هو موت الروح. وقد خلصت نفس محمد من كل هذه الآراء التافهة،
ومن كل القوى التي تخضع لقوة غيرها ومن كل كائن ليس مظهرراً للكائن الواحد

ولقد عرف ان السبعين في الشام ومكة لم دين أوحى به وان اقواما غيرهم
نزلت عليهم كلمة الله وانهم عرفوا الحق ووعوه أن جاءهم علم من انبياء أوحى اليهم
به، وكلمة فضل الناس بشت السماء اليهم نبياً يهديهم الى الصراط المستقيم ويذكرهم
بالحقيقة الخالدة. وهذا الدين الذي جاء به الانبياء في كل الازمان دين واحد.
وكلمة افسده الناس جاءهم رسول من السماء يقوم عوجهم. وقد كان الشعب

المرابي يومئذ في اشد تبها الضلال . أفأ أن لرحمة الله أن تظهر فيهم مرة أخرى
وأن تهديهم الى الحق ؟»

« وتزايدت رغبة محمد عن الاجتماع بالناس، ووجد في وحدة غار حراء مسرة
تزداد كل يوم عمقا، وجعل يقضي الاسابيع ومعه قليل من الزاد وروحه تزداد
بالصوم والسير والادمان على تقليب فكرته عقلا وحدة . ونسي النهار والليل
والحلم واليقظة، وجعل يقضي الساعات الطوال جاثيا في النار، او مستلقيا في الشمس،
او سارًا بخطى واسعة في طرق الصحراء الحجرية، وكأنه يسمع الاصوات تخرج
من خلال أحجارها تناديه مؤمنة برسالته

« وقضى ستة أشهر في هذه الحال حتى خشي على نفسه عاقبة أمره فأسر بمخاوفه
الى خديجة فطمأنته وجعلت تحذره بأنه الامين وان الجن لا يمكن أن تقترب منه .
وفيا هو يوما نائم بالنار جاء ملك فقال له اقرأ ، قال « ما أنا بقاري » وكان
هذا أول الوحي وأول النبوة

«وهنا تبدأ حياة وحدة روحية قوية غاية القوة، حياة تأخذ بالابصار والالباب
ولكنها حياة تضحية خالصة لوجه الله والحق والانسانية»

أقول ان كل ما هنا من خبر أو جله فهو غير صحيح فنأين علم هذا الا فرنسي
أنه نسي الليل والنهار، والحلم واليقظة، وانه كان يقضي الساعات الطوال جاثيا في النار
او مستلقيا في الشمس الخ وانه قضى ستة أشهر في هذه الحال — قد افترى في الاخبار
تليست تليق منها انه صار صلوات الله عليه مغلوبا على عقله، غائبا عن حسه . واننا ننقل هنا
أصح الاخبار في خبر تحذره في النار الى ابي ذوات العدد لتفنيد مفترياته وللاستقناء
جها عما نقله من الخلط في الفصل الآتي - وهو ما رواه الشيخان البخاري ومسلم في
جميعهما . وهذا نص رواية البخاري رضي الله عنه

باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ﷺ

افتتح الباب بل الكتاب كله بروايته الحديث « انما الاعمال بالنيات » ثم قال :
حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن
عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله
ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي قال رسول الله ﷺ « أحيانا يأتيني
مثل صلصلة الجرس ^(١) وهو أشده علي فيفصم ^(٢) عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا
يتمثل لي الملك رجلا ^(٣) فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة رضي الله عنها ، ولقد

(١) للوحي معنى عام يطلق على عدة صور من الاعلام الخفي الخاص الموافق
لوضع اللغة منها الرؤيا الصادقة والنفث في الروح والالهام وإلقاء الملك ، وله معنى
خاص هو أحد الاقسام الثلاثة للتكليم الالهي الوارد في قوله تعالى (وما كان لبشر
أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء
إنه علي حكم) وهذا الحديث فيه وصف القسم الاول وذ كرنا لك ، وأما الثاني
وهو الكلام الالهي من وراء حجاب بدون واسطة فقد ثبت للنبي (ص) في ليلة
الاسراء والمعراج ولموسى عليها الصلاة والسلام. وغير هذه الثلاثة من الوحي العام
لا يعد من كلام الله تعالى التشريعي ، والرؤيا الصادقة والالهام بما وقع ويقع لغير الانبياء
(٢) المراد من التشبيه أنه صوت كصلصلة الحديد المتصلة المتدركة التي تسمع
من الجلالجل ونحوها ليس بكلام مؤلف من الحروف والاقترب أن سببه وجود الملائكة
وإن لم ير أحدا منهم في حال سماعه . وكافت هذه الحالة أشد الحالتين عليها كما
قال الحكم ابن خلدون انسلاخ من البشرية الجسمية واتصال بالملكة الروحية
والحالة الاخرى عكسها لانها انتقال الملك من الروحية المحضة الى البشرية الجسمية

(٣) يفصم وزان يضرب يثك ويثجلي
(٤) أي يظهر بصفة رجل ومثاله ، وذلك أن الملك روح عاقل مرید له قوة
التصرف في المادة فهو يأخذ من مادة الكون الصورة التي يريد بها وان علم الكيمياء
في هذا العصر يقرب إلى التصور هذا التصرف بما ثبت فيه من تحول كل مادة من
الكثافة إلى اللطافة وما بينهما بقوة الحرارة وأقواها حرارة الكبر بائية ، والملك
يصرف في الكبر بائية كما يشاء ، وقد شرحنا هذا المعنى في تفسير قوله تعالى (١٤٣:٧)
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) — راجع ص ١٦٢ — ١٦٧ ج ٩ تفسير

رأيت ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيقسم عنه وإن جئته ليتفصد عرقاً (١)
حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن غفيل عن ابن شهاب عن عروة
ابن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بيدي به رسول الله ﷺ من
الوحي الرؤيا الصالحة في النوم (٢) فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح،
ثم حبيب إليه الخلاء وكان يخلو بقار حراء فيتحنث فيه (٣) - وهو التعبد الليالي ذوات
العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى
جاءه الحق (٤) وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقاري (٥) قال

(١) كان من هذه الشدة عليه ما قاله العلامة ابن القيم في زاد المعاد: «حتى إن
راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ولقد جاءه مرة كذلك وضخه على
فخذ زيد بن ثابت فتقلت عليه حتى كادت ترضها اه

(٢) أكثر الرؤى أضغاث أحلام لها أسباب تنبئها في خيال النائم، والرؤيا الصالحة
عبارة عن نوع من انكشاف الحقائق للنفس المستعدة لا درا كما بما يكون وقت النوم من
صفاتها بعدم اشتغالها بمدركات الحواس وما تنبئها من الخواطر والأفكار، ورؤيا
الأنبياء قبل وحي التشرية تمهيد وتأسيس للنفس تهوي استعدادها لتلقي الكلام الإلهي
(٣) أصل التحنث انتهاء الحث أي الذنب أو مغلوب الصحنف وهو اتباع

الحنيفية مله إبراهيم . وهو رواية ابن هشام . وقوله وهو التعبد جملة تفسيرية لراوي
الحديث وهو ابن شهاب الزهري فهو مدرج في الحديث والليالي ظرف متعلق بمتحنث
(٤) وفي رواية فجاءه الحق أي بنته والمراد به الوحي الصريح الذي هو من كلام
الله تعالى ، وهذه الرواية الناجية في الصحيحين صريحة في أن هذا كان في البقعة ،

وفي سيرة ابن هشام أن جبريل جاءه في المنام ، وهي من مراسيل عمرو بن عبيد وهو
هبة وله صحبة ولكن رواية الصحيحين المستندة هي المعتمدة ، وجمع بعضهم بين
الروایتين بأنه رآه أولاً في المنام فاستقرأه ثم رآه في البقعة ، ولو وقع هذا في المنام لزال
(ص) خوفه ورعبه بمجرد البقعة ولم يذهب إلى خديجة يرجف فؤاده

(٥) الظاهر أن الأمر بالقراءة أمر تكويني لا تكليفي أي كن قارئاً ولذلك
قال له في الثالثة اقرأ باسم ربك أي كن قارئاً باسمه ومن قبله وبإقراره أبالك على
القراءة لا بجمالك وقوتك فهو يعلم أنك أمي لا يتعلق كسبك واستطاعتك بالقراءة
أما وقد شاء ربك - الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، وهو الحيوان المنوي
أو أول ما يتحول إليه نطفة الزوجين بعد العلوق فجعله بشراً سوياً يسمع ويبصر
ويعقل - أن يجعلك قارئاً لما يوحى إليك لتقرأ على الناس فأنت تكون قارئاً

فأخذني فغطني (١) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق * الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم) (٢) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر « لقد خشيت على نفسي » (٣) فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً (٤) إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المدوم وتقري

(١) فسروا الغط بالضم الشديد الضبا غط فقالوا أي ضمني وعصري وفي رواية الطبري للحديث فتني بالثناة القوية وعليها ابن هشام وهي بمعنى غطني وأصل معناها الغمس في الماء وضيق النفس وحكمة هذا الغط تقوية روحانية النبي (ص) حتى يقوى على الاتصال بالملك والقهم منه .

(٢) اختصره هنا وزاد في التفسير (الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) (٣) اختلف العلماء في خوفه (ص) على نفسه فقيل خشي الجنون وإن يكون مارآه من الجن وقد أنكره ورده القاضي أبو بكر بن العربي ووافقه الحافظ ابن حجر ولكن الحافظ قال أنه روي من عدة طرق أقول وهو الظاهر مما أجابته به خديجة واستشكل بأن الوحي يكون مقترنا بعلم قطعي بأنه من الله وإن الملقن له من الملائكة وأجيب بأن هذا العلم الضروري يحصل باستعراف الملك له وإعلامه إياه بذلك عند تأقيته الأمر بالتبليغ وإنما كان ظهور الملك له هي المرة لاجل الانبساط والاعداد لتلقي وحي الأحكام ، والأمر فيه بالقراءة للتكوين للتكليف ، والأمر من تكليف ما لا يطاق . وقيل أنه خاف على نفسه الموت أو الهلاك وهو قريب وتم أقوال أخرى متكفة . وهو على كل حال يدل على أنه (ص) لم يفهم من هذا الرؤيا أنه صار نبيا ولا أن الذي رآه هو ملك الوحي جبريل عليه السلام ويؤيد ذلك مسألة ورقة

(٤) الخزي الذل والهوان وإخزاه أذله وإهانته . والكل بالفتح التبع (فتفتح العين) ومن هوالة على غيره ، وحله أعطاه راحلة يركبها أو حمل أقاله ، وتكسب يفتح اللام وضمها لغة ورواية ، والمدوم المتعود ولا يظهر معناه إلا بكتف وقال الخطيب البواب المدم وهو الفقير الفاقد لما يكتفيه ، والإعانة على نواب الحق كلمة جامعة لكل أعمال البر والنجدة والمروءة فيما عدا الباطل

الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب (١) وكان شيخاً كبيراً قديماً، فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى، فقال له ورقة هذا الناموس (٢) الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً لئنني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أو يخرجني؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإني أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفي (٣)

(١) وفي رواية التفسير يكتب من الانجيل بالعربية، وفي معناها رواية مسلم: فكان يكتب الكتاب العربي. ولانفا في بين الروايات اذا كان يعرف اللغتين وورقة ابن عم خديجة واما قولها له اسمع من ابن أخيك فهو من باب التوقير لسنه واستعطاف الرحم (٢) الناموس في اللغة صاحب السر والمراد به امين الوحي جبريل وقوله نزل على موسى ولم يقل وعيسى لان الشبه بين الوحي الى موسى ومحمد عليهما السلام اتم لان كلا منهما اوتي شريعة تامة مستقلة في عباداتها ومعاملاتها وسياساتها وقوتها العسكرية وعيسى عليه السلام كان تابعا لشريعة التوراة وناسخا لبعض الاحكام التي يقتضيها الاصلاح ومبشرا بالنبي الذي يأتي من بعده بالشرع الكامل الدائم وهو محمد رسول الله وخاتم النبيين ، وفي بعض الروايات الضعيفة ان ورقة قال ناموسي عيسى وفي رواية اخرى حسنة الاسناد في دلائل النبوة لابي نعيم ان خديجة جاءت ورقة وحدها واولا فقد كرت له الخبر فقال لها : لئن كنت صدقتني انه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو اسرائيل ابناهم اه والناموس واحد على كل حال . ولكن رواية الصحيحين « فانطلقت به » تدل على التعقيب اي انها ذهبت به عقب تحديقها بما رآى (٣) لم ينشب بفتح العين المسجدة أي لم يلبث بعده هذا أن توفي ولم يبل ما يمتناه من إدراك زمن تبليغ الرسالة لينصر النبي (ص) ولكن في سيرة ابن اسحاق وتبعه غيره أن ورقة كان يمر بيلال وهو يذهب، ومقتضاه أنه أدرك زمن البشة واضطهاد المشركين للمؤمنين . والمعتمد ما في الصحيح من انه توفي عقب هذا الحديث بقليل

وقرة الوحي (١)

قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن وقرة الوحي فقال في حديثه «بيننا أنا ماش إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرفعت منه فرجعت فقلت زملوني فأترل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر) إلى قوله (والجز فاهجر) فغفي الوحي وتتابع (٢) اهـ
(وأقول) أخرج البخاري حديث جابر في تفسير سورة المدثر من طرق في بعضها

(١) فقر الوحي انقطع موقفاً ليعود - وكانت فترة الوحي ثلاث سنين - وهي ما بين بدءه بأمر جبريل له بالقراءة وبين نزول أول سورة المدثر التي أمر فيها بإذنا الناس (٢) أي الأصل مدة التبايخ كلها وهي عشرون سنة ولكنه كان نجوماً متفرقة حسب الحاجة فتارة تنزل السورة دفعة واحدة ، وتارة تنزل الآيات المتفرقة ، وقد يكون بين ذلك فترات قصيرة ، كالذي ورد في سبب نزول سورة الضحى . وقد احتلظ الأمر في هذا على درمنتام فظن أنها هي التي نزلت بعد فترة الوحي ، والمروي أنه نزل قبلها بضع سور : وكان سبب نزولها كما في الصحيحين من حديث جندب بن سفيان أن النبي (ص) اشتكى (أي وجع) فلم يقدّم ليلتين أو ثلاثاً (أي إلى شجده وتلاوته) فقامت امرأته يا محمد أتني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أوه قربك منذ ليلتين أو ثلاث. فأترل الله عز وجل (والضحى والليل إذا سجى) وما ودعك ربك وما قلى) اهـ ثم أقرأ ودعك بالشديد والتخفيف ومعناها واحد وهو الترك ، والقلى بالكسر والقبر البفض ، أي ما تركك ربك وما أبغضك - وهذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب وبنت أبي سفيان كما رواه الحاكم عن زيد بن أرقم . وكان هذا بعد نزول سورة (تبت يدا أبي لهب) وروى ابن جرير من طريقين منسولين أن جبريل أبطأ على النبي (ص) فخرج جزءاً شديداً فقالت خديجة أتني أرى ربك قد قلاك بما يرى من جزعك فنزلت - ومعارضة رواية الصحيحين لما في الرواية المرسلة تسقط اعتبارها وإن جم الحافظ بينهما بأن خديجة قالت ما قالت توجسا ، وحالة الخطب قائلة شامة

أن أولها أول ما أنزل مطلقا وفي البعض الآخر أنها من حديث النبي ﷺ عن قرة الوحي كالتي هنا وقد عبر ﷺ عن رعبه من رؤية الملك بقوله « فخشيت منه رعبا » وفي رواية أخرى « فخشيت منه حتى هويت الى الارض » أي فزعزت وخفت وهو بضم الجيم وكسر الهمزة بالبناء للمفعول

هذا هو المعتمد عند المحدثين في أول ما أنزل من القرآن . وقال مجاهد أول ما أنزل سورة (ن والقلم) وهو غلط وروي عن علي كرم الله وجهه أن أول ما أنزل سورة الفاتحة واعتمده شيخنا في توجيه كونها فاتحة الكتاب ويمكن أن يراد أنها أول سورة تامة نزلت بعد بدء الوحي بالتمهيد التكويني ثم بالامر بالتبليغ الاجمالي وتلاها فرض الصلاة (بسط ما يصورون به الوحي النفسي لمحمد ﷺ)

ها ، نذا قد بسطت جميع المقدمات التي استنبطوها من تاريخ محمد ﷺ وحالته النفسية والعقلية وحالة قومه ووطنه ، وما تصوروا أنه استفادته من أسفاره ، وما كان من تأثير خلواته وتحشيه وتفكره فيها ، وقفيت عليها بأصح ما رواه المحدثون في الصباح من صفة الوحي وكيف كان بدؤه وقترته ، ثم كيف أمر ﷺ بتبليغه ودعوة الناس الى الحق وكيف حيي وتابع

وأبين الآن كيف يستنبطون من ذلك أن هذا الوحي قد نبع من نفس محمد وأفكاره بتأثير ذلك كله في وجدانه وعقله ، بما لم أر ولم أسمم مثله في تقزيه الي العقل ، ثم أقفي عليه بما ينقضه من اساسه بادلة العقل والنقل والتاريخ والصحيح من وصف حالته ﷺ فأقول

يقولون ان عقل محمد المهيولاني قد أدرك بنوره الذاتي بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الاصنام كما أدرك ذلك أفراد آخرون من قومه — آمننا وصدقنا — وان فطرته الزكية قد احتقرت ما كانوا يتنافسون فيه من جمع الاموال بالربا والقباز — آمننا وصدقنا — وان فقره وفقر عمه (ابي طالب) الذي كفه صغيرا قد حال دون انقاسه فيما كانوا يسرفون فيه من الاستمتاع بالشهوات ، من السكر والتسري وعزف القيان — الصحيح أنه ترك ذلك احتقاراً له لا عجزاً عنه —

وانه طال تفكره في إقناضهم من ذلك الشرك القبيح وتطهيرهم من تلك الفواحش والنكرات - لا مانع من ذلك - وانه استفاد من أسفاره وعن لقيه فيها وفي مكة نفسها من النصارى كثيراً من المعلومات عن النبيين والمرسلين الذين بشهم الله في بني اسرائيل وغيرهم فأخرجهم من الظلمات الى النور - هذا لم يصح عندنا ولا يضرنا - وان تلك المعلومات لم تكن كلها مقبولة في عقله لما عرض للنصرانية من الوثنية بألوهية المسيح وأمه وغير ذلك وما حدث فيها من البدع - هذا مبني على ما قبله فهو معقول غير منقول - وانه كان قد سمع ان الله سيبعث نبياً مثل أولئك الانبياء، من العرب في الحجاز قد بشر به عيسى المسيح وغيره من الانبياء - وان هذا خلق بنفسه فتملق رجاؤه بان يكون هو ذلك النبي الذي آنأه - وهذا استنباط لهم بما قبله وسيأتي ما فيه - ونتيجة ما تقدم أنه توصل الى ذلك بالانقطاع الى عبادة الله تعالى والتوجه اليه في خلوته بفار حراء قروي هنالك ايمانه، وسما وجدانه، فاتسع محيط تفكره، وتضاعف نور بصيرته، فاهتدي عقله الكبير الى الآيات البينات في ملكوت السموات والارض على وحدانية مبدع الوجود، وسر النظام الساري في كل موجود، بما صار به اهلاً لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور، وما زال يفكر ويتأمل، وينفعل ويتملّل، ويتقلب بين الآلام والآمال، حتى أيقن انه هو النبي المنتظر، الذي يمشه الله هداية البشر، فتجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى اللامية، ثم قوي حتى صار يتمثل له الملك يلقيه الوحي في القفلة . وأما المعلومات التي جاءت في هذا الوحي فهي مستمدة الاصل من تلك المعلومات التي ذكرناها، وبما هداه اليه عقله وتفكره في التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح، ولكنها كانت تتجلى له نازلة من السماء، وأنها خطاب الخالق عز وجل بواسطة التاموس الأكبر ملك الوحي جبريل الذي كان ينزل على موسى بن عمران وعيسى بن مريم وغيرهما من النبيين عليهم السلام . وقال أحد ملاحدة المصريين إن شولون الحكيم اليوناني وضع قانوناً وشرعية لقومه فايس بدعا في العقل أن يضع محمد شرعية أيضاً

(تنفيذ تصويرهم للوحي النفسي وإبطاله من وجوه)

(الوجه الاول) ان اكثر المقدمات التي أخذوا منها هذه النتيجة هي آراء متخيلة ، أو دعاوي باطلة ، لا قضايا تاريخية ثابتة ، كما يبناء عند ذكرها ، وإذا بطلت المقدمات بطل التسليم بالنتيجة

مثال ذلك زعمهم ان محمداً ﷺ سمع من نصارى الشام خبر غلب الفرس وظهورهم على الروم ، ليوهما الناس ان ما جاء في أول سورة الروم من الانباء بالسألة وبأن الروم سيغالون الفرس بعد ذلك — هو مستمد مما سمعه ﷺ من نصارى الشام . وهذا مردود بدلائل التاريخ والعقل . فأما التاريخ فانه يحدثنا بأن ظهور الفرس على الروم كان في سنة ٦١٠ م وذلك بعد رحلة محمد الاخيرة الى الشام باربعة عشرة سنة وقبل بدء الوحي بسنة . ثم ان التاريخ أنبأنا ان دولة الروم كانت محتلة ممثلة في ذلك العهد بحيث لم يكن أحد يرجو ان تعود لها الكرامة والقلب على الفرس . حتى ان أهل مكة أنفسهم هزئوا بالخبر وراهن أبوبكر أحدكم على ذلك وأجازته النبي ﷺ فربح الرهان . وأما العقل فانه يحكم بان مثل عمد في سمو إدراكه للتفوق عليه لا يمكن أن يجزم بان القلب سيعود قروم على الفرس في مدة بضع سنين — لا من قبل الرأي ولا من الوحي النفسي المستمد من الاخبار غير الموثوق بها . وقد صح أن انتصار الروم حصل سنة ٦٢٢ م وكان وحي التبليغ للنبي ﷺ سنة ٦١٤ فإذا فرضنا أن سورة الروم نزلت في هذه السنة يكون النصر قد حصل بعد ثماني سنين وان كان في السنة الثانية تكون المدة سبع سنين ، وهو المعتد في التفسير والبضع يطلق على ما بين الثلاث والتسع . والحكمة في التعبير عن هذا النبأ بقوله تعالى (غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغالون في بضع سنين) ولم يقل بعد سبع سنين أو ثمان مثلاً هي إفادة أن القلب يكون في الحرب الممتدة في هذه المدة . وأنباء الوحي والعبر لا تكون بأسلوب التاريخ الذي يحدد الوقائع بالسنين ، وليس في وعود القرآن الكثيرة للمسلمين بالنصر وغيره من أنباء النبي ذكر السنين ولا الشهور فهذه الآية فريدة في بابها

ومثال آخر ما زعموه من مروره ﷺ في رحلته الى الشام بارض مدين وحديثه مع أهلها، الذي أرادوا به ان يملوه أصلاً لما جاء في القرآن من أخبارها ، والخبر باطل كما بيناه عند نقلنا إياه في القدمات ، ولو صح لما كان من العقول أن يكون ماسمعه في الطريق من أناس مجهولين ومعارفهم لا يوثق بها أصلاً للوحي الذي جاءه في قصة موسى وفي قصة شعيب عليهما السلام .

(الوجه الثاني) لو كان النبي ﷺ تلقى عن علماء النصارى في الشام شيئاً او عاشرهم انقل ذلك اتباعه الذين لم يتركوا شيئاً علم عنه اوقيل فيه ولو لم يثبت الا ودونوه ووكلوا أمر صحته أو عدمها الى اسناده

(الوجه الثالث) لو وقع ما ذكر لا نخذه أعداؤه من كبار المشركين شبهة يحتجون بها على ان ما يدعيه من الوحي قد تعلمه في الشام من النصارى ، فانهم كانوا يوردون عليه ما هو اضعف واسخف من هذه الشبهة وهو انه كان في مكة حين (حداد) زوي يصنم السيوف وغيرها فكان النبي ﷺ يقف عنده احياناً يشاهد صنمته فاتهموه بأنه يتعلم منه ، فرد الله عليهم بقوله (١٦ : ١٠٣) ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر. لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين .

(الوجه الرابع) نصوص القرآن صريحة في انه ﷺ لم يكن يعرف شيئاً من اخبار الرسل وقصصهم قبل الوحي ، وهم متفقون معنا على انه ﷺ لم يكن يكذب على احد فضلاً عن الكذب على الله عز وجل ، كما اعترف بذلك أعدى أعدائه أبو جهل ، كما أنهم متفقون معنا على قوة إيمانه بالله عز وجل وبقينه بكل ما أوحاه اليه

ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى عقب قصة موسى في مدين وما ينسبها من سورة القصص (٢٨ : ٤٤) وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ٤٥ ولكننا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاوياً في أهل مدين يتلو عليهم آياتنا ، ولكننا كنا مرسلين) وقوله بعد قصة نوح من سورة هود (١١ : ٤٩) تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين)

(الوجه الخامس) أنه لم يرد في الاخبار الصحيحة ولا الضميمة ان محمداً ﷺ

كان يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي كان يتحدث عنه بعض علماء اليهود والنصارى قبل بئس، ولو روي عنه شيء من ذلك لدونه المحدثون لانهم ما تركوا شيئاً بلغهم عنه إلا ودونوه كما روروا مثله عن امية بن ابي الصلت

(الوجه السادس) ان حديث بدء الوحي الذي أثبتته الشيخان في الصحيحين وغيرهما من المحدثين صريح في انه ﷺ خاف على نفسه لما رأى الملك أول مرة ولم يجد زوجه خديجة بنت خويلد العاقلة للفكرة وسبيلة يطمئن بها على نفسه وتطمئن هي عليه إلا استفتاء أعلم العرب بهذا الشأن وهو ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان تنصر وقرأ كتب اليهود والنصارى

(الوجه السابع) لو كانت النبوة أمراً كان يرجوه محمد ويتوقعه، وكان قد تم استعداده له باختلافه وتمبده في الغار، وما صوروا به حاله فيه من الفسك المضطرب، والوجدان الملتهب، والقلب للقلب، حتى إذا كل استعداده تجلى له رجاؤه واعتقاده، بما تم به مراده، لظهر عقب ذلك كل ما كانت تنطوي عليه نفسه الوثابة، وفكرته الواقعة، في سورة أو سور من أبلغ سور القرآن، في بيان أصول الايمان، وتوحيد الديان، واجتثاث شجرة الشرك وعبادة الاوثان، وإبذار رموس الكفر والطغيان، ماسيلفون في الدنيا من الحزبي والنكال، وفي الآخرة من عذاب النار، كسور للفصل ولا سيما [ق والقرآن المجيد] والاداريات والطور والنجم والقمر. ثم الحاقة والنبأ — اوفي سورة من السور الوسطى التي تفرعهم بالحجج، وتأخذهم بالمبر، وتضرب لهم المثل بسنن الله في الرسل، كسور الانبياء والحج والمؤمنون، ولكنه ظل ثلاث سنين لم يتل فيها على الناس سورة، ولم يدعهم على شيء، ولا تحدث إلى اهل بيته ولا إلى أصدقائه بمسألة من مسائل الاصلاح الديني الذي توجهت اليه نفسه، ولا من ذم خرافات الشرك الذي ضاق به ذرعه، اذ لو تحدث بذلك لتقلوه عنه، وناهيك بألصق الناس به خديجة وعلي وزيد بن حارثة في بيته، وأبي بكر الصديق الذي عاشره طول عمره — فهذا السكوت وحده برهان قاطع على بطلان ما صوروا به استعداده للوحي الثاني الذي زعموه، واستعداده لمعلومه من التاتقي الذي توهموه

المنازل: ج ٦ م ٣٢ كون الوحي الحمدي فوق معارف أهل الكتاب وكتبهم ٤٢٧

(الوجه الثامن) ان ما نقل من ترتيب نزول الوحي بعد ذلك موافقاً لما جرت
الوقائع والحوادث يؤيد ذلك ، فقد نزل ما بعد صدر سورة المدثر عقب قول
الوليد بن المغيرة المخزومي الذي قاله في القرآن — فقد أراده ابو جهل أن يقول
فيه قولاً يبلغ قومه انه منكر له وانه كاره له ، بعد ان علم انه يحرم استماعه من محمد
ﷺ واعجب به . قال له الوليد وماذا اقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر
لا يبرجه ولا يقصده مني ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ،
والله ان لقوله لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمنير أعلاء ، مشرق اسفل (١) وانه
ليعلم وما يعل ، وانه ليحطم ماتحته . قال ابو جهل لا يرضى عنك قومك حتى تقول
فيه . فقال ذهني حتى أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر يا ثرء من غيره ، فقلت
الآيات (٧٤ : ١١ ذرني ومن خلقت وحيداً) الخ رواه الحاكم عن ابن عباس
باسناد صحيح على شرط البخاري

(الوجه التاسع) ان هذه المعلومات الحمديّة التي تصورها هؤلاء المحلون
لمسألة الوحي قليلة المواضع ضيقة النطاق عن أن تكون مصدراً لوحي القرآن
وان القرآن لأعلى وأوسع وأكمل من كل ما كان يعرفه مثل مجرأ ونسطور
وكل نصارى الشام ونصارى الارض ويهودها ، دح الاعراب الذين كان يرميهم
النبي ﷺ بالطريق إلى الشام

وان القرآن نزل مصداقاً لكتب أهل الكتاب من حيث كونها في الاصل
من وحي الله الى موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم — ونزل أيضاً مهيناً عليها
أي رقيقاً وحاملاً كما نصت عليه الآية (٤٨) من سورة المائدة (٦) وبما حكم به على
أهلها من اليهود والنصارى انهم أوتوا نصيباً من الكتاب (٥ : ٥١ و٤٤) ونسوا
قصيباً أو حفظاً آخر منه وانهم حرفوا وغيروا وبدلوا (١٢ : ١٣) وبين كثير آ
من المسائل الكبرى مما خالفوا واختلفوا فيه من العقائد والاحكام والاخبار ،
ومثل هذه الاحكام العليا عليهم لا يمكن أن تكون مستمدة من أفراد من الرهبان
أو غير الرهبان ، فأضوها على محمد في رحلته التجارية الى الشام ، سواء أ كان عند
١٠ وفي رواية : وان اعلاه لثمر ، وان اسفله لمخدر .

بعضهم بقية من التوحيد الموسوي والميسوي الذي كان يقول به آريوس وأتباعه. أم لا وسواء أكان لدى بعضهم بقية من الانجيل التي حكمت الكنيسة الرسمية بعدم قانونيتها (ابو كريف) كأنجيل طفولة المسيح وأنجيل برنابا أم لا، فمحمد لم يقف في الشام ولا في مكة محمداً مسيحياً كجامع الكنيسة للتجسيح بين الانجيل والمذاهب المسيحية ويحكم بصحة بعضها دون بعض.

ان وقوع مثل هذا منه في تلك الرحلة مما يعلم واضعو هذه الاخبار ببداهة العقل أنه محال، وعلى فرض وقوعه يقال كيف يمكن أن يحكم بين تلك الانجيل وتلك المذاهب برأيه في تلك الجلسة التجارية للنظر فيها ويأمن على حكمه الخطأ؟ وقد صرح عنه أنه قال لاصحابه في شأن أهل الكتاب «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» يعني فيما سكت عنه القرآن لثلا يكون ما كذبوهم فيه مما حفظوا، ويكون ما صدقوهم به مما نسوا حقيقته أو حرفوا أو بدلوا.

(المأثر) أن في القرآن ما هو مخالف للمهدين العتيق والجديد وهو مما لا يعلم إلى الآن أن أحداً من اليهود والنصارى قال به، كخالفه سفر الخروج فيمن تبنت موسى فيه أمها ابنة فرعون وفي القرآن أنها امرأته - فيما قرره من عزو صنم العجل الذي عبده بنو اسرائيل إلى هارون عليه السلام بمزوه إياه إلى السامري واثباته لانكار هارون عليهم فيه وغير ذلك،

بل ناجاه به محمد أكبر وأعظم من كل ما في الكتب الالهية ما صرح منها وما لم يصبح كما سنبينه

رويدكم أيها الفتاتون، الذين يقولون مالا يعلمون، إن وحي القرآن أعلى مما تزعمون، وأكبر مما تصورون وتصورون وإن محمداً أقل علماً كسيباً مما تدعون، وأكل استعداداً لتلقي كلام الله عن الروح القدس مما تستكبرون.

وإذا كان وحي القرآن أعلى وأكل من جميع ما حفظ عن أنبياء الله ورسله لأنه الخاتم لهم للكل لشرائهم الخاصة للوقوة، فأجدر به أن يكون أكل مما وضعه سولون الفيلسوف اليوناني الذي شبه محمداً به أحد ملاحدة عصرنا في مصرنا، مع بعد الشبه بين أمي نشاين الامنيين، وفيلسوف نشأ في أمة حكمة وتشريع ودولة.

المنار : ج ٦ م ٣٢ القول الحق في استمداد محمد الفطري دون الكسبي للنبوة ٤٢٩

وسياسة ، ودخل في كل أمور الامة والدولة (١)

القول الحق في استمداد محمد (ص) للنبوة

التحقيق في صفته حال محمد ﷺ من أول نشأته، وإعداد الله تعالى إياه لنبوته ورضائته، هو أنه خلقه كامل الفطرة ، ليعيشه بدين الفطرة ، وأنه خلقه كامل العقل الاستمدادي الهيو لاني، ليعيشه بدين العقل والنظر العلمي، وأنه كمله بمالي الاخلاق ، ليعيشه متممًا لمكارم الاخلاق ، وأنه بنض اليه الوثنية وخرافات اهلها وردائهم من صغر سنه، وجب اليه العزلة حتى لاتأنس نفسه بشيء مما يقتافسون فيه من الشهوات والذات البدنية ، او منكرات الوحشية ، كسفك الدماء والبغي على الناس ، او المعاطم الدنيئة كأكل أموال الناس بالباطل - ليعيشه مصلحًا لما فسد من أنفس الناس، ومزكياً لهم بالتأسي به، وجعله للثل البشري الاعلى، لتنفيذ ما يوجه اليه من الشرع الاعلى ، فكان من عفته أن صلح من سني شبابه خساً وعشرين سنة مع زوجه خديجة كانت في ١٥ منها عجوزاً يائسة من النسل، فتوفيت في الخامسة والستين وهي أحب الناس اليه، وظل يذكرها ويفضلها على جميع من تزوج بهن من بعدها حتى عاشت بنت صاحبه الصديق على جمالها وحدائثها وذكائها وكال استمدادها للتبليغ عنه - وظل طول عمره يكره سفك الدماء ولو بالحق فكان على شجاعته

١) سولون أحد فلاسفة اليونان السبعة في القرن السابع قبل المسيح والذته من انساب بسترآتوس آخر ملوك اثينا ، وكان من رجال المال ورجال الحرب وتولى في بلاده بعض الاعمال الادارية والعسكرية وقيادة الجيش . وقد انتخب في سنة ٥٩٤ ق.م «ارخونا» اي رئيسا على الامة باجماع احزابها كلهم .وقد وه سلطنة مطلقة لتضير ما شاء من قظم البلاد وقانونها الذي وضعه «زراكوت» من قبله فوضع لهم نظاما جديدا قررت الحكومة والامة اتخاذه دستوراً متبعاً مدة عشرين .فسولون كان في قانونه متقناً ومجدداً لقانون اعظم امة من امم الحبكة والحضارة نشأ فيها فكان متعلماً وفيلسوفاً وحاكماً وقائداً ورئيساً ، أفقاس عليه محمد (ص) الاعمى الذي لم يقرأ خطراً ولم يركتاباً ، ولا تولى عملاً ادارياً ولا سياسياً ، ثم إن ما جاء به لم يكن قانوناً موضعياً متبعاً لقوانين أخرى قبله ، بل كان املاحاً لجميع البشر في عقائدهم وآدابهم واحكامهم وحرورهم الخ ؟ تأمل ايها القارئ الى شبهات ملاحدة المسلمين على دينهم ونبيهم !

الكاملة يقود أصحابه لقتال أعداء الله وأعدائه المتدينين عليه وعليهم لاجل صدمهم عن دينهم ، ولكنه لم يقتل بيده إلا رجلا واحدا منهم (هو أبي بن خلف) كان موطننا نفسه على قتله ﷺ فجمجم عليه وهو مدجج بالحديد من مغفر ودرع فلم يجد ﷺ بدا من قتله فطمته في ترقوته من خلل الدرع والمغفر ، وظل طول عمره وبعد ما أفاء الله عليه من غنائم المشركين واليهود يؤثر القشف وشظف العيش على نعمته ، مع إباحة شرعه لا كل الطيبات ونهيه لمن كان يتركها تدينا ، ويرقع ثوبه ويخصف نعله ، مع إباحة دينه للزينة وأمره بها عند كل مسجد ، وكن يأكل ما وجد لا يبيب طعاما قط ، إلا أنه كان لا يشرب إلا الماء العذب النقي

وأكل الله تعالى استعداده القائي « لا الكسبي » للبعثة بإكمال دين النبيين والمرسلين ، والتشريع السكافي السكافل لإصلاح جميع البشر الى يوم الدين ، وجعله حجة على جميع العالمين ، بأن أنشأه كأكثر قومه أمياً وصرفه في أميته عن اكتساب أي شيء من علوم البشر من قومه العرب الاميين ومن أهل الكتاب ، حتى انه لم يجمل له أدنى عناية بما يفاخر به قومه من فصاحة اللسان ، وقوة البيان ، من شعر وخطابة ، ومفاخرة ومناقرة ، إذ كانوا يؤمون أسواق موسم الحج وأشهرها عكاظ من جميع النواحي لاطهار بلاغتهم وبراعتهم ، فكان ذلك أعظم الاسباب لارتقاء لغتهم ، ولوجود الحكمة في شعرهم ، فكان من الغريب أن يزهد في مشاركتهم فيه بنفسه ، وفي روايته لما عساه يسمعه منه ، وقد سمع بعد النبوة زهاء مائة قافية من شعر أمية فقال « ان كاد ليلم » وقال « آمن شعره وكفر قلبه » وقال « ان من البيان لسحرا » وان من الشعر حكمة » رواه أحمد وأبو داود من حديث ابن عباس ، وأما قوله « ان من البيان لسحرا » فقد رواه مالك وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر

قلنا إن استعداد محمد ﷺ للنبوة والرسالة فطري لم يكن فيه شيء من كسبه . يعلم ولا عمل لساني ولا نفسي ، ولم يرو عنه انه كان يرجوها كما روي عن أمية ابن أبي الصلت ، بل روي عن خديجة (رض) انها لما سمعت من غلامها ميسرة أخبار أمائه وفضائله وكراماته وما قاله بحيرا الراهب نيه تمنق أملها بأن يكون

هو النبي الذي يتحدثون عنه ، ولكن هذه الروايات لا يصل شيء منها الى درجة المسند الصحيح كحديث بدء الوحي الذي أوردناه آنفاً ، فإن قيل انه يقويه حلفها بالله ان الله تعالى لا يخزيه أبداً ، قلنا انها علت ذلك بما ذكرته من فضائله ورأت انها في حاجة الى استفتاء ابن عمه امامية في شأنه .

واما اختلاؤه عليه السلام وتبعده في الغار عام الوحي فلا شك في انه كان علا كسيا مقوياً لذلك الاعتماد الفطري ، ولذلك الاستعداد السليبي من العزلة وعدم مشاركة المشركون في شيء من عباداتهم ولا عاداتهم ، وليكنه لم يكن يقصد الاستعداد للنبوة ، لانه لو كان لاجلها لاعتقد حين رأى الملك او عقب رؤيته حصول مأموله وتحقق رجائه ، ولم يخف منه على نفسه ، وانما كل الباعث لهذا الاختلاء والتخشع اشتداد الرحمة من سوء حال الناس والحرب منها الى الانس بالله تعالى ، والرجاء في هدايته الى المخرج منها ، كما بسطه شيخنا الاستاذ الامام في تفسير قوله تعالى من سورة الضحى (ووجدك ضالا فهدى) وما يفسره من قوله عز وجل في سورة الشورى (٤٢: ٥٢) وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ، ما كنت تدري بالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا . وانك لتهدى الى صراط مستقيم * ٥٢ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور) وألم به في رسالة التوحيد المأما مختصراً مفيداً ، فقال رحمه الله تعالى : « من السنن المعروفة أن يتيا فقيراً آمياً مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته الى زمن كهولته ويتأثر عقله بما يسمعه من مخالطة لاسيا ان كان من ذوي قرابته ، وأهل عصيته ، ولا كتاب يرشده ، ولا أستاذ ينبيهه ، ولا عضد إذا عزم يؤيده فلو جرى الامر فيه على جاري السنن لنشأ على عقائدهم ، وأخذ بمذاهبهم ، إلى أن يبلغ مبلغ الرجال ، ويكون لفكر والنظر مجال ، فيرجع الى مخالفتهم ، اذا قام الدليل على خلاف ضلالانهم ، كفاضل القليل ممن كانوا على عهده (١) ولكن الامر لم يجر على سنته ، بل بغضت اليه الوثنية من مبدأ عمره ، فمجالته طهارة العقيدة ، كما بادره حسن الخليفة ، وما جاء في الكتاب من قوله (ووجدك ضالا فهدى) لا ينهم منه

أنه كان على وثنية قبل الاهتداء الى التوحيد، وأعلى غير السبيل القويم، قبل الخلق العظيم، حاش لله ان ذلك هو الافك المبين، وإنما هي الحيرة فلم يقبلوا أهل الاخلاص، فيما يرجون للناس من الخلاص، وطلب السبيل الى ما هدوا اليه من انقاذ الهالكين، وأرشاد للضالين، وقد هدى الله نبيه إلى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته اه

(أقول) وجملة القول ان استمداد محمد ﷺ للنسوة والرسالة عبارة عن جعل الله تعالى روحه الكريم كمرآة صقيلة حيل بينها وبين كل ما في العالم من التقاليد الدينية، والآداب الوردانية والمعادن المكتسبة، الى ان تجلى لها الوحي الالهي باكمل معانيه، وابلغ مبانيه، لتجديد دين الله المطلق الذي كان يرسل به رسله الى اقوامهم خاصة بما يناسب حالهم واستعدادهم، وجعل به بشة خاتم النبيين عامة دائمة لا يحتاجون بعدها الى وحي آخر، فكان في فطرته السليمة وروحه الشريفة، وما نزل من المعارف العالية، وما أشرق فيها من نور الله عز وجل الذي تلوه عليك من آخر سورة الشورى — هو مضرب المثل في قوله تعالى في سورة النور (٢٤ : ٣٥) الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة، الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم)

فزيت مصباح المعارف المحمدية، يوقد من زيتونة لا شرقية ولا غربية، ولا يهودية، ولا نصرانية، بل هي الهية علوية، هذا ما نراه كافيا لتنفيذ مزاعم مصوري الوحي النفسي من ناحية شخص محمد واستمداده، ويتلوه ما هو أقوى دليلا، واقوم قبيلا، وهو تفنيده بموضوع الوحي الذي هو آية نبوته الخالدة وهو القرآن العظيم : (وبيان ذلك في الجزء الآتي)

نساء للجنس اللطيف

يوم ذكري المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾
﴿ تاج لا تنشر في الجزء الماضي ﴾

٣٠- أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنات

﴿ وحكمة تعددهن بمد الهجرة وفوائده ﴾

(الزوج الاولى خديجة رضي الله عنها)

تزوج (ص) وهو ابن خمس وعشرين سنة بالسيدة خديجة بنت خويلد وهي ثيب بنت أربعمائة سنة ف عاشت معه خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشرا بعدها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت عجوزاً بنت ٦٥ سنة وهو في مستوى العمر الطبيعي فقد قضى معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها ، ولا أحب أحداً مثل حبه لها ، وظل طول عمره يذكرها ، ويكرم أصدقاءها ومعارفها ، وزاره مرة عجوزاً في بيت مائشة فأكرم متواها وبسط لها رداءه فاجلسها عليه فلما انصرفت سألتها مائشة عنها لتعلم سبب اكرامه لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة ، وقد صبح عن مائشة أنها غارت منها وهي لم ترها حتى تجرأت مرة عليه عند ذكرها فقالت له : هل كانت الاعجوزاً ابداً لك الله خير أمها ؟ - تعني نفسها وكانت تدل بمحبة سنة وجمالها وكونه (ص) لم يتزوج بغيرها وبكونها بنت صديقه الا كبير ابي بكر رضي الله عنه وعنها - قالت فغضب وقال « لا والله ما ابدلني الله خيراً منها : آمنت في اذ كفر الناس وصدقتني اذ كذبتني الناس واستني بما لها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » قالت : قلت في شئ لا اذكرها بعدها بسنة ابدأ رواه بن عبد البر والذولابي وروى الشيخان عنها انها قالت : ما غرت على احد من نساء النبي (ص) ما غرت على خديجة وما رأيته قط ولكن كان النبي (ص) يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يعيها في صداق خديجة (أي صدقاتها من النساء) وربما قلت له لم يكن في الدنيا امرأة الا خديجة فيقول « انها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد » زاد في رواية : قالت وتزوجني بعدها ثلاث سنين ، وفي صحيح مسلم عنها : كان اذا ذبح الشاة قال « أرسلوها إلى أصدقاء خديجة » فذكرت له يوماً فقال « إني لأحب حبيبها » وكانت خديجة أعقل القائل ، وفضلي القواضل ، وكانوا يلقبونها من عهد الجاهلية بالطاهرة وهي أول من آمن بالنبي (ص)

وقد كنت سئلت عن حكمة تعدد أزواجه (ص) سنة ١٣٢٠ فاجبت جوابا نشر في المجلد الخامس من المنار ثم في الجزء الرابع من التفسير (ص ٢٧) ثم طرقت هذا البحث في فتاوى (٢٨٨) من المنار وأؤكد كرهنا معنى ما هنا لك مع فوائد أخرى فأقول:

٣١

الحكمة العامة لتعدد أزواج النبي ﷺ

إن الحكمة العامة لهذا التعدد بعد الهجرة، في سن الكهولة، والقيام بأعباء الرسالة، والاشتغال بسياسة البشر، ومصارعة المعادين، ومداخلة المعتدين، ودون سن الشباب، وراحة البال، هي السياسة الرشيدة، وتربية الامة وضرب المثل الكامل لها في معاشره النساء بالمعروف، والعدل بينهن، وتخريج بضع عمليات للنساء، يملنهن الاحكام الشرعية الخاصة بهن، مما كان (ص) يستحي أن يخاطب به النساء فيما كان يخصهن به أحيانا من مواعظه، كما كان أكثرهن يستحيين أن يسألته عن أحكام الزوجية والجنابة والطهارة، وقد كان نساء المهاجرين أشد حياء من نساء الانصار في هذا بل كان من نساء الانصار من يهينه أن يسألته عنها لا يستحيا منه ومن الشواهد عنهن في ذلك ما روي عن عائشة (رض) ان امرأة من الانصار سألت النبي (ص) عن غسلها من الحيض فأمرها كيف تتنسل ثم قال « خذي فرصة من مسك فتطهري بها » قالت كيف أطهر بها؟ قال « تطهري بها » قالت كيف قال « سبحان الله تطهري » قالت عائشة فاجتذبتها الي فقلت تبغي بها أثر الدم. وفي رواية أخرى أنه قال لها « خذي فرصة بمسكة » (١) فتوضأي ثلاثا » ثم إنه صلى الله عليه وسلم استحيا أو اعرض بوجهه حياء . أي منعه الحياء بأن يصرح لها بوضع القطنية اللطيفة بالمسك في المكان الذي كان يخرج منه الدم اتاما للطهارة فاخذتها عائشة وأفهمتها المراد . والحديث في المسند والصحيحين وأكثر السنن وفي صحيح مسلم أن أسماء - وهي بنت شكل (٢) سألت النبي (ص) عن غسل الحيض فقال « تأخذ احدا كن ماءها وسدرها (٣) فتطهر فتحسن الطهور (١) الفرصة المسكة بتقليم القاء قطنية أو صوفية مطيبة بالمسك (٢) هي أنصارية أيضا وقيل انها الاولى نفسها . وشكل بفتح المثناة والكاف وقيل انه بحرف (٣) السدر بالكسر شجر النبق وكانوا يدقون ورق البستاني منه دون البري ويستعملونه فيه الغسل لانه نبات منظف كالصابون. وقوله فتطهر بفتح التاء أصله تنطهر وتغذف لحدي التائين من مثله للتخفيف

فتصب على رأسها فتدلكه دلكا شديداً حتى يبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها « قالت أسماء وكيف تطهر بها؟ قال « سبحان الله تطهر بها » سبح الله عجباً من عدم فهمها المراد بالأياء والتعرض ، وطلبها للتصريح به والتكشيف ، ومنعه الحياء منه ، حتى كفته زوجته عائشة ذلك ، وقد ورد في وصيه (ص) أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها (متفق عليه)

وكان المؤمنات يسألن عن كل ما يعرض لهن على اختلاف درجاتهن في الحياء حتى كان بعضهن يشكون إليه هجر يعولن لهن اشتغالا بالتعب أو لغير ذلك. وكان لابد له من تعليمهن وانصافهن من يعولن ، وكان أزواجه خير مبلغ لهن عنهن ولهن عنه في حياته ، وخير مرجع في الاستفتاء النسوي بعد وفاته ، ومن ذا الذي يقول ان زوجا واحدة كانت تقوم بهذا الواجب وحدها ؟

بل كان الرجال يرجعون بعده الى أمهات المؤمنين في كثير من احكام الدين ولا سيما الزوجية فمن كان له قرابة منهن كان يسألها دون غيرها ، فكان أكثر الرواة عن عائشة اختها أم كلثوم وأخوها من الرضاة عوف بن الحارث وابنا أخيه القاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر ، وحفصة وأمية بنتا أخيه عبد الرحمن ، وعبد الله وعروة ابنا عبد الله بن الزبير من اختها أسماء. وروى عنها غيرهم من أقاربها ومن الصحابة والتابعين وهم كثيرون جدا -

كذلك كان أكثر الرواة عن حفصة أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجة صفية بنت عبيد وأم بشر الانصارية الخ - وأكثر الرواة عن ميمونة بنت الحارث ابنا أخواتها. ولا سيما أعلمهم وأشهرهم عبد الله بن عباس - وأشهر الرواة عن وملة بنت أبي سفيان ابنتها حبيبة وأخوها معاوية وعنسة وابنا أخيه وأختها وهكذا ترى كل واحدة من أمهات المؤمنين قد روى عنها علم الدين كثير من أولي قرباها ومن النساء والرجال الآخرين حتى ان صفية اليهودية كان لها ابن أخ مسلم روى عنها فيمن روى - فهل كان يمكن ان ينقل ذلك كله زوج واحدة يروى عنها كل من روى عن أمهات المؤمنين ؟ ولعل أكثر ما سمعه النساء منهن يصل الى الذين دونوا احاديثهن

وجملة القول أن أمهات المؤمنين التسع اللاتي توفي في زمن رسول الله ﷺ كن كاهن معلمات ومقنيات لنساء أمته ولرجالها ما لم يعلمه عنه غيرهن من أحكام شرعية وآداب زوجية ، وحكم نبوية ، وكن قدوة صالحة في الخير وعمل البر

٣٢ — (الاسباب الخاصة لكل زوج منهن بعد خديجة)

(١ - سودة بنت زمعة (رض))

كانت سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة وكان توفي عنها زوجها ابن عمها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها لها من المؤمنات المهاجرات المهاجرات لاهلبن خوف الفتنة والتعذيب لارجاعها عن الاسلام . ولو طادت إلى أهلها لا كرهوها على الشرك أو عذبوها عذاباً نكراً ليشوها عن الاسلام . فاختار «ص» كفالتها . وفيه تأليف لبني عبد شمس أعدائه وأعداء بني هاشم وتشريف لبني النجار أخوال عقرته وأكرم انصاره قال أمها الشموس بنت قيس بن زيد الانصارية من بني عدي بن النجار . وكانت أول من ذكر له مع عائشة فكفها ﷺ . وقد تزوجها بمكة قبل الهجرة في عامها كما يأتي فهو لم يجمع بمكة بين زوجين بالفعل

(٢ - عائشة بنت الصديق الأكبر رضي الله عنها)

روي ابن سعد بسند مرسل رجاله ثقات وابن أبي حاتم من طريق عائشة قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون (رض) لابي ﷺ أي رسول الله ألا تزوج؟ (١) قال «من؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً قال فن البكر؟ قالت بنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر، قال «ومن الثيب؟ قالت سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعك قال «فاذهبي فاذهبي ما علي — وفي رواية ابن سعد قالت أفلا أخطب عليك قال «بلى فانكن معشر النساء أرفق بذلك» قالت عائشة فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان (تفي أمها) فقالت ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة . قالت وما ذاك؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت وددت لو تنتظرن أبي بكر . فجاء أبو بكر فذكرت له فقال وهل تصلح له وهي بنت أخيه؟ فرجعت فذكرت ذلك لابي ﷺ فقال «قولي له أنت أخي

(١) تزوج بفتح التاء والزاي وتشديد الواو أصله تزوج

في الاسلام وابنتك تحمل لي « وفي رواية ان أبا بكر هو الذي قال له هذا القول وأجابه ﷺ بهذا الجواب . ولم تكن نزلت في ذلك الوقت آية محرمان النكاح ولا آية (إنما المؤمنون أخوة)

وكانت عائشة أذكي أمهات المؤمنين وأحفظهن بل كانت أعلم من أكثر الرجال قال الزهري لوجع علم عائشة الي علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء امكن علم عائشة أفضل . بل قال أبو الضحى عن مسروق رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الاكابر يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة . وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة . وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علماً فيه . وقال أبو الزناد ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة (بن الزبير) ف قيل له : ما أرواك ! فقال : ما روي في رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شيء الا أنشدت فيه شعراً

وحجة القول ان مصاهرة الرسول ﷺ لأول أصحابه وأعلام قديراً وإخلاصاً له ونصراً ، على ما كان من مودة يشها قبل الالام — كانت أعظم منه ومكانة وقرعة عين له ، وخير وسيلة لنشر سنته وفضائله الزوجية وأحكام شريعته ولا سيما النسوية . ولم يرو في الصحيح عن أحد الرجال أكثر مما روي عنها من الاحاديث إلا أبي هريرة وعبد الله ابن عمر (رض) وقد دخل بها رسول الله ﷺ في شوال من السنة الثانية للهجرة

(٣ - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها)

كانت حفصة زوجا لحسن بن حذافة وهو ممن شهدوا غزوة بدر وتوفي بعدها في المدينة فلما اقتضت عدتها عرضها عمر على ابي بكر فسكت فمرضاها على عثمان بن عفان بعد موت زوجة بنت رسول الله (ص) فقال له ما اريد أنك أتزوج اليوم . وانما كان يرجو ان يزوجه النبي (ص) بنته ام كلثوم . وقد ساء عمر ما كان من أبي بكر وعثمان وهما الكفوؤان الكريمان لبنته فذكر ذلك للنبي (ص) فقال « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة »

قلقي ابو بكر عمر فقال لا تجد علي فان رسول الله (ص) ذكر حفصة فلما كن لافني
سر رسول الله (ص) ولو تركها لزوجتها

ثم ان رسول الله ﷺ تزوج عائشة في السنة الثانية من الهجرة فكان هذا
قرة عين لصاحبه ووزيره الاول وخير مكافأة له في الدنيا على صدقه واخلاصه
فلما توفي زوج حفصة بنت وزيره الثاني رأى أن يساوي بينه وبين أبي بكر في
تمريضها بمصاهرة، ولم يكن في الامكان أن يكافئها في هذه الحياة بشرف أعلى من
هذا . فتزوج حفصة في السنة الثالثة وقيل في الثانية ولولا ذلك لكانت حيرة في قلب
عمر ، فاجل سياسته ﷺ وما أعظم ولاءه للاوفياء له

ويقال ذلك اكرامه لعمان وعلي (رض) بزواجهما بيانه وهؤلاء الاربعة اعظم
اصحابه في حياته وخلفائه في اقامة ملته ونشر دعوته بعد وفاته

(٤- زينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها)

زوجها النبي ﷺ بأمر الله تعالى لمولاه (عتيقه) ومتنابه زيد بن حارثة ثم زوجته الله
إياها بعد طلاق زيد لما لحكتها لاعتلوها حكمة في زواج أحد من أزواجه وهي ابطال
بدعة التبنّي التي كانت متبعة في الجاهلية . وكان ذلك سنة ثلاث وقيل خمس من الهجرة
ذلك أنه كان من عادات العرب الباطلة التي اتخذت ديناً تقليدياً أنهم يتخذون
لأنفسهم أبناء أدياء يلعنونهم بأنسابهم ويسطون الدعي منهم جميع حقوق الابناء
حتى في الموارد وعمرات النكاح . وما كان الاسلام يقرم علي باطل فحرم الله التبنّي
وهو يعلم ما علق بالطباع ولصق بالوجدان من تأثير هذا النسب المفتعل وأن إبطاله
وإبطال لوازمه مما يتقل على الناس أمثاله كما هو شأن التقاليد العامة الراسخة .
لأعلى أصحاب الايمان الكامل والمزائم المرفقة الحد ، الذين لا يسألون بشعور
الجاهلير ، ولا يرميه لمخالفهم بشعور التحقيق وقليل مام

علم الله تعالى هذا فألهم نبيه من قبل ازال وحيه عليه وارساله الى الناس
مبشراً ونذيراً أن يتبنّى غلاماً كان ملكاً لزوجته خديجة فوهبته له وأثرب قلبه حبه ،
على ما كان من كرهه لعادات الجاهلية الباطلة ، ليحمله هو القدوة الصالحة في إبطال التبنّي

وكل ما كان له من الاحكام، وكان هذا الغلام زید بن حارثة . ومن زید بن حارثة ؟
كان زید بن حارثة بن شراحيل الكلبي من كرام العرب وكانت أمه سعدى
بنت ثعلبة من بني من طيء ، وقد زارت قومها وهو معها فأثار عليهم جيل لبني
السين بن حر فسبوه وهو غلام يفتقه واحتلوه إلى عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه
حكيم بن حزام لسته خديجة بنت خويلد في الجاهلية فلما زوجها رسول الله (ص)
وهبته إياه للمرات من اعجابه بأدبه وفطرته الزكية وكان أبوه يشده ويشد فيه
الشعر موصياً أولاده بالبحث عنه فخرج ناس من قومه فرأوا زیداً بمكة فرفوه وعرفهم
وحملهم شراً في حنبه إلى قومه فلبثوا والده حارثة خيره فخرج هو وأخوه كعب
بفدائه فقدموا مكة فسألا عن النبي (ص) فقيل لهما هو في المسجد فدخلوا عليه فقالا :
يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتطمعون الاسير .
جئناك في ولدنا عندك فامن علينا واحسن في فدائه فاستدفع لك . قال وما ذاك ؟
قالوا زید بن حارثة . فقال « أو غير ذلك : أدعوه فغيروه فان اختاركم فهو لكم
خير فداء : وان اختارني فوالله ما أنا بالنبي اختار علي من اختارني فداء »

قالوا فداء فقال « هل تعرف هؤلاء ؟ قال نعم هذا أبي وهذا عمي . قال « فانا
من قد علمت وقد رأيت صحبتك لك فاخترنى أو اخترهما » فقال زید ما أنا بالنبي اختار
عليك أحداً . أنت مني بمكان الاب والمم . فقالا ويحك يا زید أنت اختار العبودية على
الحرية وعلى أهلك وعمك وأهل بيتك ؟ قال قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا
بالنبي اختار عليه أحداً .

فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرج به إلى الحجر فقال « اشهدوا أن زیداً
ابني يرثني وأرثه » فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهم . فدعى زید بن محمد
حتى جاء الله بالإسلام . رواه ابن سعد ونحوه في سيرة ابن اسحق .
وروى الحاكم خبر أسره ومجيء والده وأهله في طلبه مطولاً وفيه انه كان بعد
البثوة وان أباه أسلم ولكن هذه الرواية لا تصح

ومن تدبر خبر اختيار زید بن حارثة للزق عند محمد ﷺ على الحرية عند أبيه

وقومه - وهو كخديجة أعلم الناس بأخلاقه وأعماله - يحكم حكماً عقلياً وجدانياً بأن
 محمد آكان من قبل النبوة آية من أكبر آيات الله تعالى في فضائله وآدابه فكيف
 يكون بعدها؟ وإذا كان بعض علماء الأفرنج يستدل بإيمان خديجة به وتقديسها لفضائله
 وفواضله من قبل البعثة على أنه كان ساذقاً في دعوى النبوة، لا طالباً لمنفعة أو رياسة -
 فأحر بهم أن يعدوا إثبات زيد له على حريته وأبيه وأمه وعشيرته برهاناً مثل ذلك
 البرهان على صدقه (ص) وكأله بل أظهر منه

تضاعف حب النبي ﷺ لزيد بهذا الإثبات واعتقه وتبناه وكان النبي أعظم شيء
 مستطاع في تكريمه وتظيم قدره، وقد كان يلقب بحب رسول الله ﷺ أي حبيبه
 وفي صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر كان يقول: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زید بن
 محمد حتى نزل في القرآن (ادعوا لآبائهم هو أقسط عند الله) وفي الصحيحين
 عن ابن عمر أنه سمع يقول: بعث رسول الله بنا وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن
 الناس في إمرته فقام رسول الله ﷺ فقال «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون
 في إمره أبيه من قبل وایم الله إن كان خليفاً للأمرة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن
 هذا من أحب الناس إلي بعده» وفي رواية لمسلم أنه قال هذا على المنبر وإن لفظه في
 زيد وابنه «وایم الله إن كان لأحب الناس إلي»

وروي عن الشعبي أنه قال: ما بعث رسول الله ﷺ سرية قط وفيهم زيد بن حارثة
 إلا وأمره عليهم. أقول وإنما طعن بعض الناس في إمارة زيد على السرايا لأنه كان
 عتيقاً فكيف يقدمه على كبراء المهاجرين والأنصار؟ وأما طعنهم في إمارة ولده حارثة
 بعده فلا نه كان صغير السن لم يبلغ العشرين، ولكن هذا من أفضل سياسته ﷺ
 في حفظ استعلاء الصبي وكبرياء النسب (الارستقراطية)

بعد هذه المقدمة أقول لما أراد الله تعالى أن يبطل دعاية التني وأحكامها الجاهلية
 بامر رسوله (ص) أن يزوج زینب بنت جحش بن رباب من عمه النبي (ص)
 أميمة بنت عبدالمطلب لزيد بن حارثة ولولاه، وهو عز وجل يعلم أنها لا يتفقان على بقاء
 هذه الزوجية، لأنها تكبر عليه بالطبع، وهو عزيز النفس لا يحمل ذل الكبرياء عليه

فذهب (ص) الى زنب فقال «إني أريد أن أزوجه زيد بن حارثة فأني قد رضيتك لك» قالت يا رسول الله لكني لا أرضاه لنفسي، وأنا أيم قومي وبنت عمتك فلم أكن لأفعل. فنزلت الآية (وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم). ومن بعض الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) فقالت زنب لابي (ص) قد اطعك فاصنع ما شئت. فزوجها زيدا ودخل عليها فكانت تفظ له القول وتمتظ عليه بالشرف فيذهب الى التي (ص) ذاكما منها ويستأذنه في طلائها فيقول له (ص) أمسك عليك زوجك واتق الله. وهو يعلم أنه لا بد له من طلائها وإن الله يأمره بالزوج بها بعده ابطلا لبدعة النبي وما كان من تحريم الجاهلية لامرأة الدمى كامرأة الابن الحقيقي، ولكنه (ص) لم يكن يظهر هذا له ولا لغيره، وكان يفتضي الشعور الطبيعي بخشي ما يقوله الناس ولا سيما المشركين: إن محمدا تزوج امرأة ابنه. فانزل الله تعالى في ذلك قوله

(٣٣: ٣٧) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

أي واذكر أيها الرسول اذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق والأكرام (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) في معاشرتها بالمعروف ولا تطلقها (وَتُخْشِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ) إن يقولوا تزوج امرأة ابنه أو متبناه (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) ولا تبالي بما يقول الناس في تنفيذك لشريعة وأقامتك لدينه (فَلَمَّا قَضَىٰ رَبُّكَ رَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا) الوطر الحاجة المهمة التي ليس بعدها مأرب وقضاؤه إياه عبارة عن تطليقها بحض ارادته ورضيته لأنه لم يبق له حاجة فيها ولا رجاء في معاشرتها بالمعروف. وتكثير الوطر هنا دون اضافته الى زيد للدلالة على أنه شيء اراد الله تعالى منه وسخره له، وهذا من دقائق البلاغة في تحديد اللباني باللفظ المفرد البكر، وقوله تعالى (زوجناكها) نحن في ان هذا التزويج كان من الله تعالى لا ذكر من حكمة التشريع فيه ولم يكن برغبة التي (ص) وميله.

٤٤٢. تأكيد القرآن يكون تزوجه ﷺ بزَيْنَبِ بامر الله المتأرجح ٦م ٣٢

وقد صح أنه (ص) لم يقعد عليها كما عقد على سائر أزواجه لان تزويج ربه إياها باقوي وأثبت. والمقد بهذه لقولاً نه تحصيل حاصل

ثم قال (لَكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ)

وهو تصريح بانه تزويجه إياها أي لاجل ان لا يجد أحد من المؤمنين في نفسه أي ضيق صدر ولا مبالاة بلوم في الزوج بنساء ادعيائهم بالتبني وكفى برسول الله (ص) قدوة في ذلك (إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) فطلقوهن بإرادتهم لعدم بقاء شيء من الرغبة لهم فيهن كما فعل زيد (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) أي وكان

قضاؤه في التكوين والتشريع نافذا لا مرد له ولا رأي لاحد فيه

ثم أكد الله تعالى هذا الامر برفع الحرج عن النبي (ص) فيه لانه هو الذي

قضاء واختاره له فإكان له ان يختار لنفسه غيره، ولا ان يخفى غير الله في تنفيذ

وان تلك سنة تعالى في رساله بما يلفتون من رسالته وينفذون من احكامه ويخضعونه

ولا يخشون غيره فقال

(٣٨) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ

خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَعْدُورًا (٣٩) الَّذِينَ يُبَاغِتُونَ رَسَلَتِ

اللَّهُ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا

أي ما كان عليه ﷺ وهو نبي الله ورسوله أدنى حرج وضيق فيما فرضه وقسمه

الله من مثل هذا الزواج من التشريع وتنفيذ الاحكام وقائاً لسنة تعالى في اخوانه

التيين الذين خلوا من قبله ، وكان أمر الله الذي يريد من إقامة شرعه يجري على

حكم القدر وهو النظام والتقدير الذي يكون به المسبب على قدر السبب ، والمعلول

تأبهاً للعلل ، كما وقع لإبطال التبني . ولما كان هذا من تبليغ الرسالة الالهية كان من

شأن رسل الله أن يخشوا الله ولا يخشوا أحداً غيره في تبليغ رسالته ، وكفى بالله

وقيماً عليهم ومحاسباً لهم فلا يبالون بشيء

وقفى على هذا بنفي أبوة محمد (ص) لزيد ولغيره والرد على من قالوا أنه تزوج

للنار ج ٢٢٦ فرية للرواة في تفسير وتخشى الناس والله أحق أن نخشاه ٤١٣

حالية ابنه ، كما رواه الترمذي عن عائشة - تأكيداً لا ينفك في أول السورة من
قبي ذوة الادعاء والامر بنسبتهم إلى آبلهم أو وصفهم بأخوة الدين وولاية العتق فقال
(٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ

وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً

﴿ فرية لبعض الرواة، في تفسير : وتخشى الناس والله أحق أن نخشاه ﴾

لقد كان من آثار العجب ، وغرائب سقاء العقل وسوء الادب ، أن خطر لبعض
وضاع الاحاديث ، وصناع الروايات في التفسير . أن يحرف هذه الآيات الجليلة كلها عن
مواضعها ، ويحملها على غرض يتأى عنه منطوقها ، ويتبرأ منه مفهومها ، وتأباه حكمه
التشريع فيها ، ويستلزم الطعن بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
والنيل من خلق رسول الله وأدبه ، الذي قال الله فيه (وانك لم يخلق عظيم) فخرج لها
خبراً زعم فيه أن النبي ﷺ مر بيوت زيد وهو غائب فرأى زينب فوقه في قلبه
منها شيء فقال « سبحان مقلب القلوب » فسمعت التسيحة زينب فقلتها إلى زيد فوق
في قلبه أن يطلقها ، فكان هذا سبباً لاستثناؤه النبي ﷺ في طلاقها ، وزعموا أن
هذا هو المراد من قول الله تعالى (وتخشى الناس والله أحق أن نخشاه) وهذه
الرواية لم يثبت لها سند وإنما نقلها بعض المفسرين كما دلتهم في قل كل ما يسمعون
وقد صرح بتلقيها المحققون لأنها مخالفة للآيات الصريحة المحكمة من جهات كثيرة ،
ومنافية لمقول المستقلة في الفهم والحكم أيضاً فان تزويج النبي ﷺ زينب لولاه ، ووجه
ورويده متبناه ، يكون بحسب الطباع الكريمة مانعاً من الميل الى الزوج بها ، وناهيك بما
اجتهده من إقناعها . وهو يعرفها من صغرها ، وهذا إذا كان تزويجها تزويجاً عادياً ليكونا
زوجين مابقاً ، فكيف وهو (ص) يعلم أنه تزويج مؤقت بالنسبة . الى عاقبة وظائمه التي
يجعلها كل منهما . ثم انه على حسب زعمهم أمر واقع في نفسه ، ونفسه زينب بالفرية
من تسيحجه ، ولفظ ذلك التسيح لا يدل عليه ، ولم يعلم به الناس فيخشى أن يخوضوا
فيه ، ويماثبه ربه على خشيته أيام ينزل ذلك في قرآننا ينلى ويتعبه به ، ثم أن زيدا

كان يعلم بما شره له من صن الصبا أن نفسه أجل وأكبر من أن يلج بها ذلك . وان كان لا ينافي عصمة النبوة . ولولا هذا العلم ببلوغ نفسه وسمو فضائله لما آثر الرق عنده على الحرية عند والده وفي قومه ، وقد أبى الحفاظ ابن كثير ذكر هذه الرواية الضعيفة في تفسيره لتجنبه رواية الموضوعات ، وذكر الاباطيل الواضحة فيه ، وان كان ينقل الاحاديث الضعيفة المقولة أحيانا . وشنع ابن العربي وغيره على ناقلها لولا أن دعاة النصرانية يذكرون هذه القربة في كل كتاب يلقونه في الطعن على الاسلام والنيل من مصلحة البشر ، وأفضل النبيين والرسول ، لما ذكرها في هذه الرسالة الوجيزة ، وان لشيوخنا الاستاذ الامام مقالة خاصة في تفنيدها بالمعقول والمنقول ولي مقالة أخرى في ايضاح مقالته والرد على أديب نصراني اعتقدها ، وقد نشرتها في المجلد الثالث من المنار وطبعتهما مع تفسير الفاتحة وبعض مشكلات القرآن

ولو كان عند هؤلاء الساعة (للبشرى) عرق حياء ينبض لمنهم الجذع الكبير الذي في أعينهم عن رؤية فداء ضيقه في عين غيرهم أي لمنهم قصة داود النبي الذين يهلون ويبدون الله بمزاميره مع امرأة أوريا التي اذراها كايروي كتابهم المقدس تفلس فأعجبته فاستحضرها ووضاها فحملت وأمر بحمل زوجها في مقدمة الحرب وتريضه للقتل فقتل لينفرد بها من دونه ، كما هو مفصل في الفصل ١١ من سفر صموئيل الثاني ، والصلبون يروون نبي الله داود عليه السلام بما ترويه عنه كتب قومه المقدسة عديم وعند النصارى ، وقصة داود في سورة (ص) لا تدل على اقترافه الفاحشة وجريمة القتل إرضاء للشهوة - حاشاه من ذلك

﴿ هـ — هند أم سلمة الخزومية رضي الله عنها ﴾

هي هند أم سلمة بنت أبي أمية الخزومية . كان أبوها من أجواد العرب المشهورين . وتزوجت ابن عمها عبد الله بن عبد الاسد الخزومي وهو من السابقين الاولين الى الاسلام ، أسلم بعد عشرة أعين وهو ابن عم رسول الله (ص) وأخوه من الرضاعة . وكان أول من هاجر الى الحبشة وكانت معه وولدت له سلمة في أثناء ذلك . ثم عاد الى مكة ولما أراد الهجرة بها الى المدينة صدها قومها وانزعوا منها هي وابنها سلمة

ثم أنزله بنو عبد الأسد آل زوجها إليها سلمة من آلهما بالقوة حتى خلعوا يده، فكانت كل يوم تخرج إلى المطبخ تبكي حتى شفع فيها شافع من قومها فأعطوها ولدها فرحلت (١) ببراً ووضعت ابنها في حجرها وهاجرت عليه، فكانت أول أمرها هاجرت إلى الحبشة، ثم كانت أول طليعة هاجرت إلى المدينة. وكانت تحبل زوجها أيماء أجلال حتى أن أبابكر وعمر خطبها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد فلم تقبل، وعزاها النبي ﷺ عنه بقوله «سلي الله أن يثورك في مصيبتك ويخلقك خيراً» فقالت: ومن يكون خيراً من أبي سلمة؟ فلم ير لها عزاء ولا كافلاً لها ولا ولادها ورضاء غيره صلوات الله تعالى عليه وعلى آله، ولما خطبها لنفسه اعتذرت بأنها مسنة وأم أيتام وذات غيرة، فأجاب ﷺ بأنه أكبر منها سنًا وبأن الغيرة يذهبها الله تعالى وبأن الأيتام إلى الله ورسوله. فاجتمع لها من الفضائل النسب الشريف، والبيت الكريم، والسبق إلى الإسلام وعلو الأخلاق ولاسيما الوفاء وكفالة الأيتام وكل منها سبب صحيح لاختيار صاحب الخلق العظيم المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق لهذه المرأة الفضلى أن تكون من أزواجه الطهارات، وامهات المؤمنين ومعلمات المؤمنات.

على أن لها فوق ذلك فضيلة أخرى هي جودة الفكر وصحة الرأي، وحسبك من العواهد على هذا استشارة النبي ﷺ لها في أممها حزن وألمه من أمر المسلمين في مدة البشة، وما أشارت به عليه. ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد ساءم صلح الحديبية الذي عقده ﷺ مع المشركين على ترك الحرب عشر سنين بالشروط المعلومة التي تدل في ظاهرها على أن المسلمين مغلوبون ولم يكونوا يملكون وإنما جبه ﷺ للسلم ولاختلاط المسلمين بالمشركين - وكان دونه خطر القتاد - وكراحتهم للحرب التي أكرهه المشركون عليها بدوائهم - هما اللذان حيا إليه قبول شروطهم اليهم في الصلح، وكان من أثر استيلاء المسلمين من شروطهم أن أمرهم ﷺ بالتدخل من عمرتهم بالخلق أو التصغير لاجل العود إلى المدينة فلم يمتثل أمره أحد، ولم يقع مثل هذه المخالفة من قبل ولا من بعد، فلما استشارها رضي الله عنها في ذلك وقاله

(١) رحلته بتشديد الحاء جعلته رحلة تركب

« هلك الناس » هونت عليه الامر وأشارت عليه بأن يخرج اليهم ويحلق رأسه ، وجزت بأنهم لا يلبثون أن يقتدوا به ، لانهم يعلمون أنه صار أمراً لا مرد له ، ولأن تأثير العمل في القدوة أقوى من تأثير القول وحده - وكذلك كان : خرج فامر الحلاق بحلق رأسه ، فتأفصوا في التبرك بعمره ، وبأدروا الى الاقتداء به ، وكانت من اعلم ازواجه ، وروى عنها كثيرون من الرجال والنساء فهي تلي عائشة في كثرة الرواية والعلم وتفضلها في الروية والرأي

٦٠ — جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

وفي سنة خمس تزوج برة بنت الحارث سيد بني المصطلق وسباها جويرية وكان أبوها هو وقومه قد ساعدوا المشركين على المؤمنين في غزوة أحد سنة أربع ، ثم بلغ النبي (ص) أنه يجمع الجوع لقتاله فخرج له فالتقى الجمعان في المريسع وهو ماء خزاغة ، فأطاح بهم المسلمون وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة منهم وكانت برة بنت سيدهم في الاسرى فكانت عليها من وقعت في سهمه (١) فجاءت النبي (ص) فتعرفت اليه بأنها بنت سيد قومها وذكرت له سيدها واستأنته على كتابتها لتحرر نفسها ، فقال « أواخر من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك » قالت نعم ففعل ، فقال المسلمون : أسهار رسول الله (ص) فأعتقوا جميع الاسرى والسبايا فأسلموا كلهم فكانت اعظم امرأة بركة على قومها ، وكان لهذا العمل أحسن التأثير في العرب كلها ، وروى أن أباه جاء النبي (ص) فقال ان نفق لا يسبي مثلها نخل سيدها ، فأمره (ص) أن يخيها ففسر بذلك خيها فاحتارت الله ورسوله ، وكانت من أعبد أمهات المؤمنين وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وعبد بن السباق وابن أختها الطليل وغيرهم

٦١ — صفية بنت حيي الاسرائيلية رضي الله عنها

وفي سنة ست تزوج صفية بنت حيي بن أخطب الاسرائيلية من ذرية نبي الله هارون أخي موسى عليهما السلام ، كانت من بني النضير وأسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر ، فأخذها دحية في سهمه ، فقال أهل الرأي من الصحابة يا رسول الله

(١) الكتابة اشتراء الرقيق نفسه من بيده بمال يؤديه ولو أقسطا

انها سيدة بنى قريظة والتخير لانصاح إلاك، فاستحسن رأيهم وأبى أن تذل هذه السيدة بالرق عند من تراء دونها، فاصطفاها وأعقها وزوجها - كراهة لرق مثلها في نسبها وقومها، ووصل صبيته بنى اسرائيل له بخفف مما كان من عداوتهم له، وروى الامام أحمد أنه خيرها أن يمتقها وتكون زوجته أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يمتقها وتكون زوجته. وكان بلال قد مر بها وبأبنة عم لها على قتلى اليهود فصكت ابنة عمها وجعلها وخت عليه التراب وهي تصيح وتبكي فقال له النبي (ص) « أترعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟ رواه ابن اسحاق. وفي حديث الترمذي ان صفية بلغها أن عائشة وحفصة قاتلتا نحن أكرم على رسول الله منها فذكرت ذلك للنبي (ص) فقال « ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى » ؟ وقد لقبها زينب مرة باليهودية احتقاراً لها فهاجرها النبي (ص) شهراً كاملاً عقوبة لها فتأمل هذه الثمائل المحمدية والتيرية الاسلامية. روى عنها ابن أخيها وموليها. لها وعلي بن الحسن بن علي عليهم السلام وغيرهم

(٨ -- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموية رضي الله عنها)

وفي سنة ست او سبع زوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموي اشد أعدائه محرضاً عليه وحرماً له (ص) وكان قومه بنو عبد شمس أعداء بني هاشم قوم النبي (ص) وكان نزوجه بها تأليفاً له ولقومه وقد كانت أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها عبدالله بن جعش الى الحبشة، فتصر زوجها هناك وقارقها، فأرسل النبي (ص) الى النجاشي لخطبها له وأصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة: ولما عادت الى المدينة. بنى بها، ولما بلغ أبا سفيان الخبر قال هو الفحل لا يقدر أقمه. فهو لم ينكر كفاءته (ص) بل اقتخر به. ولكنه ما زال يقاتله حتى يئس بفتح مكة وكان من تأليفه (ص) له يوم الفتح أن قال « من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » وقد آمن يومئذ ولما وثقه ثم كان من تأليفه له (ص) بد غزوة حنين ان أعطاه من غنيمة هوازون مائة ناقة، فهذا التأليف بعد التأليف لابي سفيان.

يدل على زوجه «ص» بيته كان مثل ذلك على أن تركها أوملة مهيبة بعد مصابها
بتنصر زوجها وعداوة أبيها وأما لم يكن يهون على رسول الله «ص» روى عنها
ابنتها وأخوها وابن أخيها أو ابن أخيها ومولياها وآخرون .

(٩ - ميمونة بنت الحارث المملانية رضي الله عنها)

وفي أواخر سنة سبع زوج ميمونة بنت الحارث بن جزن المملانية وكان اسمها
برة فمباها ميمونة . وكان ذلك في إبان عمرة القضاء وهي آخر أزواجه أمهات
المؤمنين وزوجا وموتا كافي بعض الروايات، وقد قالت فيها عائشة أما إنها كانت من
أتقانا لله وأوصلنا للرحم، ولم أقف على سبب ولا حكمة خاصة لتزوجه بها ولكن ورد أن
عمه البساس رغب فيها وهي أخت زوجة لبابة الكبرى أم الفضل وهو الذي عقد لها عليها
بأذنها، ولولا أن البساس رأى في ذلك مصالحة عظيمة لما غني به كل هذه الغاية لارضاء
امراته، وروى عنها أبناء أخواتها ومواليهم وآخرون أجلم ابن عباس

وجلة القول انه «ص» راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهم
الرضوان في التشريع والتأديب والمودة والتأليف وكفالة الارامل والايتام، فغذب
لله كبار القبائل بمصاهرهم وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرامهن والعدل بينهن
وقرر الاحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يصلن لساءم من
الاحكام ما يلبق بهن مما ينبغي أن يتعاملن من النساء دون الرجال، ولو ترك واحدة
فقط لما كانت تنفي في الامة غناء التسع

ولو كان «ص» أراد بتعدد الزواج ما يريد المملوك والامراء من التمتع بالحلال
مخفقا لاختار حسان الابكار على أولئك اثنيات المكتهلات منهن كما قال لمن استشاره في
التزوج بأمرأة ثيب «هلا بكرأ تلاعبها وتلاعبك» وفي رواية زيادة «وتضاحكها
وتضاحكك» وهو من حديث جابر في الصحيحين

وأذكر الفاريء بأن تعدد الزوجات في ذلك المصير كان من الضروريات
للكثرة القتلى من الرجال وحاجة لساكنهم الى من يكفلن لان أكثر أهلن من

المشركين . فالمصلحة فيه للنساء لا للرجال إما بالكفالة والتفقة وإما بالشرف والتكرمة ولذلك كن يسمين أو يسمي الآباء أو غيرهن من الأقربين لمن يخلو زوجها أو يموت بكفؤ يزوجها وإن كان له زوج أو أزواج غيرها كما فعل عمر بمرض بنته خصة على أبي بكر وعثمان وأما النبي (ص) فكان النساء يمرضن أنفسهن عليه كما يمرضن بعض أولي القربى منهن وسيأتي بعض الروايات في ذلك فهل يتصور أحد أن تمدد الزوجات كلن في ذلك العهد حضاً لحقوقهن ، وقد أعطاهن الإسلام من الحقوق والتكريم ما أعطاهن ؟ وفانك بشرف الزوج برسول الله (ص) وسياتي ما يزيد ذلك كله

٣٣

(سيرة النبي ﷺ في معاشرته نسائه)

كان رسول الله (ص) للمثل الكامل والاسوة الحسنة للرجال في حسن معاشرته أزواجه بالمعروف ، والقسيمة ينهن بالعدل في كل من الليت والتفقة والعصب والتكريم ، وفي احتمال غضبن وغيرهن وتنازعن بالأناة والرفق والمروسة الحسنة . وكان يزورهن كلهن صباحاً للوخط والتلميم ويساء للجمامة والموانسة ، وكان يجتمعن معه في بيت كل منهن . وكان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده . قالت عائشة : ما ضرب رسول الله (ص) بيده امرأة له ولا خادماً قط (١) وسئلت : ما كان النبي (ص) يصنع في أهله ؟ قالت كلن في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة (٢) ولها أحاديث أخرى مفصلة في خدمته في بيته وقيامه بحاجة نفسه . ومن وصفها : كان أولين الناس وأكرم الناس وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان يساماً (٣)

وكان (ص) إذا أراد السفر ضرب القرعة ينهن إذا لا يمكن السفر بهن كلهن ، وترجيع إحداهن يسخط سائرهن ، وإن كان فيهما من الزوجات ما يقضي الرجوع إذ لا يقاوى النساء في استدادهن السفر ومشقاته . ولكنه لا حج أخفمن كلهن معه وإسا مرض مرضه الأخير شق عليه أن يتقل بين يوين كل يوم كما كان يفعل في حال صحته فكان يسأل « أين أنا غدا ؟ أين أنا غدا ؟ » يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه كلهن أن يكونن حيث شاء ، فاختار بيت عائشة وفيه توفي (٤)

(١) رواه الترمذي وله كلمة (٢) رواه البخاري والمهنة بكسر الميم ويقصها الخدماء (٣) رواه ابن سعد (٤) رواه البخاري

وروي عنها أنه يموت في مرضه إلى لسائه فاجتمعن فقال : « اني لا أستطيع أن أدور بينكني فان رأيته أن تأذن لي أن أكون عند عائشة » فأذن له (١) ومن حكمة ذلك أن يدفن في بيتها وقد كان صرح بأنه يدفن حيث يموت
ولما كبرت سودة بنت زمعة وحببت يومها وليتها لعائشة فبني رضاء رسول الله (ص) عنها (٢) وفي رواية عنها : كان رسول الله (ص) لا يفضل بمضنا على بعضي في القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير محسوس ، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندنا . ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسئت وفرقت (أي خانت) أن يفارقها رسول الله (ص) يا رسول الله يومي لعائشة . فقبل رسول الله ذلك منها (٣)

وقد كان لعائشة بنت الصديق رضي الله عنها من قلب رسول الله (ص) ما لم يكن لأحد من لسائه بعد خديجة « رض » فكانت الحبيبة بنت الحبيب ، وكانت هي أكثرهن إدلالاً عليه . وفي الصحيحين عنها قالت قال لي رسول الله (ص) « اني لأعلم إذا كنت راضية عني وإذا كنت علي غضبي » فقلت من أين تعرف ذلك ؟ قال « أما إذا كنت عني راضية فأنك تقولين : لأورب محمد ، وإذا كنت غضبي قلت لا ورأب إبراهيم » قلت أجل والله يا رسول الله ما أعجز إلا أصحابك
وكان هذا الحب الطبعي الذي تعددت أسبابه أحسن دليل على عدله « ص » بين أزواجه ، فهو لم يكن يفضلها على أقلين مزايا في الخلق والخلق والذكاء والنسب بشيء من التفقة أو الميعة أو حسن المشرة ، ولذلك كان يقول في نفسه ينهن بالعدل « اللهم هذا نفسي فيا أمك فلا تلني فيا أمك ولا أمك » (٤) يعني الحب ولو أزمه الطبعية غير الاختيارية . وما ابتلي الرجل بشيء أبش على الجور والحماقة كفتنة حب النساء فإن الرجل الضيف الدين والارادة ليظلم أولاده وقسمه مرضاة لمن يحبها ولو أجنبية فكيف لا يظلم ضربها ؟

(١) رواه أبو داود (٢) رواه الشيخان وأصحاب السنن
(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وفيه زيادة رأي عائشة أنه نزل في هذه وأشباهها (وان امرأة خلقت من بطنها نشوزاً او امراضاً فلا جناح عليها ان يصلحها بينهما صلحاً) وقد تقدم . وفي رواية عند ابن سعد أنه قاربها فتأشده ان يسكنها وقالت أنه ليس لها في الرجل حاجة وانما تريد ان تكون معه في الجنة . ولكن هذه الرواية مرسله (٤) رواه ابن أبي شيبة وأصحاب السنن الاربعه وابن المنذر عنها

﴿ تغاير نسائه ﷺ وتحزين ومناشدتهن إياه العدل ﴾

لما كان من طباع البشر أن العدل بينهم يفرهم بالمطالبة بأكثر من حقوقهم، والظلم يسكتهم على مادونها ولا سيما النساء، ورأى نساء النبي (ص) أنه لا يفضل إحداهن على غيرها بشيء، ما إلا أن الناس يتحرون بهدائها يوم مائتة رآين أن في هذا هدفا لحقوقهن وكرامتهن، وإن كان هذا المضم ليس من فعله ﷺ وكان يألحن من الهدايا كلهن، فطالبتهن بالصافين، وأغلظن في المطالبة وألفن حتى أسكتن بما يكرهن

قالت عائشة: إن نساء رسول الله (ص) كن حزينين فخرّب فيهن عاتقة وحضنة وصفية وسودة. والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء النبي (ص) وكان المسلمون قد عدوا حب رسول الله (ص) عائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله (ص) أخرها حتى إذا كان رسول الله (ص) في بيت عائشة بنت صاحب الهدية بها إلى رسول الله (ص) في بيت عائشة، فكلّم حزب أم سلمة (أم سلمة) فقالن لما كلم رسول الله (ص) يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله (ص) هدية فليهدا إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلته أم سلمة بما قلن فزقزل لما شتاء فسلّتها فقالت ما قال لي شيئا، فقلن لما كلمه قالت فكلته حين دار إليها أيضا فزقزل لما شتاء فسلّتها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لما كلمه حتى يكلمك فدار إليها فكلته فقال لما لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في نوب امرأة إلا عائشة.

قالت فقلت أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله. ثم اتّهن دعون قاطعة بنت رسول الله (ص) فأرسلت إلى رسول الله (ص) تقول إن نساءك يشهدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلته فقال «يا بنية ألا تحبين ما أحب؟» قالت بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن. فقلن أرجعي إليه فأبى أن ترجع. فأرسان زينب بنت جحش فأتمته فأغلظت وقالت إن نساءك يشهدنك العدل في بنت ابن أبي صفا ففرقت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسيّتها حتى أن رسول الله لينظر إلى عائشة هل تكلم؟ فكلته عائشة زود على زينب حتى أسكتها قالت: فظفر النبي (ص) إلى عائشة

وقال «انها بنت أبي بكر» (١) يعني أنها مثل أبيها في الدماء والنقل والحجة ،
 ورواية مسلم عنها : أرسل أزواج النبي (ص) قاطمة بنت رسول الله (ص) إلى
 رسول الله (ص) «فأناذت عليه وهو مضطجع مغمى في رجلي فأذن لها فقالت يا رسول
 الله ان أزواجك أرسلني إليك بسألك العدل في ابنة أبي صفانة - وأما ما كنت -
 فقال لها رسول الله (ص) «أي بنية أأنت تحمين ما أحب؟» قالت بلى قال «فأجبي
 هذه» فقامت قاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله (ص) فرجعت إلى أزواج رسول
 الله (ص) فأخبرتهن بالذي قال رسول الله (ص) فقلن ما نراك أغضيت عنا من شيء
 فأرجعي إلى رسول الله (ص) فقولي له ان أزواجك يسعدنك العدل في ابنة أبي صفانة
 فقالت قاطمة والله لا أكلمها أبداً (قالت) فأرسل أزواج النبي (ص) فزنب بنت
 جحش وهي ابنة النبي كانت تساميني منهن في المنزلة عند النبي (ص) ولم أر قط امرأة خيراً
 في الدين من زنب وأتقى الله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعلم صدقة وأشد
 ابتذالاً لنفسها في المال الذي تصدق به وتقترب به إلى الله تعالى ما عدا سورة من
 حدة فيها كانت تسرع منها القبيصة (أي الرجعة إلى الحلم) الخ
 ولها مع زنب مهارة أخرى ذكرها النساء ملخصها ان نساء النبي كن يحنن
 كل لبة في بيت صاحبة القوبة منهن فدخلت زنب بيت عائشة فد البها النبي ﷺ
 يده فقالت عائشة أنها زنب فكذب النبي (ص) يده فتناولت حتى ارتفعت أصواتها
 فرأى أبو بكر فسمعها فقال يا رسول الله أحتفي أفواههن التراب وجاءت الصلاة فخرج
 (ص) ولم يكلمهما ولكن أبا بكر ما بعد الصلاة فنبف عائشة (٢) وهو المدهور
 بالحلم ، وأين حلمه من حلم رسول الله ﷺ ؟

غيرة أزواجه ﷺ وصبره عليهن فيها

الغيرة الزوجية غريزة أو عاطفة في الرجال والنساء وهي فيهن أشد ولا سيما إذا تعددن
 عند الرجل وكان يحبان بعضهن على بعض . ولئن كان أزواج النبي (ص) كهن يحرن
 (١) رواه البخاري ومسلم . وقوله هل تكلم بفتح التاء أصله تكلم تخفف (٢) رواه مسلم

من عائشة للهن بأنها أحب إليه ، فلم يـ سكـانت أشد من غيرة عليه ، حتى كانت تـغار من خديجة زوجها قبلها وهي لم ترها كما تقدم ، فكانت على شدة ما ترى من عدله ومساواته بين لـساءه تطـيع ما يـوسوس اليها الشيطان إذا خرج من عندها في بيتها أنه يذهب إلى غيرها ، حتى نبته مرة من حيث لا يـعـمر فإذا هو قد ذهب إلى البقيع (مقبرة المدينة) يستغفر للمؤمنين وللمؤمنات والشهداء قالت فقلت بأبي أنت وأمي : أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا . قالصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال ولحقني رسول الله ﷺ فقال « ما هذا النفس يا عائشة ؟ » قالت بأبي أنت وأمي أتيتني فوضعت ثوبك ثم لم تستم أن قت فلبستها فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صوبحاني حتى رأيـتـك بالبقيع تصنع ما تصنع فقال « يا عائشة أأنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله » (١) وأخرج مرة قالت ففرت عليه أن يكون أي بعض لـسـاله فجاءه رأي ما صنع فقال « أفرت ؟ فقلت وهل من لي لا يـغار دلي منك ؟ فقال « لقد جاءك شيطانك » قلت أومسي شيطان ؟ قال « نعم » قلت ومع كل إنسان ؟ قال « نعم » قلت ومعك قال « نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم » (٢) يعني اتى أسلم من طاعة وسوسته ، أو هو أسلم فلا يأمر بشر

وقالت ما رأيت صانعة طعام مثل صفية ، صنعت لرسول الله (ص) طعاما وهو في بيتي فأخذني أأكل (هو بالفتح الرعدة والقفز برة) فأرعدت من شدة الغيرة فكسرت الأناثم ندمت . فقلت يا رسول الله : ما كفارة ما صنعت ؟ قال « أناه مثل أناه وطعام مثل طعام » (٣) وقالت تحب صفية لتغيرها منها : يا رسول الله حبسك من صفية قصرها ؟ فقال لها « لقد قات كلمة لومزجت جاء البحر لمزجته » (٤) أي إن كلتها في قبعتها وخبتها والقيت في البحر لا تـرت فيه كله وخبت بها

٣٦

﴿ نواطؤ ازواجه وتظاهرهن على الكيد له ﷺ ﴾

شرب مرة عسلا عند زينب كان أعدي البها وكان يحبه فأفرت طاشة به جميع نساته فتظاهرن على الكيد له حتى لا يسودا لي شرب العسل عندها بأن توأطآن على أن يـكـرون (١) رواه البيهقي (٢) رواه مسلم عنها وعن ابن مسعود بلفظ آخر (٣) رواه أبو داود والنسائي (٤) رواه أبو داود والترمذي

وأعتهما شرب فتمنان، وكان شديد الكراهة للرأفة الحبيثة فامتنع من شرب ذلك
المسل عندها وحرمه على نفسه فلما علم بكيدهن وكذبهن عليه غضب عليهن كلهن (١)
وتواطأت عائشة مع حفصة في حادثة تحريم مارية القبطية وكان سببه غضب
حفصة لاجتماعها في بيتها فاسترضاهما بتحريمها عليه وأمرها أن تسكن الخبر فأفنته
لعائشة . وروي أنه أسرا إليها حديثاً آخر في مسألة الخلافة وتظاهر تأيها وتاوتا -
عليه في ذلك وفيها نزول قوله تعالى معاتباه ومنثراً لمن

(١:٦٦) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ
وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣) وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ
أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ
عَنْ بَعْضٍ، فَلَمَّا نَبَأَ مَا بِهِ قَامَتْ مِنْ أَنْبَاءِكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
(٤) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٥) عَسَى
رُبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مَسَلَتْ مُؤْمِنَاتٍ
فَقَبِلَتْ تَبَيَّنَتْ عِيْدَاتٍ سَبِيحَتِ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَرَا

حاصل معنى الآيات أنه لا ينبغي لك أيها النبي أن تبالي في مرضاة أزواجك
فتبلغ منها أن تحرم لأجلهن ما أحل الله لك، والله غفور رحيم فترك هذه فلا تود إلى
حثلها. وإن الله قد شرع لك كفارة أيمانكم ومنها عين تحريم المرافاة الأمة ، فهو كاليمين
بالله تعالى (أي يكفره) أطعام عشرة مساكين مرة واحدة أو كسوة كل منهم ثوباً أو عتق
رقبة فمن لم يستطع إحدى هذه الثلاث وهو غير فيها فصيام ثلاثة أيام) والله هو
العليم بأفعالكم ونياتكم فيها الحكيم بما يشرعه لكم فيما يمرض لكم من مقتضى
(١) رواه الشيخان وغيرهما وروي تعدد هذه القصة

الطباع البشرية فيرويه به وبزككم . ثم ذكر ذنب التي أنفت سره (ص) وهي حفصة بما هو ظاهر المعنى في الجملة ، وليس تفصيله من موضوع هذه الرسالة — وأردعها هي والتي أنفت لها السر وهي عائشة إلى التوبة من ذنبها وما صفت أي مالت إليه قلوبها ووافق أهواؤها من تلك الواقعة ، وأنذرهما أن أسرنا على التظاهر أي التاون والتأول على الرسول (ص) بأن الله هو مولاه الذي ينصره ويتولاه في كل أمر وكذلك جبريل وصالحو المؤمنين والمراد بهم هنا أبواهما أبو بكر وعمر (رض) والملائكة بعد ذلك كله يظهرونه ويؤيدونه « ص » ثم حدثهما بأن الرسول إذا طلقهما وما سائر أزواجه المتحيزات عليه فإن الله يبدله خيراً ممنهن في كل ما يتفاضل به النساء عنده من صفات الخصال ، ولو كان « ص » يهيم التمتع الجسدي لوصف الله الأبدل بصفات الحسن والجمال ، ولكنه لم يكن يفعل به ، ولو لم يكن نقصاً في نفسه

٣٧

(غضبه ﷺ على أزواجه وإبلاؤه ممنهن شهرآ)

(فتخيره إياهن بين الطلاق وبقاء الزوجية المرضية لله ولرسوله)

علمنا من الشواهد الصحيحة التي رويناها في حسن عشرة النبي « ص » لأزواجه بما هو أعلى من المعروف من عدل وحلم ولطف ، وصبر على تعابرهن وإثمارهن ، يكون أسوة حسنة لرجال أئمة ولا سيما للمهاجرين في ذلك . علمنا أنه آل أمرهن إلى الاتمار بينهم والتظاهر عليهم وامتناع الكذب وإفشاء السر ، وكذا يكن أسوة حسنة لنساء المؤمنين ، على خلاف ما يراد من تربية الرسول لهن ليكن قدوة صالحة لهن ، وكان قد اضطرب أمر النساء مع الرجال إذ زادت جرأتهم عليهم بتأثير ما أعطاهن الإسلام من الحقوق وما أوصى بهن النبي « ص » من التكرم حتى أنه قد اجتمع عند نساءه « ص » مرة سبعون امرأة كل تشكو زوجها فلما انتهى لساؤه منه إلى هذا الحد مع العدل الكامل ، واللفظ الشامل ، غضب غضبة الحليم ، وحلف أن لا يقربهن شهرآ ، واعتزلهن كاهن تربية لهن ، ولأنهم الترية إلا بوضع الحليم في موضعه والتعصب في

موضعه - واتني أستخلص من الصحيحين خبر غضبه وحلقه هذا بما فيه زيادة اليانء
لاكان عليه حال النساء في أول الاسلام ، وأبدأ بسباق سلم فأقول

روى مسلم في صحيحه ان عبدا لله بن عباس قال : مكثت سنة وانا أريد
ان اسأل عمر بن الخطاب عن آية فما استطع أن اسأله هية له حتى خرج حاجا
فخرجت معه فلما رجع فكنا بعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له
حتى فرغ ثم سرت منه فقلت يا أمير المؤمنين من اتان تظاهرتا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أزواجه؟ فقال تلك حفصة ومائسة، قال فقلت له والله إن كنت
لأريد ان اسألك عن هذا منذ سنة فما استطع هية لك، قال فلا تفعل ما ظننت
أن حدي من علم نسائي عنه فإن كنت اعلمه أخبرتك (قال) وقال عمر والله ان كنا
في الجاهلية ما نجد للنساء أمراً حتى انزل الله تعالى فبين ما انزل وتقم لمن ماقيم
قال فيينا انا في أمر أدهمنا إذ قالت لي امرأتي لو صنعت كذا وكنا، فقلت لها وما لك
أنت ولما هنا؟ وما تكلفك في أمر أريد؟ فقلت لي عبيدك يا ابن الخطاب ما تريد
ان تراجع أنت وان ابنتك تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه
غضبان اقال عمر فأخذ ردائي ثم اخرج من مكاني حتى ادخل على حفصة ، فقلت
لها يا بنية انك تراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان؟ فقلت
حفصة والله انا لراجعته، فقلت تملين اني احذرك عقوبة الله وغضب رسوله؟ يا بنية
لا يفرنك هذه التي قد اعجبها حسناتها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايهاا.
ثم خرجت حتى ادخل على أم سلمة لقرايتي منها فكلمتها فقلت لي أم سلمة عبيدك
يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبتني ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأزواجه؟ قال فأخذني اخذاً كسرتمني عن بعض ما كنت اجد (١) فخرجت
من عندها (هذه مقدمة مسلم لحديث عمر وأذكر تنبيه من راوية البخاري عنه)

(١) اي كسرت ما اجدته في نفسي ودفعني عنه حتى لم أقوله لها وفي رواية لابن سعد
انها قالت له : اي والله انا لنكلمه فإن تحمل ذلك فهو أولى به وانها ناهته كان
اطوع عندنا منك

(قال) ثم اتفعل عمر الحدیث بسوقه قال كنت أما وجاري من الانصار في بني أمية بن زيد وم من هوالی المدينة وكنا يتناوب النزول على النبي (ص) فيزل يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جثته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فل مثل ذلك ، وكنا معشر قریش نخاب النساء (١) فلما قدمنا على الانصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطلق لنساؤنا يأخذن من أدب نساء الانصار ، نصعبت على امرأتي فراجعتني فأنتكرت أن تراجعني قالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي (ص) ليراجعنه وإن إحداهن تهجره اليوم حتى الليل ، فأقرعني ذلك وقالت لها قد خاب من فعل ذلك من ، ثم جاءت علي ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة فقالت لها أي حفصة أفتاضب إحداكن النبي (ص) اليوم حتى الليل ؟ قالت نعم فقالت : قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يضرب الله لضرب رسوله (ص) فنهكني ، لا تستكذي النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ولا تراجعيه في شيء ولا تهجره وسليني ما بدا لك ، ولا يفرتك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يريد عائشة ، قال عمر وكنا قد عهدنا أن غسان تمل الحبل لنزونا فنزل صاحب الانصار في يوم نوبته ، فرجع البنا عشاء ففرب بابي ضربا شديدا وقال أئمة هو ؟ ففرغت فخرجت إليه ، فقال قد حدث اليوم أمر عظيم ، قت ما هو أجاب غسان ؟ قال لا . بل أعظم من ذلك وأهول ، طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه ، قتات خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا بوشك أن يكون ، فخببت على ثيابي ، فصليت صلاة التجرع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مشربا له (٣) فأعزل فيها ، ودخات على حفصة فاذا هي تبكي ، فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا ؟

(١) وفي رواية: كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته الا اذا كانت له حاجة... وفي رواية: كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في امورنا . هذا وقد قال النبي (ص) «خير نساء ركن الابل صالح نساء قریش: احناه على ولد (وفي رواية يقيم) في صغره وارعاه على زوج في ذات يده» رواه البخاري ومسلم وتذكر الفعل وافراده فيه مسجوع (٢) اي لا تطلي منه الشيء الكثير (٣) المشربة بضم الراء الترفعة او العلية .

أطلقه سكر النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت لا أدري ها هوذا منزل في للشربة، فخرجت فجيئت إلى التبر فإذا حوله رطل يكي بعضهم فجلست معهم قليلا، ثم غلبني ما أجد فجيئت للشربة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم فقلت للفلان له أسود: استأذن ليعر فدخل الفلام ثم كلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال كنت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرك له فصمت، فأنصرفت حتى جاءت مع الرطل الذين عند التبر ثم غلبني ما أجد فجيئت فقلت للفلان استأذن ليعر، فدخل ثم رجع إلي فقال قد ذكرك له فصمت. فلما وليت منصرفا (قال) إذا الفلام يدعوني فقال قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع على رمال حصير (١) ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من آدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت لساءك؟ فرفع إلي بصره فقال «لا» فقلت الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم أسألك يا رسول الله لو رأيته وكنا معشر قرشي فطلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نسأوم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قلت يا رسول الله لو رأيته ودخلت على حفصة فقلت لها لا يفرنك أن كانت جارتك أوصا منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم (يريد عائشة) فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في يته فوالله ما رأيت في يته شيئا ردا لبعر غير أهبة ثلاثة (٢) فقلت يا رسول الله فليوسع على أنت لك قان قارصا والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يبدون الله (٣) فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان (١) وفي رواية رمال سرير والرمال اسم لضلوع الحصير التي يمسح بها فتكون عند أخلة كالخطوط في الثوب (٢) الالهة يفتحن ويضمتمن أيضا الجلود مذبوغه أولا. واحدها إهاب (٣) وفي رواية فبكيت فقال ما ييكك يا ابن الخطاب؟ فقلت ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ماري وذالك حصير وكسرى في الأنهار والثمار وانت رسول الله وصنوته. وإما الذي رآه في خزائنه فهو قدر صاع من شعير ومثله قرظ مجموع في ناحية الغرفة. والقرظ جب شجر يدغ به الجلود.

منكنا فقال «أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيائهم في الحياة الدنيا» فقلت يا رسول الله استغفر لي . فأنزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أنفسته حفصة إلى عائشة تسماً وعشرين ليلة وكان قال «ما أنا بداخل شهرأ» من شدة موجدته عليهن حين طأبه الله تعالى، قالت عائشة ثم أنزل الله تعالى آية التحريم فبدأني أول ما سألت من نساءه فاحتقرته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة انفتحت الروايات على أن تخير النبي «ص» أزواجه بين تطليقهن وإبقائهن على عصمته على الوجه الذي يريد منهن وهو أن يكن قدوة صالحة لنساء في الدين كان بهد حادثه غضبه وهجره لمن شهرا ثم رضاهن، وقد صح أن يحدث في أثناء ذلك حبيب آخر للتخير وهو إالحاقهن بطلب التوسعة في النفقة والزينة

٢٨

مطالبة أزواجه ﷺ بإياه بسعة النفقة والزينة

كان من السهل على النبي «ص» أن يعيش مع نساؤه عيشة الترف والتمعة، وأن يجتمعن بما أحيين من الباس والحلى والزينة، بما كان له من الحلق في خسر الغنيمة، ومنها غنائم بني النضير ثم بما كان له من الأرض في خير، وكانت غاية توسعته عليهن إعطاؤهن مؤنة سنة كاملة من التمير والشمر الذي كان يتخذ منه الخبز في الثالب وكان ربما يصدق بعض ما آتاهن أو به كله إذا وجد من هو أحوج إليه من الفقراء، بل ذبح مرة شاة فتصدق بها كلها فقالت له عائشة حلا أحييت لنا قطعة منها فقطر عليها فقال «لو ذكرتني لفعلت» وقد وقع لها بدمه مثل ذلك بينه فقالت لها مولاه لما كما قالت للنبي (ص) وأجابها بما أجابها به: فهذه هي الترية الحمدية لأمهات المؤمنين، ولواتبع أهواءهن في الترف والزينة والامة في طور التأسيس، لعدم فضائل الدين - على ذم القرآن للمترفين المترفين

ولقد بشر النبي «ص» أصحابه بفتح بلاد الشام والفرس ومصر والاستيلاء على خزائن كسرى وقصر والسيادة فيها وفي غيرها من الأرض، وحذرهم الإسراف

فما أباح الله لهم في كتابه من الزينة والطيبات. وقال « ما تركت بهدي فتنة أضرم على الرجال من النساء » (١) ومن هذه الفتنة أنهن الداعيات إلى الاسراف في النفقة والزينة. فلما أراد نساؤه ذلك جعل الله تعالى له مخرجاً منه بتخييرهن بين بقائهن على عصمته إيثاراً لحظ الآخرة ، وبين تمتعه لهن بما يطلبن مع طلاقه لهن وتسر به لهن بإحسان إيثاراً منهن لنجاح الحياة الدنيا وزيئها ، فلو أن نساءه صلى الله عليه وسلم غلب عليهن التمتع بالتمتع والزينة والترف لاقتدى بهن جميع النساء من ذلك المهدوماً استطاع الرجال صرفهن عنه ، ولما قامت للإمامة قائمة ، فإن الاسراف في الترف والزينة بهلك الأمم الغنية ، فكيف تقوى به الأمم الفقيرة ؟ أم كيف يمكن أن تؤسس أمة قوية عزيزة مصلحة لفساد البشر وظلمهم بتشتتها على استنافس في الشهوات والزينة ؟

وإنما أباح الله الزينة والطيبات في حال السعة والثروة ، بدون إسراف ولا بطر ولا خيلة ، والغرض من كثرة أزواجه أن يكن قدوة للنساء في الفضائل النسائية كما أنه هو القدوة العليا والاسوة الحسنی للإمامة كلها في معاملة النساء وفي سائر الأمور ، وملاك ذلك كله إيثار سعادة الآخرة على مناع الدنيا

٣٩

تخييره ﷺ لأزواجه بين الدنيا والآخرة

قد ثبت أنه كان لهذا التخيير سببان (أحدهما) فضبه ونوجدته عليهن فيما كان من تظاهرن عليه وقد ذكرنا أصح الروايات فيه ، وأما السبب الآخر وهو مطالبتهن له بالتوسع في النفقة والزينة فهو ما دلت عليه الآية الأولى من آيتي التخيير الآتيتين وذكر بعض المفسرين بعض ما طلبن من ذلك . وأما اختار من الروايات العريضة فيه حديث جابر من صحيح مسلم وهذا لعله :

عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله (ص) فوجد الناس جلوساً يابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي (ص) جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً قال فقال

« رواه الشيخان وأصحاب السنن ماعداً بإدوارد عن إسامة بن زيد

(ابوبكر) لا تقول شيئا أضحك النبي (ص) فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة . سألتني الثقة ففعلت اليها فوجأت عنتها (١) فضحك رسول الله (ص) وقال « من حولي كما ترى يسألتني الثقة » فقام أبو بكر إلى عائشة يجأعتها فقام عمر إلى حفصة يجأعتها كلاهما يقول نسألك يا رسول الله (ص) ما ليس عنده ؟ فقلن والله لا نسأل رسول الله (ص) شيئاً أبداً ليس عنده . ثم اعزهن شهرأً أو تسماً وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية (يا أيها النبي قل لازواجك - حتى بلغ - المحسنات منكن أجراً عظيماً) قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تسجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله ؟ قتلها عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر أمراً من لسألك بالذي قلت ، قال « لا نسألكي امرأة منهن إلا أخبرتها ، وإن الله لم يمتحن معتنا ولا ممتناً وانكن بشئ مغلطات فمما ميسراً » ثم خيرهن كاهن فاخترن ما هو خير لهن . اخترن الله ورسوله والدار الآخرة وهذا نص آتي التخيير :

(٢٨ : ٣٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَّأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِذْنَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا فَتَعَالَيْنَّ أُمَتِّمِكُنَّ وَأُسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا

(٢٩) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِذْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ

أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا

خلاصة معنى الايتين : قل لهن إن كنتن ترددن من حياتكن الزوجية حظوظ الدنيا وشهواتها وزينتها فاتي لم أهب لذك ولا تزوجكن فذلك فتعالين أعطكن أتممة التالية التي شرعها الله للمطلقات وأمرحن إلى أهلكن سراحاً جميلاً لإهانة فيه ولا إساءة كما أمر الله كل من احتاج إلى تطليق امرأته ليدم استطاعته أن

(١) بنت خارجة زوجها ووجأ عنتها لكزه يجمع يده وأولواه إظهاراً للأنكار لا لاجل الإيلام

يعيش معها عيشة وافية مرضية لله ثم له ولها . وهو دليل على أنه (ص) لا يستطيع أن يقوم بوظيفة نبوته مع نساء ممن من جبايتهن التميم والزينة . وإن كنتن تردن من هذه الزوجية مرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله بالقيام بإعلاء الدين ، وإصلاح أمور المؤمنين والمؤمنات ، وثواب الدار الآخرة ، تؤثرنه على نعمة الدنيا العاجلة ، فإن الله قد أعد للمحسنات منكن في ذلك أجراً عظيماً هو أعظم وأكبر مما أعد للمحسنات من سائر المؤمنين . وقد بين هذا في الآيات التي بعد هذه . وهي وما سبق من أسباب نزولها تدل على اقتراء أعداء الإسلام الذين يقولون إن محمد من جبايته التمتع بالذات والعهوات ، وأنه لذلك أكثر من الزوجات

٤٠

(تاديب الله لأزواج نبيه ﷺ وتعليمهن ما يراد منهن)

أمر الله تعالى رسوله أن يبلغ أزواجه ما ذكر من التحذير على أنه من ربه لامن عند نفسه ، ووصل الأمر بمواظبة وحكم عرفهن بها منزلتهن وتفضيلهن على سائر النساء بحملهن قدوة لمن في التقوى وحسن معاملة الأزواج ، بما أتاهن من من مباشرة مصلح البشر الأعظم محمد رسول الله وخاتم النبيين وما بثقته منه من آيات الله والحكمة ، وما يشاهدنه من إمامته وطو أخلقه من الاسوة الحسنة ، وأن مقتضى ذلك أن يكون أجرهن على العمل الصالح مضاعفاً ، وعقابهن على الأعمال الفاحشة مضاعفاً ، على قاعدة القرم والغرم ، وكون الذي يقتدى به في الخير له أجر ومثل أجور من يقتدون به فيه ، والذي يقتدى به في الشر عليه وزره ومثل أوزار الذين يقتدون به فيه . وفي ذلك حديث نبوي في صحيح مسلم معروف . ولو كانت سيرة أزواج الرسول (ص) قاعدة لتسدت سيرة سائر المؤمنين بل لكان ذلك من أسباب فساد اعتقاد كثير من الرجال ، قال الله عز وجل غالباً لمن :

(٣٣ : ٣٠) يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِثْكَنَ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣١) وَمَن يَفْعَلْ

مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣٢) يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتَنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَرْئُوفًا (٣٣) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِنَّ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٤) وَاذْكُرْنَ مَا يُكُنْ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَعَلِيمًا خَبِيرًا)

الفاحشة الميئنة هي الفمحة الطاهرة القبح كاللكن في سأة السل دون المفوة والدم بما قد يغني قبحه على قاعله . والتقوت لزوم الطاعة مع الخضوع واذعان النفس . والسل الصالح أهم منه والتقوى اتقاء مخالفة الله ورسوله وكل ما تسوء عاقبته . والخضوع بالقول لبن الكلام لا توي الذي يطعم الرجل الخبيث الضيف الايمان في المرأة لا رتبة في عفتها . والقول المعروف هو الحسن الهري من الرية الذي لا ينكر زاحة قائلة من يسمعه (وقرن في بيوتكن) أمر من الفرار أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن منها لغير حاجة - والتبرج التبخر مع اظهار الزينة لجذب الابصار وهو من منكرات الجاهلية القديمة . والرجس الدنس المعنوي وهو كل ما يمس الدين أو الشرف . وقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) تحليل لهذه الاوامر والثواهي كلها فان استأثرت بنافيه وتم به الطهارة باكل ممانيتها . وذكر الضمير (عنكم) يشمل صاحب البيت صلوات الله وسلامه عليه فان شرف أزواجه شرفه فان علق باحداهن رجس أمابه أنه وطاره - أعلى الله كرامته ونزه ساحتة - وقد يشمل بمومه سائر اهل بيته غير نسائه التصورات بالذات ، وتؤيده بعض الروايات . وآيات الله كتابه وبراهينه ، والحكمة السارفة المعقولة المرقية للعقول للزكية للنفوس ، الحامية لها على معالي الامور

(توسعة الله على نبيه ﷺ بما تكمل به تربية أزواجه)

بالغ أزواج النبي (ص) في التضيق عليه بباعت الفيرة وجراهن عليه سلمه
 الواسع ولطفه ، واعتقادهن ان المساواة بينهن واجبة عليه ، وتوهمهن ان منها
 المساواة في الحب ، وفي امر الناس بان يهدي اليه من شاء منهم حيث كان من بيوتهم .
 فكان من تربية الوحي لهن ما ذكرنا آتفا من تهديد زعيمتهن طائفة وحفصة
 وإنذارهن الطلاق وإبدال به إياه خيرا منهن ، ثم ما خاطبه به في الآية المحمين
 من سورة الاحزاب من أنه احل له أزواجه اللاتي تزوجهن بموورهن وغيرهن
 من قرياته المهاجرات وما أقام عليه من ملك الجين ومن نبيه نفسها ليتزوجها بدون
 مهر خاصا به ، مع بقاء ما فرضه على سائر المؤمنين من المهور ، وتقييد الزواج بان
 لا يزيد على اربع نسوة في حال القدرة مع العدل والمساواة ، وعلى واحدة هذ
 الخوف من الظلم ، وكان بعض النساء يوين أنفسهن له (ص) وبعضهن يعرضن عليه
 قريباتهن حتى نهاهن عن ذلك * ثم أقام الله تعالى في الآية التي بعدها برفع الحرج
 عنه في سمالة أزواجه كلن بما يشاء ليعلمن ان مساواته يشهن فضل منه (ص) عليهن
 واحسان بهن لا واجب عليه من الله تعالى لهن ثلثا بمدن إلى مثل ما كان منهن قال تعالى
 (٣٣ : ٥١) تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ

(*) روى البخاري وغيره عن ثابت قال كنت عند انس وعنده بنت له فقال
 جاءت امرأة تعرض نفسها على رسول الله (ص) فقالت ألك بي حاجة؟ فقالت بنت
 انس ما اقل حياءها واسوأها واسوأها فقال هي خير منك رغبت في رسول الله
 (ص) فعرضت نفسها عليه ، وروى البخاري وغيره ان خولة بنت حكيم كانت
 من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي (ص) فقالت عائشة أما تستحي المرأة ان تهب
 نفسها للرجل - وروى ان ام حبيبة عرضت عليه اخبتها ليتزوجها فتشاركها في خيرها
 فاخبرها بدم حلها له معها وقال «فلا تعرضوا علي بناتكن ولا اخواتكن»

وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزَلٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ
أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَرِضَيْنَ بِمَا آتَيْتَنَّهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا

رفع الله عن نبيه بهذه الآية ما فرضه على أمته من القسم والمساواة بين الأزواج ،
وأباح له ما يشاء من إرجاء نوبة بعضهن أي تأخيرها ، وإيواء من شاء إليه متى شاء ،
وعزل من شاء وإيادها ، ولكنه ﷺ نزل على ما كان من مساواته بينهما بالعدل ، فريض
منه لأنه بمحض الفضل ، ولم يفرض عليهن أحداً عن أبيح له في الآية التي قبلها ، ولو كانت
ورغبة في تعدد الأزواج للاستمتاع بهن لفعل ولاختار حسان الابتكار على التيبات
ولما نزلت هذه الآية قالت عائقة له كلمة شاذة لملها أشد ما صدر عنها من
إدلال حب الزوجية وغرارة الحداثة : قالت له ما أرى إلا أن ربك يسارع في
هواك (١) تعني بهواه ورغبته وميله النفسي فقابل (ص) هذه الكلمة الجريئة النابية
عن الأدب بلغة الواسع حتى علمت عائقة وغيرها أنه (ص) لم يكن له أدنى هوى
نفسى في هذه التوسعة عليه قائم لم يعمل بها ، وإنما كانت لاجل تربيتها هي وسائر أزواجه
واقناعهم بكمال عدله فيهن وفضله عليهن فيما لم يوجبه ربه عليه

وكانت عائقة على حداتها قوية الإيمان والاحلال له (ص) ولكن الغيرة النسائية
كانت تغلب على وجدانها - ولقد أقصتها حفصة في سفر لها مع النبي (ص) بأن تستبدل
بغيرها بغيرها ففعلت فرأته (ص) يكلم حفصة ظاناً أنها عائقة فاشتعلت نار غيرها فلما
نزلت وضعت رجلها في الإذخر (نبات عطر معروف) وصارت تدعو الله أن يرسل إليها
حية أو عقرباً تلدها وتقول : إنه نبيك ولا أستطيع أن أقول له شيئاً . رواه البخاري
وروت معاذة عن عائقة قالت إن رسول الله كان يستأذن في يوم المرأة منا بمد
أن أنزلت هذه الآية (رجعي من تشاء منهن إلخ) فقلت لها ما كنت تقولين ؟ قالت كنت
أقول له إن كان ذلك إلي قاني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحداً ٢ وفي رواية
لم أوتر أحداً على نفسي . فإين هذا الجواب من إنكارها عليه مد يده إلى زينب
لمصافحتها في بيتها ومن محبستها عليه إذ أبطأ في زيارتها يوم شرب السمل عندها ؟

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما (٢) رواه البخاري (يتبع)

العقيدة السلفية والاستاذ الدجوي

حديث فاطمة بنت أسد

(لم يجد الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي طريقة لخدمة الاسلام والمسلمين في مجلة الأزهر (نور الاسلام) إلا الطعن في العقيدة السلفية وأهل الحديث والطعن على متبعتها عامة وأهل نجد خاصة ، وترويج البدع ، وقد جاء ثنا عدة رسائل في الرد عليه أبيتنا نشر شيء منها ، ولو اخترنا أمثلها حجة وأدبا لفضلنا منها ما كتبه الاستاذ العالم العامل الشيخ محمد هبة البيطار الشهير إذ كنا اطلعنا على أوله فاستحسنناه . وقد نشر أربع مقالات منه في مجلة الرابطة الاسلامية الدمشقية ثم عطلت هذه المجلة فأرسل الينا الخامسة فقرأنا أن ننشرها ضنا بها أن تضعيع وهذا نصها والعنوان من الاصل)

قال الاستاذ الدجوي [وقد توسل ﷺ بالانبياء السابقين بعد موتهم كافي الحديث الصحيح] ثم أورد حديث فاطمة بنت أسد ، والشاهد منه [اغفرا لي فاطمة بنت اسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين] قال [اخرج الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح] أقول قوله: في الحديث الصحيح وبسند صحيح . هو حكم غير مسلم ولا صحيح فان في سنده روح بن صلاح المصري ، ضعفه ابن عدي . والحديث لم يرضه الشيخان ولذا لم يخرجاه في الصحيحين ولا سائر اصحاب الكتب الستة ، ويعلم النقاد البصرون بملل الاحاديث أن كل ما لم يخرج به هؤلاء كلهم فله قوة فيه ، وعلى الحديث يعلمها الراسخون في علم السنة ، ولست الآن في صدد التصحيح والتضعيف فأورد ما قاله أئمة هذا الشأن فيه وعلى قرض صحته لا شاهد فيه ، إذ هو توسل بحق النبيين صلوات الله عليهم وحقهم . هو ما فضلهم الله به على غيرهم من النبوة والرسالة ، وما خصهم به من الخصائص والازايا كاجتنابهم واصطفائهم ، وما وعدهم به من النصر والتكثير والتميز والتأييد ، وقبول شفاعتهم إذا شفّعوا بعد الاذن والرضا ، فهذا توسل اليه تعالى بأفعاله ، وأفعاله سبحانه ليست من مخلوقاته ، بل هي من مقتضى أسمائه وصفاته ومثل حديث فاطمة ما رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال « اللهم أني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق عمشاي هذا » الحديث وفي مسنده . عطية العوفي وهو ضعيف كما قالوا ، ولكن معناه صحيح فهو توسل إلى الله بعمل المتوسل من دعائه والمشي إلى الصلاة وبما وعد على ذلك ، بحق السائلين عليه الإجابة ، وبحق الماشين إلى المساجد الإثابة : قال تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقال (أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال (ان تنصروا الله ينصركم) وقال (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فالسائلون يسألونه تعالى تحقيق ما وعدهم به ، وقد تفضل بخله حقاً لم عليه سبحانه ، وتحقيق وعده هو من صفاته تعالى الفعلية ، وليس ذلك من عمل النزاع في شيء .

وفي الصحيحين (واللفظ للبخاري) عن معاذ بن جبل (رض) قال قال النبي ﷺ « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال الله ورسوله أعلم قال « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال الله ورسوله أعلم . قال « أن لا يعذبهم » وقد قدمنا عن الامام أبي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله قوله يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان . وبحق انبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والمشر الحرام ، لانه لا حق لتبر الله عليه وإنما الحق لله تعالى على خلقه

ويوافقهم في هذا جميع التمسكين يهدي السلف وآثارهم من يقول كشيخ الاسلام ابن تيمية [اللهم بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بحرمة فلان عندك افضل لي كذا وكذا ، فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الامة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء] وقد يظن بعض من لانصيب له من التحقيق - وبعض الظن اثم - أن هؤلاء ينكرون حرمة الرسل وجاههم وكرامتهم على ربهم في حياتهم أو بعد وفاتهم ، مع أن ثبوت الجاه لم يرد في القرآن . قال تعالى في حق موسى عليه السلام (وكان عند الله وجيهاً) وقال في حق عيسى عليه السلام (وجيهاً في الدنيا والآخرة)

قال شيخ الاسلام في كتاب التوسل فاذا كان موسى وعيسى وجميعهم عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم ، صاحب المقام المحمود الذي يقبض به الاولون

والآخرون ، وصاحب الكوثر والحوض للورود الذي آتته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلا من العسل ، ومن شرب منه شربة لم يظأ بعدها ابداً ، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين ، ويتقدم هو إليها ، وهو صاحب اللواء ، آدم ومن دونه تحت لوائه ، وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل وهو إمام الانبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا ، ذو الجاه العظيم ﷺ وعلى آله . ولكن جاء المخلوق عند الخالق ليس كجاء المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده احد الا باذنه (إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدم عدأ) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) الآية . والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك له لما قال سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهم من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) اهـ

فقد علمت من هذا أنه ليس الخلاف في جاء الرسل الثابت لهم عند ربهم والذي لا يزيلهم ولا ينفك عنهم أبداً ، بل هو في مزيد عنده تعالى يرفعهم به أعلى الدرجات فكيف بسيد ولد آدم وروحي له الفداء ﷺ ، وإنما الخلاف في فهم المراد من التوسل بجلاله أو حرمة أو الحق ، وهل جعله الله سبباً شرعياً في إجابة الدعوات فإن كان المراد منه معنى يرجع الى أفعاله تعالى وصفاته كاصطفائهم واجتباؤهم وما وعدم به تعالى من النصر والتمكين ورفع الدرجات في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيه تقول ونحن متمقون بيد ان ههنا مسألة مهمة ، وهي أن حقوق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وصالح الصالحين ، ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة بينها وبين اجابة سؤاله ، فإذا قال الداعي أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي حاجتي . فمعنى ذلك اقض حاجتي لكون فلان صالحاً ، فاي مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه ، وإذا قلت بجاه فلان اغفر لي ، كان المعنى أطلب المغفرة لكون فلان ذابها ، وأي ملازمة بين جباه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أو جباه ليس

منفياً عنه لافي حياته ولا بعد مماته ، ولا هو محل نزاع ، ولكنه ليس من عملك الذي تستفيد أنت منه ، وتستحق الجزاء عليه ، وأما العامل هو الذي يجني ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قل تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يقول الأستاذ الدجوي في خاتمة مقاله الثاني : « على أن التوسل بالأعمال متفق عليه منا ومنهم فلماذا لا نقول : أن من يتوسل بالإنبياء والصالحين هو متوسل بأعمالهم التي يحبها الله تعالى ، وقد ورد بها حديث أصحاب النار ، فيكون من محل الاتفاق ، ولا شك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث هم صالحون ، فيرجع الأمر إلى الأعمال الصالحة المتفق على جواز اتوسل بها ، كما قلنا في صدر المقالة » اهـ

أقول : قوله هذا غير مسلم على إطلاقه ، بل فيه نظر ظاهر ، فإن المتفق عليه هو توسل كل عامل بعمله ، ويشهد له حديث أصحاب النار الذي استدلل به ، فهو حجة عليه لانه ، لأن كل واحد من أولئك النفر الثلاثة توسل بعمله الصالح الذي اخلصه في الله تعالى ولم يتوسل بعمل غيره : والاصل في هذا قوله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) فالقول بأن الأعمال الصالحة تنفع العامة وغير العامة ، ومنفعتا وتمرتها تشمل الصالحين والطلحين والمؤمنين والفاسقين ، مما يجري على ترك العمل والزهد فيه ، والاكتفاء بالتوسل بدلا عنه ، ويجعل المتقين والفجار سواء في العاقبة والجزاء : الاولون ناجون بعملهم ، والآخرون يتوسلهم بعمل غيرهم . ولكن الله يقول (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كلفسد في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) ويقول (ام خسب الذين اخرجوا السيثان ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟ ساء ما يحكمون)

لو كان التوسل بصلاح الصالحين وعمل العامة يفيد المتوسلين لما كان الامر علينا معشر المسلمين ، ولنا لنا كل خير من ذلك ، إذ كلن يمكننا ان نقول مثلاً اللهم ازل ضعفنا وآمن خوفنا وانصرنا على عدونا بمجاهدنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك لأعلاء كلمتك ، ففتح لهم فتحاً ميبئاً ، ونصرهم نصراً عزيزاً ، ربنا هب لنا الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والحضارة والعمران ، مثل ما وهبت لهم ، نسألك اللهم أن

تمنحنا ذلك كله بجهادهم وسعيهم وعلمهم، إذ نحن لا جهاد لنا ولا سعي، ولا علم ولا عمل، وإنما نحن عالة على غيرنا يا أرحم الراحمين — أفترى أنه تفيدنا هذه التوسلات بجاه أسلافنا وقوتهم وسعة سلطانهم واستبحار عمرانهم، ونحن قد تداعت علينا الأمم فجعلتنا مغنياً ونهباً مقسماً؟

وهكذا شأن التوسل الديني الآخروي، من وقفه الله وألهمه رشده يتقي عقاب الآخرة بما شرعه الله لانقائه من التوبة والإيمان والأعمال الصالحة قرب الدارين واحد وحكمته واحدة لا يناقض بعضها بعضاً ولا يبطل بعضها بعضاً، كما حققه الإمام ابن القيم وأثرناه عنه في المقال المتقدم فجدد به عهداً (ومثله في كتابي العجب والقرور من أحياء الغزالي) والاصل في ذلك قوله تعالى (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) فهو توسل إلى الله تعالى بالإيمان والاتباع ومثله قوله (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) فقد رتب الله عليه الاستجابة بقوله (فاستجاب لهم ربهم) لا اضيع عمل عامل منكم (الآية). وفي معناها آيات أخرى

فانظر رحمك الله إلى هذه الآيات الكريمة، والادعية الجليلة، كيف ارشدتنا إلى التوسل إلى الله عز وجل بما شرعه من الإخلاص في الدعاء له وحده، والإيمان بما أنزله من عنده، وإتباع الرسول ﷺ على الوجه الذي جاء به من عنده، ثم تأمل كيف جعل ذلك سبباً لاستجابة الدعاء بمغفرة الذنوب وتكفير السيئات والوقاية من النار، والنظم في سلك الأبرار - وأين هذا التعاليم الإلهي والتوسل الشرعي، من المعامل التوسلية التي أنشأها للبتدعة لانفسهم ولغيرهم وهم يصدرون منها كل حين من التوسلات للبتدعة أنواعاً متنوعة ما أنزل الله بها من سلطان (قل أنتم أحلم أم الله) وهل كان دين الله ناقصاً فأكلتموه بهذه الابتدعات المحدثات؟

أختم بهذا مباحثي في موضوع التوسل وألوي عنان القلم عنه لأجيب عما هو أهم منه كباحث الألوهية والصفات على طريقة السلف الصالح بما يوضح لامشتبهين أن مذهبهم هو الأسلم والأعلم والأحكم إن شاء الله تعالى

محمد بهجت البيطار

دمشق

إِنْبَاءُ الْعِلْمِ الْإِسْلَامِيِّ

(الخطر على الاسلام بسيطرة الانكليز على الحجاز)

(أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة) واللسلون لاهون غافلون، وأعداء الاسلام دائبون مسرعون، يسخرون خوة المسلمين في فتح دار الاسلام، والقضاء على ملك الاسلام، ويشغلون أذكياهم بظواهر الامور عن بواطنها، ويمحقونها عن عظامها، فالدولة البريطانية [أقوى اعداء الاسلام] تريد تأسيس امبراطورية عربية بريطانية جديدة تحمل محل الامبراطورية الهندية التي يملكون قرب أجلاها تمتد من مصر الى خليج فارس وتشمل جزيرة العرب كلها بشكل معين، وتقسيم مدير، ينفذ في زمن مقدّر، ومن مقاصده الاساسية القضاء على دين الاسلام نفسه من نواحيه السياسية والاجتماعية والعسكرية، بالسيطرة على الحجاز وقطع الطريق على منصب الخلافة الحق، ولو بالتوصل اليه بخلافة باطلة مدينة لها خاضعة لنفوذها وقد بينا من قبل ان أعظم تهديد بدأت به هذه الدولة الجشعة للقضاء على استقلال الاسلام والعرب هو استخدام شريطين شهيرين من شرفاء الحجاز لتمليكها أعظم مواقع الحجاز البحرية والبرية (أحدهما) صاحب الجلالة الهاشمية (الملك علي) الذي نصبه الحزب الوطني الحجازي ملكا على الحجاز عند ازماع والده صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الرحيل من مكة الى حيث نشاء الدولة الانكليزية ليقبته باستيلاء ابن السعود على مكة (وثانيهما) صاحب السمو الهاشمي الامير عبد الله بن الحسين الذي استقدمه بعض اعضاء حزب الاستقلال العربي من الحجاز الى شرق الاردن عقب استيلاء الجنرال غورو الفرنسي على دمشق وإخراج جلاله الملك فيصل منها - لاجل أن ينظم لهم وسائل الدفاع في منطقة شرق الاردن العربية الحرة لانها ليست من فلسطين التي قيدها الانكليز بالوطن القومي لليهود، ولا يست من منطقة النفوذ الفرنسي - فحضر وكان من خدمته للعرب والعربية أن جعل شرق الاردن مقيدة بالانتداب البريطاني وخاضعة لنفوذ الانكليز العسكري مباشرة، وتشرىد الحزب الذي استقدمه

وأما الخدعة التي اشترك فيها هو وأخوه الملك علي في التمهيد لامتلاك الانكليز للحجاز فهي اتفاقهما على جعل خليج العقبة الحجازي الذي هو من أعظم مواقع البحار الحرة في العالم والارض الممتدة منه الى معان أهم محطات سكة الحديد الحجازية في أرض الحجاز تابعة لإمارة شرق الاردن ، وخاضعة للانتداب البريطاني السامي ونفوذ جلالة ملك الانكليز العسكري

أصدر الملك علي الهاشمي وهو تحت حصر الجيش السعودي في جدة إرادته الهاشمية باقتطاع منطقة العقبة - معان من مملكة الحجاز وإلحاقها بإمارة شرق الاردن التي وضعها اخوه تحت السيطرة البريطانية ، فعدها هذا فتحاً ميثاقاً وأمن باطلاق مائة مدفع ومدفع ابتهاجاً بهذا الفتح ، لأن سيطرة الانكليز على الحجاز بعضه أو كله أعطى عندهما من سيطرة عبدالعزيز السعود ، وإن كان دين الاسلام لا يبيح لأمثال الخلفاء الراشدين مثل هذا التصرف في أرض الحجاز ولا في غيرها من بلاد المسلمين بل صرح الامام الشافعي ولم يخالفه غيره بأنه لا يجوز لامام المسلمين الاعظم أن يأذن لغير المسلمين بالإقامة في ثغور الحجاز ولا في جزيرة من جزائره فكيف يبيع الاسلام لمثل علي بن حسين الذي لم تكن له سلطة شرعية على الحجاز ولا نفوذ فعلي فيما عدا مدينة جدة مثل هذه الهبة ؟ ومن عجائب افتتان هذه الشعوب الجاهلة بلقب «ملك» ان بعض السوريين يتمنون أن يكون «الملك علي» هذا ملكاً لسورية وإن بعض كتابها يتشرف بسؤاله عن سياستها وينقل أقواله السخيفة في الجرائد فتتناقلها !! ان هذه الهبة ليس لها قيمة شرعية ولا قانونية بيد ان قوة الدولة البريطانية وقى الله الاسلام والعرب شرها ، وأدال مصر والسودان والهند منها - تكفي بهذه الالفاظ لانشاب برائتها في مقتل أي أمة ضميعة إذا لم تجد مستنداً قانونياً أقوى منها ، وقد حاولت هذا المستند فحبل بينه وبينها

ذلك بأنه لما تم لابن السعود الاستيلاء على الحجاز أرادت الدولة الانكليزية ان تحمله على إقرار إلحاق العقبة ومعان بشرق الاردن في المعاهدة التي عقدت في بجره لوضع الحدود بين مملكته وإمارة شرق الأردن فأبى إلا ان تكون منطقة العقبة ومعان تابعة للحجاز كما كانت ، وقد طالبت المشادة والمحادثة بين المندوب البريطاني

(الجنرال كلينتون) وبينه في ذلك وكادت تمثل الماهدة فاقترح المندوب البريطاني بعد استئذان حكومته تأجيل البت في ذلك الى مفاوضة أخرى مدة سبع سنين. لا يحدث أجد الفریقین في ذلك حدثاً جديداً فقبل الاقتراح لماذا اقترح الانكليز تأجيل هذه المسألة ؟ الجواب عن هذا السؤال يؤخذ من كلمة اشتهرت عنهم وصارت هجيراً وهي قولهم « ان الوقت معنا - او لنا » - وذلك انهم اصحاب روية وأناة ، لا اصحاب بديهة وبادرة ، واصحاب حزم ووثبات ، لا اصحاب عجلة ، وقد طفقوا يكيدون لابن السعود ويتخذون الوسائل لا خضاعه. لهم بما فعلوا على حدود العراق ثم على حدود شرق الاردن من المعامل والقوى العسكرية ، وبما كان لهم من الدسائس والفتن في الثورة النجدية (ثورة فيصل الدويش) وبدسائسهم الخفية المضغة لثروة المملكة وملكها وغير ذلك مما ليس لنا أن نخوض فيه الآن ، حتى اذا ما اعتقدوا أن العسرة قد اشدت خناقها بضعف موسم الحج في هذا العام ، ظنوا ان احداث فتنة جديدة في الحجاز أو ثورة في أطرافه لا تلبث أن يطير شررها الى اعرابه فدفنه وان يمتد لهيها الى نجد ، فنقضى على ملك هذا الزعيم العربي المسلم الشديد البأس قبل أن يوفق الى تنظيم قوته وتوطيد استقلاله ما كادت ترتفع حرارة الصيف من هذا العام الا وقد ارتفعت حرارة الفتن والدسائس السياسية السرية ، مقترنة بالحركات العسكرية العلنية ، فالانكليز يجمعون قواتهم الامبراطورية والعربية الهاشمية في ايامه شرق الاردن على حدود الحجاز ونجد . والجيوش الانكليزية تنقل بالطيارات من مصر الى شرق الاردن ، وبعض بوارج الاسطول البريطاني ترسو في خليج العقبة الحجازي الذي هو أهم وأمنع موقع بحري حربي في بلاد العرب وكذلك جلالة ملك الحجاز ونجد يجمع قواته أيضاً ، ولماذا كل هذا وكل ذلك ؟

قيل ان سبب هذا وذاك ان ابن رفاة أحد شيوخ الاعراب (البدو) الحجازيين الذي كان فر من الحجاز بعد استيلاء ابن السعود عليه ولجأ الى مصر قد جمع شرذمة من البدو وزحف بها من شبه جزيرة سيناء لاجل مهاجمة الحجاز وإخراج الدولة السعودية منها !!

وقد عنيت الانباء البرقية من لندن ومن شرق الاردن بالطمع في الحكومة السعودية وإضفاف أمرها وأدعاء كراهة أهل الحجاز وكذا سائر المسلمين لما حتى أهل نجد ... وعظمت في مقابلة ذلك أمر ابن رفاة هذا وشأن قوته التي قيل انها تبلغ أربعمائة نسمة فارتقت بها بعض الانباء الى أن زادت ألف رجل أو أكثر (!!) ثم عظمت أنباء أنصاره وأعوانه الذين يمدونه بالمال واللؤن والدخائر ومنها ان هذا للدد كله من مصر تحمله اليه سفن مخصوصة، وقد صرح بهذا بعض رجال الانكليز الرسميين، فانصرفت أذهان الناس الى الدولة المصرية نفسها، اذ لا يوجد في مصر من يمكنه ذلك غيرها، اذا كانت متفقة مع رجال الانكليز عليها،

نعم أن في مصر جمعية حجازية تكره الحكومة السعودية ولكنها جمعية فقيرة، وأن في مصر بعض الشوفاة الذين يودون الادالة لاسرهم من الملك عبدالعزيز آكل معود ولكنهم عاجزون عن مد هؤلاء الثائرين، فلا مال ولا رجال، ولا وسائل لنقل المال والرجال من مصر الى حدود الحجاز، ولو وجد كل ذلك ليسهم بها اقدموا على هذا العمل الا اذا كانت الدولتان البريطانية والمصرية إحداهما أو كلاهما تسخرهم لتنفيذ مقاصدها بما يعتقدون به ان هذه الثورة الحظيرة ستكون عميداً لقلب حكومة الحجاز وزعها من يد ابن السعود

والمثقبون عن خفايا الدسائس في مصر يقولون ان بعض الشرفاء موعود بان يحمل اميزا على الحجاز بعد الحاقه بمصر، وان يحمل راتبه ثمانين الف جنيه في السنة، وان يحمل له حامية مصرية مؤلفة من ستة آلاف من الجيش المنظم وجملة القول ان الانكليز ظنوا ان الفرصة لا تسامح لايقادير ان ثورة في الحجاز شر من ثورة نجد السابقة، اما ان تنتهي باخراج ابن السعود من الحجاز أو باضطرابه الى الاعتراف لهم بالحق القوية ومعان بشرق الاردن، لأن الاوان قد آن لاجداث ما يريدون فيها من الاعمال التجارية والعسكرية لقرب وصول أنابيب زيت البترول من العراق الى البحر المتوسط ولكن ابن السعود قد شعر بالمراد، وجمع عن القوات النجدية والحجازية ما يفوق ما جمعه الانكليز استعدادا لدرء الفتنة

إن أقوال الجرائد الانكليزية الكبرى كالتيمنس والديلي تلعرف في تكبير حركة

ابن رفاة الصنيرة وفي اراجيفها الكثيرة فيما تحكيه عن اهل الحجاز وعن سائر المسلمين من عندهم لزوال سلطة « الوهابيين » عن الحجاز يفسرها للمسلمين استرداد الانكليز العسكري على حدود الحجاز ونجد من العقبة الى آخر حدود شرق الاردن وتفسره اقوال الامير عبد الله الذي وضع هذه البلاد تحت سيطرتها العسكرية من تصريحه بعد اودة ابن السعود وسعيه طول حياته لاستعادة ملك الحجاز الى نفسه وتفسره اقوال مستر كلوب (ابو حنيك) الانكليزي وأعماله في تنظيم قوات شرق الاردن العربية والانكليزية الذي يسد فيها سيرته الاولى بين نجد والعراق التي أعقبت ثورة الدويش، وهذه الاقوال نشرتها الجرائد كلها غشياً المبره بها من ذكرها وحاصل هذه الاقوال والافعال أن الانكليز يريدون نقض ما عاهدوا عليه ملك الحجاز ونجد من أنهم لا يحددون حدثاً في منطقة العقبة وممان مدة سبع سنين أو يجهلوه على مطاردة ابن رفاة فيها اذ الجأ اليها فيتموه بنقضها ويعلنوا احتلالها للضرورة والافانهم يسخرون العرب للقضاء على ملك العرب ، ويسخرون المسلمين لتمكينهم من هدم الاسلام واذلاله بوضع الحرمين الشريفين تحت نفوذهم وسلطانهم كشرق الاردن ومصر فان خليج العقبة من الحجاز كزقاق البوسفور من مدينة الاسطانة أو أعظم وان الطريق منها الى العراق من جزيرة العرب وسورية والعراق كنياط القلب وهو الشريان الاعظم في الجسم كما بينا ذلك في النار مرارا

كذب الانجليز في دعواهم أن المسلمين لا يسوءهم اخراج ابن السعود من الحجاز فها هي ذي جميع الجرائد الاسلامية في مصر وغيرها تعلن سحقها على ابن رفاة الخائن ، وتمسك كل من يساعده خائناً لامته ودينه ، وكل مسلمي مصر حناطون على حكومتهم لعدم اعترافها بحكومة ابن السعود ولعدم ارسالها الى الحجاز حقوقه وحقوق أهله في أوقاف الحرمين في المهد السعودي مع اشتداد العسيرة في هذا العام. كل هذا وأكثروا يشعروا بتماسد الانكليز في العقبة وممان وشرق الاردن والعراق، وانهم يريدون تأليف امبراطورية عربية لا تقوم معها للعرب ولا للاسلام قائمة ولا تطعم بعدها مصر ولا جزيرة العرب باستقلال ديني ولا دنيوي فيجب على الصحف الاسلامية في مصر والمهند وغيرهما ان الاقطار أن ينهوا

العالم الاسلامي لهذا الخطر الانكليزي على حرم الله وحرم رسوله وعلى الصحف العربية ان تذكر امتها بان كل جهادها في سبيل الاستقلال يكون عبثاً اذا تم للانكليز ما يريدون من المجاوز وقد صار من المعلوم بالضرورة أنه لا سبيل لحفظ الحرمين الشريفين من نفوذ الاجانب الا بالحكومة السعودية التي سقطت فيه الامن على أهله وعلى الحاج كما كان في صدر الاسلام

إلا أن الامة العربية لا تزال غافلة متخاذلة بفساد بعض امرائها وكبرائها واستعباد الطامعين لهم واما الرجاء الاكبر في ايقاظ مسلمي الهند لهذا الخطر فيجب عليهم السعي لدرئته أو الاتحاد مع الهندوس للقضاء على هذه الدولة المتجبرة للتكبر قبل أن تستولى على مهد دينهم وسفرد لهذا مقالا خاصا نوجه اليهم

وفيات الاعيان

﴿ الأمير سيف الاسلام محمد أمير لواء الحديدة وملحقاتها ﴾

في منتصف شهر ذي الحجة الحرام خاتمة سنة ١٣٥٠ رزئت المملكة العمانية والامة العربية ب وفاة هذا الأمير الجليل ، والسيد النبيل ، النجل الثاني من أنجال جلالة (أمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين ، الامام يحيى بن حميد الدين) توفي شهيد الشهامة الهاشمية ، والنجدة العربية ، غريقاً في سبيل إنقاذ غرقى من أتباعه في ساحل الحديدة ، فنبضت اسلاك البرق بنعيم مصر وغيرها من الاقطار ، فاضطربت لها القرى والامصار ، وأكبرت الخطب صحف الاخبار على اختلاف سياستها وأحزابها ، ونوهت بمناب العقيد الشهيد التي كانت خاتمتها هذه النجدة التي بذل روحه الكريمة فيها ، وتواترت التعازي البرقية والبريدية على جلالة والده العظيم من جميع الارحاء وكل أحسن الله عزاءه وأطال بقاءه يحيب كل معز بما يليق به من الطريق الذي جاءت به تعزيتة . واننا نسجل في النار ما كان من صفة شهادته ، ولهم من ترجمته ، ملخصاً من جريدة (الايمان) الغراء الشهرية التي تصدر في صنعاء عاصمة اليمن ثم تنشر تعزيتنا للجلالة والده الامام ورده الكريم :

﴿ صفة استشهاده من رسالة مكاتب الجريدة في الحديدة قال : ﴾

خرج رحمه الله في يوم الخميس الموافق ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٠ في جمع من خاصته الى مكان من شاطئ البحر الاخير يبعد عن ميناء الحديدة بنصف ساعة بالسيارة تقريباً ، وكانت الخيام قد نصبت فاستراحوا قليلا وتزولوا يستمعون في البحر . وكان رحمه الله يحيد السباحة فبكثوا مدة ثم خرجوا بعدها الى الخيام يتجاذبون أطراف الحديث ويتذاكرون ، وجلس سمو الامير يحدث الجميع - بتلك البساطة ، وذلك التواضع الذي هو خير من عرف به - عن المشاريع التي يمدّها لاسعاد اليمن والحديدة خصوصاً ، وعن عظيم آماله في أن يرى اليمن وسائر الاقطار العربية تخطو الخطوات الواسعة الى الامام في القريب العاجل ، وجلسوا طول تلك الليلة وسموه يحادثهم بمذنب حديثه إلى ما بعد منتصف الليل حيث قام الجميع الى النوم فنام وقام بعد ساعة يحدث الجميع عن رؤياه التي رآها وهي [انه خرج من جميع ماله وتصدق بالباقي على الفقراء وصافر لأداء فريضة الحج وهو باك] فجعل كل يفسر تلك الرؤيا تفسيراً تطمئن له القلوب ، ثم تناولوا طعام الافطار بعد أداء فريضة الصلاة وجلسوا يتحدثون الى قريب الظهر ، فأظهر سموه رحمه الله الرغبة في الاستحمام ودفع الجميع إلى البحر ولكن سرعان ما اشتدت الريح وقوي البد ، وصار كل يجاهد ويطالب الموت الذي كان ينشر رأيه المشنومة

وعند ذلك تتجلى شجاعة ذلك الامير العظيم فيندفع بنفسه يتألب الامواج اثائرة والأمواج للتلاطمة مسرعاً لينقذ من كل في خطر ، أتخذ الاول ورجع ثاني والثالث ثم ما رجع الرابع يريد إقاذه إلا وتعلق به وفي تلك اللحظة حم القضاء ونفذت إرادة العظيم القادر فهبط إلى قاع البحر وذهب سموه الى رحمة ربه شهيد المروءة والأتاخذ شهيد الشهامة والشجاعة - وما علت تلك الامواج اثائرة التي اختطفته انها اختطفت آمال امة جزعت وذهل هول المصاب الذي عقد الالسن منها

عصم الله تلك القلوب الدائمة بحميد الصبر أما ذكره الطيبة الطاهرة فالخالدة الى الابد

مولده ونشأته

«ولد رحمه الله ورضي عنه في رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف بمقام
جده مولانا الامام للنصور بالله رب العالمين أبي يحيى محمد بن حميد الدين رضوان
الله عليه ونشأ في حجر والده إمام الزمن أمير المؤمنين أيده الله وأمد مدته
معارض طالبت في ربي المجد والتقت على أنبياء الله والخلفاء
وعلى هذا يكون عمره الشريف عند وفاته أربعاً وثلاثين سنة وأشهرًا .
ونشأ بمحروس قفلة عذر وهناك كرع من بحر الفضائل، وجثى بين أيدي العلماء
القطايل، فاشترى نفيس الفوائد بنوم أحفائه، حتى تفرد بعرفانه، وكان المجلد
على أقرانه في تحصيل العلوم، والتحلي بمنطوقها والمفهوم. وله مشايخ كثيرون في جميع
العلوم والفنون - منهم في مبادئ الطلب الفقيه لطف بن سعد السميني والسيد
الفاضل محمد بن عبد الله القدسي الاهنوي والقاضي يحيى بن محمد النشم الآنسي
والفقيه المحقق أحمد بن قاسم الشطط الاهنوي

وعند أن قوي ساعده في الادراك رشف من معين القاضي العلامة عبد الوهاب
بن محمد المجاهد الشامي . والقاضي المحدث اسحاق بن عبد الله المجاهد الصنعاني
والسيد العلامة حسين بن محمد أبوطالب والولي العلامة شيخ الاسلام علي بن علي
اليماني . والسيد العلامة المحقق عباس بن أحمد بن ابراهيم الحسني وغيرهم كثير
وقد أجازة كثير من أعلام العلماء الذين تشدد اليهم الرجال، وتضرب بطل
درجاتهم الامثال، في المعقول والمنقول، فمن أجازة إجازة عامة والده جلالة مولانا
أمير المؤمنين أيده الله ومتع الاسلام والمسلمين بمضايفة أيامه

وأجازة الولي العلامة الحجة شرف الاسلام القاضي الحسين بن علي العمري
حفظه الله والولي العلامة سيف الاسلام أحمد بن قاسم فخيد الدين والولي العلامة
رئيس المحكمة الاستئنافية السيد زيد بن علي الديلمي والسيد العلامة الحافظ أحمد
ابن عبد الله الكبسي والولي شيخ الاسلام علي بن علي اليماني . والاستاذ العلامة
خليل أسعد افندي رئيس معجكة التدقيق الحنفية . والسيد الحافظ أحمد بن محمد

الغاري المغربي الحسني. والاستاذ الشهير محمد حبيب الله الشنقيطي المغربي نزيل
القاهرة وسواهم كثير وجم غفير. اه وللقيد شعر كثير ذكر منه المترجم هذين البيتين.
وما هذه الدنيا سوى كسب مقم لأجر جزيل أو لذكر مجمل
فن جاد منها لم يكن خاسرا بها ولا ناقصاً والفضل للقبيل
(المنار) كان ينبغي لكاتب الترجمة أن يذكر ماتولاه القيد من الاعمال
وسيرة فيها، وشره إلى ايطالية وما استفادته منه ، وما كان له من الآمال فيه.
خدمة أمته ووطنه التي أشرنا اليها في تمزية والده .

(تمزيقنا لجلالة الامام المهام)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد آل رضا إلى حضرة أمير المؤمنين الامام يحيى حميد الدين.
سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين
أما بعد فان مصابكم بنجلتكم الكريم المهام، الامير محمد سيف الاسلام، هو
مصاب لنا وللامة العربية والملة الاسلامية : هو مصاب لنا لاننا منكم نشعر
بشعوركم ، ونألم لآلامكم ، كما نسر بكل نعمة يسبقها الله عليكم - وهو مصاب للامة
العربية لان نجلتكم أمير من أعظم أمرائها، وزعيم من خير زعمائها ، كانت ترجو
أن يكون من أرشح دعائم نهضتها ، بلوهمته ، وزكاه قريحته ، وحسن تربيته ،
وشمة علمه وخبرته : في شرف أرومته ، وكرم منبته ، وقد ظهرت لها بوادر أعماله
الاصلاحية ، من إدارية وعسكرية ، وشهد لها بسبب شهادته بكر شهادته ، وإيثاره
ونجدهته - وهو مصاب للملة الاسلامية بما كان سيقاً من سيوفها المسالوة ، وربانا من
ربانة سفينة نجاتها المأمولة - فهذا ما بلقنا من نعوته وشماله ، وما روي لنا عن آرائه
وآماله ، المستنبطة من أقواله وأعماله

فأجدر بأولي الشعور من شعوب أمته ، وبمحبي الاتفاق من أهل المذاهب
المختلفة في ملته ، أن يعدوا شهادته مصيبة عامة ، وكارثة طامة ، تملأ القلوب حزنة

وخشوعاً ، ونفيض لها العيون دموعاً ، وتردد اللسان فيها حوقلة واسترجاعاً .
وأما أنت أيها الامام العظيم ، والأب الرؤف الرحيم ، فلئن كنت أجدر
بمحزن القلب وفيض الدمع ، بمقتضى سلامة الطبع وهدى الشرع ، فلا نت أحق
بأنصهر الجليل ، وأحرص على صلوات الله ورحمته للصابرين المسترجعين ، بما أوتيت
من قوة الايمان ، وثبات الجنان ، وسعة العرفان ، وقيامك في محراب الامامة
في الدين ، والاسوة الحسنة في جدك محمد رسول الله وخاتم النبيين ، صلوات الله عليه
وعلى آله الطاهرين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

﴿ جواب جلالة الامام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد العلامة والمرشد الفاضل الفهامة ، الشريف محمد رشيد آل
رضا صاحب المنار ، حرس الله مهجته ، وأطال في الرشد مدته ، والسلام الكريم
عليه ورحمة الله وبركاته ، أيها السيد الفاضل ما أوفى كتابكم الكريم باداء سنة
الدين ، وأشقاء بياناً لحسن المزاء بمن مضى شبيداً ولحق بسلفه الصالحين ، وأراع
بالفراق قبل الامتاع ، ولبي نداء ربه ممتطياً صهوة الاسراع ، فلئن كان المصاب
بوقاته عظيماً ، والرزء بمفاجأة يومه جسيماً ، قد بلغ الغاية من حرارة النكابة ، واضرام
حرارة الاحزان ، واثارة عواصف الاشجان ، فما في كتابكم الكريم من تحلية
الفقيد رحمه الله بنعوت المادح ، والتوصية بالصبر الجميل في المصاب الفادح ، والتسليية
بذلك الاسلوب المرغوب من القول الشارح ، قد بلغ الغاية في الافادة ، وحسن
البيان والاجادة ، فشكراً لكم على تلك اليد البيضاء المجلوة في الكتاب ، وامتناناً
يزف اليكم مقروناً بثناء مستطاب ، والله سبحانه يجبر المصاب بما تروجوه من وفور
الاجر ، والامانة على دوام الاعتصام بالصبر ، والتحلي بالرضا والتسليم ، لحكم الرب
الحكيم ، واسبال شايب الرحمة والرضوان على الفقيد الشهيد ، والاستعداد ليوم المعاد ،
وبلوغ المراد من حسن الختام ، والدعا مستمد وشريف السلام . في ١٨ المحرم سنة ١٣٥١

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ
وَمِنْ نَوَافِذِ الْحِكْمَةِ فَقَدْ
أَوْفَى عَمْدًا كَثِيرًا وَمَا
يَزِيدُ لَذَّةَ أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِيَابِ

الْمَلِكِ الْحَكِيمِ

تَفْسِيرُ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى
الْقُرْآنِ نَسِيمًا مُنَمَّعًا
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أُولَى الْأَعْيُنِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضرى . ومنا . كذا الطريق

دبيع الاول سنة ١٣٥١ ق برج الاسد سنة ١٣١١ هـ ش يولييه سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير القرآن الحكيم

آية الله الكبرى - القرآن العظيم

(القرآن الكريم ، القرآن الحكيم ، القرآن المجيد ، الكتاب العزيز)

(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

هو كتاب لا كالكتب ، هو آية لا كالأيات ، هو معجزة لا كالمعجزات ،
هو نور لا كالأنوار ، هو سر لا كالأسرار ، هو كلام لا كالكلام ، هو كلام
الله الحي القيوم الذي ليس لروح القدس جبريل الأمين عليه السلام منه إلا نقله بلفظه
العربي من الأفق الأعلى إلى هذه الأرض ، ولا لمحمد رسول الله وخاتم النبيين
صلوات الله وسلامه عليه وعل آله منه إلا تبليغه للناس ليهدوا به ، فهو معجز للخلق

بلغفه ونظمه وأسلوبه وعلمه وهدايته ، لم يكن في استطاعة محمد ﷺ أن يأتي بسورة من سوره بكسبه ومعارفه ، وفصاحته وبلاغته ، وهو (ص) لم يكن عالماً ولا بليغاً ممتازاً الا به ، وكل متقن لفنة العربية يدرك الفرق العظيم بين القرآن والاجاديت النبوية ، بل كثيراً ما يدركها العوام من العرب المستعربين

قد بينت في تفسير آية التحدي بالقرآن من سورة البقرة (٢ : ٢٣) أم وجه الإعجاز اللفظي والمعنوي بالاجال والابجاز وأعود هنا الى الكلام في علوم القرآن للصلحة للبشر بما يحتمله المقام من البسط والتفصيل ، وهو القدر الذي يعلم منه أن هذه العلوم أعلى من كل ما حفظه التاريخ عن جميع الانبياء والحكماء ، وواضحي الشرائع والقوانين ، وساسة الشعوب والامم

فن كان يؤمن بأن العالم رباً عليماً حكماً رحيماً مريداً فاعلاختاراً فلا مندوحة له ولا مناص من الايمان بأن هذا القرآن وحي من لدنه عز وجل أنزله على خاتم انبيائه المرسلين رحمة بهم ليهتدوا به الى تكميل فطرتهم ، وتزكية أنفسهم ، وإصلاح مجتمعاتهم من الفاسد التي كانت عامة لجميع أممهم ، فيكون اتباع محمد فرضاً إلهياً لازماً عاماً كما قال تعالى (٧ : ١٥٨) قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)

ومن كان لا يؤمن بوجود هذا الرب المليم الحكيم فلا مندوحة له عن الجرم بأن نمحداً أكل وأفضل وأعلم وأحكم من كل من عرف في هذا العالم من الحكماء المادين للهديين ، ويكون الواجب بمقتضى العقل ان يعترف له هؤلاء بأنه سيد عالم البشر على الإطلاق وأولام بالاتباع بعنوان (سيد البشر وحكيمهم الاعظم)

واننا رأينا بعض المنصفين من الواقفين على السيرة المحمدية الذين يفهمون القرآن في الجملة يعرفون بهذا قولاً وكتابة (منهم) الاستاذ مولانا الانكليزي المشهور ، ومنهم ذلك الفيلسوف الطيب السوري البكاتوليكي النشأة الذي رأى في مجلة المنار بعض الناقب المحمدية فكتب اليانا كتاباً يقول في اوله : أنت تنظر الى

محمد كني فترة عظيمة ، وأنا أنظر اليه كرجل قاعد اعظم وذكر آياتنا في وصفه
ووصف القرآن وما فيه من حكم الآيات ، المافعة لمن عقلها من تبييد العمران
بالعادات ، وإصلاحه للبشر بحكمة بيانه وقوة بنانه ، وختمها بقوله :

بيانه أربى على أهل النعى وبسيفه أئمى على الهامات

من دونه الا بطل في كل الورى من سابق أو حاضر أو آت

والمؤمنون بهذه الحقيقة من أحرار مفكري الشعوب كلها كثيرون ، ولكن
الجاحدين لوجود رب مدبر العالمين قليلون ، وإن محمدا ﷺ لحجة عليهم في
نشأته وتربيته وما علم بالضرورة من صدقه الفطري الطبع ، ثم بما جاء به في سن
الكهولة من هذه العلوم المصلحة لجميع شؤون البشر في كل زمان إذا عقلوها واهتدوا
بها ، وإسناده إياها الى الوحي الالهي ، فهو ﷺ بمزاياه هذه حجة وبرهان على
وجود الرب الخالق الحكيم بل مجموعة حجج عقلية وطبيعية - وهاك أنها القارئ -
ما أرفه اليك من قواعد تلك العلوم الاصلاحية بعد تمهيد وجيز في أسلوب القرآن
وحكمة جعل تلك العلوم الكلية متفرقة في سورته بأسلوبه الغريب المصيب ، وهذا المعنى
قد بيناه من قبل وإنا نعيد مع زيادة مفيدة وإيضاح اقتداء بأسلوب القرآن نفسه في
تكرار المعنى الواحد في المواقع المتقضية له من إيجاز أو إسهاب ، وتفصيل أو إجمال

(أسلوب القرآن الخاص وحكمته وإعجازه به)

لو أن عقائد الاسلام المنزلة في القرآن من الايمان بالله وصفاته وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء ودار التواب ودار
العقاب جمعت وحدها مرتبة في ثلاث سور أو اربع أو خمس مثلا ككتب العقائد
الدونية - ولو ان عباداته من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج وضع كل
منها في بضع سور أيضا ككتب الفقه المصنفة - ولو أن آدابه وحكمه وفضائله
الواجبة والندوية ، وما يقابلها من الرذائل والاعمال المحرمة والمكروهة ، أفردت
هي وما يقتضيه الترغيب والترهيب من المواعظ والنذر والامثال الباعثة لشعوري
الطوف والرجاء في بضع سور أخرى ككتب الاخلاق والآداب المؤلفة - ولو

ان قواعده التشريعية وأحكامه السياسية والمدنية وعقوباته التأديبية رتبت في عدة مسود خاصة بها كأسفار القوانين الوضعية- ثم لو ان قصص النبيين المرسلين وما فيها من العبر والمواعظ والسنن الالهية سردت في سورها مرتبة كدواوين التاريخ- لو أن كل ما ذكر وما لم يذكر من مقاصد القرآن التي أراد الله بها اصلاح شؤون البشر جمع كل نوع منها وحده كترتيب أسفار التوراة التاريخي الذي لا يعلم احد مرتبه أو كتب العلم والفقه والقوانين لعقد القرآن بذلك اعظم مزايا هدايته المقصودة بالقصد الاول للغاية التي انتهت اليها ، وأخص أنواع إعجازه ايضا

ويعلم هذا وذاك مما نيننه من فوائد نظمه وأسلوبه الذي أنزله به رب العالمين ، العليم الحكيم الرحيم ، وهو مزج تلك المقاصد كلها بعضها ببعض وتفريقها في السور الكثيرة ، العلوية منها والقصيرة ، بالمناسبات المختلفة ، وتكرارها بالبارات البليغة المؤثرة في القلوب ، الحركة للشعور ، النافية للسامة والملل من الموابلة على ترتيبها . بنمات نظمها الخاص به وفواصله المتعددة القابلة لأنواع من التنفي الذي يحدث في القلب وجدان الخشوع ، وخشية الاجلال للرب المعبود ، والرجاء في رضوانه ورحمته ، وانحرف من عقوبته ، بما لا نظيره في كلام البشر من خطابة ولا شعر ولا رجز ولا سجع

الثورة والانتقال الذي أحدثه القرآن في البشر

فالقرآن كتاب أنزل على قلب رجل أمي نشأ على الفطرة البشرية سليم العقل حصيل النفس طاهر الاخلاق لم تملكه تقاليد دينية ولا أهواء دنيوية لأجل إحداث ثورة وأقلاب كبير في العرب فسأثر الامم يكتسح من العالم الانساني ما دنس فطرته من رجس الشرك والوثنية الذي هبط بهذا الانسان من أفعه الاطى في عالم الارض إلى عبادة مثله وما هو دونه من هذه المخلوقات ، وما أفسد عقله وذهب باستقلال فكره من البدع الكنسية ، والتقاليد المذهبية ، التي أحالت توحيد الانبياء الأولين شركا وحقهم بإطلا ، وما أفسد بأسه ، وأذل نفسه ، وسلبه ارادته ، من استبداد الملوك الظالمين ، والرؤساء القاهرين ، ثورة تحرر العقلي البشري والارادة الانسانية من رق للمتطين لانفسهم صفة الروبية أو النيايه عنها في التحكم

في الناس واستذلّاهم، فيكون كل امرئ حراً كريماً في نفسه، عبداً خالصاً لربه واله، ويوجه قواه العقلية والبدنية الى تكميل نفسه وجنسه

مثل هذه الثورة الانسانية لا يمكن أن تكون الا على قاعدة القرآن في قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وكيف يكون تغيير الاقوام لما بأنفسهم من العقائد والاخلاق والصفات ، التي طبعتها عليها المبادئ للورثة والعادات الراسخة ؟

هل يكفي في ذلك قيام مصلح فيهم يضع لهم كتاباً تعليمياً جافاً ككتب الفنون يقول فيه انكم أيها الناس ضالون فاسدون ، ومضلون مفسدون ، فاعملوا بهذا الكتاب تهتدوا وتصلحوا ، أو قانوناً مدنياً يقول في مقدمته نفذوا هذا القانون تحفظ حقوقكم ، وتمتاز أمتكم وتقو دولتكم ؟ أتى وقد عهد من الناس الفاسدين المفسدين سوء التصرف بكتب أنبياءهم المرسلين ، وإهمال قوانين حكمائهم المصلحين ، وإنما توضع القوانين للحكومات المنظمة ذات السلطان والثقة التي تكفل تنفيذها ، وأنى لمحمد فعل هذا في الامة العربية وقد بحث بالحجة والبرهان ، فريداً وحيداً لا عصبه له من قومه ولا سلطان ؟ على أنه جاء بأعدل الأصول التي تبقي عليها امته قوانينها عند تكوين دولتها ، في الاحوال الملائمة لها كما يعلم مما يأتي

كلا ان هذه الثورة ما كان يمكن أن تحدث إلا بما حدثت به وهو تأثير هذا القرآن في الامة العربية التي كانت أشد الامم البدوية والمدنية استعداداً فطرياً لظهور الاسلام فيها بالافتقار كما يبينه بالتفصيل في كتابنا (خلاصة السيرة الحمديدية)

ذلك بان من طباع البشر في معرفة الحق والباطل والخير والشر ، والعمل بمقتضى المعرفة وان خالف مقتضى الاهواء والشهوات ، والتقاليد والعادات ، ان مجرد البيان والاعلام والامر والنهي لا يكفي في الحمل على التزام الحق ونصره على الباطل ، ولا في أداء الواجب من عمل الخير وترك الشر في حال تعارض المقتضي العلمي لما مع المنع أو الموانع النفسية والعملية التي ذكرناها آنفاً ، إلا في بعض الافراد من الناس دون الجماعات والاقوام . بل مضت سنة الله في تثبيت الحق والخير

في النفس وصدور آثارهما عنهما بالعمل ، أنه يتوقف على صيرورة الايمان بهما اذعاناً وجدانياً حاكماً على القلب، راجحاً على ما يخالفه من رغب ورهب وألم وأمل، وإنما يكون هذا في الاحداث بالتربية العملية العملية والاسوة الحسنة لهم فيمن ينشؤون بينهم من الوالدين والاقربين والمعاشرين

وأما كبار السن فلا سبيل إلى جعل الايمان بالحق المطلق والخير العام اذعاناً وجدانياً لجمهورهم إلا بالاسلوب الذي نزل به القرآن قلب به طباع الكهول والشبان وأخلاقهم وتقاليدهم وعاداتهم وحوطها إلى ضدها علماً وعملاً بما لم يعد له نظير في البشر بتأثير آخر، فكان القرآن آية خارقة للعنود من سنن الاجتماع البشري في تأثيره، بالتبع لكونه آية معجزة للبشر في لفته وأسلوبه

واعتر هذا بيني اسرائيل سلالة النبيين ، فان كل مارأوه بمصر من آيات موسى عليه السلام، ثم مارأوه في برية سيناء مدة التيه منها، ومن عناية الله تعالى بهم ، ومن سماعهم كلام الله تعالى بأذانهم في لمب النار المشتعلة على مانويه توراههم ولم يثبت عندنا التكليم الا لنبيهم -أنهم على هذا كله لم يتغير شيء من أخلاقهم، ولا من تأثير الوثنية المصرية فيهم ، وقد عذبوا موسى عذاباً نكراً ، وعاندوه في كل ما كان يأمرهم به ، حتى وصفهم الله في التوراة بالشعب الصلب الرقية ، وهو كناية عن البلادة والعناد ، وعصل الطباع المانع من الانقياد ، وظل ذلك كذلك إلى أن باد ذلك الجيل الفاسد بعد أربعين سنة ونشأ فيهم جيل جديد ممن كانوا أطفالاً عند الخروج من مصر ومن ولد في التيه أمكن أن يعقلوا التوحيد والشرعية، وأن يهملوا بها، وبجاهدوا في سبيلها ، وإنما كان ذلك بعد موت موسى عليه السلام قائم بنو اسرائيل من أصحاب محمد ﷺ الذين تربوا بسماع القرآن وترتيله وتدبره في رسوخهم في الايمان، وصبرهم على أذى المشركين واضطهادهم أيام يفتنونهم عن دينهم ، ثم في مجاهدتهم لم عند الامكان بعد الهجرة ، ومجاهدة اعوانهم من أهل الكتاب (اليهود) وتطهيرهم الحجاز وسائر جزيرة العرب من كفر الفريقين في عهده ﷺ ثم من تدققهم انفسهم كالسيل على الاقطار من نواحي الجزيرة الثلاث (الشرق والغرب والشمال) والظهور على ملكي قيصر وكسرى أعظم

الناج: ج ٣٧ م ٣٢ فعل القرآن في أنفس العرب المستعدين له بفطرتهم نوحان ٤٨٧

ملوك الارض وإزالة الشرك والظلم منها ، ونشر التوحيد والحق والعدل فيها ، ودخول الامم في دين الله أفواجا مختارين اهتداء بهم ، وعنايتهم بتعلم العربية بانفع لغايتهم بالدين

وقد كانت مدة البعثة المحمدية كلها عشرين سنة أي نصف مدة النبي ، وكان ذهب نصفها في الدعوة وتبليغ الدين للأفراد بمكة ، والنصف الآخر هو الذي تم فيه الانقلاب العربي من تشريع وتنفيذ وجهاد

وأنى يبلغ الشعب الذي وصفه ربه في كتابه بالشعب الصلب الرقبته الذين وصفهم رب العالمين بقوله (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الآيات

لا جرم أن سبب هذا كله تأثير القرآن بهذا الاسلوب الذي نراه في المصنف فقد كان النبي ﷺ يجاهد به الكافرين كما أمره الله بقوله (٢٥ : ٥٢ فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهاداً كبيراً) ثم كان به يربي المؤمنين ويذكرهم ، ويهديهم ربوا الامم وهذبوها ، وقلما يقرؤه احد كما كانوا يقرءون ، إلا ويهتدي به كما كانوا يهتدون ، على تفاوت في الاستعداد النفسي والقوي ، واختلاف الزمان لا يخفى ولو كان القرآن بأسلوب الكتب العلمية والقوانين الوضعية لما كان له ذلك التأثير الذي غير ما بأنفس العرب فغيروا به أعم العجم ، فكانوا كلهم كما وصفهم الله عز وجل بقوله (٣ : ١١٠ كنتم خيراً ما أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرم الفاسقين)

(فعل القرآن في أنفس العرب المستعدة له نوحان)

وبيان ذلك ان فعل القرآن في أنفس العرب وإحداثه تلك الثورة الكبرى فيهم قد كان على نوعين أولها جذب الناس الى الاسلام ، وثانيها تركيبتهم وتغيير كل ما كان بانفسهم من جهل وفساد الى ضده ، حتى أعقب ما أعقب من الإصلاح في العالم كله ، وهاك التفصيل الذي يحتمله المقام لذلك

بيننا مراداً ان الله تعالى قد أعد الامة العربية ولاضياء قريش ومن حولها لما أرادهم من الاصلاح العام للبشر بكونهم كانوا اقرب الامم الى سلامة الفطرة وأرقام لثة وأقوام استقلالا في العقل والارادة، لمدم وجود ملوك مستبدين ورؤساء دين أولي سلطان روجي يتحكمون في عقائدهم وأفكارهم ويستخرونهم لشهواتهم فلما بحث فيهم محمد بهذا القرآن الداعي الى الحق والى صراط مستقيم كانوا على أتم الاستعداد الفطري لقبول دعوته، ولكن رؤساء قريش كانوا على مقربة من ملوك شعوب النجم في التمتع بالثروة الواسعة والمظلة الكاذبة والشهوات الفاتنة والسرف في الترف، وعلى حظ مما كلن عليه رؤساء الاديان فيها من السكينة الدنيوية بسد انتهم لبيت الله الحرام الذي أودع الله تعظيمه في القلوب من عهد ابراهيم واسماعيل - فرأوا ان هذا الدين يسلبهم الانفراد بهذه المظلة للزورثة، وقد يفضل عليهم بعض الفقراء والوالاي، وانه يحكم عليهم وعلى من يفاخرون بهم من آبائهم بالكفر والجهل والظلم والفسوق ويشبههم بسائئة الانعام - فوجها كل قوام ونفوذهم الى صد محمد عن دعوته ولو بتخليكه عليهم، وجعله أغنى رجل فيهم، ولكن تعذر إقناعه بالرجوع عنها بالترغيب، حتى التويل والتخليك، فقد أجب عنه ابا طالب لما عرض عليه ما أرادوه من ذلك بتلك الكلمة العليا « يا عم والله لو وضوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » حينئذ أجمعوا أمرهم على صدده عن تبليغها بالقوة، والحيلولة بينه وبين جواهر الناس في الاسواق والجامع والبيت الحرام، وبصد الناس عنه أن يأتيوه ويستمعوا له، وباضطهاد من اتبعه بالدعوة الفردية، الا أن يكون له من يحميه منهم لقرابة او جوار او ذمة، فهؤلاء الرؤساء المترفون للسرفون للتكبرون كانوا أهل الناس بصدق محمد وفيهم نزل قوله تعالى (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فقد كابروا الحق بنيا واستكبارا للحرص على رياستهم وشهواتهم، وكانوا اجدر العرب بيقول دعوة القرآن (ووجدوا بها واسقة تنها انفسهم ظلماً وعلواً) كفرعون وقارون وهامان

فعل القرآن في مشركي العرب

قلنا ان فعل القرآن في أنفس العرب كان على نوعين : فعله في المشركين ، وفعله في المؤمنين ، فالأول تأثير روعة بلاغته ودهشة نظمه وأسلوبه ، الجاذب لهم دعوته والإيمان به، وكانوا يتفاوتون في هذا النوع تفاوتاً كبيراً لاختلاف درجاتهم في بلاغة اللغة وفهم الماني المالية .

فهذا التأثير هو الذي أنطق الوليد بن المغيرة المخزومي بكلمته العالية فيه لابي جهل التي اعترف فيها بأنه الحق الذي صلو ولا يعلو ، والذي يحلم ما تحته ، وكانت كلمة قاضية من نور عقله وصميم وجدانه ، وما استطاع أن يقول كلمة أخرى في الصد عنه بعد إلحاح أبي جهل عليه باقتراحها إلا بتكاف لمكابرة عقله وجدانه ، وبعد أن فكر وقدر ، وفقر وعيس وبسر ، وأدبر واستكبر ، كما يعلم من سورة المدثر وسبب نزول قوله تعالى (ذري ومن خلقت وحيداً) الآيات

وهذا التأثير هو الذي كان يجنب رءوس أولئك الجاحدين الماندين ليلاً لاستماع تلاوة رسول الله ﷺ في بيته ، على ما كان من نهيم ونأيم عنه ، ونواصيهم وتقاسيمهم لا يسمعون له ، ثم كانوا يتسللون فوادى مستخفين ، ويتلاقون في الطريق متلاوين ، وهذا التأثير هو الذي حملهم على منع أبي بكر الصديق (رض) من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام ليلاً لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الاسلام ، وعلوا ذلك بأنه يفتن عليهم نساءهم وأولادهم ، فأتخذ مسجداً له بفناء داره فطلق النساء والأولاد الناشئون ينسلون إلى بيته ليلاً لاستماع القرآن ، فتهاهأشراف المشركين بأن العلة لا تزال ، وانهم يخشون أن يغلبهم نساؤهم وأولادهم على الاسلام ، وكانوا الجأؤوه إلى الهجرة فهاجر فلني في طريقه ابن الدغنة سيد قومه فسأله بسبب هجرته فأخبره الخبر وهو يعرف فضائل أبي بكر من قبل الاسلام فاجاراه وأعادته إلى مكة بجواره فعاد إلى قراءته وعاد النساء والنشء الحديث إلى الاستماع له ، حتى اضطر المشركون ابن الدغنة إلى اقناعه بترك رفع صوته بالقرآن وأورد عليه جواره ، فرد أبو بكر جواره اكتفاء بجوار الله تعالى ، وخبره هذا رواه البخاري في باب الهجرة وأوردناه بطوله في تفسير آية النار (ص ٣٦٦ من الجزء المأشور)

بل هذا التأثير هو الذي حملهم على صد النبي (ص) بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام وفي أسواق اللوسم وبجامعه ، وعلى توأصيهم بما حكاه الله تعالى عنهم في قوله (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقد أدرك هذا أحد فلاسفة فرنسا فذكر في كتابه قول دعاة النصرانية إن محمداً لم يأت بأية على نبوته كآيات موسى وعيسى وقال في الرد عليهم : إن محمداً كان يقرأ القرآن خاشعاً وأوها متأهلاً فتفعل قراءته في جذب الناس إلى الإيمان ما لم تفعله جميع آيات الانبياء الاولين (أقول) ولو كان القرآن ككتب القوانين للمرتبة وكتب الفنون البوبة ، لما كان لقليله وكثيره من التأثير ما كان لسوره المنزلة

كان كل ما يطلبه النبي ﷺ من قومه أن يمكنوه من تبليغ دعوة ربه بتلاوة القرآن على الناس . قال تعالى مخاطباً له (٦ : ١٩ قل أي شيء أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لا أنذركم به ومن بلغ) أي وأنذره كل من بلغه من غيركم من الناس . وقال في آخر سورة النحل (٢٧ : ٩١) إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرماؤه كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين (٩٢) وأن أتلو القرآن : فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا ناس من المرسلين (٩٣) وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) ان رؤساء قريش عرفوا من قوة جذب الناس إلى الاسلام بوقعه في أنفسهم ما لم يعرفه غيرهم ، وعرفوا أنه ليس لجمهور العرب مثل ما لهم من أسباب الجحود والكابرة ، فقال لهم عنه أبولهب من أول الامر : خذوا على يديه ، قبل أن تجتمع العرب عليه ، ففعلوا . وكان من ثباته على بث الدعوة واحتال الاذي ما أفضى بهم إلى الاضطهاد وأشد الايذاء له ولمن يؤمن به ، ثم اجماع الرأي على قتله ، حتى الجؤم إلى الهجرة بعد الهجرة . ثم صاروا يقاتلونه في دار هجرته وما حولها ، وينصره الله عليهم ، إلى أن اضطروا إلى عقد الصلح معه في الحديبية سنة ست من الهجرة . وكان أهم شروط الصلح السماح للمؤمنين بمخالطة المشركين الذي كان سبب سماعهم للقرآن ، ودخولهم بتأثيره في دين الله أفواجا ، فكان انتشار الاسلام في أربع سنين بالسلام والامان ، أضاعف انتشاره في ست عشرة سنة من أول الاسلام .

فعل القرآن في أنفس المؤمنين

كان كل من يدخل في الاسلام قبل الهجرة يلفن ما نزل من القرآن - ليعبد الله - بتلاوته - ويعلم الصلاة ولم يفرض في مكة من أركان الاسلام غيرها، فيرتل ما يحفظه في صلاته اقتداء بالنبي ﷺ إذ فرض الله عليه التهجيد بالليل من أول الاسلام قال تعالى في أول سورة الزمل التي قيل إنها أول ما نزل بعد قرة الوحي وبمدها للدرث وقيل بالعكس - وتقدم الجمع بين الاقوال (يا أيها الزمل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا *) وزد عليه ورتل القرآن ترقبلا *) ثم قال في آخرها (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما ينسر من القرآن) أي في صلاة الليل وغيرها ، ثم ذكر الاعذار المانعة من قيام الليل كله ما كان منها في ذلك العهد كالمرض والسفر ، وما سيكون بعد سنين وهو القتال في سبيل الله وما ورد في صفة الصحابة (رضى) أن الذي كان يمر ببيوتهم ليلا يسمع منها مثل دوي النحل من تلاوة القرآن ، وقد غلب بعضهم فكان يقوم الليل كله حتى شكوا منهم نسأؤهم فنهاهم النبي (ص) عن ذلك ، وكان هو يصلي في كل ليلة ثلاث عشرة ركة يوتر بواحدة منهم ، وما قبلها مثنى مثنى ، وكان هو يطيل فيهن حتى تورمت قدماه من طول القيام فأنزل الله عليه مرقها ومسلها (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)

فتربية الصحابة التي غيرت كل ما كان بأنفسهم من مفاسد الجاهلية وزكتهما تلك التزكية التي أشرنا إليها آنفا وأحدثت أعظم ثورة روحية اجتماعية في التاريخ إنما كانت بكثرة تلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة وتدبره حتى كانوا يقرؤنه مستلقين ومضطجعين كما وصفهم الله بقوله (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) وأعظم ذكر الله تلاوة كتابه للشتم على ذكر أسمائه الحسنی وصفاته القدسة وأحكامه وحكمه ، وسننه في خلقه وأفعاله في تدبير ملكه ، ولو كان القرآن ككتب القوانين والفنون لما كان لتلاوته كل ذلك التأثير في قلب الطباع ، وتمييز

الاضواء ، بل كانت تلاوته تمل فتترك ، فأسلوب القرآن الذي وصفناه آفة من أعظم أنواع اعجازه اللغوي ، وتأثيره الروحي ، ومن ارتاب في هذا فلي نظر في المسائل التي تشتمل عليها السورة منه وليحاول كتابتها نفسها أو مثلها بأسلوب تلك السورة ونظماً أو أسلوب سورة أخرى كالسور التي يتكرر فيها الموضوع الواحد بالإجمال للموجز تارة وبعض التفصيل تارة وبالإطناب فيه أخرى ، - كالاختبار بقصص الرسل مع أقوامهم في سور المفصل وفيها فوقها - ثم لينظر ما ينفذي اليه عجزه من السخرية

وقد بين بعض علماء الاجتماع في هذا العصر ان تكرار الدعوات الدينية والسياسية والاجتماعية هي التي تثير الجماعات وتدفعهم إلى الانهماك والتفاني فيها دة ١ ، وما كان محمد ولا أحد من أهل عصره يعلمون هذا ، ولكن الله يعلم من طباع الجماعات والأقوام فوق ما يعلمه حكماء عصرنا وسائر الأعصار ، وإنما القرآن كلامه ، وليس فيه من التكرار إلا ما له أكبر الشأن في انقلاب الأفكار ، وتحويل ما في الانفس من العقائد والأخلاق إلى خير منها ، وهو ما لا يمكن أحداث الانقلاب الاصلاحى بدون ما تعلم من التفصيل الآتي

❦ مقاصد القرآن ، في ترقية نوع الإنسان ❦

ان مقاصد القرآن من اصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم وادخالهم في طور الرشده وتحقيق اخوتهم الإنسانية ووحدهم وترقية عقولهم وتركيز أنفسهم منها ما يمكن بيانه لم في الكتاب مرة أو مرتين أو مراراً قليلة ، ومنها ما لا تحصل الغاية منه إلا بتكراره مراراً كثيرة لاجل أن يجتث من أعماق الانفس كل ما كان فيها من آثار الوراثة والتقاليد والمادات القبيحة الضارة ويغرس في مكانها أصدادها ، ويتماهد هذا الغرس بما ينميه حتى يؤتي ثمرة ، ومنها ما يجب أن يبدأ بها كلمة ومنها ما لا يمكن كاله إلا بالتدرج ، ومنها ما لا يمكن وجوده إلا في المستقبل والقرآن كتاب تربية عملية وتعليم لا كتاب تعليم فقط فلا يمكن أن يذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمهود في كتب الفنون والقوانين ، وقد بين

الله تعالى ذلك بقوله في موضوع البعثة المحمدية (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويصلحهم الكتاب والحكمة) وانا نذكر هنا اصول هذه المقاصد كما وعدنا عند قولنا ان ما جاء به محمد (ص) هو أعلى وأكمل مما جاء به من قبله جميع الانبياء والحكماء والحكام فهو برهان على أنه من عند الله تعالى لامن فيض استمداده الشخصي ، وانا نقسم هذه المقاصد إلى أنواع ونبين حكمة القرآن وما امتاز به في كل نوع منها

(النوع الاول من مقاصده الاصلاح الديني)

(بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة)

ان أركان الدين الاساسية التي بعث بها جميع رسل الله تعالى وناطبها سعادة البشر هي الثلاثة المبينة بقوله (٢٧:٢) ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهاك الكلام على كل منها بالابحار

الركن الاول للدين الايمان بالله تعالى

فالركن الاول الاعظم من هذه الاركان هو الايمان بالله تعالى - قد ضل فيه جميع الاقوام والامم حتى أقربهم عهداً بهداية الرسل ، فاليهود جعلوا الله كالانسان يتمب ويندم على ما فعل كخلقه للانسان لانه لم يكن يعلم أنه سيكون مثله ، وزعموا انه كان يظهر في شكل الانسان حتى أنه صارع اسرائيل ولم يقدر على التغلب منه حتى جاركه فأطلقه وعبدوا بعبادته من الاصنام. والنصارى جددوا من عهد قسطنطين الوثنيات القديمة ، ففهم الشرك بالله هذه الارض بطوفاته ، وطنت الوثنية على أهلها ، حتى صارت كنائس النصارى كلها كل الوثنية الاولى مملوءة بالصور والتماثيل للمعبودة ... على أن عقيدة التثليث والصلب والغداء هي عقيدة الهند في كرشة بوثا الوثنية في جنتها وتفصيلها ، وهي مدعومة بالمسوخية لغير معقولة وينظام يقوم بتفسيده الملوك والقيصرة ، وينزل في سبيله القناطير القنطرة من الذهب والفضة ، ويربي

عليه الاحداث من الصغر حرية وجدانية خيالية لا تقبل حجة ولا برهاناً ، فهدم معاقل هذه الوثنية وحصونها الشديدة في الافكار والقلوب لا يتم إقامة برهان عقلي على توحيد الله عز وجل ، بل لابد فيه من دحض الشبهات وتفصيل الحجج العقلية والعملية والخطابية بالعبارات المختلفة وضرب الامثال ، لذلك كان أكثر المسائل تكراراً في القرآن مسألة توحيد الله عز وجل في ألوهيته بعبادته وحده ، واعتقاد أن كل ما سواه من الموجودات سواء في كونهم ملكاً وعبيداً له لا يملكون من دونه نفعاً ولا ضراً لأحد إلا فيما سخره من الاسباب المشتركة بين الخلق كما شرعنا مراراً .

وأما تكرار توحيد الربوبية وهو انفراده تعالى بالخلق والتقدير والتدبير والتشريع الديني فليس سببه كثرة المشركين ربوبيته تعالى ، بل سببه إقامة الحجة به على شرك العبادة بدعاء غير الله تعالى لأجل التقرب اليه وإتقاء الشفاعة عنده ، فشر الشرك وأعرفه في الكفر توجه البعد إلى غير الله تعالى فيما يشمر بالحاجة اليه من كشف ضرر وجلب نفع من غير طريق الاسباب ، فقد ذكر الدعاء في القرآن أكثر من سبعين مرة ، بل زهاء سبعين بعد سبعين مرة ، لأنه روح العبادة ونحها ، بل هو العبادة التي هي دين الفطرة كلها ، وما عداها من العبادات فوضعي تشريعي .

بعض آيات الدعاء أمر بدعائه تعالى ، وبعضها نهي عن دعاء غيره مطلقاً ، وبعضها إخبار بأن دعاء غيره لا ينفع ولا يستجاب ، وإن كل من يدعى من دونه تعالى فهو عبد له ، وإن أفضلهم وخيارهم كالملائكة والأنبياء يدعونه هو ويتبنون الوسيلة اليه ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشرك الذين يدعونهم من دون الله أو مع الله - وأمثال ذلك مما يطول تلخيصه .

وتم أنواع أخرى من آيات الايمان بالله تعالى تفذي التوحيد وتصد بأهله درجات متفاوتة في السمو بمصرفته تعالى والتأله والتوله في حبه من التنزيه والتقديس والتسبيح ، وذكر أسمائه الحسنى ممزوجة ببيان الاحكام حتى أحكام النساء والارث والاموال ، ويحكم الخلق والتدبير لامور العالم ، وسنته في طباع البشر وفي شؤونهم الاجتماعية . ووضع كل اسم منها في الموضع المناسب له من رحمة وعلم وحكمة وقدرة ومشئنة وحلم وعفو ومغفرة وحب ورضا وما يقابل ذلك ، ومن الامر بالتوكل

عليه والخوف منه والرجاء في فضله الخ وناهيك بما سرد منها سرداً لجلب الارواح
العالية إلى كاله المطلق وفنائها فيه كما تراه في غامة سورة الحشر فتأملها ، وفي فاتحة
سورة الحديد (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم * هو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

بهذا التكرار الذي جله أسلوب القرآن المعجز مقبولا غير مملول طهر الله
عقول العرب وقلوبهم من رجس الشرك وخرافات الوثنية ، وزكاهم بالاخلاق
العالية والفضائل السامية ، وكذا غير العرب ممن آمن بالله وأنقذ لنة كتابه وصار
يرتله في عبادته ويتدبر آياته ، حتى إذا دب في الامة دينب الجبل بلغة القرآن وقل
تدبره واعتمد المسلمون في فهم عقيدتهم على الكتب الكلامية المصنفة ضمن التوحيد
واتبعوا سنن من قبلهم شريفاً بشير وذراعاً بذراع اعتقاداً وعملاً ، وتأولوا وجدلاً ،
فصار أدياء العلم يتأولون تلك الآيات الكثيرة على التوحيد بشبهاتهم وأهوائهم
كما هو مشاهد ومعلوم

على أن بعض المتكلمين والصوفية قد بالقوا في التوحيد حتى أنكروا بعضهم
تأثير الاسباب في مسبباتها ، وقال بعضهم بوحدة الوجود ، وانهى بهم ذلك الى
بدعة الجبر التي أفسدت على أهلها كل شيء ، بيد أن الاولين منهم كانوا يقولون بما
يهدىهم اليه النظر العقلي ، أو رياضة النفس وما تشعره من الشعور الوجداني ، فهم
خلف من بعدهم خلف من المقلدين لاحظ لهم من القرآن ولا من البرهان ولا من
الوجدان ، وإنما يتبنون العوام ويتأولون لهم بكلام امثالهم من المصنفين الجاهلين .
ولو فقهوا أقصر سورة في التوحيد والتنزيه كما يجب - وهي سورة الاخلاص - لما
وجدوا الشرك الى أنفسهم سبيلاً

قد كان توحيد المسلمين الاولين لله ومعرفة فهمه وجهيم له وتوكلهم عليه هو
الذي زكى أنفسهم ، وأعلى همهم ، وكامهم بركة النفس ، وشدة البأس ، وإقامة
الحق والعدل ، ومكنهم من فتح البلاد وسياسة الامم ، واعتاقها من رق الكهنة
والاحبار والربان والبوذات واللوزدانات الروحي والعقلي ، وتحريرهم من ظلم الملوك
واستبدادهم ، وإقامة دعائم الحضارة ، وإحياء العلوم والفنون الميته وترقيتها فيهم .

وقد تم لم من كل ذلك ما لم يقع مثله ولا ما يقاربه لأمة من أمم الأرض، حتى قال الدكتور غوستاف لوبون المؤرخ الاجتماعي الشهير: إن ملكة الفنون لم يتم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال، أولها جيل التقليد وثانيها جيل الخضمة وثالثها جيل الاستقلال والاجتهاد - قال: إلا العرب وحدهم فقد استحكت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدؤا فيه بمزاولة

وأقول إن سبب ذلك تربية القرآن لم على استقلال العقل والفكر واحتقار التقليد، وتوطين أنفسهم على إمامة البشر وقيادتها في أمور الدين والدنيا معاً، وقد خفي كل هذا على سلاطهم بعد ذهاب الخلافة الإسلامية وزوال النهضة العربية وتحول السلطان إلى الأعمام الذين لم يكن لهم من الإسلام إلا الظواهر التقليدية المنفصلة عن هداية القرآن.

الركن الثاني من أركان الدين

وأما الركن الثاني وهو الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال، فقد كان مشركي العرب ينكرونه أشد الانكار، ولا يكفل الإيمان بالله تعالى ويكون باعثاً للأمة على العمل الصالح وترك الفواحش والمنكرات والبغي والعدوان بدونه، وكان أهل الكتاب وغيرهم من الملل التي كان لها كتب وتشريع ديني ومدني ثم فقدت كتبهم واستحوذت عليهم الوثنية يؤمنون بحياة بعد الموت وجزاء على الأعمال، ولكن إيمانهم هذا قد شابه الفساد بينائه على بدع ذهبت بجمل قائده في إصلاح الناس، وأساسها عند الهنود وغيرهم من قدام الوثنيين وخلف النصراني وجود الخلد الفادي الذي يخلص الناس من عقوبة الخطايا ويهديهم بنفسه، وهو الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي الذي هو عين الأول والثالث، وكل واحد منهما عين الآخر. وكل ما يقوله النصراني في فداء المسيح للبشر وغير ذلك فهو نسخة مطابقة لما يقوله الهنود في كرشنة في اللفظ والفحوى كما تقدم، لا يختلفان إلا في الاسمين كرشنة ويسوع.

وأما اليهود فكل ديانتهم خاصة بشعب إسرائيل ومحابة الله تعالى له على

سائر الشعوب في الدنيا والآخرة ، وديانتهم أقرب إلى المادية منها إلى الروحية ، فكان فساد الإيمان بهذا الركن من أركان الدين تابعاً لفساد الركن الاول وهو الإيمان بالله تعالى ومعرفة محتاجا إلى اصلاح مثله

جاء القرآن للبشر بهذا الإصلاح ، فقد أعاد دين النبيين في الجزاء إلى أصله المقبول وهو ما كرم الله تعالى به الانسان من جعل سعادته وشفقائه منوطين بإيمانه وعمله ، اللذين هما من كسبه وسميه لا من عمل غيره ، وإن الجزاء على الكفر والمعاصي يكون بعديل الله تعالى بين جميع خلقه بدون محاباة شعب على شعب ، والجزاء على الإيمان والأعمال الصالحة يكون بمقتضى الفضل ، فالحسنة بعشر أمثالها وقد يضاعفها الله تعالى أضعافا كثيرة

ومدار كل ذلك قاعدة قوله تعالى (.. ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاه * وقد خاب من دساها) أي إن الله الذي خلق هذه النفس وسواها بما وهبها من المشاعر والمقل ، قد جعلها بالهام الفطرة والفرصة مستعدة للفجور الذي يردها ويدنسها ، والتقوى التي تنجها وتصلحها ، وتمكنة من كل منها بإرادتها ، والترجيح بين خواطرها ومطالبها ، ومنعها العقل والدين يرجحان الحق والخير على الباطل والشر ، فبقدر طهارة النفس وأثر تزيينها بالإيمان ومكوارم الاخلاق ومحاسن الأعمال يكون ارتقاؤها في الدنيا وفي الآخرة ، والضد بالضد ، فالجزاء أثر طبيعي للعمل النفسي والبدني الذي يزيك النفس او يدمسها ويدنسها ، وهذا هو الحق الذي يشته من عرف حقيقة الانسان ، وحكمة الدين ، وهو مما أصلحه القرآن من تعاليم الأديان

فإذا علمت ما كان من انكار مشركي العرب للبعث والجزاء ، ومن فساد إيمان أهل الكتاب وسائر الملل في هذه العقيدة ، وعلمت أنها مكلة للإيمان بالله تعالى ، وأن تذكرا هو الذي يقوي الوازع النفسي الذي يصد الانسان عن الباطل والشر والظلم والبغي ، ويرغبه في التزام الحق والخير وعمل البر - علمت أن ذلك ما كان ليفعله الما جل في شب كبير الا ابتكاره في القرآن بالاساليب العجيبة التي فيه من حسن « المنار : ج ٧ » « ٦٣ » « المجلد الثاني والثلاثون »

البيان ، وتقريب البعيد من الاذهان ، تارة بالحجة والبرهان ، وتارة بضرب الامثال
 الايمان بالبعث والجزاء وهو الركن الثاني في جميع الاديان من لوازم الركن
 الأول وهو الايمان بالله التصف بجميع صفات الكمال ، المنزه عن السب في أفعاله
 وأحكامه ، ولهذا كان من أظهر أدلة القرآن عليه قوله (أنحسبم أنما خلقناكم عبثاً
 وأنكم إلينا لا ترجعون) وقوله (أنحسب الانسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من
 مني ينجى * ثم كان علقة مخلوق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى * أليس
 ذلك بقادر على أن ينجي الموتى) فن كفر الانسان بحكمة ربه وعدله في خلقه ، وكفره
 لنعمته بخلقه في أحسن تقويم ، وتفضيله على أهل عالمه (الارض) حيث سخرها وكل
 ما فيها لمنافعه ، وعلى كثير ممن خلق في عالم الغيب الذي وعده بمصيره اليه ، ومن
 كفره بما وهبه من الشاعر والقوى والعقل ، وجهله بحكمته في خلقه مستعداً لما ليس له
 حدود نهاية من العلم والعدل على انه خلق حياة لا جد لها ولا نهاية ، - من لوازم هذا
 الكفر كله والجهل ، استقارده لنفسه باعتقاده انه خلق عبثاً لا لحكمة بالغة ، وأن
 وجوده في الارض موقوت محدود بهذا العمر القصير النقص بالمعوم والمصائب
 والظلم والبغي والأثم ، وانه يترك سدى لا يميز كل ظالم بظلمه ، وكل عادل بمدله
 وفضله ، واذا كان هذا الجزاء غير مطرد في الدنيا لجميع الافراد ، تعين ان يكون
 جزاء الآخرة هو المظهر الأكبر للعدل العام

وبما جاء في القرآن مخالفاً لما عند النصارى من عقيدة البعث والجزاء ان
 الانسان في الحياة الآخرة يكون انساناً كما كان في الدنيا إلا أن أصحاب الانفس
 الزكية والارواح العالية يكونون أكل أرواحاً وأجساداً كما كانوا بزكية أنفسهم في
 الدنيا ، وأصحاب الانفس الخبيثة والارواح السافلة يكونون انقص وأخبث مما كانوا
 بتدسية أنفسهم في الدنيا ، ويصل مما ثبت عن قدماء المصريين وغيرهم من الأقدمين
 أن الاديان القديمة كانت تعلم الناس عقيدة البعث بالروح والجسد

ولو كان البعث للارواح وحدها لنقص من ملكوت الله تعالى هذا النوع
 الكريم المكرم من المخلوق للولف من روح وجسد ، فهو يدرك الذات الروحية
 والذات الجسدية ويتحقق بحكم الله وأسرار صنعه فيها ما ، من حيث حرم

الحیوان والنبات من الاولى والثلاثیة من الثانية ، وما جنح من جنح من اصحاب النظریات الفلسفیة إلى البعث الروحانی المبرد إلا لاحترامهم لذات الجسدیة وتسمیتهما بالحیوانیة ، وإنما تكون نقصاً فی الانسان إذا سخر عقله وقواه لها وحدها حتی یصرفه اشتغاله بها عن الذات العقلیة والروحیة بالعلم والعرفان - وأصل هذا الافراط والتفریط غلو المثنوی فی احتقار الجسد وتربیة النفس بالریاضة وتغذیة الجسد وتبسم فی نساك النصارى كما تبعم فی عقیدة الصلب والفداء والتثلیث علی انهم نقلوا ان المسیح علیه السلام شرب الخمر مع تلامیذه لما ودعهم فی الفصح وقال لم : انی من الآن لا اشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك الیوم حیثا اشر به منكم جدیداً فی ملكوت أبی. (متی ٢٦: ٢٩) وجرى اليهود علی عكس ذلك. وجاء الاسلام بالاعتدال فاعطى الانسان جمیع حقوقه .

وقد ینبأ كل ما یتعلق بهذه المسألة من جمیع اطرافها العلمیة والدفینیة وكشف شبهاتها فی تفسیر سورة الانعام التي هی اجمع سور القرآن لمسائل الايمان بالله وتوحدیه والبعث والرسالة ودحض شبهات المشركین علیها (ص ٤٧٠ - ٤٨١ ج ٨ تفسیر) ویؤخذ مما ورد من الآیات والاحادیث النبویة من صفة حیاة الآخرة ان القوى الروحیة تكون هی الغالبة والمتصرفة فی الاجساد فتكون قادرة علی التشکل بالصور الطیفة وقطع المسافات البعیدة فی المدة القریبة ، والتخاطب بالکیلام بین اهل الجنة وأهل النار - وان ترقى البشر فی علم الكیمیاء وخواص السکریاء والصناعات والآلات فی عصرنا قد قرب كل هذا من حس الانسان بعد أن كان للادیون الملحدون یعدون مثل قوله تعالى (٧ : ٤٤) ونادی أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربکم حقاً ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بینهم : ان لعنة الله علی الظالمین) من تخيلات محمد صلوات الله وسلامه علیه - وهانحن أولاء نخاطب من مصر اهل عواصم اوربة بالة التلفون ، ونسمع خطبهم ومعاذ فهم بالة الرادیو ، وسنراهم یروننا بالة التلیفیزون مع التخاطب حیثا یم انتشارها وأما علماء الروح من الافرنج وغیرهم فقد قرروا ان الارواح البشریة قادرة علی التشکل فی اجساد تأخذها من مادة الكون كما یقول الصوفیة . وهذه مسألة او مسائل

قد شرحنها من قبل في هذا التفسير وانما نذكرها هنا بالاجال ردّاً على من زعموا ان القرآن مستمد من كتب اليهود والنصارى ومن عقل محمد ﷺ وإلهاماته الروحية ويناسب هذا ما جاء في القرآن من نبأ خراب العالم وقيام الساعة التي هي بدء ما يجب الايمان به من عقيدة البعث والجزاء ولم يوجد له اضل عند اهل الكتاب ولا غيرهم ولا هو مما يمكن أن يكون قد عرفه محمد ﷺ بذلك أو فطر ياقته العقلية. وجعلته ان قارعة - والظاهر انها كوكب - تفرع الارض وتصفخها صخا وترجها رجا فتكون هباء (غباراً رقيقاً) منبثا في الفضاء . وحينئذ يخل ما يسمى في عرف العلماء بالاجاذية العامة فتتناثر الكواكب الخ وهذا المعنى لم يكن يخفى بيال احد من علماء الكون ولا من علماء الدين فلا يمكن أن يقال ان محمداً ﷺ سمعه من احد في بلده او في سفره ، ولا يعقل أن يكون قاله برأيه وفكره ، فهو من أنباء القرآن الكثيرة التي تلخص زعم القائلين بالوحي النفسي . وقد صرح غير واحد من علماء الهيئة الفلكية المعاصرين بأن خراب العالم بهذا السبب هو أقرب النظريات العلمية لخرابه

(الركن الثالث للدين ، العمل الصالح)

وأما الركن الثالث من مقاصد بشة الرسل وهو العمل الصالح فهو مكرر في القرآن في سور كثيرة لاصلاح ما أفسده البشر فيه بجعله تقليدياً غير مركز للنفس ولا مصلح لشؤون الاجتماع ، ولكن دون تكرار توحيد الله وتقديسه الذي هو الاصل الذي يتبهمه غيره ، ولولا الحاجة الى هذا التكرار في التذكير والتأثير لكانت سورة العصر كافية في الاصلاح الملمي العملي على قصرها ، كسورة الاخلاص في الركن الاول الاعتقادي ، وكل منهما تكتسب في سطر واحد فها من معجزات ايجاز القرآن وهدايته

ثم ان العمل الصالح من لوازم الايمان بالله في الدرجة الاولى لأن من عرف الله عرف استحقاته للحمد والشكر والعبادة والحب والتعظيم ، وهو من لوازم الايمان بالجزاء على الاعمال في الدرجة الثانية خوفاً من العقاب ورجاء في الثواب ويدخل في الاعمال الصالحة العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى ، وسائر

أعمال البر التي ترضيه بما لها من التأثير في صلاح البشر كبر الوالدين وصلة الرحم وإكرام اليتامى والمساكين . ومن أصوله الوصايا الجامعة في آيات سورة الاسراء (١٧ : ٢٣) وقضى ربك - الى قوله - ٣٩ ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة (الخ) وهي اجمع واعظم من الوصايا العشر التي في التوراة . وآيات سورة الانعام (١٥٩ : ١٥٩) قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم (الخ) - وغير ذلك مما ينفع الناس من الحث على الفضائل والزجر عن الرذائل والمعاصي الضارة بالابدان والاموال والاعراض والعقول والاديان ، ومثارها الاكبر اتباع الهوى وطاعة وسوسة الشيطان . ويضادها ملكة التقوى فهي اسم جامع لما بقي النفس من كل ما يندسها وتسوء به عاقبتها في الدنيا او الآخرة . ولهذا تذكر في المسائل الدينية والزوجية والحربية وغيرها ، وقد فصلنا هذا في (ص ٦٤٨ ج ٩ تفسير) ولا حاجة الى التطويل بالشواهد على ما في القرآن منها . وسنة القرآن في الارشاد إلى الاعمال الصالحة بيان أصولها وبجوامعها وتكرار التذكير بها بالاجمل ، وأكثر ما يبحث عليه من العبادات الصلاة التي هي العبادة الروحية العليا والاجتماعية للمثلى ، والزكاة التي هي العبادة للمالية الاجتماعية الكبرى ، كرر الامر بهما في آيات كثيرة وبين أهم منافعهما بقوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) وقوله (ان الانسان خلق هلوعا * إذا منه الشتر جزوعا * وإذا منه الخير منوعا * إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم * والذين يصدقون يوم الدين) الآيات وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها)

ولم يكرر ما يحفظ بالعمل والافتداء بالرسول من أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج بل لم يذكر منها إلا ما لذكره فائدة خاصة . وذكرت فيه أحكام الصيام في موضع واحد ، ولم يذكر فيه عدد الركعات في كل صلاة ولا عدد الركوع والسجود ولا نصاب الزكاة في كل نوع مما تجب فيه . لان كل هذا يؤخذ من بيان الرسول ويحفظ بالعمل وليس في ذكره تزكية للنفس ولا تنقية للإيمان

ترجيح فضائل القرآن على فضائل الانجيل

واذكر فضيلتين من فضائله يزعم النصراني أن ماهو ماثور عندهم فيها أكل وأفضل مما جاء به الاسلام (الاولى) قول المسيح عليه السلام : أحبوا اعداءكم باركوا لاعينكم . أحسنوا إلى من أساء اليكم . ومن ضربك على خدك الايمن فأدرله الايسر ، ومن المعلوم بالبداهة أن امثال هذه الاوامر يتعذر على غير الاذلة المستعبدين من الناس ، وأنه قد يكون من أكبر المعاسد باغراء الاقوياء بالضعفاء الخاضعين ، وانك لتجد أبعصى الناس لها من يسفون أنفسهم بالمسيحيين أمثال هذه الاوامر لا تأتي في دين الفطرة لان امتثالها من غير استطاع والله تعالى يقول (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وإنما قرر القرآن في موضوعها الجمع بين العدل والفضل والمصلحة . قال تعالى (٤٢) . ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين (٤١) ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤٢) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٣) ولئن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور) ولا يخفى ان العفو والمغفرة للمسيح إنما تكون من القادر على الانتصار لنفسه ، وبذلك يظهر فضله على من عفا عنه ، فيكون سبباً لاستبدال المودة بالعداوة ، في مكان الاغراء بالتعدي ودوام الظلم ، ولتلك قال (٤١) . ٢٤ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٢٥) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فانظر كيف بين مراتب السكال ودرجاته من العدل والفضل ، وكيف استدل عليه بما فيه من المصلحة وحكم العقل ، أقلب هذا الاصلاح الاعلى لما جاء عن أفضل النبيين والمرشدين ، دليلاً على أنه وحي من الله تعالى قد أكل به الدين ؟ إلى وانا على ذلك من الشاهدين ، ولا يمجده إلا من صفه نفسه فكان من الجاهلين

(الثانية) مبالغة المسيح عليه السلام في التزهيد في الدنيا والامر بترك ما ودم النفي حتى جعل دخول الجبل في ثقب الابرأة أيسر من دخول النفي ملكوت السموات . ونقول ان هذه المسألة وما يقبها إنما كانتا اصلاحاً مؤقتاً لاسراف اليهود وغلوم في عبادة

المال حتى أفسد أخلاقهم وآثروا دنياهم على دينهم. والتوايقاوم موقفاً بضده. وكذلك كانت دولة الرومان السالبة لاستقلال اليهود وغيرهم دولة مسرفة في الظلم والعدوان وأما الاسلام فهو دين البشر العام الدائم فلا يقرر فيه إلا ما هو لمصلحة الناس كلهم في دينهم ودنياهم. وهو في هذه المسألة قد استعمل المال فيما يضر من الاسراف والطفين، وذم أكله بالباطل ومنع الحقوق المفروضة فيه والبخل به عن الفقراء والضعفاء - ومدح أخذه بحقه وبنته في حقه، وأثناقه في سبيل الله بما ينفع الناس ويمزق المذوقوي الامة، ويكون عوناً لها على حفظ حقيقتها واستقلالها - فهذه المسألة وما قبلها ما أكل الله تعالى به الدين، فبما أوحاه من كتابه إلى محمد رسول الله وخاتم النبيين وما كان لرجل أمي ولا مثعل أن يصل بمقله إلى أمثال هذا الإصلاح لتعاليم الكتب السماوية التي يعتمد بها الملايين من البشر، ولكتب الحكماء والفلاسفة أيضاً، فقل الأقرب إلى العقل أن يكون بوحى من الله عز وجل أم من نفس محمد (ص) وان شعوب النصارى كلها لا علم من المسلمين في هذا العصر بأن الحق فيها ما جاء به الاسلام، وان البشر لو اتبعوه كلهم لصلحت به أحوالهم وزال معظم شقاؤهم في دنياهم. وسأذكر في موضع آخر قاعدة يسر الاسلام

وجملة القول أن أر كن الدين الثلاثة مأثورة عن جميع الامم القديمة وذلك دليل على أن اصلها واحد وهو الوحي وهداية الرسل، وكن قد دباليها الفساد بتعاليم الوثنية وبدعها، فجاء محمد النبي الامي بهذا القرآن من عند الله تعالى فأصلح ما كن من فسادها الذي جعلها غير كافية لسعادة البشر الآخدين بها، من شوب الايمان بالله بالشرك والتشبيه بالخلق، وجعل الجزاء بالمحابة والفداء، لا بالحق والعدل، وجعل المبادات تقاليد كاللعاب والهوى، غير مشعرة لتزكية النفس، ولا راجعة في ميزان العقل، وعبادات الاسلام وآدابها كلها معقولة مكملة لفطرة الانسان، ومن ثم وصف الله الكفار بأنهم (اتخذوا دينهم هزواً ولعباً)

وإذ بينا ما اشتمل عليه وحي القرآن من اصلاح ما أفسد البشر من أر كن الدين الثلاثة فلننتف عليه بكلمة في النبوة والرسالة والرسل غير ما نحن بصده من بحث الوحي والنبوة. ثم نعود إلى بيان مافي وحي القرآن من قواعد الاصلاح العام الدائم للبشر الدال على كونه من عند الله لا من مكارف محمد (ص) النامية من نفسه

المقصد الثاني من مقاصد القرآن

﴿ بيان ما جهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل ﴾

كانت العرب تنكر الوحي والرسالة إلا أفراداً من بقايا الحنفاء في الحجاز وغيره ومن دخل في اليهودية والنصرانية لمجاورته لأهلها وقليل مأمم ، وكانت شبهة مشركي العرب وغيرهم على الوحي استبعاد اختصاص الله تعالى ببعض البشر بهذا التفضيل على سائرهم وهم متساوون في الصفات البشرية ، ويقرب منهم اليهود الذين أنكروا أن يختص تعالى بهذه الرحمة واللطف من يشاء من عباده وأوجبوا عليه أن يحصر النبوة في شعب إسرائيل وحده ، كأن بقية البشر ليسوا من عباده الذين يستحقون من رحمته وفضله ما أعطاه لليهود من هداية النبوة . على أنهم وصفوا الأنبياء بالكذب والخداع والاحتيال على الله ومصارعته وارتككب كبار المعاصي كما تقدم في القسم الأول من هذا البحث ، وواقفهم النصراني على حصر النبوة فيهم ، وأثبتوا قداية غير الأنبياء من رسل المسيح وغيرهم وعبودهم أيضاً على أنهم نقلوا عن بعض خواص تلاميذه إنكاره إياه في وقت الشدة ، وعن بعضهم أنه أسلمه لأعدائه ، وأنه قال لهم « كلّم تشكون فيّ في هذه الليلة » واتخذ كل من الفريقين أحبارهم ورهبانهم وقسوسهم أرباباً من دون الله تعالى فحلوم حق التشريع الديني من وضع العبادات والتحليل والتحريم (١) وكل ذلك من الكفر بالله وإنكار عدله وعموم رحمته وفضله ومفعمدات نوع الإنسان ، وجعل السواد الأعظم منه مستعبداً لأفراد من أبنائه جنسه ، فأبطل الله تعالى كل ذلك بما أنزله من كتابه على خاتم النبيين ، وأثبت بعثة الرسل والمنذرين لجميع شعوبه بقوله (٣٦.١٦) ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقوله (٢٤.٣٥) إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة إلا خلا فيها نذير) وكرم الإنسان بجعل التشريع الديني

من حقوق الله وحده ، وأما النبيون والرسل مبلغون لم عنه ليسوا بمسيطرين على الاقوام فخصوعهم لله وحده ، وطاعتهم الرسل تابعة لطاعته لأنهم مبلغون عنه ، كما أبطال عبادتهم وعبادة من دونهم من القديسين ، وبذلك تحرر الانسان من الرق الروحي والعقلي الذي منيت به الامم المتدنية ولا سيما النصارى

ولضلال جميع أهل الملل والنحل في ذلك كرر هذا الإصلاح في كثير من السور .
 بالنصريح بان الرسل بشر مثل سائر البشر يوحى اليهم ، وبأنهم ليسوا إلامبلغين .
 لدين الله تعالى للوحي اليهم ، قال تعالى لخلقتهم المكمل لدينهم في خاتمة سورة الكهف (١٨ : ١١٠) قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما إلهكم إله واحد الآية وقال في جملتهم من وسطها ٥٦ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) ومثلها في سورة الانعام (٦ : ٤٨) وفي معناها آيات أخرى - بهتهم مبشرين ومنذرين .
 بالقول والعمل والتنفيذ ، وبأنهم لا يملكون للناس ولا لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا هداية ولا نجاة من العقاب على مخالفة شرع الله وسننه في خلقه في الدنيا ولا في الآخرة .
 وقد شرحنا ذلك في تفسير قوله تعالى (٧ : ١٨٧) قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . إن انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وسيأتي نظيرها في الآية ٤٩ من هذه السورة .
 التي نفسرها ، وقد بين ذلك النبي ﷺ بأقواله وأعماله وأخلاقه في العبودية والتواضع بما لا يدع لنا ذيل الآيات سيلا . حتى فطن لذلك بعض علماء الافرنج الاحرار فقال ان محمدا لما رأى خزي النصارى بتأليه نبيهم وعبادته لم يكتم .
 بتلقيب نفسه برسول الله حتى أمرهم بان يقولوا اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

وأما مسألة الشفاعة التي كان مشركو العرب يثبتونها لمعبوداتهم في الدنيا .
 وأهل الكتاب يثبتونها لأنبيائهم وقديسيهم في الدنيا والآخرة فقد نفاه القرآن وأبطالها وأثبت أن الشفاعة لله جميعا وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بأذنه (٢١ : ٢٨) يعلم

٥٠٦. الايمان بجميع الرسل وكون الكفر ببعضهم كفر بكلهم النار: ج ٣٢٧

ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٩) ومن يقل منهم آيائنا من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين) وقد فصلنا ذلك في تفسير سورة البقرة وغيره مرارا (ومن ان الشفاعة الثابتة في الاحاديث غير الشفاعة الوثنية المنفية في القرآن) . وقد ذكر هذه المسألة دون تكرار ما قبلها لانها فرع لها فالافتتاح بها أسهل

فأنت ترى ان القرآن قد بين حقيقة هذه المسألة التي ضل فيها الملايين من البشر فأشركوا بالله ما يضرهم ولا ينفعهم، فهل كان هذا بما استمد به محمد ﷺ من علماء اهل الكتاب فجادوا به عليه وبخلوا به على اقوامهم؟ أم هو نابع من نفسه وهو يقتضي ان ما ينبع منها إلى من وحي الله لغيره على حسب دعوى أتباع هؤلاء الرسل؟ كلا إنما هي من وحي الله تعالى له

الايمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم

ومما بينه الاسلام في مسألة الانبياء والرسل أنه يجب الايمان بجميع رسل الله تعالى وعدم التفرقة بينهم في الايمان، وان الايمان ببعضهم والكفر ببعض كالكفر بهم كلهم، لأن اضافتهم الى الله تعالى وحده ووظيفتهم في ارشاد المكلفين وهدايتهم واحدة. قال تعالى في خواتيم سورة البقرة (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. لا نفرق بين احد من رسله) وبين أن كون التفرقة بينهم في الايمان هو الكفر، حق الكفر، والايمان بالجميع بغير تفرقة هو الايمان حق الايمان وهو في الآيات (٤-١٥٠-١٥٢)

وهذا مبني على الايمان بأن دين الله تعالى الذي ارسل به جميع رسله واحد في مقاصده من هداية البشر واصلاحهم وإعدادهم لسمادة الدنيا والاخرة، وانما تختلف صور العبادات والشرائع باختلاف استعداد الاقوام ومقتضيات الزمان والكان. فالايمان ببعضهم دون بعض اتباع للهوى في الايمان وجهل بحقيقة الدين. فلا يمتد به لانه عين الكفر

وقد انفرد بهذه الحقيقة السادة المسلمون دون اهل الكتاب الذين لا يؤمنون
إلا بأنبياء بني اسرائيل وائيهم وخدم على ما يذكرون في كتبهم من عيوب
ومنكرات وفواحش يرمونها بها

واما المسلمون فيؤمنون بأن رب العالمين ارسل في كل الامم رسلا هادين
مهدين يؤمنون بهم اجمالا وبما قصه القرآن عن بعضهم تفصيلا، فقد كرم الاسلام
بهذا نوع الانسان، ومهد به السبيل للالفة والاخوة الانسانية العامة التي نينها بعد
ومن المعلوم ببداية العقل ونص القرآن ان بعض الانبياء افضل من
بعض بتخصيص الله تعالى وبما كان لكل من نفع العباد وهدايتهم وهي متفاوتة
جدا. قال الله تعالى (٢٥٢:٧) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم
الله ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى بن مريم اليينات وأيدناه بروح القدس)
ومن المعلوم بالدلائل العقلية والنقلية ان محمدا خاتم النبيين الذي اكمل الله
به الدين، وارسله رحمة للعالمين، هو الذي رفعه الله عليهم كلهم درجات كما بيناه في
تفسير تلك الآية بالاجمال وفصلناه في هذا البحث أقصد التفصيل

وانك لتجد مع هذا انه ﷺ قال لا تباعه « لا تفضلوا بين انبياء الله » قاله
انكارا على رجل من المسلمين لعلم يهوديا لانه قال: لأوالذي اصطفى موسى على
البشر. فشكاه الى النبي ﷺ فغضب غضبا شديدا على صاحبه المسلم وقاله - وبين
حزنة لموسى عليها الصلاة والسلام في الآخرة ثم قال « ولا اقول ان احدا افضل من
يونس بن متى » والحديث رواه الشيخان في الصحيحين. وفي روايات أخرى للبخاري
« لا تخيروا بين الانبياء » وفي بعضها « لا تخيروني على موسى » والغرض من ذلك كله
جمع المسلمين من تنقيص احد من الانبياء عليهم السلام ومن التعادي بين الناس ومن
القول فيه ﷺ والا فهو قد قال في تحليل نبيه عن سؤال اهل الكتاب عن شي « والله
لو كان موسى حيا بين اظهر كم ماحل له الا أن يقبني » رواه ابو يعلى من حديث جابر
ونتم القول في هذا الموضوع بايات الانبياء الكونية واصلاح الاسلام لضلال
بشر فيها فنقول (للكلام بقية)

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام ، وحظن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

(تابع لما نشر في الجزء الماضي)

٢٤

تحريم النساء على النبي ﷺ بعدما تقدم

قال تعالى بعد هذه الآية من سورة الاحزاب في التوسيع على نبيه ﷺ في أمر النساء وما كان لهما ولما قبلها من اعطاء نسائه وتأديبهن ومن اختيارهن البقاء معه «ص» مع النصف والزمه ، على الحياة الدنيا وزينتها مع فراقه

(٥٢) لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا

ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في مكافأة أزواج النبي التسع على اختيارهن مرضاة الله ورسوله وثواب الدار الآخرة على نعيم الحياة الدنيا وزينتها فحرم عليه أن يتزوج عليهن أو يستبدل بهن أزواجا أخرى ، وإن قوله تعالى (من بعد) معناه من بعد هؤلاء التسع اللاتي في عصمتك أو من بعد اختيارهن لك ، وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير من كبار مفسري التابعين أن النبي لا يحل لك النساء بعد الذي أبيع لك في الآية السابقة أي من انصرف في مقامه أزواجك التسع كائنات ، وما له أنه لم يبق لمن من هليل إلى إزاحتك بما كن يزعينك به ، الذي أدى إلى تهديدهن بالطلاق ، والتخير بين الامساك والافراق

وقوله تعالى (ولو أعجبك حسنهن) ظاهر في حبه (ص) للجنس والجمال وكيف لا وهو الكامل اللطيف والخلال ، القائل « ان الله جميل يحب الجمال » ١ . ولكنه

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود

المنار: ج ٣٧ ص ٣٢ آية الحجاب لما يجب على المؤمنين من الادب مع أزواجه (ص) ٥٠٩

كان يؤثر المصلحة على التمتع النفسي، ويشعر الله له ما هو أبقى بمقامه الاصلاحى،
لا يتادل عليه كلمة عائشة بقرينة غيرها الزوجية من كل ما تهواه نفسه
واستغنى عنها ملك اليمين وهو ما يسوء من لو حصل ولكنه لم يحصل فهو لم يسترق
سبية ولم يشرأة يتسرى بها وأما كان تسريه المعروف قبل ذلك . والمراد بكل هذا
اكمل تربية الأزواج الطاهرات المختارات حتى لا يمدن إلى تلك الصفات النسائية
المزعجات له (ص) وبذلك كل إيمان بكأله

ومن العلوم بالطبع ان أم ما بهم المرأة من زوجها هو وظائف الزوجية ووسائل
المعيشة وان المرأة أعلم الناس بضعف بطها البشري، وان صفاته الزوجية قد تنحجبها
عن خصائصه الزوجية والعقلية، وتعد الصغير من ذنبه معها كبيراً، والقليل من تقصيره
كثيراً، وقد قال (ص) في بعض مواضعه للنساء «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من
الاستغفار فاني رأيتكن أكثر أهل النار» فسالته عن السبب فقال «انكن تكثرن
اللعن وتكفرن الشير» يعنى الزوج أي يتكفن فضله ومعروفه. (١)

فمن ثم قال بعض علماء الافرنج إن سبق خديجة إلى الايمان بمحمد وقيمتها فيه من
أقوى الدلائل على صدقه، وكذلك كان سائر نساءه (ص) في قوة الايمان به واتباع
حديه وإتباع الشرف بزوجيته مع التقشف والشفط، على كل ما في الدنيا من زينة وترف:

٤٣

آية الحجاب

(ليبان ما يجب على المؤمنين من الادب مع الرسول (ص) وأزواجه)

(وما يحرم عليهم من إبدائه)

قد فطر الله محمداً على مكارم الاخلاق وعقائل الآداب، وكل أخلاقه وآدابه
يوجه إليه هذا القرآن، ينبوع الحكمة وشمس الرقان، ووصفه فيه بقوله:

(وَإِنَّكَ لَمَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ) وقوله (قَبِيلاً رَحِيماً مِنْ اللَّهِ إِنَّكَ لَهُمْ وَأَوَّلُ
كَنتَ فَظاً غَلِيظَ اللَّغْلِ لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ)

(١) رواه البخاري ومسلم وله تمة

وكان على رحمة ولينه ولطفه وحلمه — وقوراً هيباً وشجاعاً باسلاً، وجليلاً حلالاً، حتى كان بعض من بحيته معادياً يريد القتل به ترصد فرأى أنه عند رؤيته فيقول له ﷺ «هون عليك فليست عليك أما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد» (١) فكان يهون على الناس مهايته بالذمالة في الواضع فينهى عن القتل في أعظمه وعن الوقوف بين يديه وكان كما قال حنبل بن أبي حالة: من نظر إليه بديهة هابه، ومن مشره معرفة أحبه. وكما قال ابن الفارض

بجلال حجبته بجبال هام واستمذب المذاب هنا

ومن شواهد مهايته (ص) ما رواه الشيخان عن زينب السقفة امرأة عبدالله بن مسعود قالت قال رسول الله (ص) «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن» قالت فرجعت إلى عبدالله بن مسعود فقلت إنك وجعل خفيف ذات اليد وإن رسول الله (ص) قد أمرنا بالصدقة فإنه فأسأله فإن كان ذلك يجزيه عني وإلا صرفتها إلى غيركم فقال عبدالله بل اكتهأت، فانطلقت فإذا امرأة من الانصار ياب رسول الله (ص) حاجتها حاجتي وكان رسول الله (ص) قد ألقيت عليه المهابة فخرج علينا بلال فقلنا له أنت رسول الله (ص) فاخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أن تجزي الصدقة عنهن على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن، قالت فدخل بلال على رسول الله (ص) فأسأله فقال له رسول الله «من هما؟» فقال امرأة من الانصار وزينب فقال رسول الله (ص) «أي الزينب؟» قال امرأة عبدالله بن مسعود فقال «لها أجر القرابة وأجر الصدقة»

وكان قومه العرب أوسم الاقوام حرية وأجرأهم على العطاء لدم وجود ملوك جبارين فيهم: ذلونهم، ولا رؤساء دينيين يرونهم على الخضوع لهم، فكانت آداب أتباعه معه ﷺ دينية وأزغها قسي لا قهري ولا عرفي، وتعاليم فيها مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنته (ص) والتأسي به — ولهذا كانت في كمالها ونعيمها تامة لقوة الأيمان وسعة العرفان — وكان فيهم الاعراب الجفاة، المتناقون العاة، ومرضى القلوب. وكان الجميع يدخلون بيوتهم ويحدثون إلى أزواجه في أي وقت من ليل أو نهار كان هذا الامر يثقل عليهم وعلى علماء الصحابة وفضلائهم وكان عمر بن الخطاب من أشد من غيره وجرأة وحزماً أو أجمعهم لهذه الصفات على أكملها فكان يطالب النبي (ص) بمحجبتهم عن الرجال — فن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قاله

(١) رواه الحاكم عن جرير وصححه على شرطهما

قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ان لساءك يدخلن عليهن البر والفاجر فلو امرت أمهات المؤمنين بالحجاب! فأنزل الله آية الحجاب أي فكان هذا مما وافق رأي القرآن وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي (ص) فيه قعب (١) فر عمر فدعاه النبي (ص) فأكل فأصابته أصبعه أصبعي فقال: أوه! لو أطاع فيكن ما رأيتن عين. وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس قال لما تزوج النبي (ص) زينب دعا القوم فطمعوا ثم جلسوا يتحدثون فأخذوا كأنه يتبأ للقيام فلم يقوموا. فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقد ثلاثة نفر فجاء النبي (ص) ليدخل فإذا القوم جلوس (فرجع) ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي (ص) انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فالتقي الحجاب بيني وبينه فأنزل الله آية الحجاب:

﴿ آية الحجاب وسبب نزولها ﴾

(٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِ بْنِ إِسْهٍ - وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا. فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا - وَلَا مَسْتَنِينَ بِلَدِيثٍ - إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا - أَلْتُمُوهُنَّ مَتَمًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَوْلِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا

حاصل معنى الآية نهي المؤمنين عن دخول بيوت النبي (ص) على أزواجه كما كانوا يفعلون لأجل الطعام أو الكلام أو غيرها من الحاج (٢) إلا في حال الاذن

(١) القعب بالفتح إزاء ضخم كالقصبعة (٢) الحاج بخفيف الجيم جمع حاجة

لهم ودعوتهم منه أو من قبله إلى طعام ناضج حاضر غير متظيرين لأناه أي نضجه حتى لا يطول مكثهم فيها (قال) ولكن إذا دعيم إليه والحال ماذكر قاذلوا ، قاذو خلعتهم أي أكلتم الطعام قاتشروا ، أي أخرجوا وتفرقوا بلا تريم ولا بطء كما يدل عليه المصنف بالقاء ولا تدخلوها مستأنسين لحديث أي طالين للانس والنسبية بالكلام مع أهلها ولا يفتنكم فيها فنع دخولهم لأجل الطعام إلا بدعوة إليه بشرطها ، ومنع دخولهم لأجل الكلام مطلقاً ، وعلى المتع بأن ما كان من دخولهم بيوتهم ومكثهم فيها كان « يؤذي النبي » أي يؤله ولم يقل « يؤذي » للتذكير بأن إبداءه بصفة النبوة اعظم من إبدائه بصفته الشخصية — وأنه لفرط حيائه وأدبه كان يخفي عنهم أذاه وأله منهم ، فلا يصح لهم به ولا يعمل بموجبه فيتهام عن الدخول والمكث (والله لا يستحي من الحق) أي لا يمتنع أن يظهره بالأخبار وبالامر بالتزامه والنهي عما ينافيه — لأنه تعالى لا يرض له الاقمال البشري الذي يمنع الانسان عن مواجهة غيره بما يكره ولا كان هذا المتع لدفع الاذى عن الرسول لا لحرمان المؤمنين من الاقتناع من الأزواجه بما اعتادوا أن يطلبوه من بيوتهم قال (واذا سألتوهن متاعاً) وهو كل ما يستتبع به من ماعون وغيره، ومثله السؤال عن العلم بالأولى (فاسألوهن من وراء حجاب) أي ستر مغروب دونهن بحيث يستمعن ما تطلبون من غير مواجهة ولا استئناس في مخاطبة ، وعاله بقوله (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي ذلكم السؤال من وراء حجاب ، أو الذي ذكر كله من نهى وأمر بشرطها (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر الطبيعية، والوساوس الشيطانية، التي يثيرها تلاقى النساء والرجال، وأستر سالها في حديث الاستئناس وشجبونه، واختلاف الافهام والتأويلات فيه

(وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) وما كان من شأنكم ولا بما يصح أن يقع حنكم ايها المؤمنون إبداء رسول الله بحال من الاحوال، لأن تهمده إبداءه يناقض الايمان، فوجب أن يبقى وتسد ذرائعه (ولا أن تكبحوا أزواجه من بعده أبداً) فإن الله تعالى جعلهن أمهات لكم ، وجعله أولى بكم من آبائكم بل من أنفسكم — وكل صحيح الايمان يشعر من نفسه بأن رسول الله أجل في قلبه من أمهوايه وأحب إليه من نفسه التي بين جنبيه — ومن لوازم لإجلاله لإجلال حالاته وإجلالهن من قلبه محل الكرامة الدينية الروحية، البعيدة عن شغور الشهوة الجنسية ، بأشد من صرف لإجلال الام الجسدية لنفس عن اغتهاها — فكيف يسمح له وجدانه الديني أن يحل

من إحداهن محل رسول الله ﷺ ؟ أوليست ذكرى الرسول عند إرادة قربه منها - إن حصل - كافية لآثارة عارفة الحياء منه والاحلال له الصارفة عنه ملامستها ؟ بلى والله ولكن روي عن بعض المناققين ومرضى القلوب أنهم تحدثوا بكبح فلانة وفلانة من أمهات المؤمنين بعد وفاته ﷺ فيين الله تعالى في هذه الآية أن هذا ليس من شأنه أن يقيم من المؤمنين ليطمأن أن من يتحدث به لا يكون إلا من المناققين . قال قوله تعالى (وما كان لكم) نفي للشأن لا مجرد الفعل وهو يقتضي نفي الفعل بالدليل - وإن كل مؤمن ليسمر في كل زمن بأن إيداء الرسول ونكاح بعض أزواجه ينافي الايمان بأنه رسول الله ﷺ وقد أكد ذلك بما يدل على الوعيد الشديد على مخالفته فقال (أن ذلكم كان عند الله عظيما) أي خطباً عظيماً وحوياً كبيراً

فلم ينص الآية وما ورد في سبب نزولها أن الامر بحجاب أزواج النبي «ص» قد كان لتقرير ما يجب على المؤمنين من توقيره وتعظيم حرمة ، وسد منافذ الدرائع دون كل ما يكون من إيداءه ، وقطع طرق الشهوات وزغات الشيطان أن تطوف بقلوب محالسين ومحدثين بما يمس مقامه في نصب النبوة والرسالة ، أو يهبط بهن من أوج أمومة المؤمنين الروحية ، إلى خواطر الزعات الزوجية ، ولا ننسى أن المناققين إذا لاحت لهم شبهة في إحداهن بنوا عليها من الافك والبهتان ما يمن لهم ويوسوس به الشيطان فكانوا في رمي السيدة عائشة بما أثير في قلوب بعض مذبح المؤمنين حتى زارت برأسمها من السماء ومن هذا القليل في سد القرينة على الخواطر والوسوسة أن صفية أم المؤمنين زارت النبي ﷺ وهو متكف في العشر الاخير من رمضان في المسجد فتحدثت عنده ساعة من المشاء فلما قامت تغلب راحمة قام معها النبي (ص) حتى إذا بلغا باب المسجد مر بها رجلان من الانصار فسلما على رسول الله (ص) ثم قلنا (المطلقا مسرعين) فقال لهما (ص) « على رسولكما انما هي صفية بنت حيي » قالا سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليها ما قال . فقال (ص) إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا » رواه الشيخان

ولا تدل الآية بتصریح ولا تعريض على تليل الحجاب بالخوف على شرف صياتهن وحصاتهم ، لا منهن ولا عليهن ، كما يتوهم بعض المعتزين من غير المسلمين على مسألة الحجاب في الاسلام إذ يقولون ان المسلمين يحجبون نساءهم عن الرجال لعدم مقدرتهم بمقتن ، وهذا باطل . وسأعود لهذه المسألة في الكلام على آداب النساء ، وأختم الكلام في مسألة الأزواج الطاهرات ببيان تيجتها ونمرتها

﴿ نمرة هداية القرآن والسنة في أزواجه ﷺ ﴾

هذا الوحي الالهي، والهدي الحمدي، علم أولئك الضرائر التسع ان الاصلاح الاسلامي للبشر يكلفن أن يكن نسوة لا كالتساء، وأزواجا لا كالازواج، يكلفن أن يحقن التنافس في الطعام والشراب، والمباراة في زينة الحلي واللباس، والتحاسد على الخطوة عند هذا الزوج العظيم في حب الزوجية، وقاسي وظيفته العليا وهي النبوة — علمن بما ذكر أن الله تعالى ورسوله يريدان منهن أن يكن قدوة صالحة وأسوة حسنة لجميع النساء، ومعلمات المؤمنات، ومثلا بارزة في البر والتقوى، والعلم والحكمة، ومعالى الامور ومكارم الاخلاق، من العفة والصيانة والامانة والديانة، وأن يرجحن ما يشتهين من الزينة والتمعة إلى الدار الآخرة. (فامتناع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) خيرهن الله ورسوله بين الامرئين فاخترن خيرهما، وأتم الله نعمته عليهن بما شرعه لرسوله ولهن مما يزيهين من وساوس التيرة ودنايا المضارة، فم لمن مراد الله تعالى بها وبما شرعه للمؤمنين من جعلهن أمهات لهم، وضرب الحجاب عليهن دونهم، حتى لا يفكر مؤمن فبا دون أمومتهم الروحية، وإجلال منصب النبوة، إذ قال تعالى في هذه السورة (٣٣: ٦) النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه أمهاتهم) ولقد كان نساء المؤمنين يلجأن اليهن بالشكوى من تقصير رجالهن في حقوق الزوجية حتى حقوق الفراش انقطعا للعادة فيلفن النبي (ص) ذلك فيشكينه ويتهي رجالهن عن التنطع والفلو في العادة والامتناع من أكل الطيبات ومجر الازواج في الفراش، مبالغة في حيام النهار وقيام الليل، ويقول الواحد منهم « إن لجسدك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا » الخ ولا محل لبسط ذاك هنا وقد نقل لنا المحدثون والمؤرخون عنهن من فضائل الزهد والبر والصدقات والابتار على النفس بعد رسول الله ﷺ إذ أقبلت الدنيا على المسلمين وأهجز الله لهم ما وعدهم به من الفنى والملك ما ثبت لكل عالم بذلك أن تعددهن كان خيرا وصلاحا للامة، وإعلاء لشأن المرأة فيها، إذ كن أفضل سيرة من جميع نساء الانبياء والمرسلين، بل لا يكاد يفضاهن من نساء الائم إلا مريم ابنة عمران، ومن هذه الامة غير قاطبة بنت محمد عليها السلام، وصلى الله على محمد وأهل بيته وعلى رسل الله أجمعين

التسري وملك اليمين والمخادنة

٤٥

(تمهيد في الرق واصلاح الاسلام فيه)

هذه المسألة مما يجب علينا بيان الاصلاح الاسلامي والهدي المحمدي فيها بما هو مصلحة للنساء وعناية بالجنس الطيف ، وهي تعد من فروع تعدد الزوجات في أحد الاعتبارين ومن فروع الاسترقاق في الاعتبار الآخر ، وكل منهما كان شائناً في الشعوب والقبائل الهدجية وفي أمم الحضارة والممل السبوية ، وما في الاصلاح الاسلامي من ضرورات الاجتماع البشري التي تقدر بقدرها. أما الرق فقد مهد الاسلام السبل للقضاء عليه من غير تكليف الامم التي اعادته وصار منوطاً بمساخا ومصالحها أن تبطله مرة واحدة، فتحل مصالحها فتصفي أمرها ، وما كان الاسلام دولة عسكرية تقهر الناس على شرعها بالقوة ، وإنما أخذ الناس من طرق الاقتاع والوازع القضي ، والله يقول لئيبه في كتابه (ان عليك الا البلاغ * فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر * وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)

وهذا التمهيد له طريقان (أحدهما) سد ذريعة الاسترقاق بحصره في سبب واحد وهو أن يرى إمام المسلمين المصلحة العامة تقضي باسترقاق الأسرى والسبايا في قتال الكفار الشرعي كحماية دعوة الاسلام وداره (وطن للمسلمين) من الاعتداء عليهما ، وترجيح ذلك على مصلحة المن عليهم بالعتق لظهور فضل الاسلام ومماخته وعلى مصلحة فداء أنفسهم أو فداء أسرى المسلمين وسباياهم عند الاعداء بهم عملا بقوله تعالى (حتى إذا أخصتموم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)

وإنما تكون مصلحة الاسترقاق أرجح من هاتين المصلحتين في حالات قليلة نادرة لا ندوم كأن يكون المحاربون للمسلمين قوما قليلي العدد (كعقبائل البدو) يقتل رجالهم كلهم أو جلهم فإذا ترك النساء والاطفال لا تقسم لا يكون لهم قدرة

٥١٦ مآشرعه الاسلام لتححر الارقاء. الرقيق الأبيض في عصرنا للنار: ج ٣٧٧

على الاستقلال في حياتهم فيكون الخير لهم أن يكفلهم النابليون ويقوموا بشؤونهم
الماشية (١) ثم يجري عليهم أحكام الطريقة الثانية في تحريرهم
(الطريقة الثانية) مآشرعه لتحرير الرقيق من الترغيب في الاجر وجعله كفارة
لكثير من الذنوب، وتوسيع أبواب ما يبتغ به العبد، حتى قال مصباح الانسانية الرؤف
الرحيم « من لطم بملوكة أو ضربه فكفارة أن يتقه » زواه أحد ومسل وأبو داود
عن ابن عمر (رض) وقد بينا هذا بالتفصيل في المار ولا عمل لهنا، فان موضوع رسالتنا
مصالحة الجنس اللطيف في الشرع الاسلامي والاصلاح المحمدي ومنها مسألة التسري
فلنا ان مسألة التسري من فروع مسألة تعدد الزوجات، وقد بينا من قبل
أن أكثر شعوب البشر قد جرت على هذا التمدد بصور مختلفة، وان سببه القديم الاعظم
فيها هو الرق، ثم اختلفت صفاته وتعددت أسماؤه، فالمشهور الان أن أهل أوربة
هم الذين توالطوا بدعوة الدولة الانكليزية على إبطال الرق من العالم كما أنهم هم الذين
يتشددون في تحريم تعدد الزوجات ولكننا بينا أيضاً أن أهل أوربة هم أشد شعوب
الحضارة المليئة استباحة للسفاح واتخاذ الاخذان، وانهم هم الذين أفسدوا على أهل البلاد
الشرقية التي تقلد في خصارتهم غفتم وصياتهم، وتكفلوا حماية البنايا والقوادين
والقوادات في بلادهم، اذا كانوا من رعاياهم، وناهيك بخزي الرقيق الأبيض

٤٦

(مقدمة ثانية في التسري والمخادنة عند الافرنج والرقيق الأبيض)

ان نخاسة الرقيق الأبيض التي تصدر أوربة بضاعتها إلى كل قطر توجد فيه
روة تهبذ المال في شهوة السفاح، لا شد خزيا للانسانية واقساداً لها وامتناناً لشرها
وجناية على النساء من نخاسة الرقيق الاسود التي يجبرها من يحتفظون البنات
والولدان من زنوج أفريقية، فان أكثر هؤلاء يباعون ليكونوا خدما في بيوت
الاغنياء وأقل الاثام منهم يستمتع بهن فان كان متابعون من المسلمين الذين يشنون

(١) قد ثبت أن الارقاء الذين حررم الانكلز في السودان المصري لم يقدروا
على الاستقلال بالمعيشة ولم تقدر الحكومة على كفائهم فعادوا الى سادتهم كما
كانوا الا أن الحكومة تمنعهم من بيعهم. وكذلك جرى في أمريكا عند تحرير رقبها

ان هذا رق جائز ورزقن اولادا فمن يكون اولادهم اولادا شرعيين لا بائهم، ويكن من بذلك أمهات حرائر بعد وفاتهم

وأما هذا الرقيق الأبيض فهو سوق للآلاف للؤلؤة من البنات الحسان من المراهقات والمصرات والبائعات كالانعام ونقلن من بلد إلى بلد ومن قطر إلى قطر لأجل التجارة بأعراضهن بالسفاح والخادنة التي تفسد الزوجة الشرعية على أهلها، وتنتشر ميكروبات الامراض التناسلية في أجسام المبتائين بها، وتقل سمومها الدنوية في الاخلاق والارواح، شرأ عما تفعل ميكروباتها في الابدان، وقد تفاقم بمدحرب المدينة العامة شرها، وتضاعف ووزرها، وهالك ما كتبه بعض علماء الحقوق في تاريخ التمري وحاله في أوربة في القرن الماضي

جاء في كتاب المقارنات والمقابلات نقلا عن الاصل الفرنسي منه ما نصه ١٥١ « ويكاد التمري وانحاذ الجوارى والاخذان يكون عام الوجود في جميع بلاد الدنيا حتى في البلاد المحلل فيها تعدد الزوجات وهو مستعمل في أفريقيا وامريكا وأوربة بكيفيات مختلفة » الخ ثم قال

(١٥٢) « وقد كان التمري معروفا عند قدماء اليونان بطريقة تقرب من تعدد الزوجات لان الاولاد المرزوقين من التمري كانوا ياملون معاملة المرزوقين من التكاح المشروع . وفي زمن من الازمان وجد عندم نوع آخر من التمري خلاف الاول كانت الجارية فيه عبارة عن رقيقة يتخذها الرجل لتضع خارج بيته ولا علاقة شرعية ولا قانونية بينه وبينها

(١٥٣) « وأما التمري عند قدماء الرومان فكان مشروطا في قوانينهم وقرب كثير آمن التكاح الصحيح لانه كان يمتد الرجل من الزوج بغير الخدن التي يستنفرها فهو في الحقيقة شكل من أشكال التكاح المحرم فيها تعدد الزوجات وكان الاولاد المرزوقون منه ينسبون لآبيهم ولكنهم ياملون معاملة أمهم، أي لا يرثون من آبيهم كالمزوقين من التكاح المشروع. وكان يطلق عليهم أسم (أولاد طيبين) ليجيزم عن الاولاد الشرعيين . ومعنى الطيبين هنا المرزوقون من

النكاح المباح طبعاً لا شرعاً. وقد كان حالهم كثير الغيبه بحال الاولاد المرزوقين من التسري في زمنا هذا، لان واضح أحكام الشرع الفرنسي نقل عن شرع الرومان معظم أحكام التسري

(١٥٤) وقد نسخ هذا التسري الروماني بحكم العمرانية ولكن الاوروبيين لا يزالون يتخذون الاخذان، ولم يقيموا شرعهم الديني في تحريم تعدد الزوجات كما يتبعه عربان قبائل المغرب شرعهم الديني ويتسكون بأحكام النكاح وتحريم الزنا. فان هؤلاء الاقوام يقتلون المرأة التي تلد من الزنا ويدمون ولها ثم يبحثون عن الزاني بها ويحاكمونه، أما الاوروبيون فلا يماقبون على التسري واتخاذ الاخذان، وينضون الطرف عنه ولو أنه غير جائز شرعاً، والسبب في انتشار التسري في أوروبا كثرة الاجراءات الواجبة الاستيفاء لفقد الزواج المشروع وقيود وتكليفات أخرى سبق ذكرها وأكثر ما يكون التسري في أوروبا بين أرباب الصنائع من الذكور والانات وبين أرباب الاموال من الرجال وأسافل نساء المدن وحكم التسري عندنا عدم تهديد الطرفين بأي رابطة بحيث يجوز لكل منهما الانفصال في أي وقت شاء وعدم تكليف الرجل بأي حق للمرأة سواء أآنت بولده أولم تلد. أما الاولاد المرزوقون منه فغالهم أدنى من حال الاولاد المرزوقين من النكاح الصحيح وكانوا قبل بضع سنين مجردين عن كل حق على آباءهم، وقد كثرت عندهم في باريس كثرة عظيمة جداً من كثرة انتشار التسري، إذ يقال أن عشر أهلها يعيشون في تسري أي بدون زواج مشروع. ويقال ان العدد أعظم من ذلك في بعض جهات ألمانيا مثل بلاد « ساكس » و« هانوا » و« سلبورخ »

(١٥٥) وقد يرى الباحثون في أمور المباحث وأحوال الناس أن تحريم التسري في أوروبا جاء مضراً بالنساء والاولاد المرزوقين من التسري، وقولهم هذا قاصر على النظر في الامر من هذه الوجهة يقطع النظر عن مخالفته للدين « اهـ » هذا ما كتبه الاساذ موسيو جان ديفيلي في القرن الماضي وان حال بلاد الافرنج كلها في هذا القرن لتسري مما كانت عليه قبله في تجارة الاعراض وكثرة سبائ

الرقب الايض ولكن فرسة جسات اولاد الزنا بالاخذان كالاولاد الشرعيين في اثبات النسب والارث كما رأينا في بعض الصحف

كل ما اثبتته هذا الكاتب المؤرخ القانوني عن التسري وما في مناه في الشعوب الاوروبية وغيرها فهو من أنفع الجرائم والامانة للنساء وإلقاء هذا الجنس الطيف الضعيف في مواخير الفحش والفساد، ويؤر الادواء والامراض . أفهذه هي الشعوب التي حررت النساء ؟ أم هذا هو القرن العشرون الذي كرمت مدنيته النساء ؟ كلا إن نساء الافرنج ما أخذن حقا من حقوقهن للمضومة إلا بقوة السلم وقوة الإرادة وقوة الاجتياح التي اكتسبتها بتأثير التربية والتعليم العام كأن الشعوب الاوربية ما نالت حقوقها السياسية من ملوكها ونبلائها إلا بالقوة القاهرة . وستضطرم خوة النساء واستقلاهن إلى ماهو شر لم ولن كالبلشفية ، أو ماهو أضر ، وأدهى وأمر ، من فوضى الحياة الزوجية وانهار بناء الأسرة ، وقلة النسل المنفي إلى الاقراض إلا أن يقد الله هذه الحضارة بهداية الاسلام

الاسلام هو الذي قرر جميع الحقوق الانسانية وخص النساء بالعطف والشكر فقال نبيه « ما أكرم النساء إلا كرم وما أهانن إلا لثم » على حين لم تكن الشعوب ترصفهن فوق الحيوانية ، إلا إلى الرق والعبودية ، واني أدين بكلمة مختصرة حكم الاصلاح الاسلامي الحمدي لهذا المرض الاجتياحي البشري

٤٧

التسري الصحيح في الاسلام

كل ما كانت عليه الامم القديمة وكل ما عليه الامم الحاضرة من التسري واتخاذ الاخذان فهو في شرع الاسلام من الزنا المحرم قطعاً الذي يستحق قاعه أشد العقاب وكل من يستسيح هذا الفجور الحقى وما هو شر منه من السفاح الجلي فهو بري من دين الاسلام وأما التسري الشرعي المباح في الاسلام فهو خاص بسبب الحرب الشرعية إذا أمر إمام المسلمين الاعظم خليفة الرسول «ص» باسترقاقهن وإنما يكون له أن يأمر

بذلك إذا ثبت عنده بمشاوره أهل الحل والعقد أن المصلحة فيه أوجه من المنع عليهم بالتق ومن اقتداء أسرى المسلمين وسباياهم بن إن وجد عند الأعداء سبابة وأسرى منا ، فليس الاسترقاق واجباً في الاسلام ولكنه يباح إذا كان فيه المصلحة التي لا يمارضها مفسدة راجعة ، ولكل حكومة إسلامية أن تمنعه بل تمنعه من مفاصل الاسلام العامة ، والاسترقاق المهود في هذا المصير للسود والبيض كله باطل في الاسلام قال تسري بالتسار اللاتي يختطفهن التخاسون ، أو يبيعن الآباء والاقربون ، أو يهرين التجار والتوادون ، كله عصيان لله ولرسوله

تلك الطريقة الشرعية لوجود السبايا في بلاد المسلمين ، وهل يرتاب ما قل مادل في أن الخبر لمن إن وجد أن تسرى بن المؤمنون فيكن في الغالب أمهات أولاد شرعيين كسائر الأمهات الحرائر ؟ قال الجارية التي تملك سيدها تعتق بموته اذ لا يصح ولا يجوز في الشرع أن تكون مملوكة لولدها بمقتضى ارثه لوالده ، وفي بعض الآثار أنه يحرم بيعها منذ ولادتها ، ولكن لا يجب لها أحكام الزوجة المعروفة يد أنه قد تكون أحظى عند الرجل بأدبها وقلة تكاليفها وعدم تحكها كالزوجة التي تدل بحقوقها الشرعية والاعتزاز بأهلها

هذا هو المهود في السرايري في الاسلام وأقل أحوالهن أن يكن كالأزواج في حصاتهن وشرهن وضمان رزقهن وحفظ كرامتهن ، فن وصايا مصلح البشر ونبي الإنسانية في الرقيق أن يمر عن الذكر بالقنن لا بالمعد وعن الانثى بالقناة لا بالامة وهو في الصحيحين . وقال (ص) « هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكفوا ما يغلبهم فإن كفتموهم فأعينهم عليه » وهذا متفق عليه من حديث أبي ذر . وفي حديث أبي هريرة عند الجماعة كلهم ما يقتضي استحباب جلوس الخادم مع سيده على الطعام وقال أنس كانت عامة وصية رسول الله (ص) حين حضرته الوفاة وهو يفر بنفسه « الصلاة وما ملكت أيمانكم » رواه الامام أحمد وأصحاب السنن إلا الترمذي

بل مضت سنة المصلح الاعظم العملية في السبايا أن يمتن ويتزوج بن معتوه كأمفل (ص) « بتق صفة الاسرائيلية وتحرير جويرية العربية وتزوجه بها وجعلها

من أمهات المؤمنين ليستن به غيره وتقدم ذكر ذلك في أسباب تزوجه بها
وحث على ذلك ورغب فيه بقوله « أيما رجل كانت غده وليدة وفي رواية -
جارية فطماها فحسن تعليمها وأدبها فحسن تأديبها ثم أعطاها وتزوجها فله أجران »
والحديث متفق عليه (*) وتقدم ذكره في تعليم النساء

نم إنه (ص) قد تسرى بمارية القبطية وهي من رقب أهل الكتاب لأنه أقر
أهل الكتاب على أنكحهم ورفقهم وقد اتخذ التسري بها ذريعة للوصية بأهل مصر
إذ قنع ببلادهم لاحتجابه وعلل ذلك بأن لهم « ذمة وزحاً » ولوماش إبراهيم ولما
منها لكانت أمه بهيدة لنساء هذه الامة

والحكمة العامة المقصودة من التسري في الاسلام هي حكمة الزوجية نفسها، وحق
النساء فيها أن يكون لكل امرأة كافل من الرجال لاحصائها من الفحش، وجعلها أمة
تنصح وترى نسلًا للانسانية - إلا ما يشذ من ذلك بأحكام الضرورة

فاية أمل النساء والرجال من جميع الامم والممل هذا الاصلاح الاسلامي
والهدي الحمدي في تكريم المرأة وحفظ شرفها حتى التي ابتليت بالرق هل يجدون
مثل هذا في دين من الاديان أو قانون من القوانين ؟ وهل يمكن أن يوجد في بلد
تقام به شريعة الاسلام مواخير للفجور وانحجار بأعراض الجنس اللطيف الضعيف ؟
أرأيت أيها المحيط خبيراً بتاريخ الامويين في الاندلس والباسيين في الشرق
لو وجد الان بلدي الذي يتعش فيه السراي كما كن يمشن في بغداد وقرطبة وغرناطة
ألا تهاجر اليه ألوف الايامى والبنات من أوروبا ليكن سراي عند أمثال أولئك
المسلمين إن صح عندهم استرقاقهن ؟ فكيف لا يتسمن أن يكن أزواجاً لهم مع التمرد ؟ ألا
يفضل هذه البشة على ما تعلمه من عيشة ، واخير البقاء الجهرية والسرية ومن عيشة
الاخذان الموقفة السيئة العاقبة على الجسم بعد ذهاب الشرف وجميع مزايا البشر ؟ دع
الانحجار بهم وسوقهم من قطر إلى آخر كقطمان الخنازير والنم

(*) بل رواه الجماعة كلهم بزيادة وأبو داود باختصار . وفي رواية لاجد واذا
أعق الرجل امته ثم تزوجها بمهر جديد كان له أجران ، والمراد بالمر الجديد ان
لا يجعل عقها مهرًا لها بل بمهرها كالحرائر

هذا واما قبل طبع هذه الكرامة قرأنا في بعض الصحف أنه صدر حكم قضائي نهائي في باريس بأنه يجوز للرجل أن يوصي بما شاء من تركته لمعشوقته التي يستريح معها ويوجد من عنايتها ما لا يجد من زوجته الشرعية، والشر يعقب الشر.

ألا نأمل التصاريح في أحكام الرق في الاسلام والرق في التوراة والانجيل. وحيث يوقن الماقل المستقل الفكر منهم أن ما جاء به الاسلام أعديل وأفضل وأكمل فهو إما وحي مكمّل لما قبله وإما إن رأي محمد (ص) أعلى وأكمل من وحيهم ١١

هاهي ذي شريعة التوراة تبيح للبراني أن يستعبد أخاه العبراني ويسترقه بثلاثة أسباب «أحدها» الفقر فكان يبيع نفسه لبوقي ديناً (١) ثانياً السرقة فهو يسترق جزءاً من سرقة إذا لم يجد مالا يمسح به المروق (٢) ثالثاً يبيع الوالدين لبنائهم ممن يقررون بهم (٣) وأما استعباد العبراني للأجنبي فقد كان يكون بالاسر في الحرب وبالاتباع من الخصايس كما كان عند الوثنيين وليس فيها ما في الاسلام من أحكام الرقيق وحقوقه والوصايا فيه وقد ذكرنا بعضها هنا.

وهاهي ذي الديانة المسيحية لم تنسخ شيئاً من أحكام هذا الرق والعبودية المشددة التي في العهد القديم بل فيها أن المسيح عليه السلام قد أوصى العبيد في مواضع شتى بطاعة ساداتهم ولم يأمر السادة بعتقهم ولا أوصاهم بالرفق بهم بمثل ما فعل أخوه محمد عليها السلام وتعليل ذلك عندنا أن شريعة موسى خاصة بشعب لسبي أريد تفضيله على أئم الوثنية لظهور التوحيد وهي موقنة كما يقول التصاريح منا - وأما الإصلاح المسيحي فيها فهو موقت بتقدم ما سمح به ذلك الزمن - وإن هذه المسألة من جملة الاشياء الكثيرة التي قال المسيح عليه السلام أنه لا يستطيع أن يقولها لهم لأنه لم يسميها في هذه البارقليط (روح الحق) (٤) الذي يقول لهم كل شيء (راجع انجيل يوحنا) (لها بقية)

١١ راجع سفر اللاويين (٢٥ : ٣٩) (٢) راجع سفر الخروج (٢٢ : ١ - ٤).

(٣) سفر الخروج (٢١ : ٧ و ٨)

(٤) هو محمد خاتم النبيين إذ لم يصدق هذا الوصف علي غيره ﷺ

الشعر التاريخي

أوصفي

(تاريخ الدعوة إلى الاسلام ، في حياة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام)

نظمت بمناسبة احتفال الامة الاسلامية بمولده الشريف

(بقلم الشاعر الاديب (اليوزباشي) محمد توفيق افندي علي المزارع بالواسطي)

افتاح وتمهيد - دعوته القبايل لتوحيد - اخطاله أذى المشركين - تكذيب
تقيف لدعوته - رجاء الناطم في شفاعته - إعلان الضغاء برساته وتضيق المشركين
لم - هجرة المؤمنين إلى الحبشة أي احتياؤهم بمعتدلي التصاري من اضطهاد المشركين
إيمان الحزرج وبهمة العقبة الصغرى - يمة العقبة الكبرى والهجرة إلى يثرب -
مؤاخاة الرسول بين أهبابه وشه السرايا - غزوة بدر الكبرى - غزوة أحد -
واستشهاد أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب - غزوة الخندق ومكيدة نعيم بن
مسعود الغطفاني .. مثال من معجزات الرسالة - فتح مكة ومثال من تسامح الرسول
غزوة حنين ومثال من شجاعة الرسول وثباته - تغلب الدعوة في الارض ودخول
الناس في دين الله أفواجا

(افتتاح وتمهيد)

طيف سرى فشقى صبياً من السقم سرى الموم وجلى حالك الظلم
متهم النطق من حسن ومن عجب مكل النور من علم ومن حكم
أرؤو إليه فتصبني مناظره فأخض الطرف خوف الفتنة المم
في موقف بجلال الحسن متشيع بالطهر مؤثر بالصدق متمم
حتى إذا سكنت نفسي مموت له أرى الجمال وأخشى زلة القدم

(١) العينة الشامة - ولو قال : اجلالا لنا النظم - لكان أليق

تبارك الله كم في الحسن من بدع وفي الملاحه من سر ومن عظم
 لا أكذب الوصف، بدر التم يشقه والنس رأد ١ الضحى من أطوع الخيم
 وأين للبدر منه سحر مكنعل وأين للشمس منه دُر مبسم
 يا لين راحته، لا الزهر ملبسها ولا الدمقس ٢ ولا ماشئت من نعم
 قبلتها وشذاه الروض ينفعني وفوه يُسمني من أعذب النعم
 يدلي إلي بسر من محبتنا قدس الصحيفة في حرز عن التهم

يا لآثمي أن دمي في هواه جرى أقصر قدمي قليل في الهوى ودي
 دمي وشعري مما من منبع جريا في الحب منسجم في لآثر منسجم
 لولا الجمال ولولا ما يطالعني من البدائع لم أعشق ولم أيم
 تدعو المحاسن من باد ومستتر له المحبين من باك ومبسم
 لو جنة الخلد لي من وجهه عرضت لا أشتريها بما في القلب من صرم
 لو أن صبنا ينير النصح واعية لم قلني عن نذير الشيب في صم

يا ويح نفسي قد كلفتها شطاما شرح الشباب ولم أخشع لدى الحرم
 وشاب قودي وظلّت في طفولتها ترعى وترنع في مستوبل وخم
 توبي لربك واخشي هول غضبته وطاقي سنة (المختار) واعتصمي

وقدني عملا ترضي عواقبه وأجلي الصبر في الطاعات واعتزني
هل نال رتبته الهادي وسؤدده إلا بإدمانه صبرا على الألم ؟
وبالمواجر بطوبىها على ظلم وبالداجر (١) يحبسها على ورم
دعوته القبائل للتوحيد واحتماله أذى المشركين هـ

لم يثنه قومه يشتد غيظهم في إثره بالأذى في الحل والحرم
أن يلبس الدعوة الشماء رهبتها بين القبائل لم يجزع ولم يخيم (٢)
ماضاه أن (كندآ) ربه كندت و (عامرآ) عمّرت دهرآ مع النعم
وأن (كلبا) على أربابها كلبت (ودوس) كالقوس لما بعد تستقم
مازار (مكة) ذو فضل ولا شرف إلا دعاه فلم يهدأ ولم ينم
حاذا لقيت — فذاك الناس كلهم من (الشياطين) محدوم (أبو الحكم) (٣)
من زمعة (٤) وأبي (٥) والوليد (٦) ومن حرث (٧) ونضر (٨) وعاص (٩) باري النسم
ونوفل (١٠) لم يجيء يوما بنافلة ولا بفرض ولم يركع ولم يصم
والاسودين (١١) من استسقى فأت من دعا الرسول عليه بالعمى فعمي

(١) الظلمات (٢) خام عن الامر عجز عنه بعد ما م به (٣) أي شياطين الانس
عن مشركي مكة . وأبو الحكم هو أبو جهل بن هشام (٤) ابن الاسود (٥) ابن خنف
(٦) ابن المغيرة (٧) ابن الطلائع بن عمرو (٨) ابن الحرث (٩) ابن وائل
(١٠) ابن خويلد (١١) الاسودان هما اللذان دعا الرسول عليهما فهلك منهما
بالامتناء ابن عبد بنوث والذي عمي ابن المطلب — وكل أولئك من شياطين
خريش الذين كانوا يؤذون الرسول في هذه الدعوة

﴿ تكذيب ثقيف لدعوتِهِ ﴾

وَأَسْفَتْكَ «ثَقِيف» إِذْ تُدْبِتُ لَهَا تَدْعُو لِرَبِّكَ فِي سَهْلٍ وَفِي عِلْمٍ
أَغْرَا وَابْخِرِ الْوَرَى عِبَادَهُمْ سَفَهَا وَجَهْلَ صِدْيَانِهِمْ إِفْرَاهَ مَتَقِيمٍ
حَتَّى إِلَى حَائِطِ أُلْجَتْ مَنَحَرَفَا مِنْ وَجْهَةِ السَّيْلِ، سَيْلِ الْمَخْنَةِ الْعَرِمِ
جَلَسْتَ لِلَّهِ تَدْمُوهُ وَتَذْكُرُهُ بِأَوْثَرٍ مِنْ نَثَارِ الشَّهْبِ لَا الْكَلَمِ
تَشْكُو لِمَوْلَاكَ ضَعْفًا فِي قَوَاكِ وَمَا كُنْتَ الضَّعِيفَ إِذَا لَا قَاكَ أَلْفَ كَمِي
لَكِنْ عَلَى الْحِلْمِ تَهْدِي وَالسَّامِحِ وَفِي مَحْبُوحَةِ الرِّفْقِ كَالرَّاعِي مَعَ النَّمْرِ
مَا كَانَ يُلْقِيكَ الْمَوْلَى لَتَدْعُوهُ إِلَّا لِيَنْثُرَ أَغْلَى الدَّرْ خَيْرُ فَمِ
كَمْ فِي دَعَائِكَ مِنْ ظَرْفٍ وَمِنْ أَدَبٍ وَفِي بَيَانِكَ مِنْ نُورٍ وَمِنْ حِكْمٍ (١)
وَفِي الْخَائِلِ مِنْ نُبُلٍ وَمِنْ شَرَفٍ وَفِي الشَّمَائِلِ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ كَرَمٍ
اللَّهُ وَالْإِلَهِ بِالنَّعْمَى وَقَرَّبِهِ وَزَانَهُ بِكَمَالِ الْخَلْقِ وَالشَّيْءِ

﴿ رجاء الناظم لشفاعته ﷺ ﴾

وَقِفْ «عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ تَشْفَعُ لِي أَنْ كُنْتُ جَارِكَ فَاشْفَعْ سَيِّدَ الْأَمَمِ
وَقَدْ عَقَدْتُ جَوَارِي أَنْفِي وَجِلَّ أُمِّلْتُ جَاهُكَ دُونَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
إِذْ الْقِيَامَةُ يَوْمَ أَنْتَ فَارِسُهُ وَأَنْتَ فِي سَاحَتِهِ صَاحِبُ الْعِلْمِ

(١) كَانَ دَعَاؤُهُ يَوْمَئِذٍ «اللَّهُمَّ أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى
النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَغْفِرِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّمِي؟ إِلَى
بَعِيدٍ يَتَجَمَّعُنِي أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي وَلَكِنْ
حَافِيَتُكَ هِيَ أَوْسَمُ لِي، أَهْوَذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظَّالِمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ صَخَطُكَ، يَا اللَّهُ إِنِّي حَقٌّ لِرُضَاكَ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»

آليت ألقاك عند الخوض مبتهما أن كنت جاري وأوفى الناس بالذم
 كم في جوارك من أمن ومن سعة وفي فؤادك من عطف ومن رُحم
 وفي جنابك من عز ومن شرف وفي رحابك من أهل ومن نعم
 وفي جبينك من شمس ومن قر وفي يمينك من بحر ومن ذم
 كم فيك من حسب، كم فيك من نسب كم فيك من نجدة، كم فيك من همم
 ﴿إيمان الضعفاء برسالة ﷺ وتمذيب المشركين لهم﴾

وآمن الضعفاء المتقون به من كل مستبصر بالخير منهم
 جمال في بغضة الاوثان كل أذى ماضٍ على شريعة التوحيد منهم
 وعائد الأقوياء الحق واتجر السطفيان يقذف كالبركان بالحُمم (١)
 لله در أبي بكر (٢) ونجدة (٣) إذ الوالي (٣) بشر غير منحصر
 يذبون على الاسلام من سنة ويُفتنون عن التوحيد من لم
 فكان يتساءهم عطفًا ويعتقمهم هيبات يقبل فيهم ظلم محكم
 والبذل في نصره الاسلام شيمته والصدق والرفق في بدء ومختتم
 ﴿هجرة المؤمنين الى الحبشة - أي احتاؤهم بمعدلي النصارى من اضطهاد المشركين﴾
 وهاجر الحنفاء المهتدون الى ملك النجاشي فلم يُختر (٤) ولم يُضم
 لله (أصمّة) (٥) في الخير من مالك أسدى الهدي نعمة مرعية الحرم

(١) ما يقذفه البركان من مواد سائلة (٢) الصديق أعتق ست رقاب من موالى
 المشركين غير بلال بن رباح (٣) السيد (٤) خفرو عناه وأجاره ووفى بهده
 وأخفزه ضد ذلك أي أسلمه وتقض عهده (٥) ابن حجر وتفسيره «عطية»
 اسم نجاشي ذلك العهد

٥٢٨ هجرة المؤمنين الى الحبشة وإيمان الخزرج وتبعمهم له ﷺ النار: ج ٣٧

حى من الجبل والطغيان وإفدتنا ورد كيد العدو الناقم الخضم
في الركب بذت رسول الله يصحبها عثمان في شبح الامواج والأشج
هل زار (أنثوريا) من قبلها ملك حالي الذوامل بأهى مضرب الخبيم
لمو خدره طالع الأحباش شارقه لكان يبيض منهم حالك الأدم

ما أبجل الشرك ، يرمينا بشرته ري الضيف ، ويرى الله بالرحم
لا نسأم البني والمدوان يتبعنا حيث ارتحلنا ، فما في الله من سأم
لمل فتحنا الى الإوطان يرجفنا فان حالاً على الايام لم تدُم
ماذا بماول عمرو (١) أرسلوه لنا ؟ يردنا للأذى والبني والنقم !!
أهدى النجاشي فلم يقبل هديته وقال : لا أرثني في الله من نهم
فعد لقومك يا ابن (العاص) مكثياً فان جار النجاشي أي محترم

﴿ إيمان الخزرج وبيعة العقبة الصغرى ﴾

وقد أتى الخزرج الداعي فأسمها وحي يكاد يرد الروح في الرمم
وكان قبل يهود " يذكرون لم إظلال عهد رسول صادق عليم (٢)
فآمنوا واثبتوا يهدون قومهم باكين فوق رجال الايتق الرثم
وأبنع الوحي في الانصار فانبعث وفودهم في طلاب الحق من أتم
ختمت البيعة للصغرى لطاعته في الخير والشر يغلي غلي عتدم
وكان بينهم خلف فآلفهم نور من الله كم أوصى على الرحم

٢٦ ابن العاص قنهم مصر وذلك قبل إسلامه ٢٧ كانت يهود جيراناً للخزرج في البلاد
فإذا كان بينهم شيء قالت يهود وهم أهل كتاب وعلم : انه سيظهر رسول قد أظلم زمانه
تصدق به وتقتلكم معه فلما ظهر آمن الخزرج وكذبت يهود

وجمع الجميع الانصار يرشدكم من (مصعب بن عمير) خير ما تزم
 لله مدرسة في يثرب ففتح يديرها فضل ذاك المقريء الفهم
 كذلك ساس رسول الله أمته بالحلم والسلم والقرآن والقلم
 ﴿بيعة العقبة الكبرى والهجرة الى يثرب﴾

وأوفت البيعة الكبرى لنصرته في الحرب من ظالم باغ ومنقسم
 وذاع أمر رسول الله والتأمت مجامع الشرك فيه أي ملتأم
 يمارضون إمام المرسلين وهل يمارض الوحي إلا كل منهم ؟
 فكان « حاتم » يتلوها فتجرفهم كالسيل طبق من مستشرق الأكم

وأرسل الله جبريلا بهجرتنا ليثرب، فزهت حسنا على لزم
 في كل يوم يوافيها ويقصدها ركب " لتوحيد رب العالمين نبي
 المؤمنون ، وجلت تلك مرتبة وقسمه شملت تيباً على القسم
 حتى تكامل وفد الحق واستلمت جماعة الله ركنا غير منهم
 فهاجر المصطفى الهادي وصاحبه (١) وأمر ربك مقدور من القدم
 قمت الهجرة المظلى التي حطمت ظهر الضلال وما أبت على منم
 ﴿مؤاخاته بين أصحابه وبث السرايا - غزوة بدر الكبرى﴾

آخي نبي الهدى بين الصحابة في رفق فاضوا ليفيها غير منقسم
 وأصبحوا قوة تحشى بوادرها لو أذنت جبنلا بالحرب لم يقم
 مهاجرون وأنصار قد ارتبطوا في ربهم برباط غير منقسم
 بث السرايا (٢) على الاعداء يرههم من كل مستبسل بالنفع ملتئم

(١) أبو بكر الصديق (رض) (٢) السرية لثمة القطعة من الجند، سميت بذلك من الدرى
 وهو السير لئلا يندر بها الاعداء، واصطلاحاً الغزوة التي يخرج النبي ﷺ فيها

يا يوم بدر جزاك الله صالحة طلعت للآتي (١) بالويلات والمتم
ولاح جبريل في نصر الرسول على خيل الملائكة قد عصت على الحج
رمى النبي بحصاة فشردهم في اليد منهزما في ثر منهزم
إلا أسارى وصرعى من حماهم مل القلب (٢) ونحت النوار لا الرج (٣)
أبلى ملي (٤) وأغنى حمزة (٥) وبدا عشق الشهادة فينا غير منكم
سل عتبة (٦) وأبا جهل (٧) وقلها آلات أمضى ظبي في كل مختصم
أم أجمت لقتال المصطفى فقه أو سار جيش عليه الطير لم يحم
نعي عن المثلة (٨) الهادي وحذرنا ولو أراد بها الفجار لم يلم
أوصى بأسرى المدى خيراً أصحابه إن القوي كريم العدو ذو الشم
غزوة أحد واستشهاد أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب

كيف الشهادة لا تحاو وفي أحد وجه الشفيق بأيدي الظالمين رمي
وظل في الروع يرمي في محروبه مفرقا جمعهم في كل مزدحم
فر الاعادي وقد ريت نساؤهم فهنده مدعورة تبدي عن الخدم (١٠)
وخالف ابن جبير (١١) في الرماهedy أمر النبي لهم حين القتال حمي
رأوا قطوف المدى في الروع دانية فضيغ الثمر منهم كل مقتنم
فكان أن حطموها اختلا وأن ندسوا مخالف الرسل لا يخلو من الندم

١ ضم (٢) البز مطلقا أو السادية أي القديمة (٣) أحجار تقام على القبور لتدل
عليها (٤) ابن أبي طالب (٥) ابن عبد المطلب (٦) ابن ربيعة (٧) ابن هشام (٨) ثوبه
القتلى تشفياً (٩) بنت عتبة وأم معاوية قبل إسلامها قتل أبوها في بدر فكانت بالعممة
في أحد تعرض على المسلمين التماساً للثأر وحيداً (١٠) الخلل (١١) عبدالله بن جبير
كان أمره الرسول على الرماة في أحد ونهاهم أن يبرحوا موقفهم فخالفوه عند
ما انكسر المشركون فانكشف ظهور المسلمين فكر عليهم المشركون فأمنوا فيهم قتلا

أبو دجانة (١) أعطى السيف قيمته ضرباً يجبل عن التقدير والقيم
أخفى علي وأبلى حمزة ومضت لله لبدة ليث المسلة القرم
أف لحربة وحشي (٢) لقد تركت في جانب البأس جرحاً غير ملثم
يا (حمز) للحرب يذكيها بمنصلت في كفه كشهاب الرجم مضطرم
لا يهني الشوك كأس أنت شاربها في الله ممسولة تشفي من السم
يا حمزة قرت قلوب كنت مرجفها من طائر حين تلقاه وعترم
ماذا فعلت ببدر إذ تمزقهم ففادتهم طعم العقبان والرخم
وكم فرست من الإبطال في أحد يا ليت دين المهدي في كل مصطدم
ماضر سيف رسول الله (ألمته في النوم) والعزم غضب غير منظم
أبقى لنا الله فيه نجدة هدمت ركني أبي (٣) وطلوداً شاخ القم
(غزوة الخندق ومكيدة نعيم بن مسعود الطفاني ومثال من معجزات الرسالة)

ويوم خندق لا قلت عزائه فأصبح النيل يمي كل مقتحم
حشوا المطايا وقادوا الجرد واحتشدوا حول المدينة في بأس وفي هم (٤)
قريش حالفها غطفان شامها يهود من ناقض حلفها ومرأطهم
جاءوا ليستأصلوا الهادي ويثريه بكل منصلت يهوي على اللهم
فيها الرسول وجبريل وربهما يبيت من شاء أو يحجي من البدم
فأرسل الله ريحاً في مسكرهم رمت عرضهم بالي والبكم
تذري الوقود وتكفي من قدورهم خوفاً عليهم من الطغيان والبشم

(١) سماك بن خرشة أعطاه الرسول سيفاً في أحد بحقه وحقه أن يقال به حتى ينفخي

(٢) قال حمزة وهو غلام جبير بن مطعم (٣) ابن خلف قتله الرسول بيده في أحد إذ أراد

قتله ولم يقتل (ص) بيده غيره راحة بالناس (٤) جمع بهمة بالضم وهو الشجاع

وجاءنا مؤمنا منهم وما علموا شهم تقرد بالاخلاص في الخدم
هذا نعم بن مسعود قيلته غطفان يُربي على غطفان كلم
يقول هل خدمة أرضي الجهاديها أن كنت عند الاعادي غير متم؟
قال الرسول له ثبط عزائهم إن استطعت وشرّد خادما بهم
فبزق الجيش تمزقا بجيائته كأنما كان جيشازار في حلم (١)
وأصبح الجو خلوا من خيامهم إذ قوضت عن حساب جد منخوم
كانت يهود له ذبحا رجالهم بصارم العدل إلا غير محتم
وقد أفيوا على الهادي وعترته وصحبه طعمة من أطيب الطعم

﴿فتح مكة ومثال من تسامح الرسول ﷺ﴾

يا فتح مكة أوست الضلال لظي والرشد بردا بجاري نصرك الشيم (٢)
يد الاله من التوحيد قادرة رمت بسهم قلوب الشرك منتظم
خانت قريش صهود المصطفى فمضى في الخيل كالبحر بالملاذي (٣) ملتطم
منّت كتيبتة الخضراء (٤) ظافرة على المدى فأضافهم الى الحشم
سماح الطلقاء (٥) المصطفى كرما ومن من الخلق أولى منه بالكرم؟

(١) كانت خديجة أن ذهب الى مصكر يهود فقال لهم انكم إذا غلب محمد النضر
حلفاؤكم الى بلادهم البعيدة وتركوكم في وجه محمد ولا طاقة لكم به وال رأي أن
تطلبوا من أشراف حلفائكم رهان حتى لا يتركوكم إن كانت الدائرة عليكم وذهب الى
حلفائهم فقال ان يهود كاتبوا محمدا أنهم ندموا على مشايعة أعدائه وسيقدمون
له رجلا من أشراف حلفائهم يقتلهم ثم يكونون معه عليهم فقبل منهم — فتفرقت كلمة
أعداء الرسول والمشرروا الى بلادهم (٢) أي البارء (٣) السلاح (٤) سميت خضره
لكثرة سلاحها (٥) أي المتقى وذلك أنهم صاروا عبيدا وسبايا بحق الفتح فأعتقهم

﴿ غزوة حنين ومثال من شجاعة الرسول وثباته ﴾

وفي حنين وإن راعت مواكبهم فانها لقمة تهدي للقيم
جاءت هوازن تردى (١) في أعنتها لنزو مكة في سعد وفي جشم
لم تغن كثرتنا شيئا وقد طلوعوا بالسهرية والهندية الخدم (٢)
ولت جحظا إلا الرسول مضى للنصر يهدر في درع من العصم
يصيح في الجيش إذ ولوا يشجعهم أنا النبي ، إلى عهدي ، إلى القسم
أنا محمد يا أنصار أين إذا عني القرار ؟ وبأخيل المدى انحطمي
حتى تشجع من أصحابه مثا صفا بجالد — قال الآن فاستقم
الآن يحمي الوطيس ، الآن نزمهم في الله نتركهم لحما على وضهم
وقد تشتت شمل الشرك واغتنمت نساؤهم والذراري أي متهم
من الرسول عليهم في حريمهم وفي بنينهم ، وكانوا نهب منقسم
ووزع التي ، تأليف التأوب على قسطاس (٣) بدل رضا الله مرتسم
﴿ تغفل الدعوة في الأرض ودخول الناس في دين الله أفواجا ﴾

شامت ثقيف ضياء الحق فابتدرت نهج السداد وألقت راحة السلم
وحرم الله حج المشركين بما طغوا ، وما ألقوا من كيد مجرم
وأوذنوا بتسال يستحر إلى أن يُشربوا الله فردا كاشف النعم
وجاء يوم تبوك يوم منخورة فالجزية الروم أعطوها على رغم (٤)

(١) تردى كترى من ردي الخيل وردائها وهو ضرب من مشيا (٢) الخدم
بضمين جمع خدم وهو كالخدم (ككتف) من السيوف السريم القطع (٣) الميزان
(٤) الرغم بالفتح الكره والقهر وقتحت الدين لضرورة الشعر

وقام في الارض دين الله معتليا ولو أقيم بنير الله لم يتم
سمت اليه وفود العرب طائفة من ساكني وير أوساكني أطم (١)
يا لحث سعد بن بكر، بالهدى سعدوا ملوك حير من كهل ومن هرم
بنو حنيفة، طيء، الأزد، قد قنوا بالله فردا بالقرآن من حكم
وتم نخر تميم عند ما هديت وآض مجد جذام غير منجذم
زيد، كندة، عبد القيس، مذحج، همدان، ضراد، نجوا من نار منتقم
(وطامر) عمرت في الله أفئدة كانت خرابا — وكم من وافد — وكم
كل لقد عاتق الاسلام والتزموا يا حسن ممتق، يا طيب ملتزم

الدعوة انتشرت في الارض وانبشت الى الممالك والاقطار من إضم
الى عمان، لسان، الى يمن، للفرس، للروم، للبحرين، للهم
الى النجاشي الى ملك الشام الى داني وقاص من الاصقاع والتخيم

هذي رسالة خير الخلق باهرة كنزة الصبيع تجلو خمة النسم
يكفي المكابر والفرقان في يده مفصل يفريد الدر والنوم (٢)
بحار علم من الامية اتعجرت وعبقريه آداب عن اليتيم

توفيق

ترجمة القرآن

﴿ وكون العربية لغة الاسلام ، ورابطة الاخوة والسلام ﴾ (*)

٢

بيننا في المقدمة الاجمالية لهذا البحث عشر مسائل أساسية لا مجال للمراء والجدل فيها يعلم منها جملة ما أصاب فيه الكاتبون الكثيرون في مسألة الترجمة وما أخطأوا ، ولكن ذلك الاجمال لا يغني عن البيان والتفصيل الذي تقوم به الحجج على الصواب ، وتدحض الشبهات التي لبست على المحطئين الحق بالباطل وهو ما أعقده الفصول الآتية ، مبتدئا بإياها بما اعلم من سبب إثارة هذا البحث وحقيقة الامر فيه

(غرض حكومة الترك الجمهورية اللادينية من ترجمة القرآن وكتابته بالحروف اللاتينية)

﴿ وما قيل في حظ الشعب التركي من هذه البدعة ﴾

لقد كان عمل الترك الذي اعلنوا تنفيذه في شهر رمضان ، هو الذي فتح باب البحث في ترجمة القرآن ، وكان أول ما كتب فيه لمخطئهم بصحج الاسلام ، والدفاع عنهم وتصويب عملهم بحجة التجديد وتطور الزمان ، الذي خلاصته ان الشعب التركي قد ارتقى في مدارج المدنية الاوربية ارتقاء ما عاد يليق به اتباع الشريعة الاسلامية العربية ، ولا الكتابة بحروفها ، وان الفرض الديني من القرآن معانيه لا عبارته وألفاظه ، ولا نظمه وإعجازه ، وانه معها تكن الحال فلا يليق بالشعب التركي الراقي أن يترك لنته لاجل القرآن ، ولا أن يحافظ على الكتابة العربية لاجل الحافة نلة على القرآن المنزل باللسان العربي ، ومثل هذه الحجج الدأخضة لا يقول بها أحد يؤمن برسالة محمد ﷺ وبكتاب الله المنزل عليه ، وإنما يقول بها من يفضل عليها سياسة الحكومة التركية الحاضرة التي أحدثت هذا الامر ، ومن عجب

(*) كتبنا هذه للفتالة في العام للماضي ثم رأينا أن نجعل الموضوع مقدمة وهي

حاشرنا في الجزء الثالث الذي صدر في شهر ذي القعدة منه

ان كان فارس ميدانها كاتب كان قد اشتهر بالدفاع عن الاسلام والتنويه بمزاياه ، ثم تذبذب فيه ثم صرح بنصر التجديد الاوربي وتفضيله عليه

فعلت هذه الحكومة فعلتها هذه متبعة باسماء رئيسها « سياسة المراحل » التي كان اولها إلغاء الخلافة السياسية فالغاء الخلافة الروحية التي استبدلوا بها ، غذف مادة « دين الدولة التركية الاسلام » من القانون الاسامي ، وإبطال المحاكم الشرعية والمدارس الدينية الاسلامية والاقواق ، فالغاء اللغة العربية وكتبتها الدينية والعلمية ، فالغاء حروفها ، ثم وصلوا اخيرا إلى مرحلة القرآن ، وما أدراك ما القرآن ، هو كلام الله المنزل المتعبد بلفظه العربي وتلاوته ، كالتعبد بقائده وأحكامه ، هو كلام الله الذي يمتد كل مسلم أن تغيير شيء منه أو تبديله كفر يخلد فاعله في جهنم ، فإذا يفعلون ؟

(تبديل الحكومة التركية القرآن لغة وكتابة وأنصارها بمصر)

ان الحكومة العسكرية التي قهرت الشعب على الخضوع لها في قطع تلك المراحل كلها وقمع كل مقاومة بدرت منه بحكم الارهاب والتنكيل لا تنهاب قطع هذه المرحلة وهي العقبة الكؤود : أسرت وترجمة حرفية جديدة لقرآن على أن تسمى قرآنا تبعد بهمن يختار أن يبقى مسلما من الترك بشرط أن يكتب بالحروف اللاتينية كغيره من كتب الدولة وشعبها ، وبدأت باعلان ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان (٢٧ منه) فلقن قارىء حسن الصوت آيات منه فقرأها في جامع (أياصوفيا) المشهور ووضعت بجانبه آله (الرادير) الناقلة للصوت الموزعة له فنقلتها إلى مواضع وبلاذ كثيرة إن هذا الحينث عظيم ، وأنه لخطب في الاسلام خطير ، وان كربه على المسلمين لكبير ، وقد توقفتاه قبل وقوعه بوضع سنتين ، فصرحنا به وديننا مقاصده في المنار وفي تفسيره من خمسة عشر وجها ، فهو لم يكن عندنا شيئا جديدا ، وكنا نرجو من هذا الشعب العريق في الاسلام أن يوقظ هذا الاعتداء على دينه شعوره النائم ، ويحيي ما أماته الجمل وإله البدع وتزغات الاتحاد المادية من عزه نفسه ، ونرى أنه سيصير إلى أن تتيج له الفرص نحو هذه البدع الاتحادية والرجوع بالاسلام إلى أصله ، وقد جاءتنا الانباء من مصادر كثيرة مؤيدة لرأينا هذا

نقلت لما الصحف خبر تنفيذ هذه البدعة الجديدة فلم نجد في إنكارها قولاً غير الذي قلناه ونشرناه من قبل ، ولكن ذكرها أحد اخواننا المسلمين في مقال له بالعرض مستنكراً لها ، ولم يستنكر فيه ما عرفه من التراجم قبلها ، فحرك من أنصار هذه الحكومة بمصر ما كان ساكناً ، وهاج من شيعتها ما كان كامناً ، فسدت إلى طعنه اسنة الاقلام ، مقدسة لهذه الحكومة ومنزعة لها عن الملام ، بأنها جاءت بالمعجزات . وفاقّت جميع البشر في التجديد الذي تقتضيه حال الزمان ، والقضاء على ذلك البالي القديم من دين الاسلام ... واتما هو دين الله العام الباقي الى آخر الزمان

ومن التجديد الذي يليق « بالقرن العشرين » عندم أن ترك الشريعة الاسلامية ، وينقل القرآن الى اللغة التركية ، ويكتب بالحروف الافرنجية ، لانها أنضبط وأفضل من حروف العررية التي وصفها نصيرهم في مصر بالوثنية ، وزعم أن الغرض من ترجمته فهم الترك له واحتداؤهم به ، واستفادتهم من عقائده وقواعده ومواعظه وأحكامه ، وأن من الجبل والمبث تكليفهم التعبد بكلام لا يفهمونه ، فن فضائل حكومة الترك اللادينية الجديدة انها جددت الاسلام لاهله من شعبها ، بما جعله أو ضل عنه جميع المسلمين من قبلها ، من عهد رسول الله ﷺ الى هذا القرن الرابع عشر للاسلام ، والعشرين للمسيح عليه السلام ، فهو من معجزاتها ومنها على رعيها الاسلامية

وربما كان هذا الذي فعلته هذه الحكومة اجدر بوصفها بالمعجزات (بالمعنى القوي) من الانتصار على اليونان واخراجهم من عقردار الترك ، فن هذا على حسنه وجمدنا له في وقته ، دون انتصار الحكومة الحديدية بقيادة آدم باشا على اليونان في بلاد اليونان نفسه ، ودون انتصار فرنسة والولايات المتحدة في أمريكا على المتغلبين على بلادهم ، ودون انتصار صلاح الدين الابوي وغيره على الدول الصليبية كلها ، وإخراجها من البلاد المقدسة وغيرها ، وما وصف شيء من ذلك بالمعجزات . واما هذا الانقلاب الديني الجديد فقد عجزت عن مثله كل دولة تولت السياسة والحكم في الشعوب الاسلامية ، ولكن فعل اكبر منه بطرس الاكبر ثم البلشفك في روسية . دافع النكر الاول لهذه الفعلة عن نفسه ، وكتب للقال في اثر المقال في تأييد

رأيه ، وانتصر له آخرون ، وحني ومليس الجدال بين الفريقين ، وكثر اعتراض كل كاتب على مناظره حتى فيما هو خارج عن موضوع المناظرة من مسائل تاريخية أو كلامية ، حتى طرق بعضهم باب البحث في كلام الله تعالى الذي هو صفة ذاتية له ، وكتبه النزلة على رسله باللسنة أقوامهم ، وفي هذه للباحث من الفلسفة القديمة والنظريات الغريبة من المتكلمين ما كان من مصائب المسلمين في عصر رواج تلك الفلسفة . ورجع بعض المدافعين عن الحكومة التركية الى كتب الفقه لعلهم يجدون في آرائها الشاذة ما ينصبونه حجة على جمل القرآن العربي المنزل خاصة بالعرب ، وجواز ايجاد قرآن تركي للترك ، وقرآن فارسي للفرس ، وقرآن هندي للهند ، وقرآن صيني للصينيين الخ فوجدوا فيها رأيا لابي حنيفة في جواز الترجمة ولكن نقل فقهاء مذهبه انه رجع عنه ، وأن المتمدن في المذهب رأي اصعبا به في حكم من يصح عن أداء ما فرض الله عليه في الصلاة من قرآن بالنطق به كما أنزله الله عزيا غير ذي عوج ، وهو أنه يترجم له بلسانه ، وهي ضرورة تقدر بقدرها فلا تباح لغير العاجز عن النطق مادام عاجزاً ، وسواء أصبح هذا الرأي أم لم يصح فرأي المجتهد ليس حجة في الاسلام على غيره ، ولكنه هو يمد به ، وكذا من قلده فيه . لفتته به ، وسواء أصبح دليله ام لا فهو لا يتضمن جواز ترجمة القرآن كله بلغة غير لغته يستغنى بها عن المنزل من عند الله تعالى . فهذا مما اجمع المسلمون كلهم على عدم جوازه ، وعلى أن من فعله متعمداً فهو زنديق مارق من الاسلام .

ووجدوا في بعض كتب الحنفية من الاحتجاج لابي حنيفة في جواز الترجمة ان سلمان الفارسي رضي الله عنه ترجم سورة الفاتحة لمن طلبها من قومه ، فأجاز له النبي ﷺ . ولم يرو هذا عنه أحد من حفاظ الحديث في الصباح ولا في السنن ولا في المسانيد المعروفة ، والفرس لم يقتشفهم الاسلام في عصر النبي ﷺ وهذه علة في متن الحديث زائدة على كونه لا يعرف له سند محتج به ، ومن اليهود في بعض كتب الفقه ولا سيما كتب الحنفية ذكر بعض الاحاديث الضعيفة وكذا الموضوعات ، ونقل النووي لهذا القول في كتابه المجموع في فقه الخلاف لا يمد دليلا على انه روي بسند صحيح . ولا سقيم كما توهمه بعضهم ، وهو لم يقل هذا والحكم مخالف لمذهبه ، على أن النووي

ليس من حفاظ الحديث الذين عنوا بروايته وتدوينه ، وإنما هو قبيح عالم بالحديث يرجع في نقله والحكم عليه الى مخرجه من أصحاب دولوين السنة ويقل غلطه فيما يستمد منه من تحقيقهم

﴿اقوى الشبهات للقائلين بترجمة القرآن﴾

يبد أن الشبهة النظرية التي قبلها كثير من الناس الذين ليس لهم هوى في تأييد الحكومة التركية من عصبيية جنسية ، ولا نعمة إلحادية ، هي أن الاسلام دين عام خاطب الله تعالى به جميع البشر المختلfi اللغات ، ومن غير المعقول ولا الممكن (عندهم) أن يكلف الله تعالى كل أمة وكل شعب أعجمي أن يتروك لغته وبشلم العربية لاجل أن يمثل ما أمره به من الاهتداء بكتابه وتدبره والاعتناظ به وامثال ما فيه من الاوامر والنواهي ، وإنما المعقول الممكن (بزعمهم) أن يترجم القرآن لكل قوم بلغتهم لاجل تبليغهم الدعوة الى الايمان به أولاً ، ثم تعليم من آمن منهم ما أوجبه وما حرمة الله عليهم فيه ، وتنفيذ الايمان بتدبره والتسبد بتلاوته

ومن لا يتكر منهم أن تكليف الشعوب توحيد لغة دينها ممكن ، ولا انه وقع بالفعل يقول ان شعوب الاعاجم لم يمثلوه بل حافظوا على لغاتهم ، وحرروا من هداية القرآن نفسه اكتفاء باحكام الاسلام التي دونها لم علماءهم بلغاتهم ، فالخير لم أن يترجم لم القرآن فيستفيدوا من اخباره وحكمه وأحكامه ومواعظه ، وإن خلت الترجمة من تأثير بلاغته ، وروعة أسلوبه ونظمه ، وما تدل عليه عبارته العربية من إعجازها ، على أنه لم يعد أحد يفهم هنا منه بزعمهم !

هذه هي المسألة الوحيدة التي راجت شبهتها في حقوق القائلين بجواز الترجمة أو وجوبها ، ولم تر أحدًا اقتنع بما حاول خصومهم دحضها به ، وقد التجأ بعضهم الى علماء الازهر ففسروا رأيهم ولكن لم يوجد في كلام أحد منهم ما يشفي الغليل ، وقيم الحجة على ان الاسلام جعل العربية لغة المسلمين كافة ولوجها عليهم وقد كثر علي المقترحوين بأن أكتب في المسألة ما يحق الحق ويطل الباطل ، بما يزيج الشبهة ويكشف الغمة ، كما تعودوه مني في أمثال هذه المشكلة ، فكنت أحيلهم

على ما كتبته من قبل في النار وفي الجزء التاسع من تفسير القرآن الحكيم، وقد جمع وطبع في رسالة مستقلة يسهل على غير مقتني مجلدات النار والتفسير مراجعتها. بيد انني رأيت بعضهم يقول انه لا بد من كتابة مقال جديد في المسألة فاستجبت لهم. انني لا أجادل ولا أماري أحداً من أولئك السكانيين، ولا أتوخى الرد على قول من أقوالهم بالمناقشة في لفظه، وانما أحرى بيان الحق الذي ينطبق على الواقع، فأبدأ بكلمة مختص بحفظ الشعب التركي من هذه الترجمة، ثم أبين كيف كان تبليغ الرسول ﷺ للقرآن ودعوته الى الاسلام، وكيف كانت سيرة خلفائه الراشدين ودول الاسلام وأئمة في نشر هذا الدين، وكيف اهتدى به العرب والعجم، وكيف يدعو النصراني الى دينهم أيضاً، وهل تتوقف دعوة الاسلام على ترجمة القرآن أو دعوة النصرانية على ترجمة كتب العهد القديم والعهد الجديد عند النصراني؟ ثم أبين معنى كون اللغة العربية هي لغة الاسلام التي لا يتم بدونها كون المسلمين من الشعوب المختلفة أمة واحدة كافر والقرآن، وكون افرادها اخوة في الدين كأوصيهم. القرآن، وأقيم الحجة على إمكان هذا وقوعه بالفعل، وعلى كونه من أعظم أركان الإصلاح البشري الذي كان به الاسلام دين السلام، والتوحيد الانساني العام. الذي هو العلاج التريافي لادواء المداوة والبغضاء بين البشر التي شكمتها الحكماء الاولون؛ ويشكو منها الحكماء الحاضرون

حفظ الترك من هذه الترجمة

ان الاهتداء بالقرآن منه ما هو فرض عين على كل مسلم من ذكر واثني كالقدر الذي لا تصح العبادة بدونه، وما هو واجب أو مندوب (على ما بين الفقهاء من الخلاف في مفهوم الفرض والواجب) في الصلاة لاجل كمالها، وفي غير الصلاة من تدبره لتنفيذ الايمان والعبادة والموعظة بما فيه من الترغيب والترهيب ومنه ما هو فرض كفاية كالمسلم بما فيه من أصول الايمان، وقواعد الاسلام. وأنواع الاحكام، في العبادات والمعاملات والحظروالاباحة، والآيات البيّنات على تلك الاصول والقواعد ولا سيما إعجاز القرآن

ومنها ماهو من الفضائل والآداب ، التي هي مزيد كما في الدين
فأما القسم الاول قتلما يوجد مسلم تركي يجهله ، فالترك شعب مسلم يعلمون
أولادهم متى دخلوا في سن التمييز فاتحة القرآن وبعض السور القصيرة بالعربية ، وكذا
سائر أذكار الصلاة ويعلمونهم الطهارة الشرعية ويعودونهم الصلاة ، كما يفعل
غيرهم من الشعوب الاسلامية عربها وعجمها ، كما يعلمونهم معاني هذه التلاوة والاذكار
في الصلاة ، والذين يقصرون في تعليمهم معانيها من جهة عوام القرى والجلال
لتسره او تمذره قد يسهل عليهم هذا التعليم في المكاتب والمدارس التي تعنى
حكومتهم بتعليمها لنشر لغتها وآدابها ودينها اذا ظلت اسلامية ، ويمكن أيضا
ان يستفيدوها من الوعاظ والمرشدين الطوافين اذا لم تمنعهم الحكومة اللادينية
من ذلك ، فاذا منعهم كان منها أظهر يرهان على تمدها اخراجهم من الاسلام
ولعله لا يكاد يوجد فيهم أحد يعجز عن النطق بالفاتحة والسورة الصغيرة
بالعربية يأتي في حقه ما ذكره فقهاء الخنفية من القول بالصلاة بترجمتها وسقوط
وجوبها مدة المعجز ، كما يسقط القيام في الصلاة عن العاجز عنه ما دام عاجزاً ، وانما
يوجد هذا المعجز عادة في الكبار الذين يدخلون في الاسلام وقد ملكت المعجمة
عليهم ألسنتهم ، وكان هذا يكثر في القرون الاولى التي يدخل فيها الكبار في الاسلام
أفواجاً ، وهو قليل في هذا الزمان ولا سيما عند الترك التاجين للحكومة الجمهورية ،
على أن كثرتهم وقتهم سواء في سهولة تعليمهم ما ذكر

وأما اخوانهم في تركستان الصينية وهم الترك الخالص - فكل التعليم عندهم
باللغة العربية وانما التركية هناك لسان العامة لا لسان القراءة والكتابة

وليعلم القارئ العربي في مصر وغيرها ان للسلم التركي - وكذا الهندي
والفارسي والافغاني وغيرهم - يجد من الخشوع ولذة وجدان الايمان في قلبه كلما
قرأ أو سمع شيئاً من القرآن المنزل مالا يجد مثله أكثر العوام من مسلمي العرب ، وان
لم يفهم شيئاً مما قرأ أو سمع ، وانما شيب هذا الخشوع والوجدان ما يستولي على قلبه
من تصوره سماع كلام الله المنزل على أفضل النبيين وخاتمهم صلوات الله وسلامه
عليه وعلى آله ، فثله كمثل من يسمع نشيداً موسيقياً لوطنه وهو من رجال الوطنية أو

تشيد ملكه وهو من معظمي الملكية وهو لا يفهم معنى هذا النشيد وإنما يعظمه ويهتز له قلبه بقدر الباعث من حب الوطن أو الملك وتعظيمه (والذين آمنوا أشد حبا لله) ولا نفني بهذا أنه ينبغي أن يستغنى به عن فهم المعنى الخاص لكلام الله وذكره ولكننا لا نستبعد أن يكون فهم المعنى المجمل الوجيز من عبارة تركية رسمية أقل تأثيرا في قلبه مما يجده من شعور الايمان عند تصويره الاجمالي أنه يقرأ أو يسمع كلام الله تعالى تبدا كما أمره الله ووعد بالاجر والثواب في دارالآب، فجعل له بكل حرف عشر حسنات

ومما ينقص الترجمة ولا سيما التركية انها لا يتأتى بها الترتيل والتجويد بالصوت الحسن الذي نعهده بالقراءة العربية ، فان من حكم هذا النظم البديع ، والفواصل التي هي مرتبة فوق مرتبتي الشعر والتسجيع ، ان يرتل بها القرآن بانواع النغم الذي يملك العقل والوجدان ، وقد كانت تلاوة النبي ﷺ له اقوى الاسباب لقبول الايمان ، واللغة التركية غير مستعدة لمثل هذه النغاث حتى انه ليس فيها من المد مثل ما في العربية

ومن المعلوم عندنا بالبداعة ان هذه الحكومة اللادينية لا تقصد بمنع قراءة القرآن بالعربية ثم منع كتابة ترجمته بالعربية ان يفهم المصلون من شعبها ما يقرؤنه في الصلاة او غيرها

وأما التسبب بقراءة ترجمة القرآن لاجل تنفيذ الايمان ، والاعتبار والاتناظ بما فيه من الهدى والفرقان ، فقد علم بما قلناه أنه لا يحصل بالترجمة الحرفية التي أوجبوها ، وإنما يرجى حصول شيء منه بالترجمة للمعنوية التفسيرية التي ينعونها ، وان لديهم ترجمة منها لخصها بعض علمائهم من تفسير مطول بالتركية وافقت عليه واستحسنته اللجنة الخاصة التي كانت مؤلفة من هيئة تدقيق المؤلفات من قبل مشيخة الاسلام التي ألفتها الحكومة الحاضرة ومن وزارة المعارف

هذه الترجمة طبعتها ونشرتها المكتبة المروقة في الاستانة باسم (سهولت كتيبخانهمي) سنة ١٩٢٧ لصاحبها سميع لطفي افندي ، وكتب في طرتها مايلي :

قرآن كريم ترجمه سي

تور كچه مصحف شريف

« ملنا مشيخت ومعارف نظارتي تدقيق مؤلفات هيئتاري طرفندن متشكل قومسيون مخصوصجه تدقيق وتقدير اولنان مفصل تفسيردن ملخص در »

وكتب في رأس كل ورقة منه « تور كچه قرآن كريم » وهذا خطأ عظيم ونظن ان هذه الترجمة أقرب الى الصحة من سائر الترجمات التركية الحرفية التي بينا بعض اغلاطها في النار وفي الجزء التاسع من تفسيرنا وجمع في رسالة مخصوصة وطبع وحده. ولكني لا أشهد بصحتها كلها ولا أكثرها لانني لا افهم التركية، وبما رأيت فيها من الخطأ تفسير الحروف المفردة في أوائل بعض السور كآلم والر وطس وحـم - بما فسرهما به بعض المفسرين من كونها مقتطعة من أسماء الله المبدوءة بها

ومن مزايا هذه الترجمة ان مترجمها وضع لها حواشي كثيرة لايضاح ماخفي من معانيها لتوقف فهمه على معرفة سبب النزول أو بيان المجمل أو غير ذلك مما يستحيل أن يفهم المراد منه بالترجمة الحرفية، ووضع في أثنائها جملاً تفسيرية بين أهلة للايضاح أيضاً

فلو كانت الحكومة التركية تريد تسهيل فهم معاني القرآن على رعيته المسلمة لاكتفت بهذه الترجمة لمن يكتفي بالاجمال، وأباحت نشر ذلك التفسير التركي لمريد التفصيل. ولكنها لم تفعل

ومن المعلوم لنا باليقين ان تأثير القرآن المنزل في تغذية الايمان، وتركيزه نفس الانسان، وخشوعه لعظمة الدين، واتماظه بما فيه من الهدى والفرقان، وقصص الرسل عليهم الصلاة والسلام، مما لا يمكن الوصول الى معشاره بقراءة أي ترجمة له بأبي لسان، وضيأتك شرح هذا وأدلتها بوضع بيان

وأما الاعتقاد على هذه الترجمة التركية الرسمية المقترحة - ولما تم في معرفة عقائد الاسلام وقواعده واستنباط الاحكام الشرعية منه فهو أبعد عن التصور والتصديق مما قبله، فان الاستنباط الصحيح من القرآن لا يكون الا من نصوصه المنزلة من عند الله تعالى من طبع بلغته مفرداتها وأساليبها، وما فيه من مجمل ومبين، ومطلق ومقيد،

وحقيقة ومجاز وكناية ، وأسباب نزول لا يفهم المراد بدونها ، وبيان السنة لما أمر الله تعالى رسوله ببيانه منها ، وكتب السنة كلها ممنوعة بلفتها العربية وباللغة التركية أيضا - الى غير ذلك مما سنفصله بعد في تحقيق الكلام في الترجمة

وناهلك بترجمة تركية واللغة التركية اضيق اللغات المدونة المعروفة في مادتها الاصلية فان أكثر مصادرها عربي وفارسي ، وهم يستعملون العربي منها كثيرا في غير ما يستعمله العرب ، وقد حاولوا من زهاء ربع قرن أن يستبدلوا بالالفاظ العربية فيها ألفاظا أخرى غير مألوقة ، ثم ان كتابتهم للعربي وغيره بالحروف اللاتينية يضع على أهلها العلم باصله الذي يجب الرجوع اليه في تحقيق المعاني ، بل ثبت ان كتابتهم للتركية بالحروف اللاتينية قد أضعفتها ووقفت حركة انتشار العلوم والفنون فيها ، فحاشى ان يكونوا قد استعادوه من ضباط الالفاظ في النطق ، قد خسروا اضعافه بسوء الفهم وضعف انتشار العلم

وجملة القول أنه ليس للترك فائدة كبيرة يستفيدونها من هذه الترجمة الحرفية للقرآن وكتابتها بالحروف اللاتينية تجاه القوائل والمفاسد التي فيها ، وقد بيناها بالتفصيل في رسالتنا المطبوعة وسنزيدها بيانا في هذا البحث

فهذا ما يتعلق بعمل الحكومة التركية الذي اثار الجدل في المسألة. وجملة القول فيه انها أرادت بالترجمة التركية أن يستغني بها شعبها عن القرآن العربي المنزل من كل وجه ، لا بمادة عن معرفة حقيقة الدين الاسلامي الذي لا يمكن العلم به من القرآن وحده بدون بيان الرسول ﷺ له . وبليه تحقيق الموضوع في نفسه من كل وجهه ، وودحض كل شبهة تعترض دونه

هذا وان ما ذكرناه في هذه المسألة ليس هو مقاصد هذا البحث الالهامية ، فان ارتاب فيه أحد القارئین او اعترض عليه فلا يمتني ان ارد عليه واتصدى لاقناعه ، وانما المقصود عندي بالذات فهو اثبات الحق في توحيد الاسلام للمسلمين في عقائده وآدابه وعباداته وسياسته واحكامه ولتته ليكونوا امة واحدة كل شعب وكل فرد منها كالعضو من بدن الشخص ، وبالله التوفيق

أنا والاديب الشنقيطي

طالمت مقال الاستاذ الاديب (محمد الامين الشنقيطي) الذي رده على مقالتي المنشور في الجزء الخامس من مجلة (الرابطة القراء) تحت عنوان (الوهابيون والتوسل) أو (التوسل والاستاذ البيطار) ويلخص هذا الرد بما جاء في طليعته من قوله : « لم يكن قصدي في هذا المقال إلا اثبات ما أنكره الاستاذ من أن رجال مذهبه الوهابي لم يكفروا بالمشركون » .

أقول : أما المشركون فهم بما أشركوا في غنى عن التكفير لأن الشرك كفر وزيادة ، بل هو شر أنواع الكفر على الإطلاق قال تعالى (إن الله لا يفرأ بشرك به ويفتر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال عز وجل (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) وقال سبحانه (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات إيتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ، ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال عز من قائل : (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلي الكبير) وقال سبحانه (وإذا ذكر الله وحده أشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) فإن قيل إن هذه الآيات قد نزلت في المشركون الاولين ، أوجب بأن هذا حق ، ولكن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما يقول علماء الأصول (١) فيتناول عمومها كل من انصف

(١) المنار : إن هذه الآيات وأمثالها لا يقال فيها إنها نزلت في سبب خاص وإنما تصدق على أمثال من نزلت فيهم بما تدل عليه صيغ العموم فيها ، كما لا يقال مثل ذلك في آيات التوحيد والبعث والامر بالاعمال الصالحة من العبادات والفضائل والنهي عن المعاصي فإن كل أولئك عام لجميع المسكتين من كان منهم في عصر التبليغ والحمد في ومن بعدهم لأنه أصول الدين الكلية وإنما يقال ذلك في مثل امتحان المؤمنين لها جرات وآيات الظهار

بوصفهم ، وتلبس بشرهم والعاذ بالله تعالى ، ومناطق الحكم فيها هو دعاء غير الله
بما لا يدعى به إلا الله ، فهي تم كل من شمله عومها ، وتناولها حكمها ، من المشركين
الأوليين والآخريين إلى يوم الدين

أما إذا كان التلطف الواقع في كلام الاخ الأمين مطبوعاً ، وكان أصل المراد
أن رجال المذهب الروابي يكفرون للسلمين فهذا غلط عليهم ، وحاشا لله أن يكفروا
مسلماً موحداً ، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله

وأما استدلاله بحديث الاعشى الذي هو أقوى ما في هذا الباب ، فقد تقدم
في كلام الاستاذ الدجوي ، وأجبنا عنه بأنه على فرض صحته قد دل أوله وآخره
على أنه توسل إلى الله تعالى بصلاته ، وبما علمه إياه الرسول ﷺ من الدعاء ، ثم
بدعاء النبي ﷺ له ، وهو العمدة في ذلك ، وقول الاستاذ الشنيطي في تعليل
رجحان التوسل بالذات على الدعاء الصادر منه ﷺ : « لان الضرير جاء طالباً
الدعاء فعدل عن الدعاء وأصره بهذا التوسل » غير مسلم ، لانا نقول ان هذا التوسل
نفسه من الدعاء ، ولا أدري من أين فهم أن الرسول ﷺ لم يدع له ، مع أن الله
تعالى قبل شفاعته النبي فيه ودعائه له ، فرد عليه بصره ، وكان ذلك معجزة للنبي
صلوات الله عليه مصدقة لرسالاته ، مؤيدة لدعوته ، كسائر معجزات الرسل ،
وكانت خاصة بذلك الاعشى الذي دعاه ، دون عبد الله بن أم مكتوم مثلاً وقد
كان مؤذنه ﷺ وأشد لصوقاً به من ذلك الاعشى ، لكنه لم يدع له ولم يسأله
هو ذلك بل صبر كأمره ، بل دون سائر عميان الصحابة رضوان الله عليهم لأنه
ﷺ لم يدع لهم ، بل دون سائر العميان في كل زمان ومكان ، ولو كان التوسل فيه
بالذات الطاهرة ، التي لا تنقص حرمتها بعد الانتقال إلى الدار الآخرة ، للزم منه
أن كل أعمى دعا بهذا الدعاء ، وتوسل بسند الأنبياء ، يرتد بصيراً ، واللازم باطل
فاللزم مثله كاه وظاهر ، على أن توسل الاعشى واقعة عينية يثبت الحكم في نظائرها
وأشباهاها في مناطق الحكم ، وقد علمت أن الاعشى طلب في أول الحديث الدعاء فله
النبي ﷺ ما يدعو هو به لنفسه أيضاً ، وأمره أن يقول في دعائه « اللهم فشفني »
فدل ذلك على أن معنى قوله يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي لتفضي حاجتي اللهم

فشغفه في « أي أتوجه بدعائك وشفاعتك ، والفرق بين من دعا لهاني ^{عليه السلام} وشغفه فيه وبين من ليس كذلك كالفرق بين الاعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظلم والحُرور ، والاحياء والاموات ، والذين يعلمون والذين لا يعلمون ثم إنا نأخذ على الاستاذ الشنيطي قوله عن كاتب هذه السطور « رجال مذهب الوهابي » وكنت أرجو أن ينزه قلعه عن الغمز والنبز باللقب ، فان رجال الوهابية لا مذهب لهم في الفروع الا اتباع امام السنة أحمد بن حنبل ، ولا في أصول الدين الا مذهب السلف الصالح ، فهل في هذا أوزاك ما يعاب ؟ وهنا ذكر الاديب الشنيطي بقول القائل

ان كان تابع أحمد متوهباً فأنا للمقر بأنني وهابي
وبما يرضى الى الامام الشافعي رضي الله عنه

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان آني رافضي

وقد زعم الاستاذ الشنيطي أن كتب الشيخين : ابن تيمية وابن عبد الوهاب طامختان بتكفير للتوسلين ، وعجب لي كيف لم أدرسها وأنا بمكة ، ثم رجح آني جنحت الى الانكار بعد الدرس والاطلاع ، وود لو ذهبت في دفاعي إلى سبيل غير الانكار ، وأفصح عن ذلك بقوله [فالانكار مدته قصيرة ، وعلماء الاسلام لا يزالون يغيرون عن الدين كل ما يريد أن يلصق به] ثم ضرب لنا مثلا بقول الشيخ ابن عبد الوهاب : اعلم أن شرك الاولين أخف من شرك أهل زماننا بأسرين (أحدهما) أن الاولين لا يشركون ولا يدعون لللائكة والاولياء والاولئان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين الخ كلامه

وأقول : قد علمت أيها القارئ الكريم مما تقدم من كلامي وتكرره ، ومن قول الشوكاني القبي استشهد به الجبوري « وللتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ، ولم يدع غيره دونه ، ولا دعا غيره معه » ان الكلام منحصر في التوسل الخلفي المشهور بين العلماء ، المحصور في دعاء الله وحده مع التوسل اليه بصالح عباد ، ولكن الشنيطي قد أغفل ذلك كله وتغاضى عنه ، وجاءنا بتوسل آخر لا يعرفه إلا الغلاة والجهال ، وهو دعاء أهل القبور أنفسهم ، والاستنجاد بهم ، وطلب الثوث منهم ،

لا نقاذ الفرق، وشفاء المرضى، ورد التائبين، وإغاثة الملهوفين، وإغاثة المستعنين، وهذا لا يسمى توسلاً بهم، بل هو دعاء لهم وطلب منهم، وهو خارج عن موضوعنا السابق، وليس هو منه في شيء.

والمعجب كل المعجب كيف تمافل الأستاذ الشنقيطي عن كل ما سبق من كلامي وكلام الدجوي والشوكاني وابن القيم وابن تيمية على كثرة تقريره وتكريره، وأغفل ذكره، وأنا أنا بشيء يجري على لسان بعض الجهلة الساكين، أو الغلاة المستجدين، ولا يقول به أحد من علماء المسلمين: ! أهذا هو الذي أراد بمثله الأستاذ الشنقيطي أن يفهمني ويلزمني الحجة، وهو أنه يوجد في كلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب أن المشركين الأولين إذا وقعوا في شدة كفوف الفرق في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن بعض أهل زمان الثاني إذا وقعوا في مثل ذلك دعوا من ألقوا دعوتهم من المخلوقين، وهتفوا بأسمائهم مستجيرين مستعنيين، لينقذوهم من الضيق أو ينجواهم من الفرق! أهذه هي الشواهد التي يقول أن كتب الشيخين طافحة بها، ثم يرميني بانكارها أو الغفلة عنها، ويقول أنه مستعد لأن يورد لي الكثير منها!! وأنا أقول حسبك هذا الشاهد الواحد، وأتشد قول القائل:

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

أيها الأستاذ الأمين: ألم تقرأ قوله تعالى في وصف أهل الجاهلية (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم بشركون) وفي مناه آيات أخرى. وقوله سبحانه فيما قص علينا من أمر فرعون (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر، فأنتهم فرعون وجنوده بقياً وعدوا حتى إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) فيكون أهل الجاهلية وفرعون الذي ادعى الربوبية والالوهية أولى بدعاء الله وحده عند الشدائد ممن يتبجحون بالاسلام والتوحيد!! وبذيهي من عقيدة المسلمين أن جميع المخلوقات لا يملكون لأنفسهم - ولا لغيرهم بالاولى - في الرخاء ولا في الشدة ضرراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكيف تتفق هذه العقيدة المستندة إلى النصوص القطعية المجمع عليها مع دعاء غير الله تعالى في الرخاء وفي الشدة أيضاً??

فان قلت : ان الداعي لم يرد بدعائه إلا الله متوسلا اليه بمن يدعوه وان قلبه منطو على عقيدة صحيحة لو كشف الغطاء لشهدت سمعتها ، وهلا شقت عن قلبه ؟
(فالجواب) ان مافي القلب لا يملئه إلا علام الصوب وان الكلام منحصر في دائرة الاقوال والافعال التي تناقض صحة العقيدة القلبية كل المناقضة ، والشارع ناط الاحكم بالظاهر والله يتولى السرائر . ولا يرد حديث «هلا شقت عن قلبه» إلا على من يدعي معرفة الباطن وانه مناقض أو موافق لظاهره ، وإنما البحث فيما يبدو للحس من قول او عمل مصادم للشرع . وقد انكر النبي ﷺ على أسامة قتل من أتى بكلمة التوحيد ولم ينقضها بقول ولا عمل فادعى أسامة (رض) انه لم يأت بها عن عقيدة قلبية فأنكر ذلك عليه صلوات الله عليه وقال «هلا شقت عن قلبه؟» وأين هذا من ذلك ؟
فان قلت إنا نحمل قوله على المجاز العقلي فالجواب كما قال بعض المحققين من وجوه :
(الاول) ان هذه الالفاظ دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى
(الثاني) لو سلم هذا الحمل لاستحال الارتداد وانسد باب الودة الذي يفتده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها فان السلم للوحد متى صدر منه قول او فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز والاسلام والتوحيد قرينة ذلك المجاز .

(الثالث) أنه يلزم على هذا ان لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يمتقدون أن الله هو الخالق الرازق الضار النافع وان الخير والشر بيده ولكن كانوا يبدون الاصنام وغيرها بالذماء والتذوير لتفريهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده . فالاعتقاد المذكور قرينة على ان المراد بالعبادة ليس معناها الحقيقي بل المراد هو المسمى المجازي أي كالتركيم مثلا - فها هو جوابكم فهو جوابنا »

قال صديقنا العالم السلفي الشهير الشيخ ابو بكر خوير المكي [رح] في كتابه (فصل المقال) ناعيا على من يسمي الطالب من غير الله متوسلا : فيا ليت أو تلك القوم يقولون بكرامة الطالب من الليت فيما لا يقدر عليه بدلا عن تصريحهم ان ذلك توسل وقربة ، وليتهم ينسحون العامة بترك التتالي في ذلك ، وليتهم يكتبون رسائل في تقييح ذلك أو ليتهم يسكتون - إلى ان قال - وكأنهم لا يشعرون إلى الآن بما

حل بالامة من جراء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا
ثم قال (رح) ولو ترك بعض اولئك الرؤساء العناد وتنازلوا قليلا عن القل
التي هم فيه لوجدوا امامهم في كتب الفقه عبارات كثيرة تمنع ذلك :
قال في طوابع الانوار شرح تنوير الانصار مع الدر المختار للشيخ محمد طاب
السندي الحنفي : ولا يقول يا صاحب القبر يا فلان اقض حاجتي او سلها من الله
او كن لي شفيعا عند الله بل يقول يا من لا يشرك في حكمه احدا اقض لي حاجتي هذه
وحيدا كما خلقتني ، وقال في الفتاوى البزازية : من قال ان ارواح المشايخ حاضرة
تعلم يكفر . وقال ابو الوفاء بن عقيل الحنبلي : لما صعبت التكاليف على الجهال
والطغاف عدلوا عن اوضاع الشرع الى اوضاع وضموها لا نفسهم فسبها عليهم اذ لم
يدخلوا بها تحت امر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور
واكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى للحوائج
وكتب الرقاق فيها يا مولاي اقبل بي كذا وكذا او اخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب
على القبور وشدا الرجال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى
وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه (سيف الله على من كذب على
أولياء الله) هذا وانه قد ظهر الآن في بين المسلمين جماعات ، يدعون ان للاولياء
تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبلبات ، وبهم تنكشف
المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات (الى أن قال) وهذا الكلام
فيه تغريظ وافراط . بل فيه الهلاك الابدي ، والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح
الشرك المحقق ، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لمقائد الأئمة وما اجمعت
عليه الامة اهـ

فهل بعد ما سمعت ما قاله بقاء المذاهب في حكم الاستفائة بغير الله في الشدائد
وما صرحوا به من ان فيه روائح الشرك المحقق ومصادرة الكتاب العزيز وأنه
مخالف لمقائد الأئمة وما اجمعت عليه الامة اقول هل يروج عليك بعد ذلك كله
ان هذا كلام الوهابية لا كلام اهل السنة والجماعة ؟

(فان قيل) ان هذا الاسلوب منفر لكثير من الناس وان الدعوة الى الله

يجب ان تكون بالحكمة والموعظة الحسنة قلنا هذا حق ونحن اذا كنا متقين على ان مايجري على حول القبور مما احاصله دعاء غير الله عز وجل هو خطأ وجعل كلنا لابلنا من انكاره والسعي في ازالته واستئصاله ..

وقد قرأت لنا بنة الشام (عن) الامام ابن تيمية قدس الله روحه انه اقرى بعدم كفر من اشرك عن جبل الا اذا تبين له الحق وأصر مستكبرا وقرأت للامام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى انه كان يقول لمن يدعو زيد بن الخطاب من دون الله: الله خير من زيد . وغالوا بذلك بنبلة الجبل على الناس في ازمانهم حتى في بعض امور الدين المعلومة منه بالضرورة فكيف في زماننا الذي تراخى فيه الهدى اكثر فضعف العلم بآثار الرسالة جدا واستولى الجهل على الناس ؟! بقى علينا قول الاستاذ الشنقيطي « فالانكار مدته قصيرة وعلما الاسلام

لايزالون بخير »

فانا الآن اناذي بأعلى صوتي وأجدهاء وأجدهى معه من يحب من العلماء بأن يأتوني بشاهد واحد من كتب ابن تيمية أو أحد السلفين الى عصرنا هذا يؤيد دعواهم انهم يكفرون من يبتهل الى دبه ويدعوه وحده متوسلا اليه بأحد من خلقه وأنا امهله اياما بل أشهراً واعواما ان شاء فان لم يأتوني به فليعلم الاخ الامين اني لم أنطق الا بالحق المبين، ولم أقل ما قلت إلا عن سابق علم وإخبار، واني توخيت بذلك جمع الكلمة وتقريب مسافة الخلف، وازالة الوحشة والجفاء واحلال المودة والرحمة محلها في هذا الوقت المصيب والله هو الموفق والمعين

وقد سألتني الاستاذ الاديب في هذا المقام عن وقائع العراق وشرق الاردن والحجاز، وهو سؤال أقرب إلى السياسة منه الى الدين، على اني أوجز ما أعلمه وأدع ما ليس لي به علم ان وقعة الطائف كانت فاتنة، وسمعت جلالة الملك الامام عبد العزيز يردد قول الرسول ﷺ « اللهم اني أرى اليك بما صنع خالد » (* وقد امر أبده الله بتأليف لجنة بمكة لتتمريض على المنكوبين، وأخرى في الطائف وكننت أحد أفرادها

(*) المنار: يعني الشريف خالد بن لؤي قاتح الطائف بما كان من فعلته للشبهة فعملة خالد بن الوليد (رض) التي تقرأ منها النبي (ص)

وأما إنشاء حصون العراق وحواجزه فهو من جنس ما نشكو منه في بلادنا ونحاول إزالته ، لانه مقطع لروابطنا ممزق شملنا

وأما كلامه في شرق الاردن فلو تتبع الوقائع لعرف أن ليس له حجة يحتاج بها
وأما البادية فلا راحة لها ولا تغيرها إلا بدخولها في الدين والطاعة ، وقد تم ذلك والله الحمد

محمد مهجت السيطار

دمشق

(ثلاث كلمات للنار تتعلق بالموضوع)

انني أقفي على هذه الرسالة بثلاث كلمات [إحداها] اني ارى جميع الذين يجادلون في هذا العصر فيما اتبع فيه بعض المسلمين سنن من قبلهم شراً بشراً وذراعاً بذراع مضداً لحديث الرسول الصحيح ﷺ ومنه الشرك الصريح والشرك الذي يحتمل التأويل - يغفلون عن مسألة مهمة جداً وهي الفرق بين تكفير الشخص المدين وتكفير من يقول كذا او يفعل كذا من اقوال الشرك والكفر وأفعال اهلها ، فالشخص المدين يراعى في حقه درء جد الكفر وتنفيذ احكامه عليه بالشبهات والتأويل ويقال فيمن لا يراعى ذلك إنه جريء على تكفير المسلمين . وأما الذي يبين احكام الردة للناس فلا يمترض عليه إذا فعل كثير من الناس ما يكونون به مرتدين بحسب تلك الاحكام ، ولا يقال انه يكفر المسلمين . وبهذا يظهر لك خلط الذين يزعمون ان مذهب الوهابية مبني على تكفير المسلمين ورميهم بالشرك ، بل لم يتورع بعض سدنة هياكل القبور المعبودة وأكلة نذورها الوثنية وأوقافها الباطلة من وصف شيخ الاجلام تقي الدين بن تيمية بذلك . والواقع ان الشيخ محمد عبد الوهاب وعلماء نجد من ذريته وغيرهم قد صرحوا بانهم لا يكفرون احداً من المسلمين بشيء مما سماه فقهاء المذاهب الاربعة كفراً وردة إلا إذا كان مجماً عليه ، وكان ابن تيمية من اشد علماء عصره وغير عصره احتياطاً وتدقيقاً في مسألة التكفير حتى نقل عنه انه يرى عوام عصره مغضوبين ببطل بعض المسائل التي اجمع الفقهاء على التكفير بها لدخولها في جحود ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فانه رأى ان بعض ما كان معلوماً بالضرورة في القرون الاولى لم يعد معلوماً كذلك في عصره لان دعوة الاسلام

على حقها لم تبلغ كل اهل ذلك العصر . وإنما كان بما أمتاز به ابن نيمية انه نبه المسلمين لما فشا في جهلهم من الشرك بالله تعالى بدعاء الصالحين والمعتقدين تبديلاً فيما لا يطلب من غير الله تعالى . وقد اعترف له بعض علماء عصره بذلك كالشيخ كمال الدين الزمלקاني وقالوا انه نبهنا لشيء كنا غافلين عنه بسبب ألفته وكثرته ، ونرى من أنكر عليه بعض المسائل الاجتهادية منهم كالنقي السبكي لم ينكر عليه شيئاً من ذلك . [الكلمة الثانية] أن من اعظم الاسباب لترك كثير من المسلمين لأقامة دينهم والعمل به كما كان سلفهم هو جعل الاسلام رابطة مجنسية لا يشترط فيها أو لا يراعى فيها علم ولا عمل ، ولا يؤخذ فيها احد على ترك شعيرة ولا فريضة ، ولا على ارتكاب كبيرة ، حتى الردة ، فهي على كثرة وقوعها تمضي السنون بل القرون ولا ينفذ الحكم شيئاً من أحكامها على أحد إلا نادراً ولا سيما أحكام الدولة العثمانية والمصرية فالحدود الشرعية كلها معطلة

فكل من أمتاز به الإصلاح الديني في نجد إحياء الاسلام بالعلم والعمل والحكم . ألقى الوهابيون أهل جزيرة العرب ولا سيما البدو قد فشا فيهم الشرك واستحل له دماء الناس وأموالهم وترك الفرائض فنفذوا فيهم أحكام الشرع بالعلم والعمل والمقوبات من حدود وتمزيقات ، فكان هذا هو السبب لما أذاعته عنهم الحكومة العثمانية وانصارها بالتبع لها من تكفير المسلمين

نعم اننا لا ننكر أن أهل نجد يسيئون الظن بأهل البلاد التي لا تنفذ فيها أحكام الشرع ولا يبالي أحد بتلقيهم عقائد الاسلام الصحيحة وأحكامه على مذاهب اهل السنة ولا غيرهم وان منهم من لا يثق بدينهم فيطعنون عليهم لقب المشركين لما يرونه من أعمال الشرك يغير نكير وفي هذا الاطلاق شيء من التلو المنكر كما بيناه مراراً في للنار

ولكننا لم نر حكومتهم في الحجاز وعلى رأسها القضاة من علماءهم نفذت أحكام الردة على شخص بعينه لما بيناه من الفرق بين بيان أحكام الردة العامة والاطلاق في الانكار ، وبين تكفير الشخص للمين الذي يراعى فيه درء الحدود بالشبهات (الكلمة الثالثة) استعيراد الامتياز الشنقيطي في الرد على الاستاذ الدمشقي

إلى ما قبل الوهاية من القسوة في غزو الطائف وشرق الاردن فنقول فيها انها من الامور العملية التي لا يورد ما ثبت فيها من منكر إلا على من يرى الوهاية من كل فعل منكر ، ولا يكاد يسلم القتال من المنكرات الشرعية والقانونية عند أهلها ، ولكن ما بال الأستاذ الشنقيطي لا ينكر على من يخدمهم ويدافع عنهم من أولاد الملك حسين . إعطاءهم بلاد شرق الاردن وأعظم بقعة بحرية من أرض الحجاز للدولة الانكليزية صارت يتمكنها فيها أعظم خطر على الحرمين وعلى سائر جزيرة العرب ؟؟

إنباء العلماء المسلمين

جمعية علماء المسلمين في الجزائر

نبغ في بلاد الجزائر في هذا العهد جماعة من العلماء المصلحين يبشون في البلاد الدعوة إلى الحق والخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالدروس والخطابة والكتابة في الصحف حتى إنهم أنشؤا عدة جرائد ومجلات عطلت حكومة الجزائر بعضها خلفها غيرها

وأشهر هؤلاء العلماء الأستاذ الشيخ عبد الحميد باديس منشيء مجلة الشهاب الإصلاحية التي خلفت جريدته (المنتقد) والأستاذ الشيخ الطيب العقبي والأستاذ الشيخ سعيد الزاهري وكلهم ممن جمع بين العلم والعقل والرأي وحسن البيان قولاً وكتابة وخطابة ، وقد فكر هؤلاء منذسنيين في تأليف جمعية علمية تكون للرجع المعتمد لمسلمي هذا القطر في جميع أمور دينهم زول بها هذه الفوضى الدينية العلمية التي تصدى للتعليم والارشاد والافتاء في ظلماتها كثير من الجاهلين والدجالين المضلين ، وبعد التشاور مع إخوانهم من العلماء ومحبي الإصلاح والإرشاد من وجهاء المسلمين المستعبرين وقبوا لتأليف هذه الجمعية في العام الماضي واختاروا لرئاستها الأستاذ العلامة المصلح الشيخ عبد الحميد باديس صاحب الشهاب المنير، وظاهرهم على

تأليفها جميع أهل البصيرة والمهدي من العلماء والادباء وأصحاب الصحف الاسلامية
ويسرنا أتم السرور أن حكومة الجزائر قد أباحت لهم تأليف هذه الجمعية
لاقتناعها بانها تنفع المسلمين في أخلاقهم وآدابهم واستقامتهم في معاملاتهم مع جميع
الناس من حيث لا تفرضها هي في شيء لما ثبت عندها من اجتناب هؤلاء العلماء
للخوض في سياستها وإدارتها أو تغيير العامة عنها . وقد أحسنوا كل الاحسان في
سيرتهم العملية التي أقضت الحكومة بهذا فان السياسة ما دخلت في عمل إلا أفسدته
كما قال شيخنا الاستاذ الامام ، وعلى المشتغل بالعلم والاصلاح الديني ان يعطيه كل
وقته وعلى المشتغل بالسياسة أن يعطيه كل عزيمته ولا يلبس لها غير لباسها
وإننا نشكر لحكومة الجزائر هذه الحرية لهذه الجمعية الرشيدة كأنكر على
حولتها ما فعله خلاف ذلك في المغرب الاقصى لتعلم الدولة الفرنسية أننا لسنا أعداء
لها لذاتها وإنما نقول لها أحسنت إذا أحسنت ، ونقول لها أسأت إذا أسأت
هذا وإن الاستاذ الكبير رئيس الجمعية قد زار في هذا الصيف أشهر بلاد الجزائر
فتلقاه أهلها بالحنافة التي يستحقها والتكريم اللائق بمقامه العلمي الاصلاحى ويكرمهم
الاسلامي، وقد أسمهم من دروسه ومواظله الحكمة ما أحيا هداية القرآن والسنة فيهم

المؤتمر الاسلامي العام، لجنته التنفيذية ومكتبها

(٣)

نشرنا في الأجزاء الثاني والثالث والرابع فصولا في المؤتمر الاسلامي العام وما سبقه
وما جرى فيه وسير تنافيه عالم ينشر في الصحف التي اطلعنا عليها كواقع ولكننا كتبنا كلمة
وجيزة في شأن اللجنة التنفيذية ومكتبها للنشر في السادس فضايق فضايق عنا وما هي ذه:
أخطأ للمؤتمر العام في الطريقة التي اختارها لانتخاب لجنته التنفيذية إذ انتخب
٢٥ عضواً من أقطار بعيدة عن المركز (القدس) لا يمكن اجتماعهم فيه، منهم الهندي
والجماوي في الشرق، والراکشى والاوربي في الغرب، وآخرون مما بينهما، وقد اجتمع
هؤلاء الاعضاء كلهم مرة واحدة في مساء اليوم الذي انتخبوا فيه وانتخبوا من أنفسهم

ومن غيرهم بضمة أعضاء لادارة مكتب الجنة من المقيمين في فلسطين وسورية ومصر
تصوروا أنه يمكن اجتماعهم ولكن مضى على ذلك بضمة أشهر أو نصف سنة ولم يجتمعوا
وانما كان خير موقف لك اللجنة التنفيذية اختيارها للرجل الاحوذى الكبير ، السيد
ضياء الدين الطباطبائي الشهير ناموساً لها (السكرتير العام) ومقامه في أوردية فلم يتيسر
له العودة إلى القدس إلا بعد المدة التي ذكرناها . عاد فشر عن مساعد الجدد واكتفى
في ادارة أعمال المكتب بمن يوجد في القدس من أعضائه ، وتنفذ كثيراً من قرارات
المؤتمر ، واتخذ الوسائل لتنفيذ غيرها ، وأولها تأليف اللجان للمؤتمر في جميع الاقطار
الاسلامية لنشر مقررات المكتب وجمع المال لاعماله وأهمها إنشاء المدرسة (الجامعة
الاسلامية) وكان أول ما بدأ به من طلب المال أن كتب إلى أعضاء المؤتمر أنفسهم
بال تبرع للمكتب بما تجود به انفسهم ولا أدري ما فعلت المصرة المالية بهذا الطلب ،
إلا أنني عجزت عن التبرع بأقل ما يسمى تبرعاً ، وان صديقي محمود بك سالم الذي
كان تبرع في المؤتمر بمائة جنيه مصري يؤديها في يوم عرفة كان يسألني لمن يؤديها
وأخ في السؤال من أول ذي الحجة : ماذا يفعل بها ولجنة المؤتمر لم تعين أميناً للمال ؟
فأقول له اصبر ، حتى إذا علم مني ومن غيري أن السكرتير العام نظم مكتب
المؤتمر وهو مجدي العمل أرسل المبلغ ، وكذلك التاجر المحسن أحمد افندي حلاوة
أرسل مائة جنيه كان تبرع بها ، (وأخيراً تبرع له صاحب الدولة مصطفى النحاس
باشا بمائتي جنيه مصري وأرسلها) وماذا تفني المائة والمئات والعمل يتوقف على
الافوف من الجنيئات ، وأكثر الناس معسرون ، ولكن الاغنياء الواجدون كثيرون ،
وأكثرهم يبخلون بما يجب عليهم ، فاني يجودون بالتبرعات للمنافع والصالح العامة
وهم لا يبتغون لها معنى ، ويمتدرون بالمصرة وان كانوا لم يذوقوا لها طعماً ؟

والرأي عندي أن لا يشرع المكتب الآن في جمع المال لإنشاء المدرسة الجامعة
بل يجب أولاً أن يوضع النظام والرسم الهندسي لبنائها ، وتقدير النفقات الدقيقة
لها ، ثم يضمن النظام لجمع المال من جميع الاقطار الاسلامية التي يعلم أن لاهلها من
الحرية ما يمكنهم من البذل لمصلحة الاسلام العامة ، فان الترك في الجمهورية اللادينية

لا حرية لهم في مثل هذا ، ومثلهم بعض المسلمين الذين سلبهم المستعمرون كل أنواع الحريات البشرية

والواجب أن يراعى في هذا النظام المالي أن يثق كل من يطالع عليه أن ما يئذله من المال لهذا العمل يوضع في قرار يمكن وحرز أمين فلا ينفق شيء منه إلا فيما وهب لأجله ، لا يخشى أن يضيع منه شيء من أيدي الجباة له ولا من أيدي غيرهم ، وبعد إتمام النظام وطبعه وتأليف اللجان في الاقطار كلها تستشار هذه اللجان في كل قطر في الوقت المناسب للبدأ بالعمل

وأرى أنه يجب على مكتب المؤتمر أن يستعين برأي بعض كبار الماليين والاداريين في وضع هذا النظام ولا يستقل هو به واتماله أن يستقل بما يطلبه من التبرع للأعمال الادارية العامة كالذي طلبه أولاً

هذا واني رأيت لجنة الجامعة التي ألفها المكتب قد وافقت السكريتر العام على البدء بثلاثة فروع من كلياتها : وهي الشرعية والصناعية والطبية ، وأملت للدعوة والارشاد التي هي أهمها ، وجل مباحث المؤتمر كانت تدور حولها ولكن المكتب كلتي تأليف لجنة لها ، ولم يبين لي صفة هذه اللجنة ولا عملها الآن ، فاما نظام الادارة ومناهج التعليم فقد سبق لنا وضعها وتنفيذها ، ولا نحتاج الا الى تنقيح قليل ، واما جمع المال فهو الآن متمذر على انه لا بد ان يسبقه ما اقترحنا من النظام العام له ، وانتهاز الفرص في كل قطر بحسبه

هذا وان ما عرض لنا في هذا الشهر وما قبله من كتابة الرسالة المقترحة في حقوق النساء في الاسلام وطبعها قد اضطررنا الى تأخير نشر خطبتنا الجامعة في المؤتمر العام الى جزء آخر

وقد أرسل اليها مكتب المؤتمر عدة بلاغات ونداءات للنشر اهمها النداء الآتي الذي صدر في هذا الشهر وهو :

﴿ نداء الى مهندسي المسلمين بشأن جامعة المسجد الاقصى ﴾

بما أن المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام الذي تألف بعد انقضاء المؤتمر لتنفيذ مقرراته والنهوض بالواجبات الجليلة التي رسمها في اجتماعاته قد أتم بعون الله وتوفيقه تأليف لجنة من الفضلاء وأهل الرأي للشروع في إنشاء جامعة المسجد الاقصى الاسلامية التي كانت بلامراء من أعظم وأجل المشروعات التي أقرها المؤتمر والتي سيكون لها في تجديد نهضة المسلمين المقبلة أبلغ الأثر

ولما كانت جامعة المسجد الاقصى ستألف في أيار إنشائها من ثلاث شعب

١ - شعبة العلوم الشرعية الالهية

٢ - شعبة الفنون والصناعات

٣ - شعبة الطب والصيدلة

ولما كان الركن الاساسي في نجاح هذا المشروع الخطير قائم على تعاون المسلمين وتسابقهم في مضار الخير فان المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام يدعو كل مهندس مسلم يأنس من نفسه استمداً لخدمة هذا المشروع الجليل ابتداء من رضاء الله أن يتفضل باخبار المكتب باستمداه للشخص إلى القدس الشريف لوضع الخرائط والتصميمات وفق القواعد التي يبينها المكتب بل يعتمد من حضرات المهندسين ويتمهد مكتب المؤتمر بأن يقدم لكل من حضراتهم نفقات الذهاب والاياب والاقامة بالقدس مدة العمل ، أما اللشاق التي يتكبدها مثل هؤلاء المجاهدين الفنين فاجرها عند الله عظيم، وتقديرها عند العالم الاسلامي أجليل، وان كل مهندس تناله خرائطه وتصميمااته الرجحان سينقش اسمه الكريم على باب هذا المعهد الاسلامي كسرف مخلص ومأثرة تبقى على عر الدهور

(وما تفعلوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) . (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً)

أمين السر العام

أمين المال

ضياء الدين الطباطبائي

محمد علي علوية باشا

لجنة بحث موضوع البغاء الرسمي

(المشكلة بموجب قرار مجلس الوزراء الصادر في ١٢ ابريل سنة ١٩٣٢)

[أرسل اليانا صاحب السعادة محمد شاهين باشا رئيس هذه اللجنة الاسئلة الآتية :
كما أرساها الى كثير من الجماعات وأفراد العلماء الباحثين منذ شهر يونيو ، و كنا
أخرنا أجوبتنا لاجل أن ندرس الموضوع من جميع أطرافه فتكون مفصلة ، ولما رأينا
من سبقنا إلى الكتابة في الموضوع قد أطلوا في كل جواب رأينا الاكتفاء بما يوجه
علينا الشرع من بيان حكمه في الموضوع . وهذا نص الاسئلة مع أجوبتنا :

(أسئلة يراد الاجابة عليها)

﴿ السؤال الاول ﴾

هل ترون إلغاء البغاء الرسمي او إبقاؤه ، وما هي الاسباب التي تبينون عليها رأيكم ؟
(جوابه) انني أرى وجوب إلغاء البغاء الرسمي وغير الرسمي وعقاب الزناة والزواني
لان الزنا فاحشة حرمها الله تعالى بنص القرآن وعلى السنة جميع الانبياء ، قاباحتها
واستباحته ، اعني استحلاله - ارتداد عن الاسلام . وما حرمه الله تعالى إلا لما فيه
من المضار والمفسد البدنية والنفسية والاجتماعية التي تضاعفت في هذا الزمان بفشو في
جميع الطبقات ، ومنه بعض الامراض السرية التي لم تكن كلها معروفة في المصودر
السابقة ، وان من اكبر العار على الامة المصرية ولاسيما علمائها وعلى الحكومة المصرية التي
وضعت في دستورها ان دينها الاسلام أن تنبج الزنا في هذا القطر الاسلامي الذي
يدين جميع أهله بتحريم الزنا وقبحه لايشد منهم إلا زعانف من الملاحدة الاباحيين .
ثم أكبر خطر على هذه الامة فإن هذا الاسراف في الفسق يهلك الامة القوية فكيف
يكون فتسكه بالام الضعيفة التي هي في سن التكوين السياسي والمدني والاقتصادي .
ومن المصعب أن كثيراً من أهل هذه البلاد وغيرهم يرون أن مصر أولى الاقطار
الاسلامية بزعامة العالم الاسلامي وبأن تكون مقر الخلافة الاسلامية وأن تكون

٥٦٠ وجوب منع البغاء الرسمي وغيره ووسائله دفعة واحدة المنار : ج ٣٢٧

الحجاز تأييدها وتحت سيادتها وهي تباع الزنا والسكر والربا واليسر إلا بعض أنواعه بل يجب على الحكومة المصرية سد ذرائع الزنا من تهتك النساء ورقصهن وتبرجهن في الأسواق والشوارع « كاسيات عاريات مائلات بميلات » كما ورد في الحديث الصحيح في صفات أهل النار ولا سيما استجماعهن على شواطئ البحار مع الرجال ، ورقصهن معهم وخلوتهن بهم في هذه الحال ، وتلك الحال ، بل خروجهن بستره الحام الرقيقة إلى الشوارع والملاهي والمقاهي . وهذه الإباحة شر من إباحة الزنا في مواخير لا يراها إلا من يدنس نفسه بدخولها ، ولا يمكن منع الزنا مع إباحتها

﴿ السؤال الثاني وجوابه ﴾

في حالة الإلغاء ماهي الطرق التي تشيرون بها لمعاملة البغايا المرخص لهن الآن ؟ (ج) ان الأطباء ورجال الادارة أوسع رأيا مني في هذه المسألة وإنما أقول ان كل معاملة يعاملن بها خير لهن وللعامة من إباحة هذه الحرفة للمعونة

﴿ السؤال الثالث وجوابه ﴾

ماهي الوسائل التي تقترحونها لمكاشفة البغاء السري ؟ (ج) لعل أقرب الوسائل الى ذلك وضع العقوبات الشديدة على الزنا والقيادة وأصحاب المواخير السرية مع مراقبتهم بالدقة التي يراقب بها شر الجناة والمجرمين ومنع إباحة تهتك النساء جهرا في شواطئ البحار وأماها

﴿ السؤال الرابع وجوابه ﴾

ماهي الوسائل التي تقترحونها لتلافي أضرار الامراض السرية (ج) ان خبز وسائلها منع أسبابها ، ومصلحة الصحة في غنى عن رأي مثلي في طرق علاجها

﴿ السؤال الخامس وجوابه ﴾

إذا كنتم ترون إلغاء البغاء الرسمي فهل يكون ذلك تدريجيا أم دفعة واحدة ؟ أي هل يمكنني مبدئياً بدم الترخيص لبغايا جديدات فيندثر البغاء الرسمي تدريجياً ؟ أم يحرم على البغايا الموجودات في الوقت الحاضر ممارسة مهنتهن فيقضي على البغاء دفعة واحدة (ج) الواجب القطعي الذي لا تخير فيه شرعا ولا مصلحة إلغاء البغاء دفعة واحدة بقانون صريح يتضمن العقاب الشديد على مخالفته ، وتحريمه فعلا كما حرمه الله حكما ، ورجال القانون أعلم بأقرب الطرق الممكنة لتنفيذه

يُؤْتِي الْمَكْرَهُ نَسْتَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْكَرْهَ فَهُوَ
أَوْفَىٰ بِغَيْرِ أَمْرٍ أَوْ مَا
يَكْرَهُهُ إِلَّا أُولَٰئِكَ لَا

الْمَلِكُ

فِيهِ عَارِدُونَ لِيُفْعِلُوا
الْفَعْلَ لِيَفْعِلُوا فَعْلَهُ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَفْعِلُونَ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْتَلِفُونَ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام ضوى • وضار • كذا الطريق

جادی الاولی ۱۳۵۱ برج میزان سنة ۱۳۱۱ ش سبتمبر سنة ۱۹۳۲ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير القرآن الحكيم

فصل في الايات الكونية التي ايد الله بها رسله

(وما يشبه بعضها من الكرامات ، وما يشبه بها من خوارق العادات ،

وضلال الماديين والخرافيين فيها)

تكلّمنا في القسم الأول من هذا البحث في آيات الانبياء التي تسميها
النصارى بالمعجائب ويسميها علماء الكلام منا بالمعجزات ، ويدونها قسما من
خوارق العادات التي جعلوها عدة أقسام ، وتقول هنا كلمة وجيزة في إصلاح
الاسلام لضللال البشر فيها ، والصعود بهم أعلى مراقق الايمان ، اللائق بطور الرشاد

العقلي لنوع الانسان ، والعلم الواسع بسنن الاكوان ، الذي منحوه برسالة محمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، فنقول :

آيات الله نومان

آيات الله تعالى في خلقه نوعان : (النوع الأول) الآيات الجارية على سننه تعالى في نظام الخلق والتكوين وهي أكثرها وأظهرها وأدلها على كمال قدرته وارادته ، وإحاطة علمه وحكمته ، وسعة فضله ورحمته ، (والنوع الثاني) الآيات الجارية على خلاف السنن المعروفة للبشر وهي أقلها وربما كانت أدلها عند أكثر الناس على اختياره عز وجل في جميع ما خلق وما يخلق ، وكون قدرته ومشيشته غير مقيدتين بسنن الخلق التي قام بها نظام الكون ، فالسنن مقتضى حكمته وإتقانه لكل شيء خلقه ، وقد يأتي بما يخالفها لحكمة أخرى من حكمه البالغة ، ولولا هذا الاختيار لكان العالم كالات التي تتحرك بنظام دقيق لاعلم لها ولا إرادة ولا اختيار فيه ، كآلة الساعة الصغيرة التي تعرف بها أوقات الليل والنهار ، وآلات البواخر والمعامل الكبيرة ، وللاديون المتكرون لوجود الخالق والفلاسة الذين يسمونه الملة الفاعلة لوجود يعبرون عن هذا النظام بنظرية (الليكانيكية) وهم يتكلفون اختراع الملل والاسباب لكل ما يرونه مخالفا لسننه المعروفة ، ويسمون هذه الآيات المخالفة لها بفلتات الطبيعة ، ويقيئون ما لم يظهر لهم تعليله على ما اقتنعوا بتعليل له وإن لم يتم عليه دليل يثبت ، ويقولون إن ما لم يظهر لنا اليوم فلا بد أن يظهر لنا أو لمن بعدنا غداً سنن الله في عالم الشهادة وعالم الغيب

ونحن معشر المؤمنين بعالم الغيب وما فيه من الملائكة وهم جند الله الأكبر ، وما لهم من التأثير والتدبير في عالم الشهادة للمادي باذن الله تعالى وتسخيرهم ، فنعتقد أن الله تعالى سننا في نظام ذلك العالم غير سننه الخاصة بعالم المادة ، وإن الانسان هو حلقة الاتصال بين العالمين فجسده ووظائفه الحيوية من عالم الشهادة وروحه من عالم الغيب ، مادام في عالم الجسد المادي فإن جميع مداركه تكون مشغولة من المادة ومنهنا وحاجاته الشخصية والنوعية منها بما يحجب عنه عالم الروح الغيبي حتى

روحه المتم لحقيقته ، وانما يكون الظهور والسلطان الروح على الجسد في الحياة الآخرة ، الا من اصطفى الله تعالى من رسله وأنبيائه فاعدم بفضلهم رحمته للاتصال بملائكته والتلقي عنهم ، وأظهرهم على ما شاء من غيبه ليلتقوا عبادهم عنه مأمراً به الغيب قسمان حقيقي وإضافي

الغيب ما غاب علمه عن الناس وهو قسمان: غيب حقيقي لا يعلمه الا الله ، وغيب إضافي يعلمه بعض الخلق دون بعض لاسباب تختلف باختلاف الاستعداد الفطري والعمل السكبي ، ومن أظهره الله على بعض الغيب الحقيقي من رسله فليس لهم في ذلك كسب لانه من خصائص النبوة غير المكتسبة^(١)

ومن دونهم أفراد من خواص أتباعهم أو توافقياً من الأشراف على ذلك العالم بانكشاف ما للحجاب ، وإدراك ما لشيء من تلك الأنوار ، كلن بها إيمانهم برسلم فوق إيمان أهل البرهان ، وقد روي عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه انه قال : لو كشف الحجاب ما زدت يقيناً

ومن دون هؤلاء أفراد آخرون قد يكون لهم من سلامة الفطرة ، أو معالجة النفس بأنواع من الرياضة ، أو من طرود مرض يصرف قوى النفس عن الاهتمام بشهوات الجسد ، أو من سلطان ارادة على ارادة قوية ضعيفة ، تصرفها عن حسها ، وتوجه قواها النفسية الى ما شاءت أن تدرك لقوتها الخاصة بها — قد يكون هؤلاء الافراد في بعض الاحوال من قوة الروح ما يلبسون به بعض الاشياء أو الأشخاص البعيدة عنهم ، وتمثل لهم بعض الأمور قبل وقوعها مرتسمة في خيالهم ، فيخبرون بها فتع كما أخبروا

الخوارق الحقيقية والصورية عند الامم

ان الامور التي تأتي في الظاهر على غير السنن المروفة ، أو الخارقة لقواعدات المألوفة ، منقولة عن جميع الامم في جميع المصور نقلاً متواتراً في جنسه دون افراد وقائمه ، وليست كلها خوارق حقيقية ، فان منها ماله أسباب مجهولة للجمهور ،

(١) يراجع تحقيق هذا الموضوع بالتفصيل في الصفحة ٤٢١ و ٤٥٩ و ٤٦٩ من جزء التفسير السابع وملخصه في ص ٥١٣ من الجزء التاسع

وان منها لما هو صناعي يستفاد بتعليم خاص ، وان منها لما هو من خصائص قوى النفس وتأثير اقرباء الارادة في ضعفائها ، ويدخل في هذين المسكاشفة في بعض بالامور والتتويع للفناطيسي ، وشفاء بعض المرضى ولا سيما المعايين بالأمرامض العصبية التي يؤثر فيها الاعتقاد والوهم ، ومنها بعض أنواع العمى والفالج ، فان من الناس من يقعد بصره بمرض يطرأ على أعصاب عينيه وهما صحيحتان تلمعان في وجهه ، أو ينشأهما بياض عارض مع بقاء طبقاتها صحيحة ، وليس منه الكمى والعمى الذي يقع بطلس العينين وغزورهما كالذي أبرأه المسيح عليه السلام باذن الله تعالى . وقد ينشأ هذه الانواع من الخوارق العنصرية في بحث السحر من تفسير سورة الاعراف (١) وفي المقالات التي عقدناها للكرامات وأنواعها وتعليقها في المجلد الثاني من المنار وأتممتها في المجلد السادس منه

إن عوام الشعوب الذين يجهلون تواريخ الامم وما وجد عند كل منها من هذه الغرائب وما كشفه العلماء من حيل فيها وعلل يفترون بما عندهم منها ، ويخضعون للرجالين والمحتالين الذين ينتحلونها ، ويمكنونهم من أموالهم فيسلبونها ، ويأخذونهم على أعراضهم فينتهكونها ، ولا سيما إذا كانوا يأتون ما يأتون منها على أنه من كرامات الاولياء وعجائب القديسين ، ويقل تصديق هذا والاعتقاد لأهل حيث ينتشر تعليم التواريخ وما عند جميع الامم من ذلك ، على أنه لا يزال كثيراً في جميع بلاد أوربة وأمريكا ولله دون ما في بلاد الشرق ولا سيما القرى وجمع الزنوج وغيرهم بيد أن آيات الله الحقيقية التي نسميها المعجزات هي فوق هذه الاعمال الصناعية الخيرية لا كسب لأحد من البشر ولا صنع لهم فيها ، وإن ما أيد به رسله منها لم يكن يكسبهم ولا يعلمهم ولا تأثيرهم ، حتى ما يكون بدوهم بمحركة إرادية يأمرهم الله تعالى بها . ألم يهد لك كيف خاف موسى عليه السلام حين تحولت عصاه سبابة تسمى ، فولى مدبراً ولم يعقب لشدة خوفه منها ، حتى هدا الله روعه وأمن خوفه ؟ ألم تقرأ قوله لمحمد ﷺ (وما ميت أذميت والمكن الله رمي) ألم تعلمهم ما أمره الله تعالى أن يجيب مقتحي الآيات عليه من قومه بقوله

(قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) وقوله (قل إنما الآيات عند الله) وما في معناها

جهل هذا الاصل المحكم من عقائد الاسلام أدياء العلم من سدنة القبور المعبودة وغيرهم فظنوا أن المعجزات والكرامات أمور كسبية كالصناعات العادية ، وإن الانبياء والصالحين يفعلونها باختيارهم في حياتهم وبعد مماتهم متى شاؤا ، ويثرون الناس باتيان قبورهم ولو بشد الرجال اليها لدعائهم والاستغاثة بهم عند نزول البلاء والشدائد التي يعجزون عن دفعها بكسبهم وكسب أمثالهم من البشر بالاسباب العادية كالأطباء مثلا ، وبالتقرب اليهم بالندور والقراين كما كان المشركون يتقربون إلى آلهتهم من الاصنام وغيرها ، وهم يأكلونها سحبا حراما ، ويخبرونهم بأن دين الله تعالى يأمرهم أن يعتقدوا أنهم يقضون حوائجهم ، حتى قال بعضهم أنهم يخرجون من قبورهم بإجسادهم ويتولون قضاء الحاجات ، وكشف الكربات ، ولو كانت كذلك لما كانت من خوارق العادات . وقال بعضهم في كتاب مطبوع أن فلانا من الاقطاب يميت ويحيي ، ويسد ويشقي ، ويفقر ويغني

الفرق بين المعجزة والكرامة

إن الله تعالى لم يؤيد رسله بما أبدى به من المعجزات الا لتكون حجة لهم على أقوامهم يهدي بها المستمد للهداية ، وتحقق بها الكلمة على الجاحدين الماندين فتقع عليهم العقوبة ، وذلك لا يكون إلا بإظهارها فهو واجب لانعام تبليغ الدعوة التي أرسلوا لتبليغها ، وما كان الانبياء يدعون الله تعالى بشي من خوارق العادات غير حجة الرسالة إلا لبضرورة كالاستسقاء وكان خاتمهم وأكرمهم على الله تعالى يصبر هو وأهل بيته وأصحابه على المرض والجوع والمطش ولا يدعو لهم ﷺ بما يزيل ذلك الا نادراً ، وقد سأله التي كانت تصرع أن يدعو الله لها بالشفاء فأرشدوا إلى أن الصبر على مصيبتها خير لها . فشكت اليه أنها تتكشف عند النوبة وأن يدعو لها ألا تتكشف فدعاها واستجاب الله دعاءه

والأصل في الكرامة الاختفاء والكتمان ، وكثيراً ما يكون ظهورها فتنه للناس ،

وما كان أهلها يظهرون ما لم كسب فيه منها كالكاشفة إلا لضرورة، وقد صرح بهذا العلماء والصوفية فهو متفق عليه بينهم خلافاً لفسهور بين العامة

قال التاج السبكي في سياق حجج منكري جواز وقوع الكرامات

(الحجة الثانية) قالوا لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة ، فلا تدل المعجزة

على ثبوت النبوة . والجواب منع الاشتباه بقرن المعجزة بدعوى النبوة دون الكرامة فهي انما تقتزن بكمال اتباع النبي من الولي - وأيضا فالمعجزة يجب على صاحبها الاشتهار، والكرامة مبناهما على الاخفاء ، ولا تظهر إلا على الندرة والخصوص ، لا على الكثرة والعموم ، وأيضا فالمعجزة يجوز أن تقع بجميع خوارق العادات ، والكرامة تختص ببعضها كما يفناه من كلام التشيرى وهو الصحيح اه ثم قال

(الحجة الرابعة) قالوا لو جاز ظهور خوارق العادات على أيدي الصالحين

لما أمكن أن يستدل على نبوة الانبياء بظهورها على أيديهم لجواز أن تظهر على يد الولي سرّاً فان من أصول معظم جماعتكم أن الاولياء لا يظهرون الكرامات ولا يدعون بها، وإنما تظهر سرّاً وراء ستور، ويتخصص بالاطلاع عليها آحاد الناس، ويكون ظهورها سرّاً مستمراً بحيث لا يلتحق بحكم المعتاد، فاذا ظهر نبي وتحدث بمعجزة جاز أن تكون مما اعتاده أولياء عصره من الكرامات فلا يتحقق في حقه خرق العادة، فكيف السبيل إلى تصديقه مع عدم تحقق خرق العوائد في حقه ؟ وأيضا تكرر الصكرامة يلحقها بالمعتاد في حق الاولياء وذلك يصدم عن تصحيح النظر في المعجزة اذا ظهر نبي في زمنهم .

وقال في الجواب : لا نمتنا وجهان الاول منع توالي الكرامات واستمرارها

حتى تصير في حكم العوائد وإنما يجوز ظهورها على وجه لا تصير عادة فلا يلزم ما ذكره . والثاني - وهو لمعظم أئمتنا - قالوا انه يجوز توالي الكرامات على وجه الاختفاء بحيث لا يظهر ولا يشيع ولا يمتد لئلا يخرج الكرامات عن كونها كرامات اه من مجلد النار الثاني

وأقول إن المحققين من الصوفية يوافقون علماء الكلام والاصول على منع

توالي الكرامات وتكرارها ، ومنع اظهارها ، وقال الشيخ محي الدين بن عربي

النار: ج ٣٢٨ الكافرون بآيات الله يحدون بها ومشركون فيها ٥٦٧

إن ما يتكرر لا يكون كرامة لأنه يكون عادة وإما الكرامة من خوارق العادات، وقال الشيخ أحمد الرفاعي إن الأولياء يسترون من الكرامة كما تستر المرأة من دم الحيض، فأين هذه الأقوال مما عليه المجالون الخرافيون وسدنة القبور المعتقد من زعمهم أن الكرامة الواحدة تتكرر لأولياء كثيرين من الأحياء والأموات مرارا كثيرة وكلها ظاهرة ذائعة شائعة؟

الكافرون بالآيات صفان: مكذبون ومشركون وعلاج كل منهما

الكافرون بآيات الله تعالى صفان: صنف يكذبها كلها ولا يؤمنون بشيء منها، وصنف يشرك بالله غيره فيها، فينحلها ما هو خاص به عز وجل لا يقدر عليه سواه، ويشرع للناس أن يبدلوا هؤلاء الأغيار بديعهم من دونه واستثنائهم فيما لا يقدر عليه غيره، بدعوى أن الله تعالى هو الذي أعطاهم القدرة التنبؤية على ذلك لحجته لحلم وجاههم عنده، ومعناه أنه سبحانه هو الذي أشر بهم معه فأعطاهم هذا التصرف في عبادته، وأتما يتحامون ألقاظ العبادة والشرك وأخلقون معانيها، فيكذبون على الله تعالى وعليهم بما يكذبهم به كتابه المنزل، ونبية المرسل، ولكنهم يحرفون آيات الكتاب فيحتجون بها على جهلهم، فيذكرون أن الله كان يرزق مريم عليها السلام بغير حساب، وما كان رزقها من فعلها، ولا يدري أحد كيف سخره الله لها، ووحىه إلى أم موسى وما هو من فعلها. وقد قيل بنبوتها

وإن إفساد هؤلاء الخرافيين للبشر في دينهم ودينام لاشد من إفساد المنكرين للآيات المكذبة، بأنهم أكبر أسباب هذا الانكار والتكذيب بزعمهم أن الأنبياء ومن دونه من الصالحين يتصرفون في الخلق بما يخالف سنن الله تعالى فيه أو يبدلها بغيرها ويحولها عما وضعت، وزعمهم أن الله هو الذي دعا الناس إلى هذا الاعتقاد فجعله أساس دينه، فكذبوا بالدين من أساسه، فتكون فتنتهم شاملة لفريق الكفار بالآيات - فريق المكذبين وفريق المشركين، وهو مع هذا قول على الله بغير علم، واقتراء على الله بكونه شرعاً لم يأذن به الله، وهو أشد أنواع الكفر بالله، لأن ضرره محتد بما فيه من إضلال الناس باعتقاد باطل يتبعه عبادة باطلة غير مشروعة (١)

(١) راجع تحقيق هذا المعنى في ص ٣٩٧-٤٠١ ج ٩ من التفسير

علاج خرافة تصرف الاولياء في الكون

أما الذين يشركون بالله في عبادته يجعلهم لآياته وتقليد أمثالهم من الجاهلين في خرافاتهم ، فلا علاج لهم إلا تعليمهم توحيد الله الخالص في ربوبيته وألوهيته بآيات القرآن دون نظريات كتب الكلام ، وتعليمهم وظائف الرسل وكونهم بشراً اختصهم الله تعالى بوحيه لتبليغ عبادته ما ارتضاهم من الدين بالقول والعمل ، وحصر اختصاصهم بالتعليم والارشاد تبشيراً وانذاراً ، وتنفيذ أحكام شرعه فيهم بالعدل والمساواة ، ولم يؤتهم من التصرف الفعلي في خلقه ما يتقدرون به على هداية أقرب الناس وأحبهم بالطبع كالوالد والولد والزوجة ومن دونهم من أولي القربى ، فوالد ابراهيم الخليل عاش كافراً ومات كافراً عدواً لله ورسوله وخليله ، وولد نوح أول الرسل إلى الامم مات كافراً ولم يأذن الله تعالى له بحمله في السفينة فكان من الكافرين المفرقين ، وكان ابولهب عم محمد حبيب الله ورسوله أشد أعدائه الصابرين عنه المؤذين له وأنزل الله في ذمه ووعيده سورة من القرآن يتعبد بها المؤمنون إلى يوم القيامة لم ينزل مثلها في أحد من أعدائه وأعداء رسوله ﷺ بل كان من كمال حكمة الله تعالى أن عمه الذي كفله ورباه وكف عنه أذى المشركين ما استطاع لم يؤمن به وقد عرض عليه أن ينطق بكلمة « لا إله إلا الله » ليشهده بها يوم القيامة فامتنع فأنزل الله تعالى فيه (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) رواه مسلم في صحيحه ، وقد شرحنا هذا الموضوع في تفسير قوله تعالى (٦ : ٧٤) وإذا قال ابراهيم لأبيه آزر (الآيات ١) ثم بينا في خلاصة هذه السورة (الانعام) وظائف الرسل عليهم السلام بما يحسن أن يراجع من يجب استيفاء هذا الموضوع (٢) وإذا كان الانبياء المرسلون لم يؤتوا القدرة على التصرف في الكون فكيف يؤتاه الاولياء وغيرهم

(١) ص ٥٣٤ - ٥٦٥ ج ٧ تفسير

(٢) ص ٢٧٥ - ٥٧٨ ج ٨ تفسير

المنكرون للمعجزات وشبهة الخوارق الكسبية عليها

وأما المنكرون لها فلا يمكن أن تقوم عليهم الحجة إلا بالقرآن كما تقدم ، فهم لا يصدقون ما ينقله اليهود والنصارى من آيات موسى وعيسى وغيرها من النبيين (ع ٠ م) ولا يسلّمون صحة تواترها ، إذ يقيسون نقلهم لها على ما ينقله العوام في كل عصر عن بعض المعتقدين في بلادهم من الخوارق الخادعة التي مثارها الوهم والتخيل ، ويحتجون على ذلك بأن يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعاصر للمسيح (ع.م) لم ينقل للناس أخبار عجائبه التي تقصها الاناجيل التي ألقت بعده ، ويعلمونها على تقدير صحة النقل بما يعللون به الخوارق الصورية التي يشاهدونها في كل عصر ، فإن لم يستطيعوا تمليلها قالوا انه لا بد لها من سبب كسبي يظهر لنا أو يترقبه فاعلموها كما وقع في أمثالها من صوفية الهندوس (الفقراء) كالارتفاع في الهواء وغير ذلك مما هو أغرب منه

روت إحدى الجرائد المصرية في هذه الايام (١) من أخبار سانجي الافرنج في الهند حادثة لفقير من هؤلاء الفقراء اسمه سارجو هاردياس وقعت في سنة ١٨٣٧ خلاصتها أن هذا الفقير جاء قصر المهرابا رانجيت سنجيا أمير بنجاب وعرض عليه أن يريه بعض كراماته ، وكان المهرابا لا يصدق ما ينقل من خوارق هؤلاء الفقراء فسأله عما يريد اظهاره فقال انه يدفن أرمين يوما ثم يعود اليهم حياً ، فاحضر المهرابا نفراً من أطباء الانكليز والفرنسيس وأمراء بنجاب فجلس الفقير القرفصاء أمامهم فكفّنوه بعد أن وضوا القطن والشمع على أذنيه وأنفه - كما أوصاهم - وخطبوا عليه الكفن ووضوه في صندوق من الخشب السميك وسمروا غطاءه ووضع المهرابا عليه ختمه ، ودفّنوه في قبر داخل حجرة صغيرة في حديقة القصر وأقفلوا بابها ووضع المهرابا ختمه بالشمع على قفلها ، وأمر اثنين من رجال حرمه الأبناء بحراستها وطائفة من جنده بمعاوتتهما ، وكان ذلك كله بمشهد من حضر من الاوربيين والبنجابيين وحاشية المهرابا ،

ولما تمت الاربعون حضر هؤلاء كلهم قصر المهرجا وشاهدوا ختم الحجره كما كان ، والعشب أمامها في الحديقة لم تطاء قدم أحد ، ثم فتحوا باب الحجره وامتحنوا أختام القبور ثم أخرجوا الصندوق وامتحنوا أختامه فوجدوها كلها على حالها ففتحوه وأخرجوا الفقير منه فإذا هو كما وصفه أحد أوائلك من الانجليز . قال : لما فتحوا الصندوق وأخرجوا الفقير منه وجدت القراعين والساقين صلبة والرأس مائلا على إحدى الكتفين فخلعتي أمام جثة هامدة فارقتها الحياة منذ امد بعيد ، فطلبت من طيبي أن يفحصها فأخنى عليها وجس القلب والصدغين والقراعين وقال انه لم يجد أثرا للنبض البتة ولكنه شعر بحرارة في منطقة الدماغ الخ

ثم نفذ ما أوصى الفقير أن يعمل بعد اخراجه فقلل الجسم بالماء الحار فرد على الاوصال لينها السابق بالتدريج ، وأزيل القطن والشمع عن الاذنين والانف ووضعت أكياس ذافئة على الرأس فذبت الحياة في الجسد المسجي ، وتقلصت الاعصاب والاطراف ثم اضطربت فسال منها عرق غزير وعادت الاعضاء إلى حالتها الاولى ، وبعد دقائق اتسعت حدقتا العينين وعاد اليهما لونهما الطبيعي ، فلما رأى الفقير المهرجا شاخصا اليه دهشا متحيرا قال له « رأيت يا مولاي صدق قولتي وفعلتي ؟ وبعد نصف ساعة خرج من التابوت وأنشأ يحدث الحاضرين أحسن حديث ويعرفهم بما يحير العقول . اهـ

إن هذه الحادثة من آيات الله التي أظهرتها الرياضة المكتسبة ، وهي أعجب من رواية الانجيل لموت ليمازر ثم حياته بدعاء المسيح بعد أربعة أيام كما تقدم في بحث عجائبه (ع . م) . وأغرب من حادثة أصحاب الكهف أيضا من بعض الوجوه . فان الفقير الهندي قد سد أنفه ولف في كفن ووضع في تابوت دفن تحت الارض فحبل بينه وبين الهواء القوي لا يمشي أحد بدونه عادة ، وأهل الكهف ناموا في فجوة واسعة من كهف بابة إلى الشمال مهب الهواء اللطيف وكانت الشمس تصيب مدخله من جانبيه عند شروقها وعند غروبها مائلة متزاورة عنهم ، فتلطف هواه من حيث لا تصيبهم ، وانما كان أكبر الغرابة في نومهم طول مدة لبثتهم فيه ، وكانت طويلة جدا حتى على قول نقل البضاوي وغيره من المفسرين ان قوله تعالى

{ ولبشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) الآية - حكاية عن بعض المختلفين في أسرم فان كان خلاف ظاهر السياق قد يرجحه قوله تعالى في الآية بعدها (قل الله أعلم بما يبشوا) والله أعلم بكل حال على كل حال ، وإن خفي سر آياته على خلقه ولا شيء من الامرين بمحال . وقد نام بعض أهل العصر بمرض النوم عدة أشهر .

ولكن ماجرى للفقير الهندي مخالف لسنة الحياة العامة في الناس فاذا ثبت أنه وقع بطريقة كسبية من طرائق رياضة هؤلاء الصوفية لابدانهم وأنفسهم بما تبقى به الحياة كامنة في أجسادهم مثل هذه المدة الطويلة مع انتفاء أسبابها العامة في أحوال الناس الاعتيادية من دورة الدم والنفس وغير ذلك ، فلا وجه لاتخاذ أحد من العقلاء انكار كل ما يخالف السنن العامة قاعدة عامة ، ولا سيما فعل الخالق عز وجل لما هو خالق كل شيء بقدرته ، وواضع نظام السنن والاسباب بعشيتة ، وأكثر منكري الخوارق يؤمنون به ، وانما ينكرون وقوع شيء مخالف لسنة بانه مناف لحكمته ، ومن ذا الذي أحاط بحكمه أوبسننه علماء ؟ وانما الذي يقضي به العقل أن لا تصدق بوقوع شيء على خلاف السنن الثابتة المطردة في نظام الاسباب العامة إلا اذا ثبت ثبوتاً قطعياً لا يحتمل التأويل ؛ وهذا هو المتمد عند المحققين من المسلمين وعلماء الماداة وعلماء النفس وغيرهم ، وقد ثبت في هذا العصر من خواص الكهرباء وغيرهم الوكيل لعقلاء الذس وحكامهم قبل ثبوته بالفعل إنه من الممكنات ، لحكموا على مدعي امكانه بالجنون لا بتصديق الخرافات

الفرق بين الخوارق الكسبية والحقيقية

وجملة القول ان أسرار هذا الكون لا يحيط بها إلا خالقه عز وجل - وانه قد وجد في كل عصر وقائع غريبة تعد من هذه الاسرار الجارية على غير نظام السنن الالهية في الخلق ، بحسب ما يترأى للجمهور بأدي الرأي ، وان ما يتناقله الجمهور للولم بالترائب منها منه ما هو كذب محض ، ومنه ماله أسباب علمية او صناعية خفية يجهلها الاكثرون ، ومنه ما يظن انه من خوارق العادات وليس منها ، ومنه ما سببه الوم كشفاء بعض الامراض ، أو انخداع البصر بالتخييل الذي يحدقه

لشموذون، ومنه ما فعله سحرة فرعون الميين بقوله تعالى (فاذا جنابهم وعصيم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) ومنه انخداع السمع كالقدي يفعله الذين يدعون
استخدام الجن اذ يتكلمون ليلاً بأصوات غريبة غير أصواتهم للمادة فيظن مصدقهم
ان ذلك صوت الجن، وقد يتكلمون نهاراً آمن بطونهم من غير أن يحركوا شفاههم،
فلا يوثق بشيء من أخبارهم ولا من قائلهم — ومن الدلائل على كذب المتحليين
لهذه الترائب انهم جعلوها وسيلة لما يشعرونه من الدنيا وانهم لو كانوا صادقين فيها
لتنافس الملوك وكبار علماء الكون في محبتهم والاهتداء بهم
للمعجزات قسمان : تكوينية وروحانية تشبه الكسبية

المعجزات كلها من الله تعالى لا من كسب الانبياء كانطق به القرآن ولكنها
بحسب مظهرها قسمان : قسم لا يعرف له سنة إلهية يجري عليها فهو يشبه الاحكام
الا استثنائية في قوانين الحكومات أو ما يكون بإرادة سنية من الملوك لمصلحة خاصة
- والله المثل الأعلى - وقسم يقع بسنة إلهية وروحانية لا مادية .

أما المآثور من آيات الله التي أبد بها موسى (ع.م) وأثبتها القرآن له كآيات
التسليم بمصر فهي من القسم الاول، ولم يكن شيء منها بكسبه حقيقي ولا صوري،
وكذلك الآيات الاخرى التي ظهرت في أثناء خروجه ببني اسرائيل ومدة التيه،
بل كل ذلك كان بفعل الله تعالى بدون سبب كسبي لموسى (ع.م) إلا ما يأمره
الله تعالى به من ضرب البحر أو الحجر بمصاء التي هي آيته الكبرى . ولم يرد
لاحد من الانبياء آية كهذه الآيات فضلاً عن دونهم، ولا هي مما يحتمل أن يكون
بسبب من الاسباب التي تكون لاحد من الناس بالرياضة الروحية أو خواص للمادة وقواها
وأما المسيح (ع.م) فالآيات التي أبدها الله تعالى بها على كونها خارقة للمعادات
الكسبية وعلى خلاف السنن المعروفة للناس - وقد يظهر فيها انها كلها او جلها حدث
على سنة الله في عالم الارواح كما كان خلقه كذلك، فقد حملت أمه به بفتحة من
روح الله عز وجل فيها - وهو الملك جبريل عليه السلام - كانت سبب علوقها به
بفعلها في الرحم ما يقتل تلقيح الرجل بقدرة الله عز وجل . فلا غرو أن كانت مظاهر

آياته أعظم من مظاهر سائر الروحيين من الانبياء والاولياء كالكشف وشفاء بعض المرضى وغير ذلك من التأثير في المادة الذي اشتهر عن كثير منهم . والفرق بينه وبين الروحانيين من صوفية الهند و'المغنين ان روحانيته عليه السلام أقوى وأكمل، وانها لم تكن بعمل كسبي منه بل من اصل خلق الله عز وجل له بآية منه كما قال (٢١: ٩١) والتي أحصنت فرجها ففخنا فيها من روحنا وجعلناها وابها آية للعالمين * ٢٣ : ٥٠ وجعلنا ابن مريم وأمه آية (فآية تعني الهي الخلق به وخلقته بفتح الروح الالهي، لا بسبب التلقيح البشري . فهي روحانية .

وأعظم آياته الروحانية التي أثبتنا له التنزيل ولم ينقلها مؤلفو الاناجيل الاربعة (وروي أنها منصوبة في انجيل العطفولة الذي نبذته المجامع الكنسية قبل البعثة المحمدية فقدمت العالم) هي أنه كان يأخذ قطعة من الطين فيجعلها بهيئة طير فينفخ فيه أي من روحه فيكون طير أبذن الله تعالى ومشيته . والمروي أنه كان يطير قليلا ويقع ميتا . ودون هذا إحياء الميت الصحيح الجسم القريب العهد بالحياة فإن توجيه سيال روحه القوي إلى جثة الميت مع توجيه قلبه إلى الله عز وجل ودعائه كان يكون سببا روحانيا لاعادة روحه اليه بان الله ومشيته ، كما يمس النور ذبال السراج المنطفيء فتشتعل أو كما يتصل السلك الحامل للكهربائية الايجابية بالسلك الحامل للكهربائية السلبية بعد انقطاعها فيتلقى النور منها . وقد ثبت عن بعض اطباء هذا العصر إعادة الحياة الحيوانية الى قاعدها عقب فقدائها بعملية جراحية أو معالجة للقلب .

ومن دون هذا وذاك شفاء بعض الامراض ولا سيما العصبية سواء كان سببها من الشيطان وتلبسه بالمجنون كما في الاناجيل أم غيره ، فان الشيطان روح خبيث لا يستطيع البقاء مع توجه الروح الطاهر الذي هو شعلة من روح القدس جبريل عليه السلام واتصاله بمن تلبس به ، وقد وقع مثل هذا لشيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من الروحانيين وما من مرض عصبي أو غيره إلا وهو ضعف في الحياة حقيق بأن يزول باقصال هذا الروح بالمصاب به لأنه أعظم أسباب الحياة والقوة ومن دون هذا وذاك المكشافات المبرر عنها فيها حكاة تعالى عنه بقوله (وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم) وقد أنبأ غيره من أنبياء بني اسرائيل

وغيرهم بما هو أعظم من هذا من الامور المستقبلية ، وكذا غيرهم من الروحانيين ولاسيا صالحى أمة محمد ﷺ ولكنها درجات متفاوتة في القوة والضعف ، وطول المدة وقصرها ، والثقة بالمرئي وعدمها ، وإدراك الحاضر الموجود ، أو الغائب المفقود ، وما كان في الازمنة الماضية ، وما يأتي في الازمنة المستقبلية ، فأعلاها خاص بالانبياء إذ لم يوجد ولن يوجد بشر يعلم بالكشف ما وقع منذ القرون الاولى كأخبار القرآن عن الرسل الاولين مع أقوامهم ، أو ما يقع بمحدثين في المستقبل كأخباره عن عود الكرة للروم على الفرس ، وأخباره ﷺ بفتح الامصار واتباع الامم لامته ، ثم بتداعيهم عليها فتبين بهذا أن آيات الله تعالى المشهورة لموسى (ع.م) بمحض قدرته تعالى دون سنة من سنته الظاهرة في قواه الروحية ، وأن آياته لعيسى (ع.م) بخلاف ذلك . والنوع الاول أدل على قدرة الله تعالى ومشيئته واختياره في أفعاله في نظر البشر لبعدها عن نظام الاسباب والمسببات التي تجري عليها أفعالهم

عبادة بعض الناس للمسيح وللأولياء دون موسى

وأما عبد بعض البشر عيسى وأخذوه إلها ولم يصدوا موسى كذلك وآياته أعظم لأنهم جهلوا أن آيات عيسى جارية على سنن روحية عامة قد يشاركه فيها غيره فظنوا أنه يفعلها بمحض قدرته التي هي عن قدرة الخالق سبحانه لخلقه فيه وأنجاه به عنهم ، وآيات موسى بمحض قدرة الله وحده ، ولم يظنوا لاتباع عيسى لموسى في شرعه (التوراة) إلا قليلا بما نسخه الله على لسانه من إحلال بعض ما حرم عليهم بظلمهم عقوبة لهم ، ومن تحریم ما كانوا عليه من الغلو في عبادة المال والشهوات ومثل النصراني في هذا من يفتنون من المسلمين بعبادة الصالحين بدعائهم في الشدائد لاعتقادهم أنهم يدفعون عنهم الضر ويحلبون لهم النفع بالتصرف النجيب الخارج عن سنن الله في الاسباب والمسببات الداخلة عندهم في باب الكرامات ، وهو خاص بالرب تعالى ، ولكنهم لا يطلقون على أحدهم اسم الرب ولا الإله ولا الخالق ، إذ الاسماء اصطلاحية ، وأما الفرقان بين الخالق والخلق والرب والمربوب أن الرب الخالق هو القادر على النفع والضر لمن شاء وصرفها عن شاء بما يستخره من الاسباب وبدونها إن شاء — وأن الخلق الربوب هو للعقيد في أفعاله الكسبية

الاختيارية في النفع والضرر بسنن الله تعالى في الاسباب والمسببات التي سخرها تعالى لجميع خلقه، ولكنهم يتفاوتون في العلم والعمل بها كما يتفاوتون في الاستعداد لما بقوى العقل والحواس والاعضاء وفي وسائلها، وقد بلغ البشر بالعلم والعمل الكسبيين من المنافع ودفع المضار ما لم يعد مثله لاحد من خلق الله قبلهم لا الانبياء ولا غيرهم، لان الانبياء المرسلين لم يبعثوا لهذا وإنما بعثوا لهداية الناس الى معرفة الله وعبادته وتهذيب أخلاقهم بها. فنافع الدنيا لا تطلب منهم أحياء ولا أمواتاً، وإنما تطلب من أسبابها. وما وراء الاسباب لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. وقد قتل الظالمون بعض الانبياء والاولياء، وآذوا بعضهم بضر وبمن الايذاء، ولم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم. ولذلك تكرر في القرآن الحكيم في هذا النفع والضرر عن كل ماعبد ومن عبد من دون الله بالذات أو بالشفاعة عند الله تعالى كما قال (١٠: ١٨) ويمدون من دون ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله (الآية ومثلها آيات، وأمر خاتم رسله أن يعلم الناس ذلك كما فعل من قبله من الرسل فقال (٧: ١٨٨) قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقال (قل إنني لأملك لكم ضرا ولا رشداً) الآيات. وقد فصلنا هذه المسألة مراراً ونلخص الموضوع هنا في المسائل الآتية:

(١) إن الله تعالى قد اتقن كل شيء خلقه فحمله بإحكام ونظام لا تفاوت فيه ولا اختلال، وسنن مطردة ربط فيها الاسباب بالمسببات. فخلقاته العليا والسفلى، هي مظهر أسمائه وصفاته العلى. ولهذا قال حجة الاسلام الغزالي: ليس في الامكن أبدع مما كن. وهذا النظام للطردي الاكوان، الثابت بالحس والعقل ونصوص القرآن - هو البرهان الاعظم على وحدانية خالق السموات والارض (لو كان فيها آلهة الا الله لتصدنا)

(٢) إن سنن الله تعالى في ابداع خلقه ونظام الحركة والسكون والتحليل والتركيب فيه لا يحيط بها علماً غيره عز وجل. وكلما ازداد البشر فيها نظراً وتفكيراً واختياراً وتدبراً ونجربة وتصرفاً. ظهر لهم من أسرارها وعجائبها ما لم يكونوا

يعلمون ولا يظنون ، ومن منافعها ما لم يكونوا يتخيلون ولا يتوهمون ، وها نحن أولاء نرى مراكبهم الهوائية من تجارية وحريية تخلق في الجواء ، حتى تكاد تتجاوز محيط الهواء ، ومراكبهم البحرية تنفوس في ليلج البحار ، وثرانهم يتخاطبون من مختلف الاقطار ، كما تطلق الوحي يتخاطب أهل الجنة مع أهل النار ، فيسمع أهل المشرق أصوات أهل المغرب ، وأهل الجنوب حديث أهل الشمال وخطبهم وأغانيم ، قبل أن يسمعها بعض أهل البلاد أو المكان الذي يصدر عنه الكلام (*) وقد يفخر أحدهم زراً كهربائياً في قارة أوربة فتتحرك بفمزه آلات عظيمة في قارة أخرى في طرفة عين ، وبينهما المهامه الفيج ، والجبال الشاهقة ، ومن دونهما البحار الواسعة ، والجاهلون بهذه السنن الالهية ، والعلوم العملية ، لا يزالون يلجؤون في طلب للنافع ودفع المضار من غير طريق الاسباب - التي ضيق الجبل عليهم سبلها - إلى قبور اللوث من الصالحين العروفين والمجهولين ، ليقتضوا لهم حاجهم ، ويشفوا مرضهم ، ويعينوم على أعدائهم من زوج وقريب وجار ووطي ، وأعدائهم من الأجانب قد شادوا حكومتهم ، واستندلوا أمتهم ، واستأثروا بمجل ثروتهم ، ولا يتصرف فيهم هؤلاء الاولياء بما يدفع عن المسلمين ضررهم وتحكمهم

(٣) ان الاصل في كل ما يحدث في العالم ان يكون جارياً على نظام الاسباب والمسببات ، وسنن الله التي دل عليها العلم ، وأخبرنا الوحي بأنه لا تغيير فيها ولا تبديل لها ولا تحويل ، فكل خبر عن حادث يقع مخالفا لهذا النظام والسنن فالاصل فيه ان يكون كذبا اختلقه الخبر الذي ادعى شهوده أو خدع به ولبس عليه فيه ، فان كان قد وقع فلا بد أن يكون له سبب من الاسباب الخفية التي يجملها الخبر كما حققه علماء الاصول في بحث الخبر وما يقطع به بذهبه منه

(*) روي لنا ان آلة الراديو الناقلة للاصوات من أوربة يعمل الكلام الذي تخمله إلى مصر وغيرها فتعكسه الآلات التي فيها . ويسمعه أهلها قبل أن يسمعه من في العنوف الخلقية من المكان الذي ألقى فيه

(٤) ان آيات الله التي تجري على غير سننه الحكيمة في خلقه لا يمكن العلم بها إلا بدليل قطعي وقد كان من حكمته ان أيد بمض النبيين للرسائل بشيء منها لاثبات حجتها ونحويف الماندين لهم ، وقد انقطعت هذه الآيات بحكم النبوة والرسالة بمحمد ﷺ وسبب ذلك أو حكمته ختم النبوة برسالته ، وجعل ما أوحاه اليه آية دائمة وهداية عامة لجميع البشر مدة بقائهم في هذه الدنيا وأنزل عليه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لعله تعالى بأنهم لا يحتاجون بعد هذا الوحي إلى وحي آخر ، ولا إلى آية على كونه من عند الله تعالى إلا هذا القرآن نفسه ، وقد تقدم بيان دلالة العقيلة العلمية على كونه من عند الله تعالى

ختم النبوة وانقطاع الحوارق بها ومعنى الكرامات

(٥) لو كان للبشر حاجة بعد القرآن ومحمد ﷺ إلى الآيات كما يدعي المفتونون بالكرامات ومخترعو الأديان والنحل الجديدة لما كان ختم النبوة معنى ، ولذلك ينكر البهائية والقاديانية ختم النبوة وانقطاع الوحي ويدعونهما للباب والبهاء ، ولقلام احمد القادياني وخلقائه بلا انقطاع ، حتى سامها الرزقة والرعاع

وقد بين شيخنا الاستاذ الامام في رسالة التوحيد كيف ارتقى التشريع الديني في الامم بارتقاء نوع الانسان في الادراك والعقل كارتقاء الافراد من طفولة إلى شباب إلى كهولة بلغ فيها رشد واستوى ، وصار يدرك بعقله هذه الهداية العقلية العليا (هداية القرآن) بعد ان كان لا سبيل إلى إذهابته لتعليم الوحي ، إلا ما يدهش حسه ويعمي عقله من آيات الكون

بين في الكلام على وجه الحاجة إلى الرسالة ان سمو عقل الانسان وسلطانة على قوى الكون الاعظم بما هي مسخرة له تنافي خضوعه واستكانته لشيء منها ، إلا ما عجز عن إدراك سببه ومنشأه فاعتقد أنه من قبل السلطان الغيبي الأعلى لمدير الكون ومسخر الاسباب فيه ، فكان من رحمة الله تعالى به « أنه أتاه من أضعاف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكانة فأقام له من بين أفرادهم مرشدين به

هادين، وميزم من بينها بخصائص في أنفسهم لا يشر كم فيها سوام ، وأيد ذلك زيادة في الاقتناع بآيات باهرات تملك النفوس، وتأخذ الطريق على سوابق العقول ، فيستخذي الطاع ، وبذل الجامع ، ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع إلى رشده ، وينبهر لما بصر الجاهل فيرتد عن غيه »

ثم قال في رسالة محمد ﷺ : نبي صدق الانبياء ولكنه لم يأت في الاقتناع برسائله بما يليق الابصار ، أو يحير الخواس ، أو يدهش المشاعر ، ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له ، واختص العقل بالخطاب ، وحاكم اليه الخطأ والصواب ، وجعل في قوة الكلام ، وسلطان البلاغة ، وحة الدليل ، مبلغ الحجة وآية الحق الذي (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

لا يمكن اثبات معجزات الانبياء إلا بالقرآن

(٦) انه لا يمكن إثبات معجزات الانبياء في هذا العصر بحجة لا يمكن لمن عقلها ردّها إلا هذا القرآن العظيم ، وما ثبت فيه بالنص الصريح منها ، بناء على إنكار العلماء الواقفين على كتب الاديان التي قبل الاسلام — حتى كتب اليهود والنصارى — وعلى تواريخها لتواتر ما ذكر فيها من الآيات والاشباه في كونها خوارق حقيقية ، وحجتهم ان التواتر الذي يفيد العلم القطعي غير متحقق في نقل شيء منها ، وهو نقل الجمع الكثير الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب لخبر أدر كونه بالحس وحمله عنهم مثلهم قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل بدون انقطاع ، وإنما يكون استحالة تواطؤهم على الكذب بأمور أهمها عدم التحيز والتشيع لمضمون الخبر وعدم تقليد بعضهم لبعض فيه . وآية صحة هذا التواتر حصول العلم القطعي به وإذعان النفس له ، وعدم إمكان رده اعتقاداً ووجداناً ، وهذا غير حاصل في آيات الانبياء الاولين عندهم .

وأما آية القرآن فهي باقية ببقائه وكل واقف على تاريخ الاسلام يعلم علماً قطعياً أنه متواتر تواتراً متصلاً في كل عصر ، من عصر الرسول الذي جاء به إلى الآن ، وأما الذي يخفى على كثير منهم فهو وجوه إعجازه وقد شرحنا شبهتهم عليه وبيننا بطلانها في هذا البحث ، وإذ قد ثبت بذلك كونه وحياً من الله تعالى فقد وجب

الإيمان بكل ما أثبتته من آياته في خلقه سواء أكانت لتأييد رسله وإقامة حججهم أم لا ، وكما يجب على كل مؤمن به أن يؤمن بها ، يجب أن يؤمن بانقطاع معجزات الرسل بعد ختم النبوة بمحمد ﷺ

وإذ كان لا يجب على مسلم أن يعتقد بوقوع كرامة كونية خارقة للعادة بعد محمد خاتم النبيين ﷺ فلا يضر مسلماً في دينه أن يعتقد كما يعتقد أكثر عقلاء العلماء والحكماء أن ما يدعيه الناس من الخوارق في جميع الأمم أكثره كذب وبعضه صناعة أو شعوذة وأقله من خواص الأرواح البشرية العالية

(٧) إن الثابت بنصوص القرآن من آيات الأنبياء المرسلين للمينة قليل جداً . فما كانت دلالاته قطعية من هذه النصوص فصرفه عنها بالتحكم في التأويل الذي تأباه مدلولات اللغة العربية ارتداد عن الإسلام ، وما كانت دلالاته ظاهرة غير قطعية وجب حملها على ظاهره إن لم يعارضه نص مثله أو أقوى منه ، فإن عارضه فحينئذ ينظر في الترجيح بين المعارضين بالأدلة المروفة

﴿ خلاصة الخلاصة لهذا الفصل ﴾

إننا نؤمن بأن الله تعالى هو خالق كل شيء بقدرته وإرادته ، واختياره وحكمته ، وأنه « أحسن كل شيء خلقه » كما قال في سورة ألم السجدة ، فهو « صنع الله الذي أتقن كل شيء » كما قال في سورة النمل ، وأنه ليس في خلقه تفاوت ولا فطور ، كما قال في سورة الملك ، وأنه خلقه بنظام وتقدير لا جزاء ولا إنفا كما قال في سورة القمر (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقال في سورة الفرقان (وخلق كل شيء قديره تقديراً) وقال في سورة الحجر (وأنبتنا فيها من كل شيء موزوناً » وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)

وإن له تعالى في نظام التكوين والابداً ، وفيما هدى إليه البشر من نظام الاجتماع ، سناً مطردة تتصل فيها الأسباب بالمسيبات ، لا تتبدل ولا تتحول بحياة لأحد من الناس ، وإنها عامة في عالم الأجسام وعالم الأرواح ، وقد ورد ذكر هذه السنين باللفظ في عدة سور

و نؤمن بان له تعالى في خلقه آيات بينات ، وان له في آياته حكما جليلة أو خفية ، وان مامنتنا إياه من العقل والشرع بأبيان علينا أن نثبت وقوع شيء في الخلق على خلاف ما تقدم بيانه من نظام التقدير وسنن التدبير ، إلا بمرهان قطعي يشترك العقل والحس في اثباته وتمحيصه ، وانه لا بد ان يكون وقوعه لحكمة بالغة لاعن خلل ولا عيب ، وانه ما خفي علينا من حكمة كسائر ما يخفي علينا من أمور خلقه ، نبحث عنهما لتزاد علما بكماله نكمل به أنفسنا بقدر استطاعتنا ، ولا نتخذها حجة ولا عذراً على الكفر به لجهلنا ، وقد ثبت لا علم العلماء منا أن ما مجهل من هذا الكون أكثر مما نعلم ، ويستحيل أن يحيط البشر به علماً .

و نؤمن بان الله تعالى قد منحنا رسلاً هدوناً بآياته إلى الخروج من مضيق مدارك الحس ، وما يستنبطه الفكر منها بادي الرأي ، إلى ما وراءها من سمة عالم الغيب ، ولولا هدايتهم لظل البشر ألوف الألوف من السنين يذكرون وجود ما لم يكونوا يدركونه بحواسهم من الأجسام وأعراضها ، وبقياسهم ما جهلوا على ما علموا منها .

وقد علمنا من التاريخ ان الايمان بالله وبآياته لرسله وباليوم الآخر وبما يكون فيه من الحساب والجزاء على الاعمال هو القوي وجه عقول البشر إلى البحث في أسرار الوجود حتى وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الارتقاء في العلوم والفنون والصناعات في الاجيال المختلفة ، ولم يكن لتغير المؤمنين بالتيب نصيب في ذلك — فهذا الايمان بالاركن الثلاثة من الغيب القوي أوصل البشر إلى علوم وأعمال كان يدها غير المؤمنين بالتيب من محالات العقول كالغيب القوي أنكره ، ولم يعد شيء من أخبار الغيب بعيداً عن العقل بعد ثبوتها

فتبين لنا بهذا وبما قبله انه كان للبشر بآيات الانبياء ثلاث فوائد هي من حكم نصبه تعالى لتلك الآيات (الاولى) جعلها دليلاً حسيّاً على اختياره تعالى في جميع أفعاله وكون سنن النظام في الخلق خاضعة له لا حاكمة عليه ولا مقيدة لارادته

وقدرته (الثانية) جعلها دليلاً على صدق رسوله فيما يخبرون عنه بوجه ونزراً لعمادتين لهم من الكفار ، ولو كانت مما يقدر عليه البشر بكسبهم أو تقع منهم باستعداد روعي لما كانت آية على صدقهم (الثالثة) هداية عقول البشر برؤيتها إلى سمة دائمة للمكنات ، وضيق نطاق المحال في المقولات ، وكون الشيء بعيداً عن الاسباب المعتادة والأمور الممهودة والسنن المعروفة ، لا يقتضي أن يكون محالاً يجرم بعدم وقوعه ، وبكذب الخبر به ، مع قيام الدليل على صدقه ، وإنما غاية أن يكون الاصل فيه عدم الثبوت فيتوقف ثبوته على الدلائل الصحيحة وهذه قاعدة كبار علماء الكون في هذا العصر ، فلا ينقصهم لتكميل علمهم إلا ثبوت آية لله تعالى لا يمكن أن يكون لها علة من سنن الكون

ولكن الامر قد انقلب إلى ضده فان كثيراً من الذين وصلوا إلى هذه العلوم والاعمال القريبة لا يأت الرسل وما دعوا اليه من الايمان بالغيب من القول قد صارت هذه العلوم نفسها سبباً لانكارهم ما كان سبباً لها وموصلاً اليها (وهو الآيات والايان بالغيب) — لا إنكار امكانه بل إنكار ثبوته بالفعل ، فهم ينكرون أن يكون الخالق قد فعل ما صاروا يفعلون باقداره وتوفيقه نظيراً له في الخراية ، وكان ينبغي لهم أن يجعلوه دليلاً عليه مبنياً لحقيقته كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)

حفظ البشر من ارتقاء العلم بدون الدين

ان حرمان هؤلاء العلماء من الايمان بآية لله تعالى من هذا النوع قد جعل حفظ البشر من هذا الارتقاء العجيب في العلم انهم ازدادوا به شقاء حتى صارت حضارتهم مهددة بالتدمير العلمي الصناعي في كل يوم ، وجميع علماءهم المصلحين وساستهم الدهاقين في حيرة من تلاقي هذا الخطر ولن يتلافى إلا بالجمع بين العلم والدين ، وهذا ما جاهد به محمد خاتم النبيين ، ولأجله أثبت الآيات بكتابه وفي كتابه المبين ، إذ لا يمكن ان يخضع البشر إلا لما هو فوق استطاعتهم ، بقيام الدليل على انه من السلطان النبي الالهي الذي فوق استعدادهم ، وسنبين هذا الجمع فيما يأتي من هذا البحث للثبت لا عجز القرآن

فتاوى المنار

(أكل لحم الخنزير : هل يشمل شحمه وكل ما يؤكل منه ؟)

(م ٥٠) استفتي في هذه المسألة زميلنا الكريم الأستاذ سيف الدين رحال الشهير بمحرر جريدة الفطرة الثراء وناموس مؤتمر الجمعيات العربية بالبرازيل فأجاب عنها بالجواب الآتي التضمن لحكمة التحريم وأرسله إلينا لنشره في المنار ونعلق عليه رأينا في الفتوى فلم يسعنا إلا إجابته . وهذا نص ما جاءنا منه مبدوءاً بخطابه للمستفتي دون خطابه لنا الذي تركنا نشره بطوله

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الصالح السيد أحمد حديد أدام الله بركته عليه آمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلني فتواكم حال انتقاد
(مؤتمر الجمعيات الاستقلالية السورية العربية) للبحث في قضية الاستقلال وما
يرتبط بها من القضايا المتعددة وليس في الامكان إجابته بالتفصيل فأبدر بالابراز
مرجئاً التطويل لفرصة أخرى :

نذكر هنا نص سؤالكم ونجيب عليه حسب معلوماتنا القاصرة ونستقد
من هوأ كفي منا في هذا الميدان ، فلاخير عليكم أن تلجئوا إلى مساحته فانكم ولاشك
تجدون فيها خيراً جواباً وخيراً سنداً

﴿السؤال﴾

تقولون : « ما هو المحرم أكله في الخنزير ؟ هل هو لحمه فقط أم لحمه وشحمه وكل
نافيه ؟ ترجو الافادة شرعاً ولكم الفضل والثواب » .

﴿الفتوى﴾

(حكم كتاب الله في ذلك)

نجيب على سؤالكم بالإيجاز:

إن آيات التحريم في القرآن قد وردت بصيغة التخصيص في أن المحرم من الخنزير لحمه ، فقد ورد في سورة المائدة قول الله تعالى (حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والنخلة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع - إلا ما ذكيت - وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق ، اليوم ينس الدين كفروا من دينكم فلا تخشواهم واخشوا ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فمن اضطر في خصية غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم . يسألونك ماذا أحل لهم قل : أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله أن الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات الخ ...)

وورد في سورة البقرة قوله عز شأنه : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم)

وورد في سورة الانعام قوله جل جلاله : (قل لأجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة ، أو دماً مسفوحاً ، أو لحم خنزير فإنه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم) .
فالناظر في الآيات المذكورة يجد أن لحم الخنزير محرم تحريماً قطعياً وورود النص المبرح فيه ، سواء ورد لفظ «لحم» بالمعنى الحقيقي أم ورد بمجاز مرسل مراداً به كل الخنزير ، فإن كان ورود المعنى لاجل الحقيقة فظاهر كون لحم الخنزير حراماً . وإن أريد المجاز فالمعنى أن الخنزير كله لحمه وشحمه ودهنه وكبدته وطحاله

محرم ، فيكون تحريم الجزء الاكبر مراداً به الكل ، هو تحريم قطعي للكل أيضاً أي لما بقي من الكل غير اللحم . فمن أصر على أن لفظ «اللحم» وارد وقاصر على معناه الحقيقي جاز لها القول بالتحريم القطعي في اللحم وبالظني في غيره اذا قام عليه دليل من السنة والاجماع أو قياس أهل الحل والعقد ، فان لم يقم كان التحريم ظنياً من باب سد القرينة . اذ في تحريم الكل سد ذريعة اقتناء الخنزير للانتفاع بما هو غير اللحم مما يعيل المترخص الى تحليله جهوداً عند النص ، وفيه قطع دابر ما يؤدي اليه الانتفاع من التفريط في التحريم للمحرم بحجر المنفعة لما دونه المغنون في حله . ولا يصح ضرب المثل بضرورة منع زرع العنب والتمر منعاً لاستخراج الخمر منها ، فانه مثل فاسد لوجود الفرق العظيم في الأمرين لان شحم الخنزير ودهنه وكبد وطحاله موجودة فيه بالذات ملاصقة لما حرم الله بالنص بصريح اللفظ والمعنى ، وانما الخمر محدثة يأنم عاصرها وبائعها ومشربها وحاملها والمحمولة اليه لشربها . ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قد قال : (تلك حدود الله فلا تقربوها) ومعنى ذلك أن للحلال حدوداً ينتهي عندها حيث ينتدئ الحرام فاذا تطرف المرء فقد ينتهي منها الى الحرام أو يختلط عليه آخر المحلات بأوائل المحرمات فيلج أبواب الشبه والالتباس فجاءنا الله منها فانها أبواب الرية والحيرة . وانك لتجد في آية الانعام قوله تعالى (أولحم خنزير فانه رجس) . والهاء في (إنه) يحتمل أن تعود على لحم الخنزير كما يحتمل أن تعود على الخنزير نفسه ، بل قال النحاة ان الضمير يعود على الاقرب . فالقول بان تأكيد النعت بالرجس راجع الى الخنزير ذاته صحيح ، وهو تشنيع وصف الله به عبادة الاوثان في شبه عنها بقوله : (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) كما وصف به الخمر والميسر (والانصاب والازلام) في آية أخرى .

ثم قد وردت صيغة التحريم في آية البقرة بصيغة الحصر (بأنما) كما وردت في سورة الانعام حصراً (بالا) . ولكن الحصر وارد هنا لبيان أن الله جل شأنه لم يحرم على المسلمين جميع ما حرمه على غيرهم من الامم الاخرى وانما حرم عليهم ما ذكره فقط من المحرمات قليلة المدد التي ذكرها وتكرم بحمل غيرها مما دعا الى

يأس الخالفين الذين ذكرهم بقوله: (اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم. واخشون). وقد ذكر في آيات التحريم من قواعد سنته ما فيه يسر للمسلمين فذكر ثلاث قواعد هي أصل التشريع الصحيح عند العلم والاجتماع:

﴿ القاعدة الاولى ﴾ - تحليل الطيبات. (يسألوئك: ماذا أحل لهم؟ قل أحل لكم الطيبات - اليوم أحل لكم الطيبات)

﴿ القاعدة الثانية ﴾ - إن تحريم الله لما حرم لم يكن لمجرد التحريم بل لغاية اسمي. وهي تطهير الانسان من الواجفات الحيوانية كاكل الموتى ولعق الدم المسفوح أو أكل ما هو رجس سواء أكان لغيره أم لما فيه من الجرائم المؤذية، ولتبرئته من الفسق والشرك الخفي بتجنبه استيعاب ما ذبح للأوثان أو لنير الله مطلقاً مثل ما ذبح على النصب الخ

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ - منع الحرج عن الانسان وإرادة اليسر له لا المسر بالترخيص له بالاستعمال عند الضرورة (فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه. إن الله غفور رحيم - فن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم - فن اضطر في مخمصة غير متجانف لأثم فإن الله غفور رحيم)

فاذا تقرر ذلك جاز لنا أن نسأل: هل شحم الخنزير ودهنه وكبدته من الطيبات أم لا؟ والجواب على ذلك يمكن معرفته بتقرير أهل العلم العادلين في هذا الصدد. وأنا ذاكر لك ما يحضر في فيها وأنا في مجال بعيد عن المراجعة والتفصيل.

طلعت في دليل (كشر نوقتش) الطبي تحت كلمة (تريكنة) ما معناه «التريكنة» جرثومة خبيثة توجد خاصة وعلى الغالب في لحم الخنزير ولها تأثير سيء جداً في الجهاز الهضمي وعلى المصران ولا تموت إلا بعليان يبلغ (٧٥) درجة من الحرارة. بميزان (فرنهيت) فإذا صادفت انساناً لا استمداده على تحملها فقلما ركنه ساياً بل قد تقضي عليه في أقل من ٢٤ ساعة.

وقد ثبت علمياً أن شحم الخنزير وكبدته خاليتان كاملاً من هذه الجرثومة الضرة. وقد كنت طالعت في كتب أخرى عن الجرائم ما اتفق في التقرير مع المرشد المذكور، ولكني قرأت أيضاً في كتب الطب فوجدت بعضها في حال وصفه.

للجرب والجذام والحكة يقول: «إنها تنتج في بعض الاحيان فيمن يفرط في أكل شحم الخنزير ودهنه أو في ذريتهم» ومن هذه الكتب كتاب (ادرس نفسك للاستاذ الكبير الفارس دي توليدو) (١)

فأنت تستخلص من ذلك أن شحم الخنزير خال من الجرثومة المضرّة إلا انه يرث على الغالب كثيرا من الامراض المؤذية مباشرة لآكله ولورثته من بعده، فهو بذلك لا يدخل بين الطيبات ولا يعطي حكما فيكون تحريم لآكله ولو تحريما ظاهريا جازا من باب الحيطة وسد الدرية، اذ لم يثبت تحريمه القطعي بالنص الصريح ولقد طالت فتوى على مذهب الامام مالك عند حدثي ولا ادري ابن طالعنا بعدم حرمة شحم الخنزير ولا ادري مقدارها من الصواب ولا يبعد استفتاء علماء بذلك في امكانكم استشارتهم أو استشارة كتبهم وربما عدت فكتبت اليكم بتفصيل عند خفة علي الكثير والله سبحانه وتعالى أعلم . الخادم الفقير سيف الدين رحال

(تليق المنار على الفتوى)

قول (أولا) ان احلاق لفظ اللحم في تحريم الاكل يشمل الشحم وكل ما يؤكل منه من كبِد ورتة وقلب وطحال وكليتين ومعى وغدد: يشمل هذا بالنص الاموي الحقيقي كما حققه القاضي أبو بكر بن العربي المالكي فقد قال في تفسير آية البقرة من كتابه أحكام القرآن ما نصه : اتفقت الامة على أن الخنزير حرام بجميع اجزائه والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه ، وقد

(١) - ومع ذلك فشحم الخنزير يستخدم في صنع بعض العقاقير مثل (الديادرمين) وهو صابون قشطي مرهمي ناصع البياض يستخدم في الامراض الجلدية ومن خواصه تنعيم البشرة وإزالة الجلد حظه من الجمل (والديادرمين) تتألف من شحم الخنزير المسلى والبوتاسه الكاوية والفلسرين ومثله (الكوتيدرمه) وهي تتألف منه ومن البوتاسه فقط ، وغير ذلك من المرامم والقشطات الكثيرة الداخلة في اداة التجميل والتحسين النسوي وفي الطب قال قول بجواز استخدامه يرجع الى الحكم بنجاسته او طهارته وليس هذا مجاله .

شفت للتبذعة بأن تقول فما بال شحمه بأي شيء يحرم؟ وهم أجامح لا يعلمون أنه من قال «لحما» فقد قال «شحما» ومن قال شحما فلم يقل لحما، اذ كل لحم شحم، وليس كل شحم لحما من جهة اختصاص اللفظ وهو لحم من جهة حقيقته اللحمية، كما أن كل حمد شكر وليس كل شكر حمدا من جهة ذكر النعم، وهو حمد من جهة ذكر فضائل النعم. ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء أنه نجس وقال مالك أنه طاهر الخ اه المراد منه (ثانيا) ان الفقهاء قد أجمعوا على تحريم أكل كل ما يؤكل من الخنزير أطلق الجمهور حكاية الاجماع واستثنى بعض المفسرين بعض الظاهرية وهو مبني على ان مدلول لفظ اللحم ما هو معروف عند العوام من جسم الحيوان المتصل بأعضائه المماسكة بعظامه دون ما في جوفه مما ذكر

(ثالثا) إذا قيل ان إطلاق لفظ اللحم في الآيات مجاز مرسل من إطلاق الجزء على الكل أو معظم الشيء على جملة فانه يصح الاستدلال بالآية على تحريم ساذكر كله عند غير الحنفية من أصحاب المذاهب الثلاثة وعلى الكراهة التحريمية عندهم لانهم يشترطون في التحريم الدلالة القطعية من النص وليس هذا منها (رابعا) ان علة تحريم أكله وهي الضرر الجسمي والادبي كما حققه الاطباء متحققة في كل ما يؤكل منه، فيكون تحريم اللحم بالنص وتحريم غيره بالقياس المساوي (خامسا) ان الخنزير نجس العين عند جمهور الفقهاء طاهر عند الامام مالك. ولعل الاستاذ سيف الدين رأى فتوى بطهارة الخنزير عند مالك وطهارة ما يتخذ من شحمه أو يدخل فيه شحمه كالصابون فنسبها ثم ظن أنها فتوى يحل أكل شحمه. وجهلة القول أن كل ما يؤكل من الخنزير محرم فأما لحمه فينص القرآن والخبر عندنا أنه يشمل الشحم وكل ما يؤكل منه. وبالإجماع على قول الجمهور به وعدم اعتدادهم بمن خالف فيه من الظاهرية، وأما شحمه على القول بأنه لا يسمى لحما والاعتداد بخلافه بعض الظاهرية. فبدلالة المجاز من إطلاق المقصود بالذات وإرادة كل معناه وبالقياس وقد سبق لنا في المنار وفي التفسير أثبات قول الاطباء بضرره الشديد في البدن بكونه سبب داء الدودة الشريطية، وضرره في الاخلاق كما أثبتته بعض المجريين فما أفنى به الاستاذ سيف الدين الرجال صحيح في جملة

الوجود والمادة والقوة والخالق عز وجل

(رأي الاستاذ الامام في الحدوث والقدم *)

حضرة الاستاذ صاحب الكوكب المنير

قرأت فيما نشره الكوكب أمس (السبت) من ترجمة مذكرات مستر ولفرد. بانث المشهور ما ذكره من حديث الاستاذ الامام مع الفيلسوف سينسر في عقيدة المسلمين في الخالق عز وجل وفي حالة أوربة والشرق ، وما ذكره من حديثه هو مع الاستاذ الامام في علم الله تعالى بالجزئيات ، وفي قدم المادة والخالق عز وجل فأما حديث أستاذنا مع الفيلسوف سينسر فقد كان يسطه لنا بعد عودته من أوربة ورأيت كلمة عنه في مذكرة له ونشرت هذا وذلك في للنار وفي الجزء الاول من (تاريخ الاستاذ الامام) فراجعوه في (ص ٨٦٨) من التاريخ إن شئتم وأما حديثه مع مستر بلنت في الخالق وعلمه وقدم المادة في أثناء عودته من زيارة الفيلسوف فلم يذكر لنا عنه شيئاً ، ولكننا نجزم بأن ما نقله عنه مستر بلنت من انقول بقدم المادة خطأً سببه عدم فهمه لما قاله الاستاذ الامام لدقته وكونه من اصطلاحات كلامية وفلسفية لم يعرفها عقله ولم يألفها فهمه . واننا قد تلقينا عنه هذا البحث معلولا مفصلاً في الكلام على الوجود من درس للنطق حتى قلنا مع أذى الاساتذة الذين حضروا ذلك الدرس : اننا لم نفهم معنى الوجود إلا في هذا اليوم ، وفي الكلام على الوجود الواجب والوجود الممكن من رسالة التوحيد ثم في مباحث أخرى من دروس التفسير وأهمها الكلام على المادة والقوة الذي أثار إشكالا في بعض الاذهان اقتضى أن يوضحه الاستاذ كتابة ، وقد نشرت رأيه وما كتبني في إيضاحه في الجزء الاول من التفسير

أقام الاستاذ الامام البراهين العقلية القطعية على حدوث العالم قولاً وكتابة

(*) نشرنا هذه المقالة في جريدة كوكب الشرق الغراء في ١٢ من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٥١ رداً على حديث لمستر بلنت مع الاستاذ الامام فهم منه أن الاستاذ قاله له إن المادة قديمة

وقدم خالقه واجب الوجود وحده ، فلا يمكن أن يقول مستر بلنت ولا لغيره إن المادة لهذا العالم قديمة كقدم واجب الوجود ، إلا إن كان يقول بوحدة الوجود كالشيخ محيي الدين بن عربي وأمثاله من فلاسفة الصوفية الثلاثة الذين يقولون إن الوجود الحق واحد في ذاته متعدد في مظاهره وهي أعيان الموجودات في الخارج وشخصها ، وهو قد ذكر للفيلسوف سبنسر مذهب المسلمين الثلاثة في نسبة الخالق إلى العالم : مذهب السلف الذين يقولون أنه فوق جميع خلقه بائن منهم بلا تمثيل ولا تحديد . ومذهب التكلميين الذين يقولون أنه لافي داخل العالم ولا في خارجه - فيقولون كالسلف بالينونة وينصوص الملو والفرقية مع تأويلها - ومذهب الصوفية الذين يقولون بالوحدة . وهو قد صرح في رسالة التوحيد وفي دروس التفسير أنه يقول بقول السلف ، ولا يجب قول الخلف

ولكنه كان في تقرير المسائل الاعتقادية يلزم اصطلاحات علماء الكلام (إلا في التفسير) وأما في الرد على الشبهات وتقرير الحقائق الإسلامية للفلاسفة والماديين فكان يحاول تقريب الاصطلاحات العلمية المختلفة بعضها من بعض إذا كانت هي سبب الاختلاف في فهم الحقيقة ، ثم يبين أن الحق ما أثبتته الإسلام ، وقد كان الفيلسوف سبنسر يرى أن إثبات ذات لقوة المدبرة لاسر العالم وإن لهذه الذات صفات قائمة بها كما يمتد المسلمون يقتضي أنهم يقولون بتشخصه تعالى ، فأعله الاستاذ الامام باننا نقول انه موجود ولا نقول انه شخص مشخص ، بل نقول انه لا يدرك كنهه . ففهم الفيلسوف كلامه ودهش من الاعجاب به كما يقول مستر بلنت ، ولكن مستر بلنت لم يفهم كلامه كما فهمه الفيلسوف ، ولذلك سأله بعد الخروج من عنده عن علمه تعالى بالجزئيات فأثبته له ، وسأله عن قدم المادة كقدمه تعالى وادعى أنه أثبتهما معاً ونحن نجزم بأنه لم يفهم جوابه لضيق الوقت غرضنا أيضاً فخطأ في بيانه والراجع عندي في سبب ما فهمه مستر بلنت من قدم المادة إن الاستاذ الامام أراد أن يكشف له شبهة الماديين في اعتقادهم قدمها وهي استحالة وجود شيء من العدم - أو شيء من لا شيء كما يقولون - ثم يبين له حجة المسلمين على حدوثها ، فوافقه أولاً على أن العدم لا يكون مصدراً للوجود ، بل بين له كما بين لنا في دروس المنطق بالأزهر أن العدم لاحقيقة له في نفسه وإنما هو أمر اعتباري فرضي محض

وإنما الشيء الثابت هو الوجود ، وأن الوجود المطلق أزلي أبدي لان مقابله وهو
العدم المطلق محال لا يمكن ثبوته ولا تحققه ولا تصوره ولا تخيله ، وإنما يتصور
العدم الإضافي وهو نقي نسبة موجود الى موجود كعدم وجود شمسين وقرين
لهذه الارض . فتوهم الرجل من هذا ان وجود المادة قديم لان الدم محال
ثم أخذ الأستاذ الامام يبين له ان الوجود قسمان : وجود واجب لذاته ،
ووجود ممكن لذاته ، ومن الثاني أعيان العالم المادي الذي نعرفه بجواسنا وتقيس
مالم ندركه منه على ما أدركناه ، فنه ما نرى بأعيننا حدوثه بعد ان لم يكن ، ومنه
ما نعلم حدوثه بالأدلة كهذه النجوم والكواكب اللامعة فوقنا ، فلا يوجد عالم من
عداء للمادة أنفسهم يقول انها قديمة أزلية ، ومعنى كونه كله يمكننا ان ذاته
لا تقتضي الوجود في نظر العقل لثبوت سبق أعيانها بالعدم ولا فرق في نظر العقل
بين أعيانها للركبة من عنصرين أو عدة عناصر وبين عناصرها البسيطة . وكل مالم يكن
وجوده من ذاته لذاته لا لمة خارجة فلا بدله من علة وسبب يهبه الوجود ، وهذا
السبب لا يمكن ان يكون عدمياً لان العدم لا يثبت له في ذاته فيكون سبباً لوجود غيره .
— فوجب ان يكون سبب وجود للممكنات كلها هو الوجود الواجب اي الذي
له الوجود لذاته لا لمة أخرى ، وهو الذي لا يتصور عدمه ، وهو الله عز وجل .
هذا هو البرهان العقلي عندنا على حدوث العالم كله ، وكأني بالأستاذ الامام
قد ذكره لصديقه مستر بلنت مختصراً في طريقيهما من دار الفيلسوف سبنسر
إلى المحطة فلم يفهمه منه ولكن بقي في ذهنه قوله ان العدم لا يكون منشأ ولا سبباً
للوجود ، وتوهم انه يستلزم ان تكون المادة قديمة أزلية كالخالق تعالى وهذا محال .
أزيد في بيان الموضوع ان الله تعالى قال في الاجتجاج على المعطلين (ام خلقوا من
غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟) اي لا يمكن أن يكونوا خلقوا من غير شيء (او من
لا شيء كما يقال) لان العدم لا يكون سبباً ولا مصدراً للوجود ، ولا يمكن ان يكونوا هم
الخالقين لانفسهم ولا لغيرهم ، وهذا مما لا ينكرونه ، فيتعين ان يكون الخالق لم هو
الله واجب الوجود لذاته . وما يصدق على الخطابين بهذه الحجة يصدق على غيرهم من
الممكنات الوجود عاقلها وغير عاقلها كعناصر المادة بالاولى ، واذا أمكن الجدل والراء
في جزئيات الممكنات فلا يمكن الراعي جملتها . واني أذكر هنا عبارة رسالة التوحيد

في ذلك لاستاذنا وهو قوله بعد بيان حقيقة الواجب والممكن والمستحيل ما نصه :
 « جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة ، وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه
 الوجود ، فجملة للممكنات الموجودة محتاجة بتمامها الى موجد لها . فاما ان يكون
 عينها وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه ، واما ان يكون جزأها وهو
 محال ، لاستلزامه ان يكون الشيء سبباً لنفسه ولما سبقه إن لم يكن الاول ، ولنفسه
 فقط ان فرض أول . وبطلانه ظاهر — فوجب ان يكون السبب وراء جملة
 الممكنات (اي غيرها) : والموجود الذي ليس بممكن هو الواجب ، اذ ليس
 وراء الممكن إلا المستحيل والواجب ، والمستحيل لا يوجد ، فيبقى الواجب —
 فثبت ان للممكنات الموجودة موجداً هو واجب الوجود »

ثم أورد البرهان من وجه آخر أخصر وأدق من هذا . وقد علم من هذا وما
 قبله من مقدماته وما بعدها من الكلام في الوجود الواجب وما ثبت لواجب الوجود
 عز وجل وحده من التقدم انه يستحيل ان يقول صاحب هذه البراهين ان المادة
 قديمة أزلية ، وان للعقول ان يكون السبب في فهم مستر بلنت ما ذكر منه هو ما فصلناه ،
 أو يكون الكلام في القدم القوي أو الإضافي ، وهو قدم عناصر المادة على مركباتها
 والكتاب بهذا المقالي طريقة غير طريقة شيخه الاستاذ الامام الفلسفية في
 إثبات حدوث المادة في مناظراته للقائين يقدمها جدلاً أو اعتقاداً بينتها في مواضع
 من مجلة النار منها مناظرة بيني وبين صاحبي المقطف منذ ثلث قرن تقريباً .
 ملخصها ان جميع ما نعرفه من هذا العالم المادي والارضي حادث بالاتفاق بين العلماء
 ولكنهم يتخبطون في تصور تكوينه وتصويره بصورة معقولة ولا يزالون مجمعين
 على ان منشأ الكون ومصدره الاول مجهول الكنه مع الجزم بأنه موجود ذو قوة
 أوحكة يدل عليها النظام العام في جملة وفي كل نوع من أنواعه ، او جنس من
 جناسه وهو ما نعبّر عنه بالسن أو النواميس ، وهذا الموجود المجهول كنهه وحقيقته
 المألومة صفاته بما يدل عليها من العالم ، هو الذي نسميه نحن بالاصطلاح العلمي
 واجب الوجود ، وبالاصطلاح الديني « الله رب العالمين »

هذا وانه قد ثبت عند علماء المادة ان عناصرها البسيطة قد تتحول بعضها إلى بعض
 كتحول غاز الراديوم إلى عنصر الهليوم وفقاً لنظريته وحدة المادة في الاصل ، ونظريته

٥٩٢ قولهم ان موجات الكهرباء سبب وجود الكون النار : ج ٨ م ٣٢

من قال من فلاسفتنا وفلاسفة اليونان ان الواحد لا يصدر عنه إلا واحد - تقريباً
ثم ثبت أخيراً أن القوة تتحول الى مادة او تصدر عنها مادة . ومن المعلوم
ان كنه المادة وكنه القوة مجهولان ، وكنه القوة أعرق في الخفاء من كنه المادة ،
فصح لنا معشر المؤمنين بأن الله تعالى خالق كل شيء . أن نقول لهؤلاء الماديين
ان هذه القوة التي صدرت عنها المادة هي قدرة الله تعالى ، وهي عندنا مجهولة
الكنه ، كما ان ذات الخالق تعالى مجهولة الكنه *

وقد بينت هذا البحث في مقال طويل عنوانه (السنن الكونية والاجتماعية ونظام
الكون) نشرته في الجزء الاول من مجلد النار - مجلد هذا العام قلت فيه مانصه :
« ومالي لا آتي إلى أساس هذا الكون والسنن التي قام بها تكوينه في
الاطوار المختلفة ، ألم يكونوا يقولون إنه مؤلف من مادة ذات عناصر بسيطة وقوة
هي منشأ التركيب الذي حدثت بها الصور المختلفة في العالم كله ؟ »

« قد هدم هذا الاساس إن لم يكن بما ثبت من تحول عنصر الى عنصر ،
فما ثبت من ان مانسميه المادة والقوة اصطلاح لا تعرف له حقيقة ، وان هذا
الوجود الذي نعرفه في أرضنا وسمائنا ليس سوى مظهر من مظاهر موجات
الكهرباء - وان كل ذرة من ذراته تتألف من كهارب سلبية تدور حول كهرب
إيجابي (والكهرب هو الوحدة من الكهرباء) وهذه الكهارب لا يمكن أن يقال
إنها مادة ، ولا انها قوة ، وانما حقيقتها مجهولة - إلى ان قلت :

« فإذا كانت المادة تصدر عن القوة كما قالوا (أولاً) فما المانع من القول بان
هذه القوة هي قوة الله وقدرته ؟ واذا كان الوجود الممكن كله مظهرًا من مظاهر
تموجات الكهرباء المجهولة الكنه كما قالوا (أخيراً) فأبيد قولهم هذا وقول
اتباع الوحي : ان الوجود الممكن الظاهر ، صادر عن الوجود الغيبي الباطن ؟ وقول الله
تعالى يصف نفسه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم »

(*) لا يبعد ان يقول بعض أدياء العلم الجاهلين الجامدين اذا اطلع على هذا ان
صاحب النار ينكر وجود الله تعالى ويقول كما يقول الماديون ان مادة العالم صدرت عن
قوة مجهولة هي التي نسميها الخلق . فيجعل برهاننا الذي أقننا به بالحجة على وجود
الخلق وأقنعناهم به عين انكار وجوده عز وجل ، كما فعل في مسألة اللائكة
والقوى الطبيعية ، وهكذا يقلب الجامدون المحرفون الحقائق بالجهل وسوء النية

*) ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين

وَذَكَرْ فَإِنَّ اللَّهَ تَكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

سلام عليكم أيها المتذكرون المذكورون بتاريخ هذا الرجل العظيم، المتقدي لوطانكم
وأممتكم من عدوان المعتدين، المجاهد في سبيل الله لاعلاء كلمة الحق والعدل،
بصد سيطرة العرب عن الشرق،

لقد أحسنتم صنعا بإحياء هذه الذكرى، واختياركم لها تاريخ معركة حطين
الكبرى، التي كانت هي الفاصلة، لأن معارك النصر بعدها كانت متواترة متعاقبة،
إلى أن تم طرد تلك الزخوف الباغية، عن هذه البلاد المقدسة، وعن غيرها من
البلاد العربية، حتى جزيرة العرب التي شرفها الله تعالى على جميع الأرض ببيت
الحرام، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد كان بعض
زعماء الأفرنج ياتمون بفتح الحرمين الشريفين، ولاغرو، فإن ثالث الحرمين أقرب
إلى أبواب اليهما، وقد عاد الأمر كابدا، فهل نجد على نار الأحداث للشاهدة هدى،..
أيها الأخوان المجتمعون لهذه الذكرى المقدسة، في هذه الأرض المقدسة،
إنكم قد رفعت من بلادكم وأممتكم كلها عارا كبيرا وتقصيرا معييا بالسكون والسكوت
حننا إلى الآن، وهم يرون شعوب العرب يتنافسون في إحياء ذكرى معارك الحروب
التي هي دونها من كل وجه، وأما الرجال العظام فانهم ينصبون لهم التماثيل، وأن
كانوا عندهم دون صلاح الدين عندنا، ويؤلفون في مناقبهم الكتب التي ترفع
ذكرهم، وتعظم قدرهم، وترشد الأمة إلى الاقتداء بهم

فنسب التماثيل ممنوع في الإسلام لانهم شعائر الوثنية، وأما تصنيف الكتب
والإناء المخطب في غير التاريخ فكل منها مشروع، لانه من الحكمة والموعظة الحسنة،

(*) خطاب لنا أتى في حفلة هذه الذكرى بمبغا في ٢٥ ربيع الآخر

وقد دون بعض علمائنا تاريخ صلاح الدين ، ونوهوا بمجاهده ومناقبه في كتب أخرى ، ولكن جمهور الامة يجهلها ويحتاج الى التذكير بها ، بالاسلوب الذي يبعث العبرة ، ويحمل النفوس على حسن الاسوة

فضائل صلاح الدين كثيرة : من قوة إيمان ، وعلو أخلاق ، وصلاح أعمال ، وعدل أحكام ، ولكن منته الكبرى على أمة الشرق كافة ، وعلى العالم الاسلامي والعرب خاصة ، انما هي كفايته ايام طغيان الاستعمار الغربي ، والطوفان الاوروبي ، الذي فاضت سيوله باسم التعصب الصليبي ، في زمن كانت فيه جميع الشعوب الاوربية في ظلمات حالكة من الحمجية والقسوة والخرافات والجهل المطلق ، والبعد الشاسع عن هداية الدين المسيحي الصحيح ، الذي ارتكبوا جميع الشرور والفظائع باسمه ، ووالله انهم قد كانوا ومازالوا أبعد خلق الله عن دين المسيح فضائل المسيح ووصايا المسيح عليه الصلاة والسلام ، ولولا صلاح الدين لا غرق طوفانهم الشرق كله منذ القرن السادس للهجرة ، فاهلكوا الحرث والنسل ، وطمسوا نور الحق والعدل ، وأفسدوا جميع الارض ،

لم يكن صلاح الدين رحمة من الله تعالى بالشرق وحده ، بل كان رحمة بالعرب وبموكرو قواده الوحشيين والهمجيين وشعوبه المظلومين أيضاً ، فقد أراهم بمجاهده فيهم ، وينصر الله عليهم ، ما طبعه عليه الاسلام من الحق والعدل ، والرحمة والفضل ، وعلو الاخلاق والشيم ، فان كانوا قد خسروا بسيفه نتيجة الحرب كلها ، فقد ربحوا بمعرفة فضائله وفضائل امته ما كان خيراً لهم ولشعوبهم منها .

رأوا من صلاح الدين ، ومن أمة صلاح الدين ، ومن جيوش صلاح الدين ، وعلوهم من أمر دعايا صلاح الدين من اليهود والمسيحيين ، خلاف ما كانوا يعلمون من ملوكهم وشعوبهم ، ورؤساء دينهم ودنياهم ، وما زال علماءهم ومؤرخوهم يحلونّه وينوّهون بفضائله ، ولم تنس سورية ما كان من عاهل ألمانياة الاكبر عند زيارة ضريحه في دمشق من إجلاله له ، ووضع ذلك الاكليل على قبره .

رأوا أن سلطان المسلمين خادم للامة ، لا يتمدى سلطانه عليها لتنفيذ الشريعة ، فلا سلطان له على أموال الناس ولا على دماءهم ولا على نساءهم ، ولا تحكمه في أنفسهم ولا في شرهم

فضلا عن عقائدهم وآرائهم، بل هو أرقى بهم من آدابهم وأهماتهم وأولي أرحامهم (*)
 رأوا أن المسلمين أحرار في دينهم وضماؤهم، ليس عليهم سيطرة باباوية ولا
 كنسية فيها، على خلاف ما كان عليه ملوك أوربة ورؤساء الدين فيها من استبداد في
 الأحكام، واستبداد للناس، رأوا بأعينهم وسمعوا بأذانهم وعلوا باختيارهم،
 أن كل ما حاجتهم به الكنيسة لقتال المسلمين من الخطب والقصاص والانشيد فهو كذب
 وبهتان، ورأوا أن النصراني يعيشون مع المسلمين كالأخوان، لهم مالهم، وعليهم
 ما عليهم، بل لهم أكثر مما عليهم. فلما اتقلبوا مغلوبين على أنفسهم في الحرب، رجعوا
 عليها باللائمة، وشعروا بحاجتهم إلى تقليد المسلمين والاقتداء بهم في عدل حكامهم
 وحرية شعوبهم، وتقييد تلك السلطة المطلقة والسيطرة المقدسة التي استبدت بهم
 فكان انكارهم في ممالك النزال هو الحافز لهمهم، والمثير لافكارهم والمرشد
 لهم إلى الإصلاح السياسي والديني، وما يتوقف عليه من استقلال العقل، وحرية
 العلم، ففتحوا عن جهادنا إلى جهاد أنفسهم،

جاهدوا ناعدا أجيال، ثم جاهدوا ملوكهم وكنيستهم عدة أجيال، وطفقوا
 يترجمون كتب حكمانا وأطبائنا وفقهائنا وأدبائنا، يثقون شعوبهم بها، على حين
 كنا نعود القهقري بتخريب الأعاجم لبلادنا، ودكهم لمنازل قوتنا، وقويضهم
 لصروح حضارتنا، وإغراقهم لكتبنا، ثم بقضائهم على سلطان خلافتنا،
 وإضعاف لفتنا، وإمالة علومنا، وإذلال نفوسنا بسلطة عسكرية قاهرة استنزفت
 ثروة عمراننا، وألحقنا بمنابيت الشيع والقيصوم من جزيرتنا

هذا - وإن هؤلاء الأوروبيين لم ينسوا عداوتنا مشر العرب، فقد كانت لنا
 عدة ممالك عربية في شطر افريقية الشامي قضوا على استقلالها كلها بأبماء مختلفة،
 حتى أنهم كانوا هم الحائلين دون تأسيس السلطنة (الامبراطورية) العربية التي
 (*) شكوا إلى السلطان صلاح الدين أحد ممالكهم المتميزين لديه بالخطوة والاثرة
 مستعدا على جمال ذكر أنه باعه جملا معيا أو صرف عليه جملا هيب لم يكن فيه
 فقال السلطان له ما نسي أن اصنع لك والمسلمين قاض يحكم بينهم والحق الشرعي
 مبسوط للخاصة والعامة وأمره ونواهيه ممتثلة وإنما ناعبد الشرح وشخصته والشحنة
 عندهم صاحب الشرطة فالحق يقضي لك أو عليك اه من رحلة ابن جبير

شرع فيها محمد علي الكبير في مصر وسورية والسودان، وأكرهه على أن يظل خاضعاً
 للسياسة العثمانية عدوهم الكبير في الشرق ، لعلمهم أنها سائرة الى الانحلال
 والاضمحلال، وان الدولة المصرية الجديدة حية داخلية في سن الشباب ، ثم ما زالوا
 يترصون الدوائر بالدولة العثمانية ، إلى أن تم انحلالاتها في الحرب العامة الاخيرة، فكان
 حظهم من انحلالها الاستيلاء على ولاياتها العربية، والاعتراف باستقلال ولاياتها
 التركية وحدها، وإعلان الحماية على مصر العربية ، ولما اضطرتهم الثورة المصرية
 إلى إلغاء هذه الحماية والاعتراف باستقلال مصر قيدوا ذلك بقيود تجعل الاستقلال
 اسماً لغير مساهم الاقوي والسياسي، وعجلوا بالاستيلاء بالسودان كله، فطردوا منه
 موظفي الحكومة وضباط الجيش من المصريين ، حتى ان حاكم السودان الانكليزي
 لم يسمح لحكومة مصر بثولية ملكها لقاضي السودان الشرعي ، على انهم لا مساعدة
 مصر والحجاة العريبتين لهم في الحرب، لكن النصر فيها للألمان والترك ، وزال
 الاستعمار البريطاني والفرنسي من الارض .

فلمن ذلك كله ان دول أوربية العسكرية الاستعمارية تمد الامة العربية أعدى
 أعدائها في الشرق ، وان وجودها فيه ذنب لا يقاس به ذنب ، ولذلك جزتها على
 مساعدتها لها على قتل الترك بما تطلون وتشاهدون، وتسمعون وتذوقون ، وانما
 تشاهدون ظلاماً لا يصبر عليه إلا غير الحي والوند ، وتسمعون من الذئد ما يدل
 على أن المستقبل المد لكم، شر من الحاضر الذي يعتكم، وتذوقون من حرارة الفقر
 والذل ما لا يوصف بالقول ، فان الذوق أقوى أنواع الادراك فلا يحتاج الى الوصف
 وإنكم أنتم يا عرب فلسطين ، ويا من شرفكم التاريخ بمعركة حطين ، قد
 خصصتم بما لم يصب به أحد من العالمين ، من الظلم والقتل والمذاب المهن ، لافرق
 فيه بين المسلمين والمسيحيين ، بما تحشره الدولة البريطانية في وطنكم من شذا اليهود
 الصهيونيين ، لتطردكم منه وتعيد فيه ملك اسرائيل ، تكدياً لوعيد الله لهم على
 لسان المسيح ومحمد عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم .

على أن هذه الدولة للشهورة عند أدباء أوربية وساستها بالرياء الفرنسي قد
 صفت الاستيلاء على القدس بالصيغة المسيحية ، ووصفت هذه الحرب بأنها آخر

الحروب الصليبية ، وأقامت الاحتفالات لفتح أورشليم في الكنائس الانكليزية ،
 فلينظر مسيحيو أورشليم والناصرية وبيت لحم وسائر البلاد التي تشرفت بولادة
 المسيح ونشأته ، وتجوالة ومبشئته ، وسميع أجدادهم فيها مواعظه العالمية ، ووصاياه
 الاصلاحية السامية ، ورأوا آياته وعجائبه الدالة على صدقه ، وتكذيب أعدائه
 الذين طعنوا وما زالوا يطعنون في دعوته ، ويقذفون أمه العذراء الطاهرة سيدة نساء
 العالمين ، بما برأها الله منه على لسان رسوله محمد خاتم النبيين ، ومجاهد البهتان العظيم
 لينظر هؤلاء المسيحيون ماذا كان من حظهم من هذا الفتح المسيحي الصليبي ،
 الذي هو أجدر أعمال الانكليز باسم الرياء الفريسي ، ولينفذوا ان صفتهم
 كانت تكون أخسر مما هي لولا كنائس أوربة المسيحية وشعوبها المسيحية ودولها
 المضطرة الى مراعاة شعورهم ، وحسبهم مما هم فيه تفضيل أعداء المسيح الصهيونيين
 عليهم ، وجعل وطنه ووطنهم ، ليقبموا فيه مسيحيهم الذي يجدد لهم ملك داود وسليمان
 المادي الذي يزعمون أن أنبياءهم بشروهم به ، ويكذبون ابن مريم الصادق الامين ،
 الذي قال مؤيداً بروح القدس إنه هو المسيح الحق الذي بشر به أولئك النبيون ،
 وان ملكه سماوي لا أرضي ، وروحي لا مادي ، فانهم كانوا وما زالوا عبيد للمادة ،
 فاذا جاءهم ملك مادي لا يزيدهم إلا طغياناً وغلوا في عبادة المال ، وانما كانوا
 وما زالوا في أشد الحاجة الى تلك التعاليم الانجيلية الروحية التي تصدهم عن هذه
 العبادة للعدل ، والطمع والاثرة على الناس ، حتى بفضتهم الى أكثر شعوب البشر ،
 فان تجددهم ملك وهم على ما يعلم جميع الناس فانهم لا يكونون إلا كإله عز وجل
 (أم لهم نصيب من الملك ؟ فإذا لا يؤتون الناس نقيرا) حتى لا يستطيع أحد أن يعيش
 معهم ولو فقيرا (النقيير البكتة في ظهر نواة التمرة وهي كناية عن الشيء الحقير)
 أيها العرب السكرام : المحتفلون بذكرى السلطان صلاح الدين العربي المدنا في
 كما روى ابن خلدون المؤرخ الشهير - وبذكرى معركة حطين العربية الفلسطينية -
 يجب أن يتبوا في الامة العربية كلها أن الخطر عليها من الاستعمار الاوربي في هذا
 الزمان ، بل في هذا العام ، أكبر وأخطر مما كان قبل معركة حطين الفاصلة ، وان
 ما يجب عليها لدفع هذا الخطر من الجهاد بالاموال والانفس ، هو أعظم وأشق مما

قام به أجدادهم في حطين ، تحت لواء صلاح الدين ، فجازوا بالنصر المبين
 ربما يتوهم بعضكم أنني أعني بهذه للشقة أن الامة العربية لا تملك ما يملك
 المعتدون عليها ، والجادون في السعي لاستعبادها ، من المدافع والديابات والطيارات
 والاساطيل ، فقاتلهم بمثل سلاحهم كما أوجب الشرع عليها ، كلا ان هذا أهون
 الخطرين ، وإنما الخطر الأكبر الذي يندفع باندفاعه كل مادونه هو قتال العرب
 بالعرب ، وتخريب بيوتهم بأيديهم ، بما يبذله هؤلاء المستعمرون لهم من مال
 يستأجرونهم به لقتل أنفسهم ، وما هو الا مما يسلبونه من بلادهم في الحال أو المآل ،
 وبما يستخدمون به طلاب الامارة والوزارة وما دونهما من المناصب لخيانة
 أمتهم وهدم معازل استقلالها ، وإتباعها ألقاب باطلة لا يخرجون بها عن كونهم
 خدما أذلة للمستعمر السالب لسلطانهم الصحيح ، ومجدهم التليد ، فلمنة الله على
 أمثال هذه الامارات والوزارات والمناصب الصورية المدنسة برجس الخيانة ،
 وعلى هذا السحت الذي يبيعون به أوطانهم لاعدائهم

وان أمة يعيش فيها أمثال هؤلاء الخونة مكرمين ومخدومين مزينين بألقاب الجلالة
 والعظمة ، والسمو والفخامة والسعادة ، لا يمكن أن تكون أمة عزيزة مستقلة ، بل لابد ان
 يسلب منها ما بقي لها من استقلال ومال وشرف وحرية ، إلا أن تتوب الى ربها ، وتبحث
 شجرة الخيانة من بلادها كاهاء ، فالامة العربية مستعدة للحياة ، ولا تلبث بعد تطهيرها
 من هؤلاء الانذال ، أن يظهر فيها مثل صلاح الدين فيقودها الى الوحدة ومجد الاستقلال
 لا أقول لكم عاقبهم بمثل ما عاقبت وتماقبت به الامم الحية أمثالهم ، وما أشار به
 حكيم الشرق وموقفه السيد جمال الدين الافغاني قدس الله روحه في معالجة فتنهم ،
 بل أقول ان ما دون ذلك من العقوبة الأدبية قد يفضي الى تطهير الامة من رجسهم
 العقوبة الأدبية يملكها الكتاب والخطباء والشعراء والمصنفون والجمعيات العلمية
 والاجزاب السياسية ، فلي هؤلاء كلهم أن يتعاونوا على تنفيذ العقوبة بما ينظمون من
 القضاة والمقاطيع والاغاني الوطنية في تشهيرهم ، وتشويه خيانتهم ، وتسجيل اللبنة عليهم ،
 وبما يلقون من الخطب في مثل هذا المحفل الحافل ، وفي الاندية والسماع والساجد ،
 وبما يكتبون من المقالات التاريخية والاجتماعية في المجلات والجرائد ، وبما يصنفون

المنار : ج ٣٨ م ٣٢ ملجوب من عقاب اكار الحونة للامة من عمل ومقاطعة ٥٩٩

من الكتب والرسائل ، وبما يلقنون من علم الاخلاق والاجتماع لطلاب المدارس
وأما الاحزاب السياسية فعليها فوق هذا أن تسعى لاسقاط سلطتهم ،
وتأليب الامة عليهم ، وإجباط كل سعي لهم في تأليف عصبية لهم في أي عمل من
أعمالهم ، حتى لا يجدوا في الامة رجلاً قادراً على العمل يكون آلة للاجنبي للهندي
على بلادها ، أو آلة للآلة الخائن لها ، فان لبعض الامور السلبية من التأثير
والبلاد في بعض الاحوال ، ما لا يكون للحديد والنار

أندرون أيها الاخوان لماذا رفع الانكليز الحجابة عن مضر...؟ إنهم لم يرفعوها
لما قتل الثائرون من رجالهم القليلين ، وإنما رفعوها للثورة السلبية التي اتفق عليها
للموظفون في الحكومة بامتناعهم من حضور الدواوين ، واشتغالهم فيها تحت سيطرة
الانكليز ، بل ما تسعى للانكليز احتلال مصر الا باستمداء حكومتها إياهم على
حلاب النصفه والاصلاح من شعبها ، وبخيانة الخطوة من إياها لها ، (وقد بينا
هذا في تاريخ الاستاذ الامام الذي هو التاريخ الوحيد للهنديين المصريين والاسلامية)
ثم لم يتمكنوا من سلب نفوذ حكومتها وجعلها آلة صماء في أيدي مستشاريهم
ومن دونهم الفشتين وغيرهم ، إلا بأيدي تلك الجماعة التي كانوا يسمونها مجلس
النظار أو الوزراء ، وأطلق عليها شيخنا الاستاذ الامام اسم (جمعية الصم البكم)
وإنكم لتجدون أيها الاخوان للثورة السلبية في هذه الايام مثلاً أكبر وأوسع
حما كان في الثورة المصرية ، وهو الثورة الهندية ، ولكن ينقصها أن ساسة الاكثريين
من الوثنيين ، قد عجزوا عن ارضاء جميع الزعماء من المسلمين ، ولواثق الفريقان
كما اتفق المسلمون والقبط في مصر ، لا يمكنهم أن يعمموا ثورتهم السلبية بعدم
التعاون مع الانكليز على أعمال الحكومة ، وبعدم دفع الضرائب لها ، وإذا
لكن استقلال الهند قاب قوسين أو أدنى .

أيها الاخوان — أيها العرب الكرام

إنه لا خير لكم في هذا الاحتفال ولا فائدة لكم من هذه الذكرى لسلفكم ،
إلا إذا استفزكم للجهاد في حفظ ما بقي لامتكم العربية من الاستقلال في جزيرتها ، منبت
شجرتها ، وموطن قوتها ، ومصدر حضارتها ، ومأرزها عند شفتها ، وفي استرداد

٦٠٠. ما زال ولا يزول شيء من ملك المسلمين الا بأيديهم. النار : ج ٨ م ٣٢ .

ما فقد من بلادها ، ولا تهولتكم عقامة المعتدين الحربية ، ولا ثروتهم المالية ، فانكم اذا جمعتم كفة أمتكم ، وذهبت لنبد الخوة الذين يقاتلكم الاجني بهم ، فان شعوب أوربة العاقلة المقصدة لن تسمح لحكوماتها الطامعة بتجهيز جيوش صليبية جديدة : مجهزة بالآلات الحربية الحديثة لفتح جزيرتكم ، والاستيلاء على الحرمين كما استولوا على الثالث ، وإنما يفعلون كل شيء من إذلالكم بكم ، وانزاع بقية استقلالكم بأيديكم ، كما قلنا آنفا لكم ، وقلنا ذلك وكتبناه من قبل لقراء مجلتي (النار) وتفسيرنا وتغيرهم في بعض الصفح

ومما كتبناه في مباحث هذه المسألة خاصة مارواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان (رض) مرفوعا إلى النبي ﷺ قال : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها ، وأعطيت الكافرين الأحمر والأبيض . وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة (أي القحط) وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضهم (أي ملكهم وسلطانهم ومستقر قوتهم) وإن ربي قال لي : يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهللكم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضهم ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا » صدق رسول الله ﷺ في كل ما بشر به وأتذر — وما كان إلا صادقا ، وما كان خيره عن الله إلا حقا ، فقد أعطى الله أمته كل ما وعدا ، وما سلب أعداؤها شيئا من بلادها ، ولا سلطوا على شعب من شعوبها ، إلا بمساعدة المسلمين أنفسهم إياهم على أنفسهم ، كما علمه كل واقف على تاريخ الاستعمار ، وآخره استيلاؤهم على هذه البلاد العربية من فلسطين الى العراق . فالى متى تسكت الامة للخوة الذين رضوا أن يكونوا شر سلاح للاجانب تفتح بهم بقية بلادها ، لتقضي على البقية القليلة من ملكها ؟؟

الاخوان الدينية والقومية

هذا - وانني أوصي إخواني في الدين وإخواني في القومية العربية والوطنية بالحذر التام من التفريق بينهم بدسائس الاجانب الطامعين ، وأعوانهم من الوطنيين للنافقين للأجورين ، وللمتصبيين للزورين ، الذين ينفون التفريق بينهم باختلاف

الدين، فان مصالحتهم القومية والوطنية واحدة، وقوميتهم واحدة، ولفتهم واحدة، وانهم المسلمين لا يرون في اخوة الدين الروحية ما يمارض اخوة القومية، لان الله قد أثبتهمافي كتابه العزيز، فقال في الاولى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم) وقال في الثانية (كذبت قوم نوح المرسلين) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين) وقال مثل ذلك في اخوة هود وصالح الرسولين العرييين وغيرها لأقوامهم المشركين وان المظالمين على التاريخ من اخواننا في القومية العربية يعلمون أن دولنا العربية لم تفرق بين المختلفين في الدين في العدل، والمساواة في حرية الاعتقاد والعبادة. والنفس والعرض والمال، وأن بني الصليبيين وتصميمهم وما سفكوه من الدماء البريئة باسم الصليب ونزعة الدين المسيحي إفكاً وزوراً لم يكن له من التأثير بين المسلمين والنصارى في هذه البلاد العربية عشر معشار ما كانوا يظنون، بل كان الجميع يعيشون متحدين متعاونين في أمور دنياهم، وكل منهم حر مستقل في أمور دينه، على قاعدة الشرع الاسلامي [لهم ما لنا وعليهم ما علينا] فلم يستطع الصليبيون الازلون ولا الآخرون أن يفسدوا علينا من اخواننا في القومية ما أفسده علينا خلفهم من اخواننا في الدين والقومية مما يحجب الامارة والوزارة والمال

أذكر في هذا شهادة لعالم مسلم عربي النسب والادب، أوربي الوطن، وهو الرحالة ابن جبير الاندلسي الذي مر ببلادنا سائحاً بعد عودته من الحجاز في عهد الحرب الصليبية سنة (٥٨٠) فإنه قال في رحلته عند ذكر جبل لبنان الذي كان فاصلاً بين البلاد الساحلية التي احتلها الصليبيون وبين غيرها و ذكر من كان في هذا الجبل من عباد المسلمين ما لفظه:

« ومن العجب ان النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به أحد المنقطعين (أي للعبادة) من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون هؤلاء ممن انقطع إلى الله عز وجل فتعجب مشاركتهم، وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا في أنواع الفواكه، وفيه المياه للطردة، والظلال الوارفة، وقلما يخلو من (أهل) التبتل والزهادة، وإذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض؟ » ومن أعجب ما يتحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى»

ورعنا يلتقي الجماع ويقع المصاف بينهم ،ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم « إلى أن قال بعد ذكر حرية التجارة للجميع بين البلادين «مع الاتفاق والاعتدال في جميع الاحوال ، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم ،والناس في عافية ،والدنيا لمن غلب - هذه سيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين وملوكهم كذلك « انتهى

ولا يخفى على أحد منكم ايها الاخوان في هذا العهد أن هؤلاء الاجانب المستعمرين لأنهم لم في بلادنا إلا استعبادنا وسلب ثروتنا ، وانه لافرق عندهم بين المسلمين والنصارى في ذلك ،ولكن الانكليز يفضلون اليهود على النصارى كالمسلمين في فلسطين لان لهم ربحا ماليا وسياسيا من مساعدتهم ، فهم يدفعون ان يكونوا مانعا من بقاء هذه البلاد للعرب وحدهم ،فان لا دون تأسيس الوحدة العربية التي شعر القلاء في جميع البلاد العربية بوجوب التعجيل بتأسيسها قبل قطع المستعمرين طريقها عليهم *

وكذلك تفعل فرنسا بتفضيل النصارى عامة والماورنة خاصة على الطوائف الاسلامية ،وانما غرضها من ذلك التفریق بين الطوائف حتى لا يكون لهم وحدة قومية ولا وطنية ،والدولتان ماديتان مالبتان ،والدين عندهما من بضائع التجارة المعنوية ،ومنها ما لا ربح له إلا في المستعمرات ، فلذلك تساعد فرنسا الجزويت في مستعمراتها (وهي ترى أن سورية ولبنان منها) ولكنها لا تسمح لهم بالمقام في بلاد فرنسا نفسها فظهور هذه النية السوءى من الدولتين الماديتين للعرب مسلمهم ومسيحيهم أفضل فرصة تمكنهم من جمع كلمتهم ،والحرص على قوميتهم ، ووحدة أمتهن ، فلم يبق عاقل متعلم منهم يفهم الدسائس الاستعمارية التي كانت تلحذع الفريقين بما يحملهما به على التصادم ، فتخوف للنصارى من كثرة المسلمين ، وتقرى المسلمين بالنصارى لميلهم إلى أعداء أمتهم وبلادهم ، وقد أحبطت مصر العربية هذه الدسيسة ، وان

(*) ولما زحفوا الانتداب عن العراق لفتك ثورته وشدة شكيمة ودهاء ملكه وكثرة قفاته واستبدلوا به معاهدة تمكنهم من استغلال ثروته وحفظ مواصلات الامبراطورية فيه والتسكن من هوية سلطتهم العسكرية من حوله

أهل سورية وفلسطين لأشد شعوراً من أهل مصر بحاجتهم الى الاتفاق والوحدة ، فجميع زعمائهم يدعون اليهما إذا كان سعد باشا قد افرد بقوة وفده بإتمامهما في مصر ، وان للجميع من تاريخ الدول العربية خير قدوة فيه

أيها الاخوان في القومية والوطن

ان الغلو في العصبية الدينية لم تعرفه البلاد العربية ولا الامة العربية الا مما بثته فيها الحرب الصليبية ثم المدارس الاوربية ، فقد كانت المدارس هي التي دستهم التفريق والتماذي في دسم العلم والحضارة الغربية ، لان الدين تغلوا في مدارس الافرنج أحسنوا غلظهم بهم ، وجهلوا مقاصدهم منهم ، وسبب ذلك أنهم لم يكن لهم دولة رشيدة ولا جمعيات قومية توجه أولادهم الى التربية والتعليم الذي يعزز الدولة وينهض بالامة ، وانما كان الرجل يعلم ولده لاجل الاستعانة بعلمه على أسباب المعيشة . وكان المستعمرون ودعاتهم الذين ربوهم وعلبوهم يظنون ان بلادنا اذا آل امرها اليهم يسقط الدولة الثانية فان أهلها يكونون من اغنى الناس وأمر البشر ، لافرق بينهم وبين الافرنج محرابهم في شيء ، وكانوا يثبون لهم هذه الدعاية . فلما زال سلطان الدولة العثمانية عن البلاد ظهر لاولئك الدعاة وسائل الناس ان الدولة العثمانية كانت أبر وارحم منهم ، لانها كانت الى آخر عهد السلطان عبد الحميد ترضى من البلاد بقليل من الضرائب وتعي من رشوة الحكام ، وتترك لهم الحرية في اديانهم ومذاهبهم ولقائهم وقومياتهم وتربيتهم وتعليمهم وكسبهم ، وما كان في آخر العهد الحميدي من الضغط السياسي فسيبه خوف السلطان على شخصه وسلطته من أحرار قومه وأعوانهم

وظهر لهم وتغيرهم أيضاً أن هاتين الدولتين لا يتركان لاهل البلاد (التي رزنت) بنفوذهم وما سموه بالانتداب لمساعدتهم على استقلالهم) استقلالاً ، ولا ثروة ولا قومية ، ولا وطناً ولا حرية ، ولقد رأينا أليهما ملداً في الاستعمار أشدهما وطأة علينا في هذه البلاد المقدسة ، فقد ابتدع انتداباً فياً بدعاً من الظلم لم يسبقها اليه أحد من الظالمين المستبدين ، وهو بة وطننا الى أوزاع وأشتات من شعب

ذي اثره وعصبية تستثيت منها جميع شعوب الارض، حتى إننا نرى أرقى هذه الشعوب في كل علم وعمل وقوة وهو الشعب الالماني يخاف منه وينأونه، فإذا يرجو الشعب الفلسطيني الصغير الفقير الضعيف من البقاء معه؟ وأنى يأمن اخوانه في شرق الاردن على أرضهم وديارهم ومعايشهم، وهم يعلمون أن أرض فلسطين وحدها لا تكفي اليهود لتأسيس وطنهم القومي وإعادة ملك إسرائيل، فلا بد لهم من شرق الأردن وما ضمه الانتداب اليها من أرض الحجاز، بل لا بد لهم من إعادة ملك سليمان كله؟؟ ونحن أولى منهم بإعادة ملك العرب كله أو ما تقطنه الشعوب العربية منه على الأقل، فانه لا حياة لنا ولا بقاء فيما دون ذلك، بل لا حياة لنا في أوطاننا التي نسكنها ونملك رقبة أرضها منذ قرون طويلة إلا بإتحادها كلها، وتعاونها على إحياء الحضارة العربية والعمران الذي تقتضيه علوم هذا العصر وفنونه، ونجعلها ركنا من أركان السلم العام، وهي أكبر خطر عليه الآن بضعفها وطمع العالمين فيها

الجامعتان العربية والاسلامية

أيها القوم :

لا يطوفن في خاطر أحد منكم أن الجامعة الاسلامية التي كثر حديث الافرنج عنها وحسبانهم لما كل حساب تغارض ما قام عليه الدليل من وجوب الجامعة العربية وتوقف حياتكم عليها، ولما يدعو اليه كثير من سياسة الشرق من وجوب تأسيس جامعة شرقية أيضا، فان كل جامعة من هذه الثلاث لها دائرة خاصة بها، من حيث يؤيد بعضها بعضا في دفع عدوان الغرب عن الشرق كله

يا قوم : إن الواضع لهذه السياسة الشرقية من جميع أركانها وجوانبها هو حكيم الشرق الاكبر وموقفه من رقاذه السيد جمال الدين الافغاني، وكان معينه الاكبر عليه وناشره بلسانه الفصيح القوال، وقله البليغ السيال، شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصري، وقد شرحت ذلك في المنار وفي تاريخها الخافل المستقل وأتبعناهما فيه، وما كان الزعيم السيامي الكبير (سعد باشا زغلول) الذي وحده القومية المصرية مع حرية

كل ذي دين في دينه إلا ربيب الشيخ محمد عبده وتلميذه، وما تلقى هذه السياسة إلا منه، كما شرحنه في هذا التاريخ وأيدناه ببعض خطوط سعد باشا منقولة فيه برسمها الشمسي العكسي، فالوحدة القومية والوطنية، لا خلاف فيها بين رجال الدين ورجال المدنية

أيها الفلاسطينيون

إن لديكم شاهدين عدلين على عدم التعارض بين الجامعتين: هما جريدة الجامعة العربية في القدس، وجريدة الجامعة الإسلامية في يافا، ألا ترون كلاهما داعية إلى القومية العربية واتحاد جميع الناطقين بالضاد فيها، وأصحابهما من خيار المسلمين؟ وإن لديكم شاهداً حاضرًا يتضمن شواهد كثيرة. وهو جمل هذا الاحتفال بذكرى السلطان صلاح الدين وموقعة حطين، مشتركا بين المسلمين والمسيحيين، والداعي إليه من أشهر علماء المسلمين، وخطبائه من الفريقين

وأما الاسلام نفسه فهو أوسع صدراً مني ومن الشيخ محمد كامل رئيس هذا الاحتفال القومي الوطني، ومن سعد باشا زغلول، ومن أستاذي الجميع: الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين. بل به اعتدنا في دعوتنا هذه

الحق أقول لكم إن الاسلام يسمح لنا أن نتفق مع اليهود الوطنيين المستعمرين الذين يعيشون معنا على قاعدة شرعنا « لهم مالنا، وعليهم ما علينا » ولكنه لا يسمح لنا بأن نتفق مع الصهيونيين الأعاجم الذين يريدون سلب وطننا منا وجعله وطناً عبرانياً لهم، فنحن خصوم ملؤلاء دون سائر اليهود

قال الله عز وجل (لَا يَنْبَأُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)
لَا يَنْبَأُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

وهؤلاء الصهيوونيون يريدون إخراجنا من ديارنا، وغلبنا على أوطاننا، وإنما

هم آلة من آلات المستعمرين في قتل أمتنا كلها ، فالواجب علينا دينا وقومية ووطنية . أن نجتمع كلتنا ، ونوحد أمتنا ، وأن يستعين المسلمون منا على مسخري هذه الآلة وغيرها . في استعمارنا بالرأي العام الاسلامي ، وأن يستعين المسيحيون منا عليهم بالرأي العام المسيحي ، فهذا الاتحاد دون سواء يرجى أن ندفع هذا البني والعدوان عن أنفسنا ، فإن لم نفضل كنا نحن الظالمين لأنفسنا ، (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * ولا يظلم ربك أحدا) والسلام على من اتبع الهدى . اهـ

﴿ كلمتان كتبتهما لشايبين من اخواننا المنارية على رقعتين لهما بطلبهما ﴾

الكلمة الاولى وهي سياسية |

نواحي الحياة كثيرة والمسلون يهددون من كل ناحية منها ، وأخطر عليهم في مغرب بلادهم أشد منه في مشرقها ، فإن مستبدتهم لم يقتعوا بسبب ثروتهم وخرابهم العلمية والدنية وحقوقهم السياسية ، بل شرعوا بتحويلهم عن دينهم بطريقة علمية نظامية ، فوجب عليهم بذل النفس والتفيس لتأمين حرية دينهم وإعادة ماسباب من ملكهم بالوسائل الممكنة ، ولا يمكن أن يصيبهم من الضرر في هذا الجهاد أكثر مما هو واقع بهم والمتوقع مع الاستسلام أعظم . (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

محمد رشيد رضا

الكلمة الثانية في اختيار الكتب والصحف

كثرت في هذا العصر الصحف والكتب في الادب والسياسة وعلم الاجتياح ومرجعت فيها الآراء ، وتمازجت الاهواء ، فهي بين أهلها فوضى ، والناس في أمر مريب منها ، فقل العاقل الحريص على عمره أن يتفقه في ترقية مداركه وتركية نفسه ، واعلام كلمة ملته وبناء مجد أمته ، عليه ان يختار لنفسه من أمثل الصحف والكتب ما يضيء له سبيل العمل ، ويصممه بمآثر الزلل ، وأن يحجب ما يجذبه إليه الهوى وتستهو به فيه اللهذات ، أما آفة العقل الهوى والسلام على من اتبع الهدى .

محمد رشيد رضا

وكتب في القاهرة - بتاريخ شوال سنة ١٣٥٠

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام وحظن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

(تابع لما نشر في الجزء الماضي وما قبله)

الطلاق

وما في معناه من فسخ وخلع وإيلاء وظهار، ومراعاة حقوق النساء في ذلك.

٤٨

﴿ مقدمة في أسبابه وحكمه عند أهل الكتاب وإسراف الإفراج فيه ﴾

(والاسباب المتقضية للفراق)

ان من مصلحة الزوجين التي تقتضيها القطرة ويوجبها الشرع ويؤيده العقل. أن يذل كل منهما جهده لاقامة حقوق الزوجية المشتركة بينهما بالتحاب والتواد والتعاون والتسامح مع الاخلاص في ذلك كله ، فان سعادة كل منهما رهينة بسعادة الآخر ، وخدمتهما للانسانية لا تم إلا به - وما أطلق على كل منهما اسم «زوج» الذي مدلوله «اتان» إلا لان انسانية كل منهما تتم بالآخر فهو به يكون زوجا. ويكون انسانا ينتج أنامي منه، وكل تقصير يمرض لمآتي ذلك فوباله عليهما معاً سواء وقع من كل منهما أو من أحدهما، فمن ثم وجب عليهما تلافيه بالحسنى والصبر والمفارقة والغفر، وأنزل درجات المعاملة بينهما أن تكون بالتناصف والعدل، فان عجزا عن أداء الحقوق وإقامة حدود الله فيها، وعز عليهما الصبر، كان علاجهما الاخير هو القراق - تفادياً من الشقاء الدائم بالشقاق

ومن ثم كان مشروعا في التوراة معللا ببعض الشرور التي تقتضيها . والذي دون في الشريعة عند اليهود وحجى عليه العمل ان الطلاق يباح بغير عذر كغبة الرجل بالزوج بأجل من امر أنه ولكنه لا يحسن بدون عذر . والاعذار عند قسبان : عيوب الخلقة ومنها العيش والحول والبخر والحذب والمرج والعقم وعيوب الاخلاق وذكرها منها الوقاحة والزفة والوساخة والشكاسة والعناد والاسراف والهمة والبطنة والتأني في المطامع والفتنة وأي امرأة تخلو من ذلك كله ؟ والزنا أقوى الاعذار عديم خفي في الاشاعة وان لم تثبت الا أن لا يسبح عليه السلام لم يقر منها الا علة الزنا . وأما المرأة فليس لها أن تطلب الطلاق مهما تكن عيوب زوجها ولو ثبت عليه الزنا ثبوتا وكان الطلاق مبرورا عند غير أهل الكتاب من الوثنيين ومنهم العرب ، وكان يقع على النساء منه ظلم كثير عند الجميع فجاء الاسلام فيه بالاصلاح الذي لم يسبقه اليه سابق ولم يلحقه به لاحق كسائر ما جاء به من الاصلاح

واكن خصوم الاسلام من الافرنج ومقلديهم كانوا يدون الطلاق من أقبح مساوي الشريعة الاسلامية على إصلاحها فيه حتى اضطروا الى تقريره والاسراف فيه بما لا يبيحه الاسلام وجعله حقا شتركا بين الرجال والنساء

وأما الاسلام فقد جعل الطلاق من حق الرجل وحده لانه أحرص على بقاء الزوجية التي أُنق في سبيلها من المال ما يحتاج إلى إنفاق مثله أو أكثر منه إذا طلق وأراد عقد زواج آخر ، وعليه أن يعطي المطلقة ما يؤخر مائة من المهر ، ومتبعة الطلاق ، وان يشق عليها في مدة العدة وقد تطول على رأي بعض الفقهاء ، ولانه بذلك وبمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على ما يكره من المرأة فلا يسارع إلى الطلاق لكل غضبة غضبها ، أو سيئة منها يشق عليه احتمالها ، والمرأة أسرع منه غضبا وأقل احتمالا ، وليس عليها من تبعات الطلاق وشقاته مثل ما عليه ، فهي أجدر بالمبادرة إلى حل عقدة الزوجية لادنى الاسباب او لا لا يعد سببا صحيحا إن أعطي لها هذا الحق والدليل على صحة هذا التعليل الاخير أن الافرنج لا يجولوا طلب الطلاق حقا للرجال والنساء على السواء كثر الطلاق عندهم فصار أضعاف ما عند المسلمين ، وقد جاء في الإحصاءات التي نشرتها الصحف في هذا العهد أن نسبة الطلاق إلى عقود

الزواج في أمريكا بلغت ٢٠ في المائة كما تقدم في مناسبة أخرى (*) ولن تبلغ هذه النسبة في البلاد الإسلامية واحداً في المائة ولا في الالف أيضاً إلا أن يكون في مصر وما قرأناه في الصحف من اخبار طلب نساء الانكليز للطلاق الذي قبل وحكم به ان احداً من طلبت الطلاق لان زوجها كان غير لحيه عندما تزوج بها ثم اطلق لحيته فسأله القاضي عن السبب فقال انه يرى اللحية جمالا ولا للرجل فلم يقبل عذره وحكم بالطلاق وان امرأة أخرى طلبت الطلاق لان زوجها لا يلتزم تغيير لباسه بحسب التقاليد بأن يلبس اللبائنة لبوسها والسهرة لبوسها فكان هذا ذنباً مقبولاً موجباً لاجابة طلبها ومن احكام الطلاق عند اليهود ان من لم يرزق من زوجته بذرية مدة ١٠ سنين وجب عليه ان يفارقها ويتزوج غيرها - والاسلام لا يوجب طلاقها عليه إذا لم يهبها الله تعالى ولداً ولا الزوج عليها ولكن يستحب له او يتدب ان يتزوج طلباً للنسل، وان يمسك المرأة المحرومة منه ويعدل بينها وبين المرأة التي يهبه الله منها النسل، الا ان يطلب هي الطلاق وتري انه خير لها فيستحب له اجابة طلبها إذا لم يكن عنده مانع ديني يرجع به إمساكها عنده كاعتقاده ان طلاقها يكون مفسدة لها ومن احكامه عند اليهود ان الرجل متى نوى طلاق امرأته حرمت عليه معاشرتها بمجرد نيته ووجب عليه تنفيذ عزمه على الطلاق حالا .

(*) جاء في جريدة الجهاد بتاريخ ٤ المحرم سنة ١٣٥١ ١٠ مايو سنة ١٩٣٢ تحت عنوان جنون الطلاق في أمريكا ما نصه :

«أكثر من نصف مليون رجل وامرأة وطفل يتغير مجرى حياتهم كل سنة بسبب حوادث الطلاق» هذا ما ذكر في بيان احصائي أذاعته الحكومة الأمريكية وجاء فيه : ان أغلب حوادث الطلاق تقع عادة في العام الرابع بعد الزواج ... وان قضايا الطلاق قد نقصت قليلا في الثمانين الاخيرين بسبب الازمة الاقتصادية وقد كان عددهم القضايا في سنة ١٩٢٩ التي تعتبر من سنوات الرخاء ٢٠١٤٦٨ قضية حكيتها بالفصل بين الزوجين وفيهم من هذا الاحصاء أن عشرين في المائة من حوادث الزواج في أمريكا تنتهي بالطلاق وقد كانت حوادث الطلاق في سنة ١٩٢٩ بسبب حادث في كل دقيقتين.... أما في سنة ١٩٣٠ فقد نقصت الحوادث بنسبة لا بأس بها وقد ذكر البيان الآتية الدكر أنه في المدة بين سنة ١٨٦٧ وسنة ١٩٢٩ قفز عدد الطلاق بنسبة ٢٠٠ في المائة وزاد عدد السكان بنسبة ٣٠٠ في المائة وحوادث الزواج بنسبة ٤٠٠ في المائة وإذا ظل الحال على هذا النوال واستمرت زيادة حوادث الطلاق بالنسبة الآتية الدكر فلن عدل الزيجات الفاشلة قدر يربى في سنة ١٩٦٥ على ٥١ في المائة والسبب الشائع في أكثر حوادث الطلاق هو الرغبة في التمسك بالمالمة ونحوها عن الأزواج الا فاق. وقد ذكر البيان الشارح انه أن في المائة فقط من المطلقات يطلبن من أزواجهن نفقة شرعية . ٦٠ في المائة منهن يحكم لهن بالنفقة

(عوائق الطلاق في الاسلام ومراعاة حقوق النساء فيه)

الطلاق مكروه في الاسلام ولذلك وضع امام الرجل موانع وعوائق تصده عنه: (منها) التزغيب في الصبر على ما يكره الرجال من النساء من خلق وخلق وعمل بما للصبر من القوائد والثواب عند الله تعالى وبما يرجى أن يكون للمرأة المكروهة من ولد صالح يكون سعادة لاهل بيته ولائته . قال تعالى (فان كرهتموهن نفسى أن تكرهوا شيئا ويمعل الله فيه خيرا كثيرا) وفي معناها حديث تقدم في الوصايا بالنساء (ومنها) ما تقدم ياتيه من تأديب المرأة الناشئة بما يرجى به صلاحها . (ومنها) ما تقدم من بحث حكم من أهله وحكم من أهلها يذلان جهدهما في اصلاح ذات البين

(ومنها) ماورد عن النبي (ص) من ذم الطلاق ونقض الله له للتزغيب عنه كقوله « ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق » وقوله « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » رواهما أبو داود من حديث ابن عمر وكقوله « أما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة » وراه أصحاب السنن إلا النسائي وابن حبان والبيهقي من حديث ثوبان وكقوله (ص) من حديث آخر « وأن المختلعات هن المناققات » . وقد أبطل الله في كتابه كل ما كان عليه العرب من مضارة للنساء في الطلاق ونذكر بعض الآيات في ذلك من غير تطويل في تفسيرها:

فما أبطل الاسلام به ظلم العرب للنساء في أحكام الطلاق (١) تهديده البدن الذي يملك الرجل الرجعة فيه برتين ولم يكن عندهم محدوداً (٢) تحريمه أخذ المطلق ما كان أعطاه للمطلقة عند الزواج من مهر أو غيره كله أو بعضه (٣) تحريمه لمسك المرأة المطلقة في عدة بعد عدة مضارة لها (٤) تحريمه عضل أولياء المرأة أي منها بعد انقضاء العدة من الزواج مطلقاً أو الرجوع إلى زوجها بقدر جديد اذا تراخيا على ذلك بالمعروف وقد جعل الله زوجها الاول أحق بردها اذا أراد اصلاح ما كان فسد من أمر معاشرتها بالمعروف

قال الله تعالى (٢٣٩:٢) الطلاق مران فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً الا أن يخافا أن لا يقيموا حدود الله فان خفتم أن لا يقيموا حدود الله فلا جناح عليهما فيما افدت به ، تلك حدود الله فلا تمتدوها ومن يمتد حدود الله فأولئك هم الظالمون)

وقد كتبنا في تفسير هذه الآية من تفسير المنار (ج ٢) ما نصه :

كان للمرب في الجاهلية طلاق ومراجعة في المدة ولم يكن للطلاق حد ولا عدد فان كان للماضية عارضة عاد الزوج فراجع واستقامت عشرته ، وان كان لمضارة المرأة راجع قبل انقضاء الدة واستأنف طلاقاً ثم يسود الى ذلك المرة بعد المرة أو يفني . ويسكن غضبه فكانت المرأة ألموبة يد الرجل يضارها بالطلاق ما شاء أن يضارها ، فكان ذلك مما اصلحة الاسلام من أمور الاجتهاد . وكان سبب نزول الآية ما اخرججه الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة وأورده السيوطي في اسبابه النزول قالت كان الرجل يطلق امرأته ما شاء ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مئة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته : والله لا اطلقك فنيبي ولا آؤبك ابدا ، قالت وكيف ذلك ؟ قال اطلقك فكلمت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة فأخبرت النبي (ص) فسكت حتى نزل القرآن (الطلاق مرتان فامساك معروف او تسريح باحسان) اه ثم قال تعالى

(٢: ٢٣١) وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو

سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل

عليكم من الكتاب والحكمة يظلمكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم (٢٣٢) وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تمضوهن ان ينعكن

ازواجهن إذا راضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أذكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

نهي الله تعالى أولياء المرأة أن يضلوها أي يمنعوها أن تعود إلى زوجها الاول إذا رضي كل منها بذلك وإنما يكون هذا بعد انقضاء العدة بقدر جديد ومهر جديد ، وقال في الآية التي قبلها تين الآيتين (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا اصلاحا) وهي في ردها الى عصمته قبل انقضاء العدة . والافضل للمرأة ألا تعرف إلا زوجا واحداً

(منع مضارة النساء بالإيلاء والظهار)

أما مضارة الإيلاء فهو أن يغضب الرجل على امرأته فيحلف ألا يقربها، وهو الإيلاء منها، فالشرع ضرب له أجلًا أربعة أشهر فإن قاء أي رجع عن يمينه إلى أداء حق الزوجية الذي حلف على تركه غفر له ما كان فعله أو قصده من ضررها، فإن لم يفعل وجب منه الضرر بالطلاق، فبعض الأئمة يقول إن الطلاق يقع باقضاء الأربعة الأشهر ويكون بائنا لا رجعة له فيه، وبعضهم يقول يلزمه القاضي أحد الأمرين: الرجوع عن التين أو الطلاق. وأصل ذلك الآيتان من سورة البقرة (٢: ٢٢٦ و ٢٢٧) وأما الظهار فهو أن يحرم الرجل امرأته بتشبيها بأمه وكان أشهر ألقائهم في الجمالية به قوله لها، أنت علي كظهر أمي، وقد حرمه الإسلام وجعل كفرته أن يعتق عبداً قبل أن يمس امرأته فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا. ويان ذلك في أول سورة المجادلة

(حق النساء في فسخ عقد الزوجية ومخالفة الرجل)

إن حل رابطة الزوجية ثلاثة طرق فسخ الحاكم للعقد، والخلع، والطلاق فأما الفسخ فيكون بأسباب مشتركة بين الرجال والنساء كالعيوب الخلقية المانعة من أداء الوظيفة الزوجية والأمراض العضالة المعدة، ويكون بطلب المرأة إذا امتنع الرجل أو عجز عن النفقة عليها أو غاب غيبة منقطعة بشرطها. والعيوب المرضية التي كان يثبت بها الخيار في الزواج ولكل من الزوجين فسخهها من عهد الصداقة (رض) فهي الجنون والجدام والبرص وزاد بعضهم السل لما عرفوه (وفي معنى كل داء معد بالصخرة الناجية عند الأطباء) وقد صرح ابن رشد بتعليل بعضهم للبرص بالمسح للخيار والفسخ بسراجه إلى النسل. وأما عيوب الخلقة فالنصوص عليه منها ما يمنع أداء وظيفة الزوجية وهي العنة والجب والخصاء في الرجل، والرق والغفل والقرن في المرأة. وللقهاء خلاف في هذه العيوب وأحكامها، وإنما غرضنا هنا أن نبين أن الإسلام يحكم في أمثال هذه المسائل بالعدل والمساواة بين الرجل والمرأة في العيوب لأنها مشتركة قد يوجد في كل منهما ما يمد من الظلم قبول الآخر به بالإكراه، ومن قواعد

الاسلام ولا ضرر ولا ضرار (١) ثم انه يعطي المرأة حق طلب الفسخ في حالة امتناع الزوج أو عجزه عن أداء حقها لأن له في مقابلته حق الطلاق وأما الخلع فقد جعل مخرجاً للمرأة من الزوجية اذا كرهت الزوج لسبب غير الاسباب التي يثبت لها بها حق طلب الفسخ وهو أن تقتدي بما تبذله له من العوض عما بذله لها من مهر وغيره وما أفقدها بها ليرضى بحل عقدة الزوجية ويكون غير مغبون ولا مظلوم ، وخكم هذا الخلع حكم الطلاق البائن الذي ليس للرجل فيه حق الرجعة بدون قبول المرأة

٥٢

عدة الطلاق ومتنته ونفقته

من رحمة الاسلام بالنساء وحفظه لحقوقهن ودفعه الضرر عنهن ما شرعه من أحكام عدة الطلاق والوقاة ، وهي المدة التي ليس للمرأة أن تزوج إلا بعد انقضاءها وفي حال الطلاق الرجعي وهو مرتان يجوز للرجل أن راجعها بدون عقد جديد ولا مهر ، وسبب العدة الأصلي أن يعلم براءة رحم المرأة من الحمل ولذلك كانت المطلقة قبل الدخول بها لأعدة عليها . ولعدة الوقاة حكمة أخرى هي الوقاة للزوج وما شرعه الله من مراعاة حقوقهن في ذلك أن يطلق الرجل امرأته في طهر لم يقربها فيه ثلاثاً يطول عليها زمن العدة إذا كانت تعتد بالقرء وهي ثلاثة أطهار ، وأن يكون لها حق السكنى والنفقة مدة العدة للطلاق الرجعي ، وأن يمتصها عند الفراق بما يليق بثروته من نقد وغيره ، قال تعالى (٢ : ٣٣٦) وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ

وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ

الموسع التخي والمقتر الفقير ، وهو معنى قوله في سورة الطلاق

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِ اللَّهُ تَعْساً إِلَّا مِمَّا آتَاهَا ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)

هو في النفقة على المطلقات . واختلف العلماء في تمتع النساء فقال بعضهم واجبة وقال بعضهم مندوبة والتحقيق أنها واجبة غير محددة ، وأنها من تمام ما وُصف

(١) رواه الدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري

أقبحه الطلاق المشروع أنه تسريح بإحسان ولذلك جعلنا على قدر الثروة قالن لا يكون محسناً ما لم يوسع في هذه النعمة باللائق بثروته
وحكمة النعمة تطيب قلب المرأة وإزالة توم احتقار الرجل لها وأورتها به فيها .
وقد كان كرام السلف يبالغون في هذا التكريم . روي عن سيدنا الحسن بن علي (ع . م) أنه منع معاملة له بشرين ألف درهم وزقاق من غسل ، ومنع أخرى بعشرة آلاف واعتذر بقوله . متاع قليل من حبيب مفارق . وقد فصلنا هذا البحث في تفسير آية البقرة من جزء التفسير الثاني المذكورة آنفاً

٥٣

الحُداد على الزوج وغيره

النساء أرق من الرجال شعوراً بالذائد والآلام ، واستجابة لدواعي المسرات والاحزان ، ومن دأبهن التواضع على موتهن ، ومن عاداتهن الحُداد عليهن ، وكان النساء في الجاهلية يسرفن في هذا وذلك ، فيحشمن الوجوه ، ويلبسن الشعر ويحلقن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور ، وقد يقضين أعمارهن في ذلك ، وقد عد لبيد الشاعر الشهير رحماً معتدلاً في توصيته بنته قبل الإسلام بالبكاء عليه وتعداد مناقبه عاماً كاملاً مع نبيه لإيهامها عن تحشم الوجه وحلق الشعر

وكانت المرأة العربية التي يموت زوجها تعتزل الناس في شرمكان من البيت لا بسة أدنى أخلاق ثيابها ، فتظل كذلك حولاً كاملاً لا تغير ثوبها ولا تنفس ولا تنشط ولا تلهو بظفارها ، حتى إذا انقضى الحول ألقت من مكانها بحرة ثيابها به أهلها بانتهاء الحول ، فإذا خرجت تسحت بأول حيوان تجده من كلب أو داجن أو حمار وقد يموت ما تمسح به من ثوبها

وكان مما جاء به الإسلام من الإصلاح أن حرم عليهن التواضع وتحشم الوجوه وحلق الشعر وتزيق الثياب والمخروج مع الجنائز ، وأذن لهن بالحُداد على الميت ثلاثة أيام فقط إلا الزوج فقد أذن لهن بالحُداد عليه مدة عدة الوفاة التي لا يباح لهن الزواج فيها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام لتغير الحامل ، وحصر الحُداد في ترك الزينة

والطبيب وانظر السرور، وحكته ألا يظهر منهن التعرض للزواج وعدم المبالاة بالوقاية للزوج المتوفى، فان هذا يعد قصا وشينا لمن ، يعقب احتقار الرجال لمن ورعهم عنهن وتذكر هنا بعض الاحاديث في موضوع الحداد

جاء في الصحيحين والسنن الاربع وغيرها عن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة أن النبي (ص) نهى النساء أن يحددن على ميت فوق ثلاث الا على الزوج أربعة أشهر وعشرا . ومن أجمع هذه الاحاديث عندم ملرواه الستة عن حميد بن نافع قال أخبرني زينب بنت أبي سلمة بهذه الاحاديث الثلاثة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي (ص) حين توفي أبو سفيان بن حرب (والدها) فعدت أم حبيبة طبيب فيه صفرة وخلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بارضها ثم قالت والله مالي بالطبيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله يقول ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها فعدت بطيب فمست منه ثم قالت أما والله مالي بالطبيب حاجة غير أني سمعت رسول الله (ص) يقول ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر الحداد أو ذكرت نحوه . وقالت (الراوية) سمعت أمي أم سلمة تقول جاءت امرأة الى النبي (ص) فقالت ان بنتي توفي عنها زوجها وقد اشكت حينها أفنكحلها فقال (ص) « لا » مرتين أو ثلاثا ثم قال « إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت احدا كن في الجاهلية ترى بالبعرة على رأس الحول » قالت زينب كانت المرأة في الجاهلية اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا وليست شر نياها حتى تمر عليها سنة ثم تؤتى بحيوان حار أو شاة أو طير فتفرض به فقلمها فتفرض بشيء الامات، ثم تخرج فتفرض برة ثم ترمي بها ثم تراجع بعد حاشاء من طبيب أو غيره، قال مالك تفرض : تمشح به جلدها اه

ويظهر أن النبي (ص) علم من قرينة الحال ان الاكتحال الذي استندن به يراد به التريئة لا للتداوي فلم يأذن به وذكر من بالفرق بين ما كن عليه في الجاهلية من الحداد وما صرن اليه في الاسلام ، وفي الموطأ أنه أذن بالاكتحال ليلا وغسلها رآ . وحكته أن الرجال يحقرن المرأة المتوفى زوجها اذا تزيت في أثناء العدة لانه اعلام للرجال بطلبها للزواج ، وكان من عنايته (ص) يحفظ كرامة النساء ان أمر اصحابه اذا قدموا من سفر ان يلبغوا نساءهم خير بحيثهم ليستعدن للقاءهم بالنظافة والزينة وكان ينهى ان يطرقوهن ليلا بدون اعلام ثلاثا يروهن على صفة منقورة من الشماعة والفضل . وفي رواية كان ينههم أن يطرقوا النساء لئلا يتخونوهن ويطلبوا عزائهن

آداب المرأة المسلمة وفضائلها

٥٤

عموم الاحكام وحكمة ماخص به النساء

ان الاصل العام في احكام العبادات والمعاملات في الاسلام من واجب ومندوب ومحرم ومكروه ، وفي آدابه من فضيلة ورذيلة ، أن تكون موجهة إلى المكلفين من الرجال والمكلفات من النساء على السواء ، وخص الشرع الرجال ببعض الاحكام ، والنساء ببعض الاحكام كما تقدم في المسائل للماضية

وعلة التخصيص وحكمته طبيعة كل من الزوجين الذكر والانثى ووظائفه المنوطة به التي يكون بها كل منهما متمما ومكملا للآخر في تناسل النوع وترقية شؤونه ، فيكون الرجل رجلا قائما بشؤون الرجال ، والمرأة امرأة قائمة بشؤون النساء بالتعاون الذي يشعر به كل منهما انهما يكونان حقيقة واحدة يعمل كل منهما لحفظها كالأعضاء من جسد كل منهما كما تقدم أيضا

ولذلك كان النبي (ص) يعنى عن تشبيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ويلعن قاعله فقد قال « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء » (١) وقال « لعن الله المختلين من الرجال والمترجلات من النساء » (٢) وقال « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » (٣)

ومن الاحكام والآداب الخاصة بالنساء ما شرع لسد ذريعة الفساد ولحفظ شرف المرأة وكرامتها من تعدي سقواء الرجال عليها ومحاولتهم إفسادها كدأب الفاسقين في كل زمان فقلما يوجد امرأة خبيثة في العالم إلا وقد كان للفساد لها رجل خبيث او امرأة أفسدها الرجال من قبل ، وصارت تتقرب اليهم بإفساد أمثالها ، إلا الفساد الأكبر الذي اتخذ صناعة وتجارة يشترك فيها الخبيثون والخبيثات لاجل جمع المال لا لاجل الخبث نفسه

(١) رواه احمد وامسحاب السفت الا النسائي عن ابن عباس (٢) رواه البخاري في الادب بالمعروف وادبواود عنه أيضا (٣) رواه ابوداود والحاكم من حديث أبي هريرة

أمر النساء بالمبالغة بالستر وسببه

من هذا النوع من الآداب النسوية عنايتهم بالستر الدال على الحشمة والصيانة. والمانع من الرية والظننة، وقد تقدم أن ما أمر الله به من ضرب الحجاب على أزواج النبي. الطاهرات هو من هذا القليل ، ويرى القاريء بعد آية الحجاب من سورة الاحزاب. أن الله تعالى ذكر المؤمنين بملابسهم بما يبدون وما يخفون، وذكر الأزواج الطاهرات برفع الجناح عنهن في محارمهن، وأمر بالصلاة والسلام على نبيه، وأمر الذين يؤذون الله ورسوله لعنتهم في الدنيا والآخرة وعذاب المهين، وحكم على الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات باحتلال البهتان والاثم المبين . ثم قال

(٥٩:٣٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَيَسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذُنِينَ عَلَيْهِنَّ مِمَّنْ جَلْبَسِينَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)

علل الله تعالى هذا الامر بالستر بأن تعرف به المرأة المؤمنة أنها مؤمنة حرة ، فيمتنع المنافقون والفاسق من إيذاها ، فالعلة الخوف عليها من أشرار الرجال لا الخوف منها . فهي كحلة آية الحجاب ومن جنسها . وما زال الرجال يسيئون الظن بالمرأة التي تظهر محاسنها وزيفتها ، وما زالوا يؤذونها وما زالوا يطمعون فيها ، وما زال أهل الدين والعفة يصحبونها ، وناهيك بما يلقاه النساء المتبرجات في زماننا في مصرنا من إيذاء سفهاء الرجال

وسبب نزول هذه الآية ان للمؤمنات الحرائر كن يلبسن كلباس الاماء البواجر على عادات الجاهلية ، وأعمها الدرع (القميص) والخمار ، وكثيراً ما كانت المرأة تلقي القناع على رأسها وتسدله من وراء ظهرها فيكون جيب الدرع مفتوحاً على عنقها وصدرها ، وكمن يلبسن الجلابيب في بعض الاوقات دون بعض (والجلابيب المخفضة والملاء التي تلبس فوق الثياب كلها) فاذا خرجن ليلاً الى الشيطان لقضاء الحاجة يلقين الجلابيب او يسدلنها وراءهن . فكان بعض الفتيان يعرض في الطريق

لمن يرونها غير مبالغة في الستر لحسانها أمة، لان الامة هي التي كانت تتعمد إظهار عاسنها، وهي التي تبذل عرضها، فانخذ هذه العادة بعض المنافقين ذريعة لا يذاء المؤمنين حتي نساء النبي (ص) فاذا قيل له في ذلك عند العلم بفعله قل كنت احسبها أمة . فامر الله أزواجه وبناته وسائر نساء المؤمنين بأن يدين عليهن فضل جلايبهن فيسترن بها رؤسهن وصدورهن لكي يعرف انهن مؤمنات حرائر فلا يؤذين الفساق خطأ، ولا يكون للمنافق الخبيث أن يعتذر عن إيذاهن عمداً ، وأنزل الله تعالى بعد هذه الآية قوله تعالى

(٣٣ : ٦٠) لَنْ يَنْتَهِيَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُخَبِّرُونَكَ بِالْحَقِّ لَعَلَّ هُمْ
يُرْجَفُونَ فِيهَا وَفِيهَا بَعْدُهَا الْمُنَافِقِينَ وَضَعُفَاءُ الْإِيمَانِ وَمَذْهَبِي الْأَرَاغِفِ بَاغِرَاءُ
النَّبِيِّ (ص) بِقَابِهِمْ وَبَنِيهِمْ مِنْ مَدِينَتِهِ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ جَوَائِمِهِمْ مَعَ عَدَمِ ذِكْرِهَا
يَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ الَّذِي شَمَلَ تَعْرِضَهُمْ لِإِيْذَاءِ النِّسَاءِ ، وَتَجَدُّ تَفْصِيلِ مُوَضُوعِ
الْإِسْتِرْفَاءِ فِي آيَاتِ سُورَةِ النُّورِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى

(٢٤ : ٣٠) قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣١) وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ
يَتَّعِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْحَكُنَّ يَخْفَرُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ
إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ
لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ
مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ تَقْلُحُونَ

أمر المؤمنات بما أمر به المؤمنين من غض وحفظ ، وزاد عليه نهيهن عن إبداء زينتهن للرجال إلا ما ظهر منها لضرورة التعامل والقيام بالأعمال المشروعة من دينية ودنيوية . وفسره العلماء المختلفون المذهب بالوجه والكفين وبالملايس الظاهرة كالقناع والجلباب فأما غض البصر فهو خفضه وعدم إرساله فيما تأمر به الشهوة البتة كأن يكون الإنسان مطرقاً رأسه لا ينظر رجل إلى امرأة ولا امرأة إلى رجل قط ، وهذا مما يشق بل لا يستطاع ، ولذلك أمر بالغض منه لا بغضه ، ومن التبصيص وهو يحصل بعدم استدامة النظر إلى العورات وما يحرم النظر إليه . وقاعدته : النظرة الأولى لك والثانية عليك . وأما حفظ الفرج فهو مطلق إلا ما استثناءه الله تعالى بقوله (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) لأن إرسال النظر بالشهوة مبدأ كل فتنة كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
وقل : وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأما ضرب النساء خمرهن على جيوبهن ، فالمراد أن يدرن على جيوب قصصهن يسترن بها نحورهن وصدورهن ، لعدم الحاجة إلى إبداء غير وجوههن في أعمالهن على مرأى من الرجال الأجانب ، وكان النساء في الجاهلية يسدن خمرهن من ورائهن ويوسعن جيوب قصصهن لينكشف ما في نحورهن وعلى صدورهن من النقود والقلائد فيفتخرن بها

وأما من استبني الله تعالى مع محارم النساء من غير أولي الأربة من الرجال فممن الذين لا حاجة لهم في النساء كالشيخ الهرم وذي العلة الطبيعية ، والأربة والأرب خيم الحاجة المهمة ويطلق على الشهوة ومنه حديث عائشة . أياكم ملك إربه كما كان رسول الله (ص) يملك إربه ؟ كان يقبل أهله وهو صائم . وعطف على هؤلاء الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لاتحاد العلة . والمراد بعدم ظهورهم على العورات عدم فطشهم لها ورغبتهم في الاشراف عليها . وأما النهي عن ضرب النساء بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن فهو ما كان يفعله بعض النساء في الجاهلية لتذكير السامع بما في أرجلهن من الخلاخيل افتخارا بها وتشويقا اليهن . وجمهور المفسرين والفقهاء على أن النهي للكراهة لا التحريم إلا إذا كان يجمعه فعل محرر

النهي عن خلوة المرأة بالرجل وسفرها بدون محرم

ومما ورد في سند ذرائع الفساد النهي عن خلوة المرأة بالرجل والسفر بدون صحبة زوجها أو ذي محرم ومنه قول النبي (ص) « لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم » متفق عليه من حديث ابن عباس (رض) بهذا اللفظ ومن حديث ابن عمر يلفظ « لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم » وروي أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لا تسافر المرأة بريداً إلا ومعها محرم يحرم عليها » البريد أربعة فراسخ وهي اثنا عشر ميلاً - وهل المطلق يحمل على المفيد كما يقول بعض علماء الأصول أم الحكم يختلف باختلاف الأحوال والازمنة في الأمن على النفس؟ ففي صحيح البخاري من حديث عدي بن حاتم أن النبي (ص) أخبره بما سيكون من أثر انتشار الإسلام وعدله وأمنه أن الظلمة ستزول وحدها من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله تعالى

ومن يعلم أخبار الاسفار في هذا العصر وما يكون دائماً من تأثير اجتماع النساء والرجال في البواخر والقنادق الكبيرة فانه يفقه من حكمة هذا النهي ان السفر الطويل والقصير سواء في عدم خروج المرأة فيه مع غير ذي محرم. ولا يبيح لنا الأدب أن نذكر في هذه الرسالة شيئاً مما سمعناه في ذلك. وقد ذكر رجل للنبي (ص) حين نهى عن ذلك أن امرأته تريد الحج وهو يريد الجهاد فأمره أن يترك الجهاد ويسافر مع امرأته . وحمل القول ان سفر المرأة واجتماعها بالرجل الاجنبي في الخلوة وستر شعرها وما عدا الوجه والكفين عنه كله يدخل في سد ذرائع تعديه عليها وإفسادها أو إغوائها لإيهامها بما يحرم عليها منه يحرم عليه، وعقابها في الآخرة سواء، ولكن سوء عواقب هذا الفساد في الدنيا أشد على المرأة في صحتها وفي شرفها ومكانتها في المجتمع الإنساني

مسألة حجب نساء الامصار وتعزير القول فيها

كل ما استحدثه الناس في المدن والقرى الكبيرة من المبالغة في حجب النساء فهو من باب سد الذريعة، لامن اصول الشريعة، فقد أجمع المسلمون على شرعية صلاة النساء في المساجد مكشوقات الوجوه والكفين، وأجمعوا على إحرام النساء بالحج والعمرة كذلك، نعم انهن كن يصلين الجماعة وراء الرجال ولكنهن كن يسافرن مع الرجال محرمات ويطفن بالبيت كذلك ويقفن في عرفات ويرمين الجمار على مشهد من الرجال في عهد النبي (ص) وخلفائه الراشدين. وكن يسافرن مع الرجال الى الجهاد ويخدمن الجرحى ويسقينهم الماء ومنهن نساء النبي (ص) كما تقدم وقد قاتل نساء المهاجرين مع الرجال في واقعة اليرموك. وكن يخدمن الضيوف، ويقاضين الرجال إلى الخلفاء والحكام

وكان النبي (ص) يأمر الرجل الذي يريد خطبة امرأة ان ينظر اليها ولو بدون علمها مع منع التحسس على النساء والتطلع الى عوراتهن. وقد اختلف العلماء فيما ينظره الخاطب فاتفقوا على الوجه والكفين. وقال الاوزاعي ينظر الى مواضع اللحم. وقال داود يجوز النظر الى جميع البدن. والمتبادر من الاذن بالنظر اليها « وان لم تعلم » أن يراها في حالها العادية في بيتها، ويؤيده حديث جابر عند احمد وأبي داود قال سمعت النبي (ص) يقول « اذا خطب احدكم المرأة فقد ر أن يرى منها ما يدعو الى نكاحها فليقبل » وروى عبد الرزاق وسعيد بن منصور أن عمر خطب الى علي بنته ام كلثوم — فذكر له صغرها — فقال أبعت بها اليك فان رضيت فهي امرأتك، فأرسل بها اليه فكشف عن ساقها فقالت : لولا انك امير المؤمنين لصككت عينيك

وأجمع المسلمون على جواز شهادة المرأة للنص عليه في كتاب الله وأمره باستشادهن — وعلى صحة بيعها وشراؤها وسائر تصرفاتها فيما تملك، وعلى تلقيها العلم من الرجال وتلقيهم عنها على تفصيل في احكام فرض العين وفرض الكفاية والتدوب فيه. وروايات الحديث منهن كثيرات من نساء الصحابة والتابعين وخير

القرور وقليلات بعد فيها بعدها ، وأسأؤهن مدونة في كتب التاريخ وقد الرواة . وما كان يكون شيء من ذلك من وراء حجاب إلا ما كان من أزواج النبي (ص) بعد نزول آية الحجاب الخاصة بهم بالنص الصريح وتعليل الحكم . وأخطأ من قال . انه يجري فيها قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فان لفظها خاص لاعام . دع ما اجازته بعض الائمة من تزويج المرأة نفسها وغيرها وتوليها القضاء ومن دلائل السنة على عدم وجوب ستر الوجه حديث المرأة الخنعية ونظرها الى الفضل بن العباس ونظره اليها وهو مروي عن ابن عباس في الصحيحين والسنة وعن علي عند الترمذي وحاصله في جملة الروايات ان الفضل كان رديف رسول الله . (ص) في حجة الوداع فعرضت للنبي (ص) امرأة من خنعم وضئته الوجه تسأله هل تمنع عن ايها الذي ادركته القريضة وهو ضئيف لا يثبت على الراحلة ؟ فأقفاها . بالجواز . وفيه ان الفضل جعل ينظر الى المرأة وتنظر اليه فجعل (ص) يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر . وفي بعض ألقاظه فلولي (ص) عتق الفضل فقال . العباس يا رسول الله لم لويت عتق ابن عمك ؟ - وفي لفظ : وجاءت عتق ابن عمك - فقال (ص) « رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما - وفي رواية - فلم آمن عليهما الفتنة » وقد استنبط ابن القطان وغيره من هذا الحديث جواز النظر عند أمن الفتنة حيث لم يأمرها بغطية وجهها . وقالوا لو لم يفهم العباس ان النظر جائز مآسا ، ولو لم يكن ما فهمه صحيحا ما أقره عليه النبي (ص) وهذا بعد نزول آية الحجاب قطعا لانه في حجة الوداع سنة عشر والآية نزلت سنة خمس

والتحقيق أن النظر من كل من الرجل والمرأة الى ما عدا العورات مباح فان كان بشهوة كره تكراره ، كما قلنا في تفسير (غصوا من ابصارهم) فان خيف منه فتنة تنضي الى الحرام اتجه القول بحريمه لسد القرعة لا لذاته كالمخلوة والسفر عند من يقولون بنبوت التحريم بالدليل الظني وقال الامام يحيى ومن واقفه من فقهاء العترة . انه جائز مع الشهوة - وشدد آخرون من الفقهاء فقالوا بحريمه مطلقا (١) بل قاله بعضهم بوجوب ستر المرأة لوجهها وجرى على ذلك اهل الحضارة في الامصار حتى .

(١) هذا يوافق ما نقله متى عن المسيح (٧) قد سمعتم أنه قيل للقديما (لا تزن) وأما أنا فاقول لكم ان كل من نظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه . وفي رواية (ومن زنى يكون مستوجب الحكم) أي الرجم

صار من التقاليد ان لا يرى رجل اجنبي امرأة بالغة ولا يكلمها ولو من وراء حجاب . بل صاروا يكتمون اسماء النساء . وبلغنا أن بعض المتنطعين من طلبة العلم في طرابلس الشام امر امرأته بغطية رأسها في داخل الدار حتى لا تراها الملائكة .

وأما أهل البوادي الذين يعيشون بالقيام على الانعام وسكان الارياف من الفلاحين وهم أكثر المسلمين فلا يعرف نسأؤهم هذا الغلو في الحجاب ، ولا هذا التهلك والتبذل القاشي في هذا الزمان ، وهم على ذلك اقل من أهل الامصار سقوطا في الفتنة ، ومن لطائف ما يروى في هذا الباب أنه عقد مؤتمر نسوي دولي في أوربة حضره من قبل الدولة الجديدة كامل بك الجمعي كاتب السلطان الخامس فسئل في المؤتمر عن حجاب النساء في الاسلام فقال ما خلاصته : ان هذه مكيدة من النساء ، رأين أن ذوات الجمال البارع ، منهن قليلات وان ظهورهن للرجال يفتنهم بهن ويقبح نساءهم في اعين اكثرهم ، فتواطأن على الاحتجاب العام ليرضى كل رجل بامرأته .

فصنعك النساء في المؤتمر ، وكان لكلامه عندهن وقع حسن واذا لم يكن مقالته كامل بك واقعا فعمله صحيح فالعجوب محبوب بالطبع والمبذول مبتذل في العادة الغالبة ، ولما صار المصحح الذين كانوا يعيشون عراة يلبسون الثياب ، اشتد شوق رجالهم لنسائهم ورغبتهم فهن . وبمترك النساء في هذا العصر هو الذي أحدث ما يسمونه أزمة الزواج في مصرنا وامثالها

وجملة القول ان اصل الشرع في آداب النساء والرجال معروف ، وان سد ذرائع الفتنة والفساد مشروع ، وهو يختلف باختلاف الاعصار والامصار ، وانما الحرام مائت بنص قطعي الرواية والدلالة ، وما دل على طلب تركه دليل ظني فهو مكروه .

وكل رجل وامرأة اعلم بحال نفسه ونيته ، وحال قومويئته والقاعدة العامة في مثل هذا قوله (ص) «الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث سلمان الفارسي (رض) وقوله (ص) «الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشبهات لا يجلها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه (وفي رواية يواقع) ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب» رواه الشيخان واصحاب السنن عن الثعالب بن بشير (رض) .

(نصيحة المؤلف للرجال والنساء في مسألة الزواج)

انني منذ ثلث قرن ونيف أدرس مسألة النساء والحياة الزوجية وأناقش فيها أهل العلم الرأي، وأقرأ ما صنف فيها من الكتب ، وأتبع ما تنشره الصحف، وأتدبر أخبار الافرنج فيها ، وكتبت فيها شيئا كثيرا أهمه تفسير آيات القرآن الحكيم في موضوعها ، ومقالات الحياة الزوجية التي نشرت في مجلد التاريخ الثامن وآخرها هذه الرسالة . وناظرت الدعاة إلى المساواة بين النساء والرجال في الجامعة المصرية فحكمت لي الاكثريه الساحقة بالفلج وإصابة جميع الحق

واني أعتقد بعد هذا المدرس الطويل المريض العميق، وما اقترن به من الاختبار الدقيق، أن ما يراه الكثيرون من أهل القرب والشرق من نوط السعادة الزوجية بتعارف الزوجين قبل الزواج وعشق كل منهما للآخر، هو رأي أفين، أثبت الاختبار بطلانه، وان تحباب الشبيبة لا يثبت له بعد الزواج غالباً ، بل كانت العرب تقول: ان الزواج يفسد الحب .

واتما القاعدة الصحيحة لهذه الزوجية ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) لامرأة خاصمت زوجها اليه وصرحت له بأنها لا تحبه، فقال لها: اذا كانت احدا اكن لا تحب الرجل منافلا تخبره بذلك فان أقل البيوت ما بني على المحبة . واتما يتعاشر الناس بالحسب والاسلام . يعني أن التزام كل من الزوجين لحفظ شرف الآخر والعمل بما يرشد اليه الاسلام من الواجبات والآداب الزوجية هو الذي تنظم به الحياة الزوجية ويمش بها الناس به العيشة الهنية

وينبغي لكل من الزوجين أن يتكلف التعجب الى الآخر بأكثر مما يجده له في قلبه، فان التطبع بصير طبعاً، ورحم الله علياً بنت المهدي أخت هارون الرشيد حيث قالت: * تحب فان الحب داعية الحب * فانه في معنى قوله ﷺ «العلم بالتعلم والحلم بالحلم» هذه نصيحتنا نرفها الى الرجال والنساء في هذا العصر الذي يشكو فيه القلاء أعراض الشبان عن الزواج ، فمن وفقه الله تعالى للعمل بما منهم فيسرونها أعلى وأفضل نصيحة يستحق صاحبها منهم الدعاء والشكر، ومن الله عز وجل المثوبة والاجر

وفيات الاعيان

محمد حافظ بك ابراهيم شاعر مصر الاجتماعي

في السابع عشر من شهر ربيع الاول توفي شاعر النيل الاجتماعي الكبير ، وأديب مصر الشهير ، محمد حافظ بك ابراهيم عن من وافت الستين ، فاهتز لموته عالم الادب العربي واضطرب ، كما كان يهتز لشعره من حماس أو شجو أو طرب ، وراثه أشهر شعراء مصر ، فشعراء العرب في الشرق والغرب ، وأبنته الصحف فأطرت له أي أطراء ، ولا تزال تنشر القصائد في رثائه وأطرائه إلى الآن ، وقد توفي بعده أمير من أكبر أسراء بيت الملك في البلاد ، فلم يتجاوز ذكر موته مصر ، ولم يبلغ تأثير وفاته فيها معشار ما بلغ تأثير موت حافظ من إكبار وحزن وتأمين وراثه ، على تفاوت ما بين مؤيدي الرجلين من داعيي الاخلاص والرياء ، وأين بيت حافظ ابراهيم في أهل المسكنة والبؤس ، من أعلى قصور الامارة والملك .

والعبارة في هذا أنه آية بينة على ارتقاء في الامة العربية في أدبها النفسية والاجتماعية ، يبشرنا بقرب زوال العظيمة الوهمية ، عظيمة الالقاء للورثة والثروة للمادية ، وإعقاب العظيمة الحقيقية لها ، عظيمة العلم والادب وخدمة الامة

ولم يمت هذا الامير الكبير في هذه الايام لذكرنا في مقام هذه العبارة موت غني من أكبر أغنياء مصر فيها ممن كان يخدم حافظ على ثروتهم ، ويمانبت الاقدار على ما كان يشكو من يؤسه نجاح جدتهم ، وهو الرحوم محمد بدر اوي باشا عاشور صاحب المقار الكبير ، والمزارع الواسعة التي تقدر بمشرات الالوف من الفدادين ، ومئات الالوف من الجنينات المودعة في المصارف المالية (البنوك) المبدية . مات بدر اوي باشا أغنى فلاحي مصر وأحسنهم سيرة ، فلم يهتز لموته عالم العلم والادب ، ولا أكبرت فيه المجلات والصحف ، ولا رثاه الشعراء ، ولا أبته العلماء والادباء ، فكان هذا دليلا آخر على ان الشعب المصري قد ارتقى شعوره المعنوي ، ولكنه دون الدليل الذي قبله ، وقد كان هذا الشعب أعرق الشعوب الشرقية في إكبار الامراء والحكام والخنوع لهم ، ثم في تعظيم الاغنياء

والازدلاف اليهم . ولكن لا يزال المال هو المقصد والغاية لطلاب العلوم والفنون
وقلما توجه عناية أحد منهم بلوغ الغاية من الادب والامامة فيه لذاتها

كان محمد حافظ يشكو البؤس وينظّم نفسه في سمط البائسين ، وتلك شغفنة
الادباء والشعراء في كل حين ، حتى كان من القضايا المسلمة ان حرقة الادب علة
لبؤس والمعيشة الضنك ، وما هي بملة طبيعية ولا عقلية ، ولكن من أعطى كل عقله
وفهمه للادب او أي علم من العلوم لا يجد من استعداده النفسي ولا من وقته
ما يصرفه في الكسب ويشير المال الذي هو طريق الثروة الواسعة ، والشعراء
أحرص من العلماء على نعمة الدنيا وزينتها وأكثر تمنياً لها ، لتزين خيالهم لها في أنفسهم
فهما يصيبهم منها - وقلما يكون واغراً يرضي طمعهم وخيالهم - فانهم يستصغرونه
ويشكون حظهم منه ، ألا ترى ان أحدهم قد ذم البيشة الوسطى بين بؤس الفقير
وطغيان الغنى وشواغله وهي أفضل حالة في الرزق يمكن أن تكون للانسان بقوله :
مذبذب الرزق لا فقر ولا جدة حظ لعمرك لم يحقق ولم يكس

وكن حافظ يتمثل بهذا البيت بعد ان نال راتباً شهرياً من الحكومة يكفي
لبقعة أسرة تعيش عيشة معسلة ، وهو خفيف الحاذ لا زوج له ولا ولد ، ذلك
بأنه كان مسرفاً في الترف ، مفتقراً في التتميم ، وقد أوتي من الحظ المنوي بأدبه
وشعره ما لم يؤت أديب في مصر في عصره غير احمد شوقي بك اذ كان شاعر
الامير قصار يدعى أمير الشعراء ، ولعل له نشأ في حجر الترف ونعمة العيش كشوقي
لما كان له من نفسه ما يبعثه إلى النبوغ في الادب النافع ، فأكثر حكماء الأدباء وحكماء
العلماء وأصحاب الافكار الإصلاحية الناضجة كانوا من أهل القشف والبؤس في
بدايتهم إما اضطراراً وإما اختياراً كالذين سلكوا الرياضة الصوفية . ومن أمثال
الصوفية : من لم تكن له بداية محرقة ، لا تكون له نهاية مشرقة

وقد أشار شيخنا الاستاذ الامام إلى هذا المعنى في بؤس حافظ فيما قرظ له به
الجزء الاول من ترجمة كتاب البؤساء فقد قدمه اليه حافظ وتوجه باسمه بكتاب
خاطبه به فرد عليه بجواب جعلهما حافظ في مقدمة الكتاب ، وانا ننشرهما هنا
فانهما خير ما ينشر في ترجمة صديقنا الاديب رحمه الله تعالى

﴿ خطاب حافظ للاستاذ الامام في رفع كتاب البؤساء اليه ﴾

إلى الاستاذ الامام

إنك موئل البائس ، ومرجع البائس ، وهذا الكتاب — أيدك الله — قد ألم بعيش البائسين ، وحياة البائسين . وضعه صاحبه تذكرة لولاة الأمور ، وسماه كتاب (البؤساء) وجعله بيتاً لهذه الكلمة الجامعة ، وتلك الحكمة البالغة (الرحمة فوق العدل) وقد عنيت بتعريبه ، لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب ، وتصرفت فيه بعض التصرف ، واختصرت بعض الاختصار . ورأيت أن أرفعه إلي مقامك الأسنى ، ورأيك الأعلى ، لأجمع في ذلك بين خلال ثلاث (أولها) التيمن باسمك والتشرف بالانتماء اليك (وثانيها) ارتياح النفس وصرور البراء برفع ذلك الكتاب إلى الرجل الذي يمرق مهر الكلام ، ومقدار كد الأنفهام (وثالثها) امتداد الصلة بين الحكمة الغريسة والحكمة الشرقية بإهداء ما وضعه حكيم الغرب إلى حكيم المشرق

فليتقدم سيدي الى فتاه بقبوله والله المشول أن يحفظه للدين والدنيا . وأن يساعدني على إتمام تعريبه للقارئين .. اهـ

قدم محمد حافظ هذا الكتاب إلى الاستاذ الامام ونحن جلوس معه في حديقة داره بين شمس مساء يوم من الايام فأخذه منه بعد ان قرأه علينا وعليه ودخل الدار فكث فيها قليلاً ثم عاد الينا وقال : انني عصرت دماغني على ما به من جفاف السلال فخرج منه هذه الكلمات : - وأعطى حافظ ورقة قرأ فيها :

تقرير كتاب البؤساء للاستاذ الامام

لو كان بي أن أشرك لظن بنا بالفت في تحسينه ، أو أحذك لرأي لك فينا أبعدت في تزيينه ، لكن قلبي مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجب حقه ويحري في الشكر إلى الغاية مما يطلبه فضلك ، لكنك لم تقف بمرقك عندنا ، بل عمت به من حولنا ، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا زفت إلى أهل اللغة العربية ، عذراء من بنات الحكمة الغريسة ، سحرت

قومها ، وملكيت فيهم يومها ، ولا تزال تنبه منهم خامداً ، وتهز فيهم جامداً ، بل لا تنفك تحيي من قلوبهم ما أماتته القسوة ، وتقوم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة . حكمة أفاضها الله على رجل منهم ، فهدى إلى التقاطها رجلاً منا . فجردها من ثوبها الغريب ، وكساها حلة من نسج الاديب ، وجلاها للناظر ، وحلاها للطالب ، بمد ما أصلح من خلقها ، وزان من معارفها ، ^(١) حتى ظهرت محبة إلى القلوب ، شيقة الى مؤانسة البصائر ، هسه للنفهم ، وتبش للطف اللوق ، وتسابق الفكر إلى مواطن العلم ، فلا يكاد يحفظها الوم إلا وهي في النفس مكان الالهام حاول قوم من قبلك أن يبلنوا من ترجمة الاعجم مبلغك ، فوقف المعجز بأفلبهم عند مبتدأ الطريق ، ووصل منهم فريق الى ما يجب من مقصده ولكنه لم يمن بأن يعيد الى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ، ويرد اليها ما سلبه المتمدون عليها من متانة التأليف ، وحسن الصياغة ، وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه ، أما أنت فقد وفيت من ذلك مالا غاية لمزيد بمد ، ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده . ولو كنت ممن يقول بالتناسخ لذهبت الى أن روح ابن المقفع كانت من طيبات الارواح ، فظهرت لك اليوم في صورة أبدع ، ومعنى أنفع ، ولعلك قد سنتت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله من ظهور كتابك ، ويحملها الزمان إلى أبناء ما يستقبل منه ، فتكون قد أحسنت إلى الابناء ، كما أجلت الصنع مع الآباء ، وهدت للغة العربية أن لا يدخلها بمد من معجمة سوى ما هو في الاسماء ، أسماء الاماكن والاشخاص ، لا أسماء الماني والاجناس ، ومثلي من يعرف قدر الاحسان اذا عم ، ويملي مكان المعروف اذا شمل ، ويتمثل في رأيه بقول الحكيم العربي :

ولو أتي حيث اخلد فرداً لما أحيت بالخلد انفراداً

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

فما أعجز قلبي عن الشكر لك ، وما أحقك بأن ترضى من الوفاء بالفاء (٢)

(١) للعارف من وجه الانسان ما يعرف به ويمتاز من غيره كالعينين والملاغم

(٢) الفاء بالفتح القليل الذي هو دون الحق

تقول : إن الذي وصل سببك بسبب صاحب الكتاب ، ووقف بك على دقائق من معانيه اشتراكك معه في البؤس ، ونزولك منزلته من سوء الحال ، وربما كان فيما تقول شيء من الحقيقة ، فإن كان البؤس قد هبط على صاحبه بتلك الحكمة ، ثم كان سبباً في امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة ، سألت الله أن يزيد وفرك من هذا البؤس حتى يتم الكتاب على نحو ما ابتدأ ، وأن يجعلك في يؤسك أغنى من أهل الثراء في نصيبهم ، والسلام .
محمد عبده

هذا وإن مدح حافظ للاستاذ الامام واتصاله به هو الذي فجر بناييع الحكمة في شعره ، وكان أكبر أسباب شهرته به ، بما جعل أكثر شعره في الشؤون الاجتماعية والسياسية ، والأفكار الادبية النافعة ، كما كان سبب انتفاعه للمادي بأدبه وشعره ، فالامام هو الذي وصله بصديقه احمد حشمت باشا عاشق العربية وآدابها ووصاه بمساعدته إذ كان مديراً لاسيوط ثم للدقهلية ، وحشمت باشا رحمه الله هو الذي تبرع له بطبع الجزء الاول من ديوانه والجزء الاول من كتاب البؤساء ووزع له هو وغيره من اصدقاء الامام ألوفاً من نسخهما ، ثم لما صار وزيراً للمعارف جعل له وظيفة كتابية في دار الكتب المصرية العامة ، ونحن بسمعية الرتبة الثانية ، فعاشر بعد ذلك عيشة راضية ، وإن ظل يمثل بالبيت الذي يصفها بالذبذبة كان حافظ يمتنى لو يكون غنياً بغير أدنى عمل يعمل له لافنى ، فهو لم يكن يقدر على احمال أدنى تعب أو مشقة في عمل ما ، وإنما كانت فلسفته في الحياة أن يكون ناعم البال ، طيب الطعام والشراب ، دائب الفكهة والنطابة مع الاصدقاء ، ولولا أنه كان يمشى الادب عشقا لما قرأ فيه كتاباً ، ولما نظم بيتاً ولا نغى خطاباً ، ولما كان أحد من الاغنياء متمتعاً بنعمة العيش مثله ، ولو أوتي من الرزق أضعاف ما أوتي لا تنفقه كله في سبيل الرفاهة وبلهنية العيش ، وكان يحفظ من النكات والملح والنوادر والتنادر ما لا حد له يقتضي اليه ، على ما يحفظه من روائع الشعر وبدائم النثر ، مما لوجه في الدفاتر لكان له منه ثروة واسعة

وقد أوتي من قوة الحفظ وسرعة الاستحضار المحفوظ ويطم التسيان أو عدمه ما يذكرنا برواة اللغة وحفاظ الحديث ، فلو أنه غني بالحفظ والرواية لأعاد

لمصر عهد الحافظ احمد بن حجر المصقلاني (رح) وكان يحفظ كل ما ينظم ويثر
ويترجم (ككتاب البؤساء) وما أراه حفظ من كتاب الاقتصاد السياسي الذي
ترجمه هو وزميله خليل بك مطران شيئاً إلا أن يكون بعض المفردات أو الجمل
التي اهتدى هو الى تعبير عربي عنها غير معروف ، ولو كان له رغبة لفة في حفظه
لما شق عليه حفظه على كبره وإن كان فناً لا أدباً .

وكان حافظ قوي الاستقلال العقلي والوجداني لا يقبل ولا يسلم ما لا يعقله
ويرتاح له وجدانه ، لهذا كان ينكر في نفسه أموراً كثيرة من عقائد الدين فكان
ما استفاد من معاشرته الاستاذ ولا سيما صحبتته في سفره إلى الدقهلية لتوزيع
الاعانات على منكوبي حريق ميت غمر أن استل (الامام) من قرارة نفسه تلك
الشكوك والريب وهو ما حدثنا به بعد عودتهما . قال ولم يقنع مني بالايان إلا
وحاول حملي على الصلاة حتى صلاة الفجر في القلنس فكنا نسير في دار أحمد
حشمت باشا في المنصورة أكثر الليل وننام في حجرين متجاورتين فأستيقظ
بسماع حركته في آخر الليل وقيامه للتهجد . وبعد طلوع الفجر يطرق على باب
حجرتي ويقول : * ياراقد الليل الى كم تنام ؟ *

ثم للصلاة ، قلت له بصفة المازح يا مولاي انني لا أستطيع حمل الدين كله
علمه وعبادته في سفرة واحدة ، كنت ملجداً فأمنت وصدقت بجميع عقائد الاسلام
في هذه المرة ، ولك عليّ في سفرة أخرى أن أحافظ على جميع الصلوات . وقد ذكرت
حافظاً في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ١٢ مرة أو أكثر

وأما شعره فقد كتب الكاتبون في الصحف شيئاً في وصفه ، وما كان يزينه من
حسن انشاده ، وحسبي أن أشير الى ما كنت كتبت في تقييد ديوانه الاول عند طبعه
وهو انه أصبح منظوم هذا العصر لفة في مفرداته المختارة وجملة النصيحة وجمعه بين
السلاسة والمثانة ، فهو بفضل شعر احمد شوقي بك في هذا دون جمال التخييل وقوة التأثير
الذي هو روح الشعر فهنا يبرز شوقي جميع شعراء العصر على تفاوت في شعره وتعقيد
معنوي في بعض أبياته تحول دون فهمها فهماً صحيحاً من أول وهلة . فحمد
حافظ ابراهيم من الادباء الذين بخلد اسمهم التاريخ رحمه الله تعالى وأحسن مشواه

فتنة الحجاز والقضاء على فئة ابن رفاة

سافر ابن رفاة ومن معه من مصر إلى الحجاز من طريق سيناء بجوازات
مصرية إلى العقبة ولقوا في كل مكان غاية المساعدة فدخلوا أرض الحجاز وتبعهم
أعدائهم الذين سافروا من شرق الأردن إلى العقبة يحملون بعض الدراهم والأسلحة
على مسمع ومرأى ممن ثم من رجال الإنكليز في هذه الامكنة كلها مع إغضاء
وتصامم بحيث لا تقوم عليهم حجة بأنهم أغروا أو ساعدوا أو واقفوا على شيء، بل
كانت الدولة الإنكليزية هي التي بلغت الحكومة السعودية أبناءهم، وحملت الأمير
عبدالله على عزل محمد أفندي الاسد قائم مقام العقبة لاذنه لم يل مساعدته لم على الدخول
في أرض الحجاز، ثم طفق رجال الهيئة العسكرية من الإنكليز يمحسون العقبة ويجمعون
فيها الأسلحة والذخائر الحربية والمؤن بمساعدة الحكومة السعودية على الثائرين
عليها بمنع وصول المدد والذخيرة إلى فئة ابن رفاة من البر والبحر، ومنع فارثهم
من الالتجاء إلى العقبة وشرق الأردن إذا طاردهم الجيش السعودي، وما كان هذا
المنع ليجتاج إلى كل هذا التحصين والاستعداد الحربي، على أنه ظل مستمرا بعد
استئصال هؤلاء الثائرين إلى أن انحلت الجنود السعودية التي رابطت أمام العقبة حامدة
شاكرة للقائد الإنكليزي الرابطة أمامها في حدودها المقطعة من الحجاز !!!

وأما الحكومة السعودية فقد استدرجت ابن رفاة الأعور محضاء الثورة
بارسال رجال من قبائل الحجاز إليه يعدونه بالقيام معه وتعميم الثورة في الحجاز
إذا كان لديه المال الكافي لتلك فأخبرهم بأن المال سيأتي من شرق الأردن، حتى إذا
ما طمان أحاطت به وبقتته الجنود النجدية قعقت عليهم في معركة واحدة طاحت
فيها رموس ابن رفاة وأولاده ورأس أبي دققة أكبر أعوانه وأقيت رأس
ابن رفاة الأعور إلى الأولاد والرجال يدحرجونها ويدحونها ككرة الصبيان .

طير البرق نبأ القضاء على ابن رفاة إلى مصر وأوربة وسائر الاقطار من
الطريق الرسمية وطريق الشركات العامة فكذبت جمية الثورة في عمان وزوررت
بإمضاء ابن رفاة بلاغا أرسلته إلى صحف فلسطين ومصر والشام ينبئ بانه يتصارح

وفوزه وامتداد الثورة في البدو والحضر ، وأرسلت اليها مقالات أخرى ورسلا ييشون الدعاية ، فكذب ذلك كله الاكثرون ، وارتاب فيه الاقلون ، حتى ظهر الحق واستيقنه الناس أجمعون

استفاد الناس من هذه الفتنة أربع فوائد عظيمة الشأن .

(الفائدة الاولى) أن سلطان الحكومة السعودية ثابت البوأي راسخ الاركان في بدو الحجاز ونجد مما كحضرهما فان شيوخ قبائل الحجاز ورؤساءها استأذنوا جلالة ملكهم في قتال ابن رفاة وهو منهم ولم يكن أحد يظن هذا لان الانكليز ولا من غيرهم . وأما أهل نجد فقد ثارت ثائرتهم كلهم ، فاسرع من استغفرهم الملك إلى الحجاز وحدود شرق الاردن والمقبة وطلق سائر أهل البلاد يستأذنونه في التنفير العام والم هجوم على شرق الاردن للقضاء على حكومتها وكتب اليه في ذلك علماءهم وأميرهم شعود ولي عهد الامام فيهم

(الفائدة الثانية) تنبه الامة العربية في سورية وفلسطين وشرق الاردن لوجوب الانتصار للدولة العربية المستقلة المعترف باستقلالها المطلق من جميع الدول الكبرى وما يهددها من الخطر بوجود الانكليز في خليج العقبة الحجازي وشرق الاردن ، وقد أظهرت شعورها هذا في الجرائد وعلى ألسنة الاحزاب والزعماء حتى إن أهل شرق الاردن أظهروا المقت للجمعية المحركة للفتنة عندهم ولا يبرهم أيضاً (الفائدة الثالثة) تنبه الشعور الاسلامي العام في الشرق والغرب للخطر على الحجاز

باستيلاء الانكليز على خليج العقبة ومنطقته وسكة الحديد الحجازية وقد ظهر هذا الشعور كالشمس فيناشرته جرائد مصر وفلسطين ومورية وتونس والجزائر والهندي المسألة وعجب الناس لسكوت مشيخة الأزهر عن اظهار صوتها في هذه النازلة الاسلامية التي تنذر المسلمين أكبر خطر على الحرمين الشريفين ولم ينبئ لهم مانع من سبب هذا (الفائدة الرابعة) وهي نتيجة ما قبلها من الفوائد الثلاث : إحياء الدولة

البريطانية عما كانت تريد من اقتراص هذه الفتنة لاحداث احتلال عسكري بري بحري في خليج العقبة تسمية مؤقتاً وتملاه بمثل ما عطلت به احتلال مصر ، واحتلال اسكندر آباد في الهند ، وقد رضيت بسبب ما تقدم وخشية تفاقم الخطر أن تبقي

منطقة العقبة ومكان تابعة لشرق الاردن في ادارتها الى أن بيت في أمرها بمفاوضة أخرى مع الحكومة السعودية

ولقد مر المسلمون كافة والعرب خاصة بتشكيل الحكومة السعودية بهذه الفئة الباغية وشمعوا بمثيريها وهنأوا صاحب الجلالة السعودية بهذا الفوز المبين ، وما كان فوزه على هذه الفئة القليلة بكبير في نفسه ، وإنما كانوا يخشون أن تكون سببا لاشتعال نار الثورة في الحجاز كله ، وأكبر ما كانوا يخشونه أن تكون عاقبتها استقرار أقدام الانكليز في خليج العقبة ومنطقتها الى معان ، واكبر ما كانوا يرجونه أن يتخذها الملك وسيلة لاستعادة هذه المنطقة إلى الحجاز ومنع الخطر الدائم على الحرمين الشريفين ببقائها تحت سيطرة الانكليز

ولقد كانت الفرصة سانحة لبارحة للانكليز والاسباب المرجحة لفوزه كثيرة . ولكن رجال حكومته لم يكونوا يعرفونها ، وكانت الاراجيف التي أذاعتها المصادر الانكليزية مما ترجف لها الافئدة ولا سيما أرجوفة مساعدة مصر لابن ردة ، فكان يخيل لقراء الجرائد في الحجاز ان حكومتهم مستهدفة لمحاربة بريطانيا العظمى ومصر وشرق الاردن في وقت واحد ، وكل هذه أوهام ، وأضغاث أحلام

من المعلوم باليقين انه لم يكن يجوز للدولة السعودية أن تبدأ حكومة شرق الاردن الضعيفة بالحرب ، فضلا عن الدولة البريطانية التي هي من أقوى دول الارض ، وإنما الذي كان يجب عليها هو أن تنبئ الدولة الانكليزية بأن شعبها الحجازي والنجدية يطالبونها بما هو حق عليهما من استعادة هذه المنطقة الحجازية التي ألحقت بشرق الاردن بنير حق شرعي ولا قانوني ، وانهم مضطربون تأثرون لما جاءهم بطريق العقبة من طلائع ثورة ابن ردة . وان العالم الاسلامي كله يطالبها بذلك - فهي لهذه الاسباب مضطرة لاحتلال هذه المنطقة الحجازية مع المحافظة على العلاقة السياسية الودية معها ، وتأمين حكومات شرق الاردن وفلسطين ومصر من أدنى اعتداء على حدود بلادها ، وتتبع القول الفصل . وقد كتبت مقالا طويلا أثبت فيه ان الدولة الانكليزية ما كان يعقل أن تحارب حكومة الحجاز ولكنني علمت قبل نشره بجلاء الجيش السعودي عن الحدود وبقاء ما كان على ما كان فأمسكت عن نشرها

جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية

هذه الجمعية أقدم الجمعيات الاسلامية التي أنشئت للوعظ والارشاد في مصر ،
فانني لما هاجرت إلى مصر في منتصف سنة ١٣١٥ لم أجد فيها غيرها ، واتفق أن كانت
هي الجمعية الاولى التي تموجت إلقاء الخطابة الارتجالية على منبرها ، فوجئت بذلك
أول مرة مفاجأة إذ حضرت أحد اجتماعاتها متفرجا فكان من الخطباء فيه اسماعيل
بك عاصم الحامي المشهور (رحمه الله تعالى) فرآني بين الناس وكان قد عرفني ، فلما
فرغ من خطبته دعاني مشيداً بذكرى ، مطرباً لأدي ، وكان هذا غريباً منه وهو
لا يعلم من أمر استعدادي للخطابة شيئاً ، ولكنني أعتقد أنه كان مخلصاً في طلبه
لا مورطاً ، إذ قابلني بالمودة منذ عرفته وثبت عليها طول عمره واشترك في المنار منذ
سنته الاولى وكان ممن يدفعون قيمة الاشتراك في أول السنة ، ولما تم للمنار عشرة
أعوام أقام له حفلة أدبية كانت هي الاولى من جنسها دعا اليها جميع أصحاب المحلات
العربية بمصر ووزير المعارف وبعض رجال العلم والادب إلى مأدبة حافلة أقيمت فيها
الخطب البليغة في الثناء على النار ومنشئه ، فرحمه الله وجزاه أحسن الجزاء
وأقول بعد هذا الاستطراء الذي أراه من حقه علي: انني أجبت دعوته وصعدت
المنبر على غير استعداد ولا سبق حضور موقف من هذه المواقف غير المتتادة في
بلدنا (طرابلس الشام) في العصر الحديدي ، وأقيمت ما فتح الله به علي في موضوع
مناسب للمقام ، صفق له الحاضرون مراراً وهتفوني به ، وما أظن انني أجدت
اللقاء ولكنني أعتقد انني قلت حقاً نافعاً ببشارة عربية صحيحة لا خطابية ، ثم كان
للرحوم الأستاذ الشيخ زكي الدين سند خطيب الجمعية المؤسس لها يدعوني إلى
الخطابة في كل اجتماع يراني فيه بعد ان يستشيرني فأقبل ، ثم أسسنا جمعية شمس
الاسلام فكانت خطيبها الاول

ثم إن جمعية مكارم الاخلاق ضعفت بعد وفاة الرحوم الشيخ زكي الدين سند ،
ثم عني بإنعاشها ومساعدة مجلسها بمحمد سعيد باشا الاسكندراني في عهد وزارته وخليف
باشا حمادة البيروني الذي تولى امانة الجمارك في الاسكندرية فادارة الاوقاف العامة

عصر فصار يطبع من مجلتها ألوف كثيرة من النسخ ثم عاودها الضعف والذبول ، حتى كادت تزول ، فندار كما الله بالطف ونهضت نهضة جديدة بهمة أصحاب النجدة والغيرة رئيسها ووكيلها ومراقبها

اتخذوا لها أولاً مكاناً مشهوراً في القاهرة هو القاعة الاثرية المشهورة بدار السادات الوفاية المسماة بام الافراح ، يتبعها حجرة للإدارة وباحة واسعة من وراء الدار ، فكانت الخطب والمحاضرات تلتقى في القاعة مدة فصل الشتاء وزمن البرد ، ثم تلتقى في الباحة سائر أيام السنة ، وموعدها بعد صلاة المغرب من يوم الجمعة ، وكان أكثر من يحضرها طلبة الجامع الازهر ، وقد دعيت الى إلقاء محاضرات كثيرة فيها كانت الادارة تظن خبرها في الجرائد اليومية فيحضرها خلق كثير من جميع الطبقات ، ولا أزال أدعى فأجيب ، بعد قل الجمعية الى مكانها الجديد قلت الجمعية الى حي شبرا المقاومة دعاة النصرانية فيه إذ كثرت جمعياتهم وتصد بهم فيها لاغواء عوام المسلمين فانخذت لها داراً فسيحة ذات حجرات كثيرة واحة واسعة وأنشأت في الدار مدرسة ابتدائية تعلم فيها أطفال المسلمين بأجرة زهيدة مع تربية عملية مفيدة وقد أنشئ لمجلاتها (مكارم الاخلاق الاسلامية) مطبعة خاصة بها وأنشئ لها مجلة أخرى باسم (المصلح) فالمجلة الاولى في السنة الثامنة من حياتها الجديدة وهي تصدر في منتصف كل شهر عربي في أربع كراسات بقطع المنار وقيمة الاشتراك فيها ١٥ قرشاً في السنة لطلاب العالما والمدارس و٢٥ قرشاً لسائر الناس . وأما صحيفة المصلح فتصدر في كل شهر أو شهرين في كراستين أو ثلاث بقطع أكبر وقيمة الاشتراك فيها في القطر المصري خمسة قروش وأجرة البريد وفي خارج القطر ١٠ قروش . ويرى القاريء لها في كل منها فوائد كثيرة من تفسير السور الصغرى التي تقرأ في الصلاة وشرح بعض الاحاديث الصحيحة وبيان السنن النبوية الملتزمة لحياتها ، والبدع الفاشية مع النهي والتنبيه عنها ، والمسائل الفقهية والادبية والتاريخية والمواعظ وغير ذلك وزى جل ما في الصحيفة من بقلم وكيل الجمعية الاستاذ العالم الكاتب الخطيب الشيخ محمود محمود الاستاذ في مدارس الحكومة العليا ، حمد الله عليه وأدام توفيقه

(نداء جمعية الهداية الإسلامية في دمشق)

(أرسلت إلينا هذه الجمعية كتاباً ذكرت فيها أنها أرسلت كتباً إلى ملوك المسلمين وأمرائهم وصحفهم وأغنياهم لإعانة الحرمين الشريفين ومعه صورة ما أرسلته إلى ملكنا العظيم وهذا نصه) :

(خطابها إلى جلالة ملك مصر العظيم)

لصاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر العظيم أعز الله به الإسلام والمسلمين لقد استفاض الخبر ، وصح النقل بأشداد الضائقة على إخواننا أهل الحرمين الشريفين وتضاعف العسر عليهم ، فقد أخبر المظلومون بأنهم أصبحوا يمحاة ندمي القلوب وتفتت الأكباد . وذلك لتفاسد الناس عن أداء فريضة الحج وتلكؤمهم عن زيارة تلك الأماكن المقدسة

إن الأزمة في البلاد الحجازية قد اتسع نطاقها ، وتفاقم خطبها ، فشمز الكبير والصغير ، وعم أكثر السكان والمجاورين ، في هذين البلدين الشريفين . وهي اليوم آجلة بالازدياد والعاذ بالله تعالى

لم يختلف أحد من الناس في استتباب الأمن في بلاد الحجاز كلها حتى أصغر بقعة فيها - فلو فرض أن شخصاً نثر هناك آلاف الدنانير الذهبية على رؤوس الناس في الطريق العامة لما تجاسر أحد على مس دينار واحد منها ، على حين أن هؤلاء الذين نثر الذهب على رؤوسهم فزهدوا فيه يتساقون إلى النقاط ما يلقي في الأرض من قشر البرتقال والبطيخ قليلاً لسورة جوعتهم ، وشدة ألمهم

إلى هذا الحد وصل أولئك الإخوان المجاورون والقاطنون في تلك البلاد الشريفة ، ولا شك أن هذا الحال أدى وسيؤدي إلى موت الكثيرين منهم بلا سابقة جناية ولا تقدم ذنب أو جريمة

إن هؤلاء الضملاء المساكين الذين أعوزتهم الحاجة وبلغ بهم الفقر مبلغاً جاهلاً يذكرون أيام الحرب العامة بمزيد المدح والثناء - يموت الكثيرون منهم على قارة الطريق في أشرف بلاد الله ، يموتون وبطونهم جائعة ، وأجسامهم عارية ، وعيونهم شاخصة تتطلع إلى السماء شاكية ما حل بهم من قسوة أخيها الإنسان وجورده وعتوه وظلمه

فرحة بأولئك البؤساء الذين ذهب الفقر بأرواحهم ، وأحاطت الحاجة بأولادهم وبناتهم ونسائهم ، وقياماً بالواجب الديني والانساني — اجتمع أعضاء (جمعية الهداية الاسلامية) بدمشق ، وبعد المذاكرة وتبني الموضوع من عامة أطرافه رأوا أن يستصرخوا غيرتكم وحيثكم باسم كونكم أعظم ملوك الاسلام والرجع الاعلى لثخنت شؤونته لتعملوا على مساعدة هؤلاء البائسين ، وتعدوا يد المعونة اليهم بارسال ما تراكم لهم في خزانة الاوقاف من مال الحرمين الشريفين ، وبذلك يقيمون أنفسهم قضي على حياتها الفقر ، وأجساماً أضربها الجوع والعري ، وذلك كما لا يخفى من أفضل الاعمال ، وأشرف الخلال . ففي حديث أنس رضي الله عنه عند الديلمي مرفوعاً « ما عمل أفضل من اشباع كبد جائعة » . ومن حديثه أيضاً عند أبي يعلى يرفعه إلى النبي ﷺ « من اهتم بمجموعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع ، وسقاه حتى يروى غفر الله له » . على أن في هذا العمل أيضاً براءة للذمة بما هي مطلوبة به من وجوب العمل بنص الواقع الذي هو كنس الشارع ، ولت شعري هل يرضى الواقع للحرمين الشريفين بصرف ثمرة أوقافه على غير حطان تلك البلاد الشريفة ، وخصوصاً عند حاجتهم ، وتحقق ضرورتهم .

ان اختزان أموال الحرمين أو صرفها لتبخر أهلها في أيام اليسر جريمة يجب أن تنتزه عنها الحكومات الاسلامية ، فكيف والوقت عسر ، والمستحقون لهذه الاموال في أشد درجات الضيق ، وأقصى أحوال الجهد والمناء .

قال أهل العلم : من منع المال مستحقه فقد خان الله ورسوله والؤمنين ، وعدّ غاصباً للمال ، وظالماً من جهة الظالمين ، ومن صرفه حيث أمر الله عد من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وكان خير أمين فيما أسند اليه .

ولما كنتم أدام الله عز المسلمين بكم ممن لم السابقة في خدمة الدين ، والاهتمام بأمور المسلمين ، تحديون عليهم حطب الوالد علي ولده والراعي على رعيته خصوصاً أهل الحرمين الشريفين — أتينا بكتابنا هذا مرفوعاً لسدة جلالكم راجين أن تحكونوا لاهل حرم الله تعالى وحرمة رسوله المظلم عند حسن ظنتنا بكم ، لازلم حولنا البائسين ، وعضداً متيناً لعموم المسلمين سيدي .

(اقراء مجلة مشيخة الازهر علينا وجهوها وجهوها فينا)

قد رأى قراء النار ما أفتينا به في الجزء الرابع في بدعة زيادة بعض المؤذنين في آخر الأذان وهو أنها بدعة في شعار ديني محض تدخل في عموم قول النبي ﷺ « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ولكن مجلة مشيخة الازهر أفتت بأنها بدعة حسنة . ولما رأه مفتيها بهذه البدعة كفتاويه بما هو أضل منها من البدع انقطع في بيته وعكف مع بعض أعوانه على مجلدات النار يبحث فيها عن أمور يتخذها مطاعن على صاحب النار وجع ما وجد من قبلا للتحريف والشبهة مما صادفه فيها في مقال طويل بدأه بالاحتجاج لبدعة الاذان بطريقته الازهرية في الراء وجلد الالفاظ وايراد الاحتمالات .

وقفى على ذلك يبهات بهت بها صاحب النار واقترب عليه بأنه كذب الله ورسوله . وخطأهما وخالف الاجماع ورد الاحاديث الصحيحة اتباعا لهواه وانه ليس لكتاب الله وسنة رسوله عليه سلطان وأنه أنكر وجود الملائكة بتقريره أنهم عبارة عن القوى الطبيعية وأنكر وجود الجن وزعم ان الجن عبارة عن الميكروبات وانه يتأول القرآن بما ينافي اللغة والدين والعقل تقربا إلى الماديين لا لشبهة علمية وانه ليس عنده أدنى اعتماد لعلم والفهم ، ولا للمنطق والعقل ، ولا للأدب والدق ، وأنه من دون ذلك كله أفتى تلاميذ المدارس النصرانية من المسلمين بالصلاة مع النصارى في كنائسهم لاجل تنشئتهم على دين النصرانية عقيدة ووجداناً ، يعني مقتري هذا البهتان ان صاحب النار لا غرض له من إنشاء مناره ولا من تفسيره لكتاب الله تعالى إلا هدم دين الاسلام وتحويل المسلمين عنه إما الى النصرانية وإما الى المادية ، واث ما اشتهر به في العالم الاسلامي بل في العالم كله حتى مستشرقى الافرنج ووزارات أوربة انخارجية والاستعمارية المشتركة فيه من انه داعية الاسلام والحامي عنه في هذا العصر ، والذي استطاع أن ينزجه عن البدع والخرافات ويوفق بينه وبين أعلى ما وصل اليه البشر من الارتقاء في العلم والعمران — فهو اشتهار بالباطل ، لان هذا الحرر في مجلة الازهر وهو من هيئة كبار علمائه الرسمية قد علم من حقيقة هذا الرجل وقهم

من مجلته وتفسيره ما لم يلمه ولم يفهمه أحد. كلا انه ظن أنه يقدر على هدم منار الاسلام بمقالة أو مقالات في مجلة مشيخة الازهر انتقاما لنفسه ولها، وما هو بهادم الا لنفسه ولها، فقد كانت بما يسخما به من تأييد البدع والخرافات ثم بهذه الشتائم والمقترحات فضيحة للازهر الذي يريد الاعتراف باسمه وبمشيخته الرسمية ii

ظهر مقاله في الجزء الذي صدر في غرة جمادي الاولى وكان هذا الجزء من المنار قد حرر ليصدر في ربيع الآخر وطبع اكثره فأخرته ليصدر في سلخ جمادي الاولى فأرى في أثناء الشهر ما يكون من أمر هذا الحدث الجديد في مشيخة الازهر أما كاتب المقال فقد سبق له مثل هذا التصدي للتعدي منذ ١٦ سنة فلم أكثر له، ولا رأيت أهلا للرد عليه، فهو غير كفؤ للمبارزة بلم ولا أدب ولا يصدق في القول ولا أمانة في النقل ولا اخلاص في النية. وأما مشيخة الازهر فهي كفؤ لمنازلة المنار، بغير هذا القارس العاجز القوار، ولا يشعر صاحبه بأقل ضعف عن هذه المنازلة في حدود العلم والدين وآدابه، ولكنه في منتهى الضعف والعجز عن كتابة مجلة واحدة من أمثال هذا المقال الذي افتتحت الحرب به، وله إذا ولاها الدبر، أسوة بجده علي أمير المؤمنين حين تولى عن عمرو، على انه رأى وجوب التروي في النضال العلمي حتى يعلم تعدد الشيخة له بدأت بكتابة مقال في الدفاع عن حقي وحق القراء الذين اطلعوا على الطعن علي في تلك المجلة ليعلموا ما عندي من الدلائل على تنفيذ الاقراء علي، والقول الحق في التهم التي نسبت إلي، وأرسلت المقال إلى رئيس تحرير المجلة، ولزيادة التحري سألت صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية عن هذا الحدث الجديد لتتقي بلمه وصدقه وإخلاصه على قلة الجامعين لهذه الفضائل اثلاث. سألته بالمسرة (التلفون) هل رأيت الجزء الجديد من مجلة المشيخة؟ قال لا، قلت انظره فإن فيه كيت وزيت ثم علمت انه قرأ المقال فتفظظه، ففزع به إلى شيخ الازهر فأفزع، بموافقة إمام علي استنكاره، وجوب تلافيه بالسعي إلى الصلح بين الطاعن والمطعون، والابتفاق بين الغائب والمضنون، فبادر المفتي إلى هذا السعي الحميد للوافق لطبعه، وكاشفني بذلك بالمراسلة فلكلمة بالمسرة فزيارتي للمشافهة بذلك في دار المنار، وأكد لي خبر استيلاء الاستاذ الأكبر كاستيائه مما حصل ورغبته في الصلح، واعطاني

الحق في الدفاع عن نفسي في مجلة نور الاسلام على الوجه الذي ارتضيته لنفسى من نفسي وهو اجتناب الطعن الشخصي في كاتب المقال بمثل طمئه علي ولا بما هو دونه، وذلك بان اذكر التهم التي اتهمني بها وأرد عليها ، واقتراح أيضا أن أنقح مقدمة المقالة التي أرسلتها إلى المجلة فوعده بذلك ، وقال انه هو الاستاذ الأكبر يكفلان إرضاء الطاعن بالصلح، وحمله على كتابة شيء يرضيني . قلت ان ذلك خير له ولشيخه الازهر ومجلتها، وهو لا يهني

أرسلت مقالة الرد إلى رئيس تحرير المجلة المذكورة في ١٤ جمادى الاولى وتلاه السعي إلى الصلح إلى أن دخل الشهر الذي بمده وقد صدرت في فرته المجلة وفيها مقالة أخرى في الطعن على صاحب النار ، وقد كثرت في هذا الشهر مكاتبة الناس إياي بوجوب الرد على هذه المجلة وجاءتني مکتوبات في ذلك من مصر ومن الحجاز بعضها في الرد وبعضها في انتظار الرد مني ، وأنشأ بعض العلماء يردون عليها في الجرائد، وأنا لا أزال أنتظر ثمرة سعي الاستاذ المغني إذ وعدته بالامساك عن النشر فيها إلى أن تظهر لي النتيجة لهذه المقدمات ، وقد تأخر اصدار هذا الجزء الى أن ظهرت نتيجة الصلح بنقض الخصم له يوم عقده وقيمت نتيجة ما يضره شيخ الازهر من خبيء في المسألة فهي حياة طلمة وقد شرعت في الرد على مجلتها ، فلينتظر قراء النار الجزء الآتي ولي أن أقول الآن ان هذا الطعان الشيخ يوسف الجوي لجدير بلقب صديقه وإمامه الرجوع الشيخ يوسف النبهاني ، ولكن النبهاني كان يفوقه في الادب ، وسنأى يفوقه في السباب والمراء والجدل ، فهو من الذين قال فيهم الاستاذ الامام انهم يتعلمون كتباً لاعلماً ، وانه لم يبق عندهم إلا تحاور في الالفاظ أو تناظر في الاساليب في قليل من الكتب اختارها الضيف وفضلها القصور ، وهو لم يحقق شيئاً من تلك الكتب التي حذقها كثيرون منهم ولكنه حقق شيئاً آخر ما أسف اليه أحد منهم فيما نعلم وهو ما يجد الناس نموذجاً في مقالاته الدالة على انه ليس له أدنى حظ من العلوم التي يجادلنا في مسائلها وهي التوحيد والتفسير والحديث والبدع والسنن ، وكأني بقارى بهاائه يتلو حول الله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)

فَيَسِّرْ لَنَا ذِي الْقُرْبَىٰ
الْقَوْلَ فَيَقْبَلُونَ أَمْرَهُ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَصْلَحُ الْفَعْلُ لِمَا
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْوَالِدُ الْبَابُ

المسحوق

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذَرُهَا إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام صُورِي « وضاراً » كندار الطيريه

جمادى الآخرة ١٣٥١ برج المقرب سنة ١٣١١ هـ ش أكتوبر سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سورة القصص

المقصد الثالث من مقاصد القرآن

﴿ بيان أن الاسلام دين الفطرة السليمة ، والعقل والفكر ، والعلم والحكمة ،
والبرهان والحجة ، والضمير والوجدان ، والحرية والاستقلال ﴾

قد أتى على البشر حين من الدهر لا يعرفون من الدين إلا أنه تعالىم خارجة
عن محيط العقل كلف البشر بها^(١) مقاومة فطرتهم، وتعذيب أنفسهم، وصكابة
عقولهم وبصائرهم، خضوعاً للروضاء الذين يلقونهم بإيها، فإن اتقوا لسيطرتهم
(١) الظرف متعلق بالمصدر الذي بعده وفعل التكليف يعطى بنفسه وعلماء
الاصول والفقه يعدونه بالباء

عليهم بها كانوا من الفاضلين ، وإن خالفوم سرّاً أو جهراً كانوا من المالكين حتى إذا بعث الله محمداً خاتم النبيين ، بتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويذكهم مما كانوا فيه من الضلال اللين — بين لهم أن دين الله الاسلام هو دين الفطرة ، والعقل والفكر ، والعلم والحكمة ، والبرهان والحجة ، والضمير والوجدان ، والحرية والاستقلال ، وإن لا سيطرة على روح الانسان وعقله وضميره لأحد من خلق الله ، وإنما رسل الله هداة مرشدون ، مبشرون ومنذرون ، كما تقدم بيانه في المقصد الذي قبل هذا ، ونبين هذه المزايا بالشواهد المختصرة فنقول :

(١) الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى (٣٠ : ٣٠) فآقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله — ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (الحنيف صفة من الحنف (بالتحريك) وهو الميل عن العوج إلى الاستقامة ، وعن الضلالة إلى الهدى ، وعن الباطل إلى الحق ، ويقابله الزيف وهو الليل من الحق إلى الباطل الخ وفطرة الله التي فطر الناس عليها هي الجيلة الانسانية ، الجامعة بين الحياتين : السماوية الحيوانية ، والروحانية لللكية ، والاستعداد لمعرفة عالم الشهادة وعالم الغيب ، وما أودع فيها من غريزة الدين المطلق الذي هو الشعور الوجداني بسلطان غيبي فوق قوى الكون والسنن والاسباب التي قام بهما نظام كل شيء في العالم ، فرب هذا السلطان هو فاطر السموات والارض وما فيها ، والمصدر الذاتي للنفع والضرب المحركين لشعور التعبد الفطري ، وطلب العرفان الغيبي ، فالعبادة الفطرية هي التوجه الوجداني إلى هذا الرب الغيبي في كل ما يعجز الانسان عنه من نعم يحتاج اليه ويمعز عنه بكسبه ، ودفع ضرر ينهه أو يخافه ويرى أنه يعجز عن دفعه بجوهر وقوته ، وفي كل ما تشعر فطرته باستعدادها لمعرفة والوصول اليه مما لا نهاية له . وأعني بالانسان جنسه فما يعجز عنه المرء بنفسه دون أبناء جنسه فإنه يعده من مقدوره ، ويمد مساعدة غيره له من جنس كسبه ، فطلبه للمساعدة من أمثاله ليس فيها معنى التعبد عند أحد من البشر — فتمظيم الفقير الغني بوسائل استجدائه .

وخضوع الذئبق للقوي لاستنجاذه واستعداده على أعدائه ، وخضوع السوقه للمالك أو الأمير خوفاً منه أو رجائه — لا يسمى شيء من ذلك عبادة في عرف أمة من الأمم ولا ملة من الملل ، وإنما روح العبادة الفطرية ونحها هو دعاء ذي السلطان العلوي والقدرة الغيبية التي هي فوق ما يعرفه الإنسان ويعقله في عالم الاسباب ، ولا سيما الدعاء عند المعجز والشهائد قال ﷺ « الدعاء هو العبادة »^(١) هكذا بصيغة المحصر أي هو الركن المعنوي الأعظم فيها لأنه روحها المفسر برواية « الدعاء مخ العبادة »^(٢) وكل تعظيم وتقرب قولي أو علي لصاحب هذه القدرة والسلطان فهو عبادة له — هذا أصل دين الفطرة الغريزي في البشر

وعلى هذا الأصل يبني الدين التعاملي التشريعي الذي هو وضع إلهي يوجهه الله إلى رسله لئلا يضل عباده بضعف اجتهدهم واختلافهم في العمل بمقتضى غريزة الدين كما وقع بالفعل ، ولا يقبله البشر بالأذن والوازع النفسي إلا إذا كان الملقن لهم إياه مؤيداً في تبليغه وتعليمه من صاحب ذلك السلطان الغيبي الأعلى . والتصرف الذاتي المطلق في العالم الذي تخضع له الاسباب والسنن فيه وهو لا يخضع لها ، وهو الله رب العالمين ، وقد شرحنا هذه الحقيقة مراراً وبيننا في مواضع من التفسير والمأرمعنى كون الإسلام دين الفطرة ، وأنه شرع لتكيد استعداد البشر للرفق في العلم والحكمة ، ومعرفة الله عز وجل التي هي أعلاها وأكملها ، فليس فيه شيء يصادمها فهذا الدين التعليمي حاجة من حاج الفطرة البشرية لا يتم كلها النوعي بدونها ، فهو لنوع الإنسان كالعقل لأفراده كما حققه شيخنا الأستاذ الامام

(٢) الاسلام دين العقل والفكر

تقرأ قاموس الكتاب المقدس فلا تجد فيه كلمة « العقل » ولا ما في معناها من أسماء هذه الغريزة البشرية التي فضل الإنسان بها جميع أنواع هذا الجنس الحي كاللب والنمى ، ولا أسماء التفكير والتدبر والنظر في العالم التي هي أعظم وظائف العقل ، ولا أن الدين موجه إليه ، وقائم به وعليه . أما ذكر العقل باسمه وأفعاله في (١) رواه أحمد وأحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المقرد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم عن النعمان بن بشير (٢) رواه الترمذي عن أنس

القرآن الحكيم فيبلغ زهاء خمسين مرة ، وأما ذكر أولي الالباب ففي بضع عشرة مرة ، وأما كلمة أولي النهى أي القول فقد جاءت مرة واحدة من آخر سورة طه أكثر ماذ كرفل العقل في القرآن قد جاء في الكلام على آيات الله وكون الخاطبين بها والذين يفهمونها ويهتدون بها هم العقلاء ، ويراد بهذه الآيات في الغالب آيات الكون الدالة على علم الله ومشيبته وحكمته ورحمته ، كقوله تعالى (٢ : ١٦٤) إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) وبلي ذلك في الكثرة آيات كتابه التشرعية ووصاياه كقوله في تفصيل الوصايا الجامعة من أواخر سورة الانعام (٦ : ١٥١) ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وكرر قوله (أفلا تعقلون) أكثر من عشر مرار كأمره لرسوله أن يحتج على قومه بكون القرآن من عند الله لا من عنده بقوله (١٠ : ١٦) فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) وجعل إهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة بقوله في أهل النار من سورة الملك (٦٧ : ١٠) وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وفي معناه قوله تعالى من سورة الاعراف (٧ : ١٧٩) ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والانس لم قلوب لا يعقلون بها ولم أعين لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقوله في سورة الحج (٢٢ : ٤٦) أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) الآية كذلك آيات النظر العقلي والتفكير والتفكير كثيرة في الكتاب العزيز ، فمن تأملها علم ان أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكير والعقل والتدبر ، وان الغافلين الذين يعيشون كالأنعام لا حظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية التي لا تزكي الانفس ولا تصعد بها في مدارج الكمال ، بمرقان ذي الجلال والجمال ، ومنها قوله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا) وقوله (٣٠ : ٨) أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) وقوله في صفات العقلاء أولي الالباب (٣ : ١٩١) وتفكرون في خلق السموات

والارض) وقوله بعد نبي علم الغيب والتصرف في خزائن الارض عن الرسول ﷺ وحصر وظيفته في اتباع الوحي (٦ : ٧ قل هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون) وقد صرح بعض حكماء الغرب ، بما لا يختلف فيه عاقلان في الارض ، من أن التفكير هو مبدأ ارتقاء البشر ، وقد جودته يكون تفاضلهم فيه . اه وقد كانت التقاليد الدينية حجرت حرية التفكير واستقلال العقل على البشر حتى جاء الاسلام فأبطل بكتابه هذا الحجر ، وأعتقهم من هذا الرق ، وبعد أن تعلم هذه الحرية اتم الغرب من المسلمين ما هو لاء المسلمون فحرموها على أنفسهم ، حتى عاد بعضهم يخلدون فيها من أخذوها عن أجدادهم

(٣) الاسلام دين العلم والحكمة

ذكر اسم العلم معرفة ونكرة في عشرات من آيات القرآن الحكيم ، وذكرت مشتقاته أضاف ذلك ، وهو يطلق على علوم الدين والدنيا بأنواعها فن العلم المطلق قوله تعالى في وصايا سورة الاسراء (١٧ : ٣٦ ولا تقف ما ليس لك به علم) قال الراغب : اي لا تحكم بالقيافة والظن . وقال البيضاوي ما ملخصه : ولا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليداً او رجاء بالغيب ، واحتج به من منم اتباع الظن . وأجاب عن هذا فيما يتعلق بالعلم العملي - ثم قال : وقيل انه مخصوص بالمقائد « اي لأنها هي التي يشترط في صحتها علم اليقين ، ومنه قوله تعالى في علوم البشر المادية (٣٠ : ٦ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٧ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) الخ وقال (١٧ : ٨٥ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وقال الله تعالى (٢٢ : ٨) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (الظاهر ان المراد بالعلم فيه العلم النظري بدليل مقابله بالهدى والكتاب النير وهو هدى الدين . وقال تعالى (٣٠ : ٢٢) ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) بكسر اللام أي علماء الكون وقال بعد ذكر اخراج الثمرات المختلفة ألوانها من ماء اللطر واختلاف ألوان الطرائق في الجبال وألوان الناس والحيوانات (٣٥ : ٢٨) إنما يخشى الله من عباده العلماء)

الآية فالمراد بالعلماء هنا الذين يطمون أمرار الدكون وأسباب اختلاف أجناسه وأنواعه وألوانها وآيات الله وحكمه فيها

عظم القرآن شأن العلم تعظيماً لا تعود عظمة أخرى بقوله تعالى (١٨: ٣٠) شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط (الآية ، فبدأ عز وجل بنفسه وثنى بملائكته ، وجعل أولى العلم في المرتبة الثالثة ، ويدخل فيها الأنبياء والحكماء ومن دونهم من أهل الدرجات في قوله (١١: ٥٨) رفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وأمرنا كرمهم وأعلمهم بأن يدعوه بقوله (وقل رب زدني علماً) ويؤيد الآيات المنزلة في مدح العلم والحث عليه ماورد في ذم اتباع الظن كقوله تعالى (١٠ : ٣٦) وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ، ان الظن لا يغني من الحق شيئاً) ومثله (٥٣ : ٢٧) وما لهم به علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقوله في قول النصارى بصلب المسيح (٤ : ١٥٦) ما لهم به من علم الا اتباع الظن) وبلغ من تعظيمه لشأن العلم والبرهان ان قيد به الحكم بمنع الشرك بالله تعالى وانتهى عنه وهو أكبر الكبائر وأقصى الكفر فقال (٧ : ٣٢) قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والانتم والبني بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً وأن يقولوا على الله مالا تعلمون) السلطان البرهان :

وقال في بر الوالدين الكافرين (٢٩ : ٨) ووصينا الانسان بوالديه حسناً ، وانجاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) ومعلوم من الدين بالضرورة ان الشرك بالله لا يكون بعلم ولا ببرهان ، لانه ضروري البطلان وتري تفصيل هذا فيما بعده من تعظيم أمر الحجة والدليل وما يليه من ذم التقليد

وأما الحكمة فقد قال تعالى في تعظيم شأنها المطلق (٢ : ٢٦٩) يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الاباب) وقال تعالى في بيان مراده من نبذة محمد خاتم النبيين (٦٢ : ٢) هو الذي يمت في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وفي معناها آيتان في سورة البقرة وآل عمران : وقال لرسوله ممثلاً عليه (٤ : ١١٢) وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان

فضل الله عليك عظيماً) وقال له (١٦: ١٢٥ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقال له في خاتمة الوصايا بأهمات الفضائل والنهي عن كبائر الرذائل، مع بيان عظمها وما لها من العواقب (١٧: ٣٩) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) وقال إنسانه رضي الله عنهم (٢٣: ٣٤) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) وقد آتى الله جميع أنبيائه ورسله الحكمة، ولكن أضاعها أقوامهم من بعدهم بالتقاليد والرياسة الدينية، ونسخها بولس من النصرانية بنص صريح. قال الله تعالى في اليهود (٤: ٥٤) لم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) فالكتاب أعلى ما يؤتيه ته لى لمبادء من نعمه وبابه الحكمة وبناها الملك. وقال في نبيه داود عليه السلام (٢: ٢٥١) وآتاه الله العلم والحكمة وعلمه مما يشاء) وقال لنبيه عيسى عليه السلام (٦: ١١٣) وإذ عرفت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) وقال (٣١: ١٢) ولقد آتينا لقمان الحكمة) وذكر من حكمته وصاياه لابنه بالفضائل ومنافعها ونهيه عن الرذائل معلقة بمضارها. فالحكمة أخص من العلم، هي العلم بالشيء على حقيقته ومخايفه من الفائدة والنفع الباعثة على العمل، فهي بمعنى الفلسفة العملية كعلم النفس والأخلاق وأسرار الخلق، ويبدل عليه قوله تعالى بعد وصايا سورة الاسراء (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) ولولا افتتان تلك الوصايا بحكمها وعللها ومنافعها لما سميت حكمة. ألا ترى انه سمي للبذرين المال «إخوان الشياطين» لانهم يفسدون نظام المعيشة بأسرافهم، ويكفرون النعمة بدم حفظها ووضمها في مواضعها بالاعتدال، ولذلك قال عقبه (وكان الشيطان لربه كفوراً) ثم قال (٢٩) ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) فعلى الاسراف في الاتفاق بأن عاقبة فاعله أن يكون ملوماً من الناس ومحسوراً في نفسه، والمحسور من حسر عنه ستره فانكشف منه الخفى ويطلق على من انحسرت قوته وانكشف عن عجزه، والمحسور الغنوم أيضاً. وكل هذه المعاني تصح في وصف المسرف في النفقة بوقفه إسرافه في العدم والفقر الخ وحسب البصر كليله وقصيره

ويكثر في القرآن ذكر الفقه وهو الفهم الدقيق للحقائق التي يكون به العلم حكيمًا

(٤) الاسلام دين الحجة والبرهان

قال تعالى (٤: ٧٣) يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً (وقال (٢٣: ١١٧) ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به عند ربه انه لا يفتح الكافرون) قيد الوعيد على الشرك بكونه لا برهان لصاحبه يحتاج به عند ربه مع العلم بأنه لا يكون إلا كذلك تعظيماً لشأن البرهان، وذلك انه تعالى يبعث الامم مع رسلهم وورثتهم الذين يشهدون عليهم ويطلبهم بمحضرتهم بالبرهان على ما خالفهم فيه كما قال (٢٨: ٧٥) ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم، فسلوا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون)

وأقام البرهان العقلي على بطلان الشرك بقوله بعد ذكر السموات والارض من سورة الانبياء (٢١: ٢٢) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .. ثم قفى عليه بمطالبة للمشركين بالبرهان على ما اتخذوه من الآلهة من دونه مطالبة تعجيز فقال (٢٤) أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم (الآية) ومثله في سورة النمل (٢٧: ٦٤) أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض؟ ألهة مع الله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)

وقال في سياق حاجة ابراهيم لقومه وإقامة البراهين العلمية لم على بطلان شركهم (٦: ٨١) وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) ثم قال في آخره (٨٣) وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه زرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) فالدرجات هنا درجات الحجة والبرهان العقلي على العلم ولذلك قدم فيه ذكر الحكمة على العلم، وتقدم في الكلام على العلم آية رفع الدرجات فيه

وما جاء فيه البرهان بلفظ السلطان قوله تعالى (٤٠: ٣٥) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا (الآية) وفي معناها من هذه السورة (٥٦) ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم ان في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه (الآية) وفي هذه سور انه تعالى أرسل موسى إلى فرعون بإياته (وسلطان مبين)

(٥) الاسلام دين القلب والوجدان والضمير

قال الفيومي في الصباح : ضمير الانسان قلبه وباطنه والجمع ضمائر ، وقال والقلب من الغؤاد معروف - يعني انه ضميره ووجدانه الباطن (قال) ويطلق على العقل . اه وقد شرحنا معناه هذا وطرق استعماله في تفسير آية الاعراف (١) وقد ذكر في القرآن الكريم في مائة آية وبضع عشرة آية

منها قوله تعالى في سورة ق (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وقوله في سورة الشعراء (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ومدحه لخليله ابراهيم عليه السلام بقوله (إذ جاء به بقلب سليم) وقوله حكاية عنه (ولكن ليطمئن قلبي) وقوله في صفة المؤمنين (الذين آمنوا وقطعتن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقوله في صفات الذين اتبعوا عيسى عليه السلام (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها) ووصف قلوب المؤمنين بالخشوع والاخبات لله وتمحيصها من الشوائب وقلوب الكفار والمنافقين بالجس والمرض والقسوة والزيغ ، وعبر عن قفدها للاستعداد للحق والخير بالطبع والختم والربن عليها

وإذ كان الاسلام دين العقل والبرهان ، وحرية الضمير والوجدان ، منع ما كان عليه النصراني وغيرهم من الاكراه في الدين والاجبار عليه والفتنة والاضطهاد فيه ، والآيات في ذلك كثيرة بينها في محلهاء ، ومن دلائلها ذم القرآن للتقليد وقضيل أهله

(٦) منع التقليد والجود على اتباع الآباء والجدود

كل ما نزل من الآيات في مدح العلم وفصله واستقلال العقل والفكر وحرية الوجدان يدل على ذم التقليد ، وقد ورد في ذمه والتعني على أهله آيات كثيرة كقوله (١٧٠: ٢) وإذا قيل لم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يصقلون شيئاً ولا يهتدون) وقوله تعالى (١٠٤: ٥) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان

آباؤهم لا يعملون شيئاً ولا يبتدون) ذمهم من ناحيتين (إحداهما) الجود على ما كان عليه آباؤهم والاكتفاء به عن انتزاع في العلم والعمل ، وليس هذا من شأن الانسان الحي العاقل فإن الحياة تقتضي النمو والتوليد ، والعقل يطلب المزيد والتجديد (والثانية) انهم باتباعهم لا يأنهم قد فقدوا مزية البشر في التمييز بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والحسن والقبيح ، بطريق العقل والعلم ، وطريق الاهتداء في العمل ويؤيده قوله (٢٨: ٧) اذ انهم فاحشوا قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أقولون على الله مالا تعلمون) وقال تعالى في عبادة العرب للملائكة (٤٣ : ٢٠) وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون ٢١ أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ٢٢ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ٢٣ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وقد وردت الشواهد على هذا في قصة ابراهيم مع قومه في سور الانبياء والشعراء والصافات .

فالقرآن قد جاء يهدي جميع متبني الملل والاديان السابقة إلى استعمال عقولهم مع ضمائرهم للوصول الى العلم والهدى في الدين ولا يكتفوا بما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من ذلك ، فان هذا جناية على الفطرة البشرية والعقل والفكر والقلب التي امتاز بها البشر ، وبهذا العلم والهدى امتاز الاسلام ودخل فيه العقلاء من جميع الامم أفواجا ، ثم نكس المسلمون على رءوسهم ، واتبعوا سنن من قبلهم حتى أجل الكتاب وغيرهم في التقليد لا يأنهم ومشايخهم المنسويين إلى بعض أئمة علمائهم ، الذين نهوهم عن التقليد ولم يأمرهم به ، فأبطلوا بذلك حجة الله تعالى على الأمم وخصاؤه ، حتى على دينهم ، حتى ان ادعاء العلم الرسمي فيهم ينكرون أشد الانكار على من يدعوهم الى اتباع كتاب الله وهدى رسوله وسيرة السلف الصالح من أهله ، ونحن معهم في بلاء وعناء ، تقاسي منهم ماشاء الجهل والجود من استهزاء وظلم وخذل . وبذاء ، وشتمك بلقب « المجتهد » الذي احتكره الجهل لبعض المتقدمين من العلماء ولو كان قديما علماء كثيرون يظهرون الاسلام في صورته الحقيقية العلمية العقلية لدخل الناس المستقلون في العقل والعلم أفواجا حتى يم الدنيا . لان التعليم المصري

في جميع مدارس الارض يجرى على طريقة الاستقلال في الفهم واتباع الدليل في جميع بلاد الافرنج والبلاد القلدة لم. ولكن أكثر هؤلاء يرون جميع الاديان تقليدية ويمتدونها نظراً أدبية واجتماعية للأئمة، فلذا يرون الاولى يحفظ نظامهم اتباع دينهم التقليدي ، وبهذا يمسر علينا أن نقنعهم بامتياز الاسلام على دينهم ، لانه يقل قننا من يقرر على إظهار الاسلام في صورته التي خصه بها القرآن ، وما بينه من سنة خاتم النبيين ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين والسلف الصالحين ، رضوان الله عليهم أجمعين

— دحض شبهة ، وإقامة حجة —

يتوهم بعض المقلدين ان دعوة المسلمين إلى الاهتداء بالكتاب والسنة والاستقلال في فهمها التي اشتهر النار في عصرنا بها هي التي جرت بعض الجاهلين على دعوى الاجتهاد في الشريعة والاستغناء عن تقليد الائمة والانتقاد عليهم وعلى اتباعهم بما هو ابتداء جديد ، واستبدال لقنوض بالتقليد. وهو وهم سببه الجهل بالدين والتاريخ ، فذاهب الابتداء والاحاد قديمة ، قد نجمت قرونها في خير القرون وعهد أكبر الائمة ، وكان أشدها إفساداً للدين الدعوة الى اتباع الائمة المعصومين ، الذين لا يستلون عن الدليل ، على خلاف ما كان عليه أئمة السنة من محرم اتباع أجدلذاته في الدين بعد محمد المعصوم الذي لا معصوم بعده ﷺ. ولكن المقلدين لهؤلاء المحرمين للتقليد قد اتبعوا القائلين بمصمة أئمتهم حتى ملاحدة الباطنية فهم يردون نصوص الكتاب والسنة بأقوال أئمتهم بل بأقوال كل من ينتمي اليهم من أعداء العلم . وانما تروج البدع في سوق التقليد الذي يتبع أهله كل ناعق ، لا في سوق الاستقلال والاخذ بالادلة ومن باب التقليد دخل أكثر الخرافات على المسلمين لانتساب جميع الدجالين من أهل الطرائق وغيرهم إلى أئمة المذاهب المجتهدين ، وهم في دعوى اتباعهم من الكاذبين ، ونحن دعاة العلم الصحيح والاهتداء بالكتاب والسنة أحق منهم باتباع الائمة ان في كتب التفسير والفقه والتصوف وشروح الاحاديث لعلماء المنسويين إلى الائمة كثيراً من البدع والخرافات التي يتبرأ منها أئمة الهدى وتورى علماء الرسوم للجامدين محتجون بذكرها في هذه الكتب على شرعيتها وعلى رد نصوص الكتاب والسنة

الصحيحة بها، والمناقرة انفراد دون علماء مصر وغيرها بالرد على هؤلاء، وعلى البابية والبهائية والقاديانية والتيجانية والقبوريين وسائر مبتدعة عصرنا، والله الحمد والمنة

(٧) الحرية الشخصية في الدين بمنع الاكراه والاضطهاد ورياسة السيطرة

هذه المزية من مزايا الاسلام هي نتيجة المزايا التي بينا بها كونه دين الفطرة فأما منع الاكراه فيه وعليه فالاصل فيه قوله تعالى لرسوله ﷺ بمكة (١٠: ٩٩) ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟ ١٠٠ وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ١٠١ قل انظروا ماذا في السموات والارض، وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) علم الله تعالى رسوله بهذه الآيات أن من سنه في البشر أن تختلف عقولهم وأفكارهم في فهم الدين وتتفاوت أنظارهم في الآيات الدالة عليه فيؤمن بعض ويكفر بعض، فما كان يتمناه ﷺ من إيمان جميع الناس مخالف لمقتضى مشيئته تعالى في اختلاف استعداد الناس للإيمان وهو منوط باستعمال عقولهم وأنظارهم في آيات الله في خلقه، والتمييز بين هداية الدين وضلالة الكفر

ثم قوله تعالى له عند ما أراد أصحابه أخذ من كان عندي النصير من أولادهم عند إجلائهم عن الحجاز وكان قد نهود بعضهم (٢: ٢٥٦) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) الآية — فأمرهم ﷺ أن يغيروهم فن اختار اليهودية أجلي مع اليهود ولا يكره على الاسلام، ومن اختار الاسلام بقي مع المسلمين

وأما منع الفتنة وهي اضطهاد الناس لأجل دينهم حتى يتكروه فهو السبب الاول لشرعية القتال في الاسلام كما بيناه في تفسير قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) من سورة البقرة . وتفسير آية ٣٩ من سورة الانفال فراجع تفسير هذه الآية في ص ٦٦٥ ج ٩ تفسير

وأما منع رياسة السيطرة الدينية كالمهودة عند النصارى ففيها آيات مبينة في القرآن، وهي معلومة بالضرورة من سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين وقد بيناها في الكلام على وظائف الرسل عليهم السلام، وحسبك منها قوله عز وجل لرسوله ﷺ خاتم النبيين (ص) ٨٨: ٢١ فذكر إنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر (٢)

المقصد الرابع من مقاصد القرآن

(الاصلاح الاجتماعى الانسانى والسياسى الذى يتحقق بالوحدات الثمان)

وحدة الامة - وحدة الجنس البشرى - وحدة الدين - وحدة التشريع
بالمساواة فى العدل - وحدة الاخوة الروحية والمساواة فى التعبد - وحدة الجنسية
السياسية الدولية - وحدة القضاء - وحدة اللغة

جاء الاسلام والبشر أجناس متفرقون، يتجادون فى الانساب والالوان،
واللغات والاطنان والاديان، والذاهب والمشارب، والشعوب والقبائل، والحكومات
والسياسات، يقاتل كل فريق منهم مخالفه فى شيء من هذه الروابط البشرية وإن
واقفه فى البعض الآخر، فصاح الاسلام بهم صيحة واحدة دعاهم بها إلى الوحدة
الانسانية العامة الجامعة وفرضها عليهم، ونهاهم عن التفرق والتعادى وحرمه عليهم،
وبيان هذا التفرق ومضاره بالشواهد التاريخية، وبيان أصول الكتاب الالهى وسنة
خاتم النبيين فى الجامعة الانسانية، لا يمكن بسطها إلا بمصنف كبير، فنكتفى فى
هذه اختلاصة الاستطراذية فى اثبات الوحي المحمدي، بسرد الاصول الجامعة فى
هذا الاصلاح الانسانى الداعى إلى جعل الناس ملّة واحدة، ودين واحد، وشرع
واحد، وحكم واحد، ولسان واحد، كما ان جنسهم واحد، وربهم واحد
ونبدأ بالاصل الجامع فى هذا ونقتفى عليه بالاصول والشواهد للفصله له

﴿الاصل الاول للجامعة الاسلامية الانسانية وحدة الامة﴾

قال الله تعالى فى سورة الانبياء مخاطباً أمة الاسلام (٢١ : ٩٢) إن هذه أمتكم أمة
واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

ثم بين لها فى سورة المؤمنين أنه خاطب جميع النبيين بهذه الوحدة للامة فقال
(٧٣ : ٥١) يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم (٥٢)
وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) ولكن كان لكل نبي أمة من الناس
هم قومه، وأما خاتم النبيين فأتمته جميع الناس ، وقد فرض الله عليهم الايمان بجميع

رسله وعدم التفرقة بينهم كما تقدم ، فالإيمان بمخاتمهم كالإيمان بأولهم وبين بينهما ، فقلهم كمثل الملوك أو الولاة في الدولة الواحدة ، ومثل اختلاف شرائعهم بنسخ المتأخر منها لما قبله كمثل تعديل القوانين في الدولة الواحدة أيضاً

(الاصل الثاني) الوحدة الانسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم وشاهده العام قوله تعالى (١٣: ٤٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ (وقد بلغ النبي ذلك اللامة يوم العيد الاكبر بمضى في حجة الوداع . وهذه الوحدة تتضمن الدعوة الى التألف بالتعارف ، وإلى ترك التعادي بالتخالف .

(الاصل الثالث) وحدة الدين باتباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي جاء به غيره من الرسل وأكل تشريعه بما يوافق جميع البشر ، وشاهده الاعم قوله تعالى (١٦٨: ٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) ولما كان الاسلام دين الفطرة وحرية الاعتقاد والوجدان جعل الدين اختياريا بقوله تعالى (٢: ٢٥٦) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَمَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)

(الاصل الرابع) وحدة التشريع بالمساواة بين الخاصين لأحكام الاسلام في الحقوق المدنية والتأديبية بالعدل المطلق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمالك والسوقة والغني والفقير ، والقوى والضعيف وسند ذكر بعض شواهد في إصلاح التشريع فيه

(الاصل الخامس) للمساواة بين المؤمنين بهذا الدين في اخوته الروحية وعبادته وفي الاجتماع الاجتماعي منها كالصلاة ومناسك الحج ، فلوك المسلمين وأمرؤهم وكبار علمائهم يجتلبطون بالقراء والموام في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة المشرفة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج ، ولا تجد شعوب الافرنج المنتسبين إلى النصرانية يرضون بمثل هذه المساواة المعلومة من دين الاسلام بالضرورة للعمل بها من أول الاسلام الى اليوم قال تعالى (١٠: ٤٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (وقال في سياق الكلام عن المشركين المحاربين (١١: ٩) قُلْ تَابَوْا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَاوَنُكُمْ فِي الدِّينِ)

(الاصل السادس) وحدة الجنسية السياسية الدولية بان تكون جميع البلاد الخاضعة للحكم الاسلامي متساوية في الحقوق العامة إلا حق الإقامة في جزيرة العرب أو الحجاز فانه خاص بالمسلمين لان للحرمين وسياجهم ما من الجزيرة حكم العابد والمساجد ، وحكم الاسلام في معابد ، لئلا كلها أنها خاصة بأهلها ولها حرمتها لا يجوز تغير أهلها دخولها بغير إذن منهم ، المسلمون وغيرهم في هذا سواء

(الاصل السابع) وحدة القضاء واستقلاله ومساواة الناس فيها أمام الشريعة العادلة إلا انه يستثنى منه الاحكام الشخصية الدينية فان الاسلام يراعي فيها حرية العقيدة والوجدان بناء على أساسه في ذلك . فهو يسمح لغير المسلمين في أمور الزوجية ونحوها أن يتحاكوا إلى علماء ملتهم ، وإذا تحاكوا إلينا فالتناحك بينهم بعدل شريعتنا الناسخة لشرائعهم ، والاصل فيه قوله تعالى (٤٢: ٥) فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) وقوله بعد آيات (٤٩) وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) . (الاصل الثامن) وحدة اللغة ولا يمكن أن يتم الاتحاد والاخاء بين الناس وصيرورة الشعوب الكثيرة أمة واحدة إلا بوحدة اللغة . وما زال الحكماء الباحثون في مصالح البشر العامة يتهنون لو يكون لهم لغة واحدة مشتركة يتعاونون بها على التعارف والتآلف ومناهج التعليم والآداب والاشتراك في العلوم والفنون والمعاملات الدينية ، وهذه الأمنية قد حققها الاسلام بمجمل لغة الدين والتشريع والحكم لغة لجميع المؤمنين به والخاضعين لشريعته ، إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله وسنة رسوله لفهمها والتعبدها والاتحاد باخوتهم فيها ، وهما مناط سيادتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولذلك كرر في القرآن بيان كونه كتابا عربيا وحكما عربيا وكرر الامر بتدبره والتفقه فيه والانماظ والتأدب به ، وأما غير المؤمنين فيتعلمون لغة الشرع الذي يخضعون لحكمه ، والحكومة التي يتبعونها لمصالحهم الدنيوية كما هي عادة البشر في ذلك ، وكذلك كان الامر في الفتوحات الاسلامية العربية كلها

وقد بينت من قبل وجوب تعلم اللغة العربية في دين الاسلام وكونه مجمعا

٦٥٦ الحديث بكون اللغة العربية لغة جميع المسلمين وكل من ينطق بها النار : ج ٣٢م٩

عليه بين المسلمين كما قرره الامام الشافعي (رض) في رسالته وقد جري عليه العمل في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ثم خلفاء الامويين والعباسيين الى أن كثر الاجامج وقل العلم وغلب الجهل فصاروا يكتبون من لغة الذين بما فرضه في العبادات من القرآن والاذكار (قراجع ذلك في ص ٣١٠ من جزء التفسير التاسع)

ولقد كان النبي ﷺ ينكر على المسلمين كل نوع من أنواع التفرق الذي ينافي وحدتهم وجعلهم أمة واحدة كالجسد الواحد كما شبههم بقوله « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه الامام أحمد ومسلم من حديث النعمان بن بشير (رض) وكان يخص بمقتته وإنكاره التفرق في الجنس النسبي أو اللغة، أما الاول فمشهور وأما الثاني فيجمله مع الاول الشاهد الآتي

روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى مالك عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال : هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا؟ (يعني هذا المنافق بالرجل النبي ﷺ) وان الاوس والخزرج من قومه العرب ينصرونه لانهم من قومه ، فما الذي يدعو الفارسي والرومي والحبشي إلى نصرته؟ فقام اليه معاذ بن جبل (رض) فأخذ بتلييه (أى بما على لبيه ونحرم من الثياب) ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بمقاتته ، فقام النبي ﷺ مغضباً بجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودي : ان الصلاة جامعة — وقال ﷺ

« يا أيها الناس ان الرب واحد ، والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فن تكلم بالعربية فهو عربي » فقام معاذ ، قال فما تأمرني بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال «دعه إلى النار » فكان قيس ممن ارتد في الردة قتل

أرأيت لو ظل المسلمون على هذه الترية المحمدية أكان وقع بينهم من الشقاق والحروب باختلاف الجنس واللغة كل ما وقع وأدى بهم إلى هذا الضعف العام ؟ أرأيت لو حافظوا على هذه الاخوة الاسلامية أكانت هذه الفتنة من ملاحظة الترك

تجد سبيلا لاجتثاث هذه الدوحة الباسقة من جنة حكم الاسلام، وامتلاخ هذا السيف الصارم من غمده، والحيلولة بينه وبين كتاب الله المعصوم المنزل من عند الله باللغة العربية، وسنة رسوله المصلح لشعوب البشر وهي بالعربية، لاجل تكوين هذا الشعب وماأدغم ويدغم فيه من الشعوب تكويننا جديداً، برابطة لفة تخلق خلقا جديداً، لاجل أن يلحق بالشعوب الاوربية دعياً، كما يلحق الولد بغير أبيه إصافاً قريباً، فيقال ان رجلاً عظيماً جدد أو أوجد شعباً ولفة ودولة ودينا؟ هيئات هيئات لما يغنون لقد كان هذا الشعب (الترك) قانماً باسم الاسلام على رياسة روحية يدين لها أوبها زهاء اربع مائة مليون من البشر، ولو أوتي من العلم والحكمة ما يحسن به القيامة، ومن الحزم والعزم ما يعزز به القيادة، ومن النظام ما يحكم به السياسة، لا مكنه أن يسوس بها الشرق، ثم يسود بنفوذها الغرب، كما كان يقصدنا بليون الكبير لو تم له البقاء في مصر يعترض بعض أولي النظر القصير والبصر الكليل على توحيد اللغة في الشعوب المختلفة بأنه خلاف طبيعة البشر، ويرد عليهم بان توحيد الدين أبعد من توحيد اللغة عن طبيعة البشر، ان اريد بالبشر جميع أفرادهم، وان الحكماء ما زالوا يسعون لجمع البشر على لغة واحدة مشتركة تمع عليهم أن ترقى بعض اللغات بترقي أهلها في العلوم والفنون والسياسة والقوة يستحيل معه أن يرغبوا عنها إلى غيرها، ولم يسع أحد منهم لجمعهم على دين واحد، وان القرآن الذي شرع توحيد الدين مع شرعه ولقته لجمع البشر قد علمنا أن حكمة الله تعالى في خلق الانسان تأتي أن يكون الناس كلهم أمة واحدة تدين بدين واحد (١١٨: ١) ولو شاء ربك لجل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وإنما دعاهم إلى هذه الرحلة ليقبل الشقاء الذي يشعرونه بخلاف فيهم— هذا الخلاف الذي جعل أعلم شعوب الارض وأرقاهم في العمران ينزلون في هذا العهد أكثر مما تستغله شعوبهم من ثروة العالم في سبيل الحروب التي تنذر عمرانهم انحراب والدمار دعا الاسلام البشر كلهم إلى دين واحد يتضمن توحيد اللغة وغيرها من مقومات الامم فكانوا يدخلون فيه أفواجا حتى امتد في قرن واحد ما بين المحيط الغربي إلى الهند ولولا ما طرأ عليه من الابتداع، وعلى حكوماته من الظلم والاستبداد، وعلى شعوبه

من الجهل والفساد ، والتفرق بالاختلاف، لدخل فيه أكثر البشر ، ولصارت لنته لمة لكل من دخل في حظيره من الامم ، فن غرائزم اختيار الافضل إذا عرفوه
قال أحد كبار علماء الالمان في الاستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة : انه ينبغي لنا أن نقيم تمثالا من الذهب لماوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا (برلين) قيل له لماذا؟ قال لانه هو الذي حول نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية القلب ، ولولا ذلك لم الاسلام العالم كله ولكننا نحن الالمان وسائر شعوب أوربة عربا مسلمين

المقصد الخامس من مقاصد القرآنه

(تقرير مزايا الاسلام العامة في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات)

(ونلخص أهمها بالاجمال في عشر جمل)

- (١) كونه وسطا جامعا لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة قال تعالى (١٤٣:٢) وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) الآية . وقد بينا في تفسيرها ان المسلمين وسط بين الدين تغلب عليهم الحفظ الجسدية وللتنافع المادية كاليهود ، والدين تغلب عليهم التعاليم الروحية ، وتعذيب الجسد وإذلال النفس والزهد كالمندوس والنصارى وإن خالف هذه التعاليم أكثرهم
- (٢) كون غايته الوصول إلى عبادة الدنيا والآخرة بتزكية النفس بالايان الصحيح ومعرفة الله والعمل الصالح ومكارم الاخلاق ، ومحاسن الاعمال ، لا بمجرد الاعتقاد والاتكال ، ولا بالشغاعات وخوارق العادات ، وتقدم بيانه
- (٣) كون الغرض منه التعارف والتأليف بين البشر لا زيادة التفرق والاختلاف وتقدمت شواهد في كونه تاما مكلا ومتما لدين الله على أسنترسله في الكلام على آية القرآن وعموم بسمه محمد ﷺ وفي الكلام على الرسل من المقصد الثاني . وإنما تفصيل أصوله في تلك الوحدات الثمان التي بينها في المقصد الرابع
- (٤) كونه يسر آلا حرج فيه ولا عسر ولا إرهاق ولا إغناء ، قال الله

عز وجل (٢٨٦:٢) لا يكلف الله نفساً إلا وسعها (وقال بلغت حكمته (٢٢٠:٢) ولو شاء الله لا نعتمكم) وقال عظمته وأفته (١٨٥:٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال جلّت منته (٢٧:٢٢) وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقال عمت رحمته (٧:٥) ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) ومن فروع هذا الاصل ان الواجب الذي يشق على المكلف أدائه ويخرجه يسقط عنه إلى بدل أو مطلقا كالمريض الذي يرجى برؤه والذي لا يرجى برؤه ومثله الشيخ الهرم — الاول يسقط عنه الصيام ويقضيه كالسافر، والثاني لا يقضي بل يكفر بالطعام مسكين إذا قدر. وأما المحرم فيباح للضرورة بنص القرآن، وإن كان محرمة أو النهي عنه لسد ذريعة الفساد فيباح للحاجة كما بيناه في تفسير آيات الربا وآيات الصيام، وآية محرمات الطعام

وقد بينا مسألة يسر الاسلام العام بالتفصيل في تفسير (١٠٤:٥) يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) من الجزء السابع وجمع في رسالة خاصة. (٥) منع النوف في الدين وإبطال جعله تمذيباً للنفس بإباحة الطيبات والزينة بدون إسراف ولا كبرياء وقد فصلنا ذلك في تفسير الآيات الواردة في الأمر بالإكل من الطيبات في سورة البقرة وسورة المائدة وفي تفسير (٣١:٧) يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلموا واثربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المفسرفين ٣٢ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم) وهو في (٥ : ١٧١) و (٦ : ٧٧) وفي هذا النهي اعتبار للمسلمين لأنهم أولى بالانتهاء عن الغلو بأن دينهم دين الرحمة واليسر: والاحاديث الصحيحة في نهى المسلمين عن الغلو في العبادة وعن ترك الطيبات وعن الرهبانية والخصاء مينة لهذه الآيات وهي مصداق تسمية النبي ﷺ له بالحنيفية السمحة

(٦) قلة تكاليفه وسهولة فهمها وقد كن الاعرابي يمجى النبي ﷺ من البادية فيسلم فيعلمه ما أوجب الله وما حرم عليه في مجلس واحد فيعاهده على العمل به فيقول وأفلح

الأعرابي إن صدق» ولكن الفقهاء أكثروا التكليف بأرائهم الاجتهادية حتى صار العلم بها متعسراً ، والعمل بها متعذراً

(٧) انقسام التكليف إلى عزائم ورخص ، وكان ابن عباس يرجح جانب الرخص وابن عمر يرجح العزائم . والناس درجات في التقصير والتشمير والاعتدال ، فيوافق البدوي الساذج والفيلسوف الحكيم وما بينهما من الطبقات ، قال الله تعالى (٢٢:٣٥) ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا : فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير)

(٨) نصوص الكتاب وهدي السنة مراعى فيها درجات البشر في العقل والفهم وعلو الهمة وضمها ، فالقطعي منها هو المأمور ، وغير القطعي تتفاوت فيه الافهام ، فيأخذ كل أحد منه بما أداه إليه اجتهاده ، ولذلك كان ﷺ يقر كل أحد من أصحابه فيه على اجتهاده كما فعل عند ما نزلت آية البقرة في الحر واليسر الدالة على تحريمها دالة ظنية فتركها بعضهم دون بعض ، وأقر كلا على اجتهاده إلى أن نزلت آيتنا المانعة بالتحريم القطعي . قال تعالى (٢٩: ٤٣) وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا المالمون) وبيان ذلك أن الفرائض الدينية العامة فيه والمحرمات الدينية العامة لا يثبتان إلا بنص قطعي يفهمه كل أحد ، والاول مذهب الحنفية وأما الثاني وهو التحريم فهو مذهب جمهور السلف أيضاً ، وأما الآيات الظنية الدالة والاحاديث الآحادية الظنية الرواية أو الدلالة فهي موكولة إلى اجتهاد من تثبت عنده في العبادات والاعمال الشخصية ، وإلى اجتهاد أولى الامر في الاحكام القضائية والمسائل السياسية . وقد بينا هذا في مواضع من التفسير والمنار

(٩) معاملة الناس بغلواهرهم وجل البواطن موكولة إلى الله تعالى فليس لأحد من الحكام ولا الرؤساء الرسميين ولا خليفة المسلمين أن يعاقب أحداً ولا أن يحاسبه على ما يستند أو يضر في قلبه وإنما المقويات على المخالفات العملية للأحكام العامة المتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم ، وقد فصلنا هذا في خلاصة تفسير سورة براءة ... التوبة (١٠) مدار العبادات كلها على اتباع ما جاء به النبي ﷺ في الظاهر فليس لأحد فيها رأي شخصي ولا رئاسة ، ومدارها في الباطن على الاخلاص لله تعالى ووجه النية والآيات والاحاديث في الامرين كثيرة

المقصد السادس من مقاصد القرآن

(بيان حكم الاسلام السياسي الدولي : نوعه وأساسه وأصوله العامة)

الاسلام دين هداية ومبادئ ومبادئ وحكم لان ما جاء به من إصلاح البشر في جميع شؤونهم الدينية ومصالحهم الاجتماعية والقضائية يتوقف على السيادة والقوة والحكم بالعدل ، وإقامة الحق ، والاستعداد لحماية الدين والدولة ، وفيه أصول وقواعد

(القاعدة الأساسية الاولى للحكم الاسلامي)

الحكم في الاسلام للامة ، وشكله شورى ، ورئيسه (الامام الاعظم أو الخليفة) منفذ لشريعته ، والامة هي التي تملك نصبه وعزله ، قال الله تعالى في صفات المؤمنين (٤٢ : ٣٨) وأمرهم شورى بينهم (وقال لرسوله ﷺ (٣ : ١٥٩) وشاورهم في الامر) وكان ﷺ يشاور أصحابه في المصالح العامة من سياسية وحربية ومالية مما لا نص فيه في كتاب الله تعالى وقد بينت في تفسيرها حكمة ترك الشورى لاجتهاد الامة (١) وقال تعالى (٤ : ٥٨) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وأولوا الامر هم أهل الحل والعقد والرأي الحصيف في مصالحها الذين تثق بهم الامة وتتبعهم فيما يقررونه بدليل قوله تعالى بعد تلك الآية من سورتها (٨٣) وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فأولو الامر الذين كانوا مع الرسول وكلن الامريرداليه واليه في الشؤون العامة للامة من الامن والخوف وغيرها هم الذين كان ﷺ يستشيرهم في الامور الدقيقة والسرية المهمة . وكان يستشير جمهور المسلمين فيما لم به علاقة عامة ويعمل برأي الاكثر وإن خالف رأيه كاستشارتهم في غزوة أحد في أحد الامرين : الحصار في المدينة أو

الخروج إلى أحد لقاء المشركين فيه . وكان رأيه ورأي بعض كبار الامة الاول ورأي الجمهور الثاني فنفذ رأيه الأكثر ، ولكنه استشار في مسألة أمرى بدر خواص أولي الامر وعمل برأي أبي بكر ، كما فصلناه في تفسير سورة الانفال

وقد بينت في تفسير الآية الاولى (٥٨:٥) ما تدل عليه من قواعد الحكم الاسلامي وكونه أفضل من الحكم النيابي الذي عليه دول هذا العصر (١)

ومن الدلائل الكثيرة على أن التشريع القضائي والسياسي هو حق الامة المعبر عنها في الحديث بالجماعة أن القرآن يخاطب بها جماعة المؤمنين في هاتين الآيتين المختصتين بالحكم العام والدولة وفي سائر الاحكام العامة كقوله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) وما يليها من الآيات المتعلقة بالمعاهدات والحرب والصلح ، وما في معناها من سورة الانفال والبقرة وآل عمران ومثل قوله تعالى (٩:٤٩) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بنت إحداهما على الأخرى قتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فئن ظات فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) وكذلك خطابه لهم في أحكام الاموال كالغنائم وتخصيصها وقسمتها وأحكام النساء وغيرها (وقد بينا هذا كله في مواضعه من التفسير)

وقد صرح كبار النظار من علماء الاصول بأن السلطة في الاسلام للامة يتولاها أهل الحل والعقد الذين ينصبون عليها الخلفاء والأئمة ويمزلونهم اذا اقتضت المصلحة عزلم ، قال الامام الرازي في تعريف الخلافة : هي رئاسة طاعة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص . وقال في القيد الاخير (الذي زاده على من قبله) هو احتراز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لفسقه . قال العلامة السمد التتازاني في شرح المقاصد عند ذكر هذا التعريف وما علل به القيد الاخير : وكأنه أراد بكل الامة أهل الحل والعقد واعتبر رئاستهم على من عداهم أو على كل من أحاد الامة اه وقد فصلنا مسألة سلطة الامة في كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى) فهذه القاعدة الاساسية لدولة الاسلام أعظم إصلاح سياسي للبشر قررنا

القرآن في عصر كانت فيه جميع الامم مرهقة بحكومات استبدادية استعبدتها في أمور دينها ودنياها ، وكان أول منفذ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يقطع بأمر من أمور السياسة والادارة العامة للأمة إلا باستشارة أهل الرأي والمكانة في الامة ، ليكون قدوة لمن بعده

وتم جرى على ذلك الخلفاء الراشدون فقال الخليفة الاول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في أول خطبة خطبها على منبر رسول الله ﷺ عقب مبايعته: أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإذا استعمت فأعينوني ، وإذا زغت فقوموني . وقال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) من رأى منكم في عوجا خليقته . فقال له اعرابي لو رأينا فيك عوجا لقومناه بسيفنا ، فقال الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عوج عمر بسيفه . وكان يجمع أهل العلم والرأي من الصحابة ويستشيرهم في كل مسألة ليس فيها نص من كتاب الله ولا سنة أو قضاء من رسوله ﷺ وقال الثالث عثمان (رض) أمري لأمركم تبع . وكذلك كان عمل الخليفة الرابع علي المرتضى رضي الله عنه وكرم وجهه ولا أذكر له كلمة مختصرة مثل هذه الكلمات على المنبر .

وإذا أوجب الله المشاورة على رسوله فغيره أولى ، ولا يصح أن يكون حكم الاسلام أدنى من حكم ملكة سبأ العربية فقد كانت مقيدة بالشورى ، ووجد ذلك في أئم أخرى ، وإن جهل ذلك من جهل من الفقهاء

ولكن ملوك المسلمين زاغوا بعد ذلك عن هذا الصراط المستقيم إلا قليلا منهم ، وشايعهم علماء الرسوم المناقون ، وخطباء الفتنة الجاهلون ، حتى صار السلون يجهلون هذه القاعدة الاساسية لحكومة دينهم ، وكان من حسن حظ الافرنج في حربهم الصليبية أن كان سلطان المسلمين الذي نصره الله عليهم يقتني في حكمة إثر الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز وهو صلاح الدين الايوبي (رح) الذي قال لا أحد رجلة التميزين عنده وقد استعدها على رجل غشه « ما عسى ان أصنع لك والمسلمين قاض يحكم بينهم والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة وأوامره ونواهيه مثقلة وإنا أنا عبد الشرع وشحنته ، فالحق يقضي لك أو عليك » ومعنى عبارة السلطان انه ليس إلا

منفذاً لحكم اتشرع - كالشحنة وهو صاحب الشرطة - وأن القضاة مستقلون بالحكم لانهم يحكمون بالشرع العادل المساوي بين الناس. وقد اقتبس الصليبيون منه طريقة حكمه ثم درسوا تاريخ الاسلام فمرفوا منه ما جهله أكثر المسلمين المتأخرين حتى أسسوا حكم دولهم على قاعدة سلطة الامة التي جاء بها الاسلام ، وصاروا يدعونها لانفسهم ، ويعيرون الحكومات الاسلامية باستبدادها ، ثم بجمل الاسلام نفسه ضيب هذا الاستبداد والحكم الشخصي ، وصار المسلمون يصدقونهم ويرى المشتغلون بالسياسة وعلم الحقوق منهم انه لا صلاح لحكوماتهم إلا بتقليدهم ، فكان هذا من أسباب ضياع اعظم مزايا الاسلام السياسية التشريعية وذهاب أكثر ملكه

(أصول التشريع في الاسلام)

المعروف عند جمهور أهل السنة ان أصول التشريع الاساسية أربعة (١) القرآن المجيد ، والشهور عند علماء الاصول ان آيات الاحكام العملية فيه من دينية وقضائية وسياسية لا تبلغ عشر آياته ، وعددها بعضهم خمسمائة آية للعبادات والمعاملات ، والظاهر انهم يمتنون الصريح منها وأكثرها في الامور الدينية لان أكثر أمور الدنيا موكولة إلى عرف الناس واجتهادهم (٢) ماسنه رسول الله ﷺ للعمل والقضاء به من بيان لكتاب الله تعالى وقالوا أيضا ان أحاديث الاحكام الاصول خمسمائة حديث تمدها أربعة آلاف فيما أذكر (٣) إجماع الامة وافق الائمة على الاحتجاج بإجماع الصحابة في الدينيات ، وفي إجماع المجتهدين بعدم تفصيل (٤) اجتهاد الائمة والامراء والقضاة والقواد في الامور القضائية والسياسية والادارية والحربية ، وخصه بعض الفقهاء بالقياس وأنكر بعضهم القياس وقيده آخرون كما فصلنا ذلك في تفسير (٥ : ١٠١) وورد في هذا الترتيب أحاديث وآثار تدل على العمل به في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين (منها) حديث معاذ أن النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن قال له « كيف تصنع إذا عرض لك قضاء ؟ » قال أقضي بما في كتاب الله ، قال « فان لم يكن في كتاب الله ؟ » قال فبسنة رسول الله ﷺ قال « فان لم يكن في سنة رسول الله ﷺ » قال أجتهد رأيي لا آلو . قال معاذ : فضرب رسول الله ﷺ صدره ثم

قال « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله (ص) رواه أبو داود والترمذي من طريق الحارث بن عمرو وفيه مقال وله شواهد ، وأما العمل بهذا الترتيب فهو معروف عن الخلفاء الراشدين وقد بيناه في محله وبه أمر عمر (رض) قاضيه شريح في كتابه المشهور في القضاء ولكن الفقهاء يقدمون الاجماع حتى العرفي . عند علماء الاصول ، وهو مختلف فيه على النص

والاصل في شرعية اجتهاد الرأي للحكام حديث « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد » رواه الجماعة كلهم بل كان النبي ﷺ يعني أمراء الجيوش والسرايا حق الحكم بما يرون فيه المصلحة بقوله للواحد منهم « وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك على أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدري أنصيب فيهم حكم الله أم لا » رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث يزيدة . وقال مثل ذلك في إنزالهم على ذمة الامير دون ذمة الله ورسوله لئلا يخفروها .

(قواعد الاجتهاد من النصوص)

أحكام الكتاب والسنة منها أحكام خاصة بالاعمال والوقائع ومنها قواعد عامة للتشريع ، والاحكام الخاصة منها ماهو قطعي الرواية والملااة لاجمال للاجتهاد فيه ولا معدل عن الحكم به إلا لما نفع شرعي من فوات شرط كدء حد بشبهة أو عذر ضرورة ، وقد أمر عمر (رض) في الجماعة ألا يحدسارق . ومنها ماهو غير قطعي يعمل فيه باجتهاد من يناط به الحكم والتنفيذ من أمير أو قاض أو قائد جيش كما تقدم قريبا في العبادات والمحرمات .

وأما القواعد العامة فهي ما تجب مراعاته في الاحكام المختلفة ، وأهمها في الاسلام تحري الحق والعدل المطلق العام ، والمساواة في الحقوق والشهادات والاحكام ، وتقرير المصالح ، ودء الفساد ، ومراعاة العرف بشرطه ، ودء الحدود بالشبهات وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وتقدير الضرورة بقدرها . ودوران المعاملات على اكتساب الفضائل ، واجتناب الرذائل ، ونكتفي بالشواهد في العدل والظلم

(نصوص القرآن في إيجاب العدل المطلق والمساواة فيه وحظر الظلم)

لما كان العدل أساس الأحكام وميزان التشريع وقسطه المستقيم أكد الله تعالى الأمر به والمساواة فيه بين الناس في السور للكية والمادية . قال تعالى (١٦ : ٩٠) ان الله يأمر بالعدل والإحسان) وقال (٤ : ٥٧) ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقال (٥ : ١٣٥) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً)

أمر تعالى المؤمنين بالمبالغة في القيام بالقسط وهو العدل فإن القوام (بتشديد الواو) صيغة مبالغة للفاعل بالقيام بالأمر وعدم التهاون والتقصير فيه ، وبأن تكون شهادتهم في المحاكمات وغيرها لله عز وجل لا لهوى ولا مصلحة أحد ، ولو كانت على أنفسهم أو والديهم والأقربين منهم ، وأن لا يجابوا فيها غنياً لغناء فقيراً إلى أو تكريماً له ، ولا فقيراً لقره رحمة به وشفقة عليه ، ونهاهم عن اتباع الهوى في الحكم أو الشهادة كراعاة أن لا يمدلوا فيها لمراعاة من ذكر من الناس ، وأنذرهم عقابه إن لووا وماروا عن الحق أو أعرضوا عنه

وقال تعالى (٥ : ٨) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعتدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله أن الله خير بما تعملون) فهذه الآية متممة لما قبلها فهناك يأمر بالمساواة في العدل والشهادة بين النفس وغيرها ، وبين القريب والبعيد ، وبين الغني والفقير ، وههنا يأمر بالمساواة فيها بين الإنسان وأعدائه مما يكن سبب عداوتهم لافرق فيها بين ديني ودنيوي ، فالشنآن البغض والعداوة وقيل مع الاحتقار وقد قال (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) لا يحملنكم بفضهم وعداوتهم لكم أو بفضكم وعداوتكم لهم على ترك العدل فيهم ، فالعدل بالمساواة اقرب إلى تقوى الله ، وأنذر تارك العدل للشنآن بمثل ما أنذر به تارك المحاباة ، أنذر كلامها بأن الله خير بما يصعله لا يخفى عليه

منه شيء، فهو يحاسبه على عمله وعلى نيته وقصده منه، فيثيبه أو يعاقبه على ما يلزم من امره فالعدل هو الميزان في قوله تعالى (٤٢ : ١٧) الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وقوله (٥٧ : ٢٥) لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس الآية: فخير الناس من يصدم عن الظلم والعدوان هداية القرآن، ويليه من يصدم العدل الذي يقيمه السلطان، وشرم من لا علاج له إلا السيف والسنان، وهو المراد بالحديد فتروا صلاح العالم بالإيمان بالكتاب الذي يحرم الظلم وسائر المآسئ فيجتنبها المؤمن خوفاً من عذاب الله في الدنيا والآخرة ورجاء في ثوابه فيها، وبالعدل في الأحكام الذي يردع الناس عن الظلم بعقاب الساطن

ويؤيد قاعدة إقامة العدل ماورد في تحريم الظلم والوعيد الشديد عليه . فقد ذكر الظلم في مئات من آيات القرآن أسوأ الذكر، وقرن في بعضها بأسوأ العواقب في الدنيا والآخرة، وأن الجزاء عليه فيها اثر لازم له لزوم المصالح لليلة والمسبب للسبب، وأن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم (ولا يظلم ربك أحداً) ومن اثره وعاقبته في الدنيا انه مهلك الامم ومغرب العمران. قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، أي ما كان من شأننا ولا من سنته في نظام الاجتماع ان يهلك الامم بظلم من ظلمهم، أو بشرك به يقع منهم، وهم مصلحون في خيرتهم وأعمالهم، وإنما يهلكهم بظلمهم وإفسادهم، كما قال (وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً) وقال في الأحكام (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) ورد هذا في حكم القصاص،

(قواعد مراعاة الفضائل في الأحكام والمعاملات)

من استقرأ الأحكام الشرعية في الكتاب والسنة بأنواعها من شخصية ومدنية وسياسية وحرية يرى أن الغرض منها كلها قاعدة مراعاة الفضائل فيها من الحق والعدل والوفاء بالعهود والعقود، والرحمة والمحبة والمواساة والبر والاحسان، واجتناب الرذائل من الظلم والعدو وتقض اليهود والعقود والكنب والحياة

والقسوة والغش والخداع وأكل أموال الناس بالباطل كالربا والرشوة . وسيأتي الكلام في الإصلاح الحربي .

والعبرة في كل هذه القواعد التي فضل بها الاسلام جميع شرائع الانبياء وقوانين الحكماء والعلماء أنها قد جاءت على لسان نبي أمي نشأ بين أميين ، فهل كانت بوحى نبع بعد الكهولة من نفسه ، أم هو كما بلغنا وحى من ربه ؟

فتاوى المنتار

(الطريقة الشاذلية)

(م ٥١) من صاحب الامضاء بياقا

في رجب سنة ١٣٤٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨

إلى حضرة السيد الامام مفتي الاسلام سيدي محمد رشيد رضا مفتي المنار المضيء حفظه الله . انني مسلم موحد الله (لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ) وأريد أن أطلع على الحقوق المطلوبة مني للحق عز وجل ، وأريد أن أسألكم سؤالاً واحداً يكون جوابه من لطفكم وعواطفكم لا حرماناً الله من متعتكم الدنيوية ، وأريد نشره في مجلتكم (مجلة للنار) التي أتمنى لها خير النجاح وهو كما يأتي ، ولكم الاجر والثواب عند الله الواحد القهار

ماهي الطريقة الشاذلية ؟ منافها . مضارها . تأثيرها . مقصودها . خطتها . نشوءها . نموها . وان كان عندكم شيء زيدوا على ما سألت أنا ولكم الفضل سيدي ملاحظة : ان الذي أجبرني على أن أسأل حضرتكم هذا السؤال هو شيء واحد وهو أخي يمرض علي دخول هذه الطريقة ومسلكتها ، وأيضاً الذي جعلني

أن أمتنع عن القبول هو كلام الناس يحكون في حقها ما لا تقبله السامع ، فياترى هذا الكلام صحيح أم لا ؟ أخبرنا فإن كان لا فتكون أولاً نفعتي وثانياً نفمت الذي يريد أن يسلك في هذا السلك فهذا سألت هذا السؤال وأملى بأن ينشر على صفحات مناركم مع جوابه ولكم الفضل سيدي ومولانا رجب برزق
أخدمت خدمين السيد أحمد وعمود الشريف

(ج) كان سبب تأخير الجواب عن هذا السؤال انني كنت أريد أن أكتب خلاصة تاريخية لهذه الطريقة وفروعها ولا سيما الفرع الذي انتشر واشتهر في فلسطين بدعوى الحلول والجمع بين النساء والرجال في الاذكار والحلوات وغير ذلك من المنكرات التي أشار اليها السائل بقوله «يحكون في حقها ما لا تقبله السامع» وهذه الخلاصة تتوقف على بحث ومراجعة ، ولذلك مرت هذه السنوات ولم أجد لها فراغا ، ونسيت هذا السؤال بل ضل عني بين الاسئلة المهمة لاسباب مختلفة منها سبق الجواب عن مثلها ومنها انتظار الفرص للبحث عن موادها وأدائها كهذا السؤال . وإن أكثر فتاوى المنار في هذه السنين تكتب بدون مراجعة شيء من الكتب ، وأقلها بعدمراجعة لا تستغرق وقتاً طويلاً ، ولما تجد فرصة لكتابة هذه الخلاصة والذي نتصح به للسائل عن الطريقة الشاذلية أن يتجنبها ويتجنب امثالها من هذه الطرائق التي بين غرضها أحد كبار رجالها في القرن الماضي وهو السيد محمد الزعيبي الجليلاني شيخ الطريقة القادرية في طرابلس الشام وهو والد الاستاذ الكبير السيد عبد الفتاح الزعيبي نقيب السادة الاشراف والخطيب المدرس في الجامع الكبير المنصوري من زهاء قرن فقد أخبرني هذا الاستاذ ان بعض مريدي والده سأله عن سبب اختلاف أصحاب هذه الطرائق في عمامتهم وشاراتهم وأعلامهم وأورادهم وأذكارهم مع دعواهم ان الغرض من سلوك كل طريقة منها معرفة الله تعالى وعبادته الصريحة ، فقال له السيد النصف رحمه الله تعالى «تغيير شكل ، لأجل الاكل»
وأخبرني الاستاذ الشيخ محمد الحسيني أشهر علماء طرابلس لهذا العهد انه كان مرة في درس الشيخ الخضرى الكبير في الجامع الازهر فمر بالقرب من الجامع موكب لاهل الطريق بدفوفهم وصنوجهم وضجيجهم فسكت الشيخ عن تقرير

الدرس الى أن بدوا وخف صوتهم وقال لتلاميذه : ان جميع طرق الصوفية دخلتها البدع إلا الطريقة النقشبندية والطريقة الدمرداشية اه
ولكنني انتظمت بعد سماع هذا القول في سلك الطريقة النقشبندية فألفتها
لم تخل من البدع ، ثم اختبرت الطريقة الدمرداشية فوجدتها كذلك ، ولكن بدعها
أهون من بدع غيرها فليس فيها معازف ولا ملاء ولا أغاني ولا عبادة قبور ،
ولا اوراد غير ذكر الله تعالى . وقد تكلمت على بدعة الرابطة عند النقشبندية
وبدعة الذكر بالاسماء المفردة عندهم وعند غيرهم من قبل . وأين هي من التيجانية
والحلولية والاباحية من الشاذلية الترشيعية وغيرها . فعليك أيها المسلم أن لا تقرب أحداً
منهم ، وان لبعض من نفقه من شيوخهم فائدة في إرشاد العوام إلى الصلاة والصيام
وذكر الله وإن كان بعضه غير مأثور أو مبتدع كالذكر بالاسماء المفردة ، وهو هو ، وآه
أه ، فلو اعتصموا بالمأثور لكان خيراً لهم . وقد فصلنا هذه المسائل مراراً . وعليك
بتلاوة القرآن والاذكار والاوراد الماثورة في السنة الصحيحة ، وحسبك من مختصراتها
كتاب (الكلم الطيب من أذكار النبي ﷺ) لشيخ الاسلام ابن تيمية ، فإن أحببت
المزيد فعليك بكتاب الازكار للامام النووي أو الحصن الحصين للمحدث الجزري .

﴿استعمال الماء المزوج بالسوم وجراثيم الامراض المعدية﴾

س ٥٢ من صاحب الامضاء في زنجبار

حضرة العلامة الاستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا متعنا الله بوجوده

- (١) ما تقول فيمن بنى مسجداً وجعل فيه موضعاً لقضاء الحاجة وموضعاً للطهارة
بالحيطان وكان الاسم ينطلق بالمسجد فهل يجوز ذلك والحال ان الاسم اسم المسجد
- (٢) وما تقول في ماء بلغ قلتين وتوضأ صاحب القروح فيه وأهل الامراض العدوية
وحكم أهل الخبرة بمحدث الامراض بالتوضئين فهل يعمل قولهم بالاجتناب عن هذا
الماء الذي بلغ القلتين ولم يحمل خبثاً ؟ افتوني أنا بكم الله تعالى

من العبد المسيء

لازلم عمرين لما اندرس من المالم الدينية

فتاوي بن عيسى بزنجبار

(ج) يجب اجتناب استعمال الماء الذي دخلت فيه جراثيم الامراض الوبائية والادواء المعدية في الوضوء وغيره كالغليضة الوبائية وقروح الزهري والطاعون والسيل لانجاسته الفقهية ، بل لاتقاء ضرر مومنه المرضية — وأما السؤال الاول فلم نفهمه فان كان المراد منه أن المستعجنين ينحسبون جذران المسجد فعملهم غير جائز ولا يعقل أن يعد الواقف جذران المسجد لذلك

﴿ أسئلة من جاوة في ولادة عيسى عليه السلام ﴾

(س ٥٤ - ٥٦) من الاستاذ المرشد الشيخ محمد بسوي في عمران إمام مهراج (محمبس برينو)

حضرة صاحب الفضيلة الامام العلامة الحجة ، مولاي الاستاذ السيد محمد

رشيد رضا صاحب النار الانور نفغي الله تعالى والمسلمين بدومنه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فاني قرأت في بعض المجلات الملاوية مقالة مطولة لبعض الطلبة للادوين في بيان ولادة عيسى بن مريم قال فيها إنه لا بد لولادته من أب لان الله قال في كتابه (ولن نجد لسنة الله تبديلا) وقال تعالى (ولن نجد لسنة الله تحويلا) ورفض الاقوال اللؤيدة بدلائل القرآن أن عيسى ولد بغير أب . وقال غيره من بعض اصحاب المجلة ليأتنا من يعتقد أن ولادة عيسى بلا أب بآيات القرآن والاحاديث النبوية مع بيان درجتها وما أخذها

هذا. — واني قد قرأت تفسير النار لسورة آل عمران في بيان ولادته بلا أب ورأيت فيه ما يشفي الغليل من القربى يريدون الحق وإزهاق الباطل وفهم مراد الله من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولكن لما صارت هذه المسألة موضع النزاع الآن عندنا بين طلاب الادلة من الكتاب والسنة جثت باب فتاوى النار سائلا عن هذه المسألة ليكون جوابه عنها هو القول الفصل كما سبق له مما به أجاب ، انه الحكمة وفصل الخطاب وهانذا أصور الاسئلة كما يأتي

١ — هل ولادة عيسى بن مريم بلا أب مجمع عليها أم لا؟ وهل يكفر من جحدتها أم لا؟

٢ — هل آية (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر؟ قال كذلك الله يخلق ما يشاء، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) نص فى أن ولادة مريم لولدها عيسى بلا أب أم لا؟ وهل كذلك آية سورة مريم (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً؟) أم لا؟

٣ — هل وردت أحاديث نبوية يصح الاحتجاج بها على هذه المسألة أم لا؟ فإذا وردت فما درجتها من الصحة وفى أى كتاب أو كتب هي؟

هذا وتفصلوا بالجواب عن هذه الأسئلة فى أقرب وقت ممكن ولكم منى ومن الناس الشكر الجليل، ومن الله الأجر الجزيل

مسبب برنيو الغربية ٢٥ صفر سنة ١٣٥١ هـ بسيوني عمران

[اجوبة النار] ولادة عيسى عليه السلام من غير أب بمجم عليها ومستند الاجماع
نصوص القرآن المجيد يكفر من جحدھا على علم . وأما الآيتان اللتان فى السؤال
الثانى فهما فى البشارة به وبانه يكون بقدره الله تعالى لا بالسنن العامة فى الحمل والوضع
وفى بقية القصة خبر الولادة وجملة الآيات نص قطعي فى المسألة . وورد فيها أحاديث
مختلفة الدرجات فى الصحة وما دونها دلالتها دون دلالة آيات القرآن القطعية
الرواية والدلالة . فلا ينبغي لمسلم ان يلتفت إلى ما يهذى به الملاحدة ولا أتباع مسيح
المندلج (غلام أحمد القاديانى) وراجع ما كتبناه فى الرد على ملحد دمنهور فى شبهة
السنن الكونية وهي فى الجزء الاول من منار هذه السنة ، فقد بينا بها جهل من يماري
فى هذه الآيات بانها على خلاف سنن الله تعالى فى الخلق ، وكذلك الفصل الذى
عقدناه فى (الآيات الكونية) من بحث انوحى وهو فى الجزء الثامن الماضى ، ففيه القول
الفصل فى معنى سنن الله وآياته ومنه المسيح وامه عليهما السلام .

المنار ومجلة مشيخة الازهر

﴿ نشرنا في أشهر الصحف اليومية الاسلامية مقالات عنوانها (يان الامة في جرائدها) فيما شجر بيننا وبين مجلة مشيخة الازهر من التنازع في نصرها للبدع الاعتقادية والعملية وتأويلها لما يخالف النصوص والسنن القطعية — وانكارنا عليها بما يؤيد النصوص والسنن التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه وسلف الامة الصالح وطعننا فيها وافترانها علينا لعجزها عن الرد العلمي. واننا ننشر هذه المقالات (ولا تم) في المنار لانها من أم مسائل تاريخ الاصلاح الذي أنشئ له نهض به ، ولنا ان نختصر ونفتح هنا بعض المبارات اجتنابا للتكرار الذي لا يحسن في المجلات ﴾

المقال الاول

﴿ في موضوع التنازع بين المجلتيين أو بين الاجلح والجود والبدعة والسنة ﴾
ونشر في الجرائد في ٢٠ جمادى الآخرة الموافق ٢٠ أكتوبر

(وَقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَّاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبٰطِلُ اِنَّ الْبٰطِلَ كَانَ زَهُوْقًا

وقع تنازع بين مجلة المنار ومجلة الازهر والمعاهد الدينية الرسمية (نور الاسلام) تمتد هي فيه البحث العلمي إلى الطعن الشخصي فأحييت أن ينحصر ردي عليها فيها ليعلم قراؤها الحق فيما نشرته من العلم والدين، فأرسلت اليها المقالة الاولى من الرد فلم تنشرها بل نشرت في الجزء القبي كان ينتظر نشر الرد فيه مقالا آخر في الطعن علي ، وانتقل البحث الى الصحف اليومية فنشر فيها مقالات لأفراد من العلماء يذكرون فيها مسائل بما اتهمني به « الشيخ يوسف القجوي من هيئة كبار العلماء في الازهر وأحد مجري مجلته » ويردون عليه فيها، ثم رأيت له مقالات يرد « المنار : ج ٩ » « ٨٥ » « المجلد الثاني والثلاثون »

فيها على بعضهم ويطعن عليّ وعليهم ، ثم رأيت في بعضها خبر سعي صاحب الفضيلة العلامة المصلح الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية للصالح وتامه في داره — ووصل إلي بمدعقد هذا المصلح رسالة مطبوعة باسم أخص تلاميذ الأستاذ الدجوي من علماء الازهر ، وهو قريبه وامين سره المساعد له على الطعن الذي يكتبه له ، نشر فيها بعض ما كتبه الأستاذ الدجوي في الطعن في مجلة الازهر أخيراً وما كان نشره في بعض الجرائد من الطعن قديماً مع تعليقات وقصائد في اطراء أستاذه بل اطراء الأستاذ لنفسه بأنه إمام المسلمين وحامي حى الدين . . . وهجوي وتكفيري بما يستوجب كل من رآه لصدوره عن أحد من رجال العلم والدين كقوله :

أترى انك البصير بشيء أنت فيه كالكلب والحنزور
وكفى اذعاقها الله من رؤى وجه كوجهك المقذور

وهذا الطعن مما يماقب عليه القضاء قطعاً ولكنه هو نفسه أشد عقاباً لمخبره في نظر أهل الدين والعلم والادب أو كما قال المتنبي * فذاك ذنب عقابه فيه *
ورأيت الناس يطالبونني قولاً وكتابة بالرد على مطاعن مجلة الازهر ويستحبون من سكوتي عنها حتى نشر هذا بعضهم في جريدة السياسة الغراء . وإنما كان سكوتي الى الآن أنني وعدت به فضيلة المفتي إلى أن يبلغ غاية شوطه من السعي للصالح ، وقد وفيت له بوعدى ، وظهر له صدقي وخداع الدجوي

وبقيت مجلة الازهر والمشيخة التي تصدرها ، فسنرى ويرى الناس ماسيكون من أسرها بعد ظهور هذه الجرائم من اثنين من علماء المشيخة في مجلة المشيخة وفي رسالة تباع في الازهر نفسه ، فالأستاذ الأكبر شيخ الازهر هو المسؤول عن شرفه وشرف مجلته وعلمائه ، ولم تعلم انه صدر عنهم في زمن من الأزمان مثل هذا ولا ما يقرب منه

وهأنذا أبين للامة في جرائدها اليومية موضوع الحصام والصالح الذي يسألونني عنه لأنه يتعلق بأمر دينها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما طرأ عليه من البدع والشبهات ، وموقفها بين الاصلاح والانحرافات ، وما يجب عليها من مرفة الفصل فيه بين الحق والباطل ، إذ لم تعد للسألة نزاهة واختلاف

النازح: ٣٢٩ جود الازهر ودعوة حكيي الاسلام الى التجديد والاصلاح ٦٧٥

بين مجلّتين بحسن ألا تعدو صحائفهما ، ولا بين شخصين مختصين ، بل تعدتهما إلى مسألة الإصلاح الاسلامي التي يتوقف عليه حفظ الاسلام في هذا العصر .. ومسألة الجمع بين الاسلام الصحيح وعلوم العصر التي تتوقف عليها عزة الامم واستقلالها ، ومسألة جود الازهر الماضي وتحيده الحاضر والمستقبل ، والتنازع بين النابتة التي نجت فيه باصلاح الاستاذ الامام ، وبقايا أعشاب الجود الضارة التي تموت نمامها ، واستواءها على سوقها ، وإنباءها أكلها باذن ربها

صاق الازهر الحديث ذرعا بما كان من جوده في القرون الاخيرة فطلق ينسأخ منه ببطء ثم بسرعة واستعجال يخشى ان يكون معه الزل ، فيقع مدرسة دار العلوم في زرع آخر مشخصات رجال الدين عنه ، فان جنب الاستقلال المصري له صار أقوى من جنب الجود السابق ، وهو في أشد الحاجة إلى موقف الاعتدال في الوسط الذي أخبطه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وفيه بعض تلاميذه ومريديه ولكنهم يسترون لاخراج بعضهم منه اخراجا اداريا غريبا ويحتاجون الى قوة وزعامة تمكنهم من موقفهم في الوسط ، وحمل الميزان القسط ، ، وقد شعر أنصار الجود بقرب زوال دولتهم وجاههم الازهري فأجمعوا أمرهم وهم يكررون ، ونهضوا بحملة جديدة على الإصلاح سأشرحها بعد بما يدعش عقلاء الأمة وبشغل صحفها ، وأقتصر في هذه المقالة على مآثر الخلاف بين المجلّتين فأقول :

كانت طريقة الازهر في التعليم قبل مجيء السيد جمال الدين الافغاني الى مصر إزام الطلبة قبول كل ما في كتب التدريس وما يقول علم المدرسون بالتسليم وعدم الاعتراض ، عقولهم لم لم يقلوه ، وطريقة الاستاذ الامام التي استفادها من الافغاني وجرى عليها بالدعوة وبالهدل في دروعه الدينية والفنية والعقلية أن لا يقبل أحد كلام أحد بالتسليم الاعمى بل يجب الفهم والاستدلال للؤدي إلى الاقتناع والتفرقة بين كلام المصوم وغير المصوم

في كتب التعليم في الازهر وغيرها ما يخالف اليقنيات العقلية حتى الحسية منها ، ويرى طلابه وغيرهم في كتب التفسير وشروح الاحاديث مشكلات اضطرب العلماء في حل عقدها ، ويرون في بعض أجوبتهم عنها مالا يقنعهم من يريد

أن يفهم ويعلم ، ويرون أن علما واحداً من المحدثين الفقهاء قد ألف أربع مجلدات في الاحاديث المشككة سماه (مشكل الآثار) وهو الامام الطحاوي ، ويرون مع هذا كله في علمائهم المدرسين من يفتي بكفر من يستشكل حديثاً صحيحاً أحد المحدثين ولا سيما الشيخين رضي الله عنهما ، ويلتمس لنفسه مخرجاً من الاشكال ، وقلاً كان أحد منهم يجتري على سؤال شيوخه الجامدين عن ذلك لئلا يرموه بالكفر

مثال ذلك أنه يوجد في الصحيحين وغيرهما حديث مرفوع خلاصته أن الشمس تذهب حين تغرب في آخر النهار فتغيب عن الدنيا وتضعد فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها بالطلوع في اليوم التالي فيأذن لها فتطلع وأنه سيأتي وقت تستأذن فيه فلا يؤذن لها ثم تؤمر بالطلوع من مغربها

استشكل هذا الحديث كبار علماء الاسلام المتقدمين والمتأخرين ولا سيما الذين عرفوا علم الفلك والمواقيت والجغرافية بأنه مخالف للحس وما تقرر في علم الهيئة الفلكية ، وصرح إمام الحرمين الشهير في القرن الخامس بما يصرح به علماء هذا العصر من أن الشمس في كل وقت تغرب عن قوم وتطلع على قوم الخ ولكن لا يزال في علماء الازهر وغيرهم من يفتي بكفر من لا يؤمن بظاهر الحديث ويسمونه مكذبا لله ولرسوله ، صرح بذلك الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر الرسمية ، ولما تنكر ذلك عليه مشيخة الازهر المستولة عن هذه المجلة . فكيف يستطيع الموقن بأن الشمس لا تغرب عن الارض طرفه عين أن يكون مسلماً على رأي هؤلاء العلماء ؟ وجميع طلبة الازهر الذين يدرسون فيه علم الجغرافية يوقنون بأن الشمس لا تغيب عن الارض طرفه عين ، وجميع المتعلمين في المدارس النظامية موقنون بهذا ، ومنهم أمرؤنا وحكمتنا وعزرو صحفنا أجمعون أكتفون أبصرون

واني قد ذكرت في النار وفي تفسيره حلة علمية تنفي صحة سند الحديث على طريقة المحدثين ومخرجاً من دلالة متنه على ما ينافي بالحس لم أر أحداً وفق لها قبلي ، وسأذكرها في الرد العلمي على مجلة المشيخة

كان الاستاذ الامام مرجاً ليكل من يفرض له إشكال أو شبهة في دينه ، ومن خلة النار التي جرى عليه من أول نشأته التصدي لبحض الشبهات وحل المشكلات

الدينية والعقلية والعلمية بالادلة الجامعة بين المعقول والمنقول وقد علمنا أن بعض الجامدين كان يطمعن علينا بما نكتبه لنحفظ على المشتبهين والمستشككين إيمانهم بصحة كل ما جاء في كتاب الله وما صح عن رسوله ﷺ من أمر الدين، وجملي هذا علي أن أنشر في أول كل جزء من كل مجلد من مجلدات النار (إعلاناً) أدعو فيه العلماء وغيرهم إلى الكتابة إلي بما يرونه منتقداً فيه من المسائل الدينية وغيرها، مع الوعد بأن أنشر ما يرسلونه إلي بشرط أن يقتصر فيه على المسائل المنتقدة والدليل على ما يراه الكاتب من الخطأ فيها من غير زيادة ولا استطراد، وأبين رأيي فيه، وما زلت أفى بما وضعت

كبر على الجامدين والخرافيين اشتجار مجلة النار في العالم الاسلامي وما يرونه فيها من استفتاء مسلمي الشرق والغرب إياها في كل ما يشكل عليهم من أمر دينهم ولا سيما شبهات الماديين والمبشرين وغيرهم، وكبر عليهم نشرنا لمناقب الاستاذ الامام واصلاحه وتجديده للاسلام فيها وفي تفسير النار وفي التاريخ العظيم الذي دوناه فيه مناقبه في ثلاث مجلدات بلغت صفحات الجزء الاول منها ١١٣٤ صفحة، اعدا المقدمة وصاروا لا يذرون كيف يقاومونها

تصدي الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي منذ يضع عشرة سنة (١٣٣٥) لطمعن على الاستاذ الامام والحرص بالنار فبدأ بنشر مقالات في جريدة الافكار في الانكار على ما نشرناه في تفسير قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) من أن النفس الواحدة ليست نصفاً في أيها آدم عليه السلام وإنه إن فرض ثبوت قول الدين يقولون إن للبشر عدة أصول أو نظرية دارون في اختلاف الانواع، فإن القرآن يبقى على عصمته لا يتنقض شيء. هذا مجمل ما قرره شيخنا الاستاذ الامام في الازهر وقرره قبله أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر في كتابه (الرسالة الجديدة) التي قرأها أ كبر علماء سورية وعلماء الترك وغيرهم اذ رجعوا باللغة التركية وكانت سبب حظوة مؤلفها عند السلطان عبد الحميد ولم ينكر عليه أحد هذا القول في مذهب دارون ولكن أحد علماء تونس الاذكياء انتقد عبارتنا في تفسير آية سورة النساء ومواقفتنا للاستاذ الامام على مقالته في المسألة بمقال نشرناه في النار أجبنا عنه

من بضعة عشر وجهاً أقنعت هذا الاستاذ . وأما انشيخ يوسف الدجوي فلم أورد على ما نشره في جريدة الافكار لانه كان محرراً . ولعلنا شخصياً بسوء نية غير مبني على دليل علمي فضلاً عن كونه نشره في جريدة يومية ولو كان بحثاً علمياً لأرسله الى النار كالاستاذ العلامة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي .

ثم ان الاستاذ الدجوي كتب في سنة ١٣٤٨ رسالة في الطمن على متبني السلف من عهد شيخ الاسلام ابن تيمية الى الآن غمز فيها الاستاذ الامام بقوله بعد اعترافه بأنه غني عن الثناء والاطراء « ولستنا نوجب له وقد تربى تلك التربية العقلية الفلسفية كيف يسير وراء كل ناعق من الاوربيين فيردد صدى صوته بلا نقد ولا تمحيص ، وقد يكون ذلك عندم محل الظن والتخمين أو الغرض والتقدير ، وربما أول له الآيات الصريحة ، أو السنة الصحيحة ، قيل أن يقام عليه البرهان ، أو يباين محل الاستحسان - إلى أن قال - ولا داعي لأن نفيض في بيان تلك الآراء ففي النار منها شيء كثير » اهـ .

انني على الزامي لتفنيد كل من يطمن في الاستاذ الامام قلس الله روحه أهرضت عن الاستاذ الدجوي ولم أعرض له لانه ليس بمن يرد عليهم في نظري ، ولكنني أشرت في فاتحة المجلد الحادي والثلاثين من النار إلى قوله إشارة ولم أسمه وقلت ان الاستاذ الامام لا يضير . مثل هذا القول فيه ...

هل يسمع قول مثل الدجوي في الاستاذ الامام انه يسير وراء كل ناعق من الاوربيين وهو هو الذي علم الازهر استقلال الفكر وعدم قبول قول تغير المصوم بدون دليل ؟ وهو هو الذي شرف مصر والامة الاسلامية أمام أوربة بإكبار شيخ فلاسفتها هـ ريت سينسر لعلمه وعقله ، وورده على موسيو هانتوتو ذلك الرد الذي اهتزت له أوربة والشرق وألجأ ذلك الكاتب الكبير والوزير الشهير إلى الاعتذار للامام المصري بما هو مشهور . وهو الذي كتب في حقه العلامة المستشرق أدوارد براون من أساتذة جامعة كامبردج الانكليزية « انني ما رأيت في الشرق ولا في الغرب مثله » اهـ .

يبد انني أنكرت على مجلة نور الاسلام الازهرية الرسمية ما تنشره له من

للغالات والفتاوى في تأييد البدع الفاشية في عامة الامة ولا سيما بدع التبور ومنكراتها والطنن على السلفية عامة والوهابية خاصة في هذا العصر الذي أظهر فيه العالم الاسلامي كله في الشرق والغرب والوسط كصر حرسها الله العطف على الدولة السودية والدفاع عنها ، والاتقاد على الدولة المصرية لندم اعترافها بها ، ولمنع حقوق الحرمين الشريفين وأهلها من الحقوق الثابتة لهم في أوقاف مصر - ولو كتب الاستاذ الدجوي ما ذكر في غير مجلة الازهر الرسمية لما عنت هذه العناية بالرد على بعض ما كتبه ولم أقرأه كله وإنما أغنى بما يكتب فيها لصفقتها الرسمية ولا نبي أعد فضيلة شيخ الازهر

مستولا عن الطنن الذي وجهته إلي مع كاتبه ورئيس تحرير المجلة جميعاً ظهرت مجلة (نور الاسلام) فأحسنت تزيينها في المنار ونميت لها أن تكون خيراً منه في خدمة الاسلام لما يرجى من دوامها بكونها لمصلحة اسلامية غنية للشخص قد عوت بموته ، ونصحت لها بما أملاه على اختبار ثلث قرن في مثل الخدمة التي أنشئت لها ، وذكرت محرريها ومشيوخ الازهر ورياسة المعاهد الدينية بأن تبة ما ينشر فيها ليس كتبة ما ينشر في المجلات والصحف الشخصية ليتحروا فيها يكتبون

كان التأثير الظاهر لهذا الطنن فتووين مختلفتين في مسألة البدعة التي ابتدئها المؤذنون بمصر في القرن الثامن وهي زيادة السلام على النبي ﷺ في آخر الأذان ثم زيادة الصلاة مع السلام وزيادة نداء السيد البديوي أيضاً بعد أذان الفجر . أقيمت في المنار بأنها بدعة في شمار ديني تدخل في عموم قوله ﷺ من حديث كان يقوله ﷺ في خطبته « وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ورواه مسلم في صحيحه وأفتت مجلة نور الاسلام بأنها بدعة حسنة

ثم نشرت الاستاذ الدجوي مقالا طويلا في الرد على ما كتبه المنار في هذه المسألة أكثر فيه من الطنن والتهكم والتميزة والزاوية على صاحب المنار والتجويل والتكفير له ، وقذفه بأنه كذب الله ورسوله ، وعزا اليه مسائل لا يقول بها كلها ولا ببعضها أحد يؤمن بالله وبما جاء به محمد خاتم النبيين عنه عز وجل وهي :

(١) انكار الملائكة وتقرير أنهم عبارة عن القوى الطبيعية

(٢) إنكار الجن وتقرير أن الجن المذكورين في القرآن عبارة عن الميكروبات
(٣) جواز تطبيق القرآن على مذهب داروين المخالف لقوله تعالى (إن مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية

(٤) افتاء التلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في الكنائس « ليفرس في
قلوبهم النقية تلك الطقوس النصرانية وينقش في نفوسهم الساذجة ما يسمعون من
القسوس والمبشرين هناك » — بهذا علل الفتوى المفتراة أي أنني أفتيهم بهذا
لأجل أن يكونوا نصارى، فجعل العالم المسلم داعية الاسلام ومدرسه داعياً الى
النصرانية وهو الذي قال القس زويمر أجراً للمبشرين على العلم في الاسلام حتى
إن ملطن عليه في الجامع الازهر: انه لا يوجد في علماء المسلمين من يدافع عن الاسلام
بمحبة وعقل إلا صاحب المنار

(٥) قوله [كبرت كلمة تخرج من فيه] وعليه إثمها وعلى المجلة التي نشرتها
والمشيخة المتولية إصدارها مانصه « بل وصل الامر من مجتهدنا (الذي يبحث في
جميع شؤون الإصلاح الديني والمدني والسياسي) كما يقول في مناره — أن اجترأ
على تكذيب رسول الله ﷺ فيما اتفق عليه البخاري ومسلم من أن الشمس تسجد
تحت العرش » وأطال في هذه التهمة بما خرج به عن موضوعها كعادته حتى قال
« فالشيخ إذا غطى الله ورسوله مكذب للقرآن والسنة وإن شئت قتل مجهل لها !!
فالشيخ يوسف الدجوي لا يستغرب منه مثل هذا الاقتراف والبهتان وإنما يستغرب
نشر مجلة الازهر له وهي لسان حال مشيخته .

(٦) قوله « رد الاحاديث التي في البخاري وغيره الناطقة بان آية (الشيخ
والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآناً بلى » وقدره كبار الفقهاء من قبل
(٧) « رد الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في سحر النبي ﷺ رد
هذه بتوهمات وخيالات لا تغليل بها » والذي طعن في صحة هذا الحديث هو

الاستاذ الامام وسبته إلى رده الامام الجصاص . والتمويهات والخيالات التي زعمها هي تنزيه النبي ﷺ أن تؤثر في نفسه القدسية التي تتصل بروح الله الامين أن تسلط عليها نفس ساحر يهودي مدة سنة في بعض الروايات وستة أشهر في رواية أخرى حتى يتوهم ﷺ أنه يقول الشيء ولم يكن قاله ويخيل اليه أنه فعل الشيء الذي يترتب عليه حكم شرعي كالنسل ولم يكن فعله !! هذا مبلغ تعظيمهم للنبى ﷺ يجوزون عليه هذا ويجهلون من قبيل الامراض البدنية حتى لا يجوزوا على البخاري انه أخطأ في تعديل أحدهم الرواة الذين روى عنهم هو وغيره هذا

هذه هي التهم التي أوردتها في مقالة بدعة الزيادة على الاذان وحدها في سياق طويل فلما رأيتها شرعت في الرد عليها وأرسلت النبذة الاولى إلى فضيلة رئيس تحرير المجلة مع كتاب خاص قلت له فيه أنه أهان نفسه وعلمه بقوله لرياسة تحريرها والقيت التبعة عليه وعلى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في نشرها ، وان المخرج لها من التبعة الساجح لي بما يوجب عليها الشرع وكذا القاتلون من نشر ما أكتبه من الرد عليها ، وبأنني أرضى بتحكيم فضيلة مفتي الديار المصرية العلامة التقي الشيخ عبد الحميد سليم في ردي وما عسى أن يردوا عليه لا لمنصبه بل لعلمه وإنصافه ونزاهه عن المحاباة

وقد كبر على فضيلة المفتي ما نشرته المجلة وأخبرني ان فضيلة شيخ الجامع استاء منه وانما اتفقا على السعي للصلح . وسأبين للامة ما كان من أمر الصلح وخداع الخصم فيه في المقال التالي

المقال الثاني

﴿ في السعي للصلح والمرحلة الاولى له في دار المفتي ﴾

نشر في الجزائر في ٢٨ و ٢٩ جمادى الآخرة

بينت في المقال الاول ما كان من التنازع بين المنار ومجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام) وأبين في هذا كيف كان الصلح بدءاً وختاماً

قد راع صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية، وشق عليه أن يورى في مجلة مشيخة الازهر مثل تلك المقالة التي نشرتها في الجزء الخامس بعنوان (صاحب المنار . والصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد الاذان) وإمضاء (يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالازهر) وهو هو القيور على شرف علماء الدين وعلى مجلة الازهر، واستغرب ما فيها من التهم التي رشقتها بمجلة المنار وصاحبها وهو من أعلم العلماء بقيمة المنار وما خدم به الاسلام مدة ٣٥ سنة، ويقتني جميع مجلاته، ويعرف شخص صاحبه معرفة علم وأخلاق، وقد عرف مثار الشبهات لبعض التهم، وما فيها من تحريف الكلم، لعله بما كان قرره الاستاذ الامام أو كتبه فيها كسالة الملائكة ومسألة سحر اليهودي لمصطفى أعزه الله عز وجل وأجله وصلى عليه وسلم، وبما نشره المنار في بعضها أو فيها كلها.

وكان أروع ما راع فضيلته وأغربه وأبده عن الشبهات ان يرمى صاحب المنار باقتناء طلاب العلم في المدارس الاجنبية بأن يصلوا مع طلبة النصارى صلاهم في كنائسهم لاجل أن يكونوا نصارى !! فلم يملك نفسه ان سألني بالمسرة (التلفون) ^(١) عنها وهل يوجد في شيء من مجلدات المنار عبارة يمكن أن تتخذ شبهة عليها ؟ فقلت بل يوجد حجج كثيرة على صحتها آخرها فتوى طويلة في الجزء الثالث من منار هذه السنة

ثم ان الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر أخبر الاستاذ المفتي بأنني أرسلت

(١) كنت في أيام طلب العلم أطلقت على التلفون اسم المسرة من قول القاموس المسرة بكسر الميم الآلة التي يسار بها كالطوماراء ثم سماها الكتاب السوربون الهاتف

إلى مجلة (نور الاسلام) مقالة في استنكار جرميتها والرد عليها ، وإن مقدمة الرد شديدة الهمجة ، خلافا لما قاله كل من رآها في دار المنار إذ وصفوها بأنها في متعنى اللين واللطف ، في مقابلة طمن هو في متعنى الهجو والمنع ، واتفق الشيطان على وجوب الصلح ، ونيط السعي له بالمفتي للاجتماع على إخلاصه وإنصافه ، فأرسل إلي رسولا يكشفني به ويعلم ما عندي تجاه هذا البهتان المبين ، فسمع الرسول مني ما لم يكن يحتمسب من آيات الحلم وسعة الصدر وهو انني لا أشترط لصلح إلا أن تنشر لي المجلة كل ما أرد به على التهم التي قدغني بها رداً علياً لا طمن فيه ولا سباب ، ولا نيز بالالقاب ، وإن الغرض منه أن يعلم الذين قرؤوا تلك التهم الباطلة ما عندي من الأدلة العلمية على اقتراف بعضها وبطلان بعض وتحقيق الحق في مسائلها ، وهي مسائل اعتقادية وعملية شرعية يجب لهم على المجلة وعلى جميع الحق فيها ، وأنه ليس لي حظ نفسي في تحقيق كاتبها بمثل ما قاله في — فبلغ المفتي شيخ الازهر هذا الجواب ، فاتفقا على أن هذا حق

ثم دار الحديث بيني وبين المفتي في الموضوع بالمسرة ثم بالمشافة في دار المنار إذ تلتفت بزيارتي فيها في أول هذا الشهر (جمادي الآخرة - أكتوبر) وكان بما قاله إنه متفق مع الاستاذ الاكبر على أن لي الحق في الدفاع عن نفسي وفي كتابة كل ما أعتقد أنه حق وخدمة للاسلام والمسلمين ، فإن هذا مما ليس لأحد أن يطالبني بتركه ، وإن على مجلة نور الاسلام أن تنشر لي ما أكتبه من الرد العلمي الذي طلبته ، وإنما المراد من الصلح عدم المود إلى طمن أحد في شخص الآخر بتجويل ولا غيره ، وإنما يرغبان إلي ترك الرد الى أن يجتمع به ونعم الصلح . فوعده بذلك

ثم جاءني في ضحوة اليوم الرابع من الشهر الاستاذ الشيخ محمد حامد المفتي رسول المفتي الاول وقال ان فضيلة الاستاذ المفتي يقرئك السلام ويخبرك بأنه كلم الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي فيما اتفقاً عليه من أمر الصلح وشرطه فرضي به ووعد بان يكتب هو في مجلة نور الاسلام عبارة يشتر فيها بخدمة المنار للاسلام وموافق الحمودة فيها . . . وإن الاجتماع لعقد الصلح سيكون بدار فضيلته بدميد الجلوس الملكي لانهم سياسفرون كلهم إلى الاسكندرية لاجله

ثم بلغني المفتي في يوم الثلاثاء الحادي عشر من الشهر دعوته إيانا إلى الغداء في داره، لأجل الصلح في يوم الخميس الثالث عشر منه فأجبت، ثم أرسل إليّ سيارته بعد الظهر من ذلك اليوم فوجدت عنده أصحاب الفضيلة الأستاذ الشيخ فتح الله سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا والشيخ أحمد حسين مفتي وزارة الأوقاف والشيخ محمد الخضر رئيس تحرير مجلة نور الإسلام والشيخ طه حبيب المدرس بالأزهر والمحرق في مجلة نور الإسلام والشيخ محمد حامد المفتي من علماء الأزهر وخطباء المساجد وكان معي ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم . وبعد وصولنا بقليل جاء الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي فقمّت له مع القائمين وصاحفته ، واعتذر الأستاذ الأكبر عن الحضور بالتيّاث صحته، ولم نلبث أن قمنا إلى المائدة النفيسة الدالة على سخاء صاحبها وحسن ذوقه

وبعد الطعام خرجنا إلى حجرة القهوة والحديث . فافتتح فضيلة المفتي الكلام بالشكر لنا على قبول دعوته إلى طعامه وإلى ما هو خير منه وهو الصلح بين المجتئين الإسلاميتين والمحرقين لها ، وقال ان مجلة النار تخدم الإسلام خدمة جليلة منذ خمس وثلاثين سنة ولصاحبها فلان من البلاء والجهاد في هذه السبيل ما عرفه فضله فيه جميع العالم الإسلامي وأصبح لمجلته مركز عظيم في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومزارعها . ومجلة نور الإسلام قد أنشئت أيضا لأجل هذه الخدمة للإسلام بهيئتها وتتولى إصدارها ونشرها أكبر هيئة دينية إسلامية فالموضوع واحد والقصد واحد ، والحاجة إلى التعاون بينهما شديدة ، وخصوم الإسلام من الملاحدة ودعاة النصرانية (البشريين) والقائمين للعامة بإباحة الفسوق والشهوات كثيرون . فالمصلحة الإسلامية قاضية بتوحيد عملهما . وفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي يخدم الإسلام بعمله وبالتحرير في مجلة نور الإسلام ، فأجدر بالشيخين وبالمجتئين أن يتحدا ويكونا إلباً واحداً على العدو المشترك ، وقد شجر بينهما من الخلاف ما أسفه الجميع ، وغرضنا من هذا الاجتماع ان يتصافحا ويتصافيا ويتناسيا ، لماضي التؤسف ، فهذا ما همنا بهم كل مخلص للدين وأهله

هذه خلاصة ما قاله به الأستاذ المفتي ، وتلاه الأستاذ الدجوي فقال انه لا بد

من ذكر سبب الخلاف والشقاق وما بيني عليه الصلح وهو ان يكف الشيخ رشيد اخوانه او جماعته الوهابيين عن تكفير المسلمين وحملهم على عقائد مدم او مذهبيهم بالقوة واستباحة ذمائمهم ، ويكف أتباعه — أو قال أذنايه — عن الكتابة في الصحف وغيرها ... وطلق يفيض في هذا الموضوع . فمأرضه الفتى قائلا نحن لا نريد نبش الماضي وبعثه من قبره بل نريد دفنه وتناسيه ، ولا شأن لنا الآن بالوهاية ولا بغيرهم ، لا نأنا لانحاول الصلح والاتفاق لمصلحة جماعة دون جماعة ولا هيئة دون هيئة ، بل نريد مصلحة المسلمين جميعا ، على أن يحترم كل منكم الاسلام بما يستقده من غير أن يمس كرامة الآخر

حينئذ قلت : أما وقد قال الأستاذ الدجوي ما سمعتم فلا مندوحة لي عن جوابه لان الاتفاق والتعاون يتعذر مع سوء ظن كل منا بالآخر

قد سمعتم ما يقول في الوهاية وما يرميهم به ، وانه يمدني منهم مع سوء اعتقاده أو ظنه بهم . وقد كتب كثير آ في الطعن عليهم وكلن يذكرني في أثناء مطالعته بدون أدنى مناسبة وياقيني بمقتبهم وبرعيمهم ، فلم في خياله أقبح صورة تمثل في شخصي

القول الحق في الوهاية وسبب الطعن عليهم

انني أعلم حق العلم انه ليس في الدنيا مذهب يصح أن يسمى مذهب الوهاية . وان أهل نجد الذين يلقبون غيرهم بالوهاية لا يلقبون أنفسهم بهذا اللقب ، وهم حنابلة ليس لهم مذهب غير مذهب الامام احمد بن حنبل أحد الأئمة الذي يمتزج له جميع أهل السنة بالإمامة ، بل انتهت إليه إمامة السنة في عصره بغير منازع ، وانما ينسبون أنفسهم الى السلف في العقائد وما كان أحد الا إمام السلف في عصره . وما زال أهل الحديث كلهم يفتخرون اليه . وقد صرح الامام أبو الحسن الاشعري باتباعه له

أما سبب اتهامهم بابتداع مذهب جديد في الاسلام فهو ان الدولة العثمانية قد رأتهم قاموا بنهضة دينية في جزيرة العرب أينما إماره آل سعود ، فخافت أن يؤسسوا دولة عربية تنزع منها سياستها على الأمة العربية فخارتهم بالسلح ، وبهزم

بالاتباع في الاسلام، وجعلت قتالهم لها وهي للمتديعة - دليلاً على تكفيرهم المسلمين واستباحة دماء من لا يقبهم في مذهبهم، وأغرّت بعض العلماء الذين يخضعون للسلطين والحكام ويخضعونهم بكل ما يهونون أن يزدوا عليهم، ألفوا الرسائل في الظمن عليهم في دينهم، لتفجير عرب الجزيرة وغيرهم وصددهم عنهم، كما أغرت الامارة المصرية العلوية بقتالهم بعد أن استولوا على الحجاز وعجزت عن إخراجهم منه وأما صاحب المنار فيعلم السادة الحاضرون وكل من يقرأ المنار أنه لا يقلد في عقيدته أحداً من الأئمة فكيف يعقل أن يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - على فرض أن له مذهباً خاصاً غير مذهب الامام أحمد وسلف الأئمة؟ فمن لا يقلد الامام الاشعري وقد نشأ على مذهب الاشعرية فأجدر به أن لا يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاستاذ اللجوي وجه عنايته في مجلة مشيخة الازهر وغيرها الى الظمن في الوهابية وجملهم شر خلق الله، وإلى تأويل البدع والطرافات الفاشية عند غيرهم ونرى رزاياما ومقاسدها في بلادنا من توجه الالوف بل الملايين من الجاهلين في قضاء حاجتهم وشفاء مرضهم والانتقام من أعدائهم إلى أضرحة البتتين حتى من لا يعرف لهم في الاسلام ذكر ولا قدم صدق، وربما كانت أضرحتهم مزودة، فيشدون اليها الرحال ويحملون اليها التذود ويقربون لها القرابين، ويقتسمهم بحورا ما يفضلون من استغاثة الموتى ودعائهم ويتأول لهم ذلك بالجاز العقلي والجاز اللغوي بقرينة كونهم مسلمين موحدين، وكلنا نعلم أن السواد الاعظم منهم لم يتلق عقيدة الاسلام من عالم ولا من كتاب من كتب الاسلام الصحيحة، وإنما يتلقونها عن أمهاتهم وجداتهم وأقربائهم ولدتهم. ثم أنه يعلم بما عليه الالوف من أهل البلاد من ترك الصلاة ومنع الزكاة، وكذا الصيام، ومن استباحة السكر والزنا والقمار وغيرها من الموبقات، وأعني بهذا عدم الاذعان النفسي العملي للأمر والنهي وهو حقيقة الاسلام، ثم أنه لا يكتب شيئاً في مجلة مشيخة الازهر في النصيح لهؤلاء ولا لاولئك، وإنما يوجهه إلى الوهابية فيظمن عليهم ليرد عليهم ما يتهمهم به من تكفير المسلمين واستباحة دمايتهم، وهو يعلم أنه يسندر فيهم من يقرأ كلامه، وإن من عسى أن يقرأه منهم لا يمتد بطله ولا باخلاصه، وهم يعلمون من أنفسهم - كما يعلم كل من اختبرهم - أنه لا يكاد يوجد

في بلادهم كلها من يترك صلاة الجماعة ، ولا من يجهر بفاحشة معينة ، والسرائر علمها عند الله . وعلماء الوهابية لا يكفرون أحداً من أهل القبلة إلا بما أجمع قتها أهل السنة على أنه كفر ورده عن الاسلام ، فهم يخالفون مذهب الامام احمد في هذه المسألة وفي مسألة أخرى لأعلم لم غيرها ، وأعني بالمسألة الاخرى أنهم يقدمون العمل بالحديث الصحيح المخالف لرواية المذهب عليها ، ولكن اتفاق الاثمة الاربعة على ترك العمل بحديث آحادي يمدونه دليلا على وجود مانع من العمل به ، كدلة في سنده أو معارض لمتنه من نسخ أو غيره ، وما يذكرونه في كتبهم من أحكام الردة فيقال فيه ما يقال في سائر أحكام الردة عند فيهم من علماء سائر المذاهب : إنها بيان للحكم منوط بالدليل قوة وضعفاً ، ونحن نرى قتها المذاهب كلها يختلفون في المسائل الاجتهادية من هذه الاحكام حتى ان ما يمد كفرا ورده عند الخفية (مثلا) قد يكون حراما أو مكروها عند الشافعية . فمثل هذا البيان لا يسمى تكفيراً للمسلمين بالفعل لكثرة من تنطبق عليهم هذه الاحكام ، ولا يترتب عليه سفك الحاكم المسلم لدمايتهم وإجراء أحكام الردة عليهم . فن تكفير الشخص المعين لا يصح إلا بحكم يبنى على ثبوت الردة مع مراعاة درء الحدود بالشبهات ، كالتأول والجل قبل يذمر به الجاهل . وبخوذلك ، ولهذا محتاط بجميع العلماء فيه ويشددون في النهي عن تكفير الشخص المعين مثال ذلك ان الامام آحديقول بكفر تارك الصلاة ، فعلى قاعدة الاستاذ الدجوي يصح ان يقال ان هذا الامام الجليل يستبيح دماء هؤلاء الالوف الذين نراهم في وقت صلاة الجمعة تفص بهم أسواق القاهرة وشوارعها ، وتكتظ بهم ملاهيها وحاناتها ، دمع سائر الصلوات التي يمكن التماس العذر لمن يترك جماعتها . بأنه قد يصلها في بيته ، فان صح هذا القول عند الاستاذ في إمام الاثمة آحمد بن حنبل فكيف يما ب به أتباعه للقبون بالوهابية ؟

ان النجدين يخالفون امامهم في مسألة التكفير بترك الصلاة لأنها ليست اجماعية في غير السبطل للترك ، الذي لا يذعن للأمر والنهي ، كما قلت آفنا . هانحن أولاء نرى حكومتهم في مكة المكرمة تقيم حدود الشرع كلها ، فقطع يد السارق ، وتقتل القاتل ، وتقيم الحد على السكران ، إذا ثبت عليهم ذلك شرعا ،

ولم نرها ولا سمعنا عنها أنها أقامت ضد الكفر على أحد ممن على غير مذهبها الحقيقي وهو مذهب أحمد بن حنبل، ولا مذهبها المزعم الذي يقول الاستاذ الدجوي أنها تجبر الناس عليه بالقوة، مع علم الملايين من الناس أن أهل الحجاز لا يزالون على مذاهبيهم ولا أنكر مع هذا البيان أنه يوجد في النجديين غلاة في الدين، ولا سيما قريبي العهد بالبداءة وجفوتها وجمالتها، وهؤلاء الغلاة الجاهلون يجتهدونهم بتحصيرهم وتعليمهم، وقد قاتل في العامين الماضيين طائفة منهم كاهو مشهور، ولا نجد مثل هذا الغلو في الحضر منهم، وأكثرهم أو كلهم يعرفون أمور دينهم، وأنا أرى وكيل حكومتهم في مصر الشيخ فوزان السابق يصلي الجمعة في المساجد المتعددة فلو كان يعتقد أن أئمتها والصلين فيها كفار لما كان يصلي معهم

وإذا كان حال بدو زماننا على ما نعلم فماذا نقول فيهم قبل بث النجديين للدين فيهم؟ كانوا يجهلون جل عقائد الاسلام ويتركون أركانها، ويستحلون قتل الحجاج وغيرهم، لتوهم ريال واحد يوجد عند أحدهم، وقد بطل هذا من نجد ثم من الحجاز بإرشاد هؤلاء الوهابيين وتنفيذ حكومتهم للشرع

هذا ما قلته في مجلس الصلح رداً على الاستاذ الدجوي بإيضاح ما في العبارة المكتوبة دون زيادة في أصل الموضوع

وقلت أيضاً أنني أنصح لهم بل للمكهم نفسه في كل المسائل التي تشرع فيها النصيحة بمكتوبات خاصة لا بالتشهير في المنار أو الصحف، فإن هذا هو الذي يرجى نفعه وبعد أمثالا للأمر بالتواصي بالحق والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد أبلغ في النصيحة والموعظة ما يستكبره ويستكبره بطانة الملك السعودي لأنني أسلك فيه طريقة السلف الصالح في موعظة الخلفاء والأمراء وهو يجب هذه الطريقة وقد ألفها من علماء قومه

ثم إن الاستاذ الدجوي ادعى أنني أنا المتندي عليه بالرد والتحجير وأنه ليس إلا مدافعا عن نفسه فأخرجت من جيبي كتابا كان أرسله إلي منذ ١٣ شهرا هو نموذج من رسالته التي أشرت إليها في المحجور والتكفير... فامتقع وقبع، وثني صدره ليستخني منه، وشخصت إليه أبصار القوم حتى تمنى السيد عاصم لو كان بصيرا

خيرام، ولكنه قال انني اعترضت عليه قبل هذا فقلت عند دخول مجلة نور الاسلام في سنتها الثانية انها كانت جديرة بالهتة لولا ما ينشر فيها للشيخ الدجوي ... فقلت له وهل تعد هذا كله عملا بقوله تعالى (وجزاء سيئة مثلها ، فن عفا وأصلح فأجره على الله) ؟

ثم قال الاستاذ المفتي : حسينا ما ذكر عن الماضي ويجب أن ننظر الآن في أمر الحاضر والمستقبل ، وفقد الصلح على عدم اثاره شيء مما تقدم ، قال الدجوي : لا بد أن يكف الشيخ رشيد اذنا به عما يكتبون في الجرائد انتصاراً له . فقلت أنا انه ليس لي اذنا ب ولا أنباء ، وهؤلاء الذين يردون على الاستاذ الدجوي وعلى مجلة الازهر في الجرائد ليسوا من أتباعي ولا من تلاميذي وإنما هم من علماء الازهر . والمعروف منهم من أصدقائي وإخواني مستقلون في آرائهم وعلمهم ، وأنا من أشد الناس احتراماً لاستقلال الرأي وحرية العلم والمناظرة لاهلها حتى تلاميذي منهم

ووافقتي بعض الاشياخ الحاضرين على قولي وقال أحدهم ان هؤلاء الذين يكتبون في جريدتي السياسة والجهاد في الرد على مجلة المشيخة هم من علماء الازهر الذين فصلتهم المشيخة منه في العام الماضي والسيد رشيد غير مسئول عنهم لأن لهم مرمى آخر ووجهة أخرى ، وما أظن أنهم يرجعون عن الكتابة مهايكن من أمر الصلح والنهي ، فلا يصح أن نجعل كنفهم شرطاً للصلح ، وهذا لا يمنع ان يرجوهم فضيلة السيد رشيد أو غيره أن يخففوا من حدة أقلامهم ويقتصروا كلامهم على المناقشة العلمية الهادئة ثم دار البحث في الطريقة التي يحى بها ما كان لما كتبه الاستاذ الدجوي في مجلة نور الاسلام من أثر فاتفق الجميع على أن يجاب السيد رشيد إلى ما طلبه من الرد على المسائل التي اتهم بها كتابة علمية لا يعرض فيها لفضيلة الشيخ الدجوي ولا تعيره بما يسوء من طعن شخصي ، بان يذكر التهم واحدة واحدة ويرد عليها بما عنده من الأدلة والشواهد من مجلته وتفسيره ، ويرسلها إلى رئيس تحرير المجلة فينشرها فيها ، ولا تحباب الفضيلة المفتي وقائب الحكمة الشرعية العليا ومفتي الأوقاف الحاضرين الحكم الفاصل في موافقة ما يكتبه السيد لهذا الشرط أو عدم موافقته ، فرضى الفريقان بهذا

وسأل الاستاذ الشيخ فتح الله سليمان من المسئول بالتزام النشر في مجلة نور الاسلام؟ قال الاستاذ رئيس التحرير الشيخ محمد الخضر والاستاذ الشيخ طه حبيب المحرر فيها بموافقة الشيخ الدجوي اننا ننشر

ثم ذكر الاستاذ المفتي ما كان سبق اقتراحه في مقدمات الصلح من كتابة الاستاذ الدجوي في المجلة ثناء على الاستاذ صاحب المنار لاجل تحديده، فابى الدجوي البحث في تحديد ذلك وقال انه هو سيكتب ما يرجي أن يحو أثر المقاتلين وينشره واتفق الجميع على انه يحسن في اتقاء تجدد النزاع أن يتشاور الفريقان فيما يعرض للكتابة من المسائل الخلافية ويتفقا على الطريقة التي يكتبان فيها ، كما يحسن أن يتناورا الشيخ الدجوي والسيد رشيد لتأكيد اللودة وتوطيدها وتعمقوا لو يكون هذا الاتفاق عميداً لقد مؤتمر علمي لتمحيص المسائل وحل عقد المشاكل بين العلماء واصلاح حال المسلمين

ثم نهضوا إلى صلاة العصر مسرورين مغتبطين شاكرين لفضيلة صاحب الدار ومفتي الديار صفيه، وقدم هو السيد رشيداً للصلاة بهم إماماً ، فسروا باقتداء الشيخ الدجوي به في الصلاة إذ ظهر به أن ما كتبه في تكفيره نصاً أو اقتضاء فهو عقوبة لا عقيدة . وبعد أداء الصلاة بالجامعة قاموا لشرب الشاي والتناور الاخوي في شجون الكلام ثم انصرف الجميع مسرورين

ولم نكد نصل نحن الى دار المنار حتى علمنا منها ان مطبعة الاستاذ الدجوي التي يتولى إدارتها ابنه فهمي افندي بدأت توزع في القاهرة أثناء عقد الصلح رسالة اسمها (صواعق من نار في الرد على صاحب المنار) فعلمنا انه حضر مجلس الصلح من جهة وتقبض في وقت عقده من جهة أخرى

فهذه خلاصة خبر الرحلة الاولى لعقد الصلح . وسأبين في المقال التالي ما كان من دعوة فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الى استئناف الصلح واجتماعنا له في إدارة المعاهد الدينية وقتل هذه المرحلة الثانية أيضاً ، ويتلو ذلك الرد على البهتان الذي ذكرت أمهات مسائله في المقال الاول من غير ذكر اسم الشيخ الدجوي لاني لا أرضى أن أكون مناظرآ له ولا خصماً ، واعلم ان العاقبة للمتقين

المقال الثالث

(الرحلة الثانية من مراحل الصلح في إدارة المشيخة والمعاهد الدينية)

في مساء يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة (وأكتوبر) التقيت في احتفال وزير دولة الاثنان المقوض بعيد جلوس ملكهم (صاحب الجلالة محمد نادر خان) بأصحاب الفضيلة شيخ الازهر مفتي الديار المصرية وهيب السادة الاشراف وشربت الشاي معهم على مائدة واحدة وجرى في حديثنا ذكر الصلح، فقلت ان الشيخ الدجوي قد قضى الصلح في أثناء عقده بجوزيه لرسالته البذيئة. قال لفتي ولكنك أنت لا تنقضه، قلت وهل يكون الصلح من طرف واحد؟ وسألت شيخ الجامع هل اطلعت على الرسالة؟ قال لا. فأخرجتها من جيبى وقرأت له بعض الايات التي تخاطبني بالكلمة والخير والوجه المذكور! وقلت أهكذا تكون آداب علماء الدين؟ فامتعض وامتنع ووجم، وقال المفتي ان مثل هذه الرسالة لا تؤثر في مقامك من العلم والدين وسعة الصدر. أو كلاما بمعنى هذا. قلت ولكنها تحط من قدر علماء الدين وضررهم الذي يجب على الاستاذ الاكبر أن يحافظ عليه. وأما أنا فأتمثل فيها بقول المتنبي * فإني ذنب عقابه فيه * فلا أبازي على هذه السبائك بمثلها ولا يستطيع عدو أن يبلغ من مجترحها ما بلغته منه. ولكن لا يسعني بعد اليوم السكوت عن رد المطاعن والتهمة التي افترت علي، وقد أكره الناس من مطابقي بذلك مشافهة ومكاتبة ونشراً في الجرائد

قال المفتي اني أرسلت الى الشيخ الدجوي صديقا له يكلمه في وجوب الامساك عن نشر الرسالة ووعدته بان أدفع ثمن نقية طبعها للطابع وعود الى إتمام الصلح. قلت ان الطابع لما هو ابن الشيخ الدجوي في المطبعة التي أنشأها له والده وان هؤلاء لا يصدقون، وأنا لا يهمني نشرها ولا جمعها، ولا يهمني قضى الدجوي للصلح ولا وقاؤه به، وإنما يهمني شيء واحد هو ان تنشر لي مجلة مشيخة الازهر ما أفند به التهمة التي نشرتها له، وأنا على شرط من اجتناب الطعن والمجاجة الشخصي وفي اليوم التالي كتبت مقالي الاول وأرسلته الى الجرائد فنشرته في ٢٠ و ٢١ من الشهر،

فلما قرأه شيخ الازهر اهتم بالامر، فكلم المفتي في وجوب تداركه في ابائه، وأخذه برأيه، قبل أن أبسط المسألة في الجرائد، فيتسع المحرق على الراقع، فكلمني المفتي بالمسرة وهو معه مبتدئاً بتباني على النشر في الجرائد، فكان هذا أول تجاذف منه وتزاور عن موقف القسط الذي كان يقيم ميزانه، فطفت أحجج فطاطعي قائلاً ان الاستاذ الاكبر معي يدعوكم الى الاجتماع في إدارة المعاهد الدينية يوم الاربعاء للنظر في المسألة فإذا قبلت فلك هنالك أن تدلي بكل معتمدك وننظر فيه بالانصاف . قلت لا بأس واني لحبيب، قال واني أرسل اليك السيارة عند انتهاء الساعة العاشرة، ونرجوك ان تمسك عن النشر حتى نجتمع وننظر في الامر

اجتمعنا في الساعة العاشرة و ٣٠ دقيقة وكان في المجلس أصحاب الفضيلة شيخ الجامع والمفتي ووكيل الازهر والمعاهد الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف القحام والاستاذ السيد الشنواني وهو نائب عن الاستاذ الدجوي الذي سافر الى بلده في الريف لحضور مأتم فيها

بدأ الاشياخ الكلام بتباني على النشر في الجرائد فقلت هل من العدل والانصاف أن يطلب مني السكوت عن الدقاع عن نفسي وبيان حق في مسألة تداولتها الصحف اليومية، وتناولتها أيدي جميع طبقات الامة، وكثر تساؤل الناس كيف يسكت صاحب المنار عن الرد على التجني عليه وبهته بأفحش البهات في دينه وعلمه وأدبه؟ والقاعدة الاصولية انه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو قد تجاوز الحاجة معي الى الضرورة، قال متى ينتظر فني أن أسكت وقد سكت أكثر من شهر ونصف شهر؟ قل المتني لا أقول إنه لاحق لك في البيان، ولكني لم أفهم منك في دار سفارة الافتان أنك عزمت على الرد في الجرائد، وقد تعرضت في مقالك للكلام في الازهر ولا يصح ان نجعل الازهر مضفة في الافواه بخوض الجرائد فيه وأنت تحرص على كرامته مثلنا

قلت نعم ولكن اللوم كله على مشيخة الازهر فاطلعن علي قد ظهر في مجلتها في أول الشهر الماضي، ثم تكرر في أول هذا الشهر بعد السعي من قبلها في الصلح وكان من أمر قض الصلح ما علمت، فأنا أصارحكم هنا بأنني لا أبالي بطلن الشيخ الدجوي ولا بكثيره، ولا بتفضيه للصلح، ولا برسائله البذيئة التي ذكرت لكم

بدار سفارة الافغان رأي فيها، وفيما يجب على مشيخة الازهر تجاه صدور مطلب
عن رجل من كبار علمائها الرسميين، وخطبت شيخ الازهر مصرحاً له بما كنت أفعله
لحفظ شرف الازهر لو كنت في منصبه (ولكنني لا أنشر هذا ولا مناقت عليه
الدليل من حرصي على كرامة فضيلته واجتاني مشايعة الجرائد على خوضها فيه)
وقلت ان السيد طاصاً قال للذي يبيع الرسالة البذيئة في الازهر انني اطلب ما تني
نسخة لارسالها الى الخارج فأين أجدها ؟ قال عند فضيلة الاستاذ السجوي، فظهر
في بالي انه ربما كان يريد نشرها في الخارج لاجل فضيحة الازهر بها ولكن
قائل هذا الاتهام يدخل في عموم (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين
آمنوا) فهذا نهيته عنه

ثم قلت ولكن الذي أباليه وأهتم به محصور في مجلة المشيخة . هذه المجلة التي
أقت الدليل في تقريرها لما على أنني أتمنى لو يكون توفيقها لخدمة الاسلام
والمسلمين أكبر وأتم مما وفقت له في المنار، لان خدمة المنار لا يرجي أن تتجاوز
عمري وقد دخلت في سن الشيخوخة ولم يبق من العمر إلا قليل ، ومجلة نور
الاسلام تابعة لميثة اسلامية غنية يرجى بقاؤها وأقسمت على صدق في شعوري
هذا (وكادت تظنني المنوع على الكلام ، فدما لي الشيخ الاكبر ومن معه
بطول العمر ودوام التوفيق)

ثم قلت وانه ليحزنني أن يخيب أمني وأمل كل من أعرف من فضلاء الازهرين
وغيرهم في المجلة بل زارني من لم أكن اعرف عن الخطباء الذين يطوفون في البلاد لث الوعظ
والارشاد من قبل المشيخة، فسمعتهم يقولون ان هذه المجلة أوقعنا في مشكلة فنحن
تنعي الناس عن البدع ولا سيما بدع القابري والموالد ثم تنجي مجلة المشيخة وللماهد
تدافع عن هذه البدع وتأول لها عليها بما يجد أعمالهم هذه مشروعة (وذكرت من
اقوال ارقى علماء الازهر فيها ما لا حاجة الى اذاعته في الصحف الآن) حتى اتعنى
امرها الى نشر المقاتلين الاخيرتين في العلم علي ، ولا شك في انه طعن بسوء النية
للافيهم من الافراء والبهتان وتحريف الكلم في النقل، ولم يترك كاتبها شبهة ولا خاطراً يرى
انه ثبت للناس فيه جهل صاحب المنار إلا وكتبه ونشره حتى انه يذكر أصغر الامور
التافهة مع التكثير وكبائر الموبقات كمجيبه لصاحب المنار بالنحو لاستعماله كلمة

القبورين و اظهاره لحجته بإيراد قول ابن مالك * والواحد اذا كر ناسبا للجمع * ولا يجعل مثله ان شرط امتناع النسبة إلى الجمع ألا يكون علما أو جرى مجرى العلم كالجزائري والمقابر والانصاري والكرايسي والمصاحفي، وقد كرت أمثلة أخرى من أنساب العلماء والمحدثين. وقلت إن كلمة القبورين قد جعلت علما على المفتونين يبدع القبور وقد استعمل العلماء هذا في كثير من الكتب المطبوعة ومن أشهرها كتاب (صيانة الانسان) الذي رده أحد علماء السند على الشيخ احمد دحلان في طعنه على الوهاية ويعاد طبعه الآن

ومن الغريب انه اتهمني باني أحل الربا وباقترائي بمحو الازال افتتاح بالرهن وانما كانت فتاوي بهذا هتلا لعابرة كتاب المفتي في المسألة، وهو أجل كتب الفقه او من أجلها ولم أزد عليها إلا قولي: ومنها يعلم الحكم في المسألة — وأرى جميع علماء الازهر يأكلون الربا والله تعالى قد توعدا كلّي الربا بأشد الوعيد لا من يتقل قول أئمة الفقه في الرهن وغيره قل المفتي: وهل مال الحكومة كله أو أكثره من الربا؟ قلت اني لا اعني مال الحكومة المختلط وانما اعني ان المخصص لميزانية الازهر والمعاهد الدينية من ميزانية الحكومة العامة يوضع في البنك الاهلي ويضاف عليه من الربا مثل ما يضاف على سائر ميزانية الحكومة، ومشيغة الازهر تسحب من البنك كسائر مصالح الحكومة فهل كنت أنا الذي أفتيت مشيغة الازهر بهذا؟ وجرى كلام آخر في حكم المال المختلط من حرام وحلال لا محل لبسطه هنا وعلمت منه أن المفتي لا يأخذ من الازهر راتبا.

ثم قال الاستاذ الاكبر اننا اجتمعنا هنا لنضع حدا لهذا النزاع والمطاعن يصلح ثابت تمنع به نشر هذه الردود في الجرائد لانها تترى بالعلماء قلت انني أكرر ما قلته مراراً وهو أن لي الحق ان انشر في مجلة نور الاسلام وفي الجرائد رد أعلی التهم التي افترت علي ملتزما فيه بما وعدت به من تلقاء نفسي قبل الاجتماع لعقد الصلح وبعده من اجتناب الطعن الشخصي في الشيخ البجوي. واذا رضيت المشيخة بعزو تلك التهم إلى المجلة من دون ذكره فاني ارضى بهذا. وقد غيرت مقدمة المقال الذي كتبت ارسلته إلى رئيس تحريرها بهذه الصيغة وأخرجته من جيبي وقرأت لهم أكثرها — فوافقتوني على النشر في مجلة نور

المنار: ج ٣٢٩ حرص الفتي على التعاون بيني وبين شيخ الأزهر على الإصلاح ٦٩٥

الإسلام بعد اطلاعهم على ما أكتبه ورؤيته موافقا لما اشترطته على نفسي فيه وعدم نشرشيء في الجرائد ولا كتابة ما يمد طعنا على الأزهر

قلت انه ليس من دأب الطعن على الأزهر ولا على أحد ولكن الكتابة في إصلاح التعليم والتربية في الأزهر وغيره من أمم مقاصدي التي أنشأت للمنار لاجلها وهذا معروف فيه منذ ٣٥ سنة

قال المفتي هذا صحيح ولا يطالبك أحد بترك الكتابة في الإصلاح ولكن إذا عرض لك أن تكتب في إصلاح التعليم في الأزهر فاقترح عليك أن تمرض رأيك أولا على الأستاذ الاكبر للتشاور فيه ثم تكتب ما تتفقان عليه - أو قل ما يقرب من هذا - وكانت هذه الكرة الثانية التي تميز فيها فضيلة المفتي إلى جانب المشيخة بما فيه هضم لحفي في حرية الكتابة ، وهي لا تقل عندي عن حرية الرقبة

وقد تذكرت بمناسبة ما رواه لي المرحوم الأستاذ الشيخ احمد ادريس عضو المحكمة الشرعية العليا عن الأستاذ الامام أنه قيل له في الاسكندرية : نرجوك أن تمنع صاحب المنار من الطعن في السلطان والدولة العلية فان هذا من السياسة وهي ليست من موضوع مجلته الدينية . فقال لهم الأستاذ الامام : انني والله لا أعرف أحدا من الناس أشد استقلالا في الرأي من صاحب المنار ، وكيف أقول له هذا وهو يعلم كما أعلم أن دين الاسلام دين سياسة لادين عبادة فقط ، وكل ما يمكن أن أقوله له في هذا الموضوع انني رأيت كثيرا من محبي المنار يسوءهم الاتقاد فيه على الدولة وانني أنا أظن انه غير مفيد لما يرجوه منه - أو ما هذا معناه

يبد أنني أعتقد أن المفتي حسن النية فيما قال ، وانه يريد به الاتصال بيني وبين شيخ الأزهر للتعاون على خدمة الاسلام - فأجبت بما يفهم منه رد اقتراحه بالقصوى وهو أن رأيي قديم خالف رأي الأستاذ الاكبر في هذا الإصلاح وأني ذكرت لفضيلته منذ أشهر رأيي فيما أعتقد على تعليم الأزهر للمقائد وما يجب من الإصلاح له بدار الدكتور عبيد الحميد سعيد بحضور كثير من أهل العلم والرأي فلم يردده ولم يقبله ، ولعلك تذكر اننا التقينا في هذا المكان في العام الماضي وطابني الأستاذ الاكبر على عدم زيارتي له قائلا اننا اخوان ومقصدنا في خدمة الاسلام واحد وان كنا نختلف في بعض المسائل ، وذكرت أنت - الخطاب المفتي - ان من الضروري أن نجتمع وتعاون على خدمة الاسلام . ولعلك تذكر أيضا انني اعتذرت يومئذ

الأستاذ الأكبر عن عتابه اللطيف المتواضع بانثي رجل صاحب شغل كثير فلا أجد فراغا للزيارات . ولكن فضيلته اذا دعاني في اي وقت لاجل عمل او مشاور في خدمة الاسلام وهو شيخ العلماء ورئيسهم فاني أمثل أمره

فهم الشيخان بل الاشياخ الثلاثة من هذا الجواب ان هذا الاقتراح لا يعقل ان يقبل ، وظلنا متفقين على ان أرد على التهم وحدها وان ينشر ردي في مجلة نور الاسلام بشرطه ، ولكن الأستاذ الوكيل قال ان الرد على تلك المسائل كلها بالتفصيل يطول واقترح الاكتفاء بمقالة واحدة . قلت لا يمكن دحض التهم بمقالة ولا نتين ولا ثلاث

ثم اقترح الأستاذ الأكبر ان يكتب الأستاذ البجوي اعتراقا منه بخدمة السيد رشيد رضا للاسلام بمضيه وينشر في النار ، ويكتب السيد رشيد اعتراقا مضيه بخدمة الأستاذ البجوي للاسلام بمضيه وينشر في مجلة نور الاسلام !! وكانت هفوة من الأستاذ الأكبر

قلت ياسبحان الله أأكون انا صاحب الحق المحدث علي وأكلف ان أزكي الجاني الطاعن تركية تنشر في المجلة التي نشر فيها هتي بالكفر والتجويل ، كأنني اقول لقراءها انه مصيب فيما كتب !! وتذكرت ما لم أكن أذكر من قول الشاعر : ولم أر هضما مثل ظلم يتألنا يساء إلينا ثم يؤمر بالشكر وقول الآخر * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر *

ولكن الأستاذ فطن لمقوته فقال بل ينشر كل من الاعترافين في المجلتين وفي الجرائد وبهذا يشهي كل القيل والقال — او ما هذا معناه

قلت قد عرفتم رأيي في الأستاذ البجوي واني لا أرى خصما لي فيما نحن فيه الا مجلة المشيخة ، وان حق الشرعي عليها وحق قرائها ان تنشر لي ما أرد به على ما نشر بشرطي القبول عندكم ، وحسي ألا أطلعن فيه على شخص البجوي فهل أكلفه أيضا ان أزكيه ؟ فان كانت المشيخة ترى من الحق والعدل أن يكتب شيئا يكفر به عن مطاعته فذلك شأنها او حق عليها ، وان كتب ما أراه مبرئا لي فقد أكتبه

سخيفأما كتب

ودارت أحاديث أخرى في بعض مسائل الطعن ومسألة البدعة في الاذان

وأمر الأستاذ الأكبر السيد الشنواني أن يجمع نسخ رسالة الطعن من الأزهر والمطبعة والمكاتب ويأتي بها كلها إلى إدارة المعاهد لتحفظه فيها . نقلت إلى متى ؟ قال الأستاذ المفتي هذه النسخ يجب اتلافها أو إحراقها . ثم انصرفنا ، وقد علمت أن أمر الأستاذ الأكبر بجمع الكتاب ووضعه في إدارة المعاهد لم ينفذ وهو لا يزال . يباع في مطبعة السجوي وفي بعض المكاتب ولكن أعطيت المشيخة ٢٧٠ نسخة منه (فاعتبروا يا أولي الأبصار) *

ولم يكتف الأستاذ السجوي بهذا بل عاد إلى الطعن على رسالة نشرها في جريدة الجهاد (٢٣ من الشهر) فأرادت المشيخة أن تستأنف معي قطع مرحلة تالفة للصلح ، لمنعي من النشر في الجرائد وأن تكون حكماً بين الخصمين وتكررت مخاطبتها لي بذلك مراراً بالمسرة (الطقون) لأجل الاجتماع في إدارة المعاهد فأبيت ، ثم برض صحيفة لا مضائها فاستنكت ، وكان جوابي في كل مرة عين ما قررته في المرحلة الثانية وصرحت لفضيلة الأستاذ الوكيل من قبله بأن التنازع إنما هو بيني وبين المشيخة ، فلا يصح أن تكون هي الخصم والحكم ، وإن الصلح يشترط أن يكون بان تنشر لي في مجلتها ما أريد به على تمهيد بالشرط الذي تكررت ذكره . وأما الشيخ السجوي فهو من رجالها الموظفين فلها حكمها في عمله وفي كفءه عن عدوانه ، أو إطلاقه عنه ، وهي المسئولة عنه عند الله وفي عرف عباده ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)

(*) انني رأيت كل من كلني في هذا السعي للصلح وما وقع فيه يعتقدون أن شيخ الأزهر هو المفري للدجوي بما كتب أولاً وآخره وأنه لم يكن له غرض في الصلح إلا منعي من فضيحتهم في الجرائد إذ لا يحق أن يكون عاجزاً عن منعه من نشر الكتاب وصرح لي أنهم أشد حرية معي بأنني خدعت ، وأما أنا فكل غرضي من موافقتهم الصلح لي بالرد في مجلة الأزهر ليعلم قراؤها الحق من الباطل ، والعلم من الجهل . وهو حق شرعي وقانوني

المقال الرابع

(مقدمة تاريخية للرد على مجلة مشيخة الازهر في تصدي المنار
للاصلاح ومقاومة الشيوخ له)

ان هذا التنازع والتخاصم بين مجلة المنار ومجلة مشيخة الازهر تنازع في مسائل من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وطريق فهمها ودفع ما يرد عليها من التشبهات العصرية وما عارضها من شوائب البدع، فمن حق الامة أن تعرفه وأن يكون لها حق الحكم فيه، وأرى من المفيد لها في أسباب صحة الحكم أن أقدم على الرد العلمي على مسائل التهم البهائية مقدمة تاريخية وجيزة في تصدي المنار لاصلاح التعليم والتربية في الازهر ومقاومة البدع والمخافات في المسلمين وعداوة بعض الاشياخ له. فخلى عليها استعداد الشيخ يوسف الدجوي مشيخة الازهر علي في مقاله التي نشرها في جريدة الجهاد يوم الأحد ٢٣ جمادى الآخرة واغرائه اياها بما رجوه من سحبها لاسقاط المنار، وهو شيء سعى له هو وغيره من قبل غلاب سعيهم، وقد دونت هذا بالتفصيل في مجلدات المنار وفي الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام (رح) وأذكر هنا حكاية فكاهية في الموضوع لم تدون من قبل كان قصصها على أحد علماء الجامع الاحمدي خلاصتها ان أحد وجهاء طنطا الموافقين لمذهب المنار في محاربة البدع زار شيخ الجامع الاحمدي في أيام مولد البدوي منذ سنين خلت وكمبه في المنكرات التي تقع في المسجد الجامع وعند ضريح السيد وما يجب عليه من العمل لابطالها واتخاذ المسلمين من فضائنها التي يعرفها بها الاجانب، فواقفه الاستاذ على ذلك ووعده بالسعي لابطالها بالتدرج. وبعد أن انصرف زار الشيخ رجل آخر من القبور بين فقال له: يا مولانا الشيخ ان مجلة المنار قد فضحتنا بتكثيفها في منكرات للوالد والتوسل بالاولياء وآل البيت قال متى أتم ساكتون عنها؟ فقال له الشيخ اننا نذكر في تأليف لجنة من العلماء لبيان أغلاط المنار المخالفة للشرع والرد عليها ثم بلغنا في سنة ١٣٣٥ انه قد ألف بعض علماء الازهر جمعية لمثل هذا الغرض الذي كان وعد به شيخ الجامع الاحمدي الذي يسمى الآن (معهد طنطا) بعد أن أعلن الحرب على المنار اثنان منهم أحدهما الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي والآخر المرحوم

المنار : ج ٩ م ٣٢ طعن الدجوي وأزهري آخر على المنار والصلح معها ٦٩٩

الشيخ عبد الباقي سرور . فشرط في نشر مقالات لها في جريدة اسمها الافكار ، وكانت معركتها الاولى مسألة من المسائل التي أثارها الشيخ الدجوي في معركته الحاضرة وأشهرت اليها في المقالة الاولى وهي ابوة آدم عليه السلام للبشر وما يعارضها من مذهب دارون وقول الاستاذ الامام انه إن فرض ثبوت نظريته في تحليل الانواع فانها لا تنقض شيئا من نصوص القرآن القطعية في ظل القرآن فوق كل شيء فلما رأيت ان مطالعتهما تدل على انهما يكتبان مالا يحدان وما لا يفهمان بمحض البغي والدعوان ، دعوت البادية معنا وهو الشيخ عبد الباقي إلى المذاكرة والمناظرة في المسألة بالمشافهة ومجاهدة الله على الاخذ بما يظهر من الحق وإلا رفعت عليه قضية إلى محكمة الجنائيات ، فأبى المناظرة فرفضت القضية وفي يوم الجلسة حضر المحكمة كثير من علماء الأزهر . وانتهت القضية بالصلح الذي ساء أولئك الشيوخ فقالوا له : والله ان الحكم عليك بأشد العقوبات كان يكون خيرا لك من هذا الصلح المخزي ولقد كان عفا الله عنه ذكيا قريبا من مذهب المنار الاصلاحي بمقدار بعد زميله عنه ، وانما دفعه إلى الطعن حب الشهرة ، وقد عاد بعد أمة من الزمن لما كان سبق له من مودتي ، ولما كتبت مقدمة المغني في أسباب خلاف الامة في نفسه ويان المخرج من مضاره وما يجب على جميع المسلمين من أحكام الاسلام ، وما لا يجب إلا على من ثبت عنده — قال لي انه لم يكتب مثلها في الاسلام وهي جديرة بأن يطبع منها مئات الالوف من النسخ ويطبع عليها جميع طلاب العلم الاسلامي وخاف الاستاذ الدجوي أن أرفع عليه قضية تنتهي بحكم مهين ، أو صلح خزي هين ، فتوصل إلى بعض أهل الفضل بالسعي لصلح شريف بالجمع بيننا فاجتمعنا واعتذر الاستاذ عما كان يكتبه بأنه كان عن سوء فهم لا عن سوء قصد ، وأن سبه ان الذي قرأ له عبارات المنار عرف بعضها وأعرض عن بعض الخ قلنا عفا الله عما سلف ثم ان الاستاذ الدجوي قضى الصلح الاول كما قضى الصلح الاخير في هذه الايام ، وألف جمعية للبحث عن نفقات المنار لاجل الطعن والتشهير ، وما هو شر منهما من استعلاء مشيخة الأزهر والحكومة على صاحب المنار للانتقام منه ، وهذا ما يحاوله اليوم بما له من المكانة في هيئة كبار العلماء ، والقلم الطعان في مجلة المشيخة الرسمية ، وربما للمشيخة من النفوذ في الحكومة .

ولكن المشيخة كانت أعمق منه وأعلم بسوء تأثير كلامه وما فيه من العار عليها

وعلى الازهر اذا أقرته، فقد سمته لا قياشه مما تهوك (١) فيه فعجزت عنه فلم تستطع منه من استمرار الطعن علي في أثناء المفاوضة في الصلح ولا بعد عقده، لضعفها عن تنفيذ سلطتها الرسمية عليه، حتي ان رئيسها الاستاذ الاكبر أمر بجمع الرسالة البديعة ووضعها في إدارة المعاهد وصرح بتأمله منها فلم يتفد أمره (كما تقدم) وهو مردوس له وموظف عنده، وأجدر بسجز الرئيس عن الردوس فيها هو صريح حقه عليه في قانون الازهر أن يكون منار العجب، قبل سبيه قوة الارادة وضعفها، أم هنالك قوة خفية يعز الردوس بها. ومن مظاهر هذا العجز أن يكون الغرض من الصلح إقناعه بالكف عن هذه الكتابة التي لا تسلم المشيخة من عارها، بل لا عرف في تاريخ الازهر وسيرة شيوخه مثلها وأن يكون هذا الصلح بأخذ وثيقة من يدفن للماضي قبل أن تظهر براءتي من مطاعنه، وأن ترضى المشيخة بمحمل الرد عليها وعلى عجلتها دونه. وأن يظن هو مع هذا كله يستعديها علي، ويوجب عليها الانتقام مني، ويصفها بقوله «وهي المشرفة على جميع المسائل الدينية وصاحبة السلطان على ذويها بنص القانون» كأن قانون الازهر وضع للسيطرة على غير أهله، والانتقام لشيوخه من غيرهم بالباطل (٢) فكانت المشيخة بسعيها هذا كمن يحاول ايجاد الفرق بين فرق معه، فهي انما رغبت إلي بأن أقدها.

(١) الانتياش من النوش وأصل معناه التناول واستعمل الاقياش في الاقازد من الملوك وما في معناها. قال ابن دريد :

ان ابن مكيال الامير اخاضني من بعد ما كنت كالشيء اللقا

واللقا الذي يلقي ويهمل لانه لا قيمة له. والتهوك التهور والصحير. وتهوك في الشيء وقم فيه بلامبالاة ولا روية، واضطرب في القول وجاء به على غير استقامة (٢) ألف طالب علم نجدي مجاور في الازهر كتابا في الرد على الشيخ الدجوي عجز عن الرد عليه ماها (البروق النجدي، في اكتساح الظلمات الدجوية) فانتقمت له المشيخة منه بقطع رزقه من الازهر وفصله من الانساب الى الازهر. وروي لنا أن الاستاذ الاكبر سعي لدى الوزارة لمصادرة الكتاب فامتنعت. ولكن مجلة المشيخة كذبت هذا الخبر وخبر محاولتها ثمراء كتاب الطالب النجدي. وقد يكون الخبر أصدق من المجلة بدليل اقترانها علينا في ديننا وهو لا يستحل هذا.

وأفقه ، وقد علمت الامة اني واتيت ، ثم عجزت بعجزها عنه فاشتيت . وأمسكت
عن بيان الحق شهراً ونصف شهر

وأما هو ف رأيي في عدوانه الاخير ك رأيي في عدوانه الاول (سنة ١٣٣٥) ولولا ان كان
عدوانه هذا في مجلة مشيخة الازهر الرسمية ، وأن كان الساعي للصلح معه الاستاذان
الاكبران : شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ، لاجتنب ذكر اسمه اليوم كما
اجتنبته من قبل حفظا لكرامة الازهر وكرايتي كما علمت ذلك في وقته ، ورأيي في جمعته
واستعدائه اليوم هو رأيي في مثلها بالامس . ومنه ان مثلي لا يورد على مثله ، لاني لا
أستطيع ان أظن به مثل هجوه النبي أقره عن وصفه ، لئلا يقال انني شاركته
في شيء منه ولو بتسميته باسمه ، ولانه يفترى التهم ، ويجزف الكلم ، ويقول ما
لا يعلم وما يعلم خلافه ، وذلك لا يمكن أن يكون خدمة للعلم ولا لبيان الحق . وسيرى
القراء الشواهد على هذا فيما تنشره من الرد . ولو أنني أعرف كلمة في اللغة أخف من
الاقراء والتحريف تؤدي معناها لما كتبتها . وأحمد الله أن رضى المشيخة بعمل
الرد على مجلتها لا عليه ، لانه يثني عن عزو كلامه اليه

وانني اقل للامة في جرائدها ما كتبه بشأن عدوانه الاول في فاتحة المجلد العشرين
من المنار الذي صدر في شوال سنة ١٣٣٥ بعد بيان مذهب المنار في الإصلاح وهذا نصه

﴿ كلمة المنار في المجلد العشرين سنة ١٣٣٥ ﴾

« تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يملوه
من اللط ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل
الهدع ، ومتعصبى الاحزاب والشيع ، وقد آذانا لاجلها للظالمون فصبونا الله بالله ،
ولم تكن كن أوزي في الله فجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وجعل علينا بعض أحداث
السياسة الغرورين ، وبعض أدياء العلم الجامدين ، قلنا « سلام عليكم لا نبغى
الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيداً خفياً ، أضر بنا ضرراً جلياً ، إذ حجب
المنار عن كثير من قرائه الاخبار ، وعمرنا بذلك وبغيره كثير أمن المال ، وحسبنا
أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الإصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ،
« وأما الازهريون خاصة ، فقد كانوا أزواجاً ثلاثة ، قليل من الشيوخ وكثير من
الشبان ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام في هذا الزمان ، وكثير من الشيوخ

والشبان يكرهون منه حمد الاستقلال وذم التقليد ، ورمي جامهر علماء العصر بالجهود والتقصير ، والسواد الاعظم منهم مشغولون بأمر معيشتهم ، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم ، عن النظر في مثل المنار لتقريب أو انتقاد ، وعن كل ما يجدد في الدنيا من إصلاح وإفساد

« وقد دخل المنار في السنة العشرين ، ولم ينتقده أحد من الأزهرين ، إلا أنه قام في هذا العام شاب متخرج في الأزهر فنشر في بعض الجرائد الساقطة مقالات سب فيها صاحب المنار وكفر ، بأنها ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أبا لجميع البشر ، على أن المنار قد صرح بإثبات هذه الأبوة تصریحات آخرها ما في الجزء الأول من المجلد التاسع عشر ، وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين ، ويعلم كذب هذا الزعم بما نشرناه في شميل من ترجمة وتأيين ، ومن لا يزعه هدي القرآن ، عن السب والكذب والبهتان ، قد يزعه عقاب السلطان ، لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن إلى محكمة الجنايات ، بعد أن أنذرتنا بذلك كاتب المقالات ، ونصحننا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه ، بأن يستحلنا تأيينا من ذنبه ، فلم يزد ذلك إلا إصراراً على الذنب ، وتآمداً في الطعن والسب ، ولكنه جنح في المحكمة للسلم ، وطلب هو وصاحب الجريدة من رئيسها الصلح ، على أن يعتذرا عما اتهمنا به من اللطاع الشخصية ، ويعترف باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية ، وأمضيا عبارة في ذلك أتت في عجز القضية . وقد قبلنا ذلك منها ، وكان خير أئمة لوفاء من تلقاء أنفسهم ، على أنهما عادا إلى هديانها ، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام ، فانه بما يقال لصاحبه سلام ، وأما ذكرناه في فاتحة المنار ، التي نشر فيها عادة إلى ما يجدد في تاريخ الإصلاح ، تمهيداً لذكر ما قبل انه ترتب على تلك القضية ، من تأليف جمعية أزهرية ، لأجل البحث عن أغلاط النصار الدينية والعلمية ، وبيانها للناس وللحكومة المصرية ، ذكرت ذلك الجريدة التي وقعت نفسها على الطعن في صاحب المنار ، متوهمة انه سيقرب عليه ابطال المجلة أو اخراج صاحبها من هذه الديار ، لان عند أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الأزهرية ، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية ،... فنقول الواهين ، ولن يمدونهم في غيهم من المغرورين : انا نعلم من كنهه علم الأزهر ما لا تعلمون ، فاعملوا على مكاتمتكم انا طاعون ، وانتظروا

انا منتظرون (٩ : ١٠٦) وقل اعملوا فسمي الله عملكم ورسوله والمؤمنون ،
وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

« انا ندعو الى الله على بصيرة ، ونكتب ما نكتب عن علم و بينة ، ولكننا
كثيرا معرضة للخطأ والغلط ، كما هو شأن غير المعصومين من البشر ، فهذا ندعو
قراء المنار في كل عام ، الى أن يكتبوا الينا بما يرونه فيه من الاغلاط والاهام ،
لنشره فيه ، فيطلع عليه جماهير قارئيه ، وانا لنتمنى ان تؤلف لجنة من علماء
الازهر ، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر ، وتحصي ما نراه من الاغلاط المثق
عليها ، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها ، وان تصحى في ذلك ما يليق بكرامة اهل
العلم ، من صحة النقل والتزوي في الحكم ، واجتناب العلقن واليذاء ، والسخرية
والاستهزاء ، وانا نعد ذلك اذا سمعت اليه مهمة بعض الازهرين ، أعظم خدمة للمنار
يخدم بها العلم والدين ، ونعد بأن ننشر لهم ما يكتبونه فرحين مضبوطين ، مقرين
إياهم على ما نراه فيه من الصواب ، مبينين ما نراه من الخطأ مع التزام الآداب ،
وترديد عبارات الحمد والشكر ، التي تبقى بقاء الدهر ، ولثواب الله خير . للذين
يصلحون في الارض ولا يفسدون ، والذين هم على البر والتقوى يتعاونون (ولكن
منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)
« وانا على ضعف أملنا بتحقيق تلك الامنية ، واحتقارنا لكل ما يكتب بها لة
وسوء نية ، ليعزتنا ان يقوم في الازهر بعض علمائه ، ورئيس جمعية من جمعياته ،
ينتقم ممن يقاضي بعض أصحابه ، باقتراء الكذب عليه (١) ونسبة ما ينقله عن
غيره اليه (٢) وتعريف آيات القرآن ، استدلالا بها على ما رماه به من الكفر

(١) ادعى ان صاحب المنار قال ان آدم عليه السلام من سلالة القردة وانه
ليس أباً لجميع البشر — وهذا كذب وافتراف — وادعى انه عضو في لجنة ألغت
لنشر كتب شعيل وهذا كذا كذب مفترى أيضا (٢) عزا الى صاحب المنار أقوالا
في خلق الانسان وفي تكفير من يحكم على السارق بغير الحد الشرعي وتلك
الأقوال من منقول المنار لا من أقوال صاحبه بل مخالفة لها من الاصل

والفسوق والعصيان (١) بذلك الكذب والبهتان ، الذي زاد فيه على ما سبقه اليه

ذلك الطعان ، وانا لنكرم كلا من النار والازهر بصددهم ذكر اسمه ، وعسى ان

يثوب الى رشده ويثوب من لآئه (٤٩ : ٦ : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ

ختينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين — ١١ يا أيها الذين

آمنا لا يستخز قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى

أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق

بعد الايمان ، ومن لم ينب قال ذلك هم الظالمون)

انتهى ما قلناه من مقدمة المجلد العشرين من النار ، وكأنه كتب في هذه الحادثة ،

وما أشبه الليلة بالبارحة !

هذا وإننى أختم هذه المقدمة بالتنويه بأولئك الشيوخ الكبار الذي كنا

نتقدم فيما نكتبه في إصلاح الازهر ، فانهم لم يتقوا من النار صده عن البدع

والخرافات ، ولا ما كتبه في افتتان الناس بالكرامات ، ولا إنكار عبادة

الاموات ، ولا طعن أحد منهم في ديننا ، ولا بهتنا ولا افتراء علينا ، فرحم الله

من مات منهم وأطال عمر من بقي ، كالاستاذ العلامة الشيخ محمد بنحيث المطيعي ،

الذي لم نصرح في النار بمنافرة أحد منهم غيره ، وانما كانت مناظرة علم ، لاعداء

فيها ولا إثم ، وقد أثنى أخيراً على مقدمتنا للمفني أكد الثناء ، وهي خلاصة

رأينا في الإصلاح (٢)

وقد حاول الخديو أن يعمل بعض الكبار من أولئك العلماء على طعن في النار

يتوصل به الى نفي صاحبهم من مصر ، فأبوا ذلك عليه على ما يحلم الناس من ضعفهم

أمامه . فلم يصل الضعف بهم الى مثل هذا العدوان على عالم يخدم الدين بعقيدة

واخلاص ، احتمل في سبيلها عداوة الخديو والسلطان . وسرى الامة في

المقالات الآتية مبلغ المعندي عليهم من العلم والدين الآن م

(١) استدلت بآيات سورة الممتحنة في النهي عن موالات أعداء الله على ضدها تدل

عليه وأهمل ما قيده به بالسورة من كونه فيمن قاتلونا في الدين إلخ اه من الاصل

(٢) قد نشرنا هذه المقدمة في كتابنا (الوحدة الاسلامية)

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام وحظن من الاصلاح المحمدي العام ﴾
(تابع لما نشر في الجزء الماضي وما قبله)

٥٨

(بر الوالدين وتفضيل الامهات فيه على الآباء)

أوصى الله تعالى في مواضع من كتابه بالاحسان بالوالدين وقرنه بالامر بعبادته
والنهي عن الشرك به ، وأمر بالشكر لما متصلا بالشكر له ، وخص الام بالذكر في
بعض هذه الوصايا للتذكير بزيادة حقها على حق الاب ، ونذكرها أجمعها

قال تعالى في سورة الاسراء (١٧ : ٢٣) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَمْبُلُوا

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفَ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

الاف كل مستقدر من وسخ وقلامه ظفر وما يجري مجراها ويقال
لكل مستخف به استقدارا واحقاراً له كما قال الراجز وكذا لكل ما يتضرع
منه . يقال تأفف به اذا قل له أف لك . ومنه (٤٦ : ١٧) والذي قال لوالديه
أف لكما اتعداني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي ؟ وخص هذا النهي
بحالة كبر الوالدين واحدهما لان الكبر مظنة وقوح ما يتضرع منه او يستقدر منه
وهو يدل على تحريم ذلك في غير هذه الحالة الاولى . والنهر والانتهاز الزجر بلفظة
وخشونة . والكريم من الاقوال آدبها والطفها ، ومن الاعمال انعمها واشرفها ،
ومن الاشخاص افضلهم واجلهم

(٢٤) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا (٢٥) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا

يمر عن العطف في المعاملة بخفض الجناح ، وأصله أن الطائر يخفض جناحه
لفرخه يقيه به نارة ويعلّمه الطيران أخرى . وخفض الجناح من الذلّ البغ من
خفضه لأجل العطف ، فهذا من رعاية الكبير للصغير ومنه قوله تعالى لرسوله (واخفض
جناحك لمن أتبعك من المؤمنين) وذلك من عناية الصغير بالكبير ، ولم يؤمر
أحد به لنير الوالدين . وفي تشييدهما أمر الولد أن يطلبه من رحمة ربه لوالديه برحمتها
لهنّهما رياء في صغره تعظيم كبير لرحمة الوالدين ليتدبر الاو لا ذلك ويعلموا أن رحمتهم
لوالديهم في الكبير والتدليل لها لا يكفي في أداء حقوقها ، وإنما عليهم ان يدعوا الله
تعالى ان يكافئها عنهم برحمته التي وسعت كل شيء ولا يعلوها شيء . ذلك بأن
رحمة الوالدين للولد في صغره ولا سيما الام التي تتولى إزالة أقداره وغير ذلك إنما تكون
مع اللذة والرغبة والسرور ولن تبلغ رحمة الولد بها هذا الحد

ولما كان بلوغ هذا الحد من البر والاحسان بالوالدين عزيز المنال ذكر الله
عباده بأن المدارفة على حسن النية وصلاح النفس فإن وقع مع ذلك تقصير ما فانه
لا بد أن يقرن بالتوبة وحسن الاوبة الى التشمير بعد التقصير ، والله تعالى غفور للاولين
أي الكثيري الرجوع الى الحق والخير كلما عرض لهم ما يصدّم عن المضي فيه أو الثبات عليه
وقال تعالى في سورة لقمان (٣١ : ١٤) ووصيناك بالانسن بوالديه حملته أمه

وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ
الوهم الضيف أي ذات وهن أو تهن مدة حمله وهنا على وهن بالوهم والاقبال
والوضوح . وفصّله أي فطامه في انتهاء عامين يكون كل هما فيها ارضاعه وتغذيته
وتنظيفه - والملتان معتزتان بين الوصية والموصى به وهو الشكر لله الذي خلقه
ولوالديه اللذين عنيا بتربيته ولا سيما الام التي كانت أكثر تمبا وعناية به فقرن شكرهم
بشكر الله تعالى وجعله ثانياه للايدان بأن فضلها عليه يلي فضل ربه وقوله بعده (إلي
المصير) تذكرة بأن جزاء الشكر وضده في الآخرة لله وحده

(١٥) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

نُطِمْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَتْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ
إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

هذه الآية أدل على عظم حق الوالدين على الولد فإن الله يأمره بها أن
يصاحب والديه المشركين في الدنيا بالمعروف من البر والاحسان إلا في شركهما وما
يلزمه من معاصي الله تعالى فإن جاهدها على أن يشرك بالله تعالى فلا طمعها لأن حق
الله تعالى عليه أكثر من حقها وتوحيدها وطاعتها هي الوسيلة إلى سعادته ونعيمه
الذي لا نهاية له. وقوله (واتبع سبيل من أناب إلي) أي واتبع في الدين سبيل من أناب
إلي من النبيين والمرسلين، ومن اهتدى بهم من المؤمنين دون تقليد الآباء الكافرين
قال (ثم إلي مرجعكم) أي مرجعك ومرجع والديك (فأنبئكم بما كنتم تعملون) عند
حسابكم وأجازي كلا بما يستحق فعلي حساب والديك وجزاءم لأعليك، والآية
نص في البر والشكر للوالدين الكافرين فيما عدا الكفر ولو أزمه ففي أرحم مما ينقله
النصارى عن المسيح عليه السلام من التفرة والعداوة بين الوالدين والأولاد
في الإنجيل متى (١٠: ٣٤) لا تظنوا أنني جئت لأتقي سلاماً على الأرض ما جئت
لأتقي سلاماً بل سيفاً ٣٥ فاني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والأبنة ضد أمها
والكننة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الإنسان أهل بيته

وأما قول الله تعالى (ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) فقد
نزلت في قوم من أهل مكة أسلموا فأبى أزواجهم وأولادهم ان يدعوا ومع هذا
فقد قال الله تعالى فيهم ﴿وَإِنْ تَغَوُّوا تَغَوُّوا تَغَوُّوا وَتَغَوُّوا قَالَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقال في سورة الاحقاف (٤٦: ١٥) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا
حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصَابِحَ
لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنْ تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

نبتت القراءة بلفظ الاحسان ولفظ الحسن، وفتح الكره وضمه ومعناها
واحد (كالضعف والضعف) وهو المشقة، وهو أقسام منه ما يكرهه الإنسان
ويشق عليه طبعاً وان أحبه عقلاً أو شرباً وبالعكس كاللدواء والصبر على المكاره

ومنه قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) وكره الام لمشقات الحمل والوحم طبيعية لاعقالية ولا شرعية . وقوله تعالى (وحله وقصاله ثلاثون شهراً) معناه أن مدة تعب الام في حملها لى فطامه ثلاثون شهراً وهو مبني على ان مدة الرضاعة الثالبة ٢٦ شهراً وهو ما كان عليه الناس في الغالب لانه تشرح ، الاتحديد اكثر الرضاعة بستين في آية البقرة فان الام لا تكلف أن ترضع طفلها أكثر من ذلك لانه بعد اكتمال الستين لا يضره التغذي بغير لبنها مما جرت العادة والتجربة بغذي الاطفال به ، ويوجد في هذا العصر من الابان الحيوانية المجعدة او المجففة ومن المستحضرات الاخرى (كالقوسفاتين) ما يوافق كل طفل في كل وقت ولم يكن هذا في زمن التنزيل ، على ان لبن الام افضل وانفع باجماع الاطباء

٥٩

الاحاديث النبوية

(في وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقها وتخصيص الام بترجيح حقها)

جاء في حديث أبي هريرة المتفق عليه أن رجلاً جاء الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي؟ قال « أمك » قال ثم من؟ قال « أمك » قال ثم من؟ قال « أمك » وفي رواية زيادة (ثم أدناك فأدناك) وفي حديث المقدم بن معدي كرب عند أحمد والبخاري في الادب المفرد وابن ماجه وصححه الحاكم قال (ص) « ان الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب »

وفي حديث أبي رزمة عند أحمد وأصحاب السنن الثلاثة والحاكم والقفطه قال انتهت الى رسول الله (ص) فسمعه يقول « أمك وأباك ثم أختك وأخاك ثم أدناك أدناك » فقدم ذكر الاخت على الاخ ايضا

وفي حديث عائشة عند احمد والنسائي والحاكم وصححه قالت سألت النبي (ص) أي الناس اعظم حقاً على المرأة؟ قال « زوجها » قلت: فعلى الرجل؟ قال « أمه » وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند أبي داود والحاكم ان امرأة قالت يا رسول الله ان ابني هذا كان بطني له وعاء، وتدنني له سقاء، وحجري له حواء وان أباه طلقني وأراد ان يزعه مني فقال (ص) « أنت أحق به ما لم تنكحي »

وفي حديث أنس عند القضاعي والخطيب في الجامع (الجنة تحت أقدام

الامهات ﴿وفي معناه مارواه الطبراني عن طلحة بن معاوية السلمي قال أتيت النبي (ص) فقلت يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله - قال « هل أمك حية » ؟ قلت نعم قال ﴿ الزم رجلها فثم الجنة ﴾ وقال لرجل آخر مثله ﴿ فالزمها فان الجنة عند رجلها ﴾ ورواية أخرى في الوالدين كليهما وأنه قال له ﴿ فالزمها فان الجنة تحت أرجلها ﴾ وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أنه قال لرجل استأذنه في الجهاد ﴿ أحى والدك؟ ﴾ قال نعم قال ﴿ فقيمها فجاهد ﴾

هذه بعض شواهد البر واما العقوق فقد عد النبي (ص) عقوق الوالدين من اكبر الكبائر وخص الامهات بالذكر فقال « ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ومنها وهات ووآد البنات (١) وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » رواه البخاري من حديث المغيرة . وقال (ص) ﴿ الا انيكم يا كبر الكباري ﴾ ثلاثا ، قلنا بلى يا رسول الله قال « الاشرار بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور ، والا وشادة الزور - الا وقول الزور - الا وشادة الزور » فما زال يقولها حتى قلنا : لا يسكت . وفي رواية حتى قلنا ليته سكت ، أي لما رأوا من انزعاجه وانما كرهها لعرضه المتهاونين بالدين للاستخفاف بها - بخلاف ما قبلها والحديث متفق عليه

٦٠

(الاحاديث النبوية في الوصية بالنبات والاحوات)

عن عائشة قالت دخلت علي امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمر واحدة فاعطيتها اياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته فقال « من ابنتي من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » رواه البخاري ومسلم والترمذي وفي لفظ « من ابنتي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار » الاجلاء الاختبار بما يظهر به التزام الحق والشرع او عدمه . وكانت العرب كأكثر الناس يكرهون البنات فلذلك احتيج في القيام بحقوقهن من التربية والاحسان الى الصبر . وعنها قالت جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها فاطمعتها ثلاث تمرات فاعطت كل واحدة تمرقة ورفعت اليها تمرقة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد ان تأكلها بينهما فاعجبني

(١) العقوق الابداء الشديد من قول أو فعل أو ترك . ولا يدخل في العقوق المحرم بخلافتهما فيما يطلبان من مصيافته تعالى ونحو الهوى المحض فيما يضر الولد كطلاق امرأته أو منتهاقها عليه ، ووآد البنات دقهن في الحياة وتقدم ، ومنأ وهات منأ منع الحق وطب ما ليس بحق

شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ان الله قد اوجب لها بها الجنة او اعفها بها من النار» رواه مسلم وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم اصابعه اي معا رواه مسلم واللفظ له والترمذي ولفظه «من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين» وأشار بأصبعيه. وابن حبان في صحيحه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عال ابنتين او ثلاثا او اختين او ثلاثا حتى يبلغن او يموت عنهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وأشار بأصبعيه السبابة والتي عليها. وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مسلم له ابنتان فيحسن اليهما ما صحبتاه او صحبهما الا ادخلتهما الجنة» رواه ابن ماجه باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه من رواية شرحبيل عنه والحاكم وقال صحيح الاسناد. وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف يتيما له ذا قرابة اولا قرابة له فانا وهو في الجنة كهاتين» وضم اصبعيه ومن سعي على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كاجر مجاهد في سبيل الله صائما قائما» رواه البزار من رواية ليث بن سليم وروى الطبراني عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينق عليهن حتى يبلغن او تمت الا كن له حجابا من النار» فقالت له امرأة او بنتان قال «او بنتان» وشواهد كثيرة. وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات او بنتان او اختان فاحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» رواه الترمذي واللفظ له وابو داود الا انه قال «قادبهن واحسن اليهن وزوجهن فله الجنة» وابن حبان في صحيحه. وفي رواية للترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يكون لاحدكم ثلاث بنات او ثلاث اخوات فيحسن اليهن الا دخل الجنة»

(اقول) تحدثنا بالنعمة، ومنها أننا اهل لحسن الاسوة: نحمد الله تعالى اننا اهل بيت نعتي بتاتنا فوق ما نعتي باخوتين مع انقاء الظلم الذي يشير العيرة والعداوة بينهما، فلا تشتم في بيتنا اتني ولا تضرب. وقد خوفت ام بنتا ذات ثلاث سنين أو اربع بضرب ايها فقالت انه لا يضربني: قالت وماذا يفعل اذا اخبرته بتنا ذلك هذا؟ قالت (يحالني) اي يصرفني عنه بالحيلة والافتناع. ويثقل على ذوقني ان اذكر غير هذا مما من الله تعالى به علينا من بر والدينا وصلة ارحامنا وتكريم نساءنا، الا انني اقول انهن يعتقدن انهن اسعد النساء وان رجالهن افضل الرجال، وما هذا الا اتباع هداية الاسلام مع العلم الصحيح بها والله الحمد

الخاتمة

ألا يا مشر الجنس اللطيف

ها أنتين أولاء قد علمتن من هذه الرسالة الوجيزة أن محمدًا رسول الله وخاتم النبيين قد جاء بدين قويم، وشرع حكيم، ورفع حيف الرجال عنكن، وأمنهاهم لكنّ، في جميع الامم القديمة والحديثة، وأتباع الملل السماوية والقوانين الوضعية، وإن الاهتداء بما جاء به يذهب بما بقي من الظلم لبنات جنسكن في بلاد الحضارة للمادية، التي يشكو اخواتكن من مصائبها وأرزائها ولا يهتدين إلى النجاة منها سبيلا، وشرها عليهن وعلى الانسانية إباحة البغاء، والتسري الباطل بأخذ الأخذان، والاتجار بأبضاع النساء بسوقهن كالشاء والغنازير من قطر إلى قطر، وقد فهن من حضن إلى حضن، في أحسرة الانسانية، عليهن، والمصاب الفضيحة بهن

إن الإصلاح الاسلامي الحمدي يقضي بأن يكون لكل امرأة كافل شرعي يكفها كل ما بهما لتكون بنتا مكومة، وفزوجة صالحة، فأما مربية، فجدة معظمة، ومن حرمت الزوجة أو الامومة، لم تحرم الكفالة والكرامة، ولو نفذ شرعه في أوربة والبلاد الرزوة بنفوذها وسيطرتها، لزال منها البغاء الرسمي، والتسري الصهري، ولما وجد في أوربة عشرات الملايين من الايامى المحرومات الحياة الزوجية، ومنهن من ينقن على أنفسهن وعلى اولادهن شرعين وغير شرعيين فصائب النساء ورزاياهن في تلك البلاد بالنسبة إلى مجموعهن أعظم من رزاياهن في البلاد التي قن نساؤها بتقليدهن في الخلاعة والإباحة وطلب مساواة الرجال، وأولئك لم يطلبن هذه المساواة بالرجال في كل شيء، إلا لأن الرجال قد حرموهن حقوقهن الانسانية التي قررها الاسلام

لوعلم نساء الافرنج في المالمين القديم والجديد أحكام الشريعة وآدابها، ودونت لهن بصورة قانون تظهر به مزاياها، لأن الأحزاب والجمسيات للمطالبة بها، واتخاذ الحضارة من قننة في الارض وفساد كبير بيناه في هذه الرسالة، قبل للمتملمات من المسلمين في مصر وغيرها أن يدبرن هذا الموضوع، ويسبقن إلى الدعوة إلى ههنا

المشروع، فهو خير لمن ولامتن وللانسانية من افتتانهن بتقليد نساء الافرنج فيما يطلبن من إعطائهن حق مساواة الرجال في كل أسباب الكسب والتصرف في الاموال، والدفاع عن الاوطان، ومجالس التشريع ودواوين الادارة، وأخاديع السياسة، وكذلك حقوق الزواج والطلاق والحل والرضاع حتى إذا أئين وظائف الحبل والولادة لا يكرهن عليها

لا خير للجنس اللطيف في مساواة الرجال ومشاركتهن لهم فيما يصدهن عن حق الانسانية عليهن في بقائها بالتناسل وترؤية الاطفال التي يرتقي بها البشر، وقيام النساء بهذه الوظائف يتوقف في هذا العصر على علوم وفنون كثيرة روحها جميعها الاصلاح الاسلامي كما ينناه في مسألة المساواة وغيرها

ايتها النسوة المسلمات المتعلعات

دعن فتنة السياسة، واخلمن تقاليد الخلاعة، وطالبن أمتكن وحكومتهن بعد مطالبة أنفسكن بتربية البنات والبنين على هداية هذا الدين المبين، والاصلاح الحمدي العظيم - طالبن الحكومة والامة بإلزام طلبة المدارس من الذكور والإناث أداء الصلاة والصيام، والتوسع في دروس الدين الاسلامي وآدابه وتاريخه ووجه تفضيله على جميع الشرائع والاديان، على الطريقة التي تربينا في هذه الرسالة

طالبن الحكومة بابطال البغاء والجهرى والسري، وتحريم معاقرة الخمر ومنع تهتك النساء واختلاطهن بالرجال في المراقص والملاهي والسباحة معهم في الحمامات البحرية عدن الى ما كان عليه خير جدا تكن في صدر الاسلام من حضور صلاة الجماعة في المساجد، وسماع ما يلقى فيها من الخطب والمواعظ، وتلقي علم القرآن والسنة، ومساعدة الرجال في الاصلاح الحق الذي ينهض بالامة، ليظهر لسائر الامم ولاسما نساءها مامتاز به الاسلام من الاصلاح العام للانسانية، حتى يعلن أن نبيها محمدا ﷺ هو مصلح النساء الاعظم، وأنه لو لم يكن رسول الله وخاتم النبيين الذي جاء به كمال دين الله الذي شرعه على أسننه من سبقه من المرسلين لما جاء للانسانية بخير مما جاؤا به كلهم أجمعون، فكن بذلك شريكات لاختوكن تجددين لهداية الاسلام بوصلى الله وسلم على محمد وآله وعلى سائر النبيين، والحمد لله رب العالمين

عدد المسلمين في أنحاء العالم

٣٩٥ مليوناً و ٧٥٨ ألفاً

(بقلم الدكتور زكي علي القيم في بلدة ماذن - النجف)

لا يلبث الباحث في احصائيات المسلمين في أنحاء العالم أن يبين اختلافاً كثيراً وخطأً كبيراً فيما دونه الكتاب والجغرافيون الذين عونا بوضع احصاء شامل لعدد المسلمين على وجه الارض وجل هؤلاء الكتاب من الغربيين ، وقد وجدنا أثناء قيامنا بمثل هذا البحث تضارباً عظيماً في الآراء وخطأً شديداً في كثير من الارقام التي ذكرها البدونون حتى في السنوات الاخيرة أمثال المسيو ماسينون السطشوق الافرنسي والدكتور زويمر وغيرهما ، فمعظم تلك الارقام دون الحقيقة بكثير وان كنا نقرر من باب الانصاف أن معلوماتنا عن عدد المسلمين في كثير من البقاع التي لا يعرف عنها سوى النذر اليسير مثل أواسط افريقيا ومجاهلها قد وصلتنا عن طرق المبشرين المسيحيين الكاثوليك أو البروتستانت الذين توغّلوا في تلك البقاع بقصد الدعاية للمسيحية فالتقوا بالمسلمين هناك ثم أذاعوا تعدادهم ومن أمثلة هذا الخطأ أن بعض المؤلفين لا يزال يذكرون أن عدد المسلمين في مصر تسعة ملايين مع أنه في الواقع أكثر من ثلاثة عشر مليوناً وأن عدد مسلمي اندونيسيا ٢٥ مليوناً مع أن الاحصاء الهولندي الرسمي لها كان ٤٥ مليوناً عام ١٩٢٠ ثم أصبح ٦٤ مليوناً في الاحصاء الاخير لعام ١٩٣٠ وبكفي للدلالة على ازدياد السكان بها أنه يوجد ٣١٤ شخصاً لكل كيلو متر مربع . ثم عدد المسلمين في شبه جزيرة العرب التي تشمل الحجاز ونجد والسير واليمن وعمان وحضرموت وما جاورها والكويت وجزائر البحرين ويقدره بعض الكتاب بثمانية ملايين وهو في الحقيقة يربو على اثني عشر مليوناً (١) كذلك الخطأ الفاحش (١) التحقق أن اهل جزيرة العرب لا يقلون عن ثلاثين مليوناً . وقد اجتمعت أنا والامير شكيب ارسلان بدار المرحوم انور باشا في برلين بالفرقة التركية عثمان باشا فابناء يقدر اهل اليمن وحدهم بعشرين مليوناً وهو طائف اليمن بعد صلح الدولة مع الامام يحيى .

في تقدير عدد المسلمين في افريقيا فيينا يذكر مصدر فرنسي أن عددهم ٤٥ مليوناً
يذكر مصدر ألماني قديم أنه ٧٥ مليوناً غير أن الحقيقة أن المسلمين في القارة
الافريقية يزيد عددهم عن ٨٥ مليوناً كما سنرى فيما بعد ممتدين على الاحصاءات
الرسمية الحديثة وأقوال المكتشفين وعلماء الجغرافيا من الاوروبيين أنفسهم :

ثم ان ما يقال عن افريقية يصح أن يقال أيضاً عن تعداد المسلمين في الصين
ذهن المصنف أن يرتكب بعض الكتاب غلطة شنيعة فيذكر عددهم بها عشرين
مليوناً في حين أن بعض المنصفين ممن كتبوا حديثاً يذكر أنهم ستون مليوناً أو يزيدون.
ويضيق بنا المقام عند ما نسترسل في سرد الامثلة للاستدلال بها على خطأ
كثير انما نذكر من بين أسباب هذا الخطأ اعتماد بعض الكتاب في احصائياتهم
على مصادر كتبت منذ عشرات السنين مع أن عدد السكان في ازدياد مطرد ثم
العوامل التي حدث بهم إلى وضع ذلك التعداد وأكبرها عوامل دينية للمقارنة
بين الاسلام والمسيحية لاغراض تبشيرية قبالوا عن ذكر الحق وذكر أرقامها
هي أقل بكثير من الحقيقة وانتهوا إلى أن عدد المسلمين في العالم يتراوح بين
٢٠٠ و ٥٢٠ مليوناً فقط ، فلذلك لم نجد بدا من التحرير الدقيق للتعداد الحقيقي
ويجدر بنا في هذا المقام التنويه بمقال مسهب كتبه الاميرشكيب ارسلان في مجلته
الفرنسية (لانسون آراب) محص فيه الحق في هذا الصدد كما صحح كثيراً من
الاعلاط التي وردت في احصائيات الاوروبيين بالدليل القاطع

وسنذكر فيما يلي تفصيل عدد المسلمين في مشارق الارض ومقاربا مستندين
إلى أحدث الاحصائيات المضبوطة في الممالك التي يوجد فيها تعداد رسمي ، أما البلاد
الاسلامية التي تعترف إلى احصاءات رسمية ، أو البلاد العربية التي يوجد فيها
أقليات اسلامية فقد اعتمدنا على المعلومات الصحيحة التي استقينها من الهيئات
والجمعيات الاسلامية ذوات النفوذ فيها والتي تعتبر أوثق المصادر ، وهذا
هو ذا البيان :

ساحل العاج . مائتان وخمسون ألفا	(أفريقيا)
ساحل الذهب . تسعون ألفا	مصر والسودان - ١٨ مليوناً وخمسة
نيجيريا البريطانية . تسعة ملايين	الف نفس
وخمسة مائة ألف	طرابلس - ٨٨٥ ألف
داهومي . مائة ألف	تونس - مليونان
غينا الفرنسية . مليونان ومائة ألف	الجزائر - خمسة ملايين
فوتاجالون . خمسمائة وخمسون ألف	مراكش - ثمانية ملايين
السنغال . مليون نفس	الصحراء الكبرى - ثلاثة ملايين
السودان الفرنسي . ثمانمائة ألف	الحبشة - أربعة ملايين
غينا البرتغالية . سبعون ألفاً	الصومال وارتريا - مليونان وخمسة
غينيا البريطانية مائة وخمسون ألفاً	الف نفس
سيراليون . ثمانمائة ألف	زنجبار - ثلثمائة ألف
مجموع هؤلاء ٨٦٠ مليوناً ومائة وعشرة	كينيا وأوغندا وتنجانيقا - ثلاثة
آلاف من النفوس	ملايين وخمسة مائة ألف
آسيا	موزمبيق - ثلثمائة وخمسون ألف نفساً
شبه جزيرة العرب - ١٢ مليوناً	مدغشقر - سبعمائة ألف
سوريا ولبنان - ثلاثة ملايين	جزر الاتحاد وسيشل وموريس -
فلسطين وشرق الاردن - مليون	٦٥ ألف نفس
العراق - ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف	جنوب أفريقيا - اربعمائة ألف نفس
تركيا (آسيا وأوروبا) ١٤ مليوناً	الكنغو البلجيكية - ثلثمائة ألف
ايران - عشرة ملايين	الكامرون وتشاد - مليوناً وخمسة
أفغانستان - تسعة ملايين	الف نفس
الهند - ٨٧ مليوناً	سوكوتو - ١٥ مليوناً
الصين - ٧٥ مليوناً	ليبريا - مليون ومائتا ألف
روسيا آسيا - ٢٥ مليوناً	النيجر - مليونان وخمسة مائة ألف

أمريكا وأستراليا والفلبين	سيام - خمسمائة ألف
الولايات المتحدة - ١٢ ألفا	أندونيسيا والملايو - ٦٦ مليوناً
المكسيك - ألف نفس	ومجموع هؤلاء ٣٠٦ ملايين نفس
البرازيل - ٢٥ ألفا	أوروبا
الأرجنتين - ثمانية آلاف	روسيا وأوروبا - ستة ملايين
غيانا البريطانية - عشرون ألفاً	يوغوسلافيا - مليوناً
غيانا الهولندية - ٤٠ ألفاً	ألبانيا - تسعمائة ألف
غيانا الفرنسية - عشرون ألفاً	بلغاريا - ستمائة وتسعون ألفاً
ترينيداد - ١٨ ألفاً	رومانيا - ثلثمائة ألف
جيكو - ستة آلاف	فرنسا - مئتا ألف نفس
كوبا - أربعون ألفاً	اليونان - مئة وثمانون ألفاً
جزر الفلبين وأستراليا وجزر	إنجلترا - ثلاثون ألفاً
الأوقيانوس مليوناً	بولندا ولتوانيا - عشرون ألفاً
(الخلاصة)	أسبانيا - عشرون ألفاً
أفريقيا ٨٦ مليوناً و ١١٠ آلاف	المجر - خمسة آلاف
آسيا - ٣٠٦ مليوناً	البلجيكا - خمسة آلاف
أوروبا - ١٠ ملايين و ٤٥٨ ألفاً	إيطاليا - أربعة آلاف
أمريكا - ١٩٠ ألفاً	ألمانيا والنمسا - ألفان
أستراليا والفلبين - مليونان	قبرص - ٦٢ ألفاً
المجموع الحقيقي لعدد المسلمين في	رومانيا - ١٢ ألفاً
العالم كله ٤٠٤ مليوناً و ٧٥٨ ألفاً	كريت - ٢٨ ألفاً
	مجموع هؤلاء عشرة ملايين وأربعمائة
	وخمسمائة وخمسون ألف نفساً

النار : الاقرب الى الصواب انهم ٤٢٠ مليون أو يزيدون

وفيات الاعيان

(الشيخ محمد توفيق البكري الصديقي)

في شهر ربيع الآخر لاثنتي عشرة ليلة منه توفي عين الاعيان ، ونادرة الزمان ،
إلـمـنّ الفن ، ومُزن الأدب المرجح ، الذي كان له في كل جومتنفس ، ومن كل نار .
مقتبس ، عـيد أرفع بيوتات المجد الدينـي الدنيوي في مصر عاداً ، وأرسخا في الحسب
والنسب اوتاداً ، صاحب المباحـة الشيخ محمد توفيق البكري الصديقي ، بـمـدـرـض
عـصـبي طال عليه الامد ، وحجبه بضع عشرة سنة عن مخادع رجال السياسة وعما قل العلم
والادب ، قضى معظمها في مستشفى بيروت المعروف بالصغورية ، وعاد منذ
بضع سنين إلى القاهرة ، فاقطع في مكتبته للطلالة والكتابة ، زاهدآ في المزاورة
والمخاضرة والمناظرة ، على أنه وهو لم يُبلّ من مرضه كل الابلال ، ظل حاضر
الذهن ، قوي الذاكرة ، صائب الرأي ، صحيح الحكم ، فيما يخوض فيه من مسائل الادب
والعلم ، واتما كن يعثر فكره وأقن رأيه في أمر واحد سياسي هو الذي كان سبب
مرضه ذاك ، فقاتل الله السياسة وفتنها ، فهي التي أضاعت عليه وعلى الامة
الانتفاع باستعداد النادر في مركزه الرفيع

لقد اوتي محمد توفيق من ذكاء القواد ولوذمية الذهن ما يخبو دونه تلذع ذكاء
وتلظيها ، ومن السبق إلى المالي ما تكبو في غاياته جياذ المهم سابقها ومصلها ،
فكان كما قال الشاعر :

وقاد ذهن إذا جالت قريحته يكاد يخشى عليه من تلبيه

أخذ حظا من التعليم المصري واللغة الفرنسية ، في مدرسة الانجال الخديوية ،
وأصاب ذروآ من الفنون العربية والشرعية من علم الازهر ، وقبس جذوة من الحكمة
بصحبة الاستاذ الامام وحضور دروسه الخاصة في جامع عابدين ، وتلقى غريب اللغة
وأدائها عن إمامها في هذا العصر العلامة الشيخ محمد محمود الشنيطي الكبير ،
فحكى من إملائه اراجيز العرب وشرح غريبها ، وفظم الشعر ، وأقن النثر ،
وصنف الكتب ، وكانت داره (مراي الخرنفش) مثابة للوجهاء والكبراء ، وناذيا
للعلماء والادباء ، ونزلا لاقامة المآدب للفضلاء والغرباء

وكان خطيباً عند أمير البلاد عباس حلمي باشا، ووجيهاً عند لورد كرومر عند الاحتلال البريطاني المسيطر على الحكومة المصرية حتى أنه كان يزوره بداره، وولاه الحديوي نقابة الاشراف ورياسة مشيخة الطرق الصوفية، وسافر إلى الاستانة فنال من عطف السلطان عبد الحميد أن وجه اليه رتبة قاضي عسكر الاناضول العلمية العالية، وبمضى الاوسمة السامية فاذا عسى أن يطلب من المجد الطريف على مجده التليد فوق هذا؟

يد ان هذا كان حلاً ثقيلاً بل أوزاراً ثقلاً على شاب نحيف الجسم، عصبي المزاج، مترف المعيشة، حريص على بلوغ الغاية من حفظ الحياة المادية والمعنوية، وانما جنت عليه السياسة فأفكته عن كل ما كان يرجى منه من خدمة لأدب اللغة التي كان يميل اليها بطبعه، واصلاح لطرق الصوفية التي كان متمسكاً منها بمنصبه، وقد اجتهدت في ترغيبه فيها منذ عرفته غلب استقراوي في مصر سنة ١٣١٥ وسأله بهذا فيما أكتبه من ملخص ترجمته

وانما أقول هنا في خبر وفاته وتشيعه إن مصر قد قصرت تقصيراً منتقداً في تشيعه فكان كتشيع رجل من الطبقة الثانية أو الثالثة من الوجهاء: قصرت الحكومة فيه فلم يحضره وزراؤها، وكان في منصب وزير أو أكبر، وانما حضره سعادة محافظ القاهرة، وقصر علماء الازهر فلم يشيعه أسنادهم الأكبر رئيس المعاهد ولا مفتي الديار المصرية ولا هيئة كبار العلماء الرسمية ورؤساء النكليات، وانما شيعه منهم بعض أصدقاء يتهم الاوفياء كالاستاذ العلامة الشيخ حسين والي، وقد كان يحمل من الرتب العلمية وكسب التشريف الرسمية ما لم يصل اليه أحد منهم، إذ كانت رتبته العلمية السلطانية (قاضي عسكر اناضول) تلي رتبة شيخ الاسلام وطبقته وهي رتبة قاضي عسكر رومالي، وقصر في تأيينه الخطباء، وفي رثائه الشراء، وهو في مكاتبه من حملة الاقلام ومجيدي النظم والنثر، ولكن دولة القلم دخلت في هذه السنين الذي احتجب فيها عنهم في طور جديد صار فيه مثله على كونه من الطراز الاول مرغوباً عنه، كما سألته بعد، وأبين أنه ليس بمنزلة في تقصير طبقات مصر العليا في الحفاوة بتشيعه وتأيينه، ومن لا يقدم له يحفظ، فليس له جديد يفتخر به فرحم الله الشيخ محمد توفيق البكري وأحسن عزاء خليفته وابن أخيه صاحبه الفضيلة الشيخ عبد الحميد البكري وآل البكري وبقية بيوتات المجد عنه .

أحمد شوقي بك أمير الشعراء

في صبيحة ١٤ جمادى الآخرة قضى نحبه أحمد شوقي بك الذي كان يلقب
شاعر الأمير فأمير الشعراء ، ولعل صديقه الأمير شبيب أرسلان الملقب بأمير
البيان هو أول من أطلق على شوقي هذا اللقب بقوله في آخر قصيدة له أقيمت في
الحفلة التي أقامها أدباء السورين ووجههاؤهم بمصر لمحمد حافظ إبراهيم مخاطب حافظاً
فأنت أمير النثر غير منازع وأنت أمير الشعر من بعد أحمد

مات محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل الاجتماعي وورثاه في حفلة الأربعين أحمد
شوقي بك فذكر في رثائه أنه كان يتوقع أن يكون مرثيته لا رائيته ، ولم يلبث أن مات
نجاحاً بعد ذلك بقليل ، فقبل أن ترقأ موع عالم الأدب العربي التي كانت ترقق حزنه عليه ،
وقبل أن يقضي شعراؤه لبائتهم من رثائه ، فقام قد شوقي ، فكان للصاب بالبدء في
سيادة الشعر ثانياً للصاب بالثنيان^(١) في الزمن ، ولكنه صار الأول في شدة الحزن ،
والقدم في لوعة الشجن ، فأكبر الأدباء به الخطب ، وتضاعف الأسف في الشرق
والغرب ، فان شهرة شوقي أكبر ، وعشاق شعره أكثر ، ذلك بأنه طرق جميع أبواب
الشعر القديمة والحديثة فتحت له أغلقها ، وكن له السلطان الأعلى على أرواح
عشاقها ، بما أجاد في كل فن من فتنها ، إلا الهجاء والمجون فقد نزه شعره ولسانه عنهما
فبقيا نوحس خيفة على دولة الشعراء ، وندعو لكبارهم في مصر بطول البقاء ، وأن
لا يكون هذا موسم الرحيل لشيوخ الأدباء ، فقد تناثر من سلكهم ثلاثة متقاربون في العمر ،
حافظ فالبكري فشوقي ، وسبقهم في هذه السنة الشيخ عبد المطلب شاعر البداوة
في الحضارة رحمهم الله تعالى ، وسنعود الى الكلام عن شعره في جزء آخر

كان حافظ يظن بل يقول منذ ثلث قرن ان مكاة شوقي من أمير البلاد كانت ترفع
شعره إلى أعلى مما يستحقه ولكن شعر شوقي علا بعد دولة ذلك الأمير بنفسه ، فوق
ماعلا به في عهده ، حتى علم ان قربه من الأمير كان سبباً نوقته في استمداده

(١) البدء يطلق على الأول في السيادة والثنيان على من يليه . قال الشاعر :

ثنيانا إن اتاهم كان بدأهمو وبدؤهم إن اتانا كان ثنيانا

حالت دون الوثبة التي وثبها بعد إخراج الحرب العالمية إياه من قصص قصر عابدين ، حتى ان حافظا بإيعه بإمارة الشعراء في الحفلة العامة التي أقيمت له في دار الأوبرة الملكية

وقول اليوم ان الزمان الذي كان يرتفع فيه قدر العالم والاديب والشاعر بانتمائه إلى أمير أو ملك قد مات ودفن ، ونحي أو بث الزمان الذي يرتفع فيه قدر الشاعر بشعره ، وقرب الزمن الذي تلو فيه درجة العالم بعلمه ، فان كان المتنبي خلد من ذكر سيف الدولة لم يخلده له حسامه وسلطانة ، وكان ابن دريد قد انتاش ابني ميكل من موت الذكر بعد موت الجسد ، فوق انتياشهما إياه من ضمة الناقة والخنول كما قال في مقصورته الخالدة من أبيات أذكر منها قوله

نفسى الفداء لا مسيري ومن تحت السماء لا مسيري الفدا
ها اللذان أثبتا لي أملا قد وقف الناس به على شفا
تلافيا العيش الذي رقه صرف الزمان فاستساغ وصفا
وقلدا في منة لو قرنت بشكر أهل الأرض غني ماوفي
بالشعر من معشارها وكان كالأحسوة في آذي بحر قد طما
فكذلك شوقي قد يحفظ من ذكر عباس حلمي ويخلد من صيته مالا تحفظه له
إمارته ولا ثروته اللتان تمتع شوقي في ظلها الوارف حقبة من الزمن ، إلا أن يعمل
الأمير للامة بهذه الثروة الواسعة ، وما أوتي معها من الذكاء والهمة ، عملا علميا
إصلاحيا كبيرا ، ورب مائة ألف جنيه ينفعها عباس في أثر باق تعجز أن يمدح بها
ويخلد ذكره بمثل قول شوقي له من قصيدة في ديوانه الاول

عباس انك للبلاد وانه لم يبق غيرك من يقول بلادي

ولكن لعماس فضلا على شوقي في شاعريته ، يربو ربا مضاعفا على فضله عليه في
أجابه وثروته ، إذ كان هو المون له على تلميذه وتربيته ، وتقنيف عقله وخياله كما شرحه
شوقي في مقدمة الشوقيات ، وسأقي على هذه الكلمة في تأنيته بكلمة أخرى أرجو
أن أجد فيها متردما يعادله الشعراء والمؤثرون الكثيرون له رحمه الله تعالى وعزى
أنجمله وسائر آله ، والشعراء من رعيته

يُؤْتِي الْحِكْمَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أَقْلًا لَدُنَّ

الْمَنَاجِي

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
الْقَوْلَ نُسُجًا مُتَعَدِّدًا
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَلِفُونَ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان لا سلام يصير « ونا » كذا الطبري

رمضان سنة ١٣٥١ برج الحدي سنة ١٣١١ هـ ش سلخ ديسمبر سنة ١٩٣٢

تفسير القرآن الحكيم

تفسير القرآن الحكيم في تفسير القرآن الحكيم في تفسير القرآن الحكيم

المقصد السابع من فقه القرآن

(الارشاد إلى الاصلاح المالي)

(تمهيد) يننا مقاصد القرآن أو أصول فقه في إصلاح البشر من طريق
التدين والایمان، والعمل والأذعان، ومن طريق العقل والبرهان والفكر والوجدان،
ومن طريق الحكم المادل والسلطان، وما يتعلق منه بالافراد، وما يتعلق منه بوحدة
الانسانية والاجناس، وبقي ما يتعلق بفقه في إصلاح القاسد الاجتماعیة الكبرى
الذي يتوقف كاله على ما تقدم كله وهي: — (١) طغيان التورود ولتها (٢) وعدوان
الحرب وقسوتها (٣) ظلم المرأة واستباحتها (٤) وظلم الضعفة والاسرى وصلب

«المجلد الثاني والثلاثون»

«٩١»

«النار: ج ١٠»

حريتهما، وهو الرق المطلق — ذلك بأن جميع حظوظ الدنيا منوطة بها، ولا يتم الاصلاح فيها إلا بتعاون الدين والعقل، والعلم والحكمة والحكم، وإننا نتكلم عليها بالاجمال مبتدئين بالمال، والآيات فيه تدور على سبعة أقطاب، فنقول:

(١) — القاعدة العامة في المال كونه فتنه واختباراً في الخير والشر

القاعدة الاساسية للقرآن في المال انه فتنه أي اختبار وامتحان للبشر في حياتهم الدنيوية من معاش ومصالح اذ هو الوسيلة إلى الاصلاح والافساد، والخير والشر، والبر والفجور، وهومثار التنازع والتنافس في كسبه وإنفاقه، وكنزه واحتكاره، وجعله دولة بين الاغنياء، وتداوله في المصالح والمنافع بين الناس.

قال الله عز وجل (٣: ١٨٦) لئن لم في أموالكم وأفسدكم) وقال حكاية عن نبيه سليمان عليه السلام حين رأى عرش ملكة سبأ مستقراً عنده (٢٧: ٤٠) هذا من فضل ربي ليؤتي أشكر أم أكفر) الآية. وقال (٣٤: ٣٧) وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لم جزاء الضعف بما عملوا) الآية وقال (٣٠: ٣٩) وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون [وقال (٣: ١٤) زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المنقطرة من الذهب والفضة] الآية وقال تعالى [٨: ٢٨) واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنه وأن الله عنده أجر عظيم [ومثلها في سورة التناين [٦٤: ١٥) ويلها الرغبة في الانفاق والنهي عن شح النفس. وقال تعالى [١٨: ٤٦) المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً [انظر هذا مع قوله تعالى في اول هذه السورة وهي الكهف [٧) إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملاً [والمراد من العمل ما يتعلق بما على الارض من العمران وأحسنه أنفعه للناس وأرضاه لله بشكره، ثم ماضيه من المثل بصاحبي الجنة، والمثل بالحياة الدنيا بذات الارض.

وقال تعالى في تعليق لقسمه الذي بين مستحقه [٥٩: ٧) كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم [والدولة بضم الال المال المتداول أي لئلا يكون المال محصوراً

في الاغنياء متداولاً بينهم وحدهم . وقال تعالى [٣٤:٩] والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بذاب أليم [والشاهد في الكنز وهو المنع من التداول الذي يكون به المال نافعا للناس والشواهد في فتنه المال في القرآن كثيرة تجمد الكلام عليها في مواضع من هذا التفسير ولا سيما الجزء العاشر منه^(١)

فن الآيات في ارتباط السعادة والفلاح بانفاق المال والشقاء بمنعه ما هو الترهيب وما هو الترغيب ، وجمع بين الترغيب والترهيب في قوله [١٩٥ ، ٢] وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة [الآية (٢) أي ان منع انفاق المال في سبيل الله من أسباب التهلكة . ثم قال في الترغيب (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وكذا قوله تعالى من سورة الليل [٩٢ ، ٩٣] فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ٨ فسنيسره لليسرى ٩ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ١٠ فسنيسره لليسرى ١١ وما ينفي عنه ماله إذا تردى [هذا تفصيل لقوله تعالى قبله (إن سعيكم لشتى) ومعناه بالاجمال والابحاز إن سعيكم في الكسب والانفاق مختلف مبدأ وصفة وغاية وثمره ، فأما من أعطى ما عليه من الحقوق الشخصية والقومية (و انتهى) سوء عاقبة منعها وضررها في الافراد وفي الامة (وصدق بالحسنى) وهي ما وعد الله من الجزاء على الاحسان بما هو أحسن منه من مضاعفة الثواب بمثل قوله (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) وهو شامل لجزاء الدنيا والآخرة — (فسنيسره) بمقتضى سنتنا في تأثير صفات النفس في الاعمال ، وتأثير الاعمال في الاحوال الخاصة والعامه (لليسرى) أي الخطة أو الطريقة الفضلى في اليسر والسهولة والمنفعة له وللناس فيجبه الناس ويحببه الله (وأما من بخل) بما عليه من هذه الحقوق (واستغنى) بماله عن حب الناس وحدهم ، وعن حب الله ومثوبته (وكذب بالحسنى) التي يبتناها آتفاً بهدم طلبها وتجرىها بالاعطاء والانفاق ، وإن اعترف بها باللسان (فسنيسره) بمقتضى سنتنا المينة آتفاً لليسرى من الخطئين ، وسوءى الطريقين ، فيكون سبباً لیسر البشر وعدواً لهم ولربهم ، ويكون له شر الجزاء منهم ومنه عز وجل في الدارين . ويؤكد ذلك شواهد القطب الثاني من آيات المال وهي :

(٢ - الآيات في ذم طغيان المال وغروره وصدده عن الحق والخير)

قال تعالى في سورة الفلق [كلا إن الانسان ليطغى أن وآء استغنى] أي حقاً ان الانسان ليتجاوز حدود الحق والعدل والفضيلة برؤية نفسه غنياً بالمال . وقد نزلت هذه وما بعدها في أبي جهل أشد أعداء النبي ﷺ والاسلام من أول ظهوره وهي أول ما نزل في ذلك . ومثلها سورة [تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب] الخ ومثلها سورة الهمة [الذي جمع ما لا وعدده * يحسب أن ماله أخذه] نزلت في الوليد وأميه بن خلف وكذا قوله تعالى [ذرني ومن خلقت وحيداً * وجمعت له مالا ممدوداً * وبين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطمع أن أزيد * كلا انه كان لا يأتنا عنيداً * سار هقه مصموداً] الخ الآيات . وقد نزلت في الوليد ابن المغيرة وكذا آيات سورة [ن] من قوله [ولا تطع كل حلاف مهين - إلى قوله - أن كان ذا مال وبنين * إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين] وكان هؤلاء أغنى زعماء قريش الذين عادوا النبي ﷺ واستكبروا عن اتباعه بفنائهم وقال تعالى فيهم (٣٦ : ٨) ان الذين كفروا يفتقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يلبنون) وفيهم وفي أمثالهم من متر في اقوام الانبياء نزل قوله تعالى [وقالوا نحن اكبر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعزيين] ومعنى الآيات عام في جميع الاقوام والاديان

ومن الآيات العامة في غريزة البشر قوله تعالى (١٢٨ : ٤) واحضرت الانفس الشح) وقوله من سورة المارج (ان الانسان خلق هلوفاً * اذا مسه الشر جزوعاً * واذا مسه الخير منوعاً) الخير للمال الكثير وأكثر الاغنياء مناعون للمال الا من استثنى الله بعد هذه الآيات

بمثل هذه الآيات ينذر الزهاد الناس عن المال والدنيا فيباليقون ، وإنما اللبوم الفرور والطغيان والبطر والاستكبار عن الحق افتتاناً بالمال ، ولذلك قرنه في بعض الآيات بالاولاد ، وكذا البخل به والشح وأكل أموال الناس بالباطل كالربا والرشوة والسحت ، وشواهد في آيات القطب الثالث وهي :

(٣ - ذم البخل بالمال والكبرياء به والرياء في انفاقه)

قال تعالى (٣: ١٨٠) ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة (وقال في سياق الترغيب في الانفاق في سبيل الله من طيات الكسب والاخلاص فيه والنهي عن الرياء والمن والاذى فيه (٢ : ٢٦٠) الشيطان يصدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية . فسروا الفحشاء بالبخل أي الشيطان يصدكم عن الانفاق في سبيل الله بتخويفكم من الفقر . ويأمركم بالبخل الذي فحش شره وضرره . وقال بعد الامر بالاحسان بالوالدين وبني القربي واليتامى والمساكين والجيران (٤ : ٣٥) والله لا يحب كل مختال فخور ٣٦٠ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل (وقال فيمن عاهد الله لئن آتاه من فضله مالا وخيراً ليعصدقن منه (٩ : ٧٧) فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ٧٨ فأعقبهم نفاق في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعده ، وبما كانوا يكذبون) وقال [٤٧ ، ٣٨ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنسكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأنتم الفقراء ، وإن تولوا يبدل قوم غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم] أي وإن تولوا عن الانفاق في سبيل الله يهلككم بزوال دولتكم ويستبدل بكم قوما آخرين ينفقون أموالهم في المصلحة العامة من الدفاع عن الملة ، وإقامة الحق والعدل في الامة . وقال تعالى (٤ ، ١٩) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم (وقال (٢١٨٨) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) وقال في اليهود (٤ ، ١٦١) وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل (وقال (٩ ، ٣٤) يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الإبحار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب اليم ٣٥ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنتم لانفسكم فنوقوا ما كنتم تكنزون)

(٤- مدح المال والغنى بكونه من نعم الله وجزائه على الإيمان والعمل الصالح)

قال تعالى في سورة نوح عليه السلام حكاية عنه [قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا] وفي معناه ما حكاه عن هود عليه السلام في سوره [٥٢: ١١] بل قال تعالى في بيان نعمته على آدم وحواء وذرئها بهداية الدين في آخر قصته من سورة طه [١٢٢: ٢٠] قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ، فاما يا تبينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ١٢٣ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً [الآيات . فجزاء اتباع هداية الدين الحفظ من شقاء الدنيا والفوز بنعمة المعيشة الراضية فيها ، وجزاء من أعرض عنها الشقاء ومعيشة الضنك فيها . وفي معناه قوله تعالى من سورة الجن [١٣: ٧٢] وانا لاسمعن من الهدى أمناً به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً [أي لا يهضم حقه ، ولا يظلم بذل برفقه ، لان عزة الايمان تمنحه وتحفظه ، وهذا يشمل الدنيا والآخرة ، ثم قال في أسر الدنيا منها [١٦] وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ١٧ لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً] أي شديد المشقة

ومن الشواهد على هذه الحقيقة التي غفل عنها المفكرون وغيرهم قوله تعالى عطفاً على الامر بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام (٩: ٢٨) وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء) أي وإن خفتم فقراً يعرض لكم بجرمان مكة مما كان ينقذه فيها المشركون في موسم الحج وغيره فسوف يغنيكم الله تعالى بالاسلام وفتوحه وغنائمه (١) وكذا قوله للذين أعطوا الفداء من أسرى بدر [١٠٠: ٨] إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم [وكذلك كان ، فقد أغنى الله العرب الفقراء بالاسلام ، فجعلهم أغنى الامم والاقوام ^(٢)

وقد آمن الله تعالى على نبيه الاعظم بقوله (ووجدك عائلاً فأغنى) وآمن

على قومه بتوفيقهم للتجارة الواسعة برحلة الشتاء والصيف في سورة خاصة بذلك ،
وسمى للمال الكثير خيراً بقوله في صفات الانسان (وانه لحب الخير لشديد) وقال
(٢ : ١٨٠) ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقرين (الاية

وإنما كان المؤمنون لله الشاكرون لنعمه أحق بنعم الدنيا من الكافرين
لنعمه والفاسقين الظالمين ، لانهم أحق وأجدر بالشكر عليها ، والشكر استعمال
النعمة في الحكمة التي منحت لاجلها من الحق والعدل والاحسان والبر والامران
وهو الذي يرضي الله تعالى فيها ، ومن سنه تعالى فيها ان الشكر لها بهذا المعنى
سبب للمزيد منها ، وان الكفر لها بسوء استعمالها سبب لسلبها أو سلب فوائدها
كما قال تعالى [١٤ ، ٧] وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن
عذابي لشديد) وقوله [٨ ، ٥٣] ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمته أنعمها على قوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم [

فالمؤمنون والكافرون يشتركون في أسباب سعة الرزق وكسب المال من
زراعة وصناعة وتجارة ، لان هذه الاسباب دينوية لا تختلف باختلاف الاديان كما
قال تعالى [١٧ ، ٢٠] كلا نمدده ولا وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً [
أي ما كان ممنوعاً عن يريده لذات العاجلة ، ولا عن يريده سعادة الآخرة . وإنما
يفضل بعضهم بعضاً في استعمال المال ، فاستعماله في الفسق والشر والظلم والسرف
واختلاء كفر للنعمة وسبب لمحقها نفسها أو محق بركتها ، وكثرة الضرر والفساد
المرتب عليها . فمن الشاهد أن أكثر الأغنياء السرفين الفاسقين يفتقرون أو يصابون
بالأدواء المنفصة ، وأما الامم المترفة للسرفة الظالمة فتضئف وقد تنفد استغلالها .
واستعماله في البر والخير سبب للمزيد فيها . وقد حققنا هذا الموضوع في مواضع
أخرى . ومنه قوله تعالى في الزينة والطيبات من الرزق [٧ : ٣٢] قل هي للذين
آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة [أي هي لهم في الدنيا بالاستحقاق ، ويشار لهم
فيها غيرهم بمقتضى الاسباب ، ولكنها تكون في الآخرة خالصة لهم] لانهم
يتوسلون بالشكر لله عليها الى سعادة الآخرة الكاملة الدائمة ، ولولا ذلك لجلل

زينة الدنيا خاصة بالكافرين كما قال (٤ : ٣٣) ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم مقفلة من فضة ومما رج عليها يظهر (ن) الآيات

(٥ — ما أوجب الله من حفظ المال من الضياع والاقتصاد فيه)

قال تعالى (٤ : ٥) ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، الشيء وقوامه (بالكسر والفتح) ما يستقيم به ويحفظ ويثبت ، أي جعلها قوام ما يشكم ومصلحكم ، والسفهاء هم المسرفون المبذرون لها لصغر سنهم دون الرشد أو لفساد أخلاقهم وضعف عقولهم (وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٦)) وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفوا اليهم أموالهم (الآية . فأمر باختبارهم وألا تدفع اليهم أموالهم إلا بعد ظهور الرشد في أعمالهم وهو الصلاح والاستقامة في معاملتهم لئلا يضيعوا الأموال فيما يضر أو لا ينفع

وقال تعالى في صفات المؤمنين (٢٥ : ٦٧) والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (الاسراف التبذير والافراط ، والقتل والقتور والافتار الاقلال والتضييق في النفقة ، يقال قتر على عياله ، ومثله قدر بالدال مكن . التاء ومنه) الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له (

وقال تعالى (٦٥ : ٧) لينفق ذو سعة من سمته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) وهذا في النفقة على المرأة المطلقة في المدة . وقال في النفقات العامة (٢ : ٢) وما رزقناهم ينفقون) ومن للتبليس فكل من الغني ذي السعة والفقير ذي السرة مأمور بان ينفق مما آتاه الله لا كل ما آتاه الله ، وهذا أعظم أصول الاقتصاد ، فمن أنفق بعض ما يكتسب قلما يفقر . وتقدم في الكلام على الحكمة من وصايا سورة الاسراء من هذا البحث ذكر آيات النهي عن التبذير والمبالغة في بسط اليد والمبالغة في قبضها وما لكل منهما من سوء الباقية

(٦ — إتفاق المال في سبيل الله آية الايمان)

(والوسيلة لحياة الامة وعزة الدولة وسعادة الانسان)

هذا هو القطب الاعظم من أقطاب الآيات المنزلّة في المال وأكثرها فية، وما ذكر قبله وسائله، وما بعده بيان للعمل به، وأظهر الشواهد فيه ان الله تعالى جعله هو الفصل بين الاسلام الصحيح المقتن بالاذعان، المبني على اساس الايمان، وأن.

دعوى الايمان بدون شهادته باطلة، وإن كانت دعوى الاسلام تقبل مطلقا لأن احكامه العملية تبنى على الظواهر، والله تعالى هو الذي يحاسب على السرار، وعليها مدار الجزاء في اليوم الآخر، فلا سلام عمل قد يكون صوريا غير صادر عن إخلاص وإذعان، والايمان يقين قلبي يستلزم اعمال الاسلام، ولكن الاسلام الصوري الصادر عن استحسان لا عن نفاق يكون اقرب الوسائل إلى يقين الايمان. والاصل في هذه المسألة قول الله عز وجل (١٤: ٤٩) قالت الأعراب (١) آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئا، إن الله غفور رحيم ١٥ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله لم يربوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون). فقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في تحقيق صحة الايمان وصدق مدعيه

ويلى هذا الشاهد آية البر الناطقة بان بذل المال على حبه بالاختيار، أول آيات الايمان، ويليها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة التي يجيها إمام المسلمين وسلطانهم بالانزام، ويليها سائر أمهات الفضائل ومعالي الاخلاق، وهي قوله تعالى (١٧٧: ٢) ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى للال على حبه ذوي القربى، واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة

(١) الأعراب اسم لسكان البوادي دون سكان المدن والقرى والآيات ترتب في قبيلة بني أسد أسلموا في قحط ومجاعة ليمصدق عليهم المهاجرون ثم حسن إسلامهم

والموفون بمهدم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (وفي قوله تعالى (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) قولان أحدهما أعطى المال وبذله على حبه إياه كقوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) والثاني أن الضمير في حبه لله تعالى كقوله (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) أي يحب الله تعالى . ويجد بيان الذروة العليا من تفضيل حب الله ورسوله على المال وغيره من متاع الدنيا في قوله تعالى (٢٤:٩ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترنتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

ومن الآيات في تفضيل المؤمنين المتقين على غيرهم وتفاوتهم في ذلك قوله تعالى (٤ : ٩٥ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى) اقرأ تنمة الآية وما بعدها . وقال تعالى (١٠:٥٧ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض، لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقأنوا ، وكلاً وعد الله الحسنى)

والآيات في هذا الموضوع كثيرة ، وبراجع تفصيلها في تفسير الجزء الثاني والجزء العاشر وهذا الجزء [١١] من التفسير

ومن الآيات البليغة في الترغيب فيه ومضاعفة ثوابه ، وبيان آدابه ، عشرون آية من أواخر سورة البقرة هي من أواخر ما زل من القرآن يتخللها الوعيد الشديد على أكل الربا فراجعها من آية ٢٦١-٢٨١ مع تفسيرها من جزء التفسير الثالث ثمراجع في فهرس الجزء العاشر كلمة (المال: الجهاد به اقوى آيات الايمان وقوام الدين والدولة) يرشدك الى عشر صفحات متفرقة فصلنا فيها هذه المسألة ومن البلاء الممين ان نرى الشعوب الاسلامية في هذه القرون الاخيرة قد حصرت عن جميع الشعوب في بذل المال للجهاد في سبيل الله الذي يحفظ استقلالهم

ويعتز به ملكهم، وتعلو به كلمة الله تعالى فيهم ثم في غيرهم ، وفي طرق البر التي ترتقي بها أمتهم ، وتكون حجة على سائر الأمم في تفضيل دينهم على سائر الأديان ، وحاجة الأمم إليه لا تقاها الحضارة من جشع عباد المال واستغلالهم للملايين من البشر به .

٧ الحقوق المفروضة والندوبة في المال والاصلاح المالي في الاسلام

قد عقدت لتفسير قوله تعالى (٩ : ١٠٣) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها (فصلا في فوائد الزكاة المفروضة والصدقات والاصلاح المالي للبشر وامتناز الاسلام بذلك على جميع الأديان) ينبت فيه مكانة المال من حياة الناس ، وماله من التأثير في الثورات والحروب والسياسة والعمران ، وغلو بعض الجماعات في جمعه وادخاره وأنظمته واستغلاله ، واستعباد الألوف وألوف الألوف من البشر به ، ويدعون في عرف هذا العصر بالرأسماليين ، وقيام جماعات أخرى بالدعوة إلى إبطال النظام الدولي العام في البشر ووضع نظام آخر لا يشرى جميع الناس فيه ويلقبون بالبلشفيين ، وما بين هذين الفريقين من الجماعات من التعادي والخصام ثم ينبت أن هذه الفتن وما تنذر العالم به من الحراب والدمار لا علاج لها إلا باتباع هداية الاسلام في الاصلاح المالي ، ونخلصت أصول هذا الاصلاح في أربعة عشر أصلا هي (١) اقرار الملكية الشخصية ونحرّم أكل أموال الناس بالباطل (٢) تحريم الربا والقمار (٣) منع جعل المال دولة بين الاغنياء (٤) الحجر على السفهاء في أموالهم حتى لا يضيعوها فيما يضرهم ويضر أمتهم (٥) فرض الزكاة في أول الاسلام وجعلها اشتراكية باعثها الوجدان لا إكراه الحكام ، وانما تكون كذلك حيث لا حكومة ولا دولة للاسلام (٦) نسخها بعد وجود الدولة والحكومة بالزكاة المحدودة بربع العشر في التقدين والتجارة في كل عام مادام النصاب تاما ، وبالعشر أو نصف العشر في غلات الزراعة التي عليها مدار الاقوات أو مطلقا ، وزكاة الانعام المعروفة ، وفاتني هنالك ذكر الخمس في الركا وهو ما ينبت من المال المكنوز القديم والمدن (٧) فرض نفقة الزوجية والقرابة (٨) إيجاب كفاية المضطر من كل

جنس ودين وضيافة الغرباء (٩) بذل المال في كفارات بعض الذنوب (١٠) ندب صدقات التطوع المحتاجين (١١) ذم الاسراف والتبذير والبخل والتقتير (١٢) إباحة الزينة والطيبات من الرزق بشرطهما (١٣) مدح القصد والاعتدال (١٤) تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر اه باختصار (ص ٢٧-٣١ ج ١١ تفسير)

وكنت قد شرحت قبله مصارف الزكاة في تفسير آيتها (٦٠:٨) انما الصدقات للفقراء والمساكين (الح وهو في صفحة ٤٨٩ - ٥١٥ من الجزء العاشر .

ثم عقدت فصلا آخر في خلاصة السورة (وهي سورة التوبة) للشئلة على هذه الآيات في أحكام الاموال في الاسلام يدخل في ثلاثة أقسام (١) المسائل الدينية والاجتماعية في الاموال (٢) أنواع الاموال ومصارفها (٣) فوائد إصلاح الاسلام المالي للبشر (ص ١١٩ ج ١١) فالرجوع إلى هذه البباح في هذا الجزء من التفسير يقتنينا عن إعادتها هنا

وخلاصة القول في هذه القواعد العلمية في إصلاح ثروة البشر وجعلها خيراً طاماً كما سماها الله تعالى في كتابه ، واتقاء شرور التنازع عليها بالوازع الديني والتشريع الدولي ، أنها هي التي يصلح بها أمر البشر على اختلاف أحوالهم واستعدادهم ، فيكونون سعداء في دنياهم وفي دينهم ، ولن نجد مثلها في دين من الأديان ولا شيء من كتب القوانين والحكمة البشرية ، وان البشر على خطر عظيم مما سقطوا فيه من التماذى على المال حتى أعينهم الحيل ، وسبيل النجاة ممهدة معبدة أمامهم وهم لا يبيصرونها وهي الاسلام وهداية القرآن (٢: ٢٥١) ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين (

وموضوع بحثنا في هذا الاستطراد وهو دلائل الوحي الحمدي انه لا يعقل ان يكون محمد النبي الامي الذي عرفنا خلاصة تاريخه قد اهتدى بوحى من نفسه لنفسه إلى هذه الحقائق التي فاقت وعلت جميع الكتب الالهية والبشرية في أرق عصور العلم والحكمة والقوانين ؟ وانما المقول عندهم من يؤمن بان العالم را حكيما رجيا مديرا ان يكون هذا بوحى منه عز وجل أقاضه على خاتم النبيين عند استمداد البشر له لا يحتاجون بعده إلى وحي آخر

المقصود الثامن من فقه القرآن

﴿ إصلاح نظام الحرب ودفع مفسدها وقصرها على مافيه الخير للبشر ﴾

التنازع بين الاحياء في مرافق المعيشة ووسائل المال والجاه غريزة من غرائز الحياة ، وإفضاء التنازع الى التعادي والقتال بين الجماعات والاقوام ، سنة من سنن الاجتماع ، أو ضرورة من ضروراته ، قد تكون وسيلة من وسائل العمران ، فإن كان التنازع بين الحق والباطل كان الفلج للحق ، وإن كان بين العلم والجهل كان الظفر للعلم ، وإن كان بين النظام والاختلال كان النصر للنظام ، وإن كان بين الصلاح والفساد كان الغلب للصلاح ، كما قال تعالى في الحق والباطل (٢١ : ١٨) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (وقال في بيان نتيجة المثل الذي ضرب به لما (١٣ : ١٧) فأما اليزيد فيذهب جفاء ^(١) وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

وأما التنازع والتعادي والقتال على الشهوات الباطلة ، والسلطة البطالة ، واستعباد القوي للضعيف ، والاستكبار والعلو في الارض ، فإن ضرره كبير ، وشره مستطير ، يزيد ضراوة البشر بسفك السماء ، ويورثهم الحقد ويؤرث بينهم العداوة والبغضاء ، وقد اشتدت هذه المفسد في هذا الزمان ، حتى خيف أن تقضي على هذا العمران العظيم في وقت قصير ، بما استحدثه العلم الراسع من وسائل التخريب والتدمير ، كالغازات السامة ومواد الهدم والتحريق تهدمها الطيارات المحلقة في جو السماء ، على المدائن المكتظة بالالوف من الرجال والنساء والاطفال ، فتقتلهم في ساعة واحدة أو ساعات معدودة

(١) الزبد بالتحريك ما يكون في أعلى السيل أو القدر التي تغور من الفناء والرغوة : والجفاء بالضم ما يقذفه الوادي أو القدر من جوانبه عند امتلائه من ذلك وهو ما لا تقع فيه وأما إلبز السيل الذي يرسب منه وإبريز الصائغ من الذهب الذي يوقد النار عليه لتصفيته وهو النافع للناس فيمكث في الارض ويبقى في بوط الصائغ « بوقتته »

وقد حارت الدول الحربية في تلافي هذا الخطر حتى ان أشدهن استعداداً للحرب بالاساطيل الهوائية والبحرية وآلات التدمير وكثرة الاموال لأشدهن خوفاً على حياة أمنها المستمدة لجميع أنواع القتال ، وعمران بلادها المحصنة بأحدث وسائل الوقاية ، وترى دهاقين السياسة في كل منها يتفاوضون مع أقرانهم لوضع نظام لتقرير السلام ، ودرء مفاسد الخصام ، بمعاهدات بمقدونها ، وأيمان يتقاسمونها ، ثم ينفضون خائبين ، أو ينقضون ما أبرموا متأولين ، ويؤدون إلى مثله مخادعين ، وقديين الله تعالى في كتابه سبب هذه الخيبة بما وجدنا مصداقه في هذه الدول بأظهر مما كلن في عرب الجاهلية الذين نزل هذا البيان في عهدهم ، كأنه نزل في هؤلاء الافرنج دون غيرهم ، وهو من عجائب القرآن في لفظه ومعناه . وذلك قوله تعالى بعد الامر بالإيثار بعده ، والنهي عن تقضيه (١٦ : ٩٢) ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أرى من أمة) وألمتى لا تكونوا في نقض عهودكم والعود إلى تجديدها كالمرأة الخمقاء التى تنقض غزلها من بعد قوة إبرامه نقض أنكاث (وهو جمع نكث بالكسر ما نقض ليفزل مرة أخرى) حال كونكم تتخذون عهودكم دخلاً بينكم (والدخل بالتحريك الفساد والفسخ الخفى الذى يدخل فى الشيء وما هو منه) لأجل ان تكون أمة أرى ازيد رجلاً ، وأكثر رجلاً ، وأقوى اسنة ونصلاً من أمة . والمراد ان معاهدات الصلح والاتفاق بين الامم يجب أن يقصدها الاصلاح والعدل والمساواة فتبنى على الاخلاص دون الدخل والدغل الذى يقصده أن تكون أمة هي أرى نفعا وأكثر عدداً وجما من الامة الاخرى .

ولو طلبوا المخرج والسلامة من هذا الخطر لوجدوها في دين الاسلام ، فهو هو دين الحق والعدل والسلام ، وهاك بعض الشواهد على هذا من قواعد الحرب والسلام في آيات القرآن .

(سنذكر الشواهد في الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين)

فتاوى المنار

أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت (س ٥٧-٦٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله العلي العظيم وصلاة وسلاماً على رسوله الكريم
حضرة العالم العلامة والمدقق الفهامة الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا صاحب
مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى وأدامه نصراً للدين وخذلانا لأعدائه الملحدين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فالتمس من فضيلتكم أن تتكرموا
بالجواب على ما يأتي في مجلة المنار الغراء ولكم جزيل الشكر
س ١ : هل يجوز دفع زكاة المال أو زكاة الفطر لجمعية خيرية إسلامية تنفق
ذلك على بناء للمستشفيات ، وعمارة المساجد وفتح المدارس، وشراء أطعمة وألبسة
وكتب وغيرها لاولاد فقراء المسلمين أم لا ؟

س ٢ : رجل أوصى قبل وفاته بأن يصرف على تجهيزه ، وختمته ، وأسبوعه
وأربعينه ، أربعين ليرة عثمانية ذهباً ، والعادة عندنا في بيروت أن في اليوم الثالث
من الوفاة ويسمونه ختماً ، واليوم السابع ، والاربعين منها تولم الولائم ، ويدعى
إليها الفقراء وغيرهم صدقة عن الميت برضى الورثة . فهل تنفذ وصية هذا الرجل
بعد وفاته أم لا ؟ وما هي النصوص التي تمتدنون عليها في الجواب ؟

س ٣ : إن كثيراً من شبان هذا العصر الذين تعلموا بمدارس أجنبية ، إن
أمرتهم بإقامة الشعائر الدينية كالصلاة وغيرها أو نهيتهم عن منكر يفعلونه ،
ردوا على أمرهم وناهيهم بقولهم (المدار على القلب . نق قلبك من النبات السيئة
تكن مؤثماً ناجياً ، والله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) فما هو الرد
الشافعي على أمثال هؤلاء . والتمنع لهم ، المدحض لأقوالهم ، وما رأي فضيلتكم فيهم ؟

س ٤ : إن مديراً من مديري المدارس الخيرية الإسلامية في بيروت ألقى خطاباً في مدرسة تبشيرية ، دعا الناس به إلى إحلال المامية محل الفصحى لغة القرآن الكريم ، أو تسكين أواخر الكلمات العربية ، لصعوبة تعلم تلك اللغة وإعراؤها على زعمه فهل ينم خطابه هذا عن شيء في نفسه ياترى ؟ وما مبلغ دعواه من الصواب ؟ وما رأي فضيلتكم في ذلك ؟

أثقونا وأفيدونا مأجورين من رب العالمين ، ودمتم مقصداً للقاصدين ،
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته ، ذي القعدة سنة ١٣٤٨ السائل سعد الدين خضر الادلي

أجوبة النار بالاختصار

(٥٧) إعطاء الزكاة لجمعية خيرية إسلامية

إذا علم المزكي أن الجمعية الخيرية الإسلامية التي يعطيها زكاته تنفقها في مصارفها الشرعية على علم كان إعطاؤه إياها جائزاً مع إعلامها بأنها زكاة وتوكل مديرها مثلاً بصرفها في مصرفها الشرعي ، وربما كان خيراً له من تكلف توزيعها على المستحقين بنفسه لصعوبة تمييزه للمستحق من غيره إلا أن يكون في ذوي القربى له من يستحقها وهو ممن لا يجب عليه نفقتهم فتقديمهم على غيرهم أفضل . وينبغي أن يعلم أن زكاة الفطر قد شرعت لاغناء الفقراء عن السؤال في يوم العيد وهو يوم خيافة الله عز وجل للمؤمنين فلا يجوز تأخيرها عن يوم العيد لاتفاقها على تلاميذ مدارسهم الفقراء بعده . فان كان المزكي يعلم أن الجمعية نظاماً لا يصلح زكاة الفطر إلى فقراء البلد لينفقوها في يوم العيد فذاك وإلا فليوزعها بنفسه أو من ينوب عنه ممن يثق بهم من الخدم أو غيرهم

(٥٨) تنفيذ وصية الميت

تنفيذ وصية الميت بما خصصه من المال لتجهيزه ودفعه والصدقة للشرعة .
واجب بإجماع السلفين وإنما تكون الوصية شرعية إذا كانت لا تتجاوز ثلث ماله .
ولم تكن في محرم (كوصية امرأة مصرية فاسقة في هذا العام أن تضرب عندها

يوم موتها للعازف وأن تسقى المعزيات عنها الخمر) وأولياء الميت المنفقون لوصيته. هم الذين يجب عليهم تنفيذ وصيته على الوجه الشرعي الذي أراده بها دون ما خالفه. فإن خفي عليهم أمر التوفيق بين لفظه والمادات المألوفة في بلده فليهم أن يسألوا الفقهاء عن تفصيل ذلك والحكم يختلف باختلاف لفظ الوصية وطريقة تنفيذها

(٥٩) شبهة الاباحيين في ترك شئ من الدين

إن ما ذكرتم عن هؤلاء الشبان المتفرجين جهل فاضح خلاصته أن الدين الذي ينجو به الانسان من عذاب الآخرة ويستحق به نعيمها الخالد عبارة عن أمر سايي باطلي وهو ألا ينوي سوء والشر، ولم يوجد دين في الارض يقول بهذا وإنما الدين إيمان وعمل صالح ونية صالحة في العمل بأن يكون لمرضاة الله وما شرع العمل لاجله من تركيبة نفس المامل ومحليتها بالفضائل ومنفعة عبادته في مثل الزكاة من الاعمال المتعدية الفائدة، فمن استحل ترك الصلاة أو غيرها من أركان الاسلام فهو كافر باجماع المسلمين وكذا من استحل شيئاً من المحرمات القطعية كالزنا والسكر وأكل أموال الناس بالباطل

قال عليه السلام «إنما الاعمال بالنيات» الخ الحديث المشهور وهو في أول صحيح البخاري فمن لا عمل له لانية له إلا ان ينوي عملاً ثم يصرفه عنه المعجز أو عذر آخر. ومن كان عمله الديني الرياء والسمة وهوى النفس فهو منافق لا ينفعه عمله وإنما ينفعه إذا كان يعمل اتباعاً مخلصاً لله فيه. ويؤيد هذا المعنى المنفصل في تمة الحديث قوله عليه السلام «أن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم» وهو في صحيح مسلم. والمراد أن مدار قبول المبادات كلها على الاخلاص في الاعمال وصدق النية لا على الظواهر العملية التي تقع من المنافق والصادق، والرائي والمخلص، وهؤلاء المتفرجون الاباحيون ظواهرهم قبيحة وبواطنهم أقيح، ولا يمتد باسلامهم إلا بإقامة أركان الاسلام وترك نواهيها، حتى إذا ما زل احد من فرك واجباً أو فعل محرماً تاب إلى الله تعالى

وأمر السوء والشر الذي حصروا الدين في عدم نيتها تختلف آراء الناس وأهواؤهم فيه حتى قال بعض الفسدين من كتبة مصر ان العفة ليس لها معنى ثابت فهي تختلف باختلاف الزمان ، فظهور المرأة عارية للرجال ومباحاتها معهم في البحار ورقصها معهم في الملاهي كانت تعد في الازمنة الماضية رذيلة منافية للعفة والفضيلة ، وهي تعد الآن من فضائل الدنية بزعمهم ، بل استحسنا الجهر بالفواحش التي يخفيها جميع البشر بداعية الفطرة وسموها الادب المكشوف . وجملة القول ان الاسلام هو العمل الصادر عن الايمان والاذعان النفسي لما ثبت في الشرع من الاوامر والنواهي وهو يستلزم الاخلاص وحسن النية

(٦٠) من دعا الناس إلى استبدال العامة بالعربية الفصحى الخ

إن كان المدير الذي أشرتم اليه يدعو إلى أن يجعل العامة لغة القراءة والكتابة أو يترك الاعراب منها فهو إما جهول لا يعقل مصلحة الأمة العربية في دينها ولا دنياها ، وإما سيئ النية يخدم الاجانب في إضمار هذه الأمة وإفساد أمرها عليها ، إلا إن كان يقصد بذلك الكلام المعتاد فله عذر ماء وهذا الذي نظنه وقد يكون الناقل مخطئاً في الفهم

﴿معجزات المولد النبوي والشبهة على المراجع﴾

(س ٦١) من حضرة صاحبجي الامضاء في يافا (فلسطين) تأخر

صاحب الفضيلة مولانا العلامة الاكبر الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار القراء السلام عليكم وزمة الله وبركاته وبعد فلا يخفى على فضيلتكم تطور الحالة المدنية وانتشار العلوم المصرية من طسمية وفلسفية في الاصطقاق الاسلامية وبما لفضيلتكم علينا من فضل التربية العقلية والتثقيف العلمي رأينا من الضروري أن نقدر برفع هذا الاستفهام اليكم واتنا على يقين من أنكم ستلبون طلبنا

وتكرمون بابائنا إلى ملتسنا خدمة للدين وتطبيقا للعلم على العلوم المصرية في هذين الامرين المهمين اللذين هما من مباني الدين الحنيف حتى تكون سلاحا في يدينا لينتفع بكم المسلمون في مشارق الارض ومقاربها آمين

ينقسم هذا الاستفهام إلى شقين

(الاول) عن المولد الشريف ماسبقه من البشائر والعلامات وما لحقه من

المعجزات ونأيد ذلك بالبراهين العقلية والنقلية اجمالية أو تفصيلية

(الثاني) عن الاسراء والمراج وبنوع خاص نظرية الصعود واختراق السماوات

وقابليتها للاتشام وإمكان اختراق الجو مع عدم وجود الهواء في الفضاء أكثر

من سمة أميال وما رآه المصطفى ﷺ في طريقه

هذان الامران اللذان ينكرهما الطبيعيون والماديون وإن سلم بعضهم بشيء

منها وأنكر بعضها . كما نرجو من فضيلتكم أن تتفضلوا بالإجابة في زمن يسمح لنا

بالاستعداد . قبل دنو شهر الميلاد أو أن ترشدونا إلى الكتاب أو الكتب التي

يمكننا الانتفاع منها في هذا الشأن والاسترشاد بها والله يحفظكم

م . فوزي الامام

محمد فهمي غريب

الواعظ العام بجامعة يافا الكبير امام وخطيب جامع يافا الكبير

الجواب

(٦١) ما يذكر في قصص المولد النبوي من البشائر والعلامات وما يختص به

من المعجزات لا تؤيده براهين عقلية ولا نقلية ولكن هنالك روايات أحادية

ليس فيها حديث معروف، ومنها الضعيف والموضوع، وأكثرها مراسيل وائتليات

منكرة أشهرها في هذه القصص ثلاثة آثار طويلة فيما وقع أثناء حملته وعند ولادته

ﷺ من المعجائب . وقد قال السيوطي في الخصائص الكبرى «ان فيها نكارة شديدة

ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم تكن نفسي لتطيب بإزائها لكنني

تبع الحافظ أبا نعيم في ذلك » فان شئنا قصة المولد خالية من ذلك مقتصرة على

الصحيح فليكما برسائنا (ذكرى المولد النبوي) فيها غناء وفي مقدمتها تفصيل لحكم الاحتمال بالمولد وتاريخه وما فيه من بدع. ولما مختصر يقرأ في الحلقة الرسمية بمصر وفي غيرها

(٦٢) الاسراء ثابت بنص القرآن فهو قطعي والمعراج روي من طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما تدل جملتها على صحة أصله على ما فيها من التعارض والاختلاف في كونه وقع في اليقظة أم في المنام - وهما على كل حال من الامور الغيبية المخارقة للعادة، ويقربهما من العقل أن روح النبي ﷺ كان لها السلطان على جسده في تلك الليلة فلطفت جسده الكفيف فكانت كالجسد الذي كان يتمثل به الروح الامين في صورة دحية الكلبي فأمكنها أن تخرج معه بمثل قوته التي لا تقبل عن قوة الكهرباء.

وبهذا التقريب تسقط شبهة حدود الهواء ، وأما شبهة اختراق السموات فيقال فيها بان الوصول إلى السموات السبع ونجاوزها لا يقتضي اختراقها، وانما كان هذا شبهة لعلماء الهيئة اليونانية الذين كانوا يزعمون أن الافلاك التي ركب فيها الدراري والنجوم أجسام صلبة شفاقة لا تقبل الخرق والانشام بطبعها، وظن بعض علماء الشرع أن هذه الافلاك المزعومة هي السموات ، وقد أبطل علم الهيئة هذا الزعم من أساسه وانما السموات المذكورة في حديث المعراج من عالم الغيب تسكنها الملائكة وتمرج اليها ارواح الانبياء عليهم السلام . وقد سبق لنا تفصيل هذه المسألة في المنار من قبل وان هنا قاعدتين لا ينبغي أن تنفي عن مسلم (١) ان كل ما ثبت في الكتاب والسنة

من خوارق العادات، فالواجب على المسلم قبوله على ظاهره ما لم يقم برهان قطعي حسي أو عقلي على استحالة ظاهره فيؤول (٢) ان كل ما أخبر به الوحي عن عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة ولا يشترط في قبوله موافقة سنن هذا العالم وعاداته، وموجزة الاسراء والمعراج من الخوارق الروحانية الغيبية ، وليست من المحال الذي يقول علماء الكلام ان قدرة الله لا تتعلق به. وقد فصلنا مسألة الخوارق في التفسير مراراً آخرها تفسير هذا العام. وبيننا فيها أن ما ظهر للبشر في هذا القرن من عجائب الكهرباء وغيرها قد قرب إلى العقول كل ما كانت تستبعد من المعجزات وأمور الغيب.

(إخراج مصلي من صلاته وإبطاله عليه لانه قرأ البسملة)

(ص ٦٣) من صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضيلة والسماحة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار
تحية وعلاما وبعد (فانني) بينما كنت قادمًا من حلوان بمحطة باب اللوق وجدت
عند نزولي بمحطة باب اللوق رجلا اقام الصلاة وجيئا قرأ الفاتحة في أول ركعة
ابتدأها بالبسملة وبدأ الآية بعدها بالبسملة فتمه رجل آخر وأخرجه من الصلاة
وعرفه أنه لا يجوز قراءة البسملة لا في ابتداء الفاتحة ولا في ابتداء الآية أيضاً وهذا
يختص بمذهب مالك زاعماً أن الابتداء بالبسملة في وسط السورة مبطل للصلاة
فهل هذا الزعم في محله وهل كان له أن يخرج من الصلاة

والأفأ راى فضيلتكم وأرجوكم التكرم بنشره على صفحات المجلة ولفضيلتكم
الشكر والثناء وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام

عزب سيف الدين

من أهالي محطة المصرة الجديدة

خط حلوان

(ج) مسألة قراءة البسملة في أول سورة الفاتحة. اجتهادية ومذهب الشافعي
أن الصلاة لا تصح بدونها وأقوى حجة تواترها عن بعض القراء وثبوتها في
المصحف الامام بالاجماع ولا يمكن أن يقال في بسملة الفاتحة ما قيل في غيرها من
السور وهو أن البسملة في أولها للفصل بينها وبين غيرها ، وإن الأحاديث المتعارضة
في قراءتها آحادية ويأتي فيها قاعدة تقديم المثبت لما على النافي. ومن المقرر في المذاهب
كلها عدم جواز الانكاز على متبع مذهب بمذهب غيره. وأما قراءة البسملة في ابتداء
قراءة آيات من أثناء السورة فهو غير مشروع ولم يثبت في مذهب من مذاهب الائمة
ولكنه لا يبطل الصلاة فاعله لا بد أن يكون قد سبق به لسانه أو يكون جاهلاً بالحكم
وكل من ينفي المنكر عليه أن يقول له وهو في الصلاة أو بعدها لا تقرأ البسملة في أول
الآيات فاتها غير مشروعة ، وأما إبطاله لصلاته بإخراجه منها فهو خطأ وجهل ظاهر

(الانكار على تأليف الجمعيات الدينية ، بدعوى ان قائم الاسلام بالسيف)

(ص ٦٤) من صاحب الامضاء الرمزي في طنطا

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام صاحب المنار الاغر

تحية من أبنائك الممتعين بمجلى علمك وعظيم خلقك المعجيين بمجهاذك في
سبيل الله جهاداً صادقاً لانتشوبه شائبة رياء أو ظهور

وبعد فقد تألفت في طنطا جمعيتان دينيتان ، جمعية الثقافة الاسلامية وجمعية
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الغرض منها العمل على رضة الدين وبث
روح الهداية في الناس مع بدمها عن كل مايس السياسة وقد وجدنا من كل
الطبقات في البلد تشجيعاً صادقاً وعطفاً ذا أثر .

غير أننا والاسف يلاً جواً نحن وجدنا شيخ معهد طنطا يحارب الجمعيتين
بكل مالمديه من الوسائل فيرغم الطلاب المشتركين فيها والمدرسين الذين انتخبوا
في مجلس إدارتها على الانسحاب منها بحجة أنها ليست من الطرق التي رسمها
الدين لاقامته لانه لم يقم إلا بالسيف .

فل هذا صحيح ؟ وماذا كان يملك النبي ﷺ من وسائل القوة الخيرية
في بدء الدعوة .

أفيدونا على صفحات المنار أو في الجرائد اليومية ولكم منا أجزل الشكر
ومن الله حسن الاجر والسلام عليكم ورحمة الله (م.س)

(ج) ان ما حكاه هذا السائل عن شيخ المعهد الديني الاحدي الذي هو ثاني
الازهر جعل واضح يكاد يكون غير معقول فان تأليف الجمعيات لاجل الدعوة إلى الخير
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابت في كتاب الله بقوله (وتكن منكم أمة
يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأوتيتكم هم الفلقون)
ويدخل في ضمن قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) فكيف يقول شيخ
محدود من كبار علماء الازهر هذا القول الذي أسند اليه في السؤال وهو من الجهل

الفاضح بصرح القرآن وبما هو معلوم من الاسلام بالضرورة ؟ ان لنا أن نرتاب في صحة هذا القول على إطلاقه وإن كان قد بلغنا عن هذا الشيخ من تأييد الخرافات الذي ينشرها الشيخ يوسف الدجوي ما لم يبلغنا عن غيره من علماء مصر ، بل علمت من بعضهم وعن بعض آخر أنهم ينكرون عليه ما تنبه من الطعن فينا ومن فتاويه الاخرى في تأييد البدع والخرافات ومترفون بأنه فضح الازهر ومجملته بذلك . وأما شيخ المعهد الاحدي فقد ثقل البنا عنه أنه أمر بقطع أحد الطلبة عنده عن الدرس مدة أسبوع او أسبوعين (الشك منا) لانه اعترف أمام أستاذ له بأنه يقرأ مقالات السيد رشيد رضا في الرد على الدجوي ويحجلها ويستفيد منها . فالتسنا له من المذر انه ربما يكون قد قرأ مقالة الدجوي وبهائته في مجلة مشيخة الازهر وصدقه فيما افترأ علينا ولم يقرأ شيئاً من مقالاتنا في فضيحة كذبه وبيان جهله ، وإن كان المشهور عنه انه على رأيه في خرافات القبور وامثالها ، وهذا الصنف من الازهرين يقل ويضمحل ولذلك لم يجد الدجوي له في الازهر من ولي ولا نصير . ولكن لم يعرف عن احد من الازهرين إنكار على الجمعيات الدينية والوعظية بل تعددت جهاتهم في هذا العهد

وأما ما اسنده السائل إلى الشيخ الديناري من أنه يقول ان دين الاسلام لم يبق إلا بالسيف فهو من الجهل الفاضح بالسيرة النبوية والتاريخ يؤيد به طعن أعداء الاسلام من دعاة النصرانية وساسة الافرنج فيه ، وقد سبق لنا دحضه مراراً في المنار ، ونحيل السائل وغيره على ما كتبه الأستاذ الامام في رسالة التوحيد في دحض هذه التهمة والرد على مفتريها ، وعلى بحثنا في اصلاح الاسلام الحربي الذي يرى اوله في هذا الجزء

ويبقى الكلام مع شيخ المعهد الاحدي في مسألة أخرى وهي إن كان قيام الاسلام بالسيف يقتضي أن لا يعمل لبيانه ولا نشره عمل إلا سل السيف فهذه المعاهد الدينية التي يرأس احدها يجب إبطالها وإرسال طلبتها الى المدارس الحرة وان كان يفرق بين إقامته في المشركن للماندين وتبليغه لغيرهم لاسيما المسلمين الجاهلن فهاتان الجمعيتان من هذا النوع فكيف يشكر على مؤسسيهما من المدرسين والطلبة ؟

(بدعة كفارة الصلوات الفائتة)

(ص ٦٥) من صاحب الامضاء بمزية علام قانة (نجح حمادي) .

حضرة صاحب الفضل والفضيلة محي السنة وميت البدعة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا أطال الله عمره

سيدي أشكو اليكم مر الشكوى من جماعة يسمونهم أهل فضل في بلدنا البقائه مركز نجح حمادي يقرؤون على الناس فائدة في جبر الصلوات الفائتة في كتاب صغير الحجم يسمى المجموعة المباركة في صحيفة نمرة ٧ سطر ١ منه ومضمونها ان من يصلي أربع ركعات في آخر جمعة من شهر رمضان ويقرأ دعاء كانت كفارة له لآل سنة عن الصلوات الفائتة وإن لم يمض هذا العمر فيكون الباقي إلى أقاربه وجيرانه وأهل بلده وربما فضيلتكم اطلعتم على هذا الكتاب فارجو الجواب ولكم الثواب يا منادي الإصلاح ، أباك الله ذخراً للإسلام والمسلمين . والرد يكون بمجلتكم المنار الفراء
ابنكم حسين محمد
بمزية علام قانة

(الجواب) اننا أخرنا هذا الجواب مدة طويلة وهو بدعي رجاء الاطلاع على الكتاب المسمى بالمجموعة المباركة وبنين مفاسده وبدعه الضلة ولما يتسن لنا ذلك . وقدر أننا ان نشره الآن في هذا الجزء الذي يصدر في شهر رمضان مناسب فنقول ان هذه الكفارة باطلة بالضرورة وكذب على الله تعالى واقتراء على شرعه القويم بل هي مفسدة تجرى الجاهل الذي يصدقها على ترك الصلاة التي هي عماد الاسلام ولا يصدقها مسلم يعرف ضروريات دين الاسلام ، بل يدرك بطلانها كل من له نسكة من العقل وقليل من الذكاء فانه يدرك ان صلاة أربع ركعات من التواضع لا تنفي عن جميع الصلوات المكتوبة . ومن علامات الحديث للوضوح ان يكون فيه ثواب عظيم جداً على عمل قليل . وأجدر بهذا التكفير لترك الصلاة أن يكون تكفيراً بالابمان من أصله . ولتكم تجنون لنا نسخة من هذم المجموعة الضاللية المفسدة للإسلام لتبين ما عسى ان يوجد فيها من هذا الضلال غير هذه المسألة

نموذج من كتاب

الانجيل والصلب

(لعالم كبير من قسوس الاثوريين هداة الله الى الاسلام)

« الباب الثاني »

غرضه الانجيل وموضوعه «الاسلام» و«الاحمد»

المبشر لوقا يبشر (بالاسلام) و (باحمد)

لننظر الآن في التأويل والتفسير الحقيقي للفظ انجيل الذي يبشر بالسعادة الحقيقية وماذا يحتمل أن يكون القصد من كلمة « امل » او « ملكوت الله ؟ » فإذا انكشف هذا السر نكون قد فهمنا روح الانجيل ولبه . أسأل الله تعالى أن يمن على هذا المؤلف الاحقر بان يجعل له نصيب الفخر يكشف هذه الحقيقة التي تعدل الدنيا وما فيها بأهميتها العظمى وقيمتها التي لا يساويها شيء . مع أنها وبالأسف لم تزل حتى الآن محجولة لدى كل من المسلمين والمسيحيين . وتمحيصها من التحريفات والتأويلات الفاسدة ، وبراهاها بتمامها وصفاتها بالأدلة القاطعة والبراهين المسكتة بصورة صريحة واضحة بحيث يفهمها كل أحد

وهاءنذا أتحدى باعلان واظهار هذه الحقيقة جميع العالم وكافة روحانيي النصراري وأشهر أساتذة الالسة والمؤم الدينية في دور الغنون الموجودة في العالم المسيحي ، تسلية لقلوب المسلمين ، وتثبيتا لايمان الموحدين ، الذين أصيبوا بأنواع المصائب ، وأمسوا هذفا للتحقير والظلم في هذه الايام الاخيرة . وهاءنذا أفتح كلامي بالحمد والشكر وتحياي مع روحي وحياتي مشفوعة مع شهادة ان لاإله إلا الله ، تلك الكلمة الطيبة كلمة التوحيد والايمان الصحيح تقربا إلى الله الواحد الاحد ، مكون الكائنات ، وواهب المقول والافهام ، المظلم على خفايا السرائر (المجلد الثاني والثلاثون) (٩٤) (النار : ج ١٠)

٧٤٦ ترنيم الملائكة ليلة مولد المسيح بالاسلام وأحمد (ع.م) النار : ج ١٠ م ٣٣

والنبيات ، جل جلاله ، وخدمة لدين حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ فاني قد
عاهدت الله عز اسمه بأن أقف نفسي على خدمة هذا الدين المبين وخدمة أمته المظلومة ،
والثناء لها ، والله وني الاجابة والتوفيق . بمل هذا أقول :

جاء في لوقا أنه ظهر في الليلة التي ولد فيها المسيح عليه السلام للرعاة الذين كانوا
في البرية جمهور من الجنود السماوية يترنمون بهذا النشيد : (لوقا ٢ : ١٤)
« الحمد لله في الاعالي ؛ وعلى الارض اسلام ؛ ولقنا س أحمد »

إن الذي فتح عيني هذا المحرور الفقير ، ووهب له مفتاح أبواب خزائن
الانجيل ، وكان له دليلا في تتبع الاديان الاخرى ، وانعام النظر في الانجيل مرة
أخرى ، هو هذه الآية آية الآيات الالهية ..

اني مطمئن بأن هذه الآية الجليلة ستبثث اليقظة مع الحيرة والدهشة في
قلوب كثير من المسيحيين كما وقع ذلك لي لاني واثق بأنه يوجد في هذه الملة
اليوم أناس كثيرون برءاء من التمسب والسفسطة ، وانهم لا يتأخرون عن
الاذعان والتصديق للكلام الحق ، ولا يترددون في قبول الفكر الصحيح وقتاً ما

كيف ترجموا هذه الآية

كما تقدمت في هذا المؤلف الوجيز ترزعجني هاتان الواهمتان . الاولى هل
يوجد من يشعر باني راغب في انتساب الشرف والمظمة بنقد المفسرين
والترجمين ؟ والثانية — هل أنا مصيب في ترجمتي وعلى حق في تفسيرتي ؟ إن
في مكتبة هذا العاجز نسخة من الكتاب المقدس بالعبرانية ونسخة من ترجمته
بالسريانية الجديدة ونسخة ثالثة بالتركية مع نسخة من الانجيل والتوراة باليونانية
ولم أجد ماأحتاج الى مراجعته من المؤلفات في مكتبة بايزيد العامة لأكال هذا

(١) في الترجمة العريضة : وعلى الارض السلام . والناس المسرة .
والمؤلف يعلم هذا وقله فيما يأتي ولكنه يقول هنا ان الاصل الصحيح هو ما قلته ثم
شرحه في التفصيل الآتي اه مصححه

الممل النافع . فأننا مضطرون إلى الاكتفاء بما عندي من هذه الكتب . على أنه ليس في الطبعة حروف عبرانية ولا يونانية
وهاء نذا أشرع في القصود وقبل أن أدخل في بيان شرح الآية التي نحن في صدد الكلام عنها وأبسط تدقيقاتي فيما سأورده في إثباتها بصورة مفصلة في الفصل العاشر . أراني مضطراً إلى تقديم بعض القدمات الإيضاحية بعبارة مختصرة فأقول :
إن الرعاة السوريين القديين ذكروا في الآية لم يكونوا من خريجي أكاديمية أثينة وقد سمعوا جمهور الجنود السماوية يترغنون تلك الانشودة العجيبة فلا يمكن إذاً أن تكون الانشودة باليونانية . هذا شيء لا يوجد من يعترض عليه ، ومن البديهي أنهم كانوا يرتلون التسييح باللغة السريانية . ولم يذكر أنشودتهم المهمة هذه متى ولا المبشرون الآخرون ، وإن لوقا كتب موعظته باللغة اليونانية لأنه روماني أو لاتيني على ما هو معلوم من اسمه .

كلمات وردت في اللغة الأصلية للآية المذكورة لم يدرك أحد ما تحتويان عليه من المعاني تماماً ، فلم ترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية على وفق ما وقع في التراجم إلى اللغات الأخرى ، فبناء عليه يجب البحث عن نشيد الملائكة في اللغة الأصلية ، لأن لوقا إنما كتب كتابه متخذاً كثيراً من المؤلفات المتقدمة (١) مادة له ، ثم إن تلك المأخذ المتقدمة صارت عرضة لتفتيح وتصرفه مراقب مجمع نيقية (٢) الناقد للرافة ، وبعد كل ما كلن فإن ترجمتها باليونانية وقمت على الوجه الاتي كما في (ترجمة بايبل سوماتي)

« الحمد لله في الإعلالي ، على الأرض سلامه ، في الناس حسن الرضا »
ومن البديهي أن الملائكة لم ينشدوها باللغة اليونانية ، وإلا كانوا كن يكلم الرعاة الإكراد في جبل هكارى باللغة اليابانية ، فلنئين الآن التفسير الصحيح الحقيقي للكلمتين « ايريني ، السلامة » و « ايودكيا ، حسن الرضا » فيا للعجب !
لكن انظروا أولاً إلى هذا التفسير الذي فسروه هم .

أولاً ، كلمة « دو كسا » مشابهة لكلمة (الحمد) في العربية والعبرانية
(١) (لوقا ١: ١٠ — ٤) (٢) نيقية هي بلدة أزيق من توابع خدادوندكار .

والسريانية . وهي من الالفاظ المشتركة بين جميع اللغات السامية ، و«دوكسا» مشتقة من (دوكو) أو (دوكتو) .

وبناء على ذلك تكون التسيبحات ، بمعنى حمد وعقيدة وفكرة . والكلمة المستعملة في السريانية بمقابل (دوكسا) هي كلمة (تشبوختا) وفي اللاتينية Gloria والفرنسيون والانجليز والمثلل العربية تستعمل كلات تشبها

كثيراً مانصادف في صحائف كتب العهد القديم كلات بعين الكتابة مشابهة لكلمات (حمد) و(احمد) و(محمد) فما يشابه (محمد) ما جاء في ملوك أول ٦٠:٢٠ وهو شم ١٦:٩ ويوثيل ٥:٣ ومراتي ارميا ٧:١ و١١) ... الخ

فالاولى من الكلمتين اللتين هما موضوع بحثنا الآن هي (ايريني) فقد ترجمت بكلمات (سلامة) و(مسألة) و(سلام) لكني لا أفهم لماذا يترجم مترجمو (بايبل سوسايتي) اللفظ الواحد مرة (سلام) ومرة [سلامة] وأخرى [مسألة]؟ ان كلمة [ايريني] بمعنى [سلم] و[سلام] وهي من الالفاظ المشتركة بين جميع اللغات السامية^١ كما ان كلمة [حمد] كذلك موجودة في جميع تلك اللغات . ففي السريانية [سلم] وفي العبرانية (شالوم) التي يستعمل في مقابلتها الفرييون للنسويون إلى اللغات اللاتينية . Pace, Paix, Pax, Peace .

من المعلوم ان لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جداً ، ويشتمل على ما تشتمل عليه ألفاظ (السلم ، السلام) و(الصلح ، السالة) و(الأمن ، الراحة) أي ان من أسلم وجهه لله واجب الوجود يكون مسلماً ، وتزول من قلبه المداوة والخصومة التي يثيرها الكفر بالإيمان الذي يحل في قلب من أسلم مع الإقرار باللسان ، فهو للقلب راحة ، وفي الآخرة أمان ، ومن المسلمين المجاورين اطمئنان نجلي العرض والنفس والمال . وهذا الاسلام يمطي راحة لفكر ، واطمئنانا للقلب ، وأمانا يوم القيامة .

ان الكلمتين (ايريني) و(سلم) تفيدان هذا المعنى بينه ، وأما كلمة (إسلام) . سلام) فهي مع ما تشتمل عليه من المعاني التي شرحناها آنفاً باختصار تتضمن معنى زائداً وتأويلاً آخر أكثر وأعم وأشمل وأقوى مادة ومعنى ، ولكن قول

(١) شام أحد أولاد نوح عليه السلام وهو جد الاقوام السامية

اللائكة « على الأرض سلام » لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالمة . لأن جميع الكائنات وعلى الأخص الحياة منها ولا سيما النوع البشري الموجود على كرة الأرض دارنا الصغيرة هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوقائع والفيجائع الوخيمة كالاختلافات والمخاريب والمنازعات . وذلك لكي يتمتعوا بالحياة والرفق ، ويعملوا قسطهم من قانون الترقى والتكامل . وهذه النزعة الفطرية الضرورية من غرائز البشر تحدث لهم ضروب الاختلاف والتنازع ، وتحملهم على الشقاق والجدال والجلاد

فن المحال أن يعيش الناس على وجه الأرض بالصلح والمسالمة ، ولا يتمكن أي دين كان أن يضمن دوام السلم العام بين الأمم والأقوام حتى لو تملقت إرادة الله عز وجل بذلك لاقتضى أن يبدل سننه الاجتماعية في طباع البشر ونظام معاشهم ويغير النواميس الطبيعية فيهم ويستبدل بها غيرها

إن الحكومات المستريحة الآمنة المسالمة إذا لم تكن على حذر دائم من عدوها تكون مقضيا عليها بالتدلي والسقوط ، ولا تزال تتقهقر حتى تصير إلى البداوة والانحطاط أو الإضمحلال ، وإذا كانت الأمم لا تخشى اعتداءاً على حياتها أو عرضها أو مالها ، والحكومات الحاضرة لا تحسب للدماء ولا لثأر حساباً ، فلماذا تراها منهكة في السابقة لى الاختراعات الحربية المرعبة التي نشاهدها ؟ خرقوا جبال الألب من أسفلها وهي التي تمردت على ذكاء (يونانيرت) و (انيبال) وهمتما ، وعبدوا الطريق فيها حتى صارت تمر منها القطارات بالكهرباء ، وبساق فيها الجيوش

ليقم كبار العرب — الذين سافروا من حضرموت إلى الصين وجاوا — من أجدادهم ولينظروا إلى تلك البحار التي غرقوا فيها والأمواج التي تسنموا غواربها ماذا يرون ؟ أما البحار فهي هي بيننا ، ولكن أي سفن أنشئت ، وأي الآلات اخترعت لطلي تلك المسافات بالسرعة المجدبة ؟ وإلى الرياح المائية والواصف القاصفة في حو السماء ! هي وإن كانت ياقية على حالمنا منذ القدم ، ولكن ليبصروا كيف ان الفن أنفذ فيها التلغراف اللاسلكي وسخرها كخادم له ، ثم لينظروا

هذه المناطيد والطائرات ، والمدركات والفواصات والدبابات ، من مخترعات العقل والفن ، ما أوجدتها إلا الضراوة بالحرب ، وعدم الثقة بمجاهدات الصلح ، والامان من الحرب ، واذاً يكون (السلام) الذي هتفت به الملائكة ليس عبارة عن الاستراحة والمسألة الدنيوية ، او ان يدخل جميع الناس الكنيسة فيصبحون آمنين مرتاحين تحت إدارة الاساقفة والرهبان خدام (الاسرار السبعة) بل إن كلن في الدنيا شيء قد اكتسب أكبر شهرة في اقتراف المظالم وإيقاد نيران العداوة فلا شك أنها الكنيسة ، أقول لاشك ، لان تلك حقيقة تاريخية ثابتة بالفعل ويقول المسيح نفسه (ما جئت لألقي سلاماً على الارض) وأما الذين يصدقون بأنه سيتأسس صلح عام ، فاولئك هم عبيد الوهم والخيال .

الاسلام

الاسلام : دين أساس ادارته وحكمه العدل المطلق الذي لاهوادة فيه ، لان الجرائم والجنايات تماقب عليها يد العدالة ، ولكن الاشرار والناقضين من المسلمين لا يزالون يسمعون في الارض فساداً ، ولم يخل زمن الخلفاء الراشدين — مثال العدل المطلق الكامل — من مثل هذه الاختلافات والشقاق من الحروب

إذن فإذا كانت تقصد الملائكة ؟ هل قصدت (سلام عليكم) (شلم لحن) كما يريد أن يجي بمضنا بعضاً ، ويؤدي له رسوم المجاملة ؟ الناس يمكنهم أن يستعملوا ما يشاءون من الكلمات الرقيقة لاجل المجاملة ، ولكن لاحكمة ولا حاجة أبداً إلى ذلك في التبشير السماوي ، ولا سيما اذا كلن من قبل جيش من الملائكة يترغون في جو الافلاك .

(إيريني) أي (الاسلام) هو الدين المبين ، وحبل الله المتين ، المكمّل للانسان جميع وسائل ترقية المآذية والمعنوية ، والكافل لمساعدة الحياة والعيش الرغيد إلى الابد مهما أكن حريصاً على التزام الاعتدال ، وعلى سوق القلم فيما لا يجرح عواطف المسيحيين ، فلا بد أن أكون معذوراً اذا متجاوزت أحياناً هذه الخطوة

رحماك ربي ! ما أكثر ما ينحني به أحرار الفكر ^(١) والموحدون في أوروبا .
وأمر بك على النصرانية من التحقير الشفهي ، والاعتداء التحريري ! ومن المعلوم
بالضرورة ان مثل تلك المطاعن لا تقع في بلاد المسلمين كثيراً
ما كان أجدر الكنائس بخدمة الانسانية لو صرفت عنايتها في مجامعها الكبرى
من مجمع نيقية الى آخر مجمع لفاتيكان (٢) عن خص الاسرار والاشياء السحرية
ووجهت همتها الى المعاني العميقة للآية التي نحن بصدد التدقيق في معناها : كم
كان للمسيح من طبيعة وإرادة ؟ هل كانت أمه مريم إذ كل في رحمها يرثه من
الذنب المغروس أم لا ؟ عند ما يتحول الخبز والخر إلى لحم المسيح ودمه في القربان
المقدس هل يقتدان جوهرهما أم أعراضهما فقط ؟ اذا كان عقد النكاح كارتباط
المسيح بعروسه الكنيسة أبدياً فيكون اقتران الزوجين وانفصال أحدهما عن الآخر
محالاً حتى الموت أم لا ؟ هل ينبثق الروح القدس من الآب وحده ، أم من الآب
والابن معاً ؟ وأسفاً على الكنيسة التي تشتغل بمثل هذه المسائل !
إذن فللائكة أرادت أن تقول « سيؤسس دين الاسلام على الارض »
أقول إلى رهبان البروتستانت وواعظيهم الذين يدعون ان المسيح جاء بالسلام
ان مدعائكم غلط محض ، وان للمسيح قد قل صريحاً وتكراراً انه لم يات بالسلام
بل بالسيف والنار ، والاختلاف والتفريق بين الناس ، فلا مناسبة للسلام بالمسيح
ولا بالمسيحية ، ودونكم هذه النصوص .

« لا تظنوا اني جئت لألقي سلاماً [ابريني] على الارض . ما جئت لألقي
سلاماً بل سيفاً » (متى ١٠ : ٣٤) وفي موعظة أخرى للمسيح « جئت لألقي ناراً
على الارض ، أتظنون اني جئت لأعطي سلاماً على الارض ، كلا أقول لكم ، بل
انقساماً » (لوقا ١٢ : ٤٩-٥٣)

إن تدقيقاتنا ومطالعاتنا العميقة في هذا الموضوع مندرجة في الفصل العاشر
ولكن اضطررت ههنا عند تحقيق معنى الانجيل إلى تدقيق في المعاني المهمة التي

(١) احرار الفكر - هم الذين يتقنون كل الاديان والفرنسيون يسمون هؤلاء
(ليبراليسور) (٢) مجمع الفاتيكان ، معطل الآن . وكان قد دعي من قبل (بيونونو)

تتضمنها الآية المذكورة لاجير ، فان الملائكة في هذه الآية تخبر وتعلن صريحا بأنه سيظهر دين باسم « الاسلام » و « السلم »
 فاذا كانت هذه الفكرة التي بينها باطلة ، فالآية المذكورة ليست إلا نعمة لاسمى لها [جاشا] فادامت النصرانية تعتقد ان الآية المذكورة وحي وإلهام من قبل الملائكة حقيقة ، فيجب علينا ان نقبلها مثلهم ، ونضطر إلى الاعتقاد بأنها أهم وأعظم شأنا من أية آية في الكتب السماوية ، لان هذا الإلهام ليس من قبل نبي أو رسول أو ملك واحد ، بل هو إلهام من قبل جمهور من الجنود السماوية يهللون ويترنمون بالذات ، فنحن على هذا مضطرون إلى قبول ان محتوياتها أيضاً عبارة عن تظاهرات كبيرة وتحليلات مهمة جداً تتعلق بمنافع البشر وينجاتهم في المستقبل .

ولئين ان أنبياء الله قد استعملوا من قبل في أسفار التوراة (العهد العتيق) هذا المعنى القوي لكلمة (اسلام) بمادة هذا المصدر نفسه ومشتقاته وهي (سلم) (تسليم ، اسلام) العربية ، و (شلم ، شلوم) العبرانية ، و (شلم) السريانية ، على الوجه الآتي :

(اشعيا ٤٤: ٢٨) اتمام ، اكمال ، اكمال النقص ، الذهاب به إلى مكانه

(اشعيا ٣٨ : ١٢) الانتهاء ، الايصال إلى المنتهى

(أمثال سليمان ١٦ : ٧) المصالحة ، الصلح مع .

(يشوع ١٠ : ٤) عقد الصلح والمصالحة ، التسليم والضبط .

فالاسلام عبارة عن الدين المتم والمكمل للاديان السابقة والحاكم في الاختلافات الكائنة بين اليهودية والمسيحية والصلح بينها ، ومدخلها في ضمن دينه المكمل للمتم ليكون الجميع سوية مسلمين لله ، مسلمين ومؤمنين

أليس لهذه الآية رابطة بصورة بليغة بآية القرآن المجيد التي نزلت على حضرة خاتم الانبياء في حجة الوداع ؟ وبلغها لأكبر مجتمع في عصره ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾

(لنموذج بقية)

المقال الخامس

الميثية الاولى انكار الملائكة

زعمت مجلة مشيخة الازهر أن صاحب النار « قرر أن الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية » واحتجت عليه « بالحوار بينها وبين الله تعالى » وقوله تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً)
فهل يريد محرر هذه المقالة بما يتنابه أن يعتقد قراؤها الذين أنشئت لارشادهم بلسان هذا المعهد الاسلامي العظيم أن صاحب النار لا يؤمن بالملائكة وهو الذي أنشأ مجلته منذ خمس وثلاثين سنة لبداية الاسلام والدفاع عنه وتبرئته من البدع والخرافات التي تصد عقلاء البشر عنه وتفتح لهم أبواب الطعن فيه وهو المفسر للقرآن بالجمع بين المعقول والمنقول وترجيحه عن الخرافات الاسرائيلية وغيرها - وهو التصدي للافتاء العام في اصول الدين وفروعه حتى لقبه العلامة الشهير الشيخ محمد محمود التركي الشنيطي « بمفتي الآفاق » على رغم أقف كل ذي حسد وحقاق هل يريد أن يقول في هذا الرجل إنه ينكر أن الله ملائكة منهم الروح الامين مبلغ وحي الله لرسله ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم ملك الموت وأعوانه ، ومنهم ملائكة الرحمة . وملائكة العذاب والمدبرات لامور الخلق باذن الله

من كان لا يؤمن بالملائكة فهو لا يؤمن بوحى الله إلى رسله ولا يكون مسلماً ولا يهودياً ولا نصرانياً ولا ملئاً وثنياً . فان كان صاحب النار من هذا الصنف فلماذا سكت على كفره هذا علماء الازهر الاعلام وغيرهم من علماء الاسلام مدة ٣٥ سنة وهو يطالبهم في كل مجلد من مجلته كما يطالب جميع من يطلع عليها بأن يكتبوا اليه بما يرونه باطلاً أو متفقاً أخيراً مع بيان دليله لينشره لهم فيطلع عليه سائر قرائه كيلا يضلوا بما ضل هو به ؟ حتى اذا سقط عليه أحد محرري مجلة المشيخة بانتقاده لبعض ما نشره فيها من تأييد البدع والخرافات ، صحر بف الآيات ونصحيح

الموضوعات ، أظهر للناس هذا الطعن انتقاماً لنفسه ولها ، لا خدمة للدين ، ولا نصيحة للمسلمين ، فهل كانوا عاجزين أو جاهلين ، أم لا يهتفهم أمر الدين ؟
هذا ما نقوله من ناحية الالتزام العقلي ، وقفي عليه بعض الشواهد الناطقة بعقيدة الايمان بالملائكة واتباعنا عقيدة السلف الصالح فيها ، ويجب أن تكون هذه الشواهد بعضها من كلامنا في التفسير وفي مجلة المنار ، وبعضها من كلام الاستاذ الامام في تفسير المنار نفسه وفي تفسيره هو الجزء عم :

ذلك بأن شبهة المقرري في هذه المسألة هي عبارة للاستاذ الامام قالها في درس التفسير بالازهر وههناها عنه في المجلد الخامس من المنار (سنة ١٣٢٠) فاستشكلها بعض من سمعها منه وبلغوه ذلك فوضح مراده في درس آخر ، لا يزال في علماء الازهر الذين حضروه من يذكره . وقد صرح به في مجلس الصلح أحد محرري مجلة المشيخة ، ثم كتب يده ايضاحاً آخر له نشرته في تفسير الجزء الاول معزواً اليه رحمه الله مطبوعاً بحرف أكبر من الحرف الذي نطبع به التفسير ،

فهذه مسألة فرغ منها منذ ٣١ سنة ومن مقاصد إثارته الطعن في دين الاستاذ الامام وعلمه من وراء حجاب الطعن في صاحب المنار ، مع العلم بأن صاحب المنار اذا كتب فيها فلا بد له أن يعزوها إلى الاستاذ الامام ، فيرميه الطاعن بأنه هو الذي أظهر كفر أستاذه للناس ، وكان من حق الوفاء له عليه أن يقبل الطعن على نفسه وحده ولكنه قليل الوفاء . وقد كتب الطاعن مثل هذا في مسألة الطعن علينا بانكار وقوع السحر على النبي (ص) والمنكر له هو الاستاذ الامام في تفسيره الجزء عم لافي المنار وله سلف فيه من أئمة العلماء ، وسيأتي بيان ذلك في عمه ، وهاك الشواهد

(الشاهد الاول)

ان اول موضع ذكرت فيه للملائكة من تفسير المنار لسورة البقرة هو قولي فيه الايمان بالغيب من تفسير الآية الثالثة ما نصه

« الناس قسمان : مادي لا يؤمن إلا بالحسيات ، وغير مادي يؤمن بما لا يدركه الحس أي بما غاب عن المشاعر حتى أرشد اليه الدليل أو الوجدان السليم ، ولا شك أن الايمان

بالله وملائكته - وهي جنود غائبة لها مزايا وخواص يعلمها الله سبحانه وتعالى -
وباليوم الآخر - ايمان بالنبي - اه [من صفحة ١٢٧ من جزء التفسير الاول]
فهل هذا النص على أن الملائكة جنود الله تعالى من عالم الغيب لها مزايا خاصة
بها - يتفق هو والقول بأنهم عبارة عن القوى الطبيعية ؟

(الشاهد الثاني)

ذكرت في الكلام على الوحي من سياق اعجاز القرآن من تفسير سورة البقرة
ايضا ان ملك الوحي يتمثل للانبياء عليهم السلام واستشهدت عليه آيات ثم قلت
« وأما مثل الملك فكانوا يكتفون في إثباته بقولهم أنه ممكن في نفسه وقد
أخبر به الصادق فوجب تصديقه . وتقول اليوم ان العلوم الكونية لم تبق شيئا من
أخبار الغيب غريبا ، إلا وقربته الى العقل بل الى الحس تحريبا ، بل ظهر من
الاختراعات للادوية المشاهدة في هذا العصر ، ما كان يمد عند الجماهير محالا في نظر
العقل - لا غريبا قط ، فإذا كان الانسان الكيماوي يحلل الاجسام الكثيفة
حتى تصير غازات لا ترى من شدة لطافتها ، ويكشف العناصر العظيمة فتكون كالجمادة
بعضها ، فكيف يستغرب تكشيف الملك لنفسه - وهو من الارواح ذات الميرة والقوة .
العظيمة - بأخذ من مواد العالم المنبثقة فيه هيكل على صورة الانسان مثلا ؟ دع
غفرت الكهرواء المعجبية التي لا يوجد شيء مما أخبر به الرسل من عالم الغيب إلا
وفيها نظير له يقربه من الحس لا من العقل وحده . وهل الكهرواء إلا قوة مسخرة
للملائكة - اه وبليه كلام في ارواح البشر وقول الامام مالك فيها [راجع ص
٢٢٥ من جزء التفسير الاول ايضا] فهل معنى هذا ان الملائكة من القوى الطبيعية ؟

(الشاهد الثالث)

قلت في الكلام على الملائكة من تفسير آية البر ما فصح : ان الايمان بالملائكة
أصل الايمان بالوحي لأن ملك الوحي روح عاقل عالم يفيض العلم باذن الله على روح
النبي ﷺ بما هو موضوع الدين ، ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب

والنبيين ، فهم الذين يؤتون النبيين الكتاب (٩٧ : ٤) نزل الملائكة والروح فيها
ياذن ربهم من كل أمر - ٢٦ : ١٩٣ نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من
المفكرين ١٩٤ بلسان عربي مبين) فيلزم من انكار الملائكة انكار الوحي والنبوة
- إلى أن قلت - وللملائكة خلق روحي عاقل قائم بنفسه ، وم من عالم الغيب
فلا نبحت عن حقيقتهم كما تقدم غير مرة (ا ه صفحة ١٢٣ و ١٢٤ من جزء التفسير

الثاني) فهل معنى هذا أن الملائكة قوى طيية ؟

(الشاهد الرابع)

قلت في تفسير آية سورة النساء (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله)
الآية التي اوردها علي مانصه « فالايان بالله هو الركن الاول ، والايان بجنس
الملائكة الذين يحملون الوحي الى الرسل هو الركن الثاني ، والايان بجنس الكتب
التي نزل بها الملائكة على الرسل هو الركن الثالث . والايان بجنس الرسل الذين
يلتئمهم الملائكة تلك الكتب فيلقوها للناس هو الركن الرابع . الخ (راجع ص
٤٥٩ ج ٥ تفسير) فهل يمكن أن يكون المراد بالملائكة الذين يحملون الوحي إلى
الرسل (ح . م) من القوى الطيية

(الشاهد الخامس)

كتبت في الصفحة ٣١٦ وما بعدها من جزء التفسير السابع في الكلام على
اقتراح المشركين ازال ملك على النبي (ص) والرد عليهم في تفسير الآيتين الثامنة
والثامنة من سورة الانعام بحثا طويلا في عدم استعداد البشر لرؤية الملائكة في
صورهم الاصلية لقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسا عليهم ما يلبسون)
أذكر من هذا البحث مانصه :

« واختار عندنا أن البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة والجن
في حالتهم التي خلقوا عليها كما قال تعالى في الشيطان (انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم) لا لانهم لا يطيقونها لمولها بل لان ابصار البشر لا تدرك كل الموجودات
بل تدرك في مالها هذا بعض الاجسام كالماء وما هو كصف منه من الاجرام الملونة
دون ما هو لطف منه كالهواء وما هو لطف منه كالعناصر البسيطة التي يتألف
منها الماء والهواء ، والملائكة والجن من عالم آخر غيبي ألطف مما ذكر . وهذا العالم

عما يعمده المتكلمون في الفلسفة وراء عالم المادة ، وليس عند المتكلمين عالم غير مادي ولذلك يعدون الملائكة والجن من الاجسام اللطيفة ، ويقولون انهم قادرون على التشكل في صور الاجسام الكثيفة ، فمثل تشكل الماء في صورة البخار اللطيف والبخار الكثيف (كالسحاب) وصورة اللامع السيل وصورة التلج والجليد ولكن الماء يتشكل بما يطرأ عليه من حر وبرد بغير اختيار منه ، واذن يتشكلان باختيارهما اذ جعل الله لهما سلطانا على العناصر التي تتركب منها مادة العالم أقوى من سلطان البشر الذين يصرفون فيها أيديهم لا بأقْسَمهم وما هيأتهم ، فهم لا يقدرون على تحليل أبدانهم وتركيبها مع غيرها من المواد فاذا تمثل الملك أو الجن في صورة كثيفة كمصورة البشر أو غيرهم أمكن للبشر أن يروه ولكنهم لا يرونه على صورته وخلقته الاصلية بحسب المادة وسنة الله في خلق طله وطالها ، فاذا وقع ذلك كرؤية النبي (ص) لجبريل مرتين كان من خوارق العادات ، والخوارق لا تثبت إلا بنص ، لانها خلاف الاصل ، على أن رؤيته بصورته لا يتنافى التشكل ، إذ يجوز أن تكون مادة صورته اللطيفة التي لا ترى قد ظهرت بمادة كثيفة فيكون التشكل في هذه الحالة بمادة جديدة مع حفظ الصورة الاصلية ، والتشكل في غيرها بالمادة والصورة معاً ، وعلى أن لا أرواح الانبياء من التناسب مع أرواح الملائكة ما ليس لغيرها ، ففي الحال التي تطلب بها ارواحهم على جنائهم يكونون كالملائكة فيجوز أن يروهم بأي صورة وشكل تجلوا لهم فيه اه

(الشاهد السادس)

كتبت في ص ١٦٢ وما بعدها من جزء التفسير الساج بحثاً آخر في تشكل الملائكة والجن في الصور ورؤيتهم في هذه الحالة وفيه إثبات رؤية النبي (ص) لغير جبريل من الملائكة ورؤية بعض الشياطين

(الشاهد السابع)

قلت في تفسير (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وهي آخر آية من سورة الاعراف ما نصه: أي ان ملائكة الله الذين الذين هم عنده كحجارة عرشه والحافين من حوله ومن شاء بقدس وتعالى بهذه العتدية الشريفة التي لا يعلمها سواه وهم أعلا مقاماً من الملائكة الموكلين بالخلقوات وتدير نظامها لا يستكبرون عن عبادته الخ فراجعه في (ص ٥٥٨ من جزء التفسير التاسع)

ولو شئت إني أذكر جميع الشواهد من تفسير النار على أن اللائكة خلق روحي مستقل قائم بنفسه، وأنهم أنواع أولوعبادات مختلفة وأعمال كثيرة لا يحيط بها إلا خالقها، وأن الإيمان بها واجب، وإنكارها كفر لا زب لال القارئ لها وهذه الشواهد نبهت قاطعة في ذلك بدحض المفترى لهذه البهجة التي أراد جهتها بها من إيهام المطلع على كلامه أننا ننكر حقيقة اللائكة ونجهلهم أعراضا لغريم . وقفني عليها بدحض شبهات علينا من كلام الاستاذ الامام يشتمل على شواهد أخرى من كلامه وكلامنا أخرناها لمناسبتها لها

المقال السادس

شبهة الطاعن الحرف في مسألة اللائكة

ان تفسيرنا للآيات الواردة في قصة آدم عليه السلام من سورة البقرة قد بلغت ٣٣ صفحة من الجزء الاول من تفسير النار (صفحة ٢٣١ الى ٢٨٤) وأكثره لشيخنا الاستاذ الامام قدس الله روحه - فانزع طمان مجلة الازهر منها عبارة واحدة فرعية محكية جعلها أصل الموضوع وعقيدة لصاحب النار في اللائكة بقول الزور، وإنما هي حكاية حكاها الاستاذ الامام عن بعض الناس ونقلها مؤلف التفسير عنه، فلو كانت كفراً لكانت من باب حاكم الكفر ليس بكافر فكيف بالحاكم عن الحاكم، وانا نلخص الموضوع في خمس مسائل بمباراة مختصرة يفهما كل قارئ

(المسألة الاولى)

ان آيات محاورات اللائكة للرب عز وجل في خلق آدم عليه السلام من التشابهات الواردة في شأن عالم الغيب وان لالماء المسلمين في مثلها طريقتين (إحداهما) طريقة السلف وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل... وتفويض الامر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بان الله يعلمنا بمضمون كلامه مانستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا ويأتينا في ذلك بما يقرب هذه المعاني من عقولنا وتخيلاتنا

(والثانية) طريقة الخلف وهي التأويل . يقولون ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على أساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المقول . فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قوينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبه بالتأويل

(قال الاستاذ) وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله وصفاته وعالم الغيب . واننا نسير في فهم الآيات على كلتا الطريقتين لانه لا بد للكلام من فائدة يحمل عليها لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد له معنى هذه عبارة الاستاذ الامام التي أوردتها في ص ٤٢ من مجلد المنار الخامس ثم في ص ٢٥٢ من جزء التفسير الاول ثم زدت عليها قولي :

(وأقول) أنا مؤلف هذا التفسير اني والله الحمد على طريقة السلف وهداهم عليها احيا وعليها أموت ان شاء الله تعالى ، وانما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختباري للناس انما انتشر في الامة من نظريات الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والتأويلات الخرين جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح ومخطئة ما يخالفه ، او طول ممارسة الرد عليهم »

ثم وضحت هذه المسألة في صفحة ٢٥٣ برمتها فبينت فيها لقاريء المؤمن ان الخير له ان يعلمن بمذهب السلف ولا يحفل بغيره فان لم يعلمن قلبه إلا بتأويل يرضاه أسلوب اللغة العربية فلا حرج عليه باتفاق أهل السنة سلفهم وخلفهم

(المسألة الثانية مذهب السلف في اللائكة)

قال الاستاذ الامام : أما اللائكة فيقول السلف فيهم انهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض علمهم ، فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم ، فنغوض عنها إلى الله تعالى ، فاذا ورد أن لم أجنحة تؤمن بذلك ، ولكننا نقول انها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطير ، إذ

لو كانت كذلك لرأيناها ، وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فإنا نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر أطف من هذا العالم المحسوس وأن له علاقة بنظامه وأحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته . ويحكم بصدق الوحي القبي أخبر به . ٨١ من الصفحة ٢٥٤ ج أول تفسير . فهل يتفق هذا مع زعم مجلة الأزهر أننا نقول أن الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية ؟

نم تكلم فيمن بحثوا في جوهر الملائكة وقفى عليه ببيان فوائد الخطاب بينهم وبين الله تعالى وهي أربع تراجع في ص ٢٥٤ و ٢٥٥ منه . وقفى على هذا بطريقة الخلف ومن تكلم منهم في حقيقة الملائكة وكون قصة آدم على طريقته « وردت مورد التمثيل لتقرب من أفهام الخلق ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الالدية ، وما لها من الكرامة والخصوصية »

(المسألة الثالثة أنواع الملائكة)

قال رحمه الله : نطق الوحي ودل العيان والاختبار على أن الله تعالى خلق العالم أنواعاً مختلفة ، وخص كل نوع غير نوع الإنسان بشيء محدود معين لا يتعداه ، فأما ما لا نعرفه إلا من طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والأحاديث ما يدل على أن وظائفه محدودة . قال تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون * وإنا لنحن الصافون * وإنا نحن المسبحون) — والعصاف صفاً ، فالزجرات زجرات الجحيم والنازعات غرقاً ، والناشطات نشطاً ، والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً ، فالمدبرات أمراً) على قول من قال أن المراد بها الملائكة . — إلى غير ذلك مما يدل على أنهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، وورد في الأحاديث أن منهم الساجد دائماً والراكم دائماً إلى يوم القيامة . (٨١ من ص ٢٥٩ منه) — أفلا يد هذا خصاً صريحاً في اقراء مجلة الأزهر علينا أننا نقول أن الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية

(المسألة الرابعة في الملائكة والشیاطین والخواطر)

قال الاستاذ الامام في الملائكة والشیاطین ما نقلته عنه في الصفحة ٢٦٦ وما بعدها من جزء التفسير الاول ملخصاً (والعبارة لي) تقدم ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته ، وإنما نؤمن به بإخبار الله تعالى الذي نقف عنده ولا تزيد عليه ، وتقدم أن القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف لكل صنف وظيفة وعمل ، ونقول الآن ان إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي ﷺ وقد أسندنا الى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً ، وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محلله الروح . فالملائكة والشیاطین اذاً أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح أن تمثل الملائكة بالتمثيل الجثمانية المعروفة لنا (لان هذه^(١) لو اتصلت بأرواحنا ، فأما تتصل بها من طرق أجسامنا ، ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور يدعي الخير من النفس ، فإذا هي من عالم غير عالم الأبدان قطعاً) والواجب على المسلم في مثل هذه الآتية الايمان بمضمون ما تم التوفيق أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سبقت لها القصة (وأقول) ان اسناد الوسوسة الى الشیاطین معروف في الكتاب والسنة ، وأما اسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمریم عليها السلام ومن حديث الشيخين في المحدثين وكونهم مكرمينهم - والمحدثون يفتح الدال وتشديدها الملمحون - ومن حديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو : ان للشيطان لغة بين آدم وللملك لغة : فأما لغة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لغة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يمدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الاحوص . والرواية إيعاد في اللوحيين كما أن الآية من الثلاثي في اللوحيين ، فما قانونه في التفرقة بين الوعد والایعاد أغلبي فيما يظهر وإلا فهو غير صحيح . والله بالفتح الإلهام بالشيء والاصابة

(١) هذا التعليل كتبه شيخنا بقلمه بعد نشر هذا التفسير في المنار وقبل طبعه على حدة .

(المسألة الخامسة وهي مثار شبهة مجلة الازهر)

جاء في صفحة ٢٦٧ وما بعدها منه مانصه :

(قال الاستاذ) وذهب بمض الفسرين مذنباً آخر في فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من إماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه إماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة ، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان ، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده فانما قوامه بروح الهي سمي في لسان الشرع ملكا ، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمى هذه الماني القوى الطبيعية إذ كان لا يعرف من عالم الامكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة . والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرأ هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها ، لا يمكن لما قل أن ينكره ، وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة ، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً ، لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع - فالحقيقة واحدة والمائل من لا تحججه الاسماء عن المسميات [وإن كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجوداً لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها . ولا يعلم إلا الله على م مختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ، ولا يصل بقله الى إدراك كنهه . وماذا على هذا الذي يزعم أنه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أعرف أثره وإن كنت لا أقدر قدره ، فيفتق مع المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ، ويحظى بما يحظى به المؤمنون ؟] إجماله الاستاذ الامام في المسألة وهو محل التهمة ، وهذه العبارة التي بين علامتين هكذا [.] قد كتبها بقله كالتالي قبلها

﴿ خلاصة ما تقدم من الرد على هذه البيعة ﴾

(١) ان عقيدتنا وعقيدة شيخنا الاستاذ الامام في الملائكة هي عقيدة سلف الامة الصالح وهي انهم من عالم الغيب الذي تؤمن بكل ما جاء في كتاب الله وثبت عن رسوله ﷺ من أخباره من غير تأويل ولا زيادة ولا نقصان ولا رأي ولا قياس . وقد أكثرنا من الشواهد على هذه العقيدة ، وخلصنا ان الملائكة من عالم الارواح العاقلة المستقلة وانهم أنواع لكل منها وظائف وأعمال خاصة به لا نبحث عن حقيقتها بآرائنا

(٢) ان علماء الكلام ومن تبسبهم من المفسرين والعقهاء يتأولون أكثر أخبار الغيب من صفات الله وأسمائه ومنها بعض ماورد في الملائكة

(٣) اتفاق علماء السلف والخلف في الامة على من تأول شيئاً منها تأولا مبتدعاً لا ينقض شيئاً من أمور الدين القطعية المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة وهو مذعن للأمر والنهي يكون معذوراً في تأوله فلا يحكم بكفره .

(٤) اتنا نقلنا عن أستاذنا في تفسير قصة آدم ان بعض المفسرين من علماء الخلف للتأولين ذهب الى ان مجموع ماورد في نوع الملائكة الموكلين بالاعمال من إتمام نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك لا في كل أنواع الملائكة فيه إيماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر البارة وخلاصة هذا الإيماء ان الروح الالهي الذي قام به نظام هذه الاعمال هو أمر وجودي خفي لا ندرك حقيقته ، وان المعنى الالهي لا المطابق لمعنى النصوص يتفق مع قول الدين يثبتون هذا للروح الخفي من التكرين للوحي وعالم الغيب ويمبرون عنه بالقوى الطبيعية في الاشياء لانهم اذا سئلوا عن حقيقة هذه القوى يعترفون بانهم لا يبرهنونها ، وبهذا يكون الخلاف في التسمية فالمؤمنون بالوحي يسمونها بالقوى الطبيعية . والجامع بين التسميتين ان ذلك أمر يعرف بأثره ولا تعرف حقيقته

فالاستاذ يحكي هذا عن بعض المفسرين وانهم قالوه من باب الإيماء والاشارة

لامن باب التفسير لنص أو الظاهر من العبارة . وصرح بأن غرضه منه أن من يميل إليها ويطمئن بها قلبه لا يكون كافراً خارجاً من هذه الملة السمحة ، فهو لم يكن موافقاً لهم على هذا الإيحاء بل لم يكن موافقاً لهم على ما قالوه من أن هذا النوع من الملائكة هم المراد بمثل قوله تعالى (والنازعات غرقاً — الى قوله — والمدبرات أمرأاً) فانه فسر هذه الاشياء في سورتها بالكواكب لا بالملائكة

(٥) ان محرر مجلة مشيخة الازهر والمضو في هيئة كبار علمائه يرى هذا كله . ثم يفسر في هذه المجلة ان الشيخ رشيد رضا قد قرر في مجلته وتفسيره ان الملائكة في مجلتهم عبارة عن القوى الطبيعية واحتج عليه بحوار الملائكة لربهم في خلق آدم (ع.م) وآيات أخرى ليفهم قراء هذه المجلة التي رزى بها الاسلام ان صاحب النار ينكر أن يكون لله ملائكة غير هذه القوى الطبيعية .

فان كان هذا العلامة لم يفهم مما ذكر كله على جلالة ووضوحه وتكراره والتكرار يعلم... ما نستحسن ذكره ولا يجوز تفسير الامثال، ويؤثر في الاحجار، كما قال الشاعر :
أما ترى الجبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

أقول : اذا كان لم يفهم من هذا كله ان صاحب النار ناقل عن ناقل عن بعض المفسرين المتأولين المتألفين لاعتقادهما الثابت بما تقدم من الشواهد الصريحة وغيرها ، فصرح لعدم فهمه وتمييزه بين المنقول فتقريب ، والمقول المتعبد مما التأكيد ، بان صاحب النار هو الذي يستعمل نقله عن نقله عن غيره ، دون ما صرح بأنه اعتقاده الذي يدين الله به . فكيف يوثق بملء فيه وبجمل مدرسا في الازهر ومحرراً في مجلته ؟ وإن كان قد فهم هذا كله وتمسك بحريف الكلم عن مواضعه ، واقتراء الكذب على صاحب النار بالظن في عقيدته ، انتقاماً لنفسه ، بعد أن بين صاحب المنار في مجلته خطأ وجهه بتصحيح بعض الاعاديث التي صرح أوسع الحفاظ علماء الجرح والتعديل بوضوحها ، وعدم تمييزه بين دعاء البادة الخالص بالله العباد وربهم والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه خلقه ، وبين دعاء المادة واستغاثة الناس بعضهم ببعض في الامور الكسبية ، وعدم تمييزه بين السنة والبدعة . أقول : إن كان قد فهم هذا كله واستباح معه هذا الانتقام بالتحريف والاقتراء والبهتان فكيف

يوثق بدينه وبقله ، وبأمانته على العلم ، ورحم الله الشاعر الذي قال :
إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم
يجب على الأمة أن تسأل شيخ الأزهر عن هذا فإن لم يجيبها كما امتنع إلى
الآن عن الأذن لإدارة المجلة بنشر ما أرسلناه إليها من الرد على هذا البهتان ، فليرجعوا
إلى بسط شكواهم إلى السلطة العليا المسيطرة على مشيخة الأزهر لعلها تنصفهم منه
واختم هذا بأني قد رددت في المنار على من قال بمثل ما قلته الأستاذ الامام
عن بعض المفسرين أو قريب منه وهو تسمية بعض القوى الطبيعية بالملائكة
تأكيداً لفضيحة المقري ومجلة الأزهر

« رد المنار على من زعم أن بعض الموالم الطبيعية وقواها من الملائكة »

ان النار كان ولا زال بالمصاد لتأولي نصوص الكتاب والسنة بما يخرجها عما
فيه المصدر الاول وقد قال الدكتور محمد توفيق صديقي في كتابه (دروس سنن
الكائنات) إن كلمة ملك أصلها مأك ومعناها الرسالة فهي تطلق على كل رسول
عما يرسله الله الى هذا العالم من المادة او قواها فما يرسله منها يصبح ان يسمى ملكا بلا
نزاع فالريح تسمى ملكا ورسول الله ولذلك قال تعالى في الرياح (والرسلات عرقا) الخ
وان انواع الميكروبات الخفية المؤثرة في تغيير بعض الاشياء ونحوها وفي الامراض -
كلها من قبيل الملائكة والجن

وقد نشرت له هذا في ص ٦٠٣ من مجلد المنار الثامن عشر وعلفت عليه في الحاشية
بالرد الآتي

« المنار : ما قلته الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعا ، إلا انه مذهب
له واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لاجلها أجزأنا نشره ، وهي
أن المفورين بما أصابوا من علم البشر القليل بشئون الكون يجهلون أنهم بذلك
الغليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وبخالفه أيضا ، وان ما لا ينطبق
على علمهم لا يكون صحيحا وان كان ممكنا في نفسه . فمثل هذه التأويلات تقطع
ألسنة هؤلاء الواهمين المفورين دون الاعتراض على النصوص ، أو تزيل شبهاتهم
فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولا أن يكون أحدهم متدينا مؤولا ،
خير من ان يكون زنديقا أو معطلا

أما بيان ضعف ما ذكر لغة فلان الالفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية
لا يجوز ان يدخل في مفهومها كل ما يتناسب الأصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه
شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم القيب الذي يجب على كل مؤمن الإيمان به كما

ورد في خير الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكنات عقلا والايان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والاول هو الايمان بالله تعالى ، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصنفها هؤلاء الكتاب بالدينونة الحقة ؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس بعيد لفة ولا ممنوع شرما فقد ورد ان الجن أنواع ومنه ما هو خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلًا ببعض شؤون الكون وسببا له . وتفصيل هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية اهـ .

﴿ شبه لفظية ، يظنها الجاهل علمية ﴾

نشرنا في صفحة ٢٥٥ من مجلد المنار الخامس سنة ١٣٢٠ تحت عنوان (الملائكة والنواميس الطبيعية) مانصه :

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية ، والنواميس التي بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » وأمثاله . والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو أن الملائكة عالم مستقل مستر عننا . وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكري الملائكة الى التصديق لان بعض ماورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ ؟ لا أن الكلام . كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم اهـ

وأقول الآن ان هذه الشبهة التي عرضت لبعض الناس منذ ٣١ سنة وكشفنا له . خطأه فيها ففعله ورضيه - هي التي يقولها الشيخ يوسف النجوي حتى اليوم : يقول ان التأويل الذي ذكر في تفسير المنار هو صريح في ارجاع نصوص الدين . إلى أقوال علماء الطبيعة ، لا إرجاعهم هم إلى نصوص الدين ، فهل يقول هذا بعد كل ما تقدم رجل يحفل أو يفهم ما يسمع وما يقرأ له ؟

بلغني أنه بنى على هذه الجملة في هذه الشبهة مقالا طويلا استدل فيه بها على تأييد بهيته الاولى بالرغم من كل ما تقدم وهي أننا نقصد أن جميع للملائكة قوى طبيعية . وأنا نريد بذلك رد نصوص الدين إلى عقائد الطبيعيين ، وأراد نشرها في مجلته المشيخة فتمنع شيخ الأزهر المجلة من نشرها لما فيها من تسجيل فضيحة المجلة وفضيحة النجوي . وقد تطلق النجوي من هذه الجملة بالابهام والالجال بكلمة (لان بعض ما ورد يوافق ما يعتقدون) أي ما يعتقد المنكرون لوجود الملائكة . فأراد أن يهدم بها جميع تلك النصوص الصريحة المقصلة المبينة التي كتب أكتوها بعدها ! لان مبلغ النجوي وأمثاله من العلم محصور في التشكيك والمناقشات اللفظية في العبارات الجزئية ، دون تحقيق أصل الموضوع في المسائل العلمية كما تقدم .

المقال السابع

البهية الثانية انظار الجن

هذه أخت التي قبلها ، والكلام فيها يتم لما قبله ومشارك معاني بعض شواهد
كما تقدم في غامّة المقالة السابقة ، ولهذا قدمناها على مسألة الشمس
قال في مجلة الازهر بعد مسألة اللاتكة « ومثل ذلك ماقرره في المكروبات
عند ذكر الجن في القرآن . وليت شعري هل هذه المكروبات الجنية هي التي كانت
تعمل لسلطان مايشاء من محاريب وبنائيل وقدور راسيات ؟ وهل هي التي قال
عفريت منها لسلطان (ع) أنا آتيك به « برش بلقيس » قبل أن تقوم من مقامك
واني عليه لقوي أمين ؟ وهل هي التي قالت لقوه (إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد
موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الخ ؟ اه بنصه -
وقد أعاد هذه المسألة في غير المجلة

يوم محرر مجلة مشيخة الازهر من ابتلام الله بقراءتها أن صاحب النار يقول
ان الجن الذين أخبر الله بهم في كتابه عبارة عن هذه المكروبات التي كشف
الاطباء أسرارها في القرن الماضي، وأنه ما ثم شيء يطلق عليه هذا الاسم واسم العفاريت
والشياطين غيرهم. وهذا افتراء وبهتان كالذي قبله سواء

الجن خلق خفي مستتر من عالم اليبس أثبتهم جميع الاديان وطريقتنا فيهم
هي وجوب الايمان بكل ما أخبر الله تعالى من أمرهم في كتابه وبكل ما صبح عن
رسوله ﷺ لمن علم به وليس منه شيء قطعي يدخل في العقيدة، ولا يزيد على ما ثبت
عندنا من خبر المصوم شيئا

وقد ورد ذكر الجن والشياطين وإبليس في مواضع كثيرة من أجزاء تفسيرنا
العشرة وفي مواضع كثيرة من مجلة النار فأثبتنا في كل موضع من التفسير ما أثبتته
الكتاب العزيز بما يقربه إلى العقل ورددنا على المنكرين والمتأولين لما هو المتبادر

من النصوص . ولو أردنا إيراد الشواهد منها كالشواهد في الملائكة لطال الكلام فيها لا فائدة من نشره في الجرائد اليومية وأما نشره الى بعض مواضعها لمن يريد مراجعتها ونكتفي منها بما ثبت به ان محرر مجلة مشيخة الأزهر وعضو هيئة كبار العلماء فيه بين أمرين لا ثالث لهما : إما انه لا يفهم ما يقرأ له ولا يحمله مما تكن درجة وضوحه وتكراره - وإما أنه يعتمد الكذب والبهتان والحياة في النقل والعزو انتقاما لنفسه لا خدمة للعلم والدين - لتعلم الامة أن العلم الصحيح لا يكون بالالقاء الرسمية، ولا بمجرد الشهادات المدرسية . وقد بينا في المنار وفي تاريخ الاستاذ الامام ما كان من قيمة شهادات العالمية في الأزهر وما كان من الحياة والرشوة فيها قبل الاصلاح الذي وضع قواعده ذلك المصلح العظيم . على أن الاصلاح لم يشف الملل كلها كما يعلم أهل الأزهر أكبر من غيرهم . ومن شاء الوقوف على هذه الحقائق فليقرأ المقصد الثاني من الفصل السادس من (تاريخ الاستاذ الامام) من صفحة ٤٢٥ - ٤٨٤ باكيًا على العلم والدين.

(بعض الشواهد في مسألة الجن والشياطين)

(١) جاء في تفسير (٢: ٢٤) واذا قلنا للملائكة اسجدوا لا دم فسجدوا الا إبليس (من جزء التفسير الاول (ص ٢٦٥) ما نصه ملخصاً من درس الاستاذ الامام: « أي سجدوا كلهم أجمعون الا إبليس وهو فرد من أفراد الملائكة كما يفهم من هذه السورة وأمثالها في القصة الا آية الكف فانها ناطقة بأنه كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلاً جوهرياً يميز أحدهما عن الآخر، وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف، كما ترشد اليه الآيات فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة، وقد أطلق في القرآن لفظ الجنة على الملائكة على رأى جمهور المفسرين في قوله تعالى (١٥٨: ٣٧) وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) وعلى الشياطين في آخر سورة الناس

زد الاستاذ الامام هنا بعد نشر تفسير هذه الآيات في المنار سنة ١٣٢٠ ما نصه بخطه « وعلى كل حال فجميع هؤلاء المسميات بهذه الائمة من عالم الغيب

لا نعلم حقائقها ولا نبحث عنها ، ولا نقول بنسبة شيء إليها ما لم يرد فيه نص قطعي عن المصوم عليه السلام اهـ

فكان رحمه الله يرى ان تعريف الملائكة والجن بالحد المنطقي متعذر لانهم من عالم الغيب وقد اشتهر كوا في اسم الجن المفيد لحى الخفاء والستر والمعقول ان يكون تعريفهم بالرسم وهو الصفات كالطاعة والعصمة للملائكة دون الجن فهم في الجنس الروحي الخفي كالأنبيا في البشر ، والشياطين كأشرار البشر الظالمين المجرمين الفاسقين ، وسائر الجن كسائر البشر يتفاوتون في الصلاح والفساد مثلهم . وللاغب الاصفهاني كلام كهذا في مفردات القرآن ذكرته في تفسير سورة الاعراف (٢) ما تقدم نقله عن الاستاذ الإمام في المسألة من بحث الملائكة وتعلقنا عليه وهو مسألة اسناد الوسوسة الى الشياطين والالهام الى الملائكة وما هو ببعد

(٣) ذكرت في صفحة ٩٦ من الجزء الثاني من التفسير ان قوله تعالى (١٦٧:٢) ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه ليكم عدو مبين) لا يقتضي معرفة ذات الشيطان وانما يعرف بأثره وهو وحي الشر وخواطر الباطل والسوء في النفس التي يفسرها . قوله تعالى (انما يأمر كرم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وفصلنا ذلك تفصيلا ، وكذا تفسير هذه الجملة بعينها من آية (٢٠٧) من سورة البقرة أيضاً وهو في ص ٢٥٧ من هذا الجزء وفيه تفصيل آخر

(٤) ذكرت في بحث إعادة مريم وذريتها من الشيطان الرحيم من (ص ٢٩ ج ٣) حديث « كل بني آدم بمسه الشيطان يوم ولده أمه بالإصرم وابنها » وتفسير البيضاوي للسب بالطمع في الاغواء ، وقول الاستاذ الامام ان الحديث من قبيل التمثيل ، — وحديث اسلام شيطان النبي عليه السلام وما يرد على الموضوع من قوله تعالى (٤٢: ١٥) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ومشاعبة دعاة النصرانية للمسلمين في تفضيل المسيح على نبينا وما يرد عليهم من انجيل مرقس في تحجيرة إبليس ليسوع المسيح أربعين يوماً لم يأكل فيها طعاماً مع تحقيق المسألة . وهذا كله يناق في الافتراء علينا باننا نقول ان الجن والشياطين عبارة عن اليكروبات فقط

(٥) في الصفحات ٤٢٥ — ٤٣٠ من جزء التفسير الخامس تفسير لقوله تعالى

(٤ : ١١٧) ان يدعون من دونه إلا إناثا وان يدعون إلا شيطان مريداً — الى الآية ١١٩) بينت فيه نصيب الشيطان من الناس وإضلاله لهم واشغالهم بالأماني وما يأمرهم به في وسوسته وحال من يتخذه وليا من دون الله ، وهو في جلسته وتفعيله يدحض شبهة مجلة الازهر وبهتانها

(٦) في (س ٦٥ ج ٦) تفسير لقوله تعالى (١٢٧: ٦) يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس (الآية وفي أوله « وانما يسمى كل من الجن والانس معشراً لانهم جماعة من عقلاء الخلق » وفي هذا البحث شبهنا تأثير الشياطين في النفس بتأثير الميكروبات في الجسم بعد ذكر التكرين لوجود الجن وهذا نص غابرتنا :

فان كل انسي يوسوس له شياطين الجن بما يزين له الباطل والشر ويفريه بالفسق والفجور كما تقدم مفصلاً^(١) فان هذا الخلق الخفي الذي هو من جنس الارواح البشرية يلبسها بقدر استعدادها للباطل والشر ويقوي فيها داعيتهما كما تلبس جنة الحيوان الخفية الاجساد الحيوانية فتفسد عليها مزاجها وتوقعها في الامراض والادواء ، وقد مر على البشر ألوف من السنين وهم مجهلون طرق دخول هذه النسم الحية في أجسادهم وتقوية الاستعداد للامراض والادواء فيها ، بل إحداث الامراض الوبائية وغيرها بالفعل ، حتى اكتشفها الاطباء في هذا العصر وعرفوا هذه الطرق والداخل الخفية بما استحدثوا من المناظير التي تكبر الصغير حتى يرى أكبر مما هو عليه بألوف من الاضفاف . ولو قيل لا كبر أطباء قدماء المصريين أو الهنود أو اليونان أو العرب ، ان في الارض أنواعا من النسم الخفية تدخل الاجساد من خرطوم البعوضة أو البرغوث أو القملة ومع الهواء والماء والطعام وتنمي فيها بسرعة عجيبة فتكون ألوف الألوف وبكثرتها تتولد الامراض والوبئة القاتلة — لقالوا ان هذا القول من تخيلات المجانين . ولكن المعبج لمن ينكر مثل هذا في الارواح بعد اكتشاف ذلك في الاجساد ، وأمر الارواح أخفى ، فقدم وقوقهم على ما يلبسها ألوفاً من السنين أولى . وقد روي في الآثار ما يدل على جنة الاجسام ولو صرح به قبل اختراع هذه المناظير التي

(١) سبق ذلك في مواضع أشبهها بما هنا ما في ص ٥٠٨-٥١٥ ج ٧ تفسير

ترى بها لكان فتنة لكثير من الناس بما يزيدهم استبعاداً لما جاء به الرسل من خبر الجن ، ففي الحديث « تنكبوا القبار فان منه تكون النسمة » والنسمة في اللغة كل ما فيه روح وفسره ابن الاثير في الحديث بالنفس (بالتحريك) أي تواتره الذي يسمى الربو والنهيج وتبعه شارح القاموس وغيره ، وهو يجوز لا يؤيد الطب ما يدل عليه من الحصر . وروي عن عمرو بن العاص : اتقوا غبار مصر فانه يتحول في الصدر إلى نسمة . وهو بعيد عن تأويلهم وظاهر فيما يقوله الاطباء اليوم وهو مأخوذ من الحديث الذي تأولوه ، وعمرو من فصحاء قريش .
جها بنة هذا اللسان اه

وذكرت في مواضع أخرى من النار ماورد من الآثار في انواع الجن ومنها حديث « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب » أخرجه ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي وأبو الشيخ وابن مردويه . وفي معناه غيره

(٧) في (ص ٣٢٨ — ٣٧٢ جزء ٨) بسط قصة آدم مع إبليس . وقد فصلت في هذا البحث ما تقدم في سورة البقرة من كون الجن الروحاني جنساً يشمل الملائكة . وقالت ان لفظ الجنة اللغوي يشمل الجن الروحاني والجن المادي التي تسمى للكرويات (ص ٣٤٢) ثم فصلت هذا في تفسير قوله تعالى من هذا السياق (انه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم) تفصيلاً موضعاً لهذا البحث يرجع في ص ٣٦٤ — ٣٧١ ومنه يعلم مأخذ شبهة المغتري المحرف للكلم عن مواضع

ولا نطبل القول في هذا لانه لا طائل تحته ، وحسبنا ما ذكرنا دليلاً على قلة اطلاع المغتري علينا وسوء فهمه وفساد نيته ، وما سيأتي في القال الآتي أقوى دليلاً ، وأقوم قیلاً .

المقال الثامن

(البهيتة الثالثة ما سماه تكذيب سجود الشمس)

هذه هي البهيتة الكبرى التي افترتها علينا مجلة مشيخة الازهر وسمتها «عظيمة المظالم» لتذكرنا من حيث لا يدري محررها بقوله تعالى فيما دونها من الخوض في حديث الافك (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وكل جريمة تصغر وتتضائل دون ما سماه «تكذيب الله ورسوله وتجهيلها» وقد أكثر من إعادتها وتكرارها في الجرائد حتى كدنا نظن أنه صدق نفسه في اختلاقها أو خدع الناس فصدقوها، والكلام فيها من وجوه (١) صيغة القرية ومفهومها (٢) مأخذها من تحريف مقال لنا في نصر السنة ودهش الشبهات عليها قلبه إلى ضده (٣) عبارتنا التي حرفها وزعم أنه نقلها بنصها وفصلها (٤) عبارة المثري المحرف بنصها (٥) رأي الاستاذ الامام في أمثال هذا العالم (٦) جوابنا عن حديث الشمس (٧) أقوال العلماء المتقدمين في استشكله والجواب عنه

(١) صيغة القرية ومفهومها

قال المحرر بعد افتراءه علينا الافتاء بمحل صلاة التلاميذ المسلمين مع النصارى بالكنيسة - وقد أخرنا الكلام عليه - ما نصه باختصار لكن بدون تصرف :

« بل وصل الامر من اجتهاد مجتهدينا ... ان اجترأ على تكذيب رسول الله ﷺ فيما اتفق عليه البخاري ومسلم عن أبي ذر من أن الشمس تسجد تحت العرش وقال ان الانبياء لا تعرف هذه العلوم ، ولو كان رشيداً لم يضق صدره بذلك ولو سمع إيمانه بالقيب ، فان لم يسمعه إيمانه بالقيب فكان ينبغي ان يسمعه عليه بسعة لغة الرب وكثرة مذاهب البيان فيها ، فان ضاق عليه بما ضاق إيمانه فما كان ينبغي أن تضيق سياسته وهي التي وسبت الشرق والغرب . ويبان ذلك انه كان يستطيع أن يقر في الحديث ما قرره العلماء في قوله تعالى حكاية عن الارض والسماء (قالنا أتيناطا منين)

ثم قال ما أذكره عملاً يقول العلماء « حاكم الكفر ليس بكافر » وانه لتبشع منه جلود المؤمنين :

« وكان ينبغي إذ لم يتسع صدره ولا إيمانه ولا علمه لشيء من ذلك أن يتسع ضياسته لحسن المخرج منه بأية وسيلة غير تجهيل النبي ﷺ ولو أن يرمي البخاري أو غيره من رواة الحديث بالخطأ والكذب ولا يتعرض لرسول الله ، فقد كان تكذيبهم أهون من تكذيبه ﷺ ، فما أضيق دينه وعلمه وسياسته » اهـ بحروفه وما فيها من أدبه مع الرسول الأعظم الذي يدعي تعظيمه و...!!

وقد شعر - خلافاً لطبعه - بأن الذين ابتلاهم الله بقراءة مجلة الازهر لا يصدقون هذه الفرية فزعم انه ينقل لم عبارة صاحب المنار بنصها وقصها ولكنه نقل لم عبارة قصيرة مقتضبة منها كن ينقل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) دون ما بعده من الآية . وستسلمون أيها المسلمون من يباي لا تله ولا ضله ولما قررته في هذه المسألة أي الفريقين « أضيق ديناً وعلماً ... » أصحاب المنار أم هذا الضو في هيئة كبار علماء الازهر ؟ وتعلمون درجة صدق المشيخة في مجلتها ومقدار أمانتها على العلم والدين ، وصدقها في إرشاد المسلمين ، في جرئها على ما تقدم وعلى قولها في آخر هذه المقالة نموذ بالله منها ومنه ثم من الشيطان الرجيم ^(١)

« فالشيخ إذا محلي لله ورسوله ، مكذب لقرآن والسنة ، وإن شئت فقل مجمل لها » !! ثم شعر بأن الناس يكذبونه ولكن لم يشعر بما يستلزمه هذا الطعن في كلام كتب سنة ١٣٢٧ في مجلة المنار - أي منذ ٢٣ عاماً - من الطعن في علماء الازهر في سكوتهم عن الانكار عليها وهي تحاطب علماء الاسلام وغيرهم في كل سنة بما يجب عليهم من بيان ما يجدون فيها من خطأ ، أفلا يلزم من سكوتهم هذا وقوع الطعن عليهم في دينهم وعلمهم ؟ بل لو كانت المجلة صادقة ، أما وهي مفترية قائما يقع ذلك على من أنكر الحق المعروف ونطق بالباطل والزور ومن أقروا وهو قادر على منه

(١) وضع المخطوط فوق الكلام الذي يراد التنبيه عليه طريقة علمائنا وأما وضعها تحته فهي طريقة أجنبية وأنا أخضعها بالتعاون الفرعية

يفهم كل من قرأ عبارة هذه المجلة ان صاحب المنار رأى في الصحيحين حديثاً فيه ان النبي ﷺ أخبر ان الشمس تسجد تحت العرش فاعتقد صحة سنده أى عدالة روايته وصدقهم وسلامته من كل شذوذ وعلة، وإنما كذب خبر هذا السجود فيه لانه لم يكن عنده من العلم باللغة ولا من الايمان بالنبي ولا.. ولا.. ما يحمله على تصديق رسول الله ﷺ فيه حقيقة ولا مجازاً — وقد رأيت أدب هذه المجلة في التعبير عن هذا المعنى المغترى والبهتان الجريء

(٢) ما أخذ التهمة من مقال في تأييد السنة والدفاع عنها

انني ذكرت حديث أبي ذر في مسألة الشمس في المجلد الثاني عشر من المنار في سياق الاحاديث المشككة وطرق الحل لمشكلاتها من مقال طويل في تأييد السنة كان حكماً فاصلاً في مناظرة تلو مناظرة في أصل الاسلام أو أصوله وفي النسخ وأحاديث الآحاد هل هي من الدين أم لا؟ — دارت هذه المناظرات في أثناء أربع سنين فجعل البهات المغترى نصرنا للسنة ودفاعنا عنها تكديباً وكفرأ لصاحبها ﷺ ولكتاب الله الذي نطق بسجود كل شيء لله عز وجل — والبياد بالله من بهتان من لا يخاف الله

ذلك ان البهانة الشهير المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي كان كتب مقالا عنوانه (الاسلام هو القرآن وحده) وقد نشر في المجلد التاسع من المنار تحدياً للعلماء ولا سيما علماء الازهر أن يردوا عليه فكبر ذلك عليهم، وقال بعضهم لبعض ان صاحب المنار هو الذي يريد أن يجذبنا إلى المناظرة معه، وأمسكوا عن الرد عليه، حتى جاءني من قال لي ان فلاناً من العلماء يريد الرد على الدكتور إذا كنت أنت لا ترد عليه، فقلت وأني لا أرد عليه ولكنني قد أحكم في المناظرة أخيراً إذا احتيج الى حكمي

فرد العالم الذي أخبرني عنه على الدكتور بمقالين رد عليهما الدكتور أيضاً ثم حكمت في المسألة حكماً نشر في الجزء الاخير من المجلد التاسع، فكتب الدكتور اعترافاً برجوعه عما أقنعته بأنه كان مخطئاً فيه. ونشرت خطابه هذا في صفحة ١٤٠ من مجلد المنار العاشر

ثم كتب مقالا آخر عنوانه (النسخ في الشرائع الالهية) أنكر فيه وجود النسخ في القرآن مطلقا وزعم ان السنة القولية (الاحاديث) قد نسخ بعضها بالقرآن وبعضها بالسنة ولم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن ونشرنا هذا المقال في الجزء التاسع من مجلد المنار العاشر وطالبنا العلماء بالرد عليه بشرط التزام مايليق بالعلماء من الادب والنزاهة واحترام المناظر . فلم يتصد أحد من علماء الأزهر للرد عليه ولكن رد عليه العلامة الشيخ صالح اليافي من علماء الحضارة المقيمين في حيدرآباد الدكن (الهند) بست مقالات نشرت في ستة أجزاء من المجلد الثاني عشر من المنار وقد حكمتي للتناظر ان حكمت بينها بمقال أبدت به السنة وشرعية العمل بالاحاديث القولية بشرطه .

(٣) عبارة التي حرقها البهات المفتري

بينت في تلك المقالة مسألة (أحاديث الآحاد والدين) ثم مسألة (أحاديث الآحاد تفيد العلم أو الظن) بما لم أعلم ان أحدا سبقني إلى مثله في نصر السنة في التفرقة بين اليقين اللغوي الشرعي ، واليقين المنطقي الاصولي . وانتقلت من هذا الى بحث ما يوثق به وما لا يوثق به من الروايات ، وما انتقده المحدثون من أحاديث الشيخين (البخاري ومسلم) بجرح كثير من روايتها وغلط بعض متونها وذكرت بعض المتنون التي حكوا بالغلط فيها ، ومنها حديث شريك عند البخاري في المراج إذ صرح بأنه رؤيا منامية وخالف غيره من رواة البخاري في مسائل أخرى فيه — وحديث مسلم « خلق الله التربة يوم السبت » الخ — وحديث صلاة الكسوف بثلاث ركعات وثلاث سجودات في كل ركعة وغير ذلك ثم قلت مانصه :

« وجملته القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث . لا مجال للزعم في متونها ولا في أسانيدها ، والقليل منها يختلف فيه وما من إمام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فاذا جاز رد الرواية التي صح سندها في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وجاز رد رواية خلق الله التربة يوم السبت لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والارض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك ، فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن منـ

حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالروايات في نسخ التلاوة) ولا سيما لمن لم يجد لها تخریجاً يدفع الشبهة كالذكر محمد بنوفيق صدق وأمثاله كثيرون . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي ﷺ ردها الاستاذ الامام ولم يعبه شيء مما قالوه في تأويلها . لان نفس النبي ﷺ أعلى وأقوى من أن يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٨ : ٢٥) وقال الظالمون إن تتبعمون إلا رجلا مسحوراً) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده (٩) انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)

«ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب؟ والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلع الخ وقد سألتنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لأننا لم نجد جواباً مقنعاً للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفه عين كما هو معلوم بالمشاهدة علماً قطعياً لا شبهة فيه ، فاذا قلنا إنها يصدق عليها مع ذلك أنها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشئته الله تعالى ولأن كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — إن لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لا حقيقية فهي معنوية — إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لموضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب ، فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقاً ظاهراً لا صواباً فيه ؟ اللهم لا .

«ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على أنه من باب الرأي في أمور العالم والانباء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم يقل أئمة الدين إنهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأثير النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه » اهـ . هذه هي عبارتنا بنصها وقصها التي استند اليها البهات المحرف في اتهامه إيانا . يرد حديث عمر في رجم الشيخ والشيخة وانه كان آية من القرآن — ورد حديث سحر اليهودي للنبي ﷺ — وحديث سجود الشمس وتكبيره لاسرائيلها وردت في الصحيحين — ونحن إنما ذكرنا هذه الاحاديث وغيرها كحديث للمراج وحديث

صلاة الكسوف وحديث خلق السموات والارض في سبعة أيام - من باب التمثيل للاحاديث المشككة التي تتعلق بموضوع المناظرة التي حكنا فيها بما بيننا به مزية الصحيحين وان ما انتقد المحدثون وللتكلمون والفقهاء وردوه من أحاديثها قليل لا ينافي تفصيلها على غيرهما ، وقد ذكرناها بموضوعها لا بنصوصها بل لم نذكر حديث عمر في الرجم مطلقا لان المقام مقام التمثيل لما انتقد بعض المتناظرين بالاجال ، ولم نذكرها لاستئناف انتقاد عليها أو استشكل لها من عند أنفسنا ، ولا لاجل الاجوبة عنها فان هذا قد بيناه في مواضع أخرى من النار وتفسيره ، ولكل مقام مقال ، من تفصيل وإجمال ، وهذا مسمود في جميع الكتب ، فكيف ينكر مثله الصحف ؟ ولكن باغي العنت ، بطرق الغالطة في الجدل ، بجمل حكاية خصمه قول مذهبا له ، وسكوته عن بيان شيء في غير موضع البيان حجة عليه فيما بيننا في موضعه مع تجاهله ذلك البيان ، وباليات محرر مجلة الازهر يكتفي بمثل هذه الغالطة ولا يفترى عليه الكذب البواح ويريمه بالبهتان

وقد صرحنا في ذكر حديث الشمس بأوجه الاشكال فيه هو مخالفة الواقع المشاهدة وهو كون الشمس طالعة دائما لا تغيب عن الارض طرفة عين ، لا السجود الذي زعمه واقرى علينا تكذيبه ، على أن شرار الصحيحين وغيرهم استشكلوا الامرين وأجابوا عنها بما سند كره بعد ، ونحن صرحنا بأن الشمس يصدق عليها أنها ساجدة تحت العرش دائما بالمعنى الذي أثبت القرآن فيه سجود كل شيء لله عز وجل من السكاك والشجر والنبات وغير ذلك ، وذكرنا توجيها آخر لسجودها وهو انه « تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها لمشيئته تعالى » وهو عين المراد من قوله تعالى عن السموات والارض (قلنا أتينا طائنين) الذي قال المفترى انه كان في استطاعتنا ولم نفعله لان اللغة ضاقت علينا ، فلم تضق علينا سعة اللغة بل ضاقت عليه سعة الصدق فافترى علينا - ولكننا قلنا ان سجود الشمس بهذا المعنى أو ذاك لا يرفع الاشكال بمخالفة مضمون الرواية للمعلوم بالقطع من مشاهدة وأدلة علمية على كونها لا تغيب عن الارض كلها طرفة عين . وقال العلماء قبلنا مثل قولنا - كما سنبينه في البحث السابع من هذا الرد

وأما قولنا « ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم » الخ فالمراد به النوع الخالف للواقع للشاهد ، ولا تدل العبارة على أن حديث الشمس المذكور من هذا البعض ، بل تدل على أنه ليس منه ، من وجهين (أحدهما) انني قلت قبلها انني سئلت من قبل بعض علماء تونس عنه وانني الى الآن لم اجب عن هذا السؤال لانني لم أجد جواباً مقنعاً للمستقل في الفهم - وسأشرح هذا المعنى بعد - ولو كان حديث الشمس عندي من هذا البعض لكان جوابي للسائل انه كحديث تأبير النخل الذي قال فيه النبي ﷺ « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما في معناه ، ولم أرجح الجواب

(الوجه الثاني) انني استثنت من هذا النوع من الاحاديث الواردة في أمور الدنيا التي لا تنافي عصمة الانبياء ما إذا كان الاخبار عن عالم الغيب والطاعن يقول ان حديث الشمس منه ، وهو مع رؤيته بل عليه بهذا الاستثناء يفترى علي انني قست حديث سجود الشمس على حديث تأبير النخل ، وانني قلت انه من العلوم التي لا يعلمها الانبياء ولم أفل هذا ، فهو لم ينقل شيئاً من تفسيري للسجود - ولا من حصري للاشكال في ذهاب الشمس وغيبتها عن الارض - ولا من سكوتي عن جواب السائل عنه - ولا من استثناء جملة من قبيل الاخبار عن أمور الدنيا دون أمور الدين والاخبار عن عالم الغيب . مع انه زعم انه نقل عبارتي بنصها وفصها ليؤيد بهذه الفرية تلك الفتريات كلها ، ثم قال انه ينقل محصلها وهو ينقض وعده بنقلها بنصها وفصها ، ولعل غرضه منه ان أكثر قراء مجلته لا يفرق بينهما فيقوم انه صادق أمين في نقله لها وهذا نص عبارته

(٤) عبارة المفتري الحرف بنصها

« وإني أحسن منك بامتياز شديد غيرة على المقام النبوي ، ولعلك تستبعد صدور ذلك من الشيخ أو لاتصدقه ، فلننقل لك عبارته بنصها وفصها وما طعن به على أحاديث كثيرة في البخاري غير هذا الحديث ، ثم توقي من تكذيب الرواة في تلك الاحاديث إلى تكذيب النبي ﷺ في هذا الحديث

« قال في مناره الصادر في آخر رمضان سنة ١٣٢٧ صفحة ٦٩٧ من مجلد السنة المذكورة مانع من عليك محصله لتحكم فيه ، وليتضح به الموضوع الذي نحن فيه ، فانه كالتقدمة له : رد الاحاديث التي في البخاري وغيره الناطقة بأن آية (الشيخ والشيخه إذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآنا يتلى^١ وأن عمر قال ذلك بمجمع من الصحابة ولم ينكر عليه أحد ، وهو معروف لا مرأه فيه ، ويستند حضرته في ذلك ائرد إلى ما تعرف منه مقدار علم الشيخ وتفكيره . يقول : ان ذلك لو تم لكان يتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه ! ولم يفرق الشيخ بين النسخ الذي يكون من قبل الشارع ولا يعرف إلا من جهته ولا يكون إلا في زمنه بارشاده وتبيينه ، وبين التفریط في القرآن وضياع شيء منه . ثم رد الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في سحر النبي ﷺ رد ذلك بتمويهات وخيالات لا تطيل بها » ومثل هذا وذالك ماخالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع النخ - إلى أن قال - فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفة عين كما هو . معلوم بالمشاهدة علماً قطعياً لا شبهة فيه - أي فكلام النبي كذب لا شبهة فيه » اهـ

هذا ما عزاه إلى ذلك المقال بعد زعمه أنه ينقل المباراة بنصها وفصلها ثم محصلها وكلاهما كذب ظاهر من نقلنا لها بحروفها . فهو لم يذكر إلا عبارة مقتضبة ناقصة منها لم تبلغ أربعة أسطر وما ذكره من محصل ونص كله كذب وباطل كما علمت . وزاد ما لا ذكر له فيها كحديث الرجم ، فهكذا يكون صدق العلماء وأمانة النقل عند أحاديث كبار علماء الأزهر ومحرري مجلته الرسمية ، أم هكذا يكون فهم الكلام بطريقة المناقشات الأزهرية

١) عبارتي ليس فيها كلمة واحدة من هذا الحديث . علي أن البخاري لم يرو المسألة هكذا . وهذا المحرر وأمثاله من العلماء الرسميين لا يدرون ما في البخاري إلا إذا راجعوا المسألة فيه ثم لا يدرون لماذا لم يرو هو ولا مسلم في خطبة عمر هذا اللفظ ولا يدرون ما يعارضه لان كتب السنة ليست من علومهم ولا بما يحتاجون إليه

رحم الله الاستاذ الامام الذي كان يقول في أمثال هؤلاء العلماء انهم يتعلمون كتباً لا علماً ، وقد بين مراده من هذا في رسالة التوحيد بعد بيان خلاصة تاريخ علم الكلام الذي لا يزال أمثال هذا الرجل يقتاتشون في بعض كتبه التي لا يفهمون من مواضعها ومقاصدها إلا ما قرره الامام في قوله :

(٥) رأيي الاستاذ الامام في أمثال هذا العالم

« ثم جاءت قن طلاب الملك من الاجيال المختلفة وتغلب الجهال على الامر ، وفشكروا بما بقي من أثر العلم النظري النابع من عيون الدين الاسلامي - فأنحرفت الطريق بسالكها ، ولم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاور في الالفاظ أو تناظر في الاساليب ، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف ، وفضلها التصور

« ثم انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجبهة من ساستهم : فجاء قوم غلثوا في أنفسهم ما لم يعترف به العلم لهم ، فوضوا ما لم يعد للاسلام قبل باحناله . غير انهم وجدوا من نقص المعارف انصاراً ، ومن البمد عن ينابيع الدين أعواناً ، فشردوا بالمقول عن مواضعها ، وتحكروا في التنزيل والتكفير ، وغلوا في ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الامم في دعوى العداوة بين العلم والدين ، وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا اسلام . والدين من وراء ما يتوهمون ، والله جل شأنه فوق ما يظنون وما يصفون ، ولكن ماذا أصاب العامة في عقائدهم ومصادر أعمالهم من أنفسهم يعدطول الخطب وكثرة الخلط ؟ شر عظيم ، وخطب عميم » اهـ

(٦) جوابنا عن الاشكال في الحديث

علم بما تقدم أننا ذكرنا مضمون حديث الشمس في ذلك المقال مع أحاديث أخرى من أحاديث الشيخين المشكلة من باب التمثيل لاثبات قلة أمثالها في الصحيحين ولم يكن من موضوع المقال إيراد ألقاظها ولا الحكم في هذه المشكلات . ثم أننا بينا في موضعين من المنار رأينا في الاشكال ، بما يريء الرسول ﷺ

من كل ماعصمه الله عنه ، كما أشرنا إلى ذلك في المقال الاول من بياننا هذا للأمة إجمال ذلك أني وجدت أن أصح رواياته التي اتفق عليها الشيخان هي ما أخرجاه من طريق الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر — هكذا بالمنعنة — و ابراهيم التيمي قال الحافظ في التقریب : ثقة ولكنه يرسل ويدلس ، فهذه علة في سند أصح روايات الحديث تبطل الثقة بها ، ولمسلم رواية من طريق أخرى ذكر فيها الراوي ماع ابراهيم من أبيه مع عنصته ولم يمتد بها البخاري ، وثم روايات أخرى لا يصح شيء منها سند ذكر بعضها ولذلك عدت فاعتمدت إعلاله من ناحية متنه

وبيان ذلك أنه في أمر غيبي يكثر خطأ الرواة في أمثاله ويختلفون في فهمها فيروونها بالمعنى الذي فهموه وكثيراً ما يكون فهمهم خطأ ، وأكثر الاحاديث المروية بالمعنى لا بلغظ الرسول ﷺ يكثر الاختلاف في ألفاظها ومعانيها حتى الامور الحسية التي يفهمها كل أحد كالطهارة وصفة الصلاة فإذا لم يجد شراحها وجهاً وجهاً للجمع بينها حملوها على تعدد ماوردت فيه حتى قال بعضهم بتعدد المراج لكثرة الاختلاف والتعارض في رواياته

وقد بينت وجوه الدفوع عن الاحاديث المشككة بالتعارض وغيره في مواضع من المنار وتفسيره أهمها الكلام في أشراط الساعة ولا سيما أحاديث المهدي والرجال فان التعارض والتناقض فيها كثير جداً

وانني أقل للأمة هذين الجوابين بحرفهما مع عزوهما إلى مواضعهما من المنار والتفسير لتأكيد تكذيب مجلة الازهر في زعمها الذي تقدم

﴿ الجواب الاول في علة السند ﴾

جاء في الصفحة ٧٢٥ من مجلد المنار الثاني والعشرين وفي حاشية ص ٢١١ من جزء التفسير الثامن مانعه :

«ومن هذه الاحاديث في الباب حديث أبي ذر جندب بن جنادة الذي يمدعته من أعظم المتن اشكالا فهو يقول ان النبي ﷺ سأله أتدري أين تذهب

الشمس اذا غربت ؛ قل قلت لا أدري ، قال « انها تنتهي دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتي يقال لها ارجعي فيوشك يا أبا ذر أن يقال ارجعي من حيث دخلت وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » وهذا الحديث رواه الشيخان من طرق عن الشعبي عن ابراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه عن أبي ذر وهو - أي ابراهيم - عن توثيق الجماعة لمدلس ، قال الامام أحمد لم يلق أبا ذر ، كما قال الدارقطني لم يسمع من حفصة ولا من عائشة ولا أدرك زمانهما ، وكما قال ابن اللديني لم يسمع من علي ولا ابن عباس . ذكر ذلك في تهذيب التهذيب وقد روى عن هؤلاء بالسننة فيحتمل أن يكون من حديثه عنهم غير ثقة اه
وأعني بهذا أن روايته عنهم مرسله ولم يذكر من حديثه بها ثبت أنه يرسل ويدلس كما قال الحافظ في التتريب ، ومن كان هكذا لا تقبل روايته بالسننة - فهذه علة في أصح أسانيد الحديث تبطل الثقة به مع عدم الطعن في البخاري ولا في الأعمش ولا في ابراهيم التيمي أيضاً

﴿ الجواب الثاني في علة متن الحديث ﴾

جاء في باب فتاوى النار في ص ٦٧١ مجلد ٢٤ مانصه :
(س ٢٦) من صاحب الامضاء المدرس في مدينة تطوان - في المغرب الأقصى -
الحمد لله وحده - من تطوان في ٢٧ شوال سنة ١٣٤١
فضيلة أستاذي الوحيد ، وملاذئ الفريد ، أستاذ العالم ومفتيه ومرشده
السيد محمد رشيد رضا

سلام على تلك القذات وتلك الروح الطاهرة من قلب يتأجج بنار الاشواق ويضطرم في سمر البعاد ، غير أن شلج ماء عين (مناركم) قد يغطي شيئاً من ذلك الالهب ، ويخمد سعيها عند ما يهيم الفكر في استحسان تلك الدرر القيمة ، والمتنع ينلك المائي الوحيد الفريدة .

سبدي وسندي ، أرجو مفضيكم الجواب على صفحات «النار» الاغرماني في
من المقرر عند علماء الجغرافيا أن الارض لها دورتان يومية وسنوية وأن

الليل والنهار والفصول ينشآن عن هاتين الدورتين للارض وبقتضي هذا أن الشمس ثابتة والله تعالى يقول (والشمس تجري لمستقر لها) فأرجو من فضيلتكم جواباً كافياً شافياً كما هو شأن فضيلتكم بحيث لا يبقى في النفس ولو كانت جاحدة أدنى مخافة . حفظكم الله وأطل حياتكم ، وبارك في عمركم وعمر أفعالكم الكرام ، مدى الليالي والايام ، من الداعي لفضيلتكم بذلك تليذكم وصديقكم

محمد العربي بن أحمد الخطيب

(ج) اذا كان مذكوره السائل من المقرر عند علماء الجغرافية فان من المقرر عندهم وعند علماء الفلك (أيضاً) أن الشمس تدور على محورها كغيرها من الاجرام السماوية وأنّها تدور هي والكواكب السيارة التي حولها حول نجم آخر مجهول يعدونه المركز لها ، وباعتنا عن أحد المعاصرين من هؤلاء العلماء أنه حقق حديثاً أن مجاميع الشمس كلها — أو العالم كله يجري في الفضاء لاية مجهولة . ونجدون هذا البحث ماعدا القول الأخير في مقالة طويلة للدكتور محمد توفيق صديق (رح) في المجلد الرابع عشر من المنار ، ونجدون فيها رأياً عزاه إلينا إذ نقلناه عنا وهو أن لجميع العالم المؤلف من هذه الشمس والكواكب مركزاً واحداً هو مصدر التدبير والنظام لها وهو عرش الرحمن تبارك وتعالى (راجع ص ٥٩١ و ٥٩٢ ص ٨٠٨) ونحن قد استنبطنا من عرض مذهب الفلكيين على قوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) - جريان الشمس ثابت بالاتفاق فإن دوراتها على محورها يسمى جريانا ، ودورانها مع مجموعها المعلوم حول نجم مجهول على قولهم — كدوران المجاميع السماوية حول نجم القطب الشمالي — يسمى جريانا أيضا . وأولى منه وأظهر سيرها مع بقية العالم الذي قال به بعض المتأخرين كما ذكر في تقييم الفلاميون المشهور . - على أن الجريان يستعمل استعمالا مجازيا في السير المعنوي كما يقال جرى القضاء بكذا ، ولك أن تقول الآن ان أورة تجري في تنازع دولها لحرب أخرى شر من الحرب الأخيرة

وأما المستقر الذي تجري الشمس اليه أوله ففيه وجهان (أحدهما) أنه

ينتهي إليه أمرها بخراب عالمنا هذا التي هي ركن نظامه فيكون جريانها كجريان غيرها بمعنى قوله تعالى في أول سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى . يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) وهو بمعنى ما روي عن قتادة قال تجري لمستقر لها : لوقتها ولأجل لا تعدوه (ثانيها) أنه مستقر نظامها لا أجلها وهو النجم المجهول عند علماء الفلك والعرش على رأينا — ويؤيده حديث أبي ذر في كون مستقرها تحت العرش ، والحديث قد روي بالفاظ مختلفة أظهرها أحصرها وهو ما رواه الجماعة إلا ابن ماجه وغيرهم عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » وبعض ألفاظه

مشكل في ظاهره جداً ورواته أقل ، وهو ما ذكر فيه سجودها لله تحت العرش

واستئذانها وإن فسر بمعنى خضوعها لأمره كقوله (والنجم والشجر يسجدان)

والراجح عندنا أنه روي بالمعنى فأخطأ بعض الرواة في فهمه فغير عنه بما فهمه

والله أعلم . وسنعود إلى هذا البحث في وقت أوسع ومجال أوسع إن شاء الله تعالى اهـ

وحاصل هذا الجواب المختصر الذي وعدت بالرجوع إليه لأجل تفصيله عند

ما تسنح الفرصة ويتسع المجال هو كما تقدم أننا أن الحديث مروي بالمعنى وهو في

أمر غيبي أخطأ بعض الرواة في فهمه كما أخطأ في أمثاله ولا سيما أحاديث الدجال

المتارضة المتناقضة فليراجع تفصيلي لها ولا مبالغ من شاء في تفسير قوله تعالى

(٧ : ١٨٧) يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربّي) الآية

(من ص ٤٨٩ - ٥٠٧ ج ٩ تفسير)

وأما العبارة اللامعة الإسلامية في هذا الجواب فهو أن من كبار جملاتها الراسخين

في هذا العصر من قد صدق في القول ، والإمانة في النقل ، والفهم لمسائل العلم ،

جمع استباحة التكفير للخصم ، وإن قصارى علمهم مشاغبات ومغالطات في الالفاظ

ومحريف لها وإيراد الاحتمالات فيها كما تقدم أننا عن الاستاذ الامام .

المقال التاسع

(٧) استشكال العلماء لحديث الشمس وأجوبتهم منه

هذا الحديث رواه الشيخان وبعض أصحاب السنن والمسانيد والتفسير المأثور والبيهقي في الاسماء والصفات بالفاظ متقاربة ولكنها غير متفقة ، ورواه غيرهم بزيادات مختلفة بل مختلفة ، ولفظ البخاري في باب بدء الخلق بسنده : عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر (رض) عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يدرى (١) حين غربت الشمس « أتدري أين تذهب » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتقطع من مغربها ، فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ورواه أيضاً في تفسير سورة يس وفي كتاب التوحيد هكذا بالمنعنة وقد استشكله العلماء من الجهتين اللتين تقدم ذكرهما وكان استشكلهم مخالفة لما تقر في علم الهيئة أقوى وأجوبتهم عنها أضعف . وقد كان جواهر علماء المسلمين حتى غير الناظرين في علم الهيئة الفلكية يظنون أن نور القمر مستمد من نور الشمس وعلماء المنطق منهم يمثلون بهذا للحدس المنطقي الذي هو أحد اليقنيات الستة ، وكانوا يظنون أيضاً أن سبب خسوفه جلوله الأرض بينه وبين الشمس ويمثلون بذلك القضية الوقفية في المنطق أيضاً . وقال الغزالي إن من أذلة كروية الأرض ظهور ظلها في القمر عند خسوفه مستديراً ، وإن هذا من القطياعات . فروية القمر بعد غروب الشمس دليل حسي على وجود الشمس وراء الأفق التي تتوارى عنه مقابلة للقمر تلقى نورها عليه . ولم يكن علم الهيئة وصل في عهدهم إلى ما وصل إليه الآن ولا علم الجغرافية أيضاً . ولا كان الناس في عصرهم يطوفون حول الأرض بطياراتهم وغيرها فيرون بأعينهم مصداق أدلة ثبات الشمس في فلكها ، أفليس من الجنابة على الاسلام أن تتحكم بحجة الأثر على من يقول أن مضمون الحديث مخالف للحس بأنه مكذب لله ورسوله ﷺ ؟

(١) يشعر هذا اللفظ بأن قائله غير أبي ذر وهو يدل على روايته بالمعنى كما قلنا

« المجلد الثاني والثلاثون »

« ٩٩ »

« المنار ج ١٠ »

﴿ ما نقله الحافظ ابن حجر في استشكل العلماء للحديث وأجوبتهم عنه ﴾

قال الحافظ ابن حجر في شرحه له من فتح الباري : والقرض منه هنا بيان سير الشمس في كل يوم وليلة . وظاهره منابر لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك . فانه يقتضي أن الفلك هو الذي يسير ، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجرى ، ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى (وكل في فلك يسبحون) أي يدورون . قال ابن العربي أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن . وتأوله قوم على ما هي عليه من التسخير الدائم ، ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع (قال الحافظ بعد نقله لهذا) قلت : إن أراد بالخروج الوقوف فواضح وإلا فلا دليل على الخروج . ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الاتقياء والخضوع في ذلك الجنب اهـ

فعلم من هذا أن العلماء استشكلوا الحديث وقالوا كما قلنا بأنه منابر لقول علماء الهيئة القطعي وأنهم استشكلوا أيضاً سجودها وأنكره بعضهم ولم يكفرهم متأولوه ، وأجابوا عنها بما رأيت وما استرى مما نقله اليك ، ووازن بعد ذلك بين أجوبتهم وجوابنا

وقال الحافظ في شرحه للحديث من تفسير سورة يس من صحيح البخاري ما نصه : « وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال : مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بني آدم ، فإذا غربت سلت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول ان السير بعيد ، وإني إن لا يؤذن لا أبلغ ، فتحبس ما شاء الله ثم يقال : اطلعي من حيث غربت . قال فن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفساً إيمانها ، وأما قوله « تحت العرش » فقيل هو حين محاذاتهم ولا يخالف هذا قوله (وجدها تقرب في عين حشة) فإن المراد بها نهاية مدرك للبصر حال الغروب ، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب

« وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمسقطها غاية ما تنتهي إليه في

الارتفاع وذلك أطول يوم في السنة . وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا .
« وقال الخطابي يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر
تحتها استقراراً لا يمحيط به نحن . ويحتمل أن يكون المعنى : أو علم ما سألت عنه .
من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها ، فيقطع
دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها . وليس في سجودها كل ليلة
ما يبيق عن دورتها في سيرها » اهـ

ثم قال الحافظ بعد نقل هذه الاحتمالات في تأويل الحديث والآية
(قلت) وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند
سجودها . ومقابل الاستقرار المسير الدائم المبر عنه بالجري والله أعلم اهـ
أقول يعني أن هذه التأويلات خلاف المتبادر من لفظ الحديث . وأما حديث
عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو بن العاص الذي
نقله وسكت عليه فهو أعصى على تأويلنا وتأويلهم وأبعد عنهما بعد الشمس عن العرش
وفي معناه روايات أخرى أغرب منه . وذهب هذا وثقه ابن معين والعلج وقال
علي بن اللديني وابن حبان : وذهب بن جابر مجهول سمع من عبد الله بن عمرو بن
العاص قصة يأجوج ومأجوج و « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت » ولم يرو
غير ذين ، وقال النسائي : مجهول ، وكفى بقول علي بن اللديني أنه لم يرو غير
هذين حجة على أن رواية حديث الشمس عنه مردودة سواء كان ثقة أم لا ؟

(جواب الحافظ ابن كثير في تفسيره)

وأجاب الماد بن كثير عن سجود الشمس تحت العرش بما حاصله أن العرش
قبة ذات قوائم تحملها لللائكة وهو فوق العالم بما يلي رحوس الناس فالشمس إذا
كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش ، فإذا
استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت
أبعد ما تكون من العرش حينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جرت بذلك
الاعاديت اهـ وهذا جواب من يصدق الفلكيين في ثبات الشمس في فلكها

ودوران الفلك بها حول الأرض ، وقد تقضى ارتقاء علم الهيئة بالمناظير المقررة
للابعاد هذا المذهب اليوناني ، وأجمع علماء الفلك في هذا العصر على كروية الأرض
ودورانها تحت الشمس الثابتة في مركزها . على أن قوله منقوض على ذلك المذهب
أيضاً إذ لا خلاف عند أهله في كروية الأرض وسكنى الناس على سطحها من كل
جانب فلا ينتج القول بأن العرش فوق رؤوس المقيمين في جانب منها دون آخر

(مائتة الفقيه ابن حجر الهيتمي في حديث سجود الشمس)

جاء في الفتاوى الحديثية للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي مانصبه :

(وسئل) نفع الله به : إذا غابت الشمس أين تذهب ؟

(فاجاب) بقوله : في حديث البخاري أنها تذهب حتى تسجد تحت
العرش . زاد النسائي « ثم تستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها
وتؤمر بالطول فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطول من محل غروبها » ولا يخالف هذا
قوله تعالى (تقرب في عين حجة) لأن المراد به نهاية إدراك البصر لها حال
الغروب وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب . وأخرج ابن أبي حاتم وأبو
الشيخ عن ابن عباس أنها بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء بفللكها وإذا غربت
جرت بالليل في فللكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر ،
وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة أنها إذا غربت دخلت نهراً تحت العرش فتسبح
رهباً حتى إذا أصبحت استعفت رهباً عن الخروج ، قال : ولم أقال إني إذا خرجت
عبدت من دونك . وقيل يبتلعها حوت ، وقيل تنيب في عين حجة كما في الآية
والحكمة بالهمز ذات الطين الاسود وقرى حامية بالياء أى حارة ساخنة ، وقيل
تطلع من سماء إلى سماء حتى تسجد تحت العرش وتقول يارب إن قوما يصصونك
فيقول لها ارجعي من حيث جئت فتزل من سماء إلى سماء حتى تطلع من الشرق
وينزلها إلى سماء الدنيا يطلع الفجر . قال امام الحرمين وغيره لا خلاف أنها
تغرب عند قوم وتطلع عند آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند
آخرين إلا عند خط الاستواء فيستويان أبداً ، وفي بلاد بلغار بموحدة مضمومة .

ثم معجزة لا تعيب الشمس عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع « اه
أقول الشيخ أحمد بن حجر هذا هو الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣ وهو
قليل البضاعة في الحديث وفي علوم العقول ينقل من الكتب عند الحاجة، ومأواه
إلى النسائي من لفظ الحديث ثابت في البخاري، وسائر الروايات التي ذكرها لا
تصح . وقد أورد كلام علامة العقول الأكبر إمام الحرمين ولم يردده لأنه إمام
الاشعرية والشافعية الذين يقدّم ولا استطاع أن يوفق بينه وبين الحديث

(فائدة لما علاقة بحديث الشمس)

يقول الفقيه ابن حجر الهيتمي هذا إذا اختلف العلماء فالنفي يجب اعتماد
كلام الفقهاء . ولكن بضاعة أكثر الفقهاء مزجة في مشكلات الاحاديث ولا سيما
غير الفقهية وقد قرأنا في بعض كتبهم تعليلاً لبرودة مياه الآبار في الصيف وحرارتها
في الشتاء كما يتوهم من لا يعرف الحقيقة وهو ان الشمس يطول مكثها تحت الارض
في ليالي الشتاء لطولها فيكون دفء مياه الآبار من ذلك، ويقصر مكثها تحت الارض
في ليالي الشتاء لقصرها فتظل مياه الآبار باردة !! فكيف يوفق محرر مجلة
نور الاسلام بين هذا التعليل الخرافي وبين ما يفهم من ظاهر الحديث من ان الشمس
في الليل تكون تحت العرش فوق السموات السبع ?? كمادته في تصحيح أمثال هذه
الجهالات والخرافات ؟

(كلام الألوسي وجوابه عن الحديث في قوله)

قال الشهاب السيد محمود الألوسي في تفسير آية سورة يس من تفسيره روح
المعاني ما نصه :

« وفي غير واحد من الصحاح عن أبي ذر قال : كنت مع النبي ﷺ في
المسجد عند غروب الشمس فقال « يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟
قلت الله تعالى ورسوله أعلم ، قال تذهب لتسجد فتستأذن فيؤذن لها ، وبوشك
أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث
جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله عز وجل (والشمس تجري لمستقر لها) وفي

رواية « أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا الله تعالى ورسوله أعلم ، قال . إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة » الحديث ، وفي ذلك عدة روايات وقد روى مختصراً جداً . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » فالمستقر اسم مكنى والظاهر أن للشمس فيه قراراً حقيقة . « قال النووي : قال جماعة بظاهر الحديث ، قال الواحدى وعلى هذا القول . إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ، ثم قال النووي : وسجودها بتمييز وإدراك يخلفه الله تعالى فيها ، وذكر ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية . أن سجودها تحت العرش إنما هو عند غروبها . وأورد (ملخص ما تقدم أنفاً ثم قال) « والسجود تحت العرش قد جاء أيضاً من روايات الامامية ، ولم في ذلك أخبار عجيبة ، منها ان الشمس عليها سبعون ألف كلاب ، وكل كلاب يحجره سبعون ألف ملك من مشرقها إلى مغربها ، ثم ينزعون منها النور فتخر ساجدة تحت العرش ، ثم يسألون ربهم هل نلبسها لباس النور أم لا ؟ فيجانون بما يريد سبعمائة ثم يسألونه عز وجل هل نطعمها من مشرقها او مغربها ؟ فيأتيم النداء بما يريد جل شأنه ، ثم يسألون عن مقدار الضوء فيأتيم النداء بما يحتاج اليه المخلوق من قصر النهار وطوله . « وفي الهيئة السنية للجلال السيوطي أخبار من هذا القبيل ، والصحيح من الاخبار قليل ، وليس لي على صحة أخبار الامامية وأكثر ما في الهيئة السنية تعويل ، . « ثم ما تقدم عن أبي ذر مما لا كلام في صحته ، وماذا يقال في أبي ذر وصدق لهجته ؟ والامر في ذلك مشكل اذا كان السجود والاستقرار كل ليلة تحت العرش . سواء قيل انها تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل اليه فتسجد ، ام قيل انها تستقر وتسجد تحته من غير طلوع ، فقد صرح امام الحرمين وغيره بأنه لا خلاف في . أنها تقرب عندقوم وتطلع على آخرين ، والليل يطول عندقوم ويقصر عندآخرين ، . وبين الليل والنهار اختلاف ما في الطول والقصر عندخط الاستواء ، وفي بلاد بلفار قد يطلع الفجر قبل ان يتيب شفق العروب ، وفي عرض تسعين لا تزال طالعة .

المنار: ج ١٠م ٣٢ جواب الاكومي عن الحديث وكون جوابنا أقوى من غيره ٥٧٩

مادامت في البروج الشمالية وغاربة مادامت في البروج الجنوبية ، فالسنة نصفها ليل ونصفها نهار ، على ما فصل في موضعه . والادلة قائمة على انها لا تسكن عند غروبها ، وإلا لكانت ساكنة عند طلوعها ، بناء على ان غروبها في أفق طلوع في غيره ، وأيضاً هي قائمة على انها لا تفارق فلکها فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إلى العرش ؟ بل كون الامر ليس كذلك أظهر من الشمس لا يحتاج إلى بيان أصلاً . وكذا كونها تحت العرش دائماً بمعنى احتوائه عليها وكونها في جوفه كسائر الافلاك التي فوق فلکها والتي تحته

« وقد سألت كثيراً من أجلة المعاصرين عن التوفيق بين ما سمعت من الاخبار الصحيحة وبين ما يقتضي خلافها من العيان والبرهان ، فلم أوفق لأن أفوز منهم بما يروى النليل ، ويشفي الليل » اه ماقروه الاكومي من استشكل الحديث من الوجهين وكونه مخالفاً للقطعي وعجز أجل معاصريه من العلماء عما ينزل الاشكال اه ثم انه رحمه الله استنبطه خلا غريباً بدم مقدمات مؤلفة من خرافات كثيرة أغرب منه خلاصته أن الشمس لها نفس عاقلة مدركة كروح الانسان وان هذا النفس هي التي تصعد فتسجد تحت العرش ، ويبقى جسم الشمس المضيء على ما يراه الناس . ولم أره تجرد من عقله واستقلاله العلمي وأثبت عدة خرافات خلط فيها بين تخيلات الفلاسفة والصوفية والبتدعة كما فصل في هذه المسألة عفا الله عنه ، ومن شاء فليرجع الى عبارته فيه

(حاصل أقوال العلماء والمبررة به)

وحاصل ما أوردناه من كلام المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين انهم اتفقوا على ان الحديث مشكل كما قلنا ، وأنهم أنكروا منه السجود تحت العرش واحتجاب الشمس عن الدنيا ، وكانت أجوبتهم عن السجود أقوى من أجوبتهم عن الاحتجاب ، وان أحداً منهم لم يكفر أحداً ممن استشكله ، ولا رماه بتكذيب الله ورسوله وان لم يسلم له تأويله ، وأن جوابنا في حل الاشكال أظهر من جميع أجوبتهم ، وابتنا على توفيقنا هذا لخدمة السنة قد رمانا محررم مجلة الازهر زوراً وبهتاناً بما علم القارئون ، ولنا ان تتمثل بقول الشاعر :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود .

خاتمة البحث في تحدينا لمشيخة الازهر فيه

قد علمت أيها المسلمون مما شرحت لكم في هذه المسألة ان أحد كبار هيئة علماء المشيخة الرسميين ومحرري مجلتها الرسمية قد افترى علينا في هذه المسألة بغير أمانة ولا علم - وترك الذين قديصدقون كلامه في هذا الحديث وربما كانوا مئات الالوف في حيرة أو شك من دينهم إذ علموا منه ان الحديث يدل على ان الشمس تغيب عن الارض كلها بعد غروبها عنهم، وجميع الذين تعلموا الجغرافية منهم وكثير من غيرهم يعلمون علمًا يقينًا ان الشمس لا تغيب عن الارض طرفه عين، وانما تقرب عن قوم وتطلع على آخرين، كما قال بعض كبار علماء الاسلام المتقدمين فكان الواجب على هذا العالم أن يرشد المسلمين أولاً إلى الجمع بين معنى الحديث الذي أخبرهم أنه متفق عليه وبين اعتقادهم القطعي لما يخالف مضمونه قبل أن يقول لهم ان الذي لا يعتقد صحته يكون مكذباً لله ولرسوله، وهم لا يستطيعون هذا الاعتقاد وانني بعد أن بينت لهم ما عندي من حل الاشكال وما قاله العلماء الذين احتشكوا الحديث من قبل، وان ما قلته هو الذي يطمئن به القلب، أتحدى الاستاذ الأكبر شيخ الازهر ومن شاء من هيئة كبار العلماء (غير الدجوي الذي ليس في علم الحديث جمل ولا ناقة، ولا يذكر منه في مقدمة ولا ساق، بل هو بعد أعظم حناغله كالذهبي في عصره أعداء لرسول الله ﷺ ويطعن في صدقهم) أن يبينوا للأمة طرق هذا الحديث وما يصح منها بحسب اصطلاح المحدثين وما لا يصح، وما يجب على المسلمين أن يصدقوه مما يخالف منه المشاهدة وما تقرر في علم المنطق وعلم الجغرافية الذي يدرس في الازهر وفي جميع مدارس هذا العصر، إما بالجمع بين الامرين جما معقولا، وإما بتكذيب الحس وما أثبتته العلم إن كان مستطاعا، إذا كانوا لا يوافقونا على ما ذكرنا من إعلال متناه وأصبح أسانيدهم، فهذه سبيل العلماء حماة الدين لا الاقتراء على العلماء الذين هدام الله إلى هذه الحماية قبلهم، والتمالي والتنفج بسلطان الالقاب الرسمية التي لا قيمة لها عندهم، وإيقاع الناس في شك من دينهم، وإذا لم يكف شيخ الازهر مروعيه عن مثل هذا العدوان والبهتان فسأجهدهم بمناظرات أخرى في علم التوحيد وفي التفسير والحديث. وإن خالفت مقتضى الحلم والتواضع الذي اعتصمت به إلى الان

وفيات الاعيان

(توفي في هذا العام عالمان عاملان مصلحان أحدهما الشيخ محمد امين الشنقيطي في بلدة الزبير التابعة للبصرة وقد كفنا أحد أصدقائه كتابة ترجمته ، والثاني صديقنا الاستاذ المصلح الشيخ محمد عبد القادر في ملياري وقد كتب لنا ترجمته أحد تلاميذه ومريديه فنشرها باختصار قليل وهي)

في غرة رجب من هذا العام (١٣٥١) توفي العالم العلامة محرز المجلة الغراء «دييك» (النير) استاذ الاصلاح الديني لملياري محمد عبد القادر المولوي ابن العالم المرحوم محمد كنجي رحمهما الله تعالى ، فقد مسله ملياري أستاذهم ومحبي أرواحهم بالاصلاح الاسلامي

وكانت أعمال التجهيز لجنازته على غاية من اتباع السنة رغم أهواء الخرافيين ، لأن أبناء العقيد وأقرباءه وتلاميذه المصلحين قد بذلوا جهدهم لتلايمزج الناس تشيع هذا المصلح الاول فيهم بشيء من مبتدعات هذه البلاد من الجهر بالتهليل او غيرهم حين تشيع الجنازة حاملين لها أو ماشين معها ، ومن جمع الناس وضياقتهم بعد الدفن في ذلك اليوم أو في الثالث أو غيرها ، فبفضل الله وتوفيقه كان تجهيز هذا المصلح الاكبر خالياً من جميع البدع والنفكرات ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وكان أهل ملياري كافة وأهل بيت الاستاذ العقيد بل كان هو نفسه أيضاً من يحافظون على المحدثات والبدع مقلدين لكتب المتأخرين المؤلفة في الفقه والتصوف وغيرهما من الفنون الاسلامية ، ولكن بعد ما شرع الاستاذ يقرأ مجلة « المنار » الغراء هداه الله بها إلى التفكير في الاصلاح الديني ، وصار أول أستاذ مصلح في هذه البلاد المليارية ، جزاه الله عنا خير الجزاء ، ورضي الله عنه وأسكنه في جنة الخلد ، ومثمه بالنعيم المقيم ، آمين ، وهذه خلاصة ترجمته:

كان العقيد من أعضاء قبيلة كريمة معروفة بالمجد والشرف في نواحي تراونكور وفي الخارج أيضاً . ولد من أبوين كريمين سنة ١٨٧٣ م والده رحمه الله كان « المنار: ج ١٠ » « ١٠٠ » « المجلد الثاني والثلاثون »

من التجار الكبار ، والعلماء الكرام أهل الفنى والسخاء ، وكان قد أحضر من الخارج بعض علماء ذلك الوقت لتعليم الفقيه ، فقرأ عليهم وعلى غيرهم كتب النحو والبلاغة والفقه الشافعي والتصوف وحقائقه والمنطق . ثم لم يلبث أن وجه عقله للبحث عن حقائق الدين وأسرار العبادات والأعمال المشروعة . ثم بعد ماتوفى والده وحصل على سهمه الخاص به من التراث اجمع أسرته وعزم على وقف حياته على خدمة الأمة بماله ونفسه . وكان محبا لقراءة الجرائد والمجلات فأسس أولا جريدته الاولى المشهورة باسم « شويشايهاني » (الوطني) ومطبعة مسماة بذلك الاسم أيضا ، وبعد عام عين في رئاسة تحريرها أديبا هندوسيا مشهورا بتحريكه للأفكار السياسية الاستقلالية في اهالي تراونكور ، فن تم شرعت الجريدة بقله السيل تفضيح الحكومة وتنقد أعمال موظفيها ولاسيما وزيرها الاعظم الذي كان شهوانيا أكثر من أنه إداري ، فاشتغلت الحكومة وصادرت الجريدة والمطبعة ، ونفت الناصح الصادق من أرضها ومات في غربته ، جزاء الله بصدقه وخير أعماله وأوصافه ، فهذه المصادرة خسر فقيدنا خسرانا عظيما يقدر بمخمسة آلاف روبية أو أزيد ، وكان فقيدنا عقيب تأسيس الجريدة المذكورة قد أسس لخدمة أمته الاسلامية خاصة بمجلة المشهورة باسم « المسلم » ولكنه بصدقه المصادرة التي خسر بها مطبعته قد اضطر لتعطيلها أيضا ، ثم لم يتمكن من متابعة أعماله للأمة والملة التي وقف حياته عليها إلا بعد ثلاث سنوات أو أربع

وفي سنة ١٩١٣ م استأنف إصدار مجلة « المسلم » الفراء فوجد امته الاسلامية على شيء من الاستعداد لقبول الاصلاح والتجديد ، فعزم على الصدع بأهم قواعد الاصلاح الديني متوسلا اليه باصدار مجلة في لسان قومه باحرف عربية لان غالب المسلمين من قومه رجالا ونساء لا يقرءون لغتهم المليارية باحرفها الاصلية وإنما يقرءونها بالاحرف العربية ، فاسس تلك المجلة باسم « الاسلام » ومطبعتها سنة ١٩١٧ م وأصدر عددها الاول في غرة رجب سنة ١٣٣٦ هـ منبها للمسلمين إلى احوالهم الحاضرة من حيث دينهم وتعليمهم واجتماعهم واقتصادهم ، وصادعا بالاصلاح الديني المبني على الاعتصام بالكتاب والسنة وصيرة السلف الصالحين

وتلك المجلة «الاسلام» وإن لم يتمكن أن يصدر منها إلا خمسة أعداد فانها نورت وجه أرض البلاد المليارية، ووجهت وجوه عقلاء المسلمين المفكرين علماء كانوا او عوام، شبانا أو شبوخا إلى مبادئها الاصلاحية من تعميم التعليم : الديني والمصري بين الذكور والاناث، مع المحافظة على التربية الدينية الصحيحة ونبذ الخرافات والبدع وجميع أنواع الاعمال الشركية، وتجديد توحيد الالهية والرؤية، والاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين في جميع نواحي الحياة، وعلاوة على ذلك جعل مجلة (المسلم) جريدة أسبوعية، وولى رئاسة تحريرها أحد تلاميذه الصالحين حفظه الله آمين

ثم وجهته إلى تأسيس الجمعيات بين أهل وطنه وخصوصاً المسلمين، فأست جمعيات ومجالس في مختلف البلاد للمليارية «تراونكور» و«كوسن» و«مليار» البعض بسميه والباقي على وفق إرشاداته في الاصلاح الديني، وإن كان بعضها قد غاب من أفق الوجود فالبعض الآخر لا يزال حياً ظاهراً طاملاً بتوفيق الله . وفي النهاية وجه عزمه إلى تأسيس «دار النشر الاسلامية» وإلى الصحافة، فشرع في إصدار مجلته الاخيرة «ديك» (النير) منها موجهة عالي همة وأكبر غنايته الى الرد على الملحدين والماديين الذين ظهرت قرونها في أهالي هذه البلاد ولا سيما الهندوس والنصارى في هذه الاعوام الاخيرة، وإلى نشر محاسن الاسلام وفضائله وسائر المواضيع النافعة المهمة . فهاتان المؤسستان لا تزالان جاريين أدامهما الله تعالى آمين. وكان قد شرع في تفسير القرآن الكريم بلغة قومه في مجلتيه الاخيرتين «الاسلام» و«النير» وكان عضواً من أعضاء الهيئة للؤلؤة لامتحان معلمي العربية في مدارس الحكومة

وله مقالات في مختلف المواضيع الاصلاحية في جرائد شتى مليارية وترجم من الفارسية كيمياء السعادة للغزالي رحمه الله، ومن الاوردية رسالة أهل السنة والجماعة، ورسالة السنة والوحي، وكتاتهما للعلامة السيد سليمان الندوي حفظه الله. وترجم أيضاً رسالة السيد جمال الدين الافغاني في الرد على الدهريين وله أيضاً رسالة «اسلامت سدها تنها سنكرهم» (خلاصة مبادئ دين الاسلام)

كان رحمه الله حليماً ، محباً للسلام والسكون ، شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم ، ولكنه على كونه لا يحب الثورة ولا الثوار في شيء ، يحب ويكرم مبادئ الجمعية الوطنية الهندية ، وكان ذا عزم وثبات لا يتزلزل للاهوال والبلايا معها تكن عظيمة ، وتقيا ورعاً لا يوصف ، وكان إيمانه وتوحيده وتوكله وتفويضه جميع أموره إلى الله مثار تعجب عند جميع من يعرفون أحواله ، وكانت اخوته شاملة لجميع البشر ، وكذلك كان صبره وصفحه وعفوه وتسامحه واحترامه للمخالفين تبعه على الاحسان اليهم والرحمة بهم وكذا باعدائه في جميع الاحوال ، وكان على حظ عظيم من التواضع يتواضع ويخض جناحه لجميع الاصحاب بل لخدمته أيضاً ، وفي الجملة كان مثالا عظيماً لمكارم الاخلاق

وكان يعرف من اللغات سوى لغته المليارية وآدابها العربية والفارسية والاوردية والتاميلية معرفة جيدة والانكليزية والسانسكريتية معرفة دون ذلك وكان في العربية وعلومها الادبية فرداً فذاً في مليار بل في جنوب الهند أجمع ، وفي العلوم الاسلامية وأسرارها ودقائقها من الافراد النادرين الممتازين بالاستقلال في التفكير والبحث في بلاد الهند جميعاً

وكان بمنزلة الاب المطوف لجميع مسلمي مليار « كبره » في جميع منيعهم للتجديد والاصلاح غير حركة الاحمدية قاديانيين كانوا أو لاهوريين إذ لم يشارك أي فريق منهم فيها بل كان مخالفاً لها وإن لم يصوب سهامه اليها وأما مذهبه في التجديد والاصلاح فقد كان فيه سلفاً لا يقول بالتقليد بأي مذهب كان غير مذهب السنة والجماعة ، داعياً إلى نبذ جميع العادات والاعمال الشريكة والخرافات والبدع الدينية ، والاعتصام بالكتاب والسنة ، وعبرة السلف الصالحين رضي الله عنهم بومع كونه مستقلاً في البحث والتفكير كان في مبادئ التجديد والاصلاح ، موافقاً لإرشاد مجلة النار القراء ، محباً لها ولصاحبها السيد محمد رشيد رضا حفظه الله ، وكان يحب حكمي الإسلام والشرق السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري رحمهما الله ، وشيخ الإسلام ابن

المنار ج ١٠ م ٣٢ الشيخ محمد الكسبي والشيخ عبد اللطيف نشابه ٧٩٧

تيمية وتلاميذه ، وشيخ الاسلام مرشد أهل نجد محمد بن عبد الوهاب ، والفقيد في القلب عن ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والثناء عليهما رسالة (ضوء الصباح) في اللغة المليارية ، وكان أيضا محب امام للملكة العربية السعودية عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أصلحه الله وهذاه ووقفه للمحج وبرضى أمين وقد أعقب (رح) ذرية مباركة بنتا واحدة وتسعة أبناء أكبرهم عبد السلام نال شهادة (البكالورية) من الجامعة الوطنية للملية في دهلي ، فنسأله تعالى أن يجعل منهم خير خلف لوالدهم الكريم ، المجدد الحكيم ، ويوفق سائر أهل مليار للاستقامة على ما هدهم اليه من الضراط المستقيم ، وأن يثنيه عنا جنات النعيم ، آمين

(المنار) اننا نشارك انجال هذا الصديق الكريم والمصلح الحكيم ومريديه وسائر أهل وطنه في مصابهم العظيم بفقده ونعزيبهم أصدق التميزة وتدعو لهم بالثبات على ما أرشدكم وتقدم بان تكون لهم كما كنا له فيما يرجعون اليه ونسأله تعالى ان يتولى توفيقهم وتوفيقنا .

الشيخ محمد الكسبي ، والشيخ عبد اللطيف نشابه

وقد توفي هذا العام من رجال العلم والادب في سورية الشيخ محمد الكسبي قاضي الشرع الاكبر في بيروت ، والشيخ عبد اللطيف نشابه في طرابلس وكان كل منهما شاعراً أديبا ، فالاول قد اشتهر بمنصبه فوق شهرته بأديه وهو نجل المرحوم الشيخ أبو الحسن الكسبي شاعر بيروت المشهور ، ولوالده ديوان كبير مطبوع ، والثاني نجل استاذنا الاكبر شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه الذي سبق لي التنويه بعلومه وفضله في المنار . ومانلقية عنه من الحديث والفق ، وكان الشيخ عبد اللطيف ذكيا لودعيا ، لكن ضرورة المعيشة اضطرتة إلى الاشتغال بالتجارة عن العلم ، ولو انقطع للملازمة والله والتلقي عنه لكان تحصيله عظيما لكأنه ، ولما كنت أنردد على دار والده قراءة الحديث والفق عليه في الدروس الخاصة بي كان يرغبي في دعوة الشيخ عبد اللطيف لحضورها معي على سبقه اياي في الطلب بضع سنين . رحمهم الله أجمعين

(خاتمة المجلد الثاني والثلاثين من المنار)

نختم هذا المجلد من المنار بما اقتضاه به من حمد الله عز وجل والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ، ثم بتذكير قرائه بحقه عليهم ولا سيما الذين يعتذرون بالمسرة العامة عن الوفاء له بهذا الحق ويقل فيهم من يمجز عن توفير بضعة قروش في كل شهر من شهور السنة يساعد بها من وقف حياته طول السنة على خدمة دينه وأمه بعله وعقله وماله وسعيه ، ومن كان منهم في هذه الحالة من المسر والفقر فلا عتب لنا عليه ، ولكننا نعلم أن كثيراً من المشتركين المثل ينفقون الألف في الترف والزينة أو الهوى أو مظاهر الفخضة الباطلة ، أو الولائم والمآدب والحفلات ، ومن سرواتهم وأغنيائهم من آخر دفع قيمة الاشتراك منذ سنين لم يكن لهم فيها عذر بمسرة عالية ولا شخصية . وكان الذين يعتذرون أو يعتذرون أنفسهم بالمسرة المالية لا يفكرون في إرهاب هذه المسرة لصاحب المجلة ، ولا في أن نفقته عليها أضاعف أضعاف ما يطلب لها من كل واحد منهم : بل صار لا يكفيها كل ما يجيء من جملة المشتركين . ونسأل الله تعالى وندهوه لهم بدعاء الملائكة « اللهم اعط منفقاً خلفاً ، واعط ممسكاً تلفاً » هذا — ولو أن الحكومة نفقت علينا تلك الغرامة التي ذكرناها في الجزء الأخير من المجلد الحادي والثلاثين لمجزأنا عن إصدار هذا المجلد (٣٢) على أننا قد اضطررنا للمسرة ومضاعفة الحكومة لرسم البريد الخارجي إلى منع أكثر أجزائه عن الذين لم يدفعوا قيمة الاشتراك عما قبله في أكثر الاقطار الثانية حتى علمنا أن بعضهم لم يصل إلى بعض الإوفياء الذين يؤدون حقهم في كل عام خطأ وقع في الاحصاء بالتمييز بين الوفيين والمأطلين ، فلهؤلاء الحق في طلب ما لم يصل إليهم ، وأما غيرهم فلا حق لهم في طلب شيء إلا مع إرسال قيمة الاشتراك إلى آخر هذا العام وهو حق المجلد الثاني والثلاثين

لم يرد علينا في هذا العام شيء من الانتقاد على المنار ولكن مشيخة الأزهر الرسمية قد هاجمت المنار في مجلاتها الرسمية التي سميتها (نور الاسلام) لا بنقد طلي

يليق بعلماء الدين ، بل بالظن والسب والتجهيل والتفضيل ، وأقطع لوازم التكثير ، ففضحت نفسها وهتكت الاستار عن جهلها بالكتاب والسنة وهدي خلف الامة في عقائدها وآدابها ، وعما هو شر من الجمل المقابل للعلم ، وهو الجمل المقابل للعقل والحلم ، والشم والسباب ، والنبز بالالقاب ، واقتراء الكذب والبهتان ، كما علم القراء من جزء المنار الماضي (التاسع) وهذا الجزء وسيزدادون علما بذلك في أجزاء المجلد ٣٣ كان في صدر الشيخ محمد الاحمد الطواهي شيخ الأزهر لهذا العهد سخيمة وإحنة من حملات المنار على البدع والخرافات والموالد ، التي جعلت من قبيل شائر الاسلام يحتفل بها في المساجد ، وهو قد تربي في نعمها وثروتها وجاهها ، ولم يكن يتجرأ على الرد ولا على النقد لأسباب يتوقف بيانها على سيرته العلمية والشخصية ، وهذا بما لا يخوض فيه ، ولكنه كان منذ سنين يتمنى لو يوجد في مشايخ الأزهر من يشفي غلته بالظن على المنار وصاحب المنار ، فلم يظفر بما تنهأ إلا بعد أن صار شيخا للأزهر ، وصار للمشيخة مجلة ، وجعل هو من محرري هذه المجلة من ينصر رأيه في بدع القبور والمشاهد والموالد وغيرها وهو الشيخ يوسف الدجوي ، وكان يعلم ان في صدر هذا الشيخ مثل ما في صدره من سخيمة وحقد على صاحب المنار فأباح له ان ينشر في مجلة الأزهر ما نشره من تأييد البدع والخرافات . وكان من المعلوم بالبداهة ان يتقد ذلك عليها صاحب المنار وقد كان . وكان من جرلته ما كان من عدوان ، واقتراء و بهتان ، والدليل على ما بسطنا في حديث السمي للصلح ومنه وعد شيخ الأزهر بنشر اجوبتنا عن مطاعن مجلة المشيخة ، وإصدار امره بمنع توزيع رسالة الدجوي البذيئة وعدم تنفيذه الخ ولو حاكنا الطاعن ورئيس تحرير مجلة المشيخة الى محكمة الجنائيات لحكمت عليهما بالعقاب أو اضطرتهما الى طلب الصلح بناء على ما يعترفان به من الذنب والاعتذار عنه ولكننا حاكنا المشيخة ومجالتها الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقواعد العلم الحق في محكمة الامة وهي الصحافة فكان الحكم العدل عليهما شديدا ، ونصر الله صاحب المنار على شيخ الأزهر وعلى الشيخ الدجوي ، واظهر فضل منار الاسلام الصحيح على مجلة الأزهر والله الحمد من قبل ومن بعد . ينصر من يشاء وهو القمهي العزيز

سيكون أهم مسائل المجلد الثالث والثلاثين أمام بحث الوحي المحمدي ومقاصد القرآن وكليات قهقهه الاعلى على الوجه القديتين به انه لا يمكن اصلاح فساد الامم والدول في هذا العصر بدون اتباع القرآن، والايمان بنبوته محمد عليه افضل الصلاة والسلام ، وهذا موضوع لم يسبقنا أحد الى مثله فيما نعلم .

وستنفي على هذا بابطال مسيحية الدجال ميرزا غلام احمد القادياني واتباعه المدعين للوحي له ولهم في هذا الزمان، وبيان حقيقة حال الازهر وما ينبغي له فيه وسنتم ان شاء الله تعالى فيه ما كنا بدأنا به من تحرير مسألة الربا وما لحق به من الاحكام المالية ومنها معاملات المصارف (البنوك) والشركات المختلفة والاعمال وأنواع التأمين على البضائع والدور والسفن والحياة ، ولا يزال أهل العلم يطالبوننا باتمام هذا التحرير

وكنّا نشرنا المسائل الاولى من موضوع محاضر تينا في التجديد والمجدين وفي المساواة بين النساء والرجال ، ثم شغلنا عن اتمام الاولى ما بسلطاننا في تاريخ الامامين الحكيمين السيد جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده المصري من بيان تجديدهما وهو المقصود من موضوع هذه المحاضرة وشغلنا عن اتمام نشر الثانية أننا بسطاننا في رسالتنا (نداء للجنس العليل في حقوق النساء في الاسلام) جل ما أجهلناه فيها . وبقي علينا أن نختم المحاضرتين بخلاصة ما في التاريخ والمسألة لاجل اصداره اطبعناه من كل منهما على حدته كذلك كنا وعدنا به في المجلد الثامن والعشرين ان نبين رأينا في قانون الزواج الذي وضعت الحكومة المصرية لمجاكها الشرعية ، ثم نسيناه فذكرتنا به رسالة أو استفتاء لأحد العلماء في بعض الاقطار الاسلاميةيين لتاشدة حاجة بلادهم الى هذا القانون وانه ما منهم من العمل به الا انتظار ما نقوله فيه لشدة ثقتهم بنا وسنعود الى قراءة هذا القانون وإبداء رأينا فيه ان شاء الله . وفي الختام ندعو أهل العلم والرأي بما اعتدنا دعوتهم اليه في كل عام من الانتقاد على ما يرونه في المنار مخالفا للحق أو المصلحة العامة ونقدم بنشره بشرطه الذي ذكرناه مراراً . ونسأل الله تعالى التوفيق لما يرضيه من بيان الحق المبين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تمشي المنار

محمد رشيد رضا

Bibliotheca Alexandrina



0531222